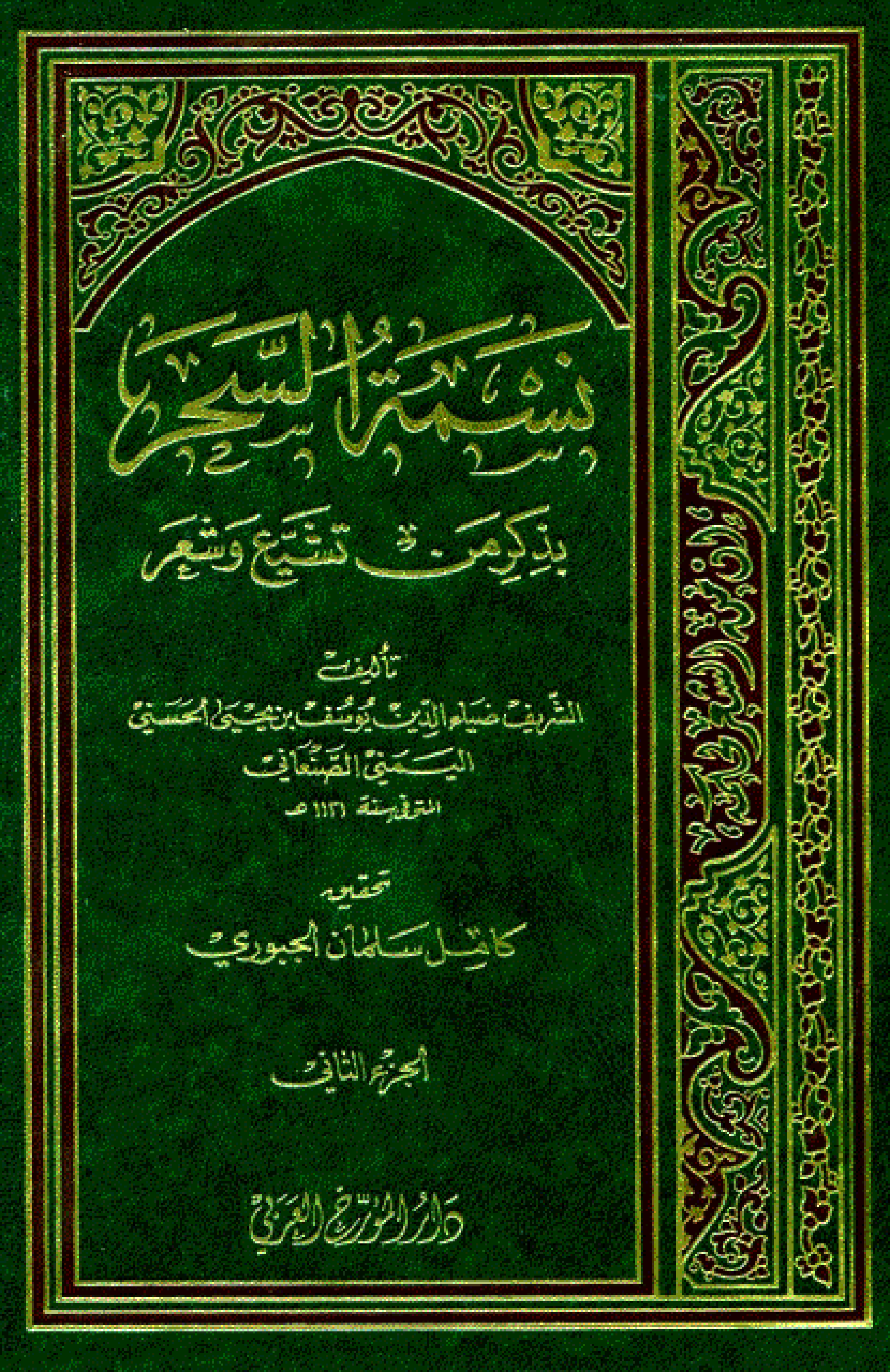
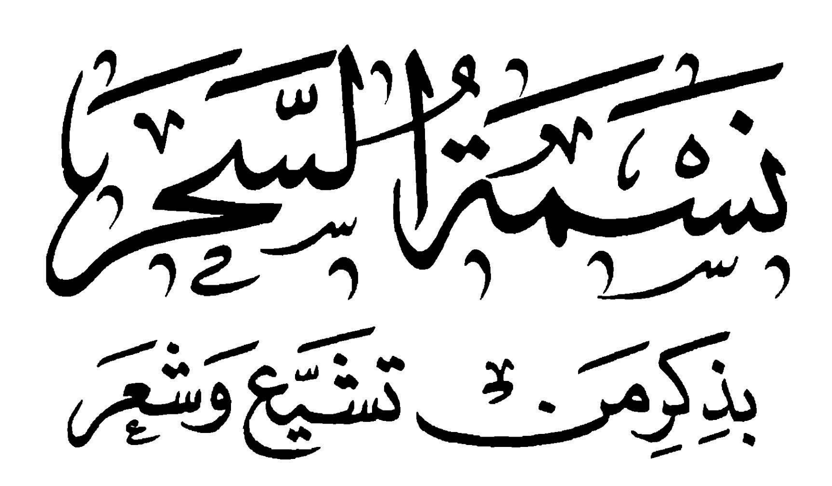


نسمة السحر
بذكر من تشيع وشعر
تأليف
الشريف ضياء الدين يوسف بن يحيى الحسني
اليمني الصنعاني
المتوفى سنة ١١٢١ هـ
تحقيق
كامل سلمان الجبوري
الجزء الثاني
دار المؤرخ العربي

نسمة السحر

بذكر من تشيع وشعر



نسمة السحر

بذكر من تشيع وشعر

تأليف

الشريف ضياء الدين يوسف بن يحيى الحسني

اليمني الصنعاني

المتوفى سنة ١١٢١ هـ

تحقيق

كامل سلمان الجبوري

الجزء الثاني

دار المؤرخ العربي

بيروت - لبنان



الطبعة الأولى

١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م

دار المؤرخ العربي

بيروت - لبنان - ص.ب : ٢٤/١٢٤ - تلفاكس : ٨٢٠٨٤٣
هاتف خليوي : ٠٣/٨٩٠٨٢٠

[٥٥]

الرئيس، مؤيد الدين، فخر الكُتّاب، أبو إسماعيل، الحسين بن علي بن محمد بن عبد الصمد الأصبهاني المنشيء الكاتب، الشاعر الشهير بالطغرائي(*).

فاضل سبق في الحلبة، وتحكَّم في الأُفق فنظم ونثر شهبه، له الإنشاء المنشّئ الحلال، والشعر الذي ما ترك بهجة للهلال، حقّق ببلاغته خدمة السيف للقلم والموت ولا شيء يعادله، كما قال ابن الرومي: «ما زال يتبع ما يجري به القلم في الأمم» لاميّته أحسن من لاميَّة العذار، وإذا كان الشعر عوراً فهي جوهر البحار، وهو أحد مشاهير الكتاب الكملا.

قال الصلاح الصفدي في: «الغيث الذي انسجم في شرح لامية العجم»: إنه كان وزير السلطان مسعود بن مالك شاه السلجوقي، ثم سرد مناقبه وقال: إنه ممن ظفر بسرّ الكيمياء.

(*) ترجمته في:

وفيات الأعيان ١٨٥/٢ ـ ١٩٠، معجم الأدباء ٥٦/١٠ ـ ٥٧، أمل الآمل ٩٥/٢، الطليعة ـ خ ـ ترجمته رقم ٨٠، أعيان الشيعة ٧٦/٢٧ ـ ٨٨، أدب الطف ٢٧/٣، هدية العارفين ٣١١/١، تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام ٢٢٣، الكنى والألقاب ٤١٤/٢، روضات الجنات ٢٤٧، شذرات الذهب ٤١/٤، وللدكتور علي جواد الطاهر كتاب عنه طبع ببغداد سنة ١٩٦٣، وله ديوان شعر بتحقيق د. علي جواد الطاهر ود. يحيى الجبوري طبع ببغداد سنة ١٩٧٦.

قال: وروى أنه ألقى المثقال من الأكسير على ألف مثقال فعاد شمساً أو قمراً، لكنه قال من قطعة له:

ولولا ملوك الحور أصبحت والحصى ... بـكـفّـي أنّـى شـئـت درّ ويـاقـوتُ

وذكره ابن خلكان فقال: كان غزير الفضل، لطيف الطبع، فاق أهل عصره بِصَنْعَتَيِّ النظم والنثر[1]، وذكره غيرهما، وكلّهم شحّوا على لؤلؤ منثوره فلم يوشّحوا به عقيلة الكتب، والشرط في كتابي ذا أن لا أذكر فيه بالذات غير متشيّع، وكان الطغرائي من كبار المتشيعين، وله في هذه المادة [من البسيط]:

أمَّـا الـزمـانُ فـفـي تـنـبـيـهـهِ عِـبَـرٌ ... لـولا الـغِـشـاوةُ في أجفانِ مسبوتِ
عـصـراهُ قـد حَـذَّرا تـأكـيـدَ سـحـرِهـمـا ... كـمـا سَـمِـعْـتَ بـ«هـاروتٍ ومـاروتِ»
أهـوِنْ بـصـرفـيـهِ مـن بُـؤسٍ ومـن نُـعُـمٍ ... ولا تُـبَـالِ بـمـا يـأتِـي ومـا يـوتـي
ولا تـخـصَّ بـمـقـتٍ بـعـض سـيـرتِـه ... فـليس في الدهرِ شيءٌ غيرُ ممقوتِ
لـو كـان يُـعـجِـبـنـي شـيءٌ لأعـجـبـنـي ... فـيـه شـمـاتـةُ مـبـكـوتٍ بـمـبـكـوتِ
أما رأيت حظوظَ الدَّهْرِ قد عُكستْ ... فـالـمـاءُ لـلـضَّـبِّ والـرمـضـاءُ لـلـحـوتِ
ومـبـسِـمُ «ابـنِ رسـولِ الله» قـد عـبـثـتْ ... «بـنـو زيـادٍ» بـثَـغْـرٍ مـنـه مـنـكـوتِ
فـاقـنـعْ مـن الـدهـرِ بـالـمـيـسـورِ تَـحظَ بـه ... فـلا خَـلاقَ لـمـا أربَـى عـلـى الـقُـوتِ
قـوتٌ بـمـاءِ سـحـابٍ أمـسـكـا رمـقـاً ... فـمـا الـتـنـافسُ فـي دُرٍّ ويـاقـوتِ[2]

وله في هذا السلك [من الكامل]:

حُـبُّ الـيـهـودِ «لآل مـوسـى» ظـاهِـرٌ ... وولاؤُهـم لـبـنـي «أخـيـه» بـادي
وإمـامـهـم مـن نـسـلِ «هـارونَ» الأُلَـىٰ ... بِـهِـم اهـتـدَوا ولـكـلِ قـوم هـادي
وأرى الـنـصـارى يُـكـرِمـونَ مـودّةً ... «لـنـبـيِّـهـم» عـوداً مـن الأعـوادِ
وإذا تـولَّـى «آلَ أحـمـدَ» مـسـلـمٌ ... قـتـلـوهُ أو وسـمـوهُ بـالإلـحَـادِ
هـذا هـو الـدَّاءُ الـعـيـاءُ بـمـثـلِـهِ ... ضـلَّـتْ حـلـومُ حـواضـرٍ وبـوادي
لـم يـحـفَـظـوا حَـقَّ الـنـبـيِّ «مـحـمَّـدٍ» ... فـي «آلِـه» والـلَّـهُ بـالـمـرصـادِ[3]

---

(١) وفيات الأعيان ٢/ ١٨٥.
(٢) كاملة في ديوانه ١٠٣ ـ ١٠٤.
(٣) ديوانه ١٣٧.

صدق الطغرائي ما زال المتعصّب يَسِمُ المتشيّع بالإلحاد أو قريب منه، كالحافظ الذهبي[1] وابن حجر[2]، وربّما أن إلحاده الذي قتل به كما يُشير إليه آخر الترجمة هو التشيّع.

وله ديوان شعر مشهور أجاد فيه، ومنه في مادة الغزل [من البسيط]:

بـالـلَّـهِ يـا ريـحُ إن مُـكّـنْـتِ ثـانـيـةً ... مـن صُـدغِـه فـأقـيـمـي فـيـه واسـتـتـرِي
وراقـبـي غـفـلـةً مـنـهُ لـتـنـتـهـزِي ... لـي فُـرصـةً وتـعـودي مـنـه بـالـظَّـفَـرِ
ونـاظـري بـيـن وردٍ مـن مُـقـبَّـلِـهِ ... مقابل الطعم بين الطِيبِ والخَصرِ
وإن قَـدرتِ عـلـى تـشـويـشِ طُـرَّتِـه ... فـشـوِّشِـيـهـا «ولا تُـبـقِـي ولا تَـذَرِي»
ولا تَـمَـسِّـي عِـذاريـهِ فـتـفـتـضِـحِـي ... بـنـفـحـةِ المِـسْـكِ بـيـن الـوِرْدِ والـصَّـدَرِ
ثـم اسـلُـكي بـيـن بُـرْدَيْـهِ عـلى عَـجَـلٍ ... واستبضعي الطيب وأْتِيني على قَدَرِ
ونـبِّـهـيـنـي دويـن الـقـوم وانـتـفـضـي ... عـلـيَّ والـلّـيـلُ في شـكٍّ من السَّحرِ[3]

ما أطيب هذه القطعة وأعبقها وأرّقها وأعذبها.

وله في هذه المادّة [من الخفيف]:

---

(١) محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، شمس الدين، أبو عبد الله: حافظ. مؤرخ، علامة محقق تركماني الأصل، من أهل ميافارقين مولده سنة ٦٧٣هـ ووفاته سنة ٧٤٨هـ في دمشق. رحل إلى القاهرة وطاف كثيراً من البلدان، وكفّ بصره سنة ٧٤١هـ. تصانيفه كبيرة كثيرة تقارب المئة، منها «دول الإسلام ـ ط» جزآن، و «المشتبه في الأسماء والأنساب، والكنى والألقاب ـ ط» و «أهل المئة فصاعدا ـ ط» حققه ونشره في مجلة المورد: بشار عواد البغدادي، و «ذكر من اشتهر بكنيته من الأعيان ـ خ» رسالة في شستربتي (٣٤٥٨) واختصر كثيراً من الكتب. وآخر ما نشر من كتبه «معرفة القراء الكبار ـ ط» مجلدان وغيرها كثير.
ترجمته في:
نكت الهميان ٢٤١ وذيل تذكرة الحفاظ ٣٤ و٣٤٧ وطبقات السبكي ٥: ٢١٦ والنعيمي ١: ٧٨ والشذرات ٦: ١٥٣ ومجلة المجمع العلمي العربي ١٦: ٣٨٧ وغاية النهاية ٢: ٧١ والفهرس التمهيدي ٤٢٨ و٤٣٣ و٤٣٥ والدرر الكامنة ٣: ٣٣٦ والنجوم الزاهرة ١٠: ١٨٢ والمختصر المحتاج إليه: مقدمته. والتبيان ـ خ. والإعلان بالتوبيخ ٨٤ ومفتاح السعادة ١: ٢١٢ ثم ٢: ٢١٦ وآداب اللغة ٣: ١٨٩ ومحمد بن شب، في دائرة المعارف الإسلامية ٩: ٤٣١ ـ ٤٣٤ وأنظر Brock. 5.2: 45 (6_4) وفهرسته ومجلة المورد: ج٢ العدد ٤ ص١٠٧ ـ ١٤٢، الاعلام ط ٤/ ٥/ ٣٢٦.

(٢) مرّت ترجمته بهامش سابق.

(٣) ديوانه ١٦٨ ـ ١٦٩.

خبَّروهَا أنِّي مَرِضْتُ فقالتْ … أضنَنىَ طارِقاً شكاً أم تليدَا
وأشاروا بأنْ تعودَ وِسَادِي … فأبَتْ وهيَ تشتَهِي أنْ تعودَا
وأتَتْنِي في خِفيةٍ وهي تشكُو … رِقْبةَ الحَيّ والمزارَ البعيدا
ورأتْنِي كذا فلم تتمالَكْ … أن أمالتْ علَيَّ عِطْفاً وجِيدا
ثم قالتْ لتِرْبها وهيَ تبكي … ويحَ هذا الشبابِ غضّاً جديداً
وتولَّتْ بحسرَةِ اليأسِ تُخْفِي … زَفَراتٍ أبَيْنَ إلا صُعُودَا[1]

وله أيضاً من هذا العقيق المسلسل [من الطويل]:

ذكرتكمُ عند الزُّلالِ على الظَّمَا … فلم أنتفعْ من وِرْدِه ببلالِ
وحدَّثتُ نفسي بالأمانِيَ فيكمُ … وليس حديثُ النفسِ غيرَ ضَلالِ
أواعِدُهَا قربَ اللقاءِ ودونَها … مواعيدُ دهرٍ مولعٍ بمَطالِ
يقَرُّ بعيني الركبُ من نحو أرضِكم … يُزَجُّونَ عِيساً قُيِّدَتْ بكلالِ
أطارحهُمْ جِدَّ الحديثِ وهزلَهُ … لأحبِسَهمْ عن سيرِهم بمقالي
أسائلُ عمّا لا أُريدُ وإنَّما … أريدُكمُ عن بينهمْ بسؤالي
فيعثُرُ ما بينَ الكلامِ ورجعهِ … لساني بكم حتَّى ينُمَّ بحالي
وأطوي على ما تعلمونَ جوانحي … وأُظهرُ للعُذَّالِ أنيَ سَالي
ولا والذي عافاكمُ وابتلى بكمْ … فؤاديَ ما اجتازَ السُّلوُّ بِبالي
وقد كنت دهراً لا أبالي من النوى … فعلمني الأيام كيف أبالي[2]

هذا غزل مطرب، روض منوّر بل أفق مكوكب، وما ألطف عثرة اللسان بسرّ المحبّة، واذكرني قول أبي الحسن صردر:

لله أيامي على رامة … وطيب أوقاتي على حاجرِ
تكاد للسرعة في مرّها … أولها يعثر بالآخرِ

ما لأحد في سرعة أيام المسرّة ألطف ولا أرشق من هذه العبارة.

وللطغرائي [من البسيط]:

لا تيأسَنَّ إذا ما كنتَ ذا أَدَبٍ … على خمولِك أَنْ ترقَى إلى الفَلَكِ

---

(١) ديوانه ١٤١ ـ ١٤٢.

(٢) ديوانه ٣١٧ ـ ٣١٨.

بَينَا تَرى الذهبَ الإبرِيْزَ مُطَّرَحَاً   في الأرضِ إذ صارَ إكليلاً على المَلِكِ[1]

قلت: سَهَا أبو إسماعيل رحمه الله تعالى إنه ربما جعل قيد الشفرىٰ البغلة، كما قال أبو الحسن العكبري:

ترى العقيان والذهب المصفّى   يُرَكَّبُ فوق أثفار الدوابِ
وكيسي منه خلوٌ مثل كفّي   أما هذا من العجب العجابِ

قلت: بل عجب.

❁ ❁ ❁

رجع، قال ابن خلكان: وذكره أبو المعالي الخَطيري في «زينة الدهر» وأورد له مقاطيع[2].

وذكره العماد الكاتب في «نصرة الفترة وعصرة الفطرة» ـ تأريخ الدولة السلجوقية ـ وقال: كان ينعت بالأستاذ[3].

وذكر الصفدي في أوائل «الغيث الذي انسجم»: أن السلطان مسعود مخدوم الطغرائي اتفقت بينه وبين أخيه محمود، حرب بقرب أصبهان، فغلب محمود، فقال الشهاب أحمد وكان طغرائياً في ذلك الوقت: هذا الرجل ملحد، يعني الأستاذ، فقال الوزير: من يكن ملحداً يقتل، فقتل ظلماً.

قال الشيخ صلاح الدين: خافوا أن يغلب على محمود ببراعته وكماله فتسقط مراتبهم[4].

وذُكر أنهم لما أرادوا قتله أمروا به فربط إلى أصل شجرة، وأوقفوا أمامه جماعة معهم النشّاب ليرشقوه، وأمروهم أن لا يرموه حتى يؤمروا، وأرسلوا شخصاً يقرب منه ليسمع ما يقول في تلك الحال، فسمعه وقد ارتجل وسهام المنايا مفوّقة إليه [من الكامل]:

---

(١) ديوانه ٢٦٦.

(٢) وفيات الأعيان ٢/ ١٨٩.

(٣) وفيات الأعيان ٢/ ١٨٩.

(٤) وفيات الأعيان ٢/ ١٨٩ ـ ١٩٠.

ولـقـد أقـولُ لـمـن يـسـدِّدُ سـهـمَـهُ | نـحـوي وأطـرافُ الأسـنّـة تَـلْـمَـعُ[1]
والـموتُ مـن لـحظـاتِ أَحْـورَ طـرفُـهُ | يـدنـو وقـلـبـي دونَـهُ يـتـقـطَّـعُ
بـالـلَّـهِ فـتِّـشْ عـن فـؤاديَ هـل تـرى | فـيـه لـغـيـر هـوى الأحـبِّـةِ مـوضِـعُ
أهـونْ بـهِ لـو لـم يـكـنْ فـي طَـيِّـهِ | عـهـدُ الـحبيـبِ وسـرُّه الـمستـودَعُ[2]

قال الشيخ صلاح الدين فأقول: ما هذا ثبات جنان، بَلْ ثبوت جنون، لقد أربى بشجاعته على من تقدّمه، وفات من تأخر عنه.

قلت: أما كان قلبه إلاّ بين جنبي أسد، بل هو هذا أثبت منه وأشدّ.

ثم رموه بالسهام حتى تقطَّع سنة ثمان عشرة، وقيل ثلاث عشرة، وقيل أربع عشرة وخمسمائة رحمه الله تعالى.

قال: وفي شعره ما دلَّ على أنه بَلَغَ سبعاً وخمسين سنة لأنه قال، وقد بُشّر بمولود [من البسيط]:

هـذا الـصـغـيـرُ الـذي وافَى عـلـى كِـبَـرٍ | أقـرَّ عـيـنـي ولـكـنّ زادَ فـي فِـكَـري
سبعٌ وخمسـونَ لـو مَـرَّتْ عـلـى حَـجَـرٍ | لـبـانَ تـأثـيـرُهـا فـي ذلـكَ الـحَـجَـرِ[3]

وأمّا لاميته فصار حسنها مسير الشمس، وصيّرت الشنفرى وإن كان فهميّاً بالغيظ بليداً من بني عبس، وكانت قصيدة الشنفرى لجودتها عند العرب تسمى لامية العرب، وهي مشهورة مفضّلة وأوّلها:

أقـيـمـوا بـنـي أمـي صـدور مـطـيّـكـم | فـإنـي إلـى أهـل سـواكـم لأَمْـيَـلُ

والشنفرى ابن أخت تأبّط شرّاً أحد لصوص العرب وفتّاكهم وصعاليكهم وشعرائهم، وكان الشنفرى مثله، وطلب بثأره لما قتله هذيل، فأراد الطغرائي أن يعارض العرب بلاميَّة العجم لأنه عجمي أصفهاني، فنظم هذه القصيدة الباهية الغانية الحالية، وسأذكرها تذكرة بها ولتكون لفصول النسمة السحرية كالربيع، وهي [من البسيط]:

---

(١) في هامش الأصل: «شرع».
(٢) ديوانه ٢٤٩ ـ ٢٥٠.
(٣) كاملة في ديوانه ١٦٣ ـ ١٦٤، وفيات الأعيان ٢/ ١٩٠، والقصيدة قالها في إبنه الأصغر علي.

أصالةُ الرأي صانتْنِي عن الخَطَلِ ... وحِليةُ الفضلِ زانتني لدَى العَطَلِ

مجدي أخيراً ومجدِي أولاً شَرَعٌ ... والشمسُ رأْدَ الضُّحَى كالشمسِ في الطَفَلِ

فيمَ الإقامةُ بالزوراءِ لا سَكَني ... بها ولا ناقتي فيها ولا جَملي

نَاءٍ عن الأهلِ صِفْرُ الكف منفردٌ ... كالسيفِ عُرِّيَ متناهُ عن الخِلَلِ

وَلا صديقَ إليه مشتكَىٰ حزَنِي ... ولا أنيسَ إليه منتَهى جذلي

طالَ اغترابيَ حتى حنَّ راحلتي ... ورحلُها وقرَى العَسَّالةِ الذُّبلِ

وضَجَّ من لَغَبٍ نِضوي وعجَّ لما ... يلقَى رِكابي ولجَّ الركبُ في عَذَلي

أُريدُ بسطةَ كَفٍّ أستعينُ بها ... على قضاءِ حُقوقٍ للعُلَى قِبَلي

والدهرُ يعكِسُ آمالِي ويُقْنعُني ... من الغنيمةِ بعد الكَدِّ بالقَفَلِ

وذِي شِطاطٍ كصدرِ الرُّمْحِ معتقلٍ ... بمثلهِ غيرَ هيَّابٍ ولا وَكِلِ

طردتُ سرحَ الكرى عن وِرْدِ مُقْلتِه ... والليلُ أغرَى سوامَ النومِ بالمُقَلِ

والركبُ مِيلٌ على الأكوارِ من طَرَبٍ ... صاحٍ وآخرَ من خمرِ الكَرى ثَمِلِ

فقلتُ أدعوكَ للجُلَّى لتنصُرَنِي ... وأنتَ تخذِلُني في الحادثِ الجَلَلِ

تنام عيني وعينُ النجمِ ساهرةٌ ... وتستحيلُ وصِبغُ الليلِ لمْ يَحُلِ

فهلْ تُعينُ على غَيٍّ هممتُ بهِ ... والغيُّ يزجُرُ أحياناً عن الفَشَلِ

أني أُريدُ طروقَ الحَيِّ من «اضَم» ... وقد حَماهُ حُماةُ الحيِّ من «ثُعَلِ»

يحمونَ بالبِيض والسُّمْرِ اللدانِ بهِ ... سودَ الغدائرِ حُمْرَ الحَلْي والحُلَلِ

فسِرْ بنا في ذِمام الليلِ مُعْتَسِفاً ... فنفحةُ الطِيب تَهدِينَا إلى الحِلَلِ

فالحبُّ حيثُ العِدَى والأُسْدُ رابضَةٌ ... حولَ الكِناس لها غابٌ من الأسَلِ

نؤمُّ ناشِئةً بالجزعِ قد سُقِيَتْ ... نِصالُها بمياه الغَنْجِ والكَحَلِ

قد زادَ طيبَ أحاديثِ الكرام بها ... ما بالكرائم من جُبنٍ ومن بُخُلِ

تبيتُ نارُ الهَوى منهنَّ في كَبِدٍ ... حرَّى ونار القِرى منهم على القُللِ

يقتُلنَ أنضاءَ حبٍ لا حَراكَ بها ... وينحرونَ كِرامَ الخيلِ والإبلِ

يُشفَى لديغُ الغوانِي في بُيوتِهِمُ ... بنهلةٍ من لذيذِ الخَمْرِ والعَسَلِ

لعلّ المامةً «بالجِزع» ثانيةً ... يدِبُّ منها نسيمُ البُرْءِ في عللِ

لا أكرهُ الطعنةَ النجلاءَ قد شُفِعَتْ ... برشقةٍ من نِبالِ الأعيُنِ النُّجُلِ

ولا أهابُ الصِّفاح البِيض تُسعِدُني ... باللمحِ من صفحاتِ البِيضِ في الكِلَلِ

ولا أخِلّ بغِزلان أغازِلُها ... ولو دهتني أسودُ الغِيل بالغِيَلِ

حبُّ السلامةِ يُثْني عزم صاحبِه ... عن المعالي ويُغرِي المرءَ بالكَسَلِ

فإن جنحتَ إليه فاتَّخِذْ نَفَقاً ... في الأرضِ أو سلَّماً في الجوِّ فاعتزلِ
ودَعْ غمارَ العُلى للمقدمينَ على ... ركوبِها واقتنِعْ منهن بالبَلَلِ
رضَى الذليلُ بخفضِ العيشِ يخفضُه ... والعِزُّ بين رسيمِ الأينُقِ الذُلُلِ
فادرأْ بها في نحورِ البِيد جافلةً ... معارضاتٍ مثاني اللُّجم بالجُدَلِ
أن العُلَى حدَّثتني وهي صادقةٌ ... في ما تحدث أنَّ العزَّ في النُّقَلِ
لو كانَ في شرفِ المأوى بلوغَ مُنَىً ... لم تبرحِ الشمسُ يوماً دارةَ الحَمَلِ
أهبتُ بالحظِّ لو ناديتُ مستمِعاً ... والحظُّ عنِّيَ بالجُهَّالِ في شُغُلِ
لعلَّهُ أنْ بدَا فضلي ونقصُهُمُ ... لعينهِ نامَ عنهمْ أو تنبَّهَ لي
أُعَلِّلُ النفسَ بالآمالِ أرقُبُها ... ما أضيقَ العيشَ لولا فسحةُ الأملِ
لم أرتضِ العيشَ والأيامُ مقبلةٌ ... فكيف أرضَى وقد ولَّتْ على عَجَلِ
غالى بنفسي عِرفاني بقيمتِهَا ... فصُنْتُها عن رخيصِ القَدْرِ مبتَذَلِ
وعادةُ النصلِ أن يُزْهَى بجوهرِه ... وليس يعملُ إلا في يدَيْ بَطَلِ
ما كنتُ أُوثِرُ أن يمتدَّ بي زمني ... حتى أرى دولةَ الأوغادِ والسِّفَلِ
تقدَّمتني أناسٌ كان شَوطُهُمُ ... وراءَ خطويَ إذ أمشي على مَهَلِ
هذا جَزاءُ امرىءٍ أقرانُه درَجُوا ... من قَبْلهِ فتمنّى فُسحةَ الأجلِ
وإنْ علانِي مَنْ دُونِي فلا عَجَبٌ ... لي أُسوةٌ بانحطاطِ الشمس عن زُحَلِ
فاصبرْ لها غيرَ محتالٍ ولا ضَجِرٍ ... في حادثِ الدهرِ ما يُغني عن الحِيَلِ
أعدى عدوِّكَ أدنى من وَثِقْتَ به ... فحاذرِ الناسَ واصحبهمْ على دَخَلِ
وإنما رجلُ الدُّنيا وواحِدُها ... من لا يعوِّلُ في الدُّنيا على رَجُلِ
غاضَ الوفاءُ وفاضَ الغدرُ وانفرجتْ ... مسافةُ الخُلْفِ بين القولِ والعَمَلِ
وحسنُ ظَنِّكَ بالأيام مَعْجَزَةٌ ... فظُنَّ شَرّاً وكنْ منها على وَجَلِ
وشانَ صدقَكَ عند الناس كِذبُهمُ ... وهل يُطابَقُ معوَّجٌ بمعتَدِلِ
إن كان ينجعُ شيءٌ في ثباتِهم ... على العُهودِ فسبَقُ السيفِ للعَذَلِ
يا وارداً سُؤْرَ عيشٍ كلُّه كَدَرٌ ... أنفقتَ صَفْوَكَ في أيامِكَ الأُوَلِ
فيمَ اقتحامُكَ لُجَّ البحرِ تركَبُهُ ... وأنتَ تكفيك منه مصةُ الوَشَلِ
مُلْكُ القناعةِ لا يُخْشَى عليه ولا ... يُحتاجُ فيه إلى الأنصار والخَوَلِ
ترجو البَقاءَ بدارٍ لا ثَباتَ لها ... وَهَلْ سَمِعْتَ بظلٍّ غيرِ منتقلِ
ويا خبيراً على الأسرارِ مُطَّلِعاً ... أُصمُتْ ففي الصَّمْتِ مَنْجاةٌ من الزَّلَلِ

قَد رشَّحوكَ لأمرٍ انْ فَطِنتَ لهُ   فاربأْ بنفسكَ أن ترعَى مع الهَمَلِ[1]

سبحان المانح له هذه البلاغة، التي تغص بانسجامها كالماً حسوده فلا يجد الإساغة، وقد أودعها من الحكم والأمثال السائرة ما يترك ابن صيفي وابن ساعدة كالربع في الغداة الماطن، وزادها صلاح الدين الصفدي بشرحه بياناً، وإنّما فصل بالمسجد جماناً، ثم إن السميري الوزير وثب عليه عبد أسود كان للطغرائي فقتله بالسوق ببغداد[2].

ونسبته إلى سمير: بلد من عمل شيراز.

وذكر ابن خلكان: عن ابن السمعاني صاحب الأنساب: إن الطغر لفظة فارسية وهي الطرّة في أعلى الكتب تكتب بالقلم الغليظ فوق البسملة، تتضمن نعوت الملك[3]، ونسبة الأستاذ إليها، ونظم اللّامية ببغداد.

[٥٦]

أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن محمد بن جعفر بن محمد بن الحجّاج، الكاتب الشاعر المشهور البغدادي، ذو الخلاعة في شعره وخفة الروح[*].

فاضل لعب بالمعاني، وكان الشعر فنّاً فجاء بالثاني، فهو مهلهل طريقته التي هي أمنع من حِمَى كليب، وأبعد منالاً من حمى الدبر خبيب، طريقة جاءت

---

(١) وفيات الأعيان ٢/ ١٨٥ ـ ١٨٨، ديوانه ٣٠١ ـ ٣٠٩.

(٢) وفيات الأعيان ٢/ ١٩٠.

(٣) وفيات الأعيان ٢/ ١٩٠.

(*) ترجمته في:

يتيمة الدهر ٣/ ٣٠ ـ ٩٩، وفيات الأعيان ٢/ ١٦٨ ـ ١٧٢، تاريخ بغداد ٨/ ١٤، البداية والنهاية لابن كثير ١١/ ٣٢٩، مطلع البدور ـ خ ـ ١/ ٣٩، الامتاع والمؤانسة ١/ ١٣٧، معجم الأدباء ٩/ ٢٠٦، روضات الجنات ٢٤٠، سير النبلاء ـ خ ـ الطبقة ٢٢، معاهد التنصيص ٣/ ١٨٨، الفهرس التمهيدي ٣٠١، دائرة المعارف الإسلامية ١/ ١٣٠، الكامل لابن الأثير ٩/ ٥٨، شعر الظاهرية ١٣٣، الطليعة ـ خ ـ ترجمه رقم ٦٨، الإعلام ط ٤/ ٢/ ٢٣١، أعيان الشيعة ٢٥/ ٨١ ـ ١٦٠، الغدير ٤/ ٨٨، أدب الطف ٢/ ١٥٥. النجوم الزاهرة ٤/ ٢٠٤، أمل الآمل ٢/ ٨٨، سفينة البحار ١/ ٢٢٢، شذرات الذهب ٣/ ١٣٦، أنوار الربيع ٢/ ١٦٩ ـ ١٧٠.

بالممتنع السّهل، وأضحكت من لحية الجدّ سنّ الهزل، فلو زعم معارضته شاعر متأهل لما صعب متقاضي، لم يصفعه كما قال إلاّ بحضرة سيدي التنوخي القاضي.

قال الثعالبي: إن ديوان شعره بالعراق لا تنحط قيمته عن ستين ديناراً لتنافسهم في مُلَحِه ووفور رغبتهم فيه، لأنه سلوة المهموم»[(١)].

«وكان فريد زمانه في فنّه، فإنه لم يسبق إلى طريقه في الهزل الذي يتوّصل به إلى مديح أكابر الملوك والرؤساء».

قال: «وديوانه يدخل في عشرة مجلدات وغالبه في الهزل، وله في الجدّ اليد البيضاء. واختصره الشريف الرضي ويعد المعلم الثاني لحكمة الشعر، والمعلم الأوّل، أما مهلهل بن وائل أخو كليب أو امريء القيس، فكل من الاثنين اخترع منهجاً لم يُسبق إليه وتبعه فيه الناس»[(٢)].

ومن أتباعه أبو الرقعمق[(٣)] لكن ليس له طلاوة شعر أبي عبد الله المذكور، وقد سبق ذكره، وصريع الدلاء المشار إليه عند ذكر أبي العلاء[(٤)].

وله قصيدة في الجدّ يمدح بها أهل البيت وأوّلها:

من شروط الصبوح في المهرجان ... خفّة الشغل مع خلوّ المكانِ

منها، وقد ذكر آل البيت:

قد تيقّنت إنهم ينقلوني ... من يدي مالكٍ إلى رضوانِ

وما حضرت لي الآن فأكتبها.

وكان الوزير المهلبي ولاّه حسبة بغداد أيّاماً ثم عزله بأبي سعيد الأصطخري الفقيه الشافعي.

---

(١) يتيمة الدهر ٣/ ٣٤ وفيه اختلاف بالنص.
(٢) وفيات الأعيان ٢/ ١٦٨ وفيه بعض التقديم والتأخير.
(٣) ترجمه المؤلف برقم ٧.
(٤) ترجمه المؤلف برقم ١٩.

قال ابن خلكان: وله في عزله به أبيات هزلية، ولم يذكرها[١].

قال الثعالبي: ولقد مدح الملوك والأكابر والرؤساء فلم يخلهم من نتائج هزله وفحشه وهو عندهم مقبول الجملة، موفر الحظ من الإنعام والإكرام، يُجاب إلى مقترحه من الصلات الجسام، والأعمال النفيسة التي ينقلب منها إلى خير حال، وكان طول عمره يتقلّب معهم في عيشة راضية، ويستمري نعمة صافية.

ومن شعره يصف نفسه [من الخفيف]:

حدث السن لم يزل يتلهى ... علمه بالمشايخ الكبراءِ
خاطر يصفع الفرزدق في الشعـ ... ـر ونحو ينيك أم الكسائي[٢]

وقال في شعره [من مجزوء الكامل]:

شعري الذي أصبحت فيـ ... ـه فضيحة بين الملا
لا يستجيب لخاطري ... إلا إذا دخل الخلا[٣]

ومن شعره القليل الفحش وفيه رقّة ولطف [من السريع]:

فديت بي يا سيدي وحدي ... وعشت ألفي سنة بعدي
قد رحل النرجس فاشرب على ... محاسن المنثور والوردِ
يمزجها لي رشأ أغيد ... بريقة أحلى من الشهدِ
نهاية الحرَّة حسن استه ... وريقه في غاية البردِ
جنى من البستان لي وردة ... أحسن من إنجازه وعدي
وقال والوردة في كفِّهِ ... مع قدحٍ أذكى من النـدِّ
اشرب هنيئاً لك يا عاشقي ... ريقي منْ كفي على خدّي[٤]

حسن هذا التشبيه المضمر، أبهى من الحسان السوافر ما بهر، وله في نهجه:

---

(١) وفيات الأعيان ٢/١٦٨ - ١٦٩.

(٢) يتيمة الدهر ٣/٣١.

(٣) يتيمة الدهر ٣/٣٣.

(٤) يتيمة الدهر ٣/٦٨.

لـلـطـمـة يـلـطـمـنـي أَمـردٌ يـقـلـع مـنّـي الـعـيـن والـفـكّـا
أحـسـن مـن تـفـاحـة فـي يـدي ذي لـحـيـة قـد خـشـيـت مـسـكـا

وبلغه أن جماعة من وكلائه تساعدوا على اختلاس شيء من غلّته، فقال وفيه مثل عامي [من السريع]:

قـد وقـع الـصـلـح عـلـى غـلـتـي فـاقـتـسـمـوهـا كـارة كـارهْ[1]
لا يـدبـر الـبـقـال إلا إذا تـصـالـح الـسـنـور والـفـارهْ[2]

وأراده بعض الرؤساء على حضور الحرب معه فكتب إليه [من المنسرح]:

أهـوى انـحـداري والـحـزم يـكـرهـه وتـارك الـحـزم يـركـب الـغـررا
لأنـنـي عـاقـل ويـعـجـبـنـي لـزوم بـيـتـي وأكـره الـسـفـرا
الـخـيـش نـصـف الـنـهـار يـعـجـبـنـي والـمـاء فـي الـكـوز بـارداً خـصـرا
والـشـرب فـي رَوْشٍ أبـيـتُ بـهِ لـيـلاً أرى الـمـاء مـنـه والـقـمـرا
ولا أقـود الـخـيـل الـعـتـاق بـلـى أسـوق وسـط الأزقـة الـبـقـرا
مـن كـل جـامـوسـة لـعَـنْـبَـلـهـا رأس بـقـرنـيـه يـفـلـق الـحـجـرا
قـد نـفـخ الـشـحـم جـوفـهـا فـيُـرى كـأنـه بـطـن نـاقـة عـشـرا
أحـسـن فـي الـحـرب مـن صـفـوفـكـم غـداً قـعـودي أصـفـف الـطـررا
هـيـهـات أن أحـضـر الـقـتـال وأن تـرى بـعـيـنـيـك فـيـه لـي أثـرا
بـل الـذي لا يـزال يـعـجـبـنـي الـدبُّ بـالـلـيـل خـائـفـاً حـذرا
أنَّـى إلـى تـلـك وهـي نـائـمـة أولا إلـى ذاك بـعـد مـا سـكـرا
وضـجَّـة الـنـيـك كـلـمـا ضـرطـت واحـدة تـحـت واحـد نـخـرا
وقـول بـعـض الـمـمـيـزيـن وقـد حـسَّ فُـسـا بـأنـفـه سـحـرا
فـي جـعـس هـذا فـطـورة وأرى أن خـرا تـلـك بـعـد مـا اخـتـمـرا
الـدف يـوم الـصـبـوح دبـدبـتـي وبـوقـي الـنـاي كـلـمـا زمـرا
وخـريـتـي كـلـمـا رمـيـت بـهـا مـقـتـل سـرم خـضـبـتـه بـخـرا

---

(١) الكارة: حمل معلوم الوزن والمقدار من الطعام.

(٢) يتيمة الدهر ٣/ ٥٠.

هـذا اعـتـقـادي وهـكـذا أبـداً ... أرى لـنـفـسـي فـأنـتَ كـيـف تـرى؟[1]

وله يمتدح بهاء الدولة بختيار الديلمي[2] ملك بغداد [من المنسرح]:

فـديـت وجـه الأمـيـر مـن قـمـرٍ ... يـجـلـو الـقـذى نـوره عـن الـبـصـرِ
فـديـت مـن وجـهـه يـشـكـكـنـي ... فـي أنـه مـن سـلالـة الـبـشـرِ
إن زلـيـخـا لـو أبـصـرتـك لـمـا ... مـلـت إلـى الـحـشـر لـذة الـنـظـرِ
ولـم تـقـس يـوسـفـاً إلـيـك كـمـا ... أن الـسـهـى لا يـقـاس بـالـقـمـرِ
وكـان يـا سـيـدي قـبـاك إذا ... هـربـت مـنـهـا يـنـقـد مـن دبـرِ
بـل وحـيـاتـي لـو كـنـت يـوسـفـهـا ... لـم تـك مـن تـهـمـة الـعـزيـز بـري
لأنـنـي عـالـم بـأنـك لـو ... شـمـمـت ريـا نـسـيـمـهـا الـعـطـرِ
ولـم يـزل بـالـكـديـن تـعـقـدهـا ... مـن قـبـل وقـت الـعـشـا إلـى الـسـحـرِ
وقـد عـلـمـنـا بـأن سـيـدنـا الـ ... ـأمـيـر مـمـن يـقـول بـالـبـقـرِ
ولـم تـكـن تـلـك تـشـتـكـي أبـداً ... مـا كـان مـن يـوسـف مـن الـحـذرِ
طـبـعـك كـالـمـاء فـي سـهـولـتـه ... لـكـن أبـو الـزبـرقـان مـن حـجـرِ
إن الـمـلـوك الـشـبـاب مـا خـلـقـوا ... إلا صـلاب الـفـيـاش والـكـمـرِ[3]

ومن شعره وفيه تورية، يشكو إنساناً آذاه [من مخلع البسيط]:

وأبـرص مـن بـنـي الـزوانـي ... مـلـمـع أبـقـع الـيـديـنِ
قـد قـلـت إذ لـجَّ بـي أذاه ... وزاد مـا بـيـنـه وبـيـنـي
يـا مـعـشـر الـشـيـعـة الـحـقـوا بـي ... قـد ظـفـر الـشـمـر بـالـحـسـيـنِ[4]

---

(١) يتيمة الدهر ٣/٤٣ ـ ٤٤.

(٢) بختيار، أبو منصور، عز الدولة ابن معز الدولة أحمد بن بويه: أحد سلاطين العراق من بني بويه. ديلميّ الأصل. مولده بالأهواز سنة ٣٣٢هـ. كان شديد البأس يمسك الثور بقرنيه ويصرعه. تسلطن بعد أبيه «سنة ٣٥٦هـ» ونشبت معارك بينه وبين ابن عمه عضد الدولة انتهت بمقتله، في قصر الجص سنة ٣٦٧هـ. وكانت له عناية بالأدب، وله نظم.

ترجمته في:

سير النبلاء ـ خ ـ المجلد ٢٠ ويتيمة الدهر ٢: ٤ وتلخيص مجمع الآداب ١: ٤٢ وفيه النص على أن مولده «لليلتين بقيتا من شهر ربيع الآخر سنة ٣٣٢»، الاعلام ط ٤/٢/٤٤.

(٣) يتيمة الدهر ٣/٤٥ ـ ٤٦.

(٤) يتيمة الدهر ٣/٤٨.

وله في قائد من الأتراك أراد أخذ داره [من الخفيف]:

إن أطفالي الذين تراهم حول ناري في الليل مثل الفراشِ
أترى ما شممت ريح فساهم حين باكرتني وهم في الفراشِ
وجعيساتهم خلال الزوايا مثل ذرق الفراخ في الأعشاشِ[1]

وقال يعاتب أبا الفضل أحمد بن عبد الله بن عبد الرحمن على قبوله دعوى من ادعى أنه هجاه، وأبو الفضل بشيراز، وابن الحجّاج ببغداد [من السريع]:

يا سامع الزور وبهتانه ودافع الحق وبرهانهِ
عجبت من رأيك هذا الذي أنكرني من بعد عرفانهِ
فكيف تخشى ذمّ من مدحه فيك يرى أول ديوانهِ
ومن له في شعره مذهب ذكرك فيه نور بستانهِ
تمضي لياليه وأيامه وسرُّه فيك كإعلانهِ
ولست بالساكن في منزل ينبو ولو يوماً بسكّانهِ
ولا الذي يرهب في الحق من سلطان ذي عزّ لسلطانهِ
قل للذي جهَّز في السعي بي تجارة عادت بخسرانهِ
ياذا الذي لا بد من صفعه ألفاً ومن تعريك آذانهِ
لا تغترر أنك من فارس في معدن الملك وأوطانهِ
لو حدثت كسرى بذا نفسه صفعته في وسط إيوانهِ[2]

وكان بعض كتّاب الدواوين يطالبه بحساب ناحية [وليها][3]، فكتب إليه، وهذا الذي أشرنا إليه في ذكر القاضي الحسن بن علي الهبل[4] رحمه الله تعالى [من الوافر]:

أيا من وجهه قمر منير يُضيءُ لنا وراحته سحابُ
إذا حضر الحساب أعدت ذكري وتنساني إذا حضر الشرابُ
أجبني بالقناني والمثاني ووجهك إنه نعم الجوابُ

---

(١) يتيمة الدهر ٣/٤٣.
(٢) يتيمة الدهر ٣/٤٥.
(٣) سقط في الأصل وأكملناه من اليتيمة.
(٤) ترجمه المؤلف برقم ٤٦.

وكلني في الحساب إلى كريمٍ يسامحني إذا وضع الحسابُ[1]

وكان له صديق وله ابن يكنّي أبا جعفر مشتهراً بالقحاب، فسأله أن يعاتبه ويشير عليه بالتزوّج فكتب إليه [من السريع]:

إياك والعفة إياكا إياك أن تفسد معناكا
أنت بخير يا أبا جعفر ما دمت صلب الأير نياكا
فنِك ولو أمك واصفع ولو أباك إن لامك في ذاكا[2]

وَدَعَا يوماً مغنيّة وكانت قبيحة المنظر، فلما دارت الكؤوس تساكرت عليه فقال [من مجزوء الكامل]:

غطت البظراء لما عاينت مفتاح ديري
ورجت مني أيراً[3] قلت: لا ترجين خيري
أنت في دعوة أذني لست في دعوة أيري[4]

وله في هجاء بخيل [من المتقارب]:

وذي همة في حضيض الكثيف وقرنين في فلك المشتري
دخلت عليه انتصاف النهار على غفلة حين لم يشعرِ
فلما قعدت فسا فسوة فلم تخط عصفتها منخري
وأقبل يضرط في إثرها فقلت أقوم وإلاّ خري[5]

ومن مخالصه هذه المادة إلى مدح الملوك، قوله من قصيدة في عضد الدولة:

النيك من قدام في هذا الزمان قد تُرِكْ
فدرت لي في فقحة مثل اللجين المنسبكْ
فقلت يا سيدتي أحسنت لا فجعت بكْ

(١) يتيمة الدهر ٣/ ٧٧.
(٢) يتيمة الدهر ٣/ ٧٨.
(٣) في هامش الأصل: «خيراً».
(٤) يتيمة الدهر ٣/ ٧٥.
(٥) يتيمة الدهر ٣/ ٣٧.

أحسنت يا أوسع من فتوح مولانا الملكْ

وله في المسلك الأول [من مخلع البسيط]:

يا سادتي ما استرق ديني شيء كمثل الحرّ السمينِ
فديته كالعروس يجلي في ثوب ورد وياسمينِ
فنصفه الظاهر من حديدٍ ونصفه الباطن من عجينِ
وخير ما يقتنيه أيري صلابة بطنت بلينِ
وأشتهي أن أغوص فيه من قعرِ رجلي إلى جبيني
أغيب شهراً فلا تراني الـ ـعين والناس يطلبوني
حتى إذا كان بعد شهر دلَّ على موضعي أنيني[1]

وكتب إلى أبي أحمد بن ثوابة، وقد شرب دواء مسهلا [من الخفيف]:

يا أبا أحمد بنفسي أفديـ ـك وأهلي من سائر الأسواءِ
كيف كان انحطاط جعسك في ظهر شرب الدواء يوم الدواءِ
كيف أمسى سبال مبعرك النذ ل خضيباً بالمرّة السوداءِ
يا أبا أحمد ونصحك عندي واجب في الإخاء فاحفظ إخائي
رب ريح يوم الدواء دبور شوشت في عصاعص الأعضاءِ
قدروها فساً وقد كمن الجعـ ـس لهم في مهب ذاك الفساءِ
فإذا الفرش كالخليج سلاخاً ذائباً في قوام جسم الماءِ
فاتق الله أن تغرك ريح عصفت في جوانب الأحشاءِ
لا تنفس خناق سرمك عنه أو تخلي سبيله في الخلاءِ
والغذاء الغذاء فاحذرْ وإن يفـ ـسو فوق الفراش بعد الغذاءِ
احترس إنها نصيحة كهلٍ حنَّكته تجارب الآراءِ
غير أني أصبحت أضيع في القو م من البدر في ليالي الشتاءِ[2]

وله في الجدّ:

قالَ قَومٌ لزمتَ حضرَةَ حَمْدٍ وتجنَّبْتَ سائرَ الرُّؤساءِ

---

(١) يتيمة الدهر ٣/ ٧٢.

(٢) يتيمة الدهر ٣/ ٣٤.

قُلتُ ما قالهُ الذي أحرزَ المعْـ نى قديماً قبلي مِنَ الشعراء
«تسقُط الطيرُ حيث يُلتقَطُ الحبُّ وتُغشى منازلُ الكُرَماء»[١]

والثالث لبشار بن برد.

وكان أبو عبد الله المذكور خاصّاً بالوزير المهلبي، وتوفي يوم الثلاثاء السابع والعشرين من جمادى الآخرة سنة إحدى وتسعين وثلثمائة بالنيل، وهي بلدة على الفرات بين بغداد والكوفة، حفر نهرها الحجاج بن يوسف وسماه باسم نيل مصر، وأوصى أن يحمل إلى بغداد ويدفن في مشهد الإمام موسى الكاظم بحذاء رجليه ويكتب على قبره: «وكلبهمْ باسِطٌ ذِراعَيْهِ بالوَصِيد»[٢]، رحمه الله تعالى.

ورثاه الشريف الرضي بقصيدة طويلة ومنها:

نَعَوهُ على حُسن ظني بهِ فلله ماذا نَعَى النّاعِيانِ
رَضِيعَ ولاءٍ لهُ شعبة من القلب مثلَ رَضيع اللبانِ
وما كنت أحسب أن الزمان يَفُلُّ مضارب ذاكَ اللسانِ
بكيتك للشُّرَّدِ السائراتِ تُعَبِّقُ ألفاظُها بالمعاني
ليبكِ الزمانُ طويلاً عليكَ فقَد كنتَ خِفَّة روح الزمانِ[٣]

وقد مرّ في جملة أبياته الرائية إن مما يعجبه سوق البقر والجواميس فحرَّكني على ذكر أبيات للسيد الأديب الناظم الناثر المنشيء عماد الدين يحيى بن إبراهيم ابن جحّاف[٤]، كتبها إلى السيد الفاضل يوسف بن المتوكل[٥] يطلب منه بقرة، وسيرد ذكر الاثنين إن شاء الله تعالى آخر الكتاب:

تلاوة الحمد والإخلاص واقعة من النسا إن قرأتم سورة البقره
فليتها قد غدت في المرسلات من الـ ـكهف الذي بالتقى رب السما عمره
يا يوسف العصر نفسي كل آونة أضحت إلى سورة الأنعام مفتقره

---

(١) وفيات الأعيان ٢/ ١٧٠.
(٢) سورة الكهف: الآية ١٨.
(٣) وفيات الأعيان ٢/ ١٧١، ديوان الشريف الرضي ٢/ ٤٤١.
(٤) ترجمه المؤلف برقم ١٩٠.
(٥) ترجمه المؤلف برقم ١٩٧.

فاقرء لنا سورة الأنفال في عجلٍ فكل نفس لما توليه منتظره

وجه فيها بإحدى عشر سورة.

وله أيضاً مقامة ظريفة في بقرة أحببت ذكرها لظرفها، وإن كان قد اضطر في بعضها إلى ما تفهمه العامّة من الألفاظ فعذره في ذلك عذر ابن الحجّاج، وهي:

حديث بقرة السيد إسماعيل بن محمد بن زين العابدين، وكانت من المتوكلات على رب العالمين، جوّابة طوّافة كثيرة التنقل من حافة إلى حافة، قالت:

خرجت في بعض الأيام من المسافل، لالتقاط فضلات المآكل، والتعرّض لما يسّره الله من الغساول، فما زلت لطلب المعيشة، أتنقل من ريشة إلى ريشة، حتى ساءت فيَّ المقالة، وعرفت بالبقرة الجلّالة، وما في ذلك من باس، فالناس تأكل مع الناس، وليس ذلك بغريب، فللأرض من كأس الكرام نصيب، ولا على عارفات الناس شركاء في ثلاث: الماء والكلأ والنار، وكذلك قال من إذا أراد شيئاً قال له كن فيكون، ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[1]، وقال الأول وتفضّل وتطوّل:

أيا شجرات بالأُبيطح من منى على شط وادي القاع مشتبكاتِ
إذا لم يكن فيكن ظلٌ ولا جنا فأبعدكن الله من شجراتِ

فقصدت بقرة السيد محمد بن علي بن إبراهيم على معتقده إنها مثل بقرة والده التي النَّصُّ على مكارم أخلاقها جلي، فإنها كانت مشهورة بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، وكان علفها وماؤها لجميع البقر نهباً، فلما رأتني مقبلة قالت لي: أنت الهنفلة، التي لن تزالي تنتقلي من مزبلة إلى مزبلة، ولا تسامي الأذية، ولا تسكني في سافل ولا حوية، ولا تأخذ أهلك عليك غيرة ولا حميّة، ثم إنها رفعت ذنبها، وأسبلت عينها، وأساءت أدبها، وصعّرت خدّها، وتجاوزت حدّها، وربضت في السافل وحدها، فلما أعرضت عنّي، وانقبضت عنّي، وكادت تنطحني غاب حِسِّي، ولمّت في قصدها نفسي، وغشيني من

---

(١) سورة الحشر: الآية ٩.

العرق، ما خفت منه على نفسي الغرق، ولا شك أن من شره، وقع فيما كره، أن ربّ أكلة هاضت الآكل وحرمته مآكل، وإلاّ فملك كسرى تغني عنه كسرة، وليعتبر المعتبر بأهل الرياضة إن في ذلك لعبرة، وفي خلال ذلك، وأنا في ليل من الندم أسود حالك، ألقت إليّ بصيرة، كتبها الكاتب وهي على بصيرة، وهو ثور السيد يحيى بن إبراهيم بن عبد الله شريف، والمذكور ظريف لطيف، خفيف كثير الدعابة، قليل الخطأ كثير الإصابة، وعلى هذا الرق المنشور والسجل المسطور علامة ثور السيد إسماعيل بن إبراهيم بن يحيى، وأحسن به من ثور، جمع ما بين رئاستي الدين والدنيا، ولا حاجة إلى أخته، فإنه إنسان عين وقته، ولا يخفى على أحد فضله، فإليه يرجع الأمر كله، فقلت لها قولك الحق، ودعواك هذه صدق، ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾[1]، وهـذا الـمـلـك القهري، وقد قرّت به عيني وانشرح به صدري، وكانت عندي للبقرة المرحومة من الملح والهشيمة قدر ثلثمائة قنيمة، ومن التخ والعصارة، قدر مأتي غرارة، وأما العلّاني والقصب والعصير، فكان عندي منه شيء كثير، وهذه الأشياء ما لها قيمة، وأنت إذا أنصفت رشيده حليمة، مع إني قد سلّمت ذلك لأختك فلانة عملاً بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ﴾[2] فقالت: قد صحَّ عندي وثبت إنك تحبين الغلاط، وكفى دليلاً على هذا إنك أهملت ذكر الحماط، فقلت سلي عن صدق قولي ثور الشيخ عبد الله النصيري، فإنه كان جليسي وسميري، وهو مطّلع على القليل والكثير، ولا ينبئك مثل خبير، مع إني موكلة مفوضة فما أرى خيام دعواك إلاّ مقوّضة، قالت: إنها قد تعلّقت بك التهمة، ولا بد من إعادة القسمة، ولا عبرة بثور السيد عبد الله بن يحيى فإنه رحمة، وقد قال تعالى: ﴿لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾[3]، فورب السماء والأرض، لا بدّ لعقد تلك القسمة من النقض، فإن كثيراً من الخلطا يبغي بعضهم على بعض، فقلت: ذلك أمر قد قضي بليل، وسال به السيل، وقد اكتلت لك ولغيرك واستوفيت الكيل، ولكن لا رحم الله خالك أَحزم، فهذه شنشنة من أخرم، وخرجت من عندها وقد يبس ريقي، وجهلت طريقي، ورأيت عدوّي في ثياب صديقي، وجرت من عيني دمعة، وفعلت

(١) سورة الأعراف: الآية ٣٢.

(٢) سورة النساء: الآية ٥٨.

(٣) سورة يونس: الآية ٧١.

لي في العالم سمعة، وليتها قربت لي قليلاً من الدفعة، ونويت أني لا أوجّه إليها كلاما، ولا أُسلم عليها ما حييت سلاما، ولا أعود إليها ولا أعوّل عليها:

أُعاتب المرء فيما ساء واحدة　　　ثم السلام عليه لا أعاتبهُ

ولعلّها تعلّمت هذه الرخاصة، من بقرة صاحبتها المسمّاة غوّاصة، فإنها عقرب لسّاعة، ولا تفتر عن النميمة ساعة، وأحاشي بقرايبها من هذه الخصال التي اجتمعت فيها، ولكنني أشهد الله لا توكلت بعدها في كثير ولا قليل، وحسبي الله ونعم الوكيل، وأين هذه البقرة من بقرة أخيها عماد الدين فإنها بقرة صفراء، فاقعة تسرّ الناظرين، سالكة من كرم الأخلاق في أوضح المسالك، لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك، معظمة مكرمة منعمة لا ذلول تثير الأرض ولا تسقي الحرث مسلمة من بقر بلقيس صاحبة سبا، إن درتها قالت أهلاً وسهلاً ومرحبا، وطالما قربت لي هشيمه هنيه مرية، وقابلتني بأخلاق مرضيّة، وقسمت الحبة بيني وبينها بالسويّة، لا تعاب بشيء إلاّ أنها تلحق بالبقر الوحشية، فلا تزال مغلقة على نفسها، مستوحشة من أبناء جنسها، والسبب إن خالها ثور السيد يحيى ابن علي، وهو ثور برّ تقي فاضل ولي، فحسّن الله لها الوحدة، وبشر بالفرج بعد الشدّة، ولما أخبرت هذه البقرة الصالحة بما جرى بيني وبين تلك البقرة السفيهة، التي هي بالعقرب اللسّاعة شبيهة، قالت: ربنا لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا، اللهم اغفر لنا وارحمنا واعف عنا، وأخبرتني إنها كانت مع بلقيس الوقت، الخلية من المقت، تأكل ما تشتهيه الأنفس وتلّذ الأعين، وإن قلقنا على فراقها لا يكاد يسكن، وإن الصبر عليها لا يليق ولا يحسن، وإنها كانت عندها كثيرة البركة، بحيث إنها لكثرة الدرّ لا تقدر على الحركة، فقلت: لله درّك ودرّها، فلقد وجب عليَّ شكرك وشكرها، فاصبري على فراقها فالصبر عبادة، وانتظري الفرج من الله فانتظاره عادة.

انتهت المقالة وفيها دلالة على خفّة روحه وظرفه، ثم إنها في غاية البلاغة، وهي من الهزل الذي يراد به الجد، وفيها أنواع البديع ظاهرة، وأحسبه يكني بها عن نساء، لأن العرب تشبّه النساء الجميلات بالبقر. والله أعلم.

الوزير أبو القاسم، الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن محمد بن يوسف بن الحسن بن المَرْزُبان بن هامان بن باذان بن ساسان[(١)]، ويرتفع نسبه إلى فيروز بن يَزْدَجِرْد بن بهرام جُور[(٢)]، المعروف بالوزير المغربي[(*)].

فاضل إن نظم ابتسم الحبب، وإن نثر ذكر علاوة الشنب، لشعره طلاوة اشبهت الثغور حلاوة، وله همّة خافتها الشمس فتورات بالحجاب، ولو رامها لطواها طيّه للسجل في الكتاب، وكان الحاكم بأمر الله استوزره فعرُف بالوزير، ثم قتل الحاكم أباه وعمّه وأخوته فهرب أبو القاسم إلى الرملة اجتمع بصاحبها مفرج بن دغفل الطائي وكان متغلباً عليها، وأفسده على الحاكم حتى خافه الحاكم، ثم توجّه إلى ميافارقين فاستوزره صاحبها أحمد بن نصر الكردي.

ومن شعره في مليح يسبح في بركة:

إنـي رضـيـت مـن الـحـيـاة ... بـأسـرهـا نـظـري إلـيـهِ
وعـرفـت أسـبـاب الـنـعـيـم ... بـقـبـلـة فـي عـارضـيـهِ
ولـقـد أراه فـي الـخـلـيـج ... يـشـقـه مـن جـانـبـيـهِ
والـمـاء مـثـل الـسـيـف وهـو ... فـرنـدة فـي جـانـبـيـهِ
لا تـشـربـوا مـن مـائـه ... شـيـئـاً ولا تـرِدوا عـلـيـهِ
قـد ذاب فـيـه الـسـحـر مـن ... حـركـاتـه أو مـقـلـتـيـهِ
صـبـغـة بـيـاض الـنـيـل صـبـغـة ... حـمـرَة فـي وجـنـتـيـهِ

---

(١) التكملة: «ساسان بن الحرون بن بلاش بن جاماس بن فيروز».

(٢) في هامش ب: «جور: معرب كور».

(*) ترجمته في: وفيات الأعيان ٢/ ١٧٢ ـ ١٧٧، معجم الأدباء ١٠/ ٧٩ ـ ٩٠، دمية القصر ٥٠ الكامل لابن الأثير (صفحات متفرقة من ج٩)، تاريخ دمشق، رجال النجاشي ٥١، شذرات الذهب ٣/ ٢١٠، مناقب آل أبي طالب، أمل الآمل ٢/ ٩٧، الطليعة ـ خ ـ ترجمته رقم ٧٩، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، رياض العلماء، الذخيرة، لسان الميزان ٢/ ٣٠١، الإشارة إلى من نال الوزارة ٦٦، أعيان الشيعة ٦/ ٢٧ ـ ٢٧، أدب الطف ١٠/ ٣٠٢ ـ ٣٠٤، مرآة الجنان، طبقات المفسرين للداودي المغربي ١/ ١٥٤، الخطط المقريزية.

أجاد في هذه القطعة وأحسن، ولا سيما في الخامس والسابع، وتشبيه النهر بالسيف شائع، وما أحسن قول أبي بكر بن عمار الأندلسي من قصيدة مشهورة مدح فيها المعتمد بن عبّاد صاحب أشبيلية:

روض كأن النهر فيه معصمٌ صافٍ أطَلَّ على غديرٍ أخضرا
وتهزُّه ريح الصبا فتخاله سيف ابن عباد يبدد عسكرا

أنشدني أخي ضياء الدين زيد بن يحيى[1] بلَّ الله روحه بماء رحمته لنفسه من قصيدة أبدع فيها وسأوردها إن شاء الله عند ذكره:

فأجبني إلى رياض زواهٍ قد دعتنا بألسنِ الأطيارِ
وكفتنا عن مزهر[2] ورباب بغنا عندليبها والهزارِ
فرشت تحتنا النبات وأرخت خيماً فوقنا من الأشجارِ
ويسيل النسيم فيها من النهر حساماً لقطع محل الديارِ

أما هذا الحسام الذي يقطع محل الديار فلم يسلّه من غمده سواه.

وكان الوزير أبو القاسم مع فضله في الشعر وعلوّ الهمة والكتابة من العلماء، وله مؤلفات وديوان شعر وديوان رسائل، ومن مؤلفاته: «اختصار إصلاح المنطق» لأبي يوسف يعقوب بن السكيت، وكتاب «الأساس في علم اللغة»[3] مشهور عظيم الفائدة، وكتاب «أدب الخواص»، و«المأثور من ملح الخدور». وشواهده.

قال القاضي شمس الدين بن خلكان: أدركت جماعة من أهل الأدب يقولون إن أبا علي هارون بن عبد العزيز الأوزاحي[4] ممدوح أبي الطيب بقوله:

أمِنَ ازْدِيارَكِ في الدُّجى الرُّقَبَاءُ إذْ حَيثُ كنتِ مِنَ الظّلامِ ضِياءُ[5]

---

(١) ترجمه المؤلف برقم ٧٤.

(٢) في هامش ب: «مزمر».

(٣) في الوفيات: «كتاب الأيناس» وهو في الأنساب ـ ط ـ، ولعل هذا غيره.

(٤) في الوفيات: «الأوارجي»، وفي ديوانه المتنبي ١٢٥: «الأوراجي».

(٥) الازدياد: الزيارة، الدجى: جمع دجية وهي الظلمة، والمعنى أن الرقباء أمنوا زيارتك لي لأنك تضيئين في الظلام فتفضحين بنورك.
القصيدة كاملة في ديوان المتنبي ١٢٥ ـ ١٢٩.

خال الوزير أبي القاسم المذكور، ثم إني كشفت عنه فوجدته خال أبيه، وأما هو فأمه بنت محمد بن إبراهيم بن جعفر العماني[1].

وقال أحمد بن علي المقريزي: بنو المغربي أصلهم من البصرة وصاروا إلى بغداد، وكان أبو الحسين علي بن محمد يخلف على ديوان المغرب ببغداد فنسب به إلى المغربي، وولد ابنه الحسين بن علي ببغداد إذ تقلّد أعمالاً كثيرة منها: تدبير محمد بن ياقوت عند استيلائه على أمر المملكة ببغداد، وكان خال والده الأوزاحي ممدوح المتنبي، وكان الأوزاحي أيضاً من أصحاب ابن راتق، فلما لحق ابن راتق ما لحقه بالموصل سار الحسين بن علي إلى الشام ولقى الأخشيد ثم صار بنو المغربي كلهم إلى سيف الدولة بحلب، واختص أبو القاسم المذكور به من بينهم، ومدحه أبو نصر بن نباتة السعدي[2]، واختص والده علي بسعد الدولة بن سيف الدولة، ومدحه أبو العباس النامي، ثم فارق الحسين حلب ووردت عليه كتب العزيز بالله من مصر إلى دمشق وفيها ولايته دمشق وسيّر له خلعة، وقيل إنّما كاتب العزيز كجّوراً أحد أُمراء الأتراك المتغلبين تلك الأيام على مدائن الشام وأمره بمحاربة بني حمدان بحلب، وكان ابن المغربي هو المشير بحربهم فنهض كجّور لحربهم فلم يتم له أمر فعنّف ابن المغربي وقال: غررتني وتنكّر له ففرّ عنه إلى الرقّة كان بينه وبين كجّور وبين بني حمدان خطوب آلت إلى قتل كجّور ومسير ابن حمدان إلى الرقّة، ففرّ ابن المغربي إلى الكوفة وكاتب العزيز يستأذنه بالقدوم عليه فأذن له، فقدم إلى مصر في جمادى الأولى سنة ٣٨١هـ وخدم بها وتقدّم في الخدم وحرّض العزيز على أخذ حلب، فقلد مَنْجُوتَكيْن بلاد الشام وضمّه إليه كاتباً ومشيراً فحارب أبا الفضل بن حمدان وغلامه لؤلؤاً، وكاتب لؤلؤ ابن المغربي حتى استماله وصرف أميره عن الحرب، ولما بلغ ذلك العزيز اشتد غيظه على ابن المغربي، ثم لما فرّ من الحاكم كما

---

(١) وفيات الأعيان ٢/١٧٢ وفيه: «النعماني».

(٢) هو أبو نصر عبد العزيز بن عمر بن محمد بن محمد بن أحمد المعروف بابن نباته السعدي. ولد سنة ٣٢٧هـ. كان من الشعراء المجودين جمع بين قوة المبنى وجودة المعنى، مدح الملوك والوزراء والأعيان. له في سيف الدولة الحمداني مدائح منتخبة فيها معان مبتكرة.
توفي سنة ٤٠٥ له ديوان شعر وقف عليه ابن خلكان.
ترجمته في: وفيات الأعيان ٣/ ١٩٠ ـ ١٩٣، شذرات الذهب ٣/ ١٧٥، تاريخ بغداد ١٠/٤٦٦، كشف الظنون/ ٧٧٤، يتيمة الدهر ٢/٣٧٩، أنوار الربيع ٢/ هـ ٣٤٢.

تقدم أشار على مفرج الطائي بقصد قرى الرملة، فشنّ الغارات على رساتيقها ومعه علي، وجاءَهم عسكر الحاكم فكادوا أن ينهزموا فأمر ابن المغربي بالندا بإباحة النهب فثبت العرب وزحفوا إلى الرملة فملكوها وبالغوا في النهب والقتل، فانزعج الحاكم لذلك انزعاجاً شديداً، ثم حسّن لمفرج ورفض الحاكم والدعاء إلى غيره، فراسل أبا الفتوح الحسين بن جعفر العلوي يدعوه إلى الخلافة، وسهّل له الأمر وسيَّر إليه ابن المغربي فحثّه على المسير وجرّأه على مال كان خلّفه بعض الأكابر المياسير، ونزع المحاريب الذهب والفضة التي كانت على باب الكعبة وضربها دنانير ودراهم وسمَّاها الكعبية.

ثم خرج ابن المغربي من مكة فَدَعَا بني سُليم وهلال.وعوف، ثم سار به ومجموعه، فلما بلغ الرملة تلّقاه بنو الجرّاح وقبّلوا له الأرض وسلّموا عليه بإمرة المؤمنين، ونادى بالأمان، وصلى بالناس صلاة الجمعة، فامتعض الحاكم لذلك وسيّر الأموال لمفرج فاستماله وولّى مكة لبعض الأشراف، فرجع أبو الفتوح إلى مكة واعتذر إلى الحاكم فقبل عذره، وكتب الوزير أبو القاسم إلى الحاكم بعد هذه الأمور:

وأنت وحسبي أنت تعلم أن لي	لساناً أمام المجد يبني ويهدمُ
وليس حليم من تباس يمينه	فيرضى ولكن من تغيض فيحلم

فسيّر له أماناً بخطّه، وكان توجه قبل وصول أمان الحاكم إلى بغداد، وبلغ القادر بالله خبره فاتهم أنه قدم في إفساد الدولة العباسية فخرج إلى واسط، ثم استعطف القادر فأذن له بالرجوع إلى بغداد، ثم مضى إلى قرواش بن المقلّد أمير عقيل، وسار معه إلى الموصل وزيراً، ثم توجّه إلى أحمد بن نصر الكردي كما تقدم.

وكان يلبس في هذه المدّة المرقعة والصوف، فلما تصرّف غيّر لباسه.

وقال عُقيب شراء غلام تركي كان يهواه قبل شرائه:

تبدّل من مرقعة ونسكِ	بأنواع الممسّك والشفوفِ
وعنَّ له غزال ليس يحري	هواه ولا رضاه بلبس صوفِ
فعاد أشَدّ ما كان انتهاكاً	كذاك الدهر مختلف الصروفِ

وأقام عند أبي نصر في أعلى حال، وأجلّ رتبة زماناً طويلاً، ثم كوتب

بالمسير إلى الموصل ليستوزره صاحبها، فسار من ميافارقين في الموصل وتقلّد وزارتها، وتردّد إلى بغداد للوساطة بين صاحبها السلطان أبي علي بن سلطان الدولة أبي شجاع بن بهاء الدولة أبي نصر بن عضد الدولة أبي شجاع وبين صاحب الموصل وجميع رؤساء الديلم والأتراك، وتقلّد وزارة الحضرة بغير خلع ولا لقب ولا مفارقة للدراعة في شهر رمضان سنة خمس عشرة وأربعمائة، وأقام شهوراً وأغرى بين رجال الدولة، ثم كانت أمور خاف منها على نفسه فخرج إلى قرواش، ثم ساء به ظن القادر بسبب أنه أثار فتنة عظيمة بالكوفة تلف فيها عالم ففرَّ ثانياً إلى أحمد بن نصر الكردي فأكرمه وأقطعه ضياعاً، فكوتب ثانياً من بغداد للعود إليها، فبرز من ميافارقين يريد السير إلى بغداد فَسُمَّ هنالك، فعاد إلى المدينة فمات فيها لأيام خلت من شهر رمضان سنة ثمان عشرة وأربعمائة، رحمه الله تعالى، فلقد كان أمره تأريخاً ممتعاً.

وأمّا عز الدين بن أبي الحديد فذكر في شرح الخُطَب المسمّى نهج البلاغة خلاف ذلك، فإنه قال: حدثني أبو جعفر يحيى بن محمد بن زيد العلوي نقيب البصرة قال: لما قدم أبو القاسم المذكور إلى بغداد استكتبه مشرف الدولة أبو علي بن بويه وهو سلطان حضرة القادر ففسدت الحال بينه وبين القادر، وكان للوزير أعداء سوء أوهموا القادر أنه يدبّر مع مشرف الدولة على قبضه، فأطلق القادر لسانه فيه وشكاه ونسبه إلى الرفض وسبّ السلف، وإلى كفران النعمة، وأنه هرب من يد الحاكم صاحب مصر بعد إحسانه إليه.

قال النقيب أبو جعفر: فأما الرفض فنعم، وأما إحسان الحاكم إليه فلا، لأن الحاكم قتل أهله كما ذكرنا، فلولا فرّ قتله أيضاً.

قال النقيب أبو جعفر: وكان أبو القاسم ينتسب إلى الأزد ويتعصّب لقحطان على عدنان، وللأنصار على قريش، وكان غالباً في ذلك مع تشيّعه[1].

قلت: وهو خلاف نسبه المذكور في فارس.

وانحدر الوزير مع مشرف الدولة إلى واسط، واتفق أن وقع إلى القادر كتاب بخط الوزير فيه من شعره ونثره مسوّداً أتحفه بعض أعداء الوزير، فوجد

---

(١) شرح نهج البلاغة.

القادر في ذلك المجموع قصيدة من شعره فيها تعصّب شديد للأنصار على المهاجرين حتى تدحرج إلى الإلحاد، وفيها تصريح بالرفض فوجدها القادر تَمرة الغراب، وأبرزها إلى ديوان الخلافة فقرأ المجموع القصيدة بمحضر فيه الأعيان والأشراف والقضاة والمعدلين والفقهاء، وشهد أكثرهم أنه خطّه، وأمر بمكاتبة مشرف الدولة بسببه، فهرب أبو القاسم ليلاً ومعه بعض غلمانه وجارية كان يهواها ويتخطاها، ومضى إلى البطيحة، ثم منها إلى الشام ومات في طريقه، وأوصى أن تحمل جثته إلى مشهد علي عليه السلام فحملت في تابوت ومعها خفر العرب حتى دفن بالمشهد.

قال أبو حامد بن أبي الحديد: وكنت برهة أسأل النقيب عن القصيدة وهو يدافعني حتى أملاها بعد حين، ثم أورد بعضها لأنه لم يستجز أن يورد كلها.

قلت: وهي على منوال أبيات نشوان[1] التي مرّت في ترجمة الداعي ابن الأنف، فمما أورده الأستاذ أبو حامد منها:

نحن الذين بنا استجار فلم يضع ... فينا وأصبح في أعزّ جوارِ
بسيوفنا أمست سخينة بركاً ... في بدرها كعقيرة الجزّارِ
ولنحن في أُحد سمحنا دونه ... بنفوسنا للموت خوف العارِ
فنجا بمهجته ولولا ذبّنا ... عنه تنشب في مخالب ضاري

ومنها:

أفنحن أولى بالخلافة بعده ... أم عبد تيم حامل الأوزارِ
ما الأمر إلاّ أمرنا ولسعدنا ... زفّت عروس الملك غير نوارِ
لكنّما حدّ النفوس وشحّها ... وتذاكر الأدخال والأوتارِ
أفضى إلى هرج ومرج فانبرت ... عشواء خابطة بغير نهارِ
وتداولتها أربع لولا أبو ... حسن لقلت لؤمتِ من أستارِ
من عاجز ضرعٍ ومن ذي غلظةٍ ... جاف ومن ذي لوثةٍ جوّار
ثم ارتدى المحروم فضل ردائها ... فغلت مراجل أجنة وأنارِ[2]

---

(١) مرّت ترجمته بهامش سابق.

(٢) في هامش ج: «المحروم حقّه الذي خصّه الله ورسوله وهو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه».

تـالله لـو ألـقـوا إلـيـه زمـامـهـا　　　لـمشى بـهـم سـمـجـاً بـغـيـر تـبـارِ
هـو كـالـنـبـي فـضـيـلـة لـكـن ذا　　　مـن حـظـه كـاس وهـذا عـاري

ومنها:

وتـنـقّـلـت فـي عـصـبـة أمـويّـة　　　لـيـسـوا بـأطـهـارٍ ولا أبـرارِ
مـا بـيـن مـأفـون إلـى مـتـزنـدقٍ　　　ومـداهـن ومـضـعـفٍ وحـمـارِ

وتركت أنا كثير مما أورده ابن أبي الحديد منها.

وولد بمصر ليلة الثالث عشر من ذي الحجة سنة ٣٧٥هـ.

قال المقريزي: ولم يستوفِ أحد أخباره بمثله. وكان أسمر شديد السمرة سنّاطاً عالماً بليغاً مترسلاً متفنّناً في كثير من العلوم الدينية والأدبية والنجوم، مشار إليه في قوّة الذكاء والفطنة وسرعة الخاطر والبديهة، عظيم القدر، صاحب سياسة وتدبير وحيل كثيرة، وأمور عظام، دوّخ الممالك، وقلب الدول، وسمع الحديث ورواه[(١)].

قال: وكان ملولاً حقوداً لا يلين كيده، ولا ينحل عقده، ولا يرجى عوده[(٢)].

وذكر ابن خلكان: أنه أوصى أن يحمل إلى الكوفة ويدفن بجوار أمير المؤمنين علي عليه السلام فحمل إليها وجاور مشهد الإمام، وله في ذلك سبب وأوصى أن يكتب على قبره:

كُنْتُ فِي سَفرَةِ الغَوَايَةِ[(٣)] والجَهْـ　　　ـلِ زَمَاناً فَحَانَ مِنِّي قُدُومُ
تُبْتُ مِنْ كُلِّ مَأْثَمٍ فَعَسَى يُمْـ　　　ـحَى بِهذَا الحَدِيثِ ذَاكَ القَدِيْمُ
بَعْدَ خَمْسٍ وَأَرْبَعِيْنَ، لَقَدْ مَا　　　طَلْتُ[(٤)]، إلاّ أَنَّ الغَرِيمُ كَرِيمُ[(٥)]

والظاهر أن الملك الصالح طلائع بن رزّيك إنما كان يتمثّل بها لأنه كان بعده.

---

(١) الخطط المقريزية.

(٢) ن.م.

(٣) الغواية: الضلال.

(٤) ما طلت: سوّفت.

(٥) معجم الأدباء ١٠/٨٣، وفيات الأعيان ٢/١٧٦.

ومن شعر الوزير أبي القاسم في غلام جميل حلقوا شعره:

حَلَقوا شَعْرَهُ ليكسُوهُ قبحاً ... غيرةً مِنهُمُ عليه وشُحّا
كانَ صُبحاً عليه ليل بهيمٌ ... فَمَحَوا ليلَه وأبقَوهُ صُبحا[(١)]

وله أيضاً في الوعظ:

إنّي أبُثُّكَ عَنْ حَدِيـ ... ـثِي والحَدِيثُ لَهُ شُجُونُ
غيّرتُ مَوضِعَ مَرْقَدِي ... لَيْلاً فأرّقَنِي[(٢)] السُّكُونُ
قُلْ لِي فأوَّلُ لَيْلَةٍ ... فِي القَبْرِ كَيْفَ تُرَى تكُونُ[(٣)]

ومن شعره أيضاً:

أقولُ لها والعِيسُ تحْدَجُ[(٤)] لِلسُّرَى ... أعدِّي لِفَقدي ما استَطَعتِ من الصبرِ
سأنفِقُ رَيعانَ الشبيبةِ جاهداً ... عَلى طلَبِ العَلياءِ أو طلَبِ الأجْرِ
ألَيسَ مِنَ الخسْرانِ أنَّ ليَالِياً ... تمُرُّ بلا نَفْعٍ وتُحسَبُ مِنْ عُمري[(٥)]

ولعمري ما أضاع أيامه من كانت همّته تلك الهمّة.

وذكر ابن خلكان: أن أبا عبد الله محمد بن أحمد، صاحب ديوان الجيش بمصر، كتب إلى الوزير أبي القاسم المذكور لما ولد له عبد الحميد بن الحسين من أبيات:

قد أطلعَ الفألُ منه معنًى ... يُذركُهُ العالم الذكيُّ
رأيتُ جدَّ الفتى عَليّاً ... فقلتُ جَدُّ الفتى عليُّ[(٦)]

قلت أنا: أخذ المعنى من قول أبي العلاء:

سألن فقلن مقصدنا سعيد ... فكان اسم الأمير لهن فالا

وقد استعمل معنى الأول السيد محمد بن عمر بن عبد الوهاب العرضي

---

(١) وفيات الأعيان ٢/ ١٧٤.
(٢) في معجم الأدباء: «ففارقني».
(٣) معجم الأدباء ١٠/ ٨٩ ـ ٩٠، وفيات الأعيان ٢/ ١٧٤.
(٤) تحدج: يشدّ عليها الحدج، وهو مركب للنساء كالمحفة والحمل أيضاً.
(٥) معجم الأدباء ١٠/ ٨٨، وفيات الأعيان ٢/ ١٧٤.
(٦) وفيات الأعيان ٢/ ١٧٤.

الحلبي[1]، ورأى أنه أحق بعلي فقال:

قيل كي كم وكم كذا تتمادى ... في الهوى والطريق وعرٌ قصيّ
قلت ظنّي بالله ظنّ جميل ... وبخير الأنام جدّي عليّ

إن لله رحمة تسع الخلق جميعاً فمن هو العرضي؟

ولا تستقيم التورية في البيت الثاني إلاّ بقطع البدل.

وذكرت بتهنئة المولود قولي من أبيات هنأت بها السيد الزاهد ضياء الدين يوسف بن المتوكل[2] [على الله إسماعيل][3]:

بدر تبلّج عن سناه كوكبُ ... خطّت سعادته له أقلامهُ
أو زاخر أولى المعالي جدولاً ... تفتر من فرح به أكمامهُ
نجل يتيح إلى الأعادي منحلاً ... إذ جفَّ زرعهم وحان قماحهُ
أَبشر به نجلاً حميداً نجمه ... عين السعادة حين تركب لامهُ
وأتى بعيد الفطر وهي إشارة ... يدري بها شهر اللبيب وعامهُ
فالعيد عود المشتهي لك عاجلاً ... والفطر ينفطر الخبيث مرامهُ

وعين السعادة هو لام القتال أحلى من مقلة الحبيبة وعذار الغزال.

وما أظرف قول العرضي أيضاً في لاعب شطرنج:

---

(١) محمد (أبو الوفاء) بن عمر بن عبد الوهاب الحلبي، العرضي: مفتي الشافعية بحلب وابن مفتيها. مولده فيها سنة ٩٩٣هـ ووفاته فيها أيضاً سنة ١٠٧١هـ. له اشتغال بالتاريخ والأدب، ونظم حسن. من كتبه «معادن الذهب في الأعيان المشرفة بهم حلب ـ خ» تراجم، رأى المحبي قطعة منه ونقل عنها، و «طريق الهدى ـ خ» تصوف، و «فتح المانح البديع ـ خ» شرح بديعية من نظمه، ورسالة في «فسخ الطلاق ـ خ».

ترجمته في:

خلاصة الأثر ١: ١٤٨ وأعلام النبلاء ٦: ٣٠٨ وإيضاح المكنون ٢: ٨٥ و(322) Brock. 2: 419 وريحانة الألبا ١٣٥ ويلاحظ أن المصادر كلها تسميه «أبا الوفاء» كما كان هو يكتب عن نفسه، وله أخ اسمه «محمد» أصغر منه سناً، ترجم له المحبي في خلاصة الأثر: ٤: ٨٩ والخفاجي في الريحانة ١٣٧ والطباخ في إعلام النبلاء ٦: ٣١٨ وقالوا: عاش نحو ستين سنة، ومات بعد أخيه «أبي الوفاء» بنحو شهر، الاعلام ط ٣١٧/٦/٤.

(٢) ترجمه المؤلف برقم ١٩٧.

(٣) ما بين المعقوفين من ب.

يُحاول أن يُميت النفس ظنّي بشامات حكت عشرات حاسبْ
ترى حظّي به في الدهر يوماً تراني راكباً من فوق لاعبْ

ولي بيت في ذكر الشطرنج ما أعلم أنه سبق، والتاء والهاء في الشاة تتعاقب إذ هي لفظة عجمية، والبيت:

وعاذل رام بالشطرنج يشغلني وكيف عن ظبيكم تسليني الشاةُ

وللوزير أبي القاسم في سوداء:

يا رب سوداءَ تيمتني يسهل في مثلها الغرامُ
كالليل تُستسهل المعاصي فيه ويُستعذب الحرامُ

وآدابه وأخباره كثيرة، والله يعين بفضله وكرمه.

[٥٨]

السيد الحسين بن علي بن الحسن الحسيني، المديني، ثم الهندي المعروف بابن شدقم(*).

أحد شعراء السلافة، ذكره السيد جمال الدين فيها فقال: سيد رقى من المكارم ذراها، وتمسّك من المحامد بأوثق عراها، دأب في كسب المكارم فتًى وكهلاً، وسلك من مسالكها حزناً وسهلاً، فملك جوامحها ذلك المراسن، واجتلى محاسنها مسفرة المحاسن، ودخل الديار الهندية فسطع بها بدره، وعلا

(*) حسين بن علي بن حسن بن علي النقيب بن الحسن بن علي بن شدقم بن ضامن بن محمد بن عرمة بن نكيثة بن توبة بن حمزة بن علي بن عبد الواحد بن الأمير مالك بن الحسين بن أبي عمارة المهنا الأكبر بن داود بن القاسم بن عبيد الله بن طاهر بن يحيى النسابة بن الحسن بن جعفر الحجة بن عبيد الله الأعرج بن الحسين الأصغر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام.

ولد في المدينة المنورة يوم الجمعة، منتصف شعبان سنة ١٠٢٦، وسافر إلى الهند شاباً لم يتجاوز عمره ٢٢ سنة، وزوّجه أحد أمرائها إبنته.

ترجمته في: سلافة العصر ٢٥٣ ـ ٢٥٦، تحفة الأزهار ـ خ ـ ٢/٢٦٦ ـ ٢٧١، أعيان الشيعة ٢٦/٤٢٣ ـ ٤٢٩، زهرة المقول ـ المقدمة ٢٦ ـ ٢٨، الطليعة ـ خ ـ ترجمه رقم ٧٨، أنوار الربيع ٦/٢١١.

صيته وارتفع قدره، وله الأدب الذي بهرت فرائده، وصدق منتجعه رائده، على أنه لم يتعاطَ نظم الشعر إلاّ بعد ما اكتهل، وجاءت فرسان القريض جاهدة وجاء هو على مَهَل[1]، فمن شعره يمتدح رسول الله ﷺ:

أقيما على الجرعاء في دومتي سعدِ ... وقولا لحادي العيس عيسك لا تحدي
فإن بذاك الحي إلفاً عهدته ... وبالرغم منّي أن يطول به عهدي
عسى نظرة منه أبل بها الصدي ... ويسكن ما ألقاه من لاعج الوجدِ
وإلا فقولا يا أُميمة إننا ... تركنا قتيلاً من صدودك بالهندِ
يحن إلى مغناك بالطلح والفضا ... ويصبو إلى تلك الأثيلات والرندِ
قفا نندب الأطلال أطلال عامر ... ونبكي بها شوقاً لعلَّ البكا يجدي
إلى ذات دل يخجل البدر حسنها ... مرنحة الأعطاف مياسة القدِ
جهنم والفردوس قلبي ووجهها ... من الشوق والحسن البديع بلا حدِ
سقاها الحيا ما كان أطيب يومنا ... بموردها والحي وردا على وردِ
وقد نشرت أيدي الغمام مطارفاً ... كستها أديم الأرض بردا على بردِ
وقد رفعت فوق الحزوم سرادقٌ ... من الشعر والأضياف وفداً على وفدِ
بدوت بحيّيها وإلاّ فإنني ... من الساكنين المدن طفلاً على مهدِ
وملت إلى ماء البشام لأجلها ... وأعرضت عن ماء مضاف إلى الوردِ
وغادرت نخلاً بالمدينة يانعاً ... وملت إلى السرحات من عارضي نجدِ
وحاربت أقوامي وصادفت قومها ... وبالغت في صدق الوداد لهم جهدي
ولا إثم في حبّي لها ولقومها ... وإن يك أن الله يغفر للعبدِ
ولا سيما أن جئته متوسلا ... بمرسله خير النبيين ذي المجدِ
أبي القاسم المبعوث من آل هاشم ... نبياً لإرشاد الخلائق بالرشدِ
دنى فتدلى من مليك مهيمن ... كما القلب أو أدنى من الواحد الفردِ
ألا يا رسول الله يا أشرف الورى ... ويا بحر فيض سيبه دائم المدِّ
لأنت الذي فقت النبيين زلفة ... من الله رب العرش مستوجب الحمدِ
يناجيك عبد من عبيدك نازح ... عن الدار والأوطان بالأهل والولدِ
ويسأل قربى من حماك فجد له ... بقرب فقرب الدار خير من البعدِ

---

(١) سلافة العصر ٢٥٣ ـ ٢٥٤.

ليلثم أعتاباً لمسجدك الذي | به الروضة الفيحاء من جنة الخلدِ
فإن له سبعاً وعشرين حجة | غريب بأرض الهند يصبو إلى هندِ
إذا الليل واراني أهيم صبابة | إلى طيبة الغراء طيبة الندِّ
وأسبل من عيني دمعاً كأنه | عقيق غدا وادي العقيق له خدي
سميراي في ليل غرام وزفرة | تقطع أفلاذ الحشاشة كالرعدِ
عليك سلام الله ما ذر شارق | وما لاح في الخضراء من كوكب يهدي
كذا الآل أصحاب الكرامة حيدر | وبضعتك الزهراء زاكية الجدِ
وسبطاك من حاز الفضائل كلها | وسجادهم والباقر الصادق الوعدِ
وكاظمهم ثم الرضا وجوادهم | كذاك عليّ ذو المناقب والزهدِ
كذا العسكري الطهر ذو الفضل والتقى | وقائمهم غوث الورى الحجة المهدي[1]

أجاد فيها بحسب بلاد الهند، فليست من معادن الأدب، بل من معادن الذهب، وينبغي أن تكون المخالص النبوية على هذا النمط، فإنه قال قبله:

ولا إثم في حبّي لها ولقومها | وإن كان فالرحمن[2] يغفر للعبدِ

ولا سيما المتوسل بنيّة ومخلص، شيخ شيوخ حماه في باب التورية مما هو الشرط الحسن وهو:

فمن رأى ذاك الوشاح | الصائم صلّى على محمد

فالصيام والصلاة مما ينبغي للأديب أن يحجّ إليها بعد أن يقول لا إله إلا الله تعجّباً ليأتي بالأربعة الأركان تأدباً.

وقوله فيها: «تركنا قتيلاً من صدودك بالهندِ» فيه تورية متعاملة.

وقوله: «وغادرت نخلاً بالمدينة يانعاً» فيه إلمام بقول أبي العلاء المعرّي:

وأبغضت فيك النخل والنخل يانع | وأعجبني في حبك الطلح والضال

إلاّ أن مثل هذا لا يُعد أخذاً لقلّة الجدوى.

وأما قوله: «جهنم والفردوس... الخ» فليس بطيب، وكيف تطيب جهنم،

---

(١) سلافة العصر ٢٥٤ ـ ٢٥٥، تحفة الأزهار ـ خ ـ ٢/٢٦٦ ـ ٢٦٨.
(٢) في الأصل: «فالله» وما صوبناه لاستقامة الوزن.

فلو لم يردها بهذا المكان لكان الأسلم، وتركيب البيت متنافر، ولفظ جهنم أثقل على أهلها من اليوم الآخر.

ولم أقف من أخبار المذكور على أكثر من القصيدة وفيها معرفة لبثه في الهند.

ومما يعاب عليه لفظ كذا، وكثرة ترديدها، فليس من طريقة أهل الفصاحة.

❀ ❀ ❀

وشَدْقَم، بفتح الشين المعجمة وإسكان الدال المهملة وفتح القاف وآخره ميم: لقب لبطن كبير من السادة الحسينية بالمدينة، وشدقم فحل منجب كان لبعض العرب تنسب إليه خيل مشهورة تعرف بالشدقمية. والله أعلم.

[٥٩]

الأديب، الحسين بن علي موسى الخيّاط الصنعاني، أحد المطبوعين(*).

فاضل نبتت له الآداب نباتاً حسنا، وكانت مقلتها سهرت لقلّة العناية بها فأكسبها بهجة وسنا، له نسج فكرة لا تبقي للرفاء صنعه ولا للخيّاط، منحها الله صيد العقاب للمعاني فما جهد الببغا والوطواط، إن وصف بدراً ترك المعارض في يوم حنين، وأَرجعه بخفِّه بعد وجاً وأين، ومن كان على الفهم أَقَرَّ بفضل الحسين، وهو معاصر الآن يكتسب بالخياطة، مطبوع في الشعر كعبد القادر الخيمة ونظرائه، وهو مقلّ مجيد، وإنما يحسن من العقود الفريدة.

ومن شعره:

فتنتُ بأَهيف يسبي النهى ... ألح المحبون في عشقهِ
له مقلة سهمها صائب ... وثغر (يكاد سنا برقهِ)(١)

(*) ترجمته في:
طيب السمر ـ خ ـ، ذوب الذهب ـ خ ـ، نفحات العنبر ـ خ ـ، نشر العرف ١/٥٨٧ ـ ٥٩٢، ملحق البدر الطالع ٨٨.

(١) نشر العرف ١/٥٨٩.

أحسن ما شاء بالاقتباس والتشبيه والاكتفاء وحسن السبك.

وله في غلام جميل صلّى بأمثاله جماعة:

أقام صلاة العصر غصن مهفهفٌ ... بكل كحيلِ الطرف نوني الحواجبِ
فقلت أفي المحراب قد قام يوسف ... فقد شاهدت عيني سجود الكواكبِ[(١)]

وفيه مع التشبيه وتجاهل العارف التلميح إلى رؤيا يوسف الصديق عليه السلام.

أذكرني بقوله هذا مع صلاة المليح ما ذكره أبو الفرج في أخبار مطيع بن إياس الأسدي[(٢)] الشاعر الخليع، وهو أنه كان يشرب مع جماعة منهم حمّاد عجرد ونحوه، ومعهم قينة، فلبثوا ثلاثة أيام لم يصلّوا، ثم تلاوموا بينهم وعزموا على الصلاة وأن تؤمهم القينة، وكانوا سكارى، فقدّموها، وليس عليها إلاّ غلالة شفافة بغير سراويل، فلما سجدت ظهر فرجها فوثب حمّاد فقبّله وقال:

ولما بدا حرّها جاثماً ... كرأس حليقٍ ولم تعتمِدْ
سَجَدْتُ عليه وقَبَّلْتُهُ ... كما يصنع العابدُ المجتهدْ[(٣)]

وكان هؤلاء النفر متّهمين بالزندقة.

ولحسين بن علي موسى في الدراهم التي نحلت من طول الضرب لها بغير ذنب أيام القاضي زيد بن علي الجملولي الساحر:

قبّح الله ضربة رخموها ... بالقوانين في يدي إسحاقِ
كنَّ فيما مضى بدوراً بدور ... فاستحالت أهلّة في محاقِ

الترخيم: لغة القطع، وفي اصطلاح النحويين حذف آخر حرف من المنادى، أو حذف حرفين، ولا يجوز في غيره إلاّ في الشعر سماعاً، ومن الترخيم الذي هزّه الترخيم قول جمال الدين بن نباتة[(٤)] موريّاً فيه:

لو ذقت برد رضاب من مقبّله ... يا حار ما لمت أعضائي التي ثملتْ

---

(١) نشر العرف ١/٥٨٩.

(٢) ترجمه المؤلف برقم ١٧١.

(٣) الأغاني ١٣/٣٥١.

(٤) مرّت ترجمته بهامش سابق.

قال الشيخ صلاح الدين الصفدي: قلت للمولى جمال الدين: وكذا لو قلت يا صاح كان مثل يا حار، لأنه يقع بعده ثملت، فاستحسن قولي وقال: إنه لم يخطر له، ثم الشيخ صلاح الدين أسرج جواد الغارة عليه على العادة فقال:

لا تلج قلبي الشجيّ بقابلٍ　　معروف أهل الهوى بمنكرْ
فلو ترشفت ريق فيه　　كنت يقيناً يا صاح تسكرْ

وتورية جمال الدين موشّحة قبل ذكرها، والصلاح بعدها. وأما السبك فهذا الفرس وذا الميدان فلينقده فارس الأدب.

❀ ❀ ❀

رجع، والرخيم: أوتار العود وجاء بعده القوانين.

وإسحاق، فكان توجيهاً حسناً وتورية في إسحاق، ومراده به إسحاق المسيّبي رئيس الضرابين، وأوهم إرادة إسحاق بن إبراهيم الموصلي إمام صناعة الألحان، فجاءت تورية مرشحة لأن واحد القوانين القانون:

وهي لغة يونانية معناها حد الشيء.

والقانون أيضاً آلة مطربة قيل إنها اختراع العلم الثاني الإمام الحكيم العارف أبي نصر محمد بن محمد الفارابي[1] وهو مراد الناظم هنا، ومن مشهور شعره

---

(١) محمد بن محمد بن طرخان بن أوزلغ، أبو نصر الفارابي، ويعرف بالمعلم الثاني: أكبر فلاسفة المسلمين. تركي الأصل، مستعرب. ولد في فاراب (على نهر جيحون) سنة ٢٦٠هـ وانتقل إلى بغداد، فنشأ فيها، وألف بها أكثر كتبه. ورحل إلى مصر والشام. واتصل بسيف الدولة ابن حمدان. وتوفي بدمشق. سنة ٣٣٩هـ. له نحو مئة كتاب، منها «الفصوص ـ ط» ترجم إلى الالمانية، و «إحصاء العلوم والتعريف بأغراضها ـ ط» و «آراء أهل المدينة الفاضلة ـ ط» وغيرها، ولمصطفى عبد الرازق، كتاب «فيلسوف العرب ـ ط» في سيرته ومثله «الفارابي ـ ط» لإلياس فرح، و «الفارابي ـ ط» لعباس محمود.
ترجمته في:
وفيات الأعيان ٥/١٥٣ ـ ١٥٧ وطبقات الأطباء ٢: ١٣٤ ـ ١٤٠ وBrock. I: 232 (210), S. I: 375 وتاريخ حكماء الإسلام ٣٠ وابن الوردي ١: ٢٨٤ وآداب اللغة ٢: ٢١٣ والبداية والنهاية ١١: ٢٢٤ وفيه: «كان يقول بالمعاد الروحاني لا الجثماني» وفي المقتطف ٥٧: ٣١٤ و٤٠٢ و٤٩٠ بحث مستفيض عنه. والوافي والوفيات ١: ١٠٦ و589, 261 Princeton ومفتاح السعادة ١: ٢٥٩ وأخبار الحكماء ١٨٢ وكارادوفو B. Carra de Vaux في دائرة المعارف الإسلامية ١: ٤٠٧ ـ ٤١٢ والذريعة ١: ٦٦ ثم ٢: ٢٣٦ وإحصاء العلوم: مقدمته. وأنظر Haurt 281 ومحاضرات الفلسفة العربية للكونت دي جلارزا ٤ ـ ٣٥ ومجلة المخطوطات ٤: ٣٩، الاعلام ط ٤/٧/٢٠.

والذي شاع له في وصف المعصوبة[1] وقد قلّدها عصابة عسلية أصبحت بها غانية حالية، والكسّار خبّاز معروف:

صاح صاح الهزار في الأشجارِ ... وتجلى الصباح بالأنوارِ
فانتبه للصبوح قد رقم الطل ... وأمحت سطر النجوم السواري
والرحى في الصباح قد أطربتنا ... بسماع يُغني عن الأوتارِ
فارتشف قهوة من البن تغني ... عن سلاف الرحيق في الأبكارِ
وإذا ما أردت وصل حبيب ... فانتهض مسرعاً إلى الكسارِ
تنظر القرص طالعاً في يديه ... مستديراً كمثل شمس النهارِ
بِبَيَاضٍ مرقم بسواد ... كبياض الخدود حول العذارِ
وكعوب عليه تزهو فتغني ... عن كعوب الخرائد الأقمارِ
أنا في حبه عميد مُعنّى ... قد حلى لي تهتكي واشتهاري
لا تلمني في حبه يا عذولي ... قد رأيت الصواب خلع العذارِ
ما نقي الخدود إلا نقياً ... عند أهل الحجا وأهل الوقارِ
رب معصوبة ألذُّ لقلبي ... من وصال الخرائد الأبكارِ
أحكموها ودققوها بفهم ... إذ رأوها من أعظم الأسرارِ
مازجوا جسمها بإكسير ملح ... قبل تركيب جرمها في النارِ
فاستحالت سبيكة من لجين ... وعلى السمن فوقها كالنضارِ
عظِّموا قدرها وقوموا إليها ... فهي لا شك منتهى الأوطارِ
وَهِيَ الكميا وما قيل فيها ... في كتاب الشذور من أشعارِ
فعلى مثلها يناح ويبكى ... لا على درهم ولا دينارِ[2]

ما أعلم أحداً تغزّل بمأكول سواه مع الرشاقة والانسجام، اللهم إلاّ ابن الرومي مشهور كان فيه، وما أحسن[3] تشابيهه الشهية للخبز والمعصوبة وهي خبز يمرس بسمن، وقياس مزاجها إذا قلنا باعتدال الحنطة، وإن السمن حار في الثانية رطب في الأولى أن تكون حارة رطبة في الدرجة الأولى في نحو آخرها،

---

(١) المعصوبة: نوع من الأطعمة مشهور عند أهل صنعاء.

(٢) نشر العرف ١/٥٨٨ ـ ٥٨٩.

(٣) في هامش الأصل: «وما أحلى».

والأصل في هذا الوزن والقافية قصيدة خمرية لأبي نؤاس أوّلها:

مرحباً بالربيع جاء في آذارِ ... وبأنوار بهجة الأشجارِ

ونسج على منوالها جماعة.

ومن التشابيه اليتيمية للرقّاق قول ابن الرومي في خبّاز مرّ عليه بباب الطاق ببغداد:

ما أنس لا أنس خبّازاً مررت به ... يدحو الرقاقة وشك اللمح بالبصرِ

ما بين رؤيتها في كفه كرةٌ ... وبين رؤيتها قوراء كالقمرِ

إلاّ بمقدار ما تنداح[1] دائرة ... في صفحة الماء ترمىٰ فيه بالحجرِ

قلت: لو صلّى على النبي لئلا يُصيبه بالعين.

وذيّلها بعض المغاربة المشايخ الأكابر ببيتين مجن فيهما، وما رأيت ذكرهما هنا لئلا يفسداها.

وللحسين بن علي موسى أشعار كثيرة وأدب صالح وموّشحات رائقة. نعم، وقع لي في تقريضه أول الترجمة استخدام، وهو قولي إن وصف بدراً أوقع المعارض في يوم حنين وأرجعه بخفِّهِ، وهو استخدام على مذهب صاحب الإيضاح، وعنده أنه إطلاق لفظ مشترك بين معنيين يريد به إحدى المعنيين ثم يعيد عليه ضميراً تريد به المعنى الآخر، وتعيد عليه ضميرين تريد بأحدهما أحد المعنيين وبالآخر المعنى الثاني، فالأول كقول الشاعر وهو قديم جاهلي:

إذا نزل السماء بأرض قومٍ ... رعيناه وإن كانوا غضابا

فالسماء المطر، وأراد بقوله: «رعيناه» النبات، لأن من أسمائه السماء.

والثاني مثل قول البحتري:

فسقا الغضى والساكنيه وإن هم ... شبّوه بين جوانحي وضلوعي

فالغضى محتمل الوضع والشجر ويصلح السقي لكل منها، فلما قال

---

(١) في هامش الأصل: «ببراح».

الساكنيه استعمل الموضع، والقرينة دالّة، وبقوله: «شبّوه» المعنى الآخر وهي الدلالة بالقرينة على الشجر، على أن الشيخ صفي الدين الحلي ناقشه في هذا البيت الذي ما سبق إلى حسنه فقال في شرح بديعيته: إن شرط لفظ الاستخدام أن يكون أصلياً، وإن لفظ «غضى» ليس بأصلي في المعنيين بل أحدهما منقول عن الآخر، والغضى الحقيقي هو الشجر، ومسمّى وادي الغضى لكثرته فيه، وحمر الغضى لقوة ناره، فكل منقول من أصل واحد.

قلت: إنّما يمكن الانتصار للبحتري بأنه لم يرد وادي الغضى العلم الذي فيه شجره، وإنّما أراد محلّاً اسمه الغضى لا شجر فيه من الغضى، ولا يلزمه النقل لأن شرط المناسبة والفرض عدمها، بل هو مرتجل بل نقد الصفي يلزم في السماء لأن تسمية النبات بها منقول من الهوى الناسبة في نفع الحلق والمشاركة.

وذاكرني بعض الناس ممن يدعي الكمال الاستخدام في بيت أبي عبادة فذكرت له انتقاد الصفي فأنكر أن يكون فيه نقداً تقليداً لصاحب الإيضاح. والثاني من الاستخدام مذهب الشيخ بدر الدين بن مالك فيما ذكره في «المصباح» وهو أن يذكر لفظ مشترك بين معنيين ثم يؤتى بلفظين يفهم من أحدهما أحد المعنيين، ومن الآخر المعنى الآخر، وقد يكون اللفظان متأخرين عن اللفظ المشترك وقد يكونان متقدمين وقد يكون المشترك متوسطاً بينهما، والشاهد قول أبي العلاء في داليته:

قصد الدهر من أبي حَمزة الأ ... واب مولى حجاً وخدن اقتصادِ
وفقيه ألفاظه شدن للنعمان ... ما لم يشده شعر زيادِ

فيحتمل النعمان أبا حنيفة، ويحتمل النعمان بن المنذر ملك الحيرة، وزياد اسم النابغة وكان شاعر النعمان، فلفظ فقيه يخدم النعمان أبا حنيفة، وشعر زياد يخدم النعمان بن المنذر، ولا يصحُّ على مذهب صاحب الإيضاح لعدم عود ضمير يشده على نعمان منهما، والشرط عنده عوده على اللفظة المشتركة كما في شبوه لكان ذلك الإنسان الذي جاراني أنكر هذا النوع من الاستخدام وهو أعز من الأول صدق هو جاهل له، وإنّما ذكرته للفائدة وتذكرة به، وإلاّ فأئمة البديع لم يغفلوه كابن المعتز في كتاب «البديع» وابن حجة في تقديم أبي بكر، والصفدي في «فض الختام عن التورية والاستخدام»، ومنه قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ

﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾[1] والله تعالى الأعلم[2].

[٦٠]

الأمير السيد الحسين بن عبد القادر بن ناصر بن عبد الرب بن علي بن شمس الدين الحسني الكوكباني[*].

فاضل جدّد الأدب في اليمن وقد خلق، وأبرزه من صدق الخمول لؤلؤاً متسق، وحمل لواء الأدب وبيّض وجهه وأظهر قناه، وما سعف بغير أسود الطرس وأسمر القناه، فإذا نظم الجوهر الفرد أخحل النظام وإذا فاخر هشم به، فهو أبو هاشم عند علماء هذا الكلام مع إلمامه بالعلوم وخوفه للملك القيّوم، وكما له بالسياسة واجتذابه لطرّة الرئاسة، رأى كوكبان منه شمساً فما شمس، وقرأ سورة النصر في مصحف عزمه فعوّذه بالفجر ولغيره عبس، ولم يزل بعد أبيه عمد ذلك البلاد، ثم بعد وفاة المؤيد محمد بن المتوكل طلب الإمامة بالدعوة، وتمّت له خطوب وتنقل في الحبس والإطلاق المشبهة حتى علقت به شعوب، فتوفى يوم السبت الثاني عشر من ربيع الآخر سنة اثنتي عشرة ومائة وألف بحَدّة، وحمل منها إلى شبام بوصيّة منه رحمه الله تعالى.

وكان كامل الفضائل، إماماً من أئمة الأدب، وكتب الخط الحسن، وشارك في غير علم، وكان له إلمام بعلم الطب، ولأهل ولايته فيه اعتقاد بعد ارتفاع يده عنها لحسن قديم سيرته فيهم وعدله.

---

(١) سورة الرعد: الآيتين ٣٨ ـ ٣٩.

(٢) في هامش ب: «وفاة صاحب الترجمة، الحسين بن علي الخياط سنة أربعين ومائة وألف ١١٤٠».

(*) الحسين بن عبد القادر بن الناصر بن عبد الرب بن علي بن شمس الدين بن الأمام المتوكل على الله يحيى شرف الدين بن شمس الدين بن المهدي أحمد بن يحيى المرتضى بن المفضل بن المنصور بن محمد العفيف الملقب بالوزير بن المفضل بن الحجاج بن عبد الله بن علي بن يحيى بن القاسم بن الإمام يوسف الداعي بن المنصور يحيى بن الناصر أحمد بن الإمام الهادي إلى الحق... تمام نسبه بهامش الترجمة رقم ١٢.
ترجمته في:
طيب السمر، ذوب الذهب، البدر الطالع ١/ ٢٢١، نفحات العنبر، نشر العرف ١/ ٥٦٠ ـ ٥٦٦.

وشعره كثير مشهور، وجمع ديوانه أخوه محمد بن عبد القادر بعد موته، وسمعت أنه أوصاه أن لا يثبت له إلا أشياء عيّنها له ويسكت عن البقية لغرض له، فلا يدوّن إلاّ القليل.

ومن شعره:

خفف على ذي لوعة وشجونِ ... واحفظ فؤادك من عيون العينِ
فلكم فؤاد واجب من سهمها الـ ... ـمسموم أو من سيفها المسنونِ
واترك ملامة مغرم في حب من ... أَغْنَتْ محاسنه عن التحسينِ
رشأ أغن غضيض طرف لم يزل ... يسطو بسحر من رناه مبينِ
ستر الضحى من شعره بدجى كما ... كشف الدجىٰ منه بصبح جبينِ
وتراه منتصب القوام ولم يَزَل ... عن ضمه ينهى بكسر جفونِ
وإذا مشى مرَّ النسيم بعطفه ... فيكاد يلويه لفرط اللينِ
نابت عن الصهبا سلافة ريقه ... وخدوده أَغنت عن النسرينِ
ما مال كالنشوان تيهاً عطفه ... إلاّ وفي فيه ابنة الزرجونِ
وترى العميد بصارم من لحظه ... يحيىٰ برشف رضابه في الحينِ
فلحاظه فيها الممات، وريقه ... ماء الحياة، لمغرم مفتونِ
يا شادناً شاد الغرام كناسه ... في مهجتي لا في ربى جيرونِ
لك في فؤادي مربع، وحشاشتي ... لك مرتع، والورد ماء جفوني
يا من له الخد الأسيل ومن له الـ ... ـطرف الكحيل، وحاجب كالنونِ
ما زلت مغرى بالخلاف لشافعي ... وتقول لا يا مالكي ترديني
ويلاه من لا في الجواب وكربها ... يا كربلا أرضيت قتل حسينِ
لما تحمّلت الغرام أقام في ... جسمي السقام وسال ماء شؤني
يا من يدوم على البعاد أما ترى ... قد حل بي من ذاك ما يضنيني
زفرات مشتاق، ولوعة عاشق، ... وحنين تذكارٍ، ودمع حزينِ
ورضيت ظلمي في هواكِ ولم أقل ... أكذا يجازى ودّ كل قرينِ[1]

هذا نفس منسجم وطريقة طريفة، وما زلت أعجب مع فضله وطول نفسه وكثرة تمكّنه لمأخذه من غيره، فإن السحر الحلال في هذا بيت كربلا ورضاه

(١) نشر العرف ١/ ٥٦٥ ـ ٥٦٦.

بقتل الحسين الذي بكت له السماء، أخذه من قول الفيومي[1] أحد شعراء الريحانة:

تَرَكْتَ جَفْنِي واصلاً[2] وَالكَرَىٰ راءٌ فجُدْ بالوَصْل فالوصلُ زَيْنْ
ولا تُجِبْنِي عن سؤالِي بِلا فالقلبُ يَخْشى كَرْبَ لَا يا حُسَيْنْ[3]

فما ترك رحمه الله للفيّومي شيئاً، ويحتمل أنه رآه أحقّ به إذ كان سميّاً لذلك الإمام الكريم، وأما الموارِدة فلا نسلمها لاشتهار عرف الريحانة وهو ذكي.

وأما التوجيه بالشافعي ومالك في البيت الخامس عشر فكثير منه مطلع قصيدة لابن نباتة وابن حجة:

رضيع الهوى يشكو فطام وصالكِ فمن شافعي في الحبّ يا ابنة مالكي

ولاميّة الابخشاري الرومي من نونية تلاعب فيها بالبديع ووجّه بالأئمة الأربعة:

أحمد الوصل مالكي ليس يرضى شافعي روض خدّه النعماني

ومن الشهير في ذلك قول الشاعر:

خدّك ذا الأشعري حنفي وصار من أحمد المذاهب لي
حسنك ما زال شافعي أبداً يا مالكي كيف صرت معتزلي

❀ ❀ ❀

أراد التوجيه بأئمة الفقه، إلاّ أنه أدخل المعتزلي وهو أجنبي بينهم، لأن أولئك أئمة الفقه، والحنفي قد يكون معتزلياً كأبي القاسم الزمخشري، وشافعياً أيضاً قليلاً، إلاّ أنه قابل الأشعري وبقى الجهمي والكرامي من الأصوليين، والزيدي والظاهري فيهما.

حكي أن الوزير محمد الخارج لولاية اليمن من قبل سلطان ممالك الروم، وكان فاضلاً، أنشد يوماً في مجلسه هذين البيتين فقال: لو كان المذهب الزيدي

---

(1) شهاب الدين أحمد الفيومي، ترجمته وشعره في ريحانة الألبا ١/ ٣٨٥ ـ ٣٨٧.
(2) يشير إلى واصل بن عطاء، وتعذر نطقه بالراء.
(3) ريحانة الألبا ١/ ٣٨٦.

مما يعد لوجد به، فارتجل السيد صلاح الحاضري وكان حاضراً وهو من أدباء صنعاء في زمنه:

زاد غـــرامـــي بـــه فـــزيّـــدنـــي بـعـداً عـن الـمـكـثـريـن فـي عـذلـي

فأعجب الوزير وأجازه.

قال القاضي العلامة شمس الدين أحمد بن ناصر بن محمد بن عبد الحق[1] بلّ الله ثراه: أنشدني بعض إخواني للأديب الكاتب محمد أفندي بيتاً قاله قبل بيت السيد صلاح الحاضري وهو:

وخـــارجـــيُّ الـــعـــذار مـــذهـــبـــه قـد صـار رفـض الـكـرى عـن الـمـقـل

قال القاضي: فقلت أنا:

مـذ سـلَّ سـيـف الـهـمـوم جـرّدنـي بـنـصـبـه لـلـهـمـوم والـشـغـلِ

زاد القاضي، رحمه الله تعالى الجارودي والناصبي، وهي مقابلة صادقة.

قلت: أما بيت الحاضري فإنما فضلته البديهة وإلاّ فليس فيه إلاّ مذهب، وتلك شمل البيت ثلاثة أو اثنين. وما أحسن قول ناصر الدين حسن بن النقيب:

يـا مـالـكـي ولـديـك ذلـي شـافـعـي مـالـي سـألـت فـمـا حـبـبـت سـؤالـي
فـوجـدّك الـنـعـمـان إن بـلـيّـتـي وشـكـايـتـي مـن جـفـنـك الـغـزالـي

وله أيضاً:

بـخـالـد الأشـواق يـحـيـى الـدجـى يـعـرف هـذا الـعـاشـق الـوامـقُ
فـخـذ حـديـث الـوجـد عـن جـعـفـر مـن دمـع عـيـنـي أنـه الـصـادقُ

وعلى ذكر الأشعري، فقد ظرف السعيد بن سناء الملك[2] بقوله:

ورب عـــاق قـــال لـــي مَـــرَّة: يـا هـاجـري ظـلـمـاً ولـم أهـجـرِ
مـعـتـزلـي صـرت قـلـت: اتَّـئِـدْ واعـتـب عـلـى مـبـعـرك الأشـعـري

وعلى هذا الانتقاد للحسين، فكل شيعي للأدب لا ينكر فضله.

---

(١) ترجمه المؤلف برقم ٢٣.

(٢) مرّت ترجمته بهامش سابق.

ومن شعره:

ما للمشوق مجيب في دجى الغسقِ غير الصبا وهديل الوُرق في الورَقِ
يا قوم لو كان للورقا شجون شج ما صفقت من سرور ظلمة الفلقِ
لو أنها فقدت إلفاً لما خضبت كفاً ولا جعلت طوقاً على العنقِ
ولم تحرك لها عوداً وتنشد من الحان إسحاق أصواتاً على نسقِ
وهي التي دمعها ما زال منحبساً والصب من صب دمع العين في غرقِ
وحسبها أنها باتت يعانقها غصن وبت لغصني غير معتنقِ
أبيت ليلي أراعي النجم مكتئباً لفرط ما بي من وجد ومن أرقِ
ما أعجب الحب يشتاق العميد إلى ريم الصريم وقد أرداه بالحدقِ
يا وردي الخدّ دع إنكار قتل فتًى ما قط أبقت له عيناك من رمقِ
في خدك الشفق القاني وفيه على قتل الحسين دليلُ حمرة الشفقِ[1]

قلت: قد سبق قول ابن قرناص: «خضبت كفها... الخ» وبسطه هنا وأحسن سبكه. والبيت الأخير أجاد فيه واستحقه وسبق إليه وقد كرره وهو أولى به فقال من أُخرى:

في خدّك الشفق القاني وفيه على قتل الحسين كما قالوا علاماتُ

و«ربّ» لقب أو اسم أعان صاحبه كالسرّاج الورّاق، فإنه قيل له: لولا لقبك لضاع نصف شعرك.

قيل: سُئِل الإمام أبو الفرج بن الجوزي: ما الحكمة في ظهور الحمرة في آفاق السماء بعد قتل الحسين عليه السلام فقال: إن أحدنا إذا غضب احمّر وجهه، والباري تعالى يتعالى عن الجسمية فأظهر الحمرة في سمائه علامة لغضبه على قتله ابن بنت نبيّه.

رأيت القاضي الأديب يوسف بن علي الكوكباني أورد في كتاب «طوق الصادح» تشكيكاً منه على من زعم أن الشفق إنما ظهر بعد ظلم الإمام الحسين عليه السلام، وأن الشارع عليه السلام جعله علامة للعشاء، وتركه معضلاً، وقد رأيت أن

(١) نشر العرف ١/ ٥٦٤ ـ ٥٦٥.

اسأله سؤالاً قديماً لبعض الشافعية العلماء وقد أجيب عنه أن الذي كان قبل شهادة الإمام وجعل علامة دخول العشاء هو الأبيض من الشفق، أو أنه كان قليلاً ثم زاد بعد هذه الحادثة، وما كنت أحبّ للقاضي الأديب إيراد مثل هذا فإنه حقّق ما كاد يُتّهم به من الانحراف عن أهل البيت، لا جرم إنه جرى عليه ما جرى من الحبس والإهانة، وقد تواتر ظهور هذه الحادثة بعد استشهاد الحسين عليه السلام.

❁ ❁ ❁

رجع، ولو أن قائلاً قال: إن الدجى والغسق معناهما واحد، فكيف إضافة الشيء إلى نفسه.

وما أحسن قول القاضي أبي القاسم التنوخي[١]:

لمْ أَنسَ شمسَ الضُّحى تُطالِعُني	ونحنُ في رَوْضَةٍ على فَرَقِ
وجفنُ عيني بمائه شَرِقٌ	وَقَدْ بَدَتْ في مُعَصْفَرٍ شَرَقِ
كأنّه دمعتي ووجنَتُها	حِينَ رَمَتْنا العيونُ بالحَدَقِ
ثُمَّ تَغَطَّتْ بِكُمِّها خَجَلاً	كالشمس غابتْ في حُمرةِ الشَّفَقِ[٢]

وللحسين بن عبد القادر في الإيداع مع نقل المعنى وسبكه في قالب التورية:

كم من كتاب عذول قد رميت به	نهري شبام لأني عنه مشغولُ
فقل لمن بعثوا في عَذلِنا كتباً	مهما بعثتم على العينين محمولُ

وأهدى له بعض أصحابه كبشاً به داء الطلب فقال وهو كالأوّل:

بعثتم لي بكبش مسّه طلبُ	فهل لهذا الجفا يا سادتي سببُ
وقد أتى ولسان الحال تنشده	إليك آل التقصّي وانتهى الطلبُ

فالتضمين من قصيدة أبي طالب الحيمي المشهورة، وأتباع جارية على أنها بكر فكانت ثيّبة فقال:

شرينا من أبي بكر فتاة	ودلّس أنها بكر بمكرِ

---

(١) ترجمه المؤلف برقم ١١٠.

(٢) معجم الأدباء ١٤/١٧٣، الوافي بالوفيات، ديوانه قطعة ٦٩ (مجلة المورد).

وكم من حيلة جازت علينا ... وليست من أبي بكر ببكرِ[1]

وكان اسم المدلّس أبا بكر.

ومما أجاد فيه وبرهن على تمكّنه من حلّ عقود الشعر ونظمها هذه القصيدة التي صدورها وأعجازها لأبي الطيّب في سيف الدولة، ولحذفه وتصرّفه في الكلام سبكها غزلاً في البدور بعد أن كانت نعتاً للأسود الخادرة لا لذوات الخدور، وكتبها إلى القاضي الخطيب أحمد بن محمد بن الحسن الحيمي[2] يحلّ بها ألغاز والده في القمر، وسيرد عند ذكر القاضي محمد، والقصيدة:

هو القمر الساري وأما المنازلُ ... فما حل غير القلب يا من يحاولُ

وما ضمت الأجفان منه صوارماً ... يرد بها عن نفسه ويشاغل

بعينيه سهم لا تقي منه لامة ... ولا حدَّه مما تجسُّ الأناملُ

يلوح دم العشاق في ماء خده ... ولم تصف من مزج الدماء المناهلُ

مكان تمناه الشفات ودونه ... صدور المذاكي والرماح الذوابلُ

عجبت له قالوا مراض جفونه ... وهن الغوازي السالبات القواتلُ

يزجّ بلحظ فهو عامل قدّه ... وما تنكب الفرسان إلاّ العواملُ

وقد غاض ثقل الردف رقة خصره ... وأغيظ من عاداك من لا يشاكلُ

فما كان أهنى قهوتي لو أدارها ... والطفها لو أنه المتناولُ

أيا من عذولي فيه أصبح عاذراً ... وعاد إلى أصحابه وهو عاذلُ

سميري إذا ما غبت في غسق الدجى ... سميّك والخل الذي لا يزايلُ

إذا ذكر الناس الملاحَ بأسرها ... فأنت فتاها والمليك الحلاحلُ

لحاظك إن هبنا وأقلام أحمد ... فقد فعلوا ما القتل والأسر فاعلُ

حفيد الذي خاض الجيوش بعزمه ... وكل كميّ واقف متضائلُ

وأقلام ذا تغني عن السيف والقنى ... يعيش بها حق ويهلك باطلُ

تقول قناه آه من قلم له ... ضعيف يقاويني قصير يطاولُ

أأحمد لو لم يأت ذا المجد كله ... إليك انقياداً لاقتضته الشمائلُ

إذا العلما أحيوا بغيث علومهم ... فوابلهم طلٌّ وطلك وابلُ

---

(١) نشر العرف ١/ ٥٦٤.

(٢) ترجمه المؤلف برقم ٢١.

ونـظـمـك قـد وافـى وأحـكـام سـبـكـه — عـلـيـك ثـنـاء شـايـع وفـضـائـلُ
ونـظـمـي إذا وفـاك فـامـنـن بـسـتـره — ولا تـعـطـيـن الـنـاس مـا أنـا قـائـلُ
وإن زانـه الإبـداع مـن قـول أحـمـد — دروع لـمـلـك الـروم هـذي الـرسـائـلُ[1]

ثم عقب هذا الجوهر المنظوم بباقة من المنثور وهي:

وينهي وصول الكتاب الذي لو تصوّر عقداً لكان جوهراً، أو طيباً لكان عنبراً، أو فلزّاً لكان ذهباً، أو جنا لكان رطباً، وفاكهة لكان حلوى، أو طعاماً لكان المنّ والسلوى، وكيف لا يكون كذلك ومنشية، وناسج بروده وموّشيه، من لو كان في عصر بني مروان لما حمدوا عبد الحميد، أو في زمن بني أيوب لما عرفوا فضلاً للفاضل المجيد، أو في أيام بني عبّاد لما استحسنوا مما شاد ابن عمار بيتاً، ولزاد على ابن زيدون في عصرهم صيتاً، ذلك الولد القاضي العلامة أوحد الأمجاد، ومن رتب المعالي إليه أشوق من صاد إلى عين ومن عين إلى صاد، عين الأعيان في تخت اليمن، القاضي أبو العباس أحمد بن محمد بن الحسن لا زالت مطارف الدروج بألفاظه مفوّفة، وحبر الطروس بمداد محابره من حرفه، ومسامع ذي العلم بدر فوائده متسّقة، والله يمنحه صوابغ الإنعام، ونوامي البركة فأزكى السلام، سلاماً أسنى من نور القمر في الدياجي، وألطف من محاورة ذي الألغاز والأحاجي، فشرح الصدر بما شرح في ذلك الكتاب، وكاد أن يعيد لي سرح العيون في أفنان شرح الشباب، ما نشرناه إلاّ وروائح نسره إلى المسك منسوبة، ولا طويناه إلاّ وإعادته مستحبّة كقول ابن مندوبة:

تـفـكّـر طـوراً فـي قـراءة فـصـولـه — فـإن نـحـن أتـمـمـنـا قـرائـتـه عـدنـا
إذا مـا نـشـرنـاه فـكـالـمـسـك نـشـره — ونـطـويـه لا طـيّ الـسـآمـة بـل ضـنّـا

قلت: إن من البيان لسحراً، وهذا منه، فللّه درّه ما أعذب بيانه وأحلى جمامه، فهو الذي أتى بما لم تستطعه الأوائل، وأخجل النجوم الأُفقية والبدور الأنسيّة ذوات الأوشحة الحوائل.

❀ ❀ ❀

(١) نشر العرف ١/٥٦٣ ـ ٥٦٤.

وحَدّه، بفتح الحاء المهملة وتشديد الدال المهملة المفتوحة، وآخرها هاء: قرية بسفح جبل على نحو فرسخ من صنعاء من الناحية الغربية، وفيها أنواع الفاكهة وصنوف الرياحين، وليس باليمن الأعلى أبهى منها، وبها جدول عظيم اسمه حميس، وقيل إن الأديب بدر الدين الدماميني صاحب المغني اجتاز بها في مسيره إلى الهند فقال فيه وضمّن بيت الحماسي:

ولقد مررت بحدّة وحميسها ... حمس على ما فاتها يتبلبلُ
بي مثل ما بك يا حميس وإنّما ... صبري على فقد الأحبّة أجملُ

وللدماميني كتاب لطيف سماه «نزول الغيث» اعترض به الصفدي في غيثه الذي انسجم، وما أنصفه، وأما التسمية فمطربة، ومن المقادير أن أول شيء اعترضه به في شرح أول اللاميَّة في إعراب صانتني وزانتني، فتوهّم الشيخ صلاح الدين أن التاء فيهما ضمير للفاعل مهجن عليه البدر الدماميني بأوله وذلك أن الضمير الفاعلي يستتر في الماضي مطلقاً.

وكان الدماميني إماماً من أئمة النحو، فاضلاً شاعراً مجيداً، وكان أول حاله جزار بمصر، ودخل الهند لطلب الرزق فقدرت وفاته به.

وكنت أريد الإشارة في ترجمة الحسين بن علي موسى إلى شيء من شعر عبد القادر الرومي الأصل المعروف بالخيمة لصناعة عملها، وهو من أدباء صنعاء المطبوعين، فذهلت عنه ثم وهو بقيّة مما ترك آل عثمان باليمن، وكان أستاذاً في الخياطة، عذب المقاطيع، فمنها وقد ذهب محبوب له اسمه الطل وجاء آخر اسمه الغيثي:

يا معشر الأصحاب لا تقنطوا ... من رحمة تأتي على ريثِ
إن غاب عنّا الطلّ في وقته ... فربّنا قد جاء بالغيثي

وقوله في غلام سمر معه اسمه يوم النور:

قد سمرنا مع الأحبّة حتى ... مزَّقَ الصبح حلّة الديجورِ
ليلة قد أتت بكل عجيبٍ ... وأرتنا في الليلِ يوم النورِ

أذكرني يوم النور قولي من أبيات:

يستره عن صبّه برده ويلي على البرد كثير الفضولْ
وكلما النسمة من نحوه هبّت أقول اليوم يوم القبولْ

القبول: من أسماء الصبا.

وقلت أيضاً:

صُبِّحتُ بالمنثور خلى عسى يسعدني في وصله طيري
وما عسى من لامني قائلاً في عاشق صُبّح بالخيري

الخيري: اسم للمنثور الأصفر، وهو أعبق أصنافه، والمستعمل دهنه وحبّه، وهو حار يابس يفتح سدد الدماغ البارد، ويحلل ويدر ودهنه ينفع من الأعياء.

ومات عبد القادر الخيّاط تقريباً سنة خمس وتسعين وألف بصنعاء، رحمه الله.

[٦١]

السيد أبو محمد، الحسين بن علي بن المتوكل على الله أَبي علي إسماعيل بن المنصور بالله أبي محمد القاسم بن محمد ـ وقد تقدم رفع النسب ـ الحسني، اليمني النشأة(*).

فاضل لمعت بروق الإحسان من فكرته وراحته، ونزه الشائم بين النقيضين من خلقه وحماسته، وله طريقة في النظم عرفها وعرّفها وارتدى غيره سادجها، وارتدى هو مفوّفها، فربائب فكرته بإحسانه غواني تلوح بين بنات الأفكار كمغاني الشعب طيباً في المعاني، واستخلفه والده حين وفاته على ولايته لغالب اليمن الأسفل، ورضي ذلك أخوه المؤيد، ثم لم يلبث أميراً إلاّ يسيراً ومات المؤيد، فتبدّد عقد ولايته ورضى به الدهر بعد خفوق الألوية بكفاءتِهِ، لما وثب أسد المعافر[1]، فترك كل قرن بمخالبه الحمر مصفّر الأظافر، وكانت له حروب على عقيلة تلك البلاد، ويأبى ربنا إلاّ ما أراد.

(*) تمام نسبه في الترجمة ١٣.
ترجمته في: نفحات العنبر، الروض الباسم، ذوب الذهب، البدر الطالع ١/٢٢٢، نشر العرف ١/٥٧٣ ـ ٥٨٦.

(١) في هامش الأصل: «يعني بن المهدي محمد بن أحمد صاحب المواهب».

وفيه فضائل، وله أدب وذكاء وقّاد، وحسن خلق، وأشعار رقيقة حرّة، وهي سائرة مشهورة، وله في الموشّح الملحون ما له فعل ابنة الزرجون، وأنشدني من شعره:

حلَّ الجفا ورسائل العتْبِ ... واسمحْ لصبّ[1] دامي القلْبِ
يمسي ويصبح فيك ذا قلق ... لا بالحمى والجانب الغربي
سالت محاجره عليك دماً ... حتى أسال محاجر الشعبِ
عذبته بهوى شرارته ... عذبت لديه كريقك العذبِ
وسقيته كأس الهوى عللاً ... فغدا عليلاً ذاهل اللُّبِّ
سكران من راح الغرام فلا ... تصحبه خير روائح القربِ
يا ساجعاً فوق الأراك ضحًى ... مالي أراك مولّه اللبِّ
أشبهتني إذ كنت ذا شجنٍ ... مثلي معنّىً دائم الكربِ
لكن غناك بحبه قمرية ... وغناي من قمرية تسبي
هيفاء إن هزّت معاطفها ... هزّت بلين معاطف القضبِ
حسنا كأن بثغرها شفقاً ... من تحته درر من الشهبِ
يا صاحبيَّ ولم أقل أبداً ... يا صاحِبَيْ من قلّة الصحبِ
هات الحديث عن الحمى الغَرْبِيْ ... سلسلهُ متصلاً على الصبِّ
عرِّض بذكر الشطّ فيه لنا ... واذكر به مَنْ شطَّ في الشعبِ
وعليك إملاء الحديث لنا ... نثر كنثر اللؤلؤ الرطبِ
وعليَّ أن أبكي وأنظم في ... خدِّي عقود المدمع الصبِّ
يا بارقاً قد لاح مبتسماً ... فوق النقى وملاعب السربِ
قل للّذي نزلوا بذي سلم ... يا برق حسبي حبّهم حسبي
لا أرتضي بسواهم أبداً ... غير الفخار فإنها تربي

هذا الوزن عذب المذاق، وأرّق من قلوب العشّاق، وأول من فتحه بهذا الروي المكسور فيما أحسب الجمال بن نباتة[2]، فله فيه قصيدة طنّانة افتتحها بقوله:

---

(١) في الأصل: «واعذر محبّاً لصبّ» وما اثبتناه من ب.

(٢) مرّت ترجمته بهامش سابق.

دمعي عليك مجانسٌ قلبي   فانظر على الحالين في الصبِّ[1]

فالحالان هما اللذان حكما له بالتمييز على الأقران، وما هما إلاّ خالان في وجنّة الشعر، وجاء لي قديماً في هذا الروي والوزن من أبيات:

ومُرَجِّعٍ نغماً حسبت به   ما حلَّ بعد رحيلهم قلبي
أشبهتُه كلفاً وأشبهني   في بثِّنا الشكوى إلى القضبِ
يا ليتني أدري بنازحة   منها لقي في غصنِة حبّي
جُزْ يا نسيم بهم على حذر   فإذا بلغتَّ معرّس الحبِّ
ورأيت من حلّت ترائبها   بمدامع ساقطتها شهبِ
وتحمّلت ظلمي وقد ضعفت   عن وقفة ذهب وعن قلبِ
بلغ لها ما لست تجهله   ما عنك تخفى حالة الصبِّ
إيّاك أن تدري حواسدها   إنك من رسلي ومن صحبِي

❀ ❀ ❀

رجع، إلى ذكر أبي محمد، ومن مقاصده الصالحة في التوجيه بأسماء الكتب:

ما على البرق من وراء الثنيّةْ   لو أتى من أحبّتي بتحيةْ
وقرى للمشوق تلخيص سرّ   أعلنته الحواشي الشلبيّةْ

الشلبي: اسم فارسي تعبّر عنه العامة عن الشيء اللطيف، وحاشية، معروفة.

وله في من اسمها سلامة:

يا بروحي غيداء تدعى سلامه   ذات حسن وبهجة ووسامه
واصلتني في غفلة ثم قالت   هات قل لي فما عليك ملامه
قد جمعت الجمال أيّة جمعٍ   هو قل لي فقلت جمع سلامه

وله في غالية:

بأبي وبي فتّانة   فوق الغواني عاليه

---

(١) كاملة في ديوان ابن نباته المصري ٣٢ ـ ٣٥.

قــالــت مــخــاطــبــة وقــد بــدأت بــردّ ســلامــيــه
إن شــئــت تــعــرف قــيــمــتــي واســمــي فــإنــي غــالــيــه

أحسن في نشر هذه الغالية، وسبكها تورية وحيدة لعطفها ثانية، وهو أحسن من قول الشيخ بهاء الدين العاملي ـ الآتي ذكره إن شاء الله تعالى[1] ـ يصف مصر:

قــد أخــجــل الــمــسكَ نــســيــمٌ بــهــا وزهــرهــا قــد أرخــص الــغــالــيــه

ثم أخذه الأمير الحسين بن عبد القادر[2] فقال من قصيدة:

فأصبح الطيب مذ فاحت نسائمها في سوحنا وغواليه رخيصاتُ

وهذه القصيدة أجاب بها السيد يحيى بن أحمد العباسي العلوي، وأكثر ما فيها من النكت الحسان مأخوذ، فياللعجب.

ولصاحب الترجمة:

عــبــارتــي عــن صــبــابــتــي الــعــبــره مــالــي عــلــى الــنــطــق بــالــهــوى قــدره
فــتــور جــفــن الــحــبــيــب حــيــن رَنَــا أورث جــســمــي جــمــيــعــه الــفــتــره
اســخــن عــيــنــي بــهــجــره قــمــر كــان لــهــا لا عــدمــتــه قــمــره
صــبــراً جــمــيــلاً عــلــى مــهــفــهــفــة قــد وضــعــت فــي حــيــنــهــا صــبــره
زهــراء قــد قــرظــت ســوالــفــهــا وطــرقــت بــالــهــلال والــزهــره
الــنــجــم والــبــدر والــصــبــاح ولــلــشــمـ ـس جــمــيــعــاً بــحــســنــهــا ضــره
مــرفــوعــة الــحــســن فــي ذوائــبــهــا جــرّ ولــكــن بــعــيــنــهــا كــســره
مــمــزوجــة الــلــون لا بــيــاض بــهــا نــاقٍ ولا حــمــرة ولا صــفــره
فــي وجــهــهــا مــســكــة تــذوب عــلــى يــاقــوت خــدّ كــأنــه جــمــره
ومــرســل الــشــعــر يــا تــبــارك مــن أرســلــه والــعــيــون فــي فــتــره
مــالــي عــلــى هــجــرهــا وجــفــوتــهــا عــنِّــي وطــول احــتــجــابــهــا قــدره
يــا لــيــتــنــي فــي الــحــيــاة أنــظــرهــا بــكــرة عــذّالــهــا ولــو مــره

ثم إني رأيت من هذه الأبيات بيتين وهما أسخنَّ عيني، والذي يليه في

(١) ترجمه المؤلف برقم ١٤٥.
(٢) ترجمه المؤلف برقم ٦٠.

ديوان السيد الأديب عماد الدين يحيى بن إبراهيم جحّاف[1] فسألته فأخبرني أنه كذلك دائماً أستحسنها، فزاد فيها فنسبت إليه.

وله أيضاً:

يا أُهيل السفح رفقاً بفتًى ... أنحل الشوق إليكم بدنه
كلما رام سلوّاً عنكم ... لم تطعه مهجة مرتهنه
أحسنوا الوصل له يا سادتي ... فلكم في كل وصل حسنه
أو فمنّوا بخيالٍ في الكرى ... إن سمحتم لي بنوم أوسِنَه

والبيت الرابع ينظر إلى قول أبي الحسين مهيار الديلمي[2]:

وابعثوا أشباحكم لي في الكرى ... إن أذنتم لعيوني أن تناءا

وبالجملة، فهو معنى مطروق.

وأنشدني هذه الأيام أبياتاً آلهية وقال: إنه طلق البطالة ثلاثاً، ونقض غزل غزلها بعد إبرامه أنكاثاً، وهي:

يروق القريض بكم والقوافي ... فينصَّبُ ماء من اللطف صافي

ومنها:

أغيثوا بصفح وعفو لكم ... يقيما جداراً عفى في عفافي
وجودوا بجود يهدّ الذنوب ... ويهدم عني ويغني اقترافي
وعودوا عليَّ فإن الهوى ... هواني ومنه تلاقوا تلافي
فقد طفت حول الرجى مخلصاً ... لكم والوداد انطوى في طوافي
وإن كنت خالفتكم جاهلاً ... فحسن الرجا ما خلا في خلافي

وأنشدني غير ذلك في هذه المادة، تركته اختصاراً، وشعره كثير، ونوء فكرته غزير، والله تعالى يعين[3].

---

(١) ترجمه المؤلف برقم ١٩٠.

(٢) ترجمه المؤلف برقم ١٧٧.

(٣) في هامش ب: «مولد السيد الحسين بن علي بن المتوكل سنة اثنين وسبعين وألف ١٠٧٢، ووفاته سنة تسع وأربعين ومائة وألف ١١٤٩».

السيد الحسين بن محمد بن شعبان الجحافي الحبوري، الشاعر المحسن الحسني(*).

فاضل شعره سلافة العصر، وريحانة الألباب، وزينة الدهر حلى للسمع وانسجم فحكى الرباب، وكان أرقّ من خصر الحبيب أو عصر الشباب، يشوق ويروق، ويبعد مناله بعد العيّوق، ولم أعلم من حاله شيئاً غير الشعر، ويكفي من نفع المسك وجود العطر، فمنه:

هل عائد وقتنا الرقيقُ ... وعيشنا الناعم الأنيقُ
زمان جادت يد التلاقي ... يجمعنا واشتفى المشوقُ
إذ دهرنا أخضر الحواشي ... طلق المحيَّا بنا رقيقُ
يدني لنا كلما اقترحنا ... كأنه الوالد الشفيقُ
زمان لهو به ظفرنا ... ما العيش من بعده يروقُ
يا ذلك العيش إن قلبي ... لسلوة عنك لا يطيقُ
لقد نرت منك في فؤادي ... ذكرى لها في الحشا حريقُ
يشبها مر كل ريح ... لها الحمى نحونا طريقُ
سقى حمى المنحنى عريض ... لقطره وابل مريقُ
وجاد سفح العتيق ريّاً ... فَحَبَّذا السفح والعقيقُ
أحبابنا والنوى تعوق ... والدهر في صرفه عقوقُ
متى متى تجمع الليالي ... شملي بكم أيها الفريقُ
لا كان صبح أنار فيه ... زمّت بكم للفراق نوقُ
لي بعدكم سكرة بوجد ... يتلو صبوحي بها الغبوقُ
سكرة وجدٍ ثملت منها ... هيهات هيهات لا أفيقُ

(*) ينتهي نسبه إلى الحسن بن محمد المعروف بجحّاف ـ كشدّاد ـ بن الحسين بن الأمير ذي الشرفين محمد المنسوبة إليه شهادة الأمير، ابن الأمير جعفر بن الإمام المنصور بالله القاسم العياني ـ بالعين المهملة المكسورة ـ بن عبد الله بن محمد بن الإمام القاسم الرسي بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن الإمام علي بن أبي طالب ﷺ.

ترجمته في: طيب السمر، نفحات العنبر، صفوة العاصر، نشر العرف ١/ ٦٢٣ ـ ٦٢٦.

وذات طوق كأنما في | لحاظها شعشع الرحيقُ
لها قميص بنفسجيٌّ | ما شابه الوشي والخلوقُ
رقت قضيباً زبرجديّاً | يقلها فوقه العقيقُ
غدت ضحاءً عليه تشدو | وما درت قلب من تشوقُ
حمامة الأيك لستِ مثلي | وبيننا في الهوى فروقُ
قد علم الله ما كتمنا | وأيننا بالأسى خليقُ
يا برقة الأبرقين لولا | أهلوك لم تشجني البروقُ
عليك من بعدهم يلام | ختامه الأذفر السحيقُ[1]

وهذا النفس الشعباني ربيع منور، فسبحان مانحه:

وله أيضاً:

ولم أنسَ إذ مَنَّتْ عَليَّ بزورة | أراحت فؤادي من صدود ومن بَيْنِ
فعانقتها حتى وهي درّ عقدها | فقالت لخير ليتِ ذا إلا مر ام حين
فقلت لها هذا نثار مع اللقا | وفي ساعة التوديع أقضيك من عيني[2]

ومن لم يرقص على سلافة هذا المقطوع فقد سحر به، نعم، البيت الأخير مأخوذ من قول ابن نباتة:

أفديه لدن القوام منعطفاً | يسلّ من مقلتيه سيفين
وهبت قلبي له فقال: عسى | نومك أيضاً فقلت: من عيني[3]

لكن الجحافي أكسبه وزانة حلاوة وحسن سبك.

وله أيضاً:

رعَى الله من ودعتهم وكأنما | أودع نفسي من حجاب حشائي
أشرت إليهم ما تركتم لصبكم | وقد صد نطقي كربتي وبكائي
فقالوا سهاداً واشتياقاً على المدى | وسقماً إلى أن تشتفي بلقاءِ
فقلت خذوا نومي جزاء وسلوتي | ولذة عيشي بعدكم وغنائي

---

(١) نشر العرف ١/ ٦٢٤ ـ ٦٢٥.
(٢) نشر العرف ١/ ٦٢٤.
(٣) ديوان ابن نباته المصري ٥٣٣.

وسيروا بحمد الله لامسكم ضنًى ولا ساورتكم لوعتي وعنائي
ولم أر يوماً مثل يوم فراقنا ألاح لحتفي صبحه وشقائي[1]

ومن شعره:

أفدي الذي قد زارني في ليلة فأقر عيناً في لقاه ومسمعا
لكنها قصرت عليَّ بوصله فكأنه وصباحها طلعا معا[2]

وهذا معنى غريب، وشعره من هذا السلك الدال أنه أوفى عزة الملك.

وكان مسكنه بريمة من جبال تهامة.

والجَحّافي، بفتح الجيم والحاء المهملة المشدّدة وبعد الألف فاء: نسبة إلى بطن من الأشراف الحسنية باليمن، جاء منهم فضلاً وعلماً وأدباً.

[٦٣]

السيد أبو عبد الله، الحسين بن المطهّر بن محمد الجرموزي(*).

فاضل سما قدراً وشعرا، فأرانا السماك والشعرا، له في الشعر منهج صوفي، يشفي العارف ويهديه كالهلال الموفي.

وقال ابن أخيه أحمد بن الحسن في أخبار قرابته: كان ينبوع معين القريض، وروض الكرم الأريض، لم تسمح بمثله الأدوار، ولم يأت بنظيره الفلك الدوّار، خلق مغرماً بالفضل قبل أن يكون مضغة وصبغ من النشأة ماجداً، ومن أحسن من الله صبغة، وظهر ظهور الشمس، وبهر فلا ينكره إلاّ من تخبّطه الشيطان من المسّ، وله النظم الذي فضح مطالع الصباح، وسفر في محاسن الوجوه الصباح. تولّى بعد أبيه فتوقّل تلك الغرف، وتبوّأ ذلك القطر الذي يحسده في الشرف، وأورد له أشعاراً اخترت منها هذه القطعة وذكر أنه كتبها إلى أخيه

---

(١) نشر العرف ١/٦٢٤.

(٢) نشر العرف ١/٦٢٤.

(*) تمام نسبه بهامش الترجمة رقم ١٢.

ترجمته في: سلافة العصر ٤٤٩ ـ ٤٥١، خبايا الزوايا للشهاب الخفاجي صاحب الريحانة، ريحانة الألبا ١/٤٥٨ ـ ٤٥٩.

محمد بن المطهّر ـ الآتي ذكره[1] ـ:

أذوب إن ذكروا يوماً مسمّاه ... فكيف أن شهدت عيني محيّاهُ
خشف فقدت اصطباري مذ ولعت به ... فكيف صبر فؤاد كان يهواهُ
ظبي غرير ومن إفراط غرّته ... يظل يحرق قلبي وهو مثواهُ
يفتر إن هملت عيني ويسأل ما ... هذا الذي قد أرى في الخدّ بحراهُ؟
فقلت: ذاب فؤادي من هواك به ... ففاض من زفرتي ما الوجد أبداهُ
لا يعرف النصح في طول المطال ولا ... يصغي بسمع إلى من بات ينهاهُ
ولا يخاف قصاصاً قط من أحدٍ ... هذا وكم فتكت في الناس عيناهُ
ما هكذا فعل والٍ في رعيّته ... يا من على الناس حكم الحسن ولّاهُ
كتمت يا منية القلب الهوى طمعاً ... أن نحتفي ودموع العين تأباهُ
وكيف يكتم وجداً أو يسرّ هوى ... الدمع في خدّي المصفرّ أدماهُ
لله أيام حسن صرت أحسبها ... من حسنها طيف نوم طاب مسراهُ
وكان يجمعني والخلّ منزله ... ولا عليَّ رقيب كنت أخشاهُ
في غرَّة العمر والأيام مسعدة ... والدهر يدني لكلٍّ ما تمنّاهُ
طاردت لذّات قلبي إذ ظفرت بها ... وكلّ من طارد المطلوب أنضاهُ
في حلبة اللهو أدركت المنى فعلى ... تلك الليالي من الوسمي اهناهُ
يا ساري البرق خصّ الحيّ من أضمٍ ... بصيّبٍ من غزير المزن يغشاهُ
فإن لي فيهم قلباً يسائلهم ... عمّن دعاه إلى سلعٍ فلبّاهُ
ويا نسيم الصبا إن جزت حيّهم ... فالقلب في سفحهم قد طال مثواهُ
فقل له: هل أفادت طول غيبته ... عنّي وهل رقَّ قلباً حين ناداهُ؟
وهل تعطف بعد البعد واتّضحت ... شكواه يا ليت إنّا ما عرفناهُ

وهي طويلة اختصرتها، وقد قارب الإحسان فيها أوكاد.

وقوله: «في غرّة العمر» والبيتان بعده أحسبهما من شعر أبي الحسين مهيار في هائيته المشهورة، فإني لم استحضرها الآن، وفيها متانة، فأما لفظ «قط» بعد

---

(١) ترجمه المؤلف برقم ١٦٩.

المضارع فليس بجائز، وإنّما يؤتى بها عقب الماضي للتأكيد، وتستعمل لتأكيد المضارع عوض، كقول الأعشى[1] في مدح المحلّق:

رضيعي لبانٍ ثدي أُم تحالفا بأسحم داج عوض لا نتفرقُ

أجرى الأعشى الاثنين مجرى الجمع وذلك للتعظيم كأنهم جماعة وذلك معروف في اللغة، ومنه قوله تعالى: ﴿رَبِّ ٱرۡجِعُونِ﴾[2] وقرأه من رفع ملائكة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ﴾[3] فيكون يصلّون خبراً عن الله، وخبر ملائكته محذوف لدلالته عليه.

واسم المحلّق: عبد العزيز[4] بن حَنْتَم بن شَدَّاد بن أبي عامر بن صعصعة، وكانت بخدّه غضّة فرس تشبه الحلقة، فعرف لها بالمحلّق، وكان مقلّاً ذا عيال وبنات، فقدم أعشى بني قيس بن ثعلبة الشاعر المشهور، عكاظاً في الموسم والمحلّق به، وكانت له امرأة عاقلة، فقالت له: إن الأعشى قدم فلو تعرّضت له رجوت أن ينفعك الله، قال: وكيف؟ ولا شيء عندنا، قالت: تنحر ناقتك، وأحتال لك في شراب وطيب، فخرج إلى الأعشى وأخذ بزمام راحلته وقد استبق إليه الناس فقال: من هذا الذي غلبنا على زمام ناقتنا؟ فقال المحلَّق، فقال الأعشى لقائده: خل عنه، وقاده المحلّق إلى منزله فاشتوى له من كبد الناقة وسنامها واحضروا الشراب فسقاه وأطعمه حتى سكر، فلما نام جعل بنات المحلّق يغمزنه ويخدمنه، فقال: من هؤلاء؟ فقال: بنات أخيك وهن تسع، فلما أصبح الأعشى احتمل ولم يقل له شيئاً، فلما اجتمع الناس بعكاظ أقبل ينشد قصيدته التي منها هذا البيت، أوّلها:

أَرِقْتُ وما هذا السُّهادُ المؤرِّقُ وما بيَ من سُقْمٍ وما بِيَ مَعْشَقُ

---

(١) مرّت ترجمته بهامش سابق.

(٢) سورة المؤمنون: الآية ٩٩.

(٣) سورة الأحزاب: الآية ٥٦.

(٤) ترجمته وأخباره في: الأغاني ٩/١٣٣ ـ ١٣٤، وفيه اسمه «عبد العزّى» العقد الفريد، طبعة لجنة التأليف ٥: ٣٢٩ والجواليقي، في شرح أدب الكاتب ٢٩٨ وفيه: «اسمه عبد العزيز» والكامل للمبرد، في رغبة الآمل ١: ٢٤ ثم ٦: ٢٢٨ والتاج ٦: ٣٢٢ واللسان: مادة «حلق»، الاعلام ط ٤/٥/٢٩١ ـ ٢٩٢.

ومنها:

نفى الذم عن آل المحلّق جفنه ... كجابية الشيخ العراقيّ تفهق

لعمري لَقَدْ أعشَتْ عيونٌ كثيرةٌ ... إلى ضوء نار في يَفَاع تَحَرَّقُ

تُشَبُّ لمغرورَيْن يصطليانها ... وبات على النار النَّدَى والمُحَلَّقُ

فإن عتاق العيس سوف تزوركم ... ثناء على أعجازهن مُعَلَّقُ

فما أَتمَّ القصيدة إلاّ والناس يتسلّلون إلى المحلّق، ولم تمسّ له بنت إلاّ في عصمة رجل شريف[1].

فالمحلّق أحد من رفعه الشعر.

والجابية: الجفنة العظيمة وهي الحوض.

قيل: أراد بالشيخ العراقي كسرى، واليفاع: الجبل المرتفع.

وذكر أبو الفرج: إن بعض ندماء كسرى أنشده أول قصيدة الأعشى هذه فأمر فترجمت له فقال: إن سهر لغير عشق ولا سقم فهو لصّ، وفيه دلالة أنه إذا قيل فلان دخل المضاف إليه.

وأورد السيد أحمد الجرموزي لعمّه المذكور أيضاً:

صاح ذا البلبل في الدوح هدر ... فطمى الدمع بخدّي وانهمرْ

ما احيلى نغمة الطير على ... غصن نظرته تجلي البصرْ

أو رياض جادها وبل الحيا ... وسمى في كل حين وانهمرْ

تشكر الأرض لنا جود السما ... لم يكن يزداد إلاّ من شكرْ

دبج الأرض بأنوار الرُبى ... فتحلّى كل دوح بالزهرْ

هب يا صاح لنأتي روضة ... حارت الألباب فيها والفكرْ

كم غصون هزّها ريح الصبا ... وورود نفحها الأذكى انتشرْ

كقدود حفّفت من مرجٍ ... وخدودٍ قد تلظّت بالخفرْ

وقلوب شفّها الشوق فما ... ترك الوجد بها غير الأثرْ

خافقات من غرامٍ مثلما ... خفق الريح بأوراق الشجرْ

(١) الأغاني ٩/ ١٣٤ ـ ١٣٧.

ومحاسنه كثيرة.

وغالب أولاد السيد المطهّر بن محمد شعراء[1]، وسيأتي ذكر بقية من اشتهر له منهم أدب إن شاء الله تعالى.

[٦٤]

الشيخ الحسين بن عبد الصمد العاملي الشامي الأصل، الأصبهاني الدار، الأديب[*].

فاضل نفحت من أشعاره نسائم الأسحار، وَوَقَفَ الفضل عليه وأمّا صيته فسار، فمعانيه الخدود كشفت عنها البراقع تلوح منها بدور قوام للعقول نيّرة المطالع.

وهو والد الشيخ العلامة بهاء الدين محمد بن الحسين العاملي[2]، ويقع في الريحانة اسم بهاء الدين محمد باسم أبيه الحسين المذكور وهو من غلط النسّاخ[3].

وكان المذكور أحد الأعيان بأصفهان الأدباء الشعراء، وذكره ولده بهاء الدين في الكشكول في عدّة مواضع، وأورد له أشعاراً حسنة فمنها:

ما شممت الورد إلاّ ... زادني الشوق إليك

وإذا ما مال غصن ... خلته يحنو عليك

---

(١) ترجمه صاحب النسمة منهم:
جعفر بن المطهر برقم ٤١.
الحسن بن المطهر برقم ٥٢.
الحسين بن المطهر برقم ٦٣.
الهادي بن المطهر برقم ١٨٣.

(*) ترجمته في:
خبايا الزوايا للخفاجي ـ خ ـ، الذريعة ٢/ ٢٩، ٦/ ٢٤٠، روضات الجنات ١٩٢ ـ ٥٣٢، سلافة العصر ٢٨٩، نزهة الجليس ١/ ٢٤٩، الطليعة ١/ ٢٤٩، الكشكول للبهائي، أعيان الشيعة ٢٦/ ٢٢٦ ـ ٢٧٠، أمل الآمل ١/ ٧٤ ـ ٧٧، رياض العلماء لؤلؤة البحرين، أنوار الربيع ٢/ ٢٦٧، إيضاح المكنون ١/ ٣٤٦، الغدير ١١/ ٢١٧ ـ ٢٣١.

(٢) ترجمه المؤلف برقم ١٤٥.

(٣) أنظر: ريحانة الألبا ١/ ٢٠٧ ـ ٢١٤.

لســـت تـدري بـالــذي قــد حــلَّ بـي مــن مــقــلــتــيــك
إن يــكــن جــســمــي تــنــادى فــالــحــشــى بــاقٍ لــديــك
كــل حــســن فــي الــبــرايــا فــهــو مــنــســوب إلــيــك
رشــق الــقــلــب بــســهــم قــوســه مــن حــاجــبــيــك
إن دائــي ودوائــي يــا مــنــاي فــي يــديــك
آه لــو أُســقــى لأُشــفــى خــمــرة مــن شــفــتــيــك[1]

وأورد بها الدين أيضاً لوالده، وله عليها أبيات أجاد فيها، وسيأتي إن شاء الله تعالى:

فـاح ريـح الـصـبـا وصـاح الـديـكْ فـانـتـبـه وانْـفِ عـنـكَ مـا يـنـفـيـكْ
واخـلـع الـنـعـل فـي الـهـوى ولـهـا وادن مـنـا فـانـفـل نُـدنـيـكْ
واسـتـلـمـهـا سـلافـة سـلـمـت مـن أذى مـن يـغـولـهـا بـشـريـكْ[2]

وذكره أيضاً الشيخ مصطفى بن فتح الله في كتابه «نتائج الرحلة»، وأثنى عليه وكان إمامياً، وكل ما نذكره من أهل هذا البيت بل جميع قبائل عاملة إمامية، وهم قبيلة كبيرة من قضاعة، ينزلون أرض الشام بادية وحضر، ولهم جبل مشهور بهم هناك فيه قلاع ومدن، ومن شعرائهم في أيام بني أُمية عدي بن الرقاع العاملي[3].

وأصفهان وبالباء أيضاً: لغتان فيها مدينة مشهورة بعراق الجبل، وهي معرّبة عن أسفهون وبها ولد العادل أنو شروان وبها قبره، وقد كانت العجم أهل شرف الدنيا ولهم الآثار والحكم.

وذكر الإمام أبو حامد الغزالي في كتاب نصيحة الملوك: إن المأمون ولّى

---

(١) الكشكول للبهائي، جملة منها في أعيان الشيعة ٢٦/ ٢٦٤ ـ٢٦٥، الغدير ١١/ ٢٢٩.

(٢) الكشكول للبهائي.

(٣) هو أبو داود عدي بن زيد بن مالك بن عدي بن الرقاع العاملي. كان موطنه الشام، مقدماً عند بني أمية مداحاً لهم، خاصاً بالوليد بن عبد الملك. عاصر جريراً وناقضه في مجلس الوليد، وهجاه جرير تلميحاً خوفاً من الوليد، لأنه كان قد حلف إن هو هجاه أسرجه وألجمه وحمله على ظهره.

ترجمته في: معجم الشعراء/ ٨٦، الشعر والشعراء/ ٥١٥، الأغاني ٩/ ٣٠٠، سمط اللآلي/ ٣٠٩ وفيه (بن مالك بن عثمان)، شرح شواهد المغني/ ٤٩٣، أنوار الربيع ٢/ هـ ٩٢.

أربعة نفر أربع ولايات أحدهم خراسان، وأعطاه خلعة بثلاثة آلاف دينار، ثم استدعى موبذ موبذان وهو بالعربية قاضي القضاة، وقال له: يا دهقان هل أعطى أحد من ملوك العجم في أيامهم مثل أعطيت، فإنه بلغني أن خلعهم أكثر من أربعة آلاف درهم؟ فقال: أطال الله بقاء الملك، كانت لملوك العجم ثلاثة أشياء ليست لكم: أحدها إنهم كانوا يأخذون ما يأخذون من الناس بقدر ويعطونه بقدر، والثاني: إنهم كانوا يأخذون من موضع يجوز الأخذ منه ويعطون من ينبغي أن يعطى، الثالث: إنهم ما كان يخافهم إلاّ المذنب.

فقال المأمون: صدقت ولم يعد عليه جواباً.

ثم إن المأمون فتح باب تربة كسرى، وفتح تابوته وكشفه ونظر إلى حسن صورته ووجهه وهي بما بها ما بليت، والثياب عليه بجدّتها ما تمزّقت ولا خلقت، والخاتم في إصبعه فصّه من ياقوت أحمر كثير الثمن، ما رأى المأمون قبله مثله، وكان مكتوب على فصّه بالفارسية (به هه ته مه به)[1] ومعناه الأجود أكبر، ليس الأكبر أجود.

فأمر المأمون أن يُغَطّى بثوب نسج بالذهب، فأخذ غلام خاص بالمأمون الخاتم خفية فاعلم فأمر بإهلاكه وأعاد الخاتم في إصبعه، وقال: كاد أن يفضحني بحيث كان يقال عليَّ إلى يوم القيامة إن المأمون كان يتأسى وأنه نبش كسرى وأخذ خاتمه من إصبعه.

قلت: هذا عجيب، فالغزالي رفيع القدر في العلوم، وحيث روى هذا فلا يتهم فيه، ولعل الله أبقى لكسرى أجزاء جسمه بما بها وثيابه بجدّتها تنبيهاً للظلمة على فوز العادل في عباده وعظيم ثوابه، وألهم المأمون بنبشه ليعتبر أولوا الألباب، هذا على مجوسية كسرى لم يضيّع الله عدله المشهور، وأثنى عليه النبيﷺ بقوله: «ولدت في زمن الملك العادل».

وكان بين نبش المأمون له وموته مئتا سنة وزيادة، وأما الذي دعا عليه

---

(١) هكذا في اللغة الفارسية على ما ترجمت إلى العربية (به مه نه مه به).

رسول الله ﷺ لما فرق كتابه فهو كسرى أبرويز بن العادل أنوشروان وهو صاحب القصر الأبيض بالمدائن المعروف بقصر شيرين[1]، ومعناه الحلوة بالعربية وهي زوجته، وكانت مشهورة بالجمال، والإيوان من عمارة العادل عمّره ليقيم فيه سنّة العدل.

ولأبي عبادة البحتري قصيدة يذكر فيها الأيوان ومآثر الأكاسرة، استخفني حسنها على ذكرها، ثم رأيت أبا العباس عبد الله بن المعتز قد أطنب في استحسانها، وفضل لها البحتري، فعجبت من توارد الخواطر، وزادني ذلك غراماً في إيرادها وهي:

صُنْتُ نَفْسِي عَمَّا يُدَنِّسُ نَفْسِي ... وَتَرفَّعتُ عن جَدَا كلِّ جِبْسِ[2]

وتَمَاسَكْتُ حِينَ زَعْزَعَنِي الدَّهْـ ... ـرُ الْتِماساً مِنْهُ لِتَعْسِي ونَكْسِي[3]

بُلَغٌ مِنْ صُبَّبَةِ العَيْشِ عِنْدِي ... طَفَّفَتْها الأيَّامُ تَطْفِيفَ بَخْسِ[4]

وبَعِيدٌ ما بَيْنَ وَارِدِ رَفْهٍ ... عَلَلٍ شُرْبُهُ، وَوَارِدِ خِمْسِ[5]

وكأَنَّ الزَّمانَ أصْبَحَ مَحْمُو ... لاً هَوَاهُ مع الأَخَسِّ الأَخَسِّ

واشْتِرائِي «الْعِرَاقَ» خُطَّةُ غَبْنٍ ... بعْدَ بَيْعِي «الشَّآمَ» بَيْعَةَ وَكْسِ[6]

لا تَرُزْنِي مُزَاوِلاً لاخْتِبارِي ... بَعدَ هَذي الْبَلْوَى فَتُنْكِرَ مَسِّي[7]

وقَدِيماً عَهِدْتَني ذَا هِنَاتٍ ... آبِياتٍ عَلَى الدَّنِيَّات شُمْسِ[8]

---

(١) ان القصر الأبيض بالمدائن ـ ضواحي بغداد ـ هو قصر كسرى وقد بقي منه جزء يدعى بـ (إيوان كسرى) ما زال ماثلاً إلى الآن.
أما قصر شيرين فهو في منطقة تدعى بهذا الاسم تقع في إيران على مقربة من الحدود العراقية ـ الإيرانية من جهة بغداد ولعل الخلط من هذين الموقعين وقع سهواً.

(٢) الجبس: الجبان واللئيم والفاسق والثقيل الروح.

(٣) النكس: انقلاب الرجل على رأسه، أو سقوطه كلما نهض.

(٤) البلغ: جمع بلغة وهي ما يتبلغ به في العيش ولا يفضل منه شيء.
الصبابة: البقّة من الماء. التطفيف: النقص في الوزن والتقدير.

(٥) الرفه: طيب العيش ولينه. ويقال: رفهت الإبل أي وردت الماء متى شاءت.
العلل: ورود الماء ثانية بعد الورود الأول الذي يسمى النهل.
الخمس: من أظماء الإبل وهي أن ترعى ثلاثة أيام وترد في اليوم الرابع.

(٦) الغبن: الخداع في البيع والشراء. الوكس: النقصان والخسارة.

(٧) رازه يروزه: جربه.

(٨) الهنات: خصال شر؛ الشمس: العنيدة التي لا تذل.
الشُمسُ: العنيدة التي لا تذلّ.

ولـقـد رَابَـنـي نُـبُـوُّ ابْـنِ عَـمِّـي ... بَـعْـدَ لِـيـنٍ مِـنْ جـانِـبَـيْـهِ وأُنْـس[1]

وإذا مـا جُـفِـيـتُ كُـنْـتُ جَـدِيـراً ... أنْ أُرَى غَـيْـرَ مُـصْـبِـحٍ حَـيْـثُ أُمْـسِـي

حَـضَـرتْ رَحْـلِـي الْـهُـمـومُ فَـوجَّـهْـ ... ـتُ إلـى «أبْـيَـضِ الـمَـدَائِـنِ» عَـنْـسِـي

أتَـسـلَّـى عـن الـحُـظُـوظِ، وآسَـى ... لِـمَـحَـلٍّ مِـنْ «آلِ سَـاسَـانَ» دَرْسِ[2]

أذْكَـرَتْـنِـيـهِـمُ الـخُـطُـوبُ الـبـوادي ... ولَـقَـدْ تُـذْكِـرُ الـخُـطُـوبُ وتُـنْـسِـي

وَهُـمُ خـافِـضُـونَ فـي ظِـلِّ عـالٍ ... مُـشْـرِفٍ يَـحْـسِـرُ الـعُـيـونَ ويُـخْـسِـي[3]

مُـغْـلَـقٍ بـابُـهُ عَـلَـى «جَـبَـلِ الـفَـتْـ ... ـحِ» إلـى دَارَتَـيْ «خِـلَاطَ» و«مُـكْـسِ»[4]

حِـلَـلٌ لـم تَـكُـنْ كـأَطْـلَالِ «سُـعْـدَى» ... فـي قِـفَـارٍ مِـن الـمـهـامـهِ مُـلْـسِ[5]

وَمَـسـاعٍ، لَـوْلاَ الـمُـحَـابَـاةُ مِـنِّـي، ... لم تُـطِـقْـهـا مَـسْـعَـاةُ «عَـنْـسٍ» و«عَـبْـسِ»[6]

نَـقَـلَ الـدَّهْـرُ عَـهْـدَهُـنَّ عـن الـجِـدَّ ... ةِ حـتـى رَجَـعْـنَ أنْـضَـاءَ لُـبْـسِ[7]

فـكـأَنَّ «الْـجِـرْمَـازَ» مِـنْ عَـدَمِ الأُنْـ ... ـسِ وإخْـلَالِـهِ بَـنِـيَّـةُ رَمْـسِ[8]

---

(١) النبوّ: الجفوة والنفور.

(٢) آل ساسان: نسبة إلى ساسان من بني كشتاسب من الفرس، أسسوا المملكة الساسانية.

(٣) يحسر: يرد البصر كليلا.
يخسي: يخسى (مخففة الهمز) بمعنى يحسر. وفي القرآن الكريم «ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حير» سورة الملك: الآية ٤.
خافضون: ناعمو العيش.

(٤) الدارة: المحل بجمع البناء والعرصة، كل أرض واسعة بين جبال، ما أحاط بالشيء.
خلاط Chelat: ويقال أخلاط، وهي قصبة أرمينية الوسطى، كانت على الشاطىء الغربي لبحيرة وان، ويطل عليها الجبل العظيم كوه سيبان.
مكس: موضع بأرمينية من ناحية البسْفر جان إلى قرب قاليقلا (أرزن الروم).

(٥) حلل جمع حلة (بكسر الحاء): منازل.
اليابس: القفار. الملس: التي لا نبات فيها.

(٦) المساعي: المكرمات؛ واحدتها مسعاة.
عنس: قبيلة قحطانية من اليمن.
عبس: قبيلة عدنانية من نجد.

(٧) جدّة الشيء: حداثته. الأنضاء: جمع النضو وهو المهزول من الحيوان؛ ومن الثياب: البالي.
اللبس: الاستعمال؛ مصدر «لبس الثوب».

(٨) وفي ديوان البحتري: «الجرماز».
والجرماز: قال ياقوت هو «اسم بناء عند أبيض المدائن ثم عفا أثره، وكان عظيماً».
الأنس: يجوز فيها كسر الهمزة بمعنى الخلو من السكان، ويجوز الضم بمعنى الوحشة.
الإخلال: الترك والغياب؛ من أخل بالمكان أي غاب عنه وترك.

لـو تَـرَاهُ حـسـبـتَ أنَّ الـلَّـيَـالِـي — جَـعَـلَـتْ فِـيـهِ مَـأْتَـمـاً بَـعْـدَ عُـرْسِ

وَهْـوَ يُـنْـبِـيـكَ عـن عَـجَـائِـبِ قَـوْم — لا يُـشَـابُ الْـبَـيَـانُ فِـيـهِـمْ بِـلَـبْـسِ (١)

وإذا مـــا رأيْـــتَ صُـــورةَ «أنْـــطَـــا — كِـيَّـةَ» ارْتَـعْـتَ بَـيْـنَ «رُوم» و«فُـرْسِ» (٢)

والـــمَـــنَـــايَـــا مَـــوَاثِـــلٌ، و«أنُـــو شَـــرْ — وانْ» يُزْجِي الصُّفوفَ تَحْتَ الدِّرَفْسِ (٣)

في اخْـضِـرَارٍ مـن الـلِّـبَـاسِ عـلـى أَصْـ — فَـرَ يَـخْـتَـالُ فـي صَـبِـيـغَـةِ وَرْسِ (٤)

وعِـــرَاكُ الـــرِّجَـــال بَـــيْـــنَ يَـــدَيْـــهِ — في خُفُوت مِنْهُمْ وإغماض جَرْسِ (٥)

مِـنْ مُـشـيـحٍ يَـهْـوِي بِـعَـامـلِ رُمْـحٍ، — ومُـلِـيـحٍ مـن الـسِّـنَـانِ بِـتُـرْسِ (٦)

تَـصِـفُ الْـعَـيْـنُ أنَّـهُـمْ جِـدُّ أحْـيَـا — ءٍ لَـهُـمْ بَـيْـنَـهُـمْ إشَـارَةُ خُـرْسِ (٧)

يَـغْـتَـلِـي فِـيـهِـم ارْتِـيَـابِـيَ حَـتَّـى — تَـتَـقَـرَّاهُـمُ يَـدَايَ بِـلَـمْـسِ (٨)

قـد سَـقَـانِـي وَلَـمْ يُـصَـرِّدْ «أبُـو الْـغَـوْ — ثِ» عَلَى الْعَسْكَرَيْنِ شَرْبَةَ خُلْسِ (٩)

= البنية: الشيء المبنى: الرمس: القبر مستوياً مع وجه الأرض؛ والأصل فيه التغطية.

(١) اللبس: عدم الوضوح.

(٢) انطاكية: مدينة في شمالي سورية في الحوض الأدنى لنهر العاصي (الأرند Oroes على مقربة من مصبه، وهي الآن من مدن تركيا، وكان القدماء يسمونها أنطيوخيا Antihia.

(٣) يزجي: يسوق. الدرفس: العلم الكبير، معرب من «درفش» بالفارسية.

(٤) الورس: ذكر «اللسان» أنه نبت أصفر باليمن يصبغ به ونباته كالسمسم، وكذلك وصفته المعاجم الأخرى. ولكنها تقول: ثوب وارس وورس أي أحمر. وفي «المعجم الوسيط» أنه نبت من الفصيلة البقلية والفراشة، وهي شجرة تنبت في بلاد العرب والحبشة والهند وثمرتها ترن مغطى عند نضجه بغدد جمراء يستعمل لتلوين الملابس الحريرية لاحتوائه على مادة حمراء. ثم يجيىء في هذا المعجم «أصفر وارس أي شديد الصفرة».
والشاعر يصف هنا الفرس الذي يمتطيه أنو شروان.

(٥) خفوت: سكون صوت. الجرس: الصوت أو خفيه.

(٦) المشيح: الحذر المجد. عامل الرمح: صدره وهو ما يلي السنان دون الثعلب.
المليح: الخائف الحذر؛ يقال ألاح منه أي خاف وحاذر. وأصله: الخوف من شيء له بريق ثم كثر حتى استعمل في محل مخوف.
السنان: نصل الرمح. الترس: صفحة من الفولاذ مستديرة تحمل للوقاية من السيف ونحوه.

(٧) تصف العين: تتخيل من دقة الصورة.

(٨) يغتلى: من الغلو أي يتجاوز الحد ويزيد. تقراهم: تتبعهم.

(٩) لم يصرد: لم يقلل.
شربة خلس: أي مختلسة سريعة.
أبو الغوث: يحيى بن البحتري. ذكره المرزباني في معجم الشعراء وقال: أنه قدم بعد قبل الثلثمائة، وسمع منه وجوه أهلها وعلمائها أشعار أبيه، وأورد له المرزباني أبياتاً في مدح =

مِـنْ مُـدَام تَـظُـنُّـهَـا هِـيَ نَـجْـمـاً ... ضَـوْأَ الـلَّـيْـلَ أو مُـجَـاجَـةَ شَـمْـسِ[1]

وَتَـرَاهَـا إذا أجَـدَّتْ سُـرُوراً ... وارْتِـيَـاحـاً لـلـشَّـارِبِ الـمُـتَـحَـسِّـي[2]

أُفْـرِغَـتْ فـي الـزُّجَـاجِ مِـنْ كُـلِّ قَـلْـبٍ ... فَـهْـيَ مَـحْـبُـوبَـةٌ إلـى كُـلِّ نَـفْـسِ

وَتَـوَهَّـمْـتُ أَنَّ «كِـسْـرَى أَبَـرْوِيـ ... ـزَ» مُـعَـاطِـيَّ، و«الْـبَـلَـهْـبَـذَ» أُنْـسِـي[3]

حُـلُـمٌ مُـطْـبِـقٌ عَـلَـى الـشَّـكِّ عَـيْـنِـي ... أَمْ أَمَـانٍ غَـيَّـرْنَ ظَـنِّـي وحَـدْسِـي؟![4]

وكـأَنَّ «الإيـوان» مِـنْ عَـجَـبِ الـصَّـنْـ ... ـعَـةِ سورٌ فـي جَـنْـبِ أَرْعَـنَ جِـلْـسِ[5]

يُـتَـظَـنَّـى مِـنَ الْـكَـآبَـةِ إذْ يَـبْـ ... ـدُو لِـعَـيْـنَـيْ مُـصَـبِّـحٍ أو مُـمَـسِّـي:[6]

مُـزْعَـجـاً بـالـفِـرَاقِ عَـنْ أُنْـسِ إلْـفٍ ... عَـزَّ، أو مُـرْهَـقـاً بِـتَـطْـلِـيـقِ عِـرْسِ

عَـكَـسَـتْ حَـظَّـهُ الـلَّـيَـالِـي، وبـاتَ الْـ ... ـمُـشْـتَـرِي فِـيـهِ وَهْـوَ كَـوْكَـبُ نَـحْـسِ[7]

فَـهْـو يُـبْـدِي تَـجَـدُّداً وعَـلَـيْـهِ ... كَـلْـكَـلٌ مِـنْ كَـلَاكِـلِ الـدَّهْـرِ مُـرْسِـي[8]

لـم يَـعِـبْـهُ أنْ بُـزَّ مِـنْ بُـسُـطِ الـدِّيـ ... ـبَـاجِ، واسْـتُـلَّ مـن سُـتُـورِ الـدِّمَـقْـسِ[9]

= ابن بسطام الذي كان أبوه يمدحه (ط القدسي ٥٠٢، ط الحلبي ٤٩٣).

(١) المجاجة: الريق، عصارة كل شيء.

(٢) أجدت: أحدثت، المتحسي: الذي يشرب شيئاً بعد شيء.

(٣) البلهبذ: معنى كسرى أبرويز: ذكره ياقوت في الكلام على «قصر شيرين». وشيرين هي حظية كسرى. والفرس يقولون: كان لكسرى أبرويز ثلاثة أشياء لم يكن لملك ولا بعده مثلها: فرسه شبديز، وجاريته شيرين، ومغنيه وعوّاده بلهبذ.

(٤) الحدس: التوهم.

(٥) الجوب: من معانيه الترس، وقد فسر بعض الأدباء هذا البيت بهذا المعنى؛ وليس كذلك لأن (الجوب) مصدر جاب الشيء: خرقه؛ والصخرة نقبها. وفي التنزيل العزيز «وثمود الذين جابوا الصخر بالواد» (٩ الفجر). فالشاعر هنا يشبه القصر بأنه لضخامته كأنه خرق أو نحت في الجبل.

الأرعن: الجبل ذو الرعن وهو أنف يتقدم الجبل. الجلس: الجبل العالي.

(٦) وإخوتها «أن يبدو». يتظنى: يظن.

(٧) المشتري: وهو كوكب سعد؛ ولكن الشاعر يقول أنه انقلب كوكب نحس بما أصاب القصر من مصائب.

(٨) الكلكل: الصدر أو ما بين الترقوتين.

(٩) بز: سلب. استل: انتزع وأخرج كما ينتزع السيف من الغمد.

الديباج: الثوب الذي سداه ولحمته حرير؛ فارسي معرب، أصله «ديوباف» أي نساجة الجن.

الدمقس: الحرير الأبيض. جاء في «المعرب» (١٥١) أنه «القز الأبيض وما يجري مجراه في البياض والنعومة؛ أعجمي معرب. وقد تكلمت به العرب قديماً».

مُشْمَخِرٌّ، تَعْلُو لهُ شُرُفَاتٌ رُفِعتْ في رُؤُوسِ «رَضْوى» و«قُدْسِ»[1]

لَابِساتٌ مِنَ البَيَاضِ فَمَا تُبْـ صِرُ مِنْهَا إلاَّ غَلائلَ بُرْسِ[2]

لَيسَ يُدْرَى أصُنْعُ إنْسٍ لِجِنٍّ سَكَنُوهُ، أَمْ صُنْعُ جِنٍّ لإِنْسِ

غَيْرَ أَنِّي أَرَاهُ يَشْهَدُ أَنْ لَمْ يَكُ بانِيهِ في الْمُلُوكِ بِنِكْسِ[3]

فكَأنِّي أرَى المَرَاتِبَ والقَوْ مَ إذَا ما بَلَغْتُ آخِرَ حِسِّي

وكأَنَّ الْوُفُودَ ضَاحِينَ حَسْرَى مِنْ وُقُوفٍ خَلْفَ الزِّحَام وخِنْسِ[4]

وكأَنَّ الْقِيَانَ وَسْطَ المَقَاصِيـ ـرِ يرخصنَ بَيْنَ حُوٍّ ولُعْسِ[5]

وكأَنَّ اللِّقَاءَ أَوَّلُ مِنْ أَمْـ ـسِ، وَوَشْكَ الرحيلِ أَوَّلُ أَمْسِ

وكأَنَّ الَّذي يُرِيدُ اتِّبَاعاً طامِعٌ في لُحُوقِهِمْ صُبْحَ خَمْسِ

عُمِّرَتْ للسُّرُورِ دَهْراً، فَصَارتْ للتَّعَزِّي ديارهُمْ والتَّأَسِّي[6]

غَيْرَ نُعْمى لأَهْلِهَا عِنْدَ أَهْلِي غَرَسُوا من زكَائِها خَيْرَ غَرْسِ[7]

---

(١) المشمخر: العالي.
الشرفة من القصر: ما أشرف من بنائه.
رضوى: جبل بالمدينة، وهو من ينْبع على مسيرة يوم، ومن المدينة على سبع مراحل، ميامنه طريق مكة، ومياسره طريق البر، يرى لمن كان مصعداً إلى مكة، وهو على ليلتين من البحر، وهو جبل منيف ذو شعاب وأودية.
قدس: جبل شامخ ينقاد إلى المتعش بين العرْج والسقيا ثم ينقلع «كتاب أسماء جبال تهامة وسكانها لعرام بن الأصبغ/١٧».

(٢) قلائل: جمع قليلة وهي الشعر المجتمع.
سبايخ: جمع السبيخة وهي القطعة من السبيخ وهي ما تناثر أو انتقش من الريش أو القطن ونحوهما.
غلائل: جمع غلالة وهي شعار يلبس تحت الثوب.
البرس (بقسم الباء وكسرها): القطن.

(٣) النكس: الضعيف الدنيء الذي لا خير فيه والمقصر عن غاية النجدة والكرم.

(٤) الضاحي: البارز للشمس. حسرى: جمع حسير، وهو المعي الخنس: المتأخرون.

(٥) القيان: الإماء المغنييات؛ واحدتهن قينة.
المقاصير: جمع المقصورة وهي الدار الواسعة المحصنة، والحجرة من حجر الدار.
الحو: ذوات الحوة وهي سواد إلى الخضرة أو حمرة إلى السواد، وهي صفة للشفاء.
اللعس: ذوات اللعس وهو سواد مستحسن في الشفاء.

(٦) رباعهم: دورهم، محلاتهم، منازلهم.

(٧) الزكاء: النموّ.

أيَّـدُوا مُـلْـكَـنَـا، وشَـدُّوا قُـوَاهُ   بِـكُـمَـاةٍ تَـحْـتَ الـسَّـنَـوَّرِ حُـمْـسِ[(١)]

وأَعَـانُـوا عَـلَـى كَـتَـائِـبِ «أَرْيَـا   طَ» بِـطَـعْـنٍ عَـلَـى الـنُّـحُـورِ ودَعْـسِ[(٢)]

وأَرَانِـي مِـنْ بَـعْـدُ أكْـلَـفُ بـالأَشْـ   ـرَافِ طُـرًّا مِـن كُـلِّ سِـنْـخٍ وأُسٍّ[(٣)]

أجاد، أجاد، وقلد بهذا العقيان أعناق أولئك الجياد.

وأشار بالأربعة الأبيات الأخرى إلى قصة سيف بن ذي يزن واستنجاده بكسرى على الحبشة لما ملكوا اليمن، والواقعة شهيرة.

وأبو عبادة من طيء، وهم من اليمن أي من ولد كهلان بن سبأ، والله أعلم.

[٦٥]

الفقيه، الحسين بن علي الصنعاني الشهير بالوادي الأديب[(*)].

فاضل لم يبقِ للاحقه حَظًّاً في الحلبة، ولا ترك في كأس الرقة لصاد إليه شربه، فهو إذا جال في متن الكميت العربي، أين المرتاب أن الحسين في المعجز ابن نبي، وإن صدع بالموشّح تنزّهت في النور المفتح لم يلحقه بن سنجر[(٤)] في رقّة وانسجام، وما يحيى بن عيسى إلاّ كأبيه مطروح إذا جاراه في كلام، فلو سئل

---

(١) الكماة: جمع الكميّ وهو الشجاع أو لابس السلاح لأنه يكمى نفسه أي يسترها بالدرع والبيضة.
الحمس: الشجعان.
السنور: كل سلاح من حديد، وذكر الجواليقي وحده في كتابه «المعرب» (٢٠٠) أن السنور معرب، وهو الدروع.

(٢) الدعس: الدوس والطعن.
أرياط: القائد الحبشي الذي غزا اليمن.

(٣) السنخ: الأصل والمنبت.
الأس (بفتح الهمزة وكسرها وضمها): أصل البناء.
المعارف لابن قتيبة ٢٣٤، معاهد التنصيص ١١٣، الموشح ٣٤٧، تاريخ بغداد ١/١٢٩، الموازنة ٢/١٦٢ ـ ٢٣٤، معجم البلدان/ مادة الديوان، معجم الأدباء ١٩/٢٥٥، نهاية الأرب ١/٤١٢، القصيدة كاملة في ديوان البحتري ٢/١١٥٢ ـ ١١٦٢.

(*) ترجمته في: خلاصة الأثر ٢/٩٩ ـ ١٠١، وفيه وفاته سنة ١١٧٦.

(٤) كذا في الأصل.

عنه وعن دالية نفسه أيهما أنفع للصادي، لقال يا فرسان القريض هي رامة فخذوا يمين الوادي، فإنه مني أشعر ولجلب القلوب أسحر، ملك عنان الأدب لأنه الحسين، وهو أجمل الفضل فأنبه المتنبي بحسن الشعر فما ظنّك بأبيه منبع العين، وهو ممن ثنى الأعين بأدبه إلى اليمن تلك الأعوام، وأقام بعلم معالم الأُفق من الكواكب الأعلام.

وكان ظريفاً، أسمر اللون، ضخماً في سكينة ووقار، وأما ذكاه فيشتعل ولا لهب النار، وكان فيه غفلة أحياناً، وله في النجوم السمر يد بيضاء.

أخبرني الفقيه علي بن مطير الخيّاط وقد عاصره: أنه صعد حيدرأغا ـ الآتي ذكره بعده[1] ـ إلى جبل ذي مرمر صحبه السيد الإمام المهدي أحمد بن الحسن قل خلافته فقال حيدر بديهاً:

أحـمـد مـن أوصـلـنـا إلـى هـذا الـمـحـل[2]

فقال الوادي:

وأطـــلـــع الـــوادي إلـــى رأس الـــجـــبـــل

فأجاد إلى غاية وأجاد جائزتهما كعادته.

وشعر الوادي سائل الخير إلى الغاية فمنه:

في شجو عيني أنباء على شجني ... وحال ذي الحب لا يخفى على الفطنِ
فإن نكرت غرامي فيك متّهماً ... هوى سواك فخذ في البحث وامتحنِ
استخبر القلب ينبيك الحقوق به ... فربما وشت الأوطان بالسكنِ
واستغن بالشاهد الذاتي ضناي إذا ... لم تغنِ من أدمعي بالعارض الهتنِ
أما ترى كبدي السوداء تفرع من ... حمراء عيني في الصفراء من وجني
ونار شوقي لا ينفكّ لاعجها ... يذكي بلعجة ذكرى سالف الزمنِ
أيام كنت وصرف الدهر ممتنع ... عني ومقلته الحوصاء لم ترني
وللسعادة حظ في قضا وطري ... لا تستزاد ولبث في قضا وطني
أخلقت حيّة جسمي في هواك أسًى ... وما منحت بها شيئاً سوى المحنِ

---

(١) ترجمه المؤلف برقم ٦٦.

(٢) الأصح: «لذا المحل» حسب العروض.

وصنت حسنك صون الجسم ناظره ... ولم أقل عبث التبريح بي فصنِ
وأنت من فزعات الوهم في حرم ... خلوٌ ومن فزعات الوهم في جننِ
وما بطرفك من غنج ومن كحلٍ ... للناظرين ومن سحرٍ ومن وسنِ
وما بوصلك للملحوظ من فرحٍ ... وما بقطعك للمدحوض من حزنِ
لو لم يكن أصل دائي فرع معرفتي ... إيّاك فالحسن والإحسان في قرنِ
لساءني بك قول الغير من أسفٍ ... يا ليت معرفتي إيّاك لم تكنِ

الشعر متسق، والمعاني منتظمة، وأثر التمكن ظاهر، ولفظ الغير بإدخال لام التعريف ليس من لغة العرب، بل يستعمله من غلب عليه العجمة من علماء العجم كسعد الدين التفتازاني والقطب وغيرهما، ولفظ «ينبيك» بعد الأمر، كان الواجب الجزم، إلاّ أنه قد جاد في الفعل المعتلّ المتصل بالضمير خاصة رفعه بعد الأمر قليلاً، فيغفر له ذلك لإجادته الشعر.

وللوادي أيضاً في السيد أبي الحسين علي بن المؤيد بالله أمير صنعاء:

صاح قد جاوز الغرام نصابه ... فدع اللوم أو أموت صبابه
إنّما يحسن المدام لصبٍّ ... بعد تجويز عاذليه انقلابه
في سقيم الجفون والخصر مملو ... ح السجايا منهم كثير الدعابه
لاح للعين وجهه في جعيد ... وبودّي لو حلَّ عنه نقابه
وأراني من النهار جبيناً ... ومن الليل طرّة وذوابه
وهبتني جفونه رقّة الجسم ... ورقراق دمعة سكّابه
وسبتني قلبي المشوق وروحي ... والنهى الوهّابة النهّابه
وتجلّت بالإسوداد ولا تنـ ... ـكر حالي إذا حكتها كآبه
وصفها بالسقام غير عجيبٍ ... صادفت في عيونه أسبابه
مثلما صادفت أكفّ جمال الدين ... بحراً منه ففاضت سحابه
الحميد المجيد من لو بغى منـ ... ـزل كيوان موطناً لأصابه
ملك ترتجي الملوك عطاه ... كما إنها تخاف عقابه
لا تحاكي البحور إلاّ يديه ... ويضاهي الجمان إلاّ خطابه
بين شمس الضحى وطلعته ما ... بين كفّيه والحيا من قرابه
سيّد ذكر فضله قربات ... فاضلات لدى الإله مثابه
إن تلوت اسمه على الفقر أقصا ... ه وأخلى مكانه وأطابه

وإذا ما تلوته لسقيم ... كان في برئِهِ سريع الإجابة

سرح الفكر في رياض مغانيه ... ووفّاه في المديح حسابه

وضع اللفظ من نضار على را ... س معاليه قبلة وعصابه

وابن بيت الثناء فيه على الضمّـ ... ـة وافتح لجبر كسرك بابه

ضيغم يبتدي الأمور برأيٍ ... تستعير النجوم منه الإصابة

وبيأس أستغفر الله لو مرّ ... بقلب من الحديد أذابه

ليس عيب فيه سوى أنه فيـ ... ـما خلى الوحي بالنبيّ مشابه

إن ترد تصدق المقال فقل فيـ ... ـه وإن شئت المجد فاقصد جنابه

كم له من قضية تدع الناس ... سكارى محبّة أو مهابه

إن أشبهه بالبجور نوالا ... وبشمس الضحى سناً ونجابه

وببدر السما جمالاً وبالأنـ ... ـجم رأياً وبالأُسود غلابه

لامني فضله وعدَّني بالناس ... بزعمي في الفرقة الكذّابه

غُد عن حلم أحنف وندى الطا ... ئي ومن فيهما أطال كذابه

واطرح قول من يرى قدم أمر ... واجعل الصمت من هوان جوابه

واعد ما يقال عن مدحهم فيه ... تجده والله يهديك دابه

يا جمال الهدى إليك مقالاً ... يحقر الدرّ أن ينوب منابه

فضله في القريض فضلك في الناس ... فمن شاء أن يعيبك عابه

كان بين العصر والفجر تشبيب ... ومدحاً كما ترى وكتابه

لا أريد الجزا عليه واقبله مني ... بغير الدعا عليه إثابه

فتفضَّل عليَّ واقبله مني ... مضنياً مرسلاً عليه حجابه

وابقَ واسْلَمْ على الليالي لودّي ... فيك صدق وللدعاء إجابه

قلت: ما هذا إلاّ روض نادي، وما هذه إلاّ رامة، فقل للشعراء قد غُلبتم فخذوا يمين الوادي، ولعمري لمن مدح بهذا الشعر فإنه فاته ما فاته لرابح، وإن شاعراً سبكه بل رَصَّعه نجوماً في سماء الفصاحة يتصرّف بالشعراء ويحول بقناة السماك الرامح، وهذه من خرائد بنات الأفكار المحجّبات اللواتي شمسن فقلما تراهن بكفو مغرسات، وإني لأغبط قائلها ومن قيلت فيه، وما ثوابه بالغ، ولو حشيت دراري الأثير في فيه.

قال القاضي شمس الدين أحمد بن ناصر، رحمه الله[1]: أنه قد روي أنه قالها في السيد أبي يحيى محمد بن الحسن بن المنصور بالله، وإنه قال له حين أكملها: ما أعجب هذا الشعر الرقيق من هذا البدن الغليظ.

قلت: لكن جمال الدين لا يطلقه أهل اليمن إلاّ على علي، وليست لهم ألقاب معينة، لأن القوم تقل عنايتهم بالمفاخر والذكر الجميل، وليس فخرهم في الغالب إلاّ باللباس الجيّد، وركوب الخيول بالحلية إلاّ من عرف سير الكحلاء، وكيف بنو آدم، وقليل ما هم.

وكان للوادي للمذكور إلمام بعلم الحرف، وغالب أهل هذا الفن البلاهة، وله يد جيّدة في علم النجوم والرمل، وشعره كثير وأدبه، وهذا الدليل روض، ولولا أنه الوادي لقلت وغدير.

ومات تقريباً سنة ثمانين وألف بصنعاء، رحمه الله.

والوادي: إضافة إلى وادي ضهر، عرف بذلك. وقد مضى تعريف الوادي المذكور.

[٦٦]

الأمير أبو محمد، حيدر أغا بن محمد الرومي الأصل، اليمني الدار والوفاة، الشاعر المشهور.

فاضل سبق في تلك الحلبة، وما ترك للصائح المحكي همساً ولا جلبة، لم يكن برق شعره يخلب، ولم يقدّر حسن شعره ولم يكتسب نسج للملاح به وشيئاً عبق، وما كان قبله ينشر، وأخجل ابن ربيعة فما ترك لعمر فضل حيدر، له شذرات أخذت الحاسد في نحره فهي يتايم لا توجد إذا نظم إلاّ ببحره:

شرك العقول ونزهه ما مثلها ... للمطمئن وعقله المستوفرِ

لم ندر أعربية أم موشّحة أملح، وعلى الحقيقة فجميع شعره بالحسن موشّح، فهو الذي أجاد في الفَنّيْن وقال سامعه لقد جاء حيدر بالحسن والحسين

---

(١) ترجمه المؤلف برقم ٢٣.

معان من الرقة تسيل، وألفاظ منها النسيم عليل، وأصله من الأجناد الروميّة الذين لم يعودوا مع من عاد منهم لما غلبهم الإمام المنصور وولده الإمام المؤيد، ومعنى الأنما بالرومية نقيب العسكر، وكان من فرسان الروم.

وأخبرني شيخنا شرف الدين الحسن بن الحسين بن المنصور بالله رحمه الله تعالى، إنه كان يراه بمدينة ذماء، وقال: كان أسمر يلبس زي الجند، كثير الفكرة والوحدة، عليه سكينة ووقار، وكان ظريفاً، وكانت له يد في الموسيقى وضرب العود لنفسه، وشعره العربي قليل لقلّة حفظه وتدوينه، فمنه في اختصار بيتي إبراهيم الغزي الشاعر المشهور في المدح:

شعرك لا تضعه	ولا تُرى متغزلا
أتقول قافية وقد	خلت الديار فلا ولا

وبيتا أبي إسحاق الغزي[1] هما:

قالو هجرت الشعر قلت ضرورة	باب الدعاوى والبواعث مُغلقُ
خلت الديار فلا كريم يرتجى	منه النوال ولا مليح يُعشقُ

ولهما ثالث.

وما أظرف قول أحد شعراء الريحانة:

يقولون لي أرخصت شعرك في الورى	فقلت لهم من عدم أهل المكارم
أجزت على شعري الشعير وإنه	كثير إذا حصلته من بهائمِ[2]

صدق والله، فإني أنا أجزت على شعري الشعير، فتمثلت وتأسّيت بقوله وحاله رحمه الله تعالى.

سمعت بعض الناس يحكي هذه الأيام: إن الفقيه سعيد السمحي الشاعر ـ الآتي ذكره[3] ـ مدح الخزان بقصر صفا وهو السيد عبد الله الحلي فأمر له بثلاثة أرطال من شعير عن قصيدة. ولهذا تفرّس السرّاج الورّاق رحمه الله تعالى فقال:

---

(١) مرّت ترجمته بهامش سابق.

(٢) لم أعثر عليه في ريحانة الألبا.

(٣) ترجمه المؤلف برقم ٨٢.

زعَموا لبيداً قال في شعر له | وبقيت في خلف كجلد الأجربِ
ثم انتهى الداء العضال فبعدنا | بلغ الجذام وعصرنا عصر وبي

فهؤلاء أهل الجذام أراح الله منهم.

ومن شعر حيدر في مرثية غلام مليح يعرف بابن تاج الدين:

لو لنفس تكون نفساً فداءُ | لفداك العذول والرقباءُ
يا فقيداً قد كان فينا كريم | نحن قوم بمثله بخلاءُ
كان تاجاً عليه إكليل حسن | زانه منه رونق وبهاءُ
سلبته أيدي المنون علينا | وأتاه إلى فناء الفناءُ
قلت لما رأيت قدّك غصناً | وهو في ذات أربع ملقاءُ
أو لهفي على اعتدال قوام | عانقته برغمي الحدباءُ
وبنفسي شرط نجدك ما كانَ | له الترب يا حبيبي جزاءُ
كنت تأوي القلوب حيّاً فشقت | لك في الموت قلبها الشهباءُ
بعد ذاك الغنا من كل حسن | أيها الناس أنتم الفقراءُ
ثم هبنا قرير عين فمنّا | كلّ عين من البكا مدّاءُ
لك ما شئت عند ربك ياليت | لنا من تصبّر ما نَشاءُ
لك منّا الهنا بجنات عدنٍ | ولنا فيك يا حبيب العزاءُ

تأمّل هذه الرقّة وما ضمن المعاني من الدقّة، فالاعتدال والحد ما بعد التاج والإكليل والشرط والجزاء والغناء والفاقة والقره والرمد، مع الانسجام الذي لا يقوى عليه إلاّ من قلّده الأدب بإكليله واجتهد، وقد جاء وصف كل والفصيح صفة ما يضاف إليه، وكان حيدر يأنس بهذا الغلام.

وحكى الفتح بن خاقان في قلائد العقيان: إنه كان بصفّة الجزيرة الخضراء بالأندلس أيكة يانعة، وكان الأديب أبو إسحاق إبراهيم بن خفاجة[١] يقعد هو ومن يهواه لديها ويوسدان خدودها أبرديها، فمرّ بها ومحبوبه قد طواه الردى، ولواه عن ذلك المبتدى، فتذكّر ذلك العهد وجماله، وأذكر صبره لفقده واحتماله، فقال:

---

(١) مرّت ترجمته بهامش سابق.

ألا أذكرتني العهد بالأنس أيكة | فأذكرتها نوح الحمام المطوّقِ
وأكببت أبكي بين وجد أناخ بي | حديث وعهد للشبيبة مخلقِ
وأنشق أنفاس الرياح تعلّلاً | فاعدم فيها طيب ذاك التنشّقِ
ولما علت وجه النهار كأنّه | دارت به للشمس نظرة مشفقِ
عطفت على الأحداث أجهش تارة | وألثم طوراً تربها من تشوّقِ
لقد صدعت أيدي الحوادث بيننا | فهل من تلاقٍ بعد هذا التفرّقِ
وإن يك للخلين ثم التقاؤهُ | فياليت شعري كيف أو أين نلتقي
فاعزز علينا أن تباعد بيننا | فلم يدر ما ألقى ولم أدر ما لَقِي

وللأمير حيدر، وقد صرف بعض الولاة إلى بنيه عسكراً بحبله على عادتهم في ذلك:

منزلي منزل السعادة والـ | أفراح والأنس والصفات العليه
لم أمرتم بصرفه وهو مبني | وكذا العدل فيه والعَلَميه

وما أحسن قول القائل في التوجيه بالموّال:

سمعتها وهي داخل دارها بالصحنِ | تنشد رمل طحنت قلبي المعنى طحنِ
يا ليتها مع تغنيها وطيب اللحنِ | ترفع أجر ودع يدخل على اللحنِ

والآخر أيضاً فيه:

قالت لها اختها قاصد تسمعنا | ما النحو قالت لها نحنا بأجمعنا
للرفع والنصب أنا وأنت ومن معنا | للجرّ والروح حرف جاء للمعنى

والتوجيه والتورية في القطعتين ظاهر.

وللأمير حيدر دوبيت أجاد فيه مع التورية وهو:

أفدي رشأ به القلوب مفتونه | كالنون له حواجب مقرونه
في الغيد سيوف لحظه أشهرها | للفتك وقال إنها مسنونه

ومن المنسوب إليه، أنشدنيه له الفقيه علي بن مطير الصنعاني الخيّاط وهو راوية لشعره:

لا تحسب الشمس في ذا اليوم طالعة | ولا تسل أين وارت وجهها الحسنا

بالأمس قد غربت صفراء أحسبها ماتت وهذي السما تبكي لها حزنا[1]

وهو مأخوذ من قول القاضي الأرجاني[2] [من الكامل]:

لـمّـا رأيـتُ الـنّـجـمُ سـاهٍ طَـرْفَـهُ والأُفْـقُ قـد أَلـقَـى عـلـيـه سُـبـاتـا
وبـنـاتُ نَـعْـشٍ فـي الـحِـدادِ سـوافـرٌ أيـقـنْـتُ أنَّ صَـبـاحَـهـم قـد مـاتـا

وله في انفتاح نور الكاذي بلمع البرق:

أرى الـكـاذي لا يـبـديـه إلاّ خـفـوق الـبـرق فـي داجـي الـدجـنـه
إذا مـا سـلَّ فـي الآفـاق سـيـفـاً بـدت فـي الـروض لـلـكـادي أسـنّـه

ومن عجائب الكاذي أن طلعه لا ينفتح إلاّ إذا استصبح بشمعة البرق تحت ستور الغمائم، وزهر اللوبيا لا ينور إلاّ إذا جلت له القمر جبينها المعشوق.

وله مما جنا في رجل يلقب بالمسجد:

سـمّـوه فـيـنـا مـسـجـدا رشـأ كـحـيـل الـطـرف أحـوزْ
يـا حـبّـذا مـن مـسـجـد قـد لـذَّ فـيـه الـمـؤخّـرْ

وله أيضاً فيه:

سـمّـوه فـيـنـا مـسـجـدا رشـأ يـفـوق الـظـبـي لـطـفـا
فـجـعـلـت فـيـه تـقـرّبـاً مـنّـي لـه الأحـلـيـل وقـفـا

سمعت له بيتاً واحداً فزدت له أولاً من نظمي، وهو فيمن اسمه الجامد:

---

(١) ديوان الارجاني ١/هـ ٢٥٩.

(٢) هو أبو بكر أحمد بن محمد بن الحسين الارجاني، نسبة إلى أرجان من بلاد خوزستان، وهو عربي الأصل من الأنصار. ولد سنة ٤٦٠هـ. كان فقيهاً شاعراً وفي شعره رقّة وحكمة، وهو القائل: ـ

أنـا أشـعـر الـفـقـهـاء غـيـر مـدافـع فـي الـعـصـر أو أنـا أفـقـه الـشـعـراء

تولى نيابة القضاء بخوزستان، وتستر، وعسكر مكرم. وكان في صباه بالمدرسة النظامية بأصبهان. توفي بتستر سنة ٥٤٤هـ. من آثاره ديوان شعره جمعه ابنه.

ترجمته في: وفيات الأعيان ١/١٥١ ـ ١٥٥، ومعاهد التنصيص ٢/٥، والنجوم الزاهرة ٥/٢٨٥، شذرات الذهب ٤/١٣٧، والكنى والألقاب ٢/١٦، وهامش خريدة القصر ـ القسم العراقي ١/ ١٤١، أنوار الربيع ١/هـ ١١٩، المنتظم ١/١٣٩، الاعلام ط ٤/١/٢١٥.

بــــي غـــــزال ألان قـــــدا زنـــده فـــي الـــحـــســـن واري[١]

لـــيـــت داري مـــنـــه تـــدنـــو وأرى الـــجـــامـــد جـــاري

وقد جاء المنقوص في حالة النصب مسكن الياء.

وله في طبّال:

وشـــادن يـــكـــفـــل طـــبـــلاً لـــه ويـــلـــوي الـــســـيـــر عـــلـــى عـــاتـــقـــه

يـــشـــن غـــارات الـــهـــوى مـــشـــرعـــاً ويـــضـــرب الـــطـــبـــل عـــلـــى عـــاشـــقـــه

وكتب إليه الشيخ إبراهيم الهندي وكنّاه بابنه الأكبر:

يـــا أبـــا أحـــمـــد لـــقـــد جـــرت لـــمـــا صـــاد قـــلـــب الـــخـــلـــيـــل مـــنـــك كـــلـــيـــمـــا

قـــد بـــلـــغـــتـــم إلـــى مـــنـــاء ولـــكـــن لـــم تـــجـــوزوا مـــقـــام ابـــراهـــيـــمـــا

فكتب إليه مراجعاً وكان مقيماً بذهبان العنب:

أنـــا فـــي كـــعـــبـــة الـــمـــحـــاســـن بـــاقٍ فـــي مـــقـــام وحـــقَّ لـــي أن أقـــيـــمـــا

يـــوســـفـــي الـــجـــمـــال مـــن نـــار خـــدّيـــه قـــد رأيـــنـــا احـــتـــراق إبـــراهـــيـــمـــا

وله في الترصيع في دوبيت:

انظر مسوّد الطرف خلي الأخضر كالأزرق من فوق الرديني الأسمرِ

والشهب لقد[٢] أجرى دمي أبيضه أحمر قاني من فوق خدّي الأصفرِ

وله أيضاً:

وخـــل قـــال لـــمـــا زار قـــبّـــل يـــديَّ لـــتـــشـــتـــفـــي مـــن نـــار بـــيـــنـــي

فـــقـــبَّـــلـــنـــاه فـــي جـــيـــد وخـــدٍ وكـــان الأمـــر مـــن فـــوق الـــيـــديـــنِ

وله في زنبق وفيه توجيه:

وزنـــبـــق مـــجـــلـــس بـــيـــن الـــنـــدامـــى كـــشـــيـــخ حـــاز لـــطـــفـــاً فـــي وقـــارِ

يـــريـــك إذا تـــلـــى إنـــا فـــتـــحـــنـــا عـــمـــود الـــفـــجـــر فـــي وســـط الـــنـــهـــارِ

---

(١) نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس ١/٢٩٢، ديوان الأرجاني ١/٢٥٩.

(٢) في هامش الأصل: «قلت: والمحفوظ قبله.

رشـــأ ســـقـــوه جـــامـــد وعـــلـــيـــه دمـــع جـــاري

.. الخ».

وحيدر ممن رزق السعادة في الموشّح الرقيق الغضيض، ولم يترنّم الشادي بغير قوله فيه برغم أنف معبد والعريض، فمن موشحاته التي تقوم للحن بالحجة، وتشبح في الأنس ابن جنّي إذا فاخرها بعربيّته شجه:

شـقـيـق الـبـدر بـرّاق الـجـمـانِ ... كـحيـل المـقلة الظبـي الـمـنطقْ
خـطـر يـسـحـب ذيـول الـتيـه عـانـي ... ومـاء الـحـسـن فـي خـدّه تـرقـرقْ
مهفـهف ليس لـه في الـحسن ثاني ... وهـو لـلـنـيّـريـن ثـالـث مـحـقّـقْ
خـطـابـه إن نـطـق فـاق الـمـثـانـي ... وأنـسـى بـالـذي يـرخـى ويـخـرقْ
سـبـانـي مـنـه يـا إخـوانـي ... ورش فـي غـنـج فـتـانِ
مـع تـفـتـيـر الأعـيـان
وقـدّه فـي تـعـطـافـه أرانـي ... قـضـيـب الـبـان إلا أنـه أرشـقْ
ولـولا سـيـف عـيـنـيـه الـيـمـانـي ... حـمـا قـده سـجـع فـيـه الـمـطـوّقْ

❀ ❀ ❀

ملق حالي الدلال حلو المراشفْ ... حكى بدر السماء بهجة ورفعه
مـهـلا احـومـه لـلـروح خـاطـفْ ... ولـه يـا نـاس فـي الـتـفـتـيـر صنـعـه
غـرامـه قـد تـرك لـي دمـع واكـفْ ... يـسيـل فـي الـخـد دمـعـة بـعـد دمـعـه
مـلـك روحـي فـذا حـسـنـه سـبـانـي ... وشـنـف كـاس حـبـه لـي وأدهـق
نـهـب روحـي بـجـهـلـه ... قـبـال الـنـاس مـثـلـه
فـمـا عـاديـتـا[1] أقـول لـه
ولـمـا خـاف فـي الـعـشـق جنـانـي ... وأيـقـن إنـنـي فـي الـحـب سـأزعـقْ
أمـر عـيـنـيـه تـرسـل قـصـد عـانـي ... سـلاسـل مـن عـذاره لـي وأوثـقْ

❀ ❀ ❀

مـمـنّـع قـلـدوه الـحـسـن تـقـلـيـدْ ... رشـيـق بـالـمـلاحـة قـد تـفـرّدْ
بـديـع الـحـسـن فـي خـديّـه تـوريـدْ ... فما أحلى الورد في الخدِّ المعسجدْ
تـعـال يـا عـاذلي فـيـه يـاعـى صدْ[2] ... وعـوّذ طـلـعـتـه واذكـر مـحـمـدْ

---

(١) كذا في الأصل.

(٢) كذا في الأصل.

رشأ ما أهوى سواه دائم زماني ولا قلبي لغيره عاد يعشقْ
غرامي فيه مشروح وقلبي منه مجروح
وذكره ينعش الروح
فاهى لو تساعدني الأماني ويصبح كلّما أمّلت فيه حقْ
فالوى من على جيده يماني وأرشف من لماه صافي معتّقْ

❀ ❀ ❀

وأروى للرشا باهي المحيّا باني من غرامه صوت ذاهل
أبات مالي نديم إلا الثريّا أهيم جنح الظلام بين المنازل
أموت إن غاب عني ثم أحيى إذا أبصرته يميس بين الغلايل
وحسنه لو يعاني ما أعاني رثى لي من هوى القلب المحرّقْ
أنا مفتون بحبّه وكم اشتاق قربه
وشملي يجتمع به
وكم قد بيننا حاسد وشاني أراد أن اجتماع الشمل يفرقْ
فما صدقتم فيمن سباني ولا هو في الذي يهواه صدّقْ

❀ ❀ ❀

واستعمال المحسنّات في الموشح من خصائص حيدر، وأما «ولولا سيف عينيه اليماني» فهو من قول جمال الدين بن نباتة في المزدوجة التي مدح بها المؤيد صاحب حماه منها:

لولا حذار القوس في يديه لغنت الورقا على عطفيه

ولقد أجاد فيه، ثم أن الشيخ إبراهيم بن صالح الهندي أغار على هذه المزدوجة فأرملها وأخذ أكثر ألفاظها ومعانيها، واستعملها في مزدوجة له فاخَرَ فيها بين البندق الرومي والسيف، وكلما يحسن فيه الشيخ إبراهيم المذكور مأخوذ من شعر غيره، وما أراه إلاّ عرف افهام القوم وحفظهم للشعر فمدّ رجليه ويديه واستراح، وإلاّ لم يكن عاجزاً، إلاّ أن الشعر باليمن لم يكن له سوق إلاّ بأيام الدعاة الإسماعيلية آل زريع وآل سبا، فإنهم كانوا ملوكاً شعراء فتعدّوه ونقدوا فيه، وأما أئمتنا الزيدية فليس لهم به كثير عناية، اللّهم إلاّ الإمام المنصور بالله

القاسم بن محمد كان نظّاماً بالقريحة والقناه المريحة، والآخرون يجيزون عليه تكلّفاً بدون انتقاد ولا تفضيل للحَسِن على المرذول، فبطل الشعر وكسدت سوقه، ولله البقاء.

وفضائل حيدر أبهى من ذكا أو ذكاه.

ونقش خاتمه: محب أبي السبطين حيدر، وهذه التورية الخاتمية تكفيه أدباً.

وتوفي سنة ثمانين وألف تقريباً بضوران عند الإمام إسماعيل المتوكل، ورثاه الهندي بأبيات جاء منها:

كـان فـي عـصـرنـا حـديـقـة فـضـلٍ　　　فـلـذا أودعـوه فـي الـبـسـتـانِ

لأنه دفن بمقبرة البستان. رحمه الله تعالى.

حرفُ الدّال

[٦٧]

أبو سليمان، داود بن سَلْم التيمي، مولى تيم، المديني، مولى آل طلحة بن عبيد الله، وقيل مولى آل أبي بكر، الشاعر(*).

أحد أصحاب أصوات الأغاني، شاعر ما ضاع مما ضاع إلاّ النشر، خلد بما قصد ذكره إلى الحشر، ولا شاعر في فضله مخالف، أنّى وقد أطرب الرشيد والهادي وابناهما الخلائف.

وذكره الكاتب أبو الفرج الأصبهاني في الأغاني، وأشار إلى أنه كان يتشيّع.

وأقول: إن المتشيّع في ذلك العصر هو الغالي في التشيّع، لأنه يعرض دمه للسفك، لشدّة نصب الأموية.

وأدرك أوّل الدولة العباسية، فهو من مخضرمي الدولتين.

ولعمري للكميت وكثيِّر عزّه، والفرزدق ممن عصمهم الله عن القتل.

وقال أيضاً: كان ابن سلم منقطعاً إلى أبي محمد الحسن بن زيد بن الحسن السبط[1]، وكان قد عَوَّده إذا جاءته غلّة من الخافقين أن يصله، فمدح أبا الفضل

---

(١) كذا في الأصل.

(*) ترجمته في: الأغاني ٦/١٣ ـ ٢٧، سمط اللآلي ٥٥٠، معجم الأدباء ٤/١٩١.

(٢) الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب، أبو محمد: أمير المدينة، ووالد السيدة نفيسة. =

جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس وهو أمير المدينة وكان بينه وبين الحسن تباعد شديد، وشعره في جعفر هو:

وكنّا حديثاً قبلَ تأمير جعفرٍ ... وكان المُنَى في جعفر أن يُؤمَّرا

حَوَى المِنْبَرَيْن الطاهرينْ كليْهما ... إذا ما خطا عن مِنبرٍ أمَّ مِنْبرا

كأن بني حَوَّاء صُفُّوا أمامه ... فَخُيِّر في أحسابهم فتَخَيَّرا؟

فأعطاه ألف دينار، ثم دخل على الحسن وأراد أن ينشده فقال له: أنت القائل: «وكنا حديثاً قبل تأمير جعفر»؟ فقال: جعلني الله فداك وكنتم خيرة اختياره، وأنا الذي أقول:

لعُمرِي لئن عاقبتَ أوجُدْتَ مُنعِماً ... بعفوٍ عن الجاني وإن كان مُعْذِرَا

لأنت بما قدّمتَ أولى بِمِدْحَةٍ ... وأكرمُ فرعاً إن فخرت وعُنْصُرا

هو الغُرَّةُ الزَّهْراءُ من فرع هاشمٍ ... ويدعو عليّاً ذا المعالي وجعفرا

وزيدَ النَّدى والسِّبْطَ سِبْطَ محمدٍ ... وعمَّك بالطَّفِّ الزَّكيِّ المطهَّرا[1]

وما نال مِن ذا جعفرٌ غيرَ مجلسٍ ... إذا ما نفاه العزلُ عنه تأخّرا

بحقِّكُم نالوا ذُرَاها فأصبحوا ... يَرَوْن به عزاً عليكم ومَفْخَرا

فعاد الحسن لعادته في صلته[2].

والخافقين: ضيعة كانت له.

وأورد له أبو الفرج أيضاً:

وما ذَرّ قَرْنُ الشمسِ إلا ذكرتُها ... وأذكُرها في وقت كلّ غروبِ[3]

= كان من الأشراف النابهين، شيخ بني هاشم في زمانه. استعمله المنصور على المدينة خمس سنين. ثم عزله. وخافه على نفسه فحبسه ببغداد. فلما ولي المهدي أخرجه، واستبقاه معه. مولده في المدينة سنة ٨٣هـ ووفاته بالحاجر (على خمسة أميال منها) سنة ١٦٨هـ في طريقه إلى الحج مع المهدي.

ترجمته في: تهذيب التهذيب ٢: ٣٧٩ وميزان الاعتدال ١: ٢٢٨ وذيل المذيل ١٠٦ وتاريخ بغداد ٧: ٣٠٩ ودول الإسلام للذهبي ومرآة الجنان ١: ٣٥٥ وورد اسم أبيه فيه «يزيد» الاعلام ط ٤/٢/١٩١.

(١) زيد الندى: يعني زيد بن علي بن الحسين الشهيد.

(٢) الأغاني ٦/٢٠ ـ ٢١.

(٣) ذر: طلع.

وأذكرها ما بين ذاك وهذه — وبالليل أحلامي وعند هُبوبي
وقد شَفَّني شوقي وأبعدني الهوى — وأعيا الذي بي طِبُّ كلِّ طبيب
وأعْجَبُ أنّي لا أموتُ صَبَابةً — وما كَمَدٌ من عاشقٍ بعجيب
وكلُّ محبٍّ قد سلا غيرَ أنني — غريبُ الهوى، واهاً لكلِّ غريب
وكم لام فيها من أخٍ ذي نصيحةٍ — فقلت له أقْصِرْ فغيرُ مُصيب
أتأمر إنساناً بفُرقة قلبه — أتصلحُ أجسامٌ بغير قلوب[1]

وأجاد في هذه الأبيات وأحسن غاية الإحسان، وتمّت له في «واهاً لكل غريب» تورية مطبوعة. ما أصدق قول القائل:

إذا ذهب القرن الذي أنت منهم — وخلفت في قرن فأنت غريبُ
وإن امرءً قد ساد خمسين حجة — إلى منهل من ورده لقريبُ

وليس في الوعظ أقوى ولا أشعر من هذا، وكان الحجّاج يتمثّل بالبيت الثاني.

وقال الأصفهاني: كان داود المذكور ينبز بداود الأدلم والأميل، وكان أقبح الناس وجهاً، وأما شعره المختار للأغاني فهو:

قُلْ لأسماءَ أنْجزي الميعادا — وانظُري أن تزوّدي منكِ زادَا
إن تكوني حَلَلْتِ ربعاً من الشأ — م وحاورت حِميراً أو مُرادا
أو تناءت بكِ النوَى فلقد قُدْ — تِ فؤادي لحَينه فانقادا
ذاك أني حملت فيك جَوَى الحـ — ـبّ وَليداً فزدتُ فيه فزادا[2]

وقال أيضاً: أنه خرج إلى حرب بن يزيد بن معاوية وهو بالشام، وكان حرب كريماً، فلما نزل به داود وحطَّ مع غلمان حرب متاعه، وحلّوا عن راحلته وأنشده حين دخل عليه:

ولمّا دَفَعْتُ لأبوابهم — ولاقيتُ حَرْباً لَقِيتُ النجاحا
وجدناه يَحْمده المُجْتدون — ويأبى على العسر إلا سَمَاحا
ويُغْشوْن حتى يُرَى كلبُهم — يَهَابُ الهَرِير ويَنْسى النُّبَاحا

---

(١) الأغاني ٦/٢٦.
(٢) الأغاني ٦/١٧ ـ ١٨.

فأسنى جائزته ثم استأذنه في الخروج، فأذن له وأعطاه ألف دينار ولم يعنه أحد من غلمانه، فظنَّ أن حرباً ساخطاً عليه، فرجع إليه وأخبره بشأنهم، فقال: سلهم لِمَ فعلوا ذلك؟ فقالوا: إننا ننزِلُ من جاءنا ولا نرحل من خرج عنا، فبلغ خبرهم الغاضري صاحب النوادر فقال: أنا يهودي إن لم يكن ما قال الغلمان أحسن من شعرك(١).

ما أحسن قول أبي الفضل أحمد بن محمد الخازن(٢) في أبي القاسم هبة الله بن الحسين الأهوازي الحكيم وقد أضافه وأدخله بستانه وداره وحمّامه:

وافيت ساحته فلم أرَ خادماً ... إلاّ تلقّاني بوجه ضاحكِ

ودخلت جنّته وزرت جحيمه ... فشكرت رضواناً ورامة مالكِ

والبشر في وجه الغلام إمارة ... لمقدّمات حياة وجه المالكِ

وأما أمير المؤمنين المأمون فإنه قال يدل على حلم الرجل سوء أدب غلمانه، نعم صدق المأمون، وليس من ذلك.

قال بعضهم: لبثت يومين لا أجد ما آكل، ففي اليوم الثالث قلت: أمضي إلى صديقي فلان لعلّي أتغدى معه، فقصدت داره، وكان من المياسير، فقلت لغلام في بابه: استأذن لي مولاك، فقال: إعطني قرصاً آكله وأستأذن، فهالني حاله وزاد جوعي وهربت.

ومما يؤثر من سوء أخلاق الغلمان أنه كان لرجل عبد قد برم بخدمته فما زال سيّده يوصيه بالفراهة في الخدمة، وقال له: متى أَرسلتك لحاجة ثم قدرت أن تضمّ إليها أُخرى فافعل، فلبث أياماً، وعرضت لسيّده علّة فبعثه ليجيء بالطبيب فجاء به وجاء بغاسل الموتى أيضاً، فقال: ويحك ما هذا؟ قال: يا مولاي الحاجة الأُخرى التي وصيتني بها.

---

(١) الأغاني ٦/ ٢٥.

(٢) أحمد بن محمد بن الفضل، أبو الفضل ابن الخازن: شاعر، اشتهر بجودة الكتابة. أصله من الدينور، ومولده ببغداد سنة ٤٧١هـ ووفاته فيها سنة ٥١٨هـ، له «ديوان شعر».
ترجمته في:
شذرات الذهب ٤: ٥٧ ووفيات الأعيان ١/ ١٤٩ ـ ١٥١ وفي مرآة الزمان ٨: ٧٦ وفاته سنة ٥١٢، الاعلام ط ٤/ ١/ ٢١٤.

وكان لرجل غلام يأكل هو الحواري ويطعمه الخشكار، فكره حاله وطلب البيع فلم ينفق، ثم مات مولاه فكان مع ولده يأكل هو الخشكار ويطعمه النخالة، فضجَّ أيضاً أعظم من المرّة مع والده، فباعه من رجل آخر، فكان يأكل تلقاء عينه ثم لا يعطيه إلاّ ما يمسك الرمق فكان يصلي ويسلم على روح سيّده الأوّل، وصبر واحتسب، فقيل له في ذلك، فقال: أخاف أن باعني أن يشتريني من يكون يضع الدهن والفتيلة على عيني بدلاً من السراج.

وقال نور الدين العسيلي[1] أحد شعراء الريحانة فأجاد:

إنـي بُـلِـيْـتُ بـزنـجـيٍّ قـبـائـحـهُ	لـيـسـت تُـعَـدُّ إلـى مـا فـيـه مـن عِـوَجِ
كـلُّ الأُمـور إذا ضـاقَـتْ لـهـا فَـرَجٌ	إلاَّ أموري إذا ضـاقـت فـمِـن فَـرَجِ[2]

وقال الثعالبي: إن بعض الفسّاق كان له غلام وكان يفسق به كل يوم حتى بلغ عمر الغلام سبعين سنة، وكلما قال له: قد كبرت يا مولاي عن هذا العمل، يقول: من أمسى إلى اليوم كبرت.

وأجاد منصور البلبيسي[3] أحد شعراء الريحانة بقوله:

قـلـتُ لـتـاجِ الـديـن فـي خَـلْـوَةٍ	وقـد عـلاه عـبـدُه الأكـبـرُ:
الـتـاجُ يـعـلـو فـوقـه غـيـرُه	قـال: نـعـم يـاقـوتُ أو جـوهـرُ

وظرف السّراج الورّاق في قوله يذم عبده:

مـتـلـوّن الأخـلاق حـربـائـهـا	وسـواده يـمـتـاز مـنـه الـقـارُ
ويـسـيء آدابـاً عـلـيَّ ودأبـي ألـ	أعـضـاء عـنـه ودأبـه الإصـرارُ
ولـه ذكـاء أيـاس فـي حـاجـاتـه	وإذا قـضـى لـي حـاجـة فـحـمـارُ
ورقـاد أهـل الـكـهـف دون رقـاده	مـا جـنَّ لـيـل أو أضـاء نـهـارُ
ولـه فـضـول مـا لأقـمـار الـدجـى	مـعـه ولا مـتـحـدثـيـن سـرارُ

---

(١) ترجمته في: خبايا الزوايا للخفاجي، وشذرات الذهب ٨/ ٤٣٤ وفيات سنة ٩٩٤، وسمّاه نور الدين علي بن محمدالعسيلي المصري الشافعي، ريحانة الألبا ٢/ ١٩٧ ـ ٢٠٧.

(٢) ريحانة الألبا ٢/ ٢٠١، شذرات الذهب ٨/ ٤٣٥.

(٣) ترجمته في: خبايا الزوايا للخفاجي، والخطط المقريزية، وريحانة الألبا ٢/ ١٤٤، وبلبيس، بكسر الباءين وسكون اللام وياء وسين مهملة: مدينة بينها وبين فسطاط مصر عشرة فراسخ، على طريق الشام «معجم البلدان: مادة بلبيس».

ومسائل من ذا وما هذا الذي ... تحت الغطاء ودار من ذي الدارُ
ودخوله بين اللذين تضاربا ... والحكم بينهما وذا مدرارُ
ومسيره لذوي الفضول لعلّه ... يمتاز بين القوم أو يمتارُ
ومغيبه عني وإن ساءلته ... وجوابه لي ضجرة ونفارُ
ولكم أقول ولا يفيد مقالتي ... زِنها ومن حركاته زنهارُ

والقصيدة التي طمّت وعمّت قول أبي عثمان الخالدي الموصلي[1] الشاعر المشهور يمدح غلامه:

ما هو عبد ولكنه ولد ... خولنيه المهيمن الصمدُ
وشدَّ أزري بحسن صحبته ... فهو يدي والذراع والعضدُ
صغير سنٍّ كبيرُ معرفةٍ ... تمازح الضعف فيه والجلدُ
في حسن بدر الدجى وصورته ... فمثله يصطفى ويفتقدُ
معشق الطرف كحله كحل ... معسّل الجيد جلية الجيدُ
وورد خدّيه والشقائق والتفـ ... ـاح والجلّنار منتضدُ
رياض حسن من زواهر أبداً ... فيهن ما للنعيم يطردُ
وغصن بان إذا بدى فإذا ... شدى فقمري بأنه غَرِدُ
مبارك الوجه مذ حظيت به ... بالي رخى وعيشتي رغدُ
كيسي ولهوي وكل مأربتي ... مجتمع فيه لي ومنفردُ
مسامري إن دجى الظلام فلي ... منه حديث كأنه الشهدُ
ظريف مزح، مليح نادرة، ... جوهر حسن شراؤه نقدُ
خازن ما في يديَّ حافظه ... فليس شيء لديَّ يفتقدُ
ومنفق مشفق إذا أنا أسـ ... ـرفت وبذرت فهو مقتصدُ
يصون كتبي فكلها حسن ... يطوي ثيابي فكلها جددُ
وأبصر الناس بالطبيخ فكالمسك القلايا والعنبر الثردُ
وهو يدير المدام إن جليت ... عروس دنّ بقائها الزبدُ
وحاجبي فالخفيف منحبس ... عنه به والثقيل منطردُ
وحافظ الدار إن ركبت فما ... على غلام سواه أعتمدُ

---

(١) مرّت ترجمته بهامش سابق.

ثـقّـفـه كـيـسـه فـلا عـوج ... فـي بـعـض أخـلاقـه ولا أودُ
وصـيّـر فـي الـقـريـض وازن ديـنـا ... ر الـمـعـانـي الـجـيـاد يـنـتـقـدُ
وكـاتـب تـوجـد الـبـلاغـة فـي ... ألـفـاظـه والـصـواب والـرشـدُ
ويـعـرف الـشـعـر مـثـل مـعـرفـتـي ... وهـو عـلـيَّ إن يـزيـد مـجـتـهـدُ
مـا غـاضـنـي سـاعـة فـلا صـحـب ... يـمـرُّ فـي مـنـزلـي ولا حـردُ
وواحـد بـي مـن الـرأفـة والـر ... حـمـة أضـعـاف مـا أجـدُ
إذا تـبـسـمـتُ فـهـو مـبـتـهـج ... وإذا تـنـمّـرت فـهـو مـرتـعـدُ
ذا بـعـض أوصـافـه وقـد بـقـيـت ... لـه صـفـات لـم يـحـوهـا أحـدُ

أجمع علماء الأدب إن هذه الأبيات أفضل ما مدح بها غلام، وليت شعري ما هذه البقيّة التي بقيت، فإن ثمن من جمع هذه الأوصاف ليس إلاّ الخلافة.

ولداود بن سلم في قثم بن العباس بن عبد المطلب[1] وكان منقطعاً إليه:

عَـتَـقْـتِ مـن رَحـلـي ومـن حُـلَّـتـي ... يـا نـاقُ إن أَدْنـيـتـنِـي مـن قُـثَـمْ
فـي وجـهـه بـدرٌ، وفـي كـفّـه ... بـحـرٌ، وفـي الـعِـرْنـيـن مـنـه شَـمَـمْ
أصـمُّ عـن قـيـل الـخَـنَـا سـمـعُـه ... ومـا عـن الـخـيـر بـه مـن صَـمَـمْ[2]
لـم يـدر مـا «لا» و«بَـلَـى» قـد دَرَى ... فـعـافـهـا واعـتـاض مـنـهـا «نَـعَـمْ»[3]

دلَّ البيت الأول أن أبا نؤاس لم يكن السابق إلى معناه، كما ذكر جماعة من أهل الأدب لقوله في الأمين:

وإذا الـمـطـيّ بـنـا بـلـغـن مـحـمـداً ... فـظـهـورهـن عـلـى الـرجـال حـرامُ

---

(١) قثم بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي: أمير. أدرك صدر الإسلام في طفولته، ومرّ به النبيﷺ وهو يلعب، فحمله. وولاه عمه «علي بن أبي طالب» على المدينة، فاستمر فيها إلى أن استشهد عليّ عليه السلام فخرج في أيّام معاوية إلى سمرقند، فاستشهد بها سنة ٥٧هـ. وكان يشبه رسول اللهﷺ. وليس له عقب.
ترجمته في:
تهذيب التهذيب: ٨: ٣٦١ ونسب قريش ٢٧ وجمهرة الأنساب ١٦ والأسماء المفردة ـ خ، وفيه: قبره بخراسان، الاعلام ط ٥/٤/١٩٠.

(٢) خنى وأخنى عليه في الكلام: أفحش. والخنى: الفحش في الكلام.

(٣) الأغاني ٢٦/٦ ـ ٢٧.

بل الفاتح معناه داود المذكور لأنه كان في أول الدولة قبل أبي نؤاس بدهر، والله أعلم.

[٦٨]

الأمير، أبو الأغرّ، دبيس بن سيف الدولة أبي الحسن صدقة بن منصور ابن دبيس بن علي بن مزيد الأسدي الناشري، نور الدين، ملك العرب، صاحب الحلّة المزيدية(*).

ملك استعبد مما استبعد بمراضيه الرقيقة، وسلك في المعالي مجازاً نال به الفخر حقيقة، ونظمه إلاّ بالقناة قليل، وإنما تهبّ في الربيع الريح البليل.

وذكره شمس الدين بن خلكان، وقال: كان جواداً كريماً عارفاً بالآداب، وتمكّن في خلافة المسترشد واستولى على كثير من بلاد العراق. وهو من بيت كبير.

وإليه أشار أبو محمد الحريري بقوله في المقامة التاسعة والثلاثين: والأسدي دبيس لأنه كان معاصره وأراد التقرّب إليه بذكره لجلالة قدره.

قال: وله نظم حسن، ونسب له العماد الكاتب في الخريدة، وابن المستوفي في تأريخ إربل الأبيات اللاميّة التي منها:

أَسلَمَني حبُّ سليمى بكُمْ إلى هَوىً أَيْسَرُهُ القَتْلُ

ونسبها أبو الحسن بن بسّام في «الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة» إلى أبي الحسن بن رشيق القيرواني.

قال: وذكره أبو البركات بن المستوفي في تأريخ أربل: أن بدران بن صدقة أخا دبيس كتب إلى أخيه دبيس وهو نازح منه:

ألا قُلْ لِمَنصورٍ وقل لمسيّب وقل لدبيسٍ إنني لغريبُ

(*) ترجمته في:
النجوم الزاهرة ٥/٢٥٦، شرح مقامات الحريري ٢/٢١٨، وفيات الأعيان ٢/٢٦٣ ـ ٢٦٥، تاريخ إربل، دول الاسلام للذهبي دائرة معارف البستاني/٧، ابن خلدون ٤/٢٨٥، الكامل لابن الأثير، تواريخ آل سلجوق ١٧٨، شعراء الحلة ٢/٣٥١، خريدة القصر، الذخيرة.

هنيئاً لكم ماء الفرات وطيبُهُ إذا لم يكن لي في الفرات نَصيبُ[١]

فراجعه دبيس بقوله:

ألا قل لبَدْران الذي حَنَّ نازعاً إلى أرضِهِ والحرّ ليس يخيبُ
تمتَّع بأيام السّرور فإنما عِذارُ الأماني بالهموم يَشيبُ
ولله في تلك الحوادث حِكْمَةٌ «وللأرض من كأس الكرام نَصيب»[٢]

وما أحسن استعارة العذار للأماني، وما ألطف قول الشيخ إبراهيم الهندي[٣] نزيل اليمن:

بدت لام العذار فقال قوم تيّقن عزله وكفيت أمره
فقلت عذاره خطٌ جديد بدولته وورد الخدّ خمره

وقول شهاب الدين بن أبي حجلة[٤] مضمّناً:

يا صاح قد حضر الشراب ومنيتي وحظيت بعد الهجر بالإيناسِ
وكسى العذار الخدّ حسناً فاسقني واجعل حديثك كلّه في الكاس

قال أيضاً: وقيل، إن بدران كان لقبه تاج الدولة، ولما قتل أبوه تغرّب عن بغداد ودخل الشام فأقام بها مدّة ثم توجّه إلى مصر فأقام بها حتى توفي سنة [ثلاثين وخمسمائة][٥] وأورد له العماد في الخريدة شعراً[٦].

وكان الأمير دبيس في عسكر السلطان مسعود بن محمد بن ملك شاه وهم

---

(١) وفيات الأعيان ٢/ ٢٦٤.
(٢) وفيات الأعيان ٢/ ٢٦٤.
(٣) مرّت ترجمته بهامش سابق.
(٤) هو أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يحيى التلمساني المعروف بابن أبي حجلة. ولد بتلمسان سنة ٧٢٥هـ. كان عالماً بفنون الأدب ناظماً ناثراً. رحل إلى دمشق، ثم انتقل إلى القاهرة، فولي مشيخة الصوفية بصهريج منحك. سافر إلى حج بيت الله الحرام فلم يرجع. توفي سنة ٧٧٦هـ. من آثاره الكثيرة: الأدب الغض، وأطيب الطيب، ومنطق الطير، وديوان الصبابة، وغيرها.
ترجمته في: شذرات الذهب ٦/ ٢٤٠، النجوم الزاهرة ١١/ ١٣١، هدية العارفين ١/ ١١٣، الدرر الكامنة ١/ ٢٥٠، أنوار الربيع ١/هـ ٣٨٧.
(٥) في الأصل: «٥٣٥» وما بين المعقوفين من الوفيات ٢/ ٢٦٤.
(٦) وفيات الأعيان ٢/ ٢٦٤.

على باب مراغة ومعهم المسترشد بالله العباسي، كان السلطان يعادي الخليفة لشهامته، ولكنه لم يجد أعواناً ـ كما قال الذهبي في دول الإسلام ـ فدسَّ السلطان جماعة من الباطنية الحشيشية الذين أشرت إليهم في حرف الحاء، فهجموا خيمة المسترشد وقتلوه يوم الخميس ٢٨ وقيل ٢٤ من ذي القعدة سنة ٥٢٩، فاستشفع السلطان أن ينسب إليه قتل الخليفة، وأراد أن ينسب إلى دبيس فتركه إلى أن جاء للخدمة وجلس في الخيمة وأرسل بعض مماليكه، فجاء من ورائه وضرب رأسه بالسيف فأبانه فمات شهيداً رحمه الله تعالى، وأظهر السلطان إنما فعل ذلك آخذاً بثار الإمام المسترشد لأنه بزعمه قتله، وكان قتله بعد قتل الإمام بشهر[١].

وقال المأموني: قتل في رابع عشر ذي الحجة وكان قد أحسَّ بتغيّر السلطان عليه، وأراد المسير مراراً فكانت المنيّة تُثَبِّطُه[٢].

قال أيضاً: وذكر ابن الأزرق[٣] في تأريخه: إنه قتل على باب تبريز وحمل قتيلاً إلى ماردين إلى زوجته كهارخاتون بنت نجم الدين الغازي فدفنته عند والدها بالمشهد، ثم تزوّج السلطان مسعود ابنة الأمير دبيس وأمها زبيدة بنت الوزير الجليل نظام الملك صاحب نظامية بغداد، المدرسة المشهورة[٤].

والناشِري، بالنون فالألف فالشين المعجمة المكسورة فالراء فياء النسبة: إلى ناشِرَة بن نصر، بطنٍ من بني أسد بن خُزَيمة.

والمَراغة، بفتح الميم والراء والغين المعجمة ثم تاء التأنيث: مدينة مشهورة من عمل أذربيجان، وتبريز أشهر مدنها أيضاً.

وكان دبيس وقومه إمامية، وسيأتي بيان الحلّة إن شاء الله.

---

(١) وفيات الأعيان ٢/ ٢٦٤ ـ ٢٦٥.

(٢) وفيات الأعيان ٢/ ٢٦٥.

(٣) هو عبد الله بن محمد بن عبد الوارث، أبو الفضل ابن الأزرق، له كتاب في تأريخ بلده ميافارقين.

(٤) وفيات الأعيان ٢/ ٢٦٥.

أبو المعالي، درويش بن محمد الطالوي الشامي، مفتي دمشق، أحد شعراء الريحانة الأفاضل المجيدين العلماء(*).

فاضل تتزيّن دمنة العصر بجواهره المكنونة، وتتشوّقه الليالي المتأخرة عنه، فلولا تمايم شعره راحت وهي للشوق مجنونة، يصوغ ما تودّ الحاليات لو حل مكان العقود والشنوف، من كل بيت كالدينار حسناً، وأن تشبه لسحره بالحروف.

وقد كفانا الفاضل شهاب الدين أحمد أفندي الخفاجي تقريضه في ريحانته الطيبة النشر وقال بعد الإسهاب كعادته، وهو من الطالوا، الذين سموا في المعالي وطالوا، وكان سافر إلى بلاد الروم، وشعره شرك العقول، ونزهة المطمئن وعقلة المستوفر، وفي شعره نفثات التشيّع لصاحبها حتى لقد شكّ الخفاجي في عقيدته، لقوله في القصيدة اليائية التي سأوردها:

بـــولاء حـــيـــدرة الـــوصـــيّ أخـــي الـــنـــبـــي الـــهـــاشـــميّ

فقال الخفاجي: أما قوله: «الوصي» فهو ما ترويه الشيعة أن رسول الله ﷺ أوصى لعلي بالخلافة يوم غدير خم[1]، ولكنه مخالف لعقيدة أهل السنّة، والله أعلم، هل كان الطالوي يعتقد مذهب الشيعة أو جرى على مذهب ممدوحه الشريف لأنه شيعي؟

قلت: قوى ظنّي بتشيّعه مما ذكر، ولأنه من تلاميذ الشيخ بقيّة الحكماء داود بن عمر الأنطاكي[2] كما ذكر هو في «السانحات»، أحد مؤلفاته، وداود قرأ مدة بعد رحلته عن بلده بجبل عامله على فضلاء الإمامية والإمامي إذا ارتفعت تقيّته لم يجز في مذهبه أن يعاشر مخالفه، كيف أن يفيده العلوم ويلوح من نفحات هذه القصيدة له بذكر الزوراء والغري الشريف ونواحيه عنبر التشيع، ولا يخفى على ذي ذوق سليم، وعساه إن شاء الله من الموفقين بولاية صالحي أهل

(*) ترجمته في: خلاصة الأثر ٢/ ١٤٩، تراجم الأعيان ـ خ ـ، خبايا الزوايا ـ خ ـ، ريحانة الألبا ١/ ٥٣ ـ ٧٧، الفهرس التمهيدي ٢٨٠، شعر الظاهرية ٢٤٩، ٣٨٧، الاعلام ط ٤/ ٢/ ٣٣٨.

(١) ريحانة الألبا ١/ ٦٥.

(٢) مرّت ترجمته بهامش سابق.

نبيّه ﷺ، فإن عناية واهب الفضل به حتى أكسبته هذه الفضائل مما يطمع أن يكون من حزب يعسوب المؤمنين وهي:

أُنُسَيْمَةَ الرَّوضِ المطيرِ ... بالعَهْدِ في زمنِ السُّرورِ
وأَنِيقَ أيامِ الشَّبا ... ب وعَيْشِهِ الفَضِّ النَّضيرِ
ووَثِيقَ أيامِ التَّصا ... بي يا لَمَعْهدِها الخطيرِ
ومعاهدٍ كان الشَّبا ... بُ وشَرْخُه فيها سَميري
هوَّمْتُ فيه فصاح بي ... داعي الصباح المُستَنِيرِ
فطفِقتُ أنظُرُ منه في ... أعْقابِ بَرْقٍ مستشيرِ
قد كان حسَّانُ المرا ... بِع فيه حسَّانَ البُدورِ
أيامَ غُصنُ شبيبَتِي ... ريَّان من ماءِ الغرورِ
وذُؤابتي شَرَكُ المَها ... وحُبَالَةُ الظَّبْيِ الغَريرِ
فَنَّاءُ رائدُها المَها ... ةُ الرُّودُ من رِيمِ الخُدورِ[1]
حيثُ الشَّبيبةُ روضةٌ ... غنَّاءُ صافيةُ الغديرِ
من كلِّ مُخْطَفةِ الحشَا ... كأخِي الرَّشا الظبي النفورِ[2]
طلعتْ بليلِ ذوائبِ ... أبْهى من القمرِ المنيرِ
بيْضاءُ وشَّحَتِ التَّرا ... ئبَ والنُّحورَ من الثغورِ
فكسى معاطِفَها الشَّبا ... بَ الرَّوْدِ حسَّانُ الحريري
قَوِيتْ على قَتْلي وفي ... ألْحاظِها ضَعْفُ الفُتورِ
وبما جرَى يومَ النَّوى ... من دُرِّ مَدْمِعها النَّثيرِ
وبوَقْفةِ التَّوديعِ والأَنْفاسُ تَصْمَدُ بالزَّفيرِ
ويَدُ الفِراقِ تشُبُّ في الأحشاءِ نِيرانَ السَّعيرِ
إلاّ سَرَيْتِ مع الصَّبا ... يا نَسْمَةَ الروضِ المطيرِ
فاجْتَزْتِ من أرض العرا ... قِ على الخَوَرْنقِ والسَّديرِ[3]

---

(١) الفناء: الكثيرة الأغصان.

(٢) مخطفة الحشا: ضامرة البطن.

(٣) الخورنق: قصر للنعمان الأكبر، والدير: نهر بالحيرة، ويقال: قصر فيه قباب مداخلة.

ووقـــفــتِ بـــالـــزَّوراءِ وَقـــ ـفـــةَ زائـــرٍ أوفَـــى مَـــزُورِ
وحــمـلْـتِ لـلـكـرْخِ الـتَّـحِـيَّـ ـةَ مـن أخـي شَـجَـنٍ أسـيـرِ[1]
ونـــزلـــتِ مـــن نـــهـــر الأُبُـلَّـ ـةِ والـصَّـراةِ عـلـى شَـفِـيـرِ[2]
وأقـــمـــتِ فـــي شـــطِّ الـــفُـــرا تِ بـمُـلـتَـقـى الـعـذْبِ الـنَّـمـيـرِ
وســمـعْـتِ هَـيْـنَـمـةَ الـرِّيـا ضِ وصـوْتَ جـاسـيـةِ الـخـريـرِ
وجـذَبْـتِ فـي تـلـك الـحـدا ئـقِ طَـوْقَ سـاجـعـةِ الـهَـدِيـرِ
حُـفَّـتْ بـسَـرْوٍ كـالـقِـيـا نِ تـلـفَّـعـتْ خُـضْـرَ الـحـريـرِ
وثَـنَـيْـتِ عِـطْـفـك والـصّـبـا حُ يـكـاد يُـؤْذِنُ بـالـسُّـفـورِ
ولـثَـمْـتِ خـدَّ الـروضِ فـيـ ـه نـبـاتُ رَيْـحـانٍ طَـريـرِ
وأتـيـتِ بـابـل فـاصْـطَـبَـحْـ ـتِ بـمـثـل مـصـبـاح مـنـيـرِ

ومنها:

يُـغْـنِـيـك مُـتْـهِـمَـةً ومُـنْـ ـجِـدَةً سَـنـاهـا عـن خَـفـيـرِ
والـصـبـحُ يـخـطُـر فـي الـدجـى كـالـوحْـي يـخـطُـر فـي الـضـمـيـرِ
والـنَّـسْـر فـيـه واقـعٌ خـوفَ الـصـبـاح لـدى الـوُكـورِ
وكـواكـبُ الـجـوْزاءِ مُـمْـ ـسـكـةُ الأعِـنَّـة عـن مـسـيـرِ
خـافـت سُـهَـيْـلا فـانـتـضَـتْ سـيـفـاً مـن الـشِّـعْـرَى الـعـبـورِ
والـنـجـمُ يـهْـوى لـلـغـرو بِ كـأنـه كـفُّ الـمُـشـيـرِ[3]

وهذه طريقة لطيفة، وكيف لا والنسيم حامل رسائلها، والمتخطّر غليلاً في غلائلها، وكان سبب القصيدة اليائية، أنه مرّ ببلاد ابن معن رئيس الطائفة الدروزية

(١) الكرخ: من نهر الرفيل: يقول ياقوت: يقول ياقوت: وقد أكثر الشعراء من ذكره، ولا أثر له يعرف ألبتة. ويقول صفي الدين البغدادي: وليس كذلك، بل أثر النهر القديم باق، وإنما استخرج له فم أعلى منه، وقد كان قديماً يدخل في المحال في أنهار تتفرع منه فيدخل إلى الكرخ، والمحال التي في شرقي الصراة، ويدخل إلى مدينة المنصورة في غربي الصراة بعبارة أسفل من القنطرة، ولما خربت المحال لم يبق لها ولا لما كان يدخلها من الأنهار أثر، وبقي النهر مختصاً بالمزارع، مراصد الاطلاع ١١٥٥.

(٢) الأبلة: بلدة على شاطىء دجلة العظمى، في زاوية الخليج الذي يدخل إلى مدينة البصرة.
والصراة؛ نهران ببغداد، الصراة الكبرى والصراة الصغرى، ولياقوت في تحديدها قول خطأه فيه صفي الدين البغدادي. أنظر مراصد الاطلاع ١٨، ٨٣٦، وأنظر الهامش السابق.

(٣) كاملة في ديوان ريحانة الألبا ١/٦٦ ـ ٧٠.

أصحاب الحاكم بأمر الله بالشام وهم فرقة من الإسماعيلية لهم شركة وصيت، ونسبتهم إلى الحسين الدروزي أي الخيَّاط، والدرز الخياطة[1].

قال بعض الخوارج، لما قتل زيد بن علي عليه السلام وكان معه خيّاطون من الكوفة:

أَأَبا حسين والأُمور إلى مدى   أَولاد درزة أسلموك وطاروا

وكان مع الطالوي غلام يهواه وقد ملك بياض جبينه وحمرة وجناته سويداء قلبوه ذلك الرشا، وألهبوا منه الحشى، فكتب إلى الشريف أمير الشام يستعديه به عليهم:

بِالـلَّـهِ يـا نَـشْـرَ الـعَـبِـيـ   ـر سَـرى بِـرَوْضَـاتِ الـغَـرِيِّ
طـاف الـمـشـاهـدَ وانْـثَـنـى   نَـشْـوانَ مِـن كـأسٍ رَوِيِّ
وأقـام بـالـزَّوْرَاءِ مِـنْـ   ـهـا فـي رياض الْـخَـابـرِيِّ
مُـتَـنَـزَّلِ الآيِ الـكـرام   ومَـهْـبـطِ الـوَحْـي الـسَّـنِـيِّ
إن جـئْـتَ رَبْـعَ الـشَّـام فـاقْـ   ـصِـدْ سـاحـةَ الـشَّـرفِ الـعَـلِـيِّ
أعْـنـي الـشـريـفَ ابـنَ الـشـريـ   ـف ابـن الـشـريـف الـمُـوسَـوِيِّ
مُـتـحـمِّـلاً عِـنِّـي الـسَّـلا   مَ كـمِـسْـك دَارِيـنَ الـذَّكِـيِّ[2]
لِـجَـنـابِ مـولانـا الـوزيـ   ـر وَلِـيِّ مـولانـا عَـلِـيِّ
ثـم اشْـرَحَـنْ مِـن حـالِ مـو   لاه الـمـحـبِّ الـطَّـالُـوِيِّ
مـاذا لَـقـى فـي ثَـغْـرِ صَـيْـ   ـدا مِـن دُرُوزِيّ غَـوِيِّ
ديـنُ الـتَّـنـاسُـخِ ديـنُـه   لا بـل يَـدِيـن بـكـلِّ غَـيِّ
ويـرى الـطَّـبـائـعَ أنـهـا   فـعَّـالـةٌ فـي كـلِّ شَـيِّ
وافـى بـمـكـتـوبِ الـشـريـ   ـف إلـيـه مـن بـلـدٍ قَـصِـيِّ
يُـوصِـيـه فـيـه كـأنَّـمـا   أوصـاهُ فـي أخْـذِ الـصَّـبـيِّ
فـسـقـاهُ يـوم فِـراقِـه   لا كـان بـالـكـأسِ الـرَّوِيِّ
وغـدا الـحـشَـا مِـن بـعـدِه   يـبْـكِـي بـدمـعِ عَـنْـدَمِـيِّ

---

(١) في هامش الأصل: «أولادرزة الذين ليس لهم جدّ يعرف» كما ذكره أبو هلال العسكري ونسبهم إلى الدروزي لاتباعهم له، لا في النسب. . . المدن وسفهائهم بنسب، والله أعلم».

(٢) دارين: فرضة بالبحرين يجلب إليها المسك من الهند، فينسب إليها. مراصد الاطلاع ٥٠٩.

فـي غُـربـةٍ لا يـشْـتـكـي | فـيـهـا إلـى خِـلٍّ وفـيِّ
لا جـارَ يـحْـمـيـهِ ولا | يـأْوِي إلـى رُكْـن قَـوِيِّ
إلاَّ إلـى رُكـنِ الـشـريـ | ـف الـطـاهـر الـشِّـيَـم الـزَّكِـيِّ
حـامـى حِـمَـى الـشـرع الـشـريـ | ـف بـكـل أبْـيَـضَ مِـخْـذَمـيِّ[1]
مـولاي لـي حـقٌّ عـلـيْـ | ـك فـجُـدْ بـه مـن غـيْـرِ لَـيِّ
بـولاءِ حَـيْـدَرَةَ الـوَصِـيِّ | أخـي الـنـبـيِّ الـهـاشِـمِـيِّ
لا تُـهْـمِـلَـنْ مِـن أخْـذِ ثـا | رِي مـن كَـفـورٍ بـالـنَّـبِـيِّ
وابْـعـثْ إلـيـه مَـقـانِـبـاً | فـيـهـا الـكـمِـيُّ عـلـى الـكـمـيِّ[2]
لـو حـاربَـتْ جُـنْـدَ الـقـضَـا | ءِ ثـنَـتْ سُـرَاهُ عـن مُـضِـيِّ
جـرَّافَـةٌ لـم تُـبْـقِ فـي | أطْـلالِـه غـيـرَ الـنُّـؤِيِّ
وأُشَـيْـعِـثٍ يـنْـعِـي الـدِّيـا | رَ مـع ابـن دَابَـةَ فـي الـنَّـعـيِّ[3]

أقول: في شعره انسجام، ونفسه طويل فيه.

والزوراء: بغداد، لأن قبلتها مزوّرة عن ناحية الجنوب إلى المغرب، وفيها مشهد الكاظم وحفيده الجواد والهادي والعسكري عليهم السلام.

والحائر، بالحاء المهملة وبعد الألف ياء مثناة من تحت، ثم راء: اسم المشهد الحسين الشهيد عليه السلام[4].

---

(١) مخذمي: نسبة إلى مخذم، هو سيف الحارث بن أبي شمر الغساني. وأنظر القاموس (خ ذ م).

(٢) المقنب من الخيل: ما بين الثلاثين إلى الأربعين، أو زهاء ثلاثمائة. القاموس (ق ن ب).

(٣) ريحانة الألبا ١/ ٦٢ ـ ٦٤.

(٤) الحسين بن علي بن أبي طالب، الهاشمي القرشي العدناني، أبو عبد الله: السبط الشهيد، ابن فاطمة الزهراء. وفي الحديث: «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة». ولد في المدينة سنة ٤هـ، ونشأ في بيت النبوة، وإليه نسبة كثير من الحسينيين. وهو الذي تأصلت العداوة بسببه بين بني هاشم وبني أمية حتى ذهبت بعرش الأمويين. وذلك أن معاوية ابن أبي سفيان لما مات، وخلفه ابنه يزيد، رفض الحسين مبايعته، رحل إلى مكة في جماعة من أصحابه، فأقام فيها أشهراً، ودعاه إلى الكوفة أشياعه (وأشياع أبيه وأخيه من قبله) فيها، على أن يبايعوه بالخلافة، فأجابهم، وخرج من مكة في مواليه ونسائه وذراريه ونحو الثمانين من رجاله. وعلم يزيد بسفره =

والنؤي: جمع نؤي بفتح النون وإسكان الواو ثم ياء مثناة تحتية، حفيرة تجعلها العرب حول الخبا حتى لا يدخله الماء.

وأُشيعث: تصغير أشعث، وهو الوتد لأنّه يتشعّث رأسه بالدق.

وابن داية: علم جنس للغراب.

ومما أورده الخفاجي من شعر أبي المعالي:

توشَّحَتْ كالنجوم الزُّهْر في الظُّلَم ... سِمْطَيْن من لُؤْلُؤٍ رَطْبٍ ومن كَلِمِ

وقلَّدتْ جِيدَ آرام النَّقَا دُرَراً ... بزَّتْ بهنَّ دَرَارِي الأفْقِ في القَسَم

وأقبلَتْ في مُرُوطِ الزَّهْو رافلةً ... تجرُّ تِيهاً مروط الخزّ[1] من أُمَم[2]

جيداءُ مصقولةُ القُرطيْن مَائِسةُ الْـ ... ـمِطْفين مخضُوبةُ الأطْراف بالعَنَم

كأنها حينَ وافَتْ والفؤادُ بها ... صَبٌّ صُبابةُ شَرْخٍ مَرَّ كالحُلُم

فما الرِّياضُ بَكَاها الفطرُ ليلَتَه ... بُكاءَ طَرْفٍ قريحٍ بات لم يَنَم

شوقاً لِطَيْفِ خيال بات يرقُبُه ... مِن ناقضِ العهْدِ والميثاق والذِّمَم

يُضاحِك المُزْنُ فيه الأقحوانُ ضُحىً ... عن ثَغْرِ مُبْتَسِمٍ بالدُّرَ مُنْتَظِمِ

= فوجه إليه جيشاً اعترضه في كربلاء (بالعراق ـ قرب الكوفة) فنشب قتال عنيف أصيب الحسين فيه بجراح شديدة، وسقط عن فرسه، فقتله سنان بن أنس النخعي (وقيل الشمر بن ذي الجوشن) وأرسل رأسه ونساؤه وأطفاله إلى دمشق (عاصمة الأمويين) فتظاهر يزيد بالحزن عليه. وكان مقتله ﷺ يوم الجمعة عاشر المحرم سنة ٦١هـ، وقد ظل هذا اليوم يوم حزن وكآبة عند جميع المسلمين. وللفيلسوف الألماني «ماربين» كتاب سماه «السياسة الإسلامية» أفاض فيه بوصف استشهاد الحسين... ذلك الرجل الكبير الذي عرف كيف يزلزل ملك الأمويين الواسع ويقلقل أركان سلطانهم. وكان نقش خاتمه «الله بالغ أمره». ومما كتب في سيرته «أبو الشهداء: الحسين بن علي ـ ط» لعباس محمود العقاد، و «الحسين بن علي ـ ط» لعمر أبي النصر، و «الحسين ﷺ ـ ط» جزآن، لعلي جلال الحسيني.

ترجمته في:

تهذيب ابن عساكر ٤: ٣١١ وخطط مبارك ٥: ٩٣ ومجلة العرفان. ومقاتل الطالبيين ٥٤ و٦٧ وابن الأثير ٤: ١٩ والطبري ٦: ٢١٥ وتاريخ الخميس ٢: ٢٩٧ واليعقوبي ٢: ٢١٦ وصفة الصفوة ١: ٣٢١ وذيل المذيل ١٩ وحسن الصحابة٨٧، والمصابيح ـ خ ـ لأبي العباس الحسيني، الاعلام ط ٤/٢/٢٤٣ ـ ٢٤٤.

(١) الربطة: كل ملاءة غير ذات لفقين كلها نسج واحد وقطعة واحدة، أو كل ثوب لين رقيق كالرائطة، الجمع ربط القاموس (ر ى ط). والأمم: القرب.

(٢) في هامش الأصل: «فضول المرط».

فالـوُرْقُ صـادِحـةٌ والـروضُ ضـاحـكـةٌ   ثـغـورُه بَـيْـن مُـنْـهَـلٍّ ومُـنْـسـجِـم
تـجاذِبُ الرِّيحُ أطرافَ الغـصون بـهـا   فـتـنْـثَـنـي والـهـوى ضَـرْبٌ مـن الـلَّـمَـم
يـومـاً بـأحْـسَـنَ مَـرْأى مـن شـمـائِـلِـهـا   وقـد أتـتْ بـعِـتـابٍ مـن أخـي كَـرَمِ[1]

ويعرف هذا النوع من قوله: «فما الرياض... الخ» الأبيات بالتوشيح في المحسنات، والمشبه به قبل استعمال صناعة التوجيه متروك فيها، وهو كذا في الريحانة، فالظاهر أنه سهى عن نقله، وأن يقدر مقول فيها فما الرياض... الخ، ولم يذكر الأفندي متى كان الطالوي وهو مخل في جميع رياض ريحانته بذلك، وأحسب أنه عاصره وأنه عاش إلى الأربعين وألف[2]، لأنه ذكر في «السانحات» أنه أخذ الطب عن الشيخ داود، وذكر أن الشيخ داود توفي سنة ثمان وألف بمكة المكرمة.

ومن أقوى الأدلّة على فضله في الإنشاء ما ذكر لنفسه في السانحات يصف وروده للأخذ على الشيخ داود فقال: وردت إليه على برح اشتياق، وادكار بحديث هيت أو حديث زوراء العراق، بل كنت لديه كقميص يوسف حين ألقاه البشير إلى يعقوب، فارتد لفرط السرور وهو بصير، فمازجته امتزاج الراح بالماء القراح، ولزمته لزوم الظل في الغدو والرواح، فلما استشف غيب بالمني من الظاهر، واستشرف بقوّة حدسه عما تكره الضمائر سمح لي بشيء من بعض علومه الغريبة، واختصني بدقائق حكمه العجيبة، بما لو انتظم في سلك البيان لسحر، وظهر لأعين الناظرين لبهر:

فإن كنت سهل القود فاطو طريقه   على كل طاو من جياد العزائم
وإلاّ فـلا تـعـرض لـه فـطـريـقـه   أشـق وأنـأى مـن طـريـق الـمـكـارِمِ

ولم أزل مدَّة إقامتي بالقاهرة أَرود حماه وأجعل سميري فيها قمر محيّاه، تارة بالظاهرية يجمع أناسه، وأُخرى بربع قاسيون مربع إيناسه. محلياً عليَّ فيه من لطائف أسماره، وظرائف نكته البديعة من نوادر أخباره. فمما سمعته منه ورويته عنه وقد سئل عن مسقط رأسه، ومشعل نبراسه، فأخبر إنه ولد بأنطاكية بهذا العارض، ولم يكن بعد الولادة بعارض، قال: ثم إني بلغت من السنين بعدد

---

(١) ريحانة الألبا ١/ ٦٠ ـ ٦١.

(٢) في الاعلام إن مولد الطالوي هذا ٩٥٠ ووفاته ١٠١٤.

السيَّارة من النجوم، وأنا لا أقدر أن أنهض ولا أقوم، لعارض تحكّم في الأعصاب منع قوائمي من حركة الانتصاب، وكان والدي رئيس قرية سيدي حبيب النجار، وله كرم خير وطيب نجار، فاتخذ قرب مزار سيدي حبيب رباطاً للواردين وبنى فيه حجرات للفقراء المجاورين، ورتّب لها في كل صباح من الطعام، ما يحمله إليها بعض الخدّام، وكنت أُحمل كل يوم إلى صحن الرباط فأُقيم فيه سحابة يومي، وأُحمل إلى منزل والدي عند نومي، وكنت إذ ذاك حفظت القرآن، وكفيت مقدمات تثقيف اللسان، وأنا لا أفتر في تلك الحال عن مناجات قيّم العالم في سرّي، ومبدع الكل فيما إليه تؤول عاقبة أمري، فبينا أنا كذلك إذ برجل جاء من أقصى المدينة يسعى كأنه ينشد ضالَّة أو أضلَّ المسعى، فنزل من الرباط بساحته، ونفض فيه أثواب سياحته، فإذا هو من أفاضل العجم ذو قدر منيف، يدعى بمحمد شريف، فبعد أن ألقى فيه عصى التسيار، وكان لا يألف منزلاً كالقمر السيّار، استأذنه بعض المجاورين في القراءة عليه، وابتدىء في بعض العلوم الإلّهية فكنت أسابقه إليه، فلما رأى مني ما رأى استخبر من هناك عني فأجبته ولم يكن غير الدمع سائلاً ومجيباً، فعند ذلك اصطنع لي دهناً مَسَّدني به في حرّ الشمس ولفّني بلفافة من قرني إلى قدمي، حتى كدت أفقد عنده الحسّ، وتكرر ذلك منه مراراً من غير فاصل، فتمشت الحرارة الغريزية كالحميّا في المفاصل، فعندها شدّ من وثاقي، وفصدني في عضدي وساقي، فقمت بقدرة الواحد الأحد بنفسي لا بمعونة أحد، ودخلت المنزل على والدي فلم يتمالك سروراً، وانقلب إلى أهله مسروراً، وضمّني إلى صدره وسألني عن حالي فحدّثته بحقيقة ما جرى، فمشى من وقته إلى الأستاذ ودخل حجرته وشكر سعيه، وأجزل عطيته، فقبل منه شكره واستعفاه برّه، وقال: إنما فعلت لما رأيت منه من الهيئة الاستعدادية، لقبول ما يلقى إليه من العلوم الحقيقية، فابتدأت عليه بقراءة المنطق، ثم اتبعته بالرياضي ثم شرعت في الطبيعي، فلما أكملت اشرأبت نفسي لتعلم اللغة الفارسية فقال: يا بني إنها سهلة لكل أحد، ولكنني أفيدك اللغة اليونانية، فإني لا أعلم الآن على وجه الأرض من يعلمها غيري، فأخذتها عنه وأنا الآن بحمد الله فيها كهو إذ ذاك، ثم ما برح أن سار يطوي المنازل لدياره، وانقطعت عني بعد ذاك سيّارة أخباره.

ثم ساق رحلته وما جرى له وليس القصد إلاّ إيراد طريقته في الإنشاء.

والشيخ داود كان القائم بعلوم الأوائل في عصره، ومن تحقق مقالاته في التذكرة خاصة في القسم الأول عرف فضله ونبله، نعم فيها أغاليط وأوهام خاصة في علم الكيمياء وصفة بعض الأشجار، ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾[1].

[٧٠]

أبو علي، دعبل بن علي بن رزين بن سليمان بن تميم بن بيهس بن خراش بن خالد بن دعبل بن أنس بن خزيمة بن سلامان بن أسلم بن أقصى بن حارثة بن عمرو بن عامر مزيقيا، الخزاعي البغدادي الدار، الكوفي المولد، الشاعر المشهور[*].

فاضل يروي من فكرته عن ابن معين، ومن ذكائه عن ابن واقد، عصائب لآليء فكرته إما شنوف للحسان وإما قلائد، دعى الناس إلى بيعته للفضل في الشعر بالرضا، وأورى قدح زند فكرته في قلب الحاسد جمر الغضا، كم بكى النور بدمع الغمام لما قصر عن حسن بهجة شعره وشكى، وشاب لحسرته، فضحك الشيب برأسه فبكى.

وهو من أشهر شعراء الأغاني واللحن في قوله العربي المحض:

لا تَعْجَبِي يا سَلم مِن رَجلٍ ضحِك المَشيبُ برأسه فبكى[2]

وهو في محبة آل النبي ﷺ أشهر من علي بن الجهم في محبّة آل العباس، رضي الله عنه.

---

(١) سورة يوسف: الآية ٧٦.

(*) ترجمته ونماذج من شعره في: الأغاني ٢٠/ ١٣١ ـ ٢٠٢، اعلام الورى، روضات الجنات ٢٧٥، مجالس المؤمنين، لسان الميزان ٢/ ٤٣١، رجال النجاشي ١١٦، أخبار شعراء الشيعة ٩٢ ـ ١٠٧، تاريخ دمشق الكبير ٥/ ٢٢٩، تاريخ بغداد ٨/ ٣٨٢، طبقات الشعراء، معاهد التنصيص، زهر الآداب ٢/ ٩٨١، وفيات الأعيان ٢/ ٢٦٦ ـ ٢٧٠، الاصبة ٣/ ٨٩، الغدير ٢/ ٣٦٣، أعيان الشيعة ٣٠/ ٢٦١ ـ ٣٥٩، أدب ألطف ١/ ٢٩٥، الطليعة ـ خ ـ ترجمته رقم ٩٤، الشعر والشعراء ٧٢٧، كشف الغمة للأربلي ٣/ ١١٢، رجال العلامة الحلي ٧٠، رجال الطوسي ٣٧٥، رجال الكشي ٤٢٥، الذريعة ٩/ ٣٢٦، مقدمة ديوان دعبل لعبد الصاحب الدجيلي، مقدمة ديوان دعبل لعبد الكريم الأشتر، أنوار الربيع ٢/هـ ٣٨،

(٢) الأغاني ٢٠/ ١٣٩.

وقال أبو الفرج فيه: شاعر متقدم مطبوع هجَّاء، لم يسلم عليه أحد من الخلفاء والوزراء وغيرهم، وسلّمه الله من شرِّهم[1].

قلت: لعلَّ ذلك ببركة الرضا.

قال: وكان يقول: أنا أحمل خشبتي على عنقي منذ خمسين سنة ولا أجد من يصلبني عليها وكان متعصباً على نزار مادحاً لليمن، وله قصائد ناقض فيها الكميت تعرف بالنقائض، وكان يهجوه فقال فيه أبو سعيد المخزومي أوغيره: شككت أنا:

وأعجب ما رأينا أو سمعنا ... هجاء قاله حيّ لميتِ
وهذا دعبل كلف معنّى ... بتسطير الأهاجي في الكميتِ
وما يهجو الكميت وقد طواه ... الردى إلاّ ابن زانية بزيتِ

وذكر الشيخ أبو جعفر الطبرسي في أعلام الورى عن أبي الصلت الهروي قال: دخل دعبل الخزاعي على علي بن موسى الرضا عليه السلام بمرو، وقال له: يا بن رسول الله إني قلت فيكم أهل البيت قصيدة، وآليت على نفسي ألاّ أنشدها أحداً قبلك، وأحبّ أن تسمعها مني. فقال الرضا: هات، فأنشده:

ذكرت محل الربع من عرفاتِ ... فأجريت دمع العين بالعبراتِ
وفلّت عُرَى صبري وهاجت صبابتي ... رسومُ ديارٍ أصبحتْ قفراتِ
مدارسُ آياتٍ خلتْ من تلاوةٍ ... ومنزلُ وحيٍ مقفرُ العرصاتِ
لآل رسولِ الله بالخيفِ من منى ... وبالبيتِ والتعريفِ والجمراتِ
ديارُ عليٍّ والحسين وجعفرٍ ... وحمزةَ والسجادِ ذو الثفناتِ
ديار لعبدِ اللّهِ والفضل تلوه[2] ... نجيّ رسول اللّهِ في الخلواتِ
منازلُ كانت للصلاةِ وللتقى ... وللصوم والتطهير والحسناتِ
منازلُ جبريلِ الأمين يزورها ... من اللّهِ بالتسليمِ والرحماتِ
منازلُ وحي اللّهِ معدن علمهِ ... سبيل رشاد واضحِ الطرقاتِ
قفا نسأل الدارَ التي خفَّ أهلها ... متى عهدُها بالصومِ والصلواتِ

---

(١) الأغاني ٢٠/ ١٣١.

(٢) في هامش الأصل: «صنوه».

وأَين الأولى شطّتْ بهمْ غربةُ النوى ... فأصبحن بالموماتِ مفترقاتِ

أحب قصيّ الدار من أجل حبّهم ... وأهجر فيهم أسرتي وثقاتي

وهمْ آل ميراثِ النبيِّ محمد ... وهمْ خيرُ ساداتٍ وخيرُ حُماةِ

مطاعيمُ في الأعسار، في كلّ مشهدٍ ... لقد شرفوا بالفضل والبركاتِ

أئمة عدل يقتدى بفعالهم ... وتؤمن منهم زلة العثراتِ

فيا ربُ زد قلبي هدىً وبصيرةً ... وزدْ حُبَّهم يا ربُ! في حسناتي

لقد آمنت نفسي بهم في حياتها ... وإني لأرجو الأمن بعد وفاتي

ألم ترَ أني مذ ثلاثينَ حجةً ... أروحُ وأغدو دائمَ الحسراتِ

أرى فيئهم في غيرهم متقسماً ... وأيديهمُ من فيئهمْ صفراتِ

إذا وتروا مدّوا إلى واتريهم ... أكفاً عن الأوتار منقبضاتِ

فآلُ رسول اللّهِ نحفٌ جسومُهم ... وآل زيادٍ غُلّظُ القصراتِ

وآل زيادٍ في القصور مصونةٌ ... وآلُ رسول الله في الفلواتِ

سأبكيهمُ ما ذَرّ في الأُفق شارقٌ ... ونادى منادي الخير بالصلواتِ

ولولا الذي أرجوه في اليوم أوغد ... تقطع نفسي إثرهم حسرَاتِ

خروج إمامٍ لا محالة خارجٍ ... يقوم على اسم الله والبركاتِ

يُميّزُ فينا كلَّ حقٍّ وباطلٍ ... ويجزي من النعماءِ والنقماتِ

فيا نفس طيبي، ثم يا نفس فاصبري ... فغيرُ بعيدٍ كلُ ما هو آتِ(١)

إن صدق حدسي في البيتين أولهما موضوعان فليس لهما قوّة سائرهما.

قال أبو الصلت: فأنفذ له الرضا فيها مائة دينار واعتذر إليه، فردّها وقال: والله ما لهذا جئت، وإنما جئت للتبرك بالنظر إلى وجهه الميمون، وإني لفي غنى، فإن رأى أن يعطيني شيئاً من ثيابه للتبرك فهو أحبّ إليّ، فأعطاه الرضا جبّة

---

(١) أعلام الورى القصيدة كاملة ومحققة في ديوانه ٨٥ ـ ٩٧. وقد وردت في مصادر كثيرة منها: معجم الأدباء ٤/ ١٩٤، بحار الأنوار ٧٢ ـ ٧٤، كشف الغمة، مجالس المؤمنين ٤٥١، أعيان الشيعة ٣٠/ ٣٣، كشكول البحراني ٢/ ٣٢٥، الفصول المهمة، مطالب السؤول ٢/ مقتل الحسين للخوارزمي ٢/ ١٢٩، نور الأبصار ١٤٧، الأتحاف بحب الأشراف ١٦١ ـ ١٦٣، الأمالي للطوسي ٦١ ـ ٦٢، تذكرة خواص الأمة ١٣٠ ـ ١٣١، تاريخ دمشق الكبير ٥/ ٢٣٤، تاريخ بغداد ٨/ ٣٨٣، الأمالي للقالي ٢/ ١٣٠، لسان الميزان ٢/ ٤٣١، منتهى المقال مروج الذهب ٣/ ٣٠٨، معجم البلدان ١/ ٣١٦، زهر الآداب ١/ ١٣٣، مناقب آل أبي طالب ٣/ ٤٥٠، تنقيح المقال ١/ ٤١٧ ـ ٤١٩، عيون أخبار الرضا ٣٦٨، ثمار القلوب ٢٣٣ وغيرها.

خزّ وردّ عليه الدنانير وقال للغلام، قل له: خذها ولا تردّها فإنك ستنفقها أحوج ما تكون إليها، فأخذهما، وأقام بمرو مدة، وتجهّزت قافلة إلى العراق فتجهّز معها، فخرج عليهم اللصوص في أثناء الطريق فنهبوا القافلة عن آخرها وكتفوا جماعة من أهلها منهم دعبل، فساروا بهم غير بعيد ثم جلسوا يقتسمون أموالهم، فتمثّل أمير اللصوص بقول دعبل:

أرى فيئهم في غيرهم متقسماً وأيديهمُ من فيئهمْ صفراتِ

فسمعه دعبل، فقال: أتعرف لمن هذا البيت؟ قال: وكيف لا أعرفه، هو الرجل من خزاعة اسمُهُ دعبل، شاعر أهل البيت، قال دعبل: أنا والله هو، وأنا قائل القصيدة. قال: ويلك انظر ما تقول، قال دعبل: الأمر أشهر من ذلك واسأل هؤلاء المساكين معكم يخبروك، فسألهم اللصوص فقالوا بأجمعهم: دعبل الخزاعي، ثم أنشده القصيدة بأجمعها، فقال: قد وجب حقّك علينا وقد رددنا القافلة وما حويناه منها جميعاً إكراماً لك يا شاعر أهل البيت، ثم إنها أخذوني معهم وتوجّهوا إلى قم ووصلوني بمال وسألوني بيع جبّة الإمام الرضا منهم بألف دينار، فقلت: لا أبيعها، وإنما هي للتبرك، ثم رحلت من ثم بعد ثلاثة أيام، فلما صرت منها على مسيرة ثلاثة أيام خرج عليَّ قوم من أحداثهم وأخذوا الجبّة، فرجعت وأخبرت أكابرهم فَرَدّوها علي، ثم قالوا نخشى أن تؤخذ منك ثم لا تعاد، فبالله إلا أخذت الألف دينار وتركتها لنا، فأخذ منهم الألف وتركها.

وقال غير الطبرسي: إنه باع منها نحو شبر بألف دينار.

وقال أبو الفرج: سئل أبو تمّام عن دعبل ابن من هو؟ قال: هو ابن «ضحك المشيب برأسه فبكى».

قلت: إنما قاله أبو تمّام جواباً لمن سأله عن النسب على سبيل المغالطة استحساناً له، وأبو تمّام أمام البديع، وممن سبق إلى فتح بابه، إنما اشتهر له هذا البيت وفيه من البديع المقابلة أو المطابقة على مذهب، وهي ليست من نفيس البديع كالتورية والاستخدام، لأنه طرقه بكراً، ووصل غادته عُذراً، ثم لما شاخت الشابة دخله ملل الابتذال أو شابه وقد عانقته التورية وهو داخل في قوله:

إذا وتروا مدّوا إلى واتريهم أكفاً عن الأوتار منقبضاتِ

لأن الوتر الأوّل بكسر الواو: الذحل وهو الدم يطلب به الرجل، والأوتار

جمع الوتر الذي يشدّ على عود اللهو، وجمع الوتر الذي هو الذحل ففيه تورية سافرة النقاب، متلألأة من وراء الحجاب.

وقيل: كان دعبل في شبيبته شاطراً، فقتل صيرفياً ظن أن كيسه معه فوجد في كمّه رماناً، فهرب من الكوفة.

ودخل عبد الله بن طاهر على المأمون فقال له: أعهدتني تحفظ لدعبل، قال: أحفظ أبياتاً له في أهل بيت أمير المؤمنين، فقال: هاتها، فأنشده:

سَقياً ورعياً لأيام الصبا باتِ ... أيام أرفلُ في أثوابِ لذّاتي
أيام غصني رطيبٌ من ليانتهِ ... أصبو إلى غيرِ جاراتي وكنّاتي
دَعْ عنكَ ذكرَ زمانٍ فاتَ مطلبُه ... واقذفْ برجلكَ من متن الجهالاتِ
واقصدْ بكلِّ مديحٍ أنتَ قائلهُ ... نحوَ الكرامِ بني بنتِ الكراماتِ[1]

فقال المأمون: والله إنه وجد مقالاً، فقال: ونال بعد بذكرهم ما لا يناله بغيرهم، ولقد أحسن في وصف سفر سافرهُ فطال عليه ذلك السفر، فقال:

ألم يأن للسَفر الذين تحمّلوا ... إلى وطن قبل الممات رجوعُ؟
فقلت ولم أملكْ سوابقَ عبرةٍ ... قطعنَ بما ضُمّتْ عليه ضلوعُ
تبيّنْ، فكم دارٍ تفرقَ أهلُها ... وشمل شتيتٍ عاد وهو جميعُ[2]
طوال الليالي صرفُهنَّ كما ترى ... لكلّ أناسٍ جدبةٌ ورَبيعُ[3]

ثم قال المأمون: ما سافرت قط إلاّ كانت هذه الأبيات نصب عيني وهجيراي ومسئلتي حتى أعود[4].

قال أبو الفرج: كان المعتصم يبغض دعبلاً لطول لسانه، فبلغ ذلك دعبلاً أنه يريد اغتياله، فهرب إلى الجبل وقال يهجوه:

---

(١) الأغاني ٢٠/١٦٧، ابن عساكر ٥/٢٢٩، معاهد التنصيص ٢٧٣، عصر المأمون ٣/٢٥٩، دائرة المعارف لوجدي ٤/٤٥.

(٢) جميع: قوي شديد.

(٣) ابن عساكر ٥/٢٢٩، أعيان الشيعة ٣٠/١٦٩، الأغاني ٢٠/١٦٧، دائرة المعارف لوجدي ٤/ ٤٥، المدائح النبوية ١٠٥، معاهد التنصيص ٢٧٣، ديوانه ١٧٠.

(٤) الأغاني ٢٠/١٦٧ ـ ١٦٨.

بكى لشتاتِ البين مكتئب صبُّ | وفاض لفرطِ الدمع من عينه غربُ
وقامَ أمامٌ لم يكن ذا هدايةٍ | فليس له دينٌ، وليس له لبُّ
وما كانتْ الأنباءُ تأتي بمثلهِ | يُمّلكُ يوماً، أو تَدينُ له العربُ
ولكن كما قالَ الذين تتابعوا | من السلفِ الماضينَ إذ نظم الخطبُ
ملوكُ بني العباس في الكتب سبعةٌ | ولم تأتنا عن ثامن لهمُ الكتبُ[1]
كذلك أهلُ الكهفِ في الكهف سبعةٌ | كرام إذا عدوا، وثامنُهم كلبُ
وإني لأُعلي كلبتهم عنك رفعةً | لأنك ذو ذنب، وليس له ذنبُ[2]

وسأله بعض أصحابه: أنت قائل البيت السابع؟ قال: لا والله، وإنما قاله إبراهيم بن المهدي ليشيط بدمي مكافأة على هجائي إياه.

وأخبر دعبل قال: لما هربت من الخليفة بتّ ليلة بنيسابور وحدي، وعزمت على أن أفعل قصيدة في عبد الله بن طاهر في تلك الليلة، فإني لفي ذلك والباب مردود إذ سمعت السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أألج يرحمك الله، فاقشعرّ بدني من ذلك ونالني أمر عظيم، فقال: لا ترع، فإني من إخوانك الجن من ساكني اليمن، طرأ علينا طارٍ من أهل العراق فأنشدنا قصيدتك «مدارس آيات. . .» فأحببت أن أسمعها منك، فأنشدته إيّاها، فبكى حتى خرّ، ثم قال: لا أحدثك رحمك الله حديثاً يزيد في نيّتك ويعنك على التمسك بمذهبك؟ قلت: بلى، قال مكثت حيناً أسمع بذكر جعفر بن محمد، فسرت إى المدينة، فسمعته يقول: حدثني أبي عن أبيه عن جده: إن رسول الله ﷺ قال: علي وشيعته هم الفائزون، ثم ودّعني لينصرف، فقلت: رحمك الله إن رأيت أن تخبرني باسمك، قال: أنا ظبيان بن عامر[3].

وقال أبو عبد الله أحمد بن حمدون النديم: لقد رأيت الملوك في مقاصيرها، ومجامع حفلها، فما رأيت أغزر أدباً من الواثق، خرج علينا ذات يوم

(١) الملوك السبعة هم: أبو العباس السفاح، أبو جعفر المنصور، المهدي، الهادي، الرشيد، الأمين، المأمون.

(٢) الأغاني ٢٠/١٥٧ ـ ١٥٨، معاهد التنصيص ٢٧١، أعيان الشيعة ٣٠/٢٩١، آداب اللغة العربية ٢/٧٢، لسان الميزان ٢/ ٤٣١، تاريخ ابن عساكر ٥/٢٣٦، ديوانه ١٢٩ ـ ١٣٠.

(٣) الأغاني ٢٠/١٥٥، عيون أخبار الرضا ٢٨٠، معاهد التنصيص ١/٢٠٥، سفينة البحار ١/١٨٧.

وهو يقول: لعمري لقد عرّض عرضه من عرضه لقول الخزاعي دعبل:

خليلَيَّ ماذا أرتجي من هوى امرئ ... طوى الكشحَ عنّي اليومَ وهْو مكينُ
وإن امرىء قد ظَنَّ عني بمَنطقٍ ... يُسَدُّ به من خلتي لظنينُ[1]

فانبرى أحمد بن أبي داود كأنما أنشط من عقال يسأله في رجل من أهل اليمامة، فأطنب وأسهب، وذهب به القول كل مذهب، فقال له الواثق: يا أبا عبد الله لقد أكثرت في غير كثير ولا طيب، فقال: يا أمير المؤمنين إنه صديقي وأهون ما يعطي الصديق صديقه أن يتكلم. فقال الواثق: وما قدر اليمامي أن يكون صديقك، وإنما أحسب أن يكون من عرض معارفك، فقال: يا أمير المؤمنين أنه شهرني بالاستشفاع إليك وجعلني بمرأى ومسمع من الرد والأصغاء، فإن لم أقم له هذا المقام كنت كما قال أمير المؤمنين، وأنشد البيتين، فقال الواثق: يا محمد بن عبد الملك، بالله إلاّ ما عجّلت لأبي عبد الله حاجته ليسلم من هجنة المطل كما سلم من هجنة الرد.

وكان دعبل يقول: من فضل الشاعر أن يستحسن منه ما يستقبح من غيره الكذب، وكلما زاد كذبه زاد استحسانه، ثم لا يكفيه ذلك إلاّ بقول السامع: أحسنت والله، فلا يشهد له شهادة إلاّ ومعها يمين.

ومن أخباره ما رواه بعض أصحابه قال: أخبرنا دعبل، قال: كنا يوماً عند سهل بن هارون الكاتب، وكان مشهوراً بالبخل، فأطلنا الحديث فاضطره الجوع إلى أن دعا بغدائه، فأتي بقصعة فيها ديك هرم لا تعمل فيه سكين، ولا يؤثر فيه ضرس، فأخذ قطعة خبز فخاض بها مرقته، وقلّب جميع ما في القصعة ففقه الرأس فبقي مطرقاً ساعة ثم رفع رأسه فقال للطباخ: أين الرأس؟ قال: رميت به، قال: ولم فعلت؟ قال: ظننت أنك لا تأكله، قال: بئسما ظننت، ويحك والله إني لأمقت من يرمي برجليه، كيف من يرمي برأسه، أما علمت أن الرأس رئيس وفيه الحواس الأربع، ومنه يصيح، ولولا صوته لما فضّل، وفيه عرفه الذي يتبرك به، وعيناه وبهما يضرب المثل فيقال شراب كعين الديك، ودماغه عجيب لوجع الكليتين، ولم يُرَ عظم أهشّ من عظم رأسه، أو ما علمت أنه خير من طرف

---

(١) الأغاني ٢٠/ ١٣٤.

الجناح ومن الساق والرجلين، فإن كان قد بلغ من نبلك إنك لا تأكله فانظر أين رميت به؟ قال: لا أدري! قال: لكني أدري، رميت به والله في بطنك، والله حسبك.

قلت: لقد أفاد بُخل سهل فوائد طيّبة، وأمثال تحبب أكل رؤوس الديوك مع ظرف المحاورة، وإنه مجدّ، ولهذا إن من البيان لسحراً.

ومما يتعلق بالديك ودعبل: ما حدّث أحمد بن خالد الكاتب البغدادي قال: كنّا يوماً في دار رجل اسمه صالح بن علي من عبد القيس ببغداد، ومعنا جماعة من أصحابنا فسقط على السطح ديك من دار دعبل، فلما رأيناه قلنا هذا صيد فأخذناه، فقال صالح: ما تصنع به، قلنا نذبحه فذبحناه وشويناه، وخرج دعبل فسأل عن الديك فعرف أنه سقط في دار صالح فطلبه منا فجحدناه وشربنا يومنا، فلما كان من الغد خرج دعبل فصلى الغداة وجلس على باب المسجد وكان مجمعاً يجتمع فيه العلماء والأدباء وينتابهم الناس فقال:

أسرَ المؤذِّنَ صالحٌ وضيوفُه ... أسْرَ الكميّ القرن ديك الحائطِ[1]
يتنازعونَ، كأنهم قد أوثقوا ... خاقان! أو هزموا كتائب ناعطِ[2]
بعثوا عليه بناتهم وبنيهمْ ... من بين يانعةٍ وآخرَ ساقطِ
نهشوه، فانتزعتْ له أسنانُهمْ ... وتهشمتْ أقفاؤهم بالحائطِ[3]

فكتبها الناس عنه ومضوا، فقال لي وقد رجع إلى البيت: ويحكم ضاقت عليكم المآكل فلم تجدوا سوى ديك دعبل، ثم أنشدني في الشعر وقال: لا تدع ديكاً ولا دجاجة إلا اشتريته لدعبل وبعثت به إليه وإلاّ وقعنا في لسانه، ففعلت ذلك.

وبات دعبل ليلة عند صديق له من أهل الشام وبات عندهم رجل من أهل بيت لهيا اسمه حوى بن عمر السكوني وكان جميل الوجه، ندب عليه صاحب البيت، وكان شيخاً كبيراً فانياً قد أتى عليه حين من الدهر، فقال دعبل:

---

(١) يريد بالمؤذن، الديك، الكمي: الشجاع وجمعها كماة.
(٢) ناعط: قبيلة من همدان، وأصله جيل نزلوا به فنسبوا إليه.
(٣) الأغاني ٢٠/١٤١، معاهد التنصيص ٢٧٠.

لـولا حـوى مـن بـيـتِ لـهـيـانِ مـا قـام أيـر الـعـزَبِ الـفـانـي[1]
لــه دواةٌ فـي سـراويـلـهِ يـلـيـقُـهـا الـنـازحُ والـدانـي[2]

فشاعت وهربَ حوي من البلد وافتضح الشيخ، وكان يسبُّ دعبلاً[3].

وقال دعبل: بينا أنا بباب الكرخ أتنّزه إذ مرّت بي جارية لم أرَ أحسن منها وجهاً ولا قدّاً، فقلت متعرّضاً لها:

دمـوعُ عـيـنـي بـه انـبـسـاطٌ ونـومُ جـفـنـي بـه انـقـبـاضُ[4]

فقالت مسرعة:

وذا قـلـيـلٌ لـمـن دهـتْـه بـلـحـظـهـا الأعـيـنُ الـمِـراضُ

فما داخلني أحلى من كلامها، فمضيت أمامها وهي تتعثر إلى دار مسلم بن الوليد الأنصاري[5]، فصادفت عنده عسرة فدفعت إليَّ منديلاً وقالت: اذهب فبعه وخذ لنا ما يصلحنا وعُد، فمضيت مسرعاً وعُدت، فوجدت مسلماً قد خلى بها في سرداب وذهبت، فلما أحسَّ بي وثب إليَّ وقال: عرَّفك الله يا أبا علي ثواب ما عملت وجعله أحسن حسنة لك، فغاظني طنزه بي وقوله، وجعلت أفكر أي شيء أعمل له فقال لي: بحياتي يا أبا علي من الذي يقول:

بـت فـي درعـهـا وبـات رفـيـقـي جـنـب الـقـلـب طـاهـر الأطـرافِ

---

(١) في الأصل: «لو لي حق بي» وما صوّبناه من الديوان.

(٢) لاق الدواة: جعل لها ليقة، والليقة صوفة الدواة أو إذا بلتْ.

(٣) الأغاني ٢٠/ ١٥٠، معاهد التنصيص ٢٧١.

(٤) الأبيات مع القصة في: ابن عساكر ٥/ ٢٣٠، أعيان الشيعة ٣٠/ ٢٥٤، العقد الفريد ط لجنة التأليف ٦/ ٣٩٧.

(٥) هو صريع الغواني مسلم بن الوليد الأنصاري. من متقدمي شعراء الدولة العباسية. مولده ونشأته بالكوفة. جل مدائحه في يزيد بن مزيد وداود بن يزيد المهلبي والبرامكة. لقبه الرشيد بصريع الغواني، وكان يكره هذا اللقب. ولاه المأمون بريد جرجان، فلم يزل بها حتى مات سنة ٢٠٨هـ. له ديوان شعر طبع بليدن سنة ١٨٧٥م ثم طبع بمصر بدار المعارف.

ترجمته في: الأغاني ١٨/ ٣١٥، الشعر والشعراء/ ٧١٢، دائرة الشعراء وجدي ٥/ ٤٦٩ ـ ٤٧٧، معاهد التنصيص ٢/ ١٠، طبقات الشعراء لابن المعتز/ ٢٣٥، تاريخ بغداد ١٣/ ٩٦، معجم الشعراء/ ٢٧٧، النجوم الزاهرة ٢/ ١٧٦، الموشح/ ٤٤٤، مقدمة الديوان لسامي الدهان، أنوار الربيع ١/ هـ ٢٢٦.

فقلت:

مــن لــه فــي دمــاغــه ألــف قــرنٍ ... قــد أنــافــت عــلــى عــلــوّ مــنــافِ

فجعلت أشتمه وأثب عليه، فقال: يا أحمق منزلي دخلت، ومنديلي بعت، ودراهمي أنفقت، لأي شيء حردك يا قوّاد، فقلت: مهما كذبت في شيء فما تكذب في الحمق والقيادة.

وقال علي بن عبد الله بن سعيد: قال لي دعبل وقد أنشدته قصيدة بكر بن خارجة[1] في عيسى بن البراء النصراني ومنها:

زُنّــارُه فــي خــصــره مــعــقــودٌ ... كــأنــه مــن كــبــدِي مــقــدودُ[2]

والله ما أعلم إني حسدت أحداً كما حسدت بكراً في بيته هذا.

قال الأصبهاني: وكان بكر ورّاماً ضيّق المعيشة، معاقراً للشراب، وكان مليح الشعر ومطبوعه، ماجناً خليعاً[3]، وكانت الخمرة أفسدت عقله، فصار يمدح ويهجو بالدرهم والدرهمين، فاطرح[4].

وقال بعض الكوفيين: حضرنا دعوة ليحيى بن أبي يوسف القاضي وبُتنا عنده، فنمت فما نبهني إلاّ صياح بكر يستغيث من العطش، فقلت له ثلاثاً: قم فاشرب، فالدار ملاء من الماء، قال: أخاف، قلت: من أي شيء؟ قال: في الدار كلب كبير، فأخاف أن يظنني غزالاً فيثب عليّ ويقطّعني ويأكلني، فقلت له: خرب بيتك أنت والله بالخنازير أشبه منك بالغزلان، قم فاشرب إن كنت عطشان، وأنت آمن[5].

وقال دعبل: لما هجوت أبا سعد المخزومي بقولي:

يــا أبــا ســعــد قَــوْصَــره ... زانــي الأخــت والــمــرَه

---

(١) ترجمته في الأغاني ٢٣/١٩٧ ـ ٢٠١.

(٢) الأغاني ٢٣/١٩٨.

(٣) الأغاني ٢٣/١٩٧.

(٤) الأغاني ٢٣/١٩٩.

(٥) الأغاني ٢٣/١٩٩ ـ ٢٠٠.

لـــو تـــراه مـــكـــبـــبـــاً خـــلـــتـــه عـــقـــد قـــنـــطـــره
أو تـــرى الأيـــر فـــي اســـتـــه خـــلـــتَ ســـاقـــاً بِـــمِـــعـــصـــره[1]

أخذت معي جُرْزاً ودعوت الصبيان فأعطيتهم منه، وقلت: صيحوا يا أبا سعد قوصره، فصاحوا به فغلبته[2].

وقال أبو جعفر النحوي مؤدب آل طاهر، دخل دعبل على عبد الله بن طاهر وهو يتغدى فأنشده:

جـئـتُ بـلا حُـرمـة ولا سـبـبِ إلـيـك، إلاّ بـحـرمـةِ الأدبِ
فـاقـضِ ديـونـي فـإنـنـي رجـلٌ غـيـرُ مـلـحّ عـلـيـك فـي الـطـلـبِ[3]

فانتعل عبد الله ودخل إلى الحرم ووجَّه إليه بصرّة فيها ألف درهم وكتب معها:

عـاجـلـتَـنـا فـأتـاك عـاجـلُ بـرّنـا ولـو انـتـظـرْتَ كـثـيـره لـم يَـقـلِـلِ
فَـخُـذ الـقـلـيـل وكـن كـأنـك لـم تـسـلْ ونـكـونُ نـحـن كـأنـنـا لـم نـفـعـلِ[4]

ومن شعره:

إنـمـا الـعـيـشُ فـي مُـنـادمـةِ الإخـوا ن لا فـي الـجـلـوس عـنـد الـكَـعَـابِ[5]
وسـكـر كـأنـهـا ألـسُـن الـبـرق إذا اسـتـصـرخـت مـتـون الـسـحـابِ
أن تـكـونـوا تـركـتـمُ لـذّة الـعـيـش حـذارَ الـعـقـاب يـومَ الـعـقـابِ
فـدعـونـي ومـا أَلـذُّ وأهـوى وارفعوا بي في صدرِ يوم الحسابِ[6]

ومن أشهر شعره في المطلب بن عبد الله الخزاعي[7] أمير مصر:

---

(١) طبقات الشعراء لابن المعتز ١٤٠، الأغاني ٢٠/ ١٨٩، معاهد التنصيص ٢٧٥.
(٢) الأغاني ٢٠/ ١٩٩.
(٣) الأغاني ٢٠/ ١٩٩، تاريخ بغداد ٨/ ٣٨٤، أعيان الشيعة ٣٠/ ٢٩٣.
(٤) الأغاني ٢٠/ ١٩٩.
(٥) الكعاب: المرأة التي نهد ثديها.
(٦) الأغاني ٢٠/ ١٦٢ ـ ١٩٧، ديوانه ١٢٣.
(٧) المطلب بن عبد الله بن مالك الخزاعي: وال. كان في مكة. وولي إمرة مصر للمأمون (سنة ١٩٨هـ) فقدم إليها، والثورات قائمة، وأهلها فريقان: فريق من حزب الأمين وفريق من حزب المأمون. فقاسى الشدائد؛ وعزل بعد نيف وسبعة أشهر من ولايته، وأمر المأمون بالقبض عليه، =

زمـنـي بـمـطـلـبٍ سُقـيـتَ زمـانـاً ... مـا كـنـتَ إلاّ روضـةً وجِـنـانـا
كـلُّ الـنـدى، إلاّ نـداكَ تـكـلّـفٌ ... لـم أرضَ غـيـرك كـائـنـاً مَـن كـانـا
أَصـلـحـتَـنـي بـالـبـرِّ بـل أفـسـدتـنـي ... وتـركـتـنـي أتـسـخّـطُ الإحـسـانـا[1]

وهذا المعنى المليح قد مرّ مثله للبحتري، خاطب به علي بن محمد القمي والله أعلم أيهما السابق إليه، إلاّ أن دعبلاً مات قبل البحتري، ثم أن دعبلاً هجى المطلب بعد ذلك وكان سبب موته أنه قصد مالك بن طوق التغلبي أمير الحويزة فلم يرض ثوابه فهجاه بقوله:

إنَّ ابـن طـوقٍ وبـنـي مـالـكٍ[2] ... لـو قُـتـلـوا أو جُـرحـوا قـسـره[3]
لـم يـأخـذوا مـن ديّـةٍ درهـمـاً ... يـومـاً، ولا مـن إرشـهـمْ بَـعـره[4]
دمـاؤهـمْ لـيـس لـهـا طـالـبٌ ... مـطـلـولـةٌ مـثـلُ دمِ الـعُـذْره
وجـوهُـهـمْ سـودٌ، وأجـسـامـهـمُ ... بـيـضٌ، وفـي آذانـهـمْ صـفـره[5]

ثم هرب إلى الأهواز فبعث مالك رجلاً إلى هنالك فاغتاله، بأن ضرب قدمه بزجّ عكاز مسموم بعد العتمة فمات من الغد بالسوس.

وكانت ولادته سنة ثمان وأربعين ومائة.

وتوفي سنة ست وأربعين ومائتين، رحمه الله تعالى.

= فحبس مدة. وثار أهل مصر في أيام خلفه (العباس بن موسى) فأطلقوا المطلب وأعادوه إلى الإمارة في أوائل سنة ١٩٩ فأحسن السياسة، وأقره المأمون إلى سنة ٢٠٠ وعزله، فأوقد الفتنة، فلم يفلح، فخرج هارباً إلى مكة توفي بعد سنة ٢٠٠هـ.

ترجمته في:

النجوم الزاهرة ٢: ١٥٧ و١٦٢ والمقريزي ١: ١٧٢ - ١٧٣ والولاة والقضاة ١٥٢ و١٥٤، الاعلام ط ٤/٧/٢٥٢.

(١) الأغاني ٢٠/١٧٨، روضات الجنات، مرآة الجنان ٢/١٤٦، وفيات الأعيان ١/١٧٩، لسان الميزان ٢/٤٣١، أعيان الشيعة ٣/٣٣٩.

(٢) في الأغاني: «بني تغلب».

(٣) القسر: القوّة.

(٤) الارش؛ ديّة الجراحات.

(٥) الأغاني ٢٠/١٩٨، معاهد التنصيص ٢٧٦، المنتحل ١٣٩، أعيان الشيعة ٣٠/٣٤٣، ديوانه ١٥٩.

وقال البحتري يرثيه، وذكر أبا تمام وكان مات قبله بالموصل:

قد زادني قلقي وأوقد لوعتي ... مثوى حبيب يوم مات ودعبلِ
أخوي لا زال السماء مخيلة ... نعشاً كما بسماء مزن مسبلِ
جدث على الأهواز يبعد دونه ... مسرى النعي ورمسه بالموصلِ[1]

وقيل: إن دعبلاً مات حتف أنفه.

والدعبل: في غريب اللغة، الناقة معها ولدها.

والسوس: بالمهملتين معرّب عن المعجمتين بينهما. وأورد الأولى مضمومة: مدينة مشهورة من الأهواز، وهو خوزستان أيضاً وهو إقليم مشهور بين عمل البصرة وفارس وبعسكر مكرم منه توجد العقارب الجرّارة، ومنه جيّد السكّر، وقصبته اليوم الحويزة، مدينة محدثة.

وبيت لُهيا: بضم اللام وإسكان الهاى ثم ياء مثناة من تحت ثم ألف، قرية من غوطة دمشق مشهورة.

---

(١) وفيات الأعيان ١/ ١٨٠.

حرفُ الذال

[٧١]

أبو المطاع، ذو القرنين بن ناصر الدولة أبي الظفر، حمدان بن ناصر الدولة، أبي محمد الحسن بن عبد الله بن حمدان التغلبي، الملقب وجيه الدولة(*).

فاضل شعره كالشذور لذات القرطين، بلغ به مشارق الأرض ومغاربها لأنه ذو القرنين، فلولا السحر يمسكه لسال من الرقّة، ومن رام نسج مثل ديباجه بعدت عليه الشقّة.

وذكر الأمير المختار المعروف بالمسجي في تأريخ مصر: إنه ورد من دمشق إلى مصر في خلافة الظاهر بن الحاكم فولّاه الإسكندرية وعملها وذلك في رجب سنة ٤١٤ فلبث بها سنة ثم عاد إلى دمشق.

وكان فاضلاً، ولعبد العزيز بن نباتة في والده غرر القصائد.

(*) له ديوان شعر حققه د. محسن غياض ونشر في مجلة المجمع العلمي العراقي مجلد ٢٤و ٢٥ لسنة ١٣٥٤هـ/ ١٩٧٤م.

ترجمته في: معجم الأدباء ١١/١١٩ ـ ١٢١، وفيات الأعيان ٢٧٩ ـ ٢٨١، تهذيب ابن عساكر ٥/٢٥٩، شذرات الذهب ٣/٢٣٨، النجوم الزاهرة ٥/٢٧، يتيمة الدهر ١/١٠٦ ـ ١٠٧، أعيان الشيعة ٧/١٣٨، ٣١/٦٣، مجلد المجمع العلمي العراقي ٢٤/٢٦٣ ـ ٢٨٤، ٢٥/١١٥ ـ ١٤١، الاعلام ط ٤/٣/٨.

وكان ذو القرنين شاعراً أديباً، وكان آل حمدان على مذهب الأمير أبي الحسين سيف الدولة في التشيّع.

فمن شعره الرباب، الحالي لجيد الكعاب، أو نمير الرضاب:

لو كنتَ ساعة بيننا ما بيننا ... فشهدتَ حين نكرر التوديعا

أيقنتَ أن من الدموع محدثاً ... وعلمتَ أن من الحديث دموعا[1]

وله أيضاً:

لمَّا التقينا معاً والليلُ يسترنا ... في جنح ظلماءَ ما في طيِّها نَغَمُ

بِتنا أعفَّ مبيتٍ باتهُ بشر ... ولا مراقب إلا الطَّرْفُ والكرم

فلا مشى مَن وشى عند العدوِّ بنا ... ولا سعَتْ بالذي يسعى بنا قدَم[2]

وصدر البيت الثاني هو بعينه قول الشريف الرضي كما يأتي إن شاء الله تعالى، وكيف ما كان فقد أحسن غاية الإحسان.

وله أيضاً:

تقولُ لمَّا رأتني ... نِضواً كمثل الخلالِ

هذا اللقاء منامٌ ... وأنتَ طيفُ خيالِ

فقلت كلا ولكن ... أساء بينُكِ حالي

فليسَ تعرفُ مني ... حقيقتي من محالي[3]

ومن مشهور شعره [من البسيط]:

إني لأحسُدُ «لا» في أسطرِ الصُّحُفِ ... إذا رأيتُ اعتناقَ اللامِ للألفِ

---

(١) معجم الأدباء ٤/ ٢٠١، ١١/ ١٢٠، وفيات الأعيان ٢/ ٢٨٠، تتمة اليتيمة ١/ ٥، تاريخ ابن عساكر ٥/ ٥٩، ديوانه/ القطعة ٨.

(٢) وفيات الأعيان ٢/ ٤٥، ٢٨٠، خاص الخاص ١٤٥، تتمة اليتيمة ١/ ٣/من غاب عنه المطرب ١١٦، دمية القصر ١/ ٢٢١، الاعجاز والايجاز ٢١٢، الوافي بالوفيات ٨/ ٥٨، ديوانه/ القطعة ٤١.

(٣) وفيات الأعيان ٢/ ٢٨٠، تتمة اليتيمة ١/ ٣، الوافي بالوفيات ٨/ ٥٩، أعيان الشيعة ٧/ ٢١٨، ديوانه القطعة ٢٤.

وما أظنُهُمَا طالَ اعْتناقُهُما إلا لما لَقيا مِنْ شِدّةِ الشَّغَفِ[1]

وله أيضاً:

أفْدي الذي زُرتهُ بالسيف مُشْتَملاً ولحظُ عينيه أمْضي منْ مَضاربِه
فَما خَلعْتُ نِجادِي في العناقِ لهُ حَتّى لَبِستُ نِجاداً مِنْ ذَوائبهِ[2]

وهذا معنى يهزّ الأعطاف ولا يدع معنى للسلاف.

وله في غادة تبلى معاجزها بسرعة:

أرى الثياب من الكتّان يلمحها ضوء من البدر أحياناً فيبليها
فكيف تنكر أن تبلى غلائلها والبدر في كل حين طالعٌ فيها[3]

قلت: المعنى مليح، وهو ادعى الشيء ببرهان، وأخذه هو والشريف أبو الحسن بن طباطبا ـ الآتي ذكره إن شاء الله تعالى[4] ـ من قول الشريف الرضي من قصيدة أوّلها:

أسقني فاليوم نشوان ....

ومنها:

كيف لا تبلى غلائله وهو بدر وهي كتّانُ

وأهل البيان يوردون قول ابن طباطبا مستحسنين له ذاهلين عن قول الرضي وهو:

---

(١) يتيمة الدهر ١/ ٩١ ـ ٩٢، وفيات الأعيان ٢/ ٢٧٩، أنوار الربيع ٤/ ٨٦، شذرات الذهب ٣/ ٣٣٨، المنتحل للثعالبي ٥٠، مرآة الجنان ٣/ ٥١، ١٠٧، الوافي بالوفيات ٨/ ٥٩، أعيان الشيعة ٧/ ٣٣٧، ٣١/ ٧٠، المستطرف ٢/ ١٥٩، وقد نسبتها بعض المصادر إلى الشريف ابن طباطبا، ديوانه/ قطعة ٤٢.

(٢) يتيمة الدهر ١/ ٩٢، وفيات الأعيان ٢/ ٢٧٩، تتمة اليتيمة ١/ ٣، خاص الخاص ١٤٤، الأعجاز والايجاز ٢١١، معجم الأدباء ٤/ ٢٠١، تاريخ ابن عساكر ٥/ ٢٥٩، الوافي بالوفيات ٨/ ٥٩، حماسة ابن الشجري ١٨٣، أعيان الشيعة ٧/ ٢١٧، معاهد التنصيص ٣/ ١٣٧، ديوانه/ القطعة ١٢.

(٣) يتيمة الدهر ١/ ٩٢، وفيات الأعيان ٢/ ٢٨٠، تتمة اليتيمة ١/ ٤، الوافي بالوفيات ٨/ ٥٨، أعيان الشيعة ٧/ ٢١٧، ٣١/ ٧٠، معاهد التنصيص ٢/ ١٣٠، ديوانه/ القطعة ٩.

(٤) ترجمه المؤلف برقم ٩.

لا تعجبوا من بلا غلالته | قد زرَّ أزرارهُ على القمرِ

مع أنه قصّر في الاختلاس، والرضي حلّق، فإنه لم يذكر في البيت الأصل، الكتان التي اختص القمر بإبلائه. وفي رواية قليلة قد زر كتانها وهو أولى إن كان لا بد من الأخذ وتأثير العلويات في كثير من السفليات مما يؤيده ارتباطها بحكمة الحكيم المبدع، وقد مرّ في أول الكتاب شيء من هجاء ابن سناء الملك للشمس تبعاً لابن الرومي في هجاء القمر وفيها زيادة أوردها هاهنا ففيها دليل على خفّة عقله حيث تكلّف معايب لمادة حياة العالم، وأما ابن الرومي فمذهبه في ذلك معروف وهي:

لا كانت الشمس فكم أصدأت | صفحة خدّ كالحسام الصقيلْ
وكم وكم صدت بوادي الكرى | طيف خيال جاءني من خليلْ
وأعدمتني من نجوم الدجى | ومنه روضاً بين ظل ظليل
تكذب في الوعد وبرهانه | إن لعاب الفقر منها يسيل
وتحسب النهر حساماً فتر | تاع وتحكي فيه قلب الذليل
إن صدى الطرف فما مقله | إلاّ التجلّي بمحيّا جميل
وهي إذا أبصرها مُبصر | حديد طوق عاد منها كليل
يا علّة المهموم، يل جلدة الـ | ـمهموم، يا زفرة صبّ نحيل
يا قرحة المشرق وقت الضحى | وسلحة المغرب وقت الأصيل
أنت عجوز لم تبر جت لي | وقد بدا منك لعاب يسيل
أنتِ وبالشيطان مقرونة | فكيف تهدينا سواء السبيل

والظاهر أنه شيطانها الشرى، طالت قرونها لنطحها بالذم.

❀ ❀ ❀

رجع، ولذي القرنين:

خذوا بدمي ذاك الغزال فإنّه | رماني بسهمي مقلتيه على عمدِ
ولا تقتلوه إنني أنا عبده | وفي مذهبي لا يقتل الحرّ بالعبدِ[1]

---

(١) أعيان الشيعة ٧٣/٣١، يتيمة الدهر ١٠٥/١، وفيه: أنها لبعض بني حمدان، ديوانه ـ المستدرك/ القطعة ٢.

وله أيضاً [من المتقارب]:

أيـا مـن صـبـرت عـلـى فـقـده ... وإن كـان بـي مـؤلـمـاً مـوجـعـا
لـقـد نـال كـل الـذي يـشـتـهـي ... حـسـودٌ عـلـيـنـا بـبـيـن دعـا[١]

ونسب له الثعالبي في اليتيمة ما نسبه للشريف أبي القاسم أحمد بن طباطبا ـ الماضي في الهمزة[٢] ـ [من البسيط]:

قـالـت لـطـيـفِ خـيـالٍ زارَنـي وقـضـى ... بـالـلَّـهِ صِـفْـهُ ولا تـنـقـصْ ولا تـزِدِ

وشعره سلسلة ذهبية وطريقة وإن عجمت على اللّاحق غريبة.

وذكر ابن خلكان: إنه توفي بمصر سنة ثمان وعشرين وأربعمائة[٣]، رحمه الله تعالى.

---

(١) يتيمة الدهر ١/ ٩٢.

(٢) ترجمه المؤلف برقم ٩.

(٣) وفيات الأعيان ١/ ١٢٩، ٢/ ٢٨١.

حرفُ الرّاء

[٧٢]

أبو الوفا، راجح بن إسماعيل بن أبي الهيثم الأسدي الحلي الأصل، الحلبي، المنعوت بشرف الدين، الشاعر(*).

فاضل، ميزان شعره كاسمه راجح، عُلاً وأضاء بمعانيه فحكى السماك الوامح، وكان الظاهر غازي بشعره ذا عجب، ولله درّه من شاعر أَدرّ غمامة القريحة بدمشق وحلب وكان شاعره والمعظم شعائره.

وأصله من الحلة، وأهلها إمامية على الإطلاق.

ورأيت بخط والدي رحمه الله تعالى، نقل المقريزي: أن الأفرنج لما ارتحلوا عن حصار مدينة عكا برّاً وبحراً على يد الملك الكامل محمد وأخويه الأشرف موسى، والمعظم عيسى، واجتمعوا ليلة على الأنس في مجلس الكامل،

(*) توفي في شهر شعبان سنة ٦٢٧هـ.

ترجمته في: وفيات الأعيان ٤/ ٧ ـ ٩ ضمن ترجمة الملك الظاهر صاحب حلب وفيه اسم جده: «أبي القاسم»، فوات الوفيات ١/ ٢١٨ ـ ٢١٩، شذرات الذهب ٥/ ١٢٣، النجوم الزاهرة ٦/ ٢٧٥، تاريخ مصر لابن اياس ١/ ٨٠ ـ ٨١، مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي، حلبة الكميت للنواجي، . الخطط المقريزية، إنسان العيون، ذيل مرآة الزمان للبونيني ٢/ ٢٠٥، العسجد المسبوك ٤٤٣، خزانة الأدب ٢٤٦، مفرج الكروب لابن واصل ٣/ ١٨٥، معاهد التنصيص ٣/ ٣٩، أعيان الشيعة ٣١/ ٧٥، شعراء الحلة ٢/ ٤٤٨ ـ ٤٦٤، التكملة لوفيات النقلة، البابليات ١/ ٤٧ ـ ٥٢، الاعلام ط ٤/ ٣/ ١٠.

فأمر الأشرف جاريته ست الفخر فغنّت على العود:

ولما طغى فرعون عكا ببغيه ... وجاء إلى مصر ليفسد في الأرضِ
أتى نحوهم موسى وفي كفّه العصى ... فأغرقهم في اليمّ بعضاً على بعضِ

فطرب الأشرف وقال لها: كرّري، فشقَّ على الملك الكامل فأمرها فسكتت، وقال لجاريته: غنِّ أنت، فخففت عوداً وغنّت:

أيا أهل دين الكفر قوموا لتنظروا ... إلى ما جرى في وقتنا وتجدّدا
أعباد عيسى إن عيسى وقومه ... وموسى جميعاً ينصرون محمدا

فطرب الكامل واشتد سروره بها وأمر لها بخمسمائة دينار ولجارية أخيه الأشرف بمثلها، فنهض القاضي الأجل هبة الله بن محاسن قاضي غزة وكان في جملتهم، فأنشد:

حبانا إلٰه الخلق فتحاً لنا بدا ... مبيناً وأنعاماً وعزّاً مجددا
تهلّل وجه الدهر بعد قطوبه ... وأصبح وجه الشرك والظلم أسودا
فلما طغى البحر الخضم بأهله ... لطغاة وأضحى بالمراكب مزبدا
أقام لهذا الدين مرسل عزمه ... صقيلاً كما سلَّ الحسام مجرّدا
فلم ترَ إلاَّ كل شلو مجدّل ... ثوى منهم أو من تراه مقيّدا
ونادى لسان الكون في الأرض رافعاً ... عقيرته في الخافقين ومنشدا
(أعباد عيسى إن عيسى وقومه ... وموسى جميعاً ينصرون محمدا)

ونسب الحافظ الذهبي في العبر البيتين الأخيرين من شعر القاضي، لشرف الدين راجح الحلي المذكور[١].

قال المقريزي: وكان هذا المجلس بالمنصورة وهي من أعمال مصر. وأما أدب الجاريتين فأرقّ من خدّيهما، واسم الملك المعظم عيسى وكان ملك دمشق، وكان حنفياً فاضلاً، والأشرف موسى وكان ملك خلاط والجزيرة، وهو ممدوح ابن النبيه.

ومن المنسوب إلى الشرف راجح من الشعر:

---

(١) العبر ٥/ ٧٢.

نبّه بحيّ هَلاَ على الصَّهْباءِ ... من كان قد أغفى من النُّدَمَاءِ
فالشرق قد قبض الدُّجنَّة باسطاً ... للفجر طرّة راية حمراءِ
والغرب منه طعينة أحشاؤه ... بأسنَّة من أنجم الجوزاءِ
فانهض إلى خلس الصبوح فقد جلا ... ورد الصباح بنفسج الظلماءِ
والترب مصقول الترائب نشره ... متأرّج يثني على الأنواءِ
والأرض ذات خمائل تمشي الصبا ... فيها فتثنيها من الخيلاءِ
رقصت قدود الدوح نصب عيونها ... وبكت جفون الديمة الوطفاءِ
واعتلّ خفاق النسيم وقد جرى ... متعسّراً بمساقط الأنداءِ
فكأن عين الشمس قبل ذرور(1) ... فيه تتيه بمقلة رمداءِ
والورد يقطر ماؤه من حوله ... والجوّ لابس حلّة دكناءِ
وغصونها نشوى رضاع غمامة ... وسماع شدو حمامة ورقاءِ
فانهض إلى فرص النعيم وخل عن ... أمر النديم بمطلق الأسراءِ
واغنم على وجه الربيع وحسنه ... في سدر يومك بهجة الصهباءِ
واستعجل الساقي الأغنّ يديرها ... في مستنير الروضة الغناءِ(2)

وفيها زيادة، وليست من جيّد الشعر، لكن الذي يعجبني من الأوصاف وقافية الهمزة قول المعتمد على الله صاحب أشبيلية:

ولقد شربت الراح يصدع نورها ... والليل قد مدَّ الظلام رداءا
حتى تَبَدّى البدر في جوزائه ... ملك تناهى بهجة وبهاءا
لمّا أراد تنزهاً في غربة ... جعل المظلّة فوقه الجوزاءا
وتناهضت زهر النجوم يحفه ... لألاؤها فاستكمل اللألاءا
وترى الكواكب كالمواكب حوله ... رفعت ثرياها عليه لواءا
وحكيته في الأرض بين مواكب ... وكواعب جمعت سناً وسناءا
إن نشرت تلك الغمام حنادساً ... ملأت لنا هذا الكؤس ضياءا

وذكر ابن خلكان: إن الظاهر غازي بن صلاح الدين بن أيوب توفي بقلعة

---

(1) كذا في الأصل.

(2) شعراء الحلة ط ٢ /٢/ ٤٥١.

حلب ليلة العشرين من جمادى الآخرة سنة [ثلاث عشرة وستمائة][1] ورثاه شاعره الحلي المذكور بقصيدة أحسن فيها ومنها:

سَل الخطبَ إن أصْغى إلى من يخاطبه ... بمن عَلِقَتْ أنيابُهُ ومخالِبُهْ
نشَدتُكَ عاتِبْهُ على ما أتى به ... وإن كان نائي السمع عمن يُعاتِبه
ليَ الله كمْ أرمي بطَرْفي ضَلالةً ... إلى أفْقِ مجدٍ قد تَهاوت كواكبه
فما لي أرى الشّهْباء قد حال صُبْحُها ... عليَّ دُجًى لا تستنيرُ غَياهِبه
أحقّاً حِمى الغازي الغياثِ بن يوسفٍ ... أُبيحَ وعادتْ خائباتٍ مواكِبه
نعمْ كُوِّرَت شمسُ المدائِحِ وانطوَت ... سماءُ العُلا والنجْحُ ضاقَتْ مَذاهِبه
فمن مُخْبري عن ذلك الطَّوْدِ هل وهَتْ ... قواعِدُهُ أم لانَ للخطبِ جانِبه
أجل ضُعْضِعَت بعد الثَّباتِ وزُعزِعَت ... بريح المَنايا العاصِفاتِ مَناكِبه
وغُيِّضَ ذاكَ البحرُ من بعد ما طَمَا ... وطَمَّتْ لجنّات البلاد غواربه
فشَلَّتْ يمينُ الخطب أيَّ مُهنَّدٍ ... برغم العُلا سلّتْ وفُلّتْ مَضاربه
لئن حبَسَ الغيثُ الغياثيُّ قَطْرَهُ ... فقد سحَبَتْ في كل قُطرٍ سحائبه
فكم مِن حِمًى صَعْبٍ أباحت سُيوفُهُ ... ومِن مُستباحٍ قد حَمَته كَتائِبه
أَرَى اليومَ دَسْتَ الملْكِ أصبَحَ خالياً ... أما فيكُمُ مِن مخبرٍ أينَ صاحبه؟
فمن سائلي عن سائلِ الدمع لِمْ جَرى؟ ... لَعَلَّ فُؤادي بالوجيب يُجاوِبه
سَقَتْ قبرَكَ الغُرُّ الغَوادي وجادَهُ ... من الغيثِ ساريه الملثُّ وساربه
فإن يكُ نورٌ من شِهابكَ قد خَبا ... فيا طالما جلّى دُجى الليلِ ثاقبه[2]

وهي طويلة، وأغار فيها على كثير من مرثية عمارة اليمني ـ الآتي ذكره إن شاء الله تعالى[3] ـ للصالح بن رزّيك[4].

عَكّا، بفتح المهملة وتشديد الكاف ثم ألف: مدينة بساحل الشام، كثر الاستيلاء عليها في أيام الدولة الأيوبية.

غَزَّة، بفتح العين المعجمة وتشديد الزاي ثم تاء التأنيث: من أمهات مدن

---

(١) في الأصل: «٣١٣» وما أثبتنا من وفيات الأعيان ٤/٧.

(٢) كاملة في وفيات الأعيان ٤/٧ ـ ٩.

(٣) ترجمه المؤلف برقم ١٢٦.

(٤) ترجمه المؤلف برقم ٨٧.

الشام، ومنها إبراهيم الغزي الشاعر المشهور، وبها ولد الشافعي على أحد الأقوال، وبها مات هاشم بن عبد مناف جد النبيﷺ تاجراً.

[٧٣]

الرباب بنت امريء القيس بن عدي بن أوس بن جابر بن كعب بن عليم ابن كلب الكلبية، زوجة الإمام أبي عبد الله الحسين بن عليعليه السلام(*).

وكانت من خيار النساء جمالاً وأدباً وعقلاً، وأسلم والدها في خلافة عمر ابن الخطاب، فما صلى لله صلاة حتى ولاّه عمر على من أسلم بالشام من قضاعة، وما أمسى حتى خطب إليه عليعليه السلام ابنته الرباب على ابنه الحسين فزوّجه إيّاها، فولدت له السيدة سكينة عقيلة قريش، وعبد الله بن الحسين(١).

وخُطبت بعد استشهاد الحسينعليه السلام فأبت وقالت: ما كنت لأتخذ بعد رسول اللهﷺ حمواً، وقالت ترثيه:

إن الذي كان نوراً يستضاء به	بكربلاء قتيلاً غير مدفونِ
سبط النبي جزاك الله صالحة	عنا وجنبت خسران الموازينِ
من لليتامى ومن للسائلين ومن	يغني ويأوي إليه كل مسكينِ
والله لا أبتغي صهراً بصهركم	حتى أغيّب بين الرمل والطينِ

وكان الإمام أبو عبد الله الحسينعليه السلام يحبّها، ومن شعره فيها وهو أحد الأصوات المشهورة للأغاني:

لعُمرك إنني لأحب داراً	تكون بها سُكينة والرَّبابُ
أحبهما وأبذل كُلَّ مالي	ليس لعاتب عندي عتابُ(٢)

ولم أسمع للرباب بغير هذه الأبيات التي رثت بها زوجها الشهيد، والقليل

(*) ترجمتها في:

المحبر ٣٩٦، الكامل لابن الأثير/آخر مقتل الحسين، أعلام النساء ١/٣٧٨، الاعلام ط ٤/٣/ ١٣ وفيه أنها توفيت سنة ٦٢هـ.

(١) الأغاني ١٦/١٤٧ ـ ١٤٨.

(٢) الأغاني ١٦/١٤٣.

من الشعر من المرأة كثير.

وكانت سكينة وعائشة بنت طلحة تعرفان بعقيلتي قريش لجمالهما، والعقيلة من كل شيء النفيسة.

وذكر أبو الفرج: إن عبد الله بن الحسين[1] سئل عن اسم سكينة فقال: أمينة، فقيل له: إن ابن الكلبي يقول آمنة[2]، فقال: سلوا الكلبي عن أمّه وسلوني عن أُمّي[3].

ولها أخبار ونوادر الله يعلم حقائقها، فإنما انفرد بأكثرها الأصبهاني وقد قال الذهبي فيه أنه يضع الأخبار، فمما رواه: إنها حضرت مأتماً فيه بنت لعثمان، فقالت: أنا بنت الشهيد، فسكتت سكينة، فلما قال المؤذن: أشهد أن محمداً رسول الله، قالت سكينة: أهذا أبي أم أبوك؟ قالت العثمانية: لا جرم لا أفخر عليكم أبداً.

وإلى ذلك يشير الشريف الحمّاني[4] بقوله وأخذ المعنى [من الطويل]:

لقد فاخرتنا من قريش عصابة ... بمط خدود وامتداد أصابع

فلما تنازعنا الفخار قضى لنا ... عليهم بما نهوى نداء الصوامع[5]

[بأن رسول الله أحمد جدّنا ... ونحن بنوه كالنجوم الطوالعِ][6]

وكانت ممن سبى ابن زياد لعنه الله تعالى من حريم الحسين عليه السلام، وخاطبت يزيد بخطاب فصيح، ثم أحسن إلى السبايا وردّهم، فسئلت عنه فقالت: ما رأيت كافراً أحسن من يزيد.

وقال أبو الفرج: إنها لما كانت في عصمة زيد بن عمرو بن عثمان بعد عمر ابن حكيم بن حزام، وكان زيد بخيلاً فحجَّ وهي معه فلم تدع إوّزة ولا دجاجة

---

(١) في الأغاني: «الحسن».

(٢) في الأغاني: «أُميمة».

(٣) الأغاني ١٦/ ١٤٧.

(٤) ترجمه المؤلف برقم ١١٨.

(٥) مناقب آل أبي طالب ٣/ ٥١٠، شرح نهج البلاغة ١٩/ ٣٥٥، المعاني ٨٧، المحاسن والمساويء ١/ ١٥٧، الغدير ٣/ ٥٨، أعيان الشيعة ٤٢/ ٥١، ديوانه صنعه الأعرجي قطعة ٤٩.

(٦) هذا البيت من نسخة ب.

ولا خبيصاً إلاّ حملته معه، فنزلوا بالسَّيَالة[1]، فأمر زيد بالطعام أن يُقدّم، فلما جيىءَ بالأطباق أقبل أُغيلمة من الأنصار ليسلّموا على زيد، فلما رآهم صاح: أوّاه إرفعوا إرفعوا وهلموا الماء الحار، فلما كان الغد أمر بتقديمه، فأسخن وجيء به فإذا مشيخة من قريش قد جاؤه مسلّمين، فأمر برفعه، فلما انصرفوا أمر بردّه وقد بَرَد، فقال لأشعب: هل يمكن أن تسخّن هذه الدجاج، فقال: أخبرني عن دجاجك؟ هذه هي من آل فرعون فهي تُعرَض على النار بكرة وعشيّاً[2].

وأسند أبو الفرج: عن إبراهيم بن المهدي بن المنصور قال: لما ولّاني الرشيد خراسان استصحبت معي عبيدة بن أشعب المديني صاحب النوادر في الطمع، فركبت في الطريق حمارة وهو عَدِيلي، فاشتد البرد ذات ليلة فدعوت بدُوَّاجٍ[3] لاستدفىء به، ثم قلت لابن أشعب: ما بلغ من طمع أبيك؟ فقال: خلِ طمعَ أبي فأعجب منه طمع ابنه، قلت: وما ذاك؟ قال: لما استدعيت آنفاً بالدُوَّاج لم أشك إنك تجعله علي فغلبني الضحك وخلعت عليه الدُوَّاج، ثم قلت: ما أحسب أن لك قرابة بالمدينة، قال: اللهم اغفر إليَّ بالمدينة قرابات وقرابات، قلت: أيكونون عشرة قال: وما عشرة؟ قلت: فعشرين؟ قال: لا تذكر العشرات ولا المئين وتجاوزهما إلى الألوف، وما أكثر من ذلك، قلت: كيف وليس بينك وبين أشعب أحد، فقالت: إن زيد بن عمرو بن عثمان تزوّج سكينة بنت الحسين عليها السلام ثم استأذنها في الحج فأبت أن تأذن له إلاّ أن يخرج معه أشعب فيكون عيناً لها عليه لئلا يتخذ جارية أو يعرّج على جواريه بالعَرْج، وكان أشعب يخف على قلبها ويختص بخدمتها، فخرج وخرج أبي معه، وكان لزيد فرس بهي المنظر، حظي عنده وله سرج وحلّة لا يركب بهما إلاّ في يوم زينة وله طيب كذلك، فنزل زيد بقرية من العَرْج[4]، فاستدعى أبي وأحضر صرّة فيها أربعمائة

---

(١) السيالة: أرض يطؤها طريق الحاج، قيل: هي أول مرحلة لأهل المدينة إذا أرادوا مكة، قال ابن الكلبي: مر تبع بها بعد رجوعه من قتال أهل المدينة وواديها يسيل فسماها السيالة. «معجم البلدان ٣/ ٢٩٢».

(٢) الأغاني ١٦/ ١٦٦ ـ ١٦٧.

(٣) الدوّاج: ضرب من الثياب «لسان العرب ٢/ ٢٧٧».

(٤) العرج: قرية جامعة في واد من نواحي الطائف، إليها ينسب الشاعر العرجي «معجم البلدان ٤/ ٩٨».

دينار فقال له: هذه لك على أن تأذن لي بالمسير إلى العَرْج والمبيت به وأُغلّس[1] عليك، على أن تكتم ذلك من سكينة، فأذن له وحلف على كتمان الأمر، فما سار قدر نصف ميل حتى وثب أشعب إلى خرسة فأسرجه بسرجه الحفيل ولبس الحلّة، وتطيّب بالطيب، ومضى إلى الحي الذين كانوا بأزائهم، وكان رجالهم غيباً فأقام في محادثة النساء إلى العصر، ثم انصرف رجال الحي من وجهتهم فأقبلوا يمرّون عليه فيقولون: من الرجل؟ فينتسب في نسب زيد، فيقولون: ما نرى بأساً، إلى أن مرَّ عليه شيخ فانٍ على حِجرة هرمة فأخبره كما أخبر غيره. قال أشعب: ثم رأيت الشيخ قد وقف ووضع يده اليسرى تحت حاجبه وجعل يتفرّس فيَّ فأوحشت منه، فاستويت على الفرس فسمعته يقول: أقسم بالله ما هذا بوجه قرشيّ، وما هذا إلاّ وجه عبد، فركبت الفرس وهو يتبعني ويقول: من أنت؟ فلما أيس من اللحاق أخرج سهماً فرماني، فوقع في مؤخر السرج فكسره، ودخلتني روعة أحدثت لها في الحلة، ووافيت الرجل وقد غشي الظلام فغسلت الحلة ونشرتها فلم يجف، وغلس زيد من العَرْج فرأى الحلة مغسولة والسرج مكسوراً، والفرس قد أَضَرَّ به الركض وسقط الطيب مخضوضاً، فسألني فصدقته، وقال: ويحك ما كفى ما فعلت بي حتى انتسبت في نسبي فجعلتني حباشاً[2] عند أشراف قوم من العرب وسكت عني.

فلما قفلنا سألته سكينة عن خبره، فقال: يا بنت رسول الله وما سؤالك إيّاي هذا ثقتك فسليه، فأخبر بها إني لم أنكر عليه شيئاً ولم أطلق له الاجتياز بالعَرْج، وحلفت لها بالأيمان المحرجة وبالطلاق، فلما فرغت قام بين يديها وقال: والله يا بنت رسول الله لقد كذبك العلج، ولقد أخذ مني أربعمائة دينار إلى أن أذن لي بالمبيت بالعرج والمقام بها يوماً وليلة، وغشيت به عدّة من جواريّ وأنا تائب مما كان مني، وقد وهبتهن لك وهُنَّ موافيات الليلة، وأَنت أعلم بما ترين في عبد السوء.

قال أشعب: فأمرتني بإحضار الأربعمائة دينار واشترت بالجميع بيضاً وتبناً

---

(١) غلس عليه: ذهب إليه في الغلس، والغلس ظلمة آخر الليل، والجمع أغلاس.

(٢) في الأغاني: «جماشاً». والجَمش: المغازلة، ضرب بقرْص ولعب، وقد جمَشه وهو يجمَشها أي يقرصها ويلاعبها، والجمّاش الذي يغازل النساء ويلاعبهن، والتجميش، المغازلة «لسان العرب: مادة جمش».

وسرجنا[1] واتخذت بيتاً من خشب، وأمرتني أن أحضر البيض فيه، وحلفت لا أخرج منه إلاّ من الفراخ، فجاء من تلك الحضنة آلاف من الفراريج رمين في دار سكينة، وكانت تقول من بنات أشعب ونسل أشعب، فبالمدينة اليوم من هذا النسل ما لا يحصيه إلاّ الله تعالى، فكلّهم قرابة لي.

قال إبراهيم: فضحكت منه حتى استلقيت، وأمرت له بعشرة آلاف درهم[2].

وحكى سليمان بن حرب قال: رأيت سكينة بنت الحسين رضي الله عنهما[3] ترمي الحجار فسقطت من يدها الحصاة السابعة فرمت بخاتمها عوضاً عنها.

وكان مصعب بن الزبير يتمنّى أن يُرزقها ويجمع معها العقيلة الأُخرى عائشة بنت طلحة التيمية[4]، فنالهما وبلغ أمنيته وأمهر كل واحدة منهما ألف ألف درهم، ولما بلغ أخاه عبد الله ما أمهر به عائشة قال: إن مصعباً قَدَّم أيره وأَخَّر خيره[5].

فقال مصعب: لكن والله أخَّرَ خيره وأيره.

وقال فيه الشاعر:

مـهـر الـفـتـاة بـألـفِ ألـفٍ كـامـلٍ　　　ويـبـيـت سـادات الـجـيـوش جـيـاعـا

وفي نكاح السيدة سكينة من نكحت من قريش؟ دليل أن الثابت كفاة قريش بعضها لبعض.

وكانت عائشة هذه لا تستر وجهها عن أحد، فلامها مصعب فقالت: إن الله وَسَمني بمَيسِم جمالٍ، أحبُّ أن يراه الناس، وما يقدر أحد أن يرميني بوصمة، وكانت لاتمكّن مصعباً من نفسها إلاّ بعد تعب، فاحتال لها بحيلة طويلة ذكرها

(١) كذا في الأصل.
(٢) الأغاني ١٦/١٥٣ ـ ١٥٨.
(٣) حول سكينة بنت الحسين أنظر ما كتبه توفيق الفكيكي في «سكينة بنت الحسين» والسيد عبد الرزاق المقرم بنفس العنوان.
(٤) أفرد الأصبهاني في الأغاني فصلاً في «أخبار عائشة بنت طلحة ونسبها» ١١/ ١٨٠ ـ ٢٠٠.
(٥) أنظر: الأغاني ١١/١٨٦.

الأصبهاني كعادته في بسط الأخبار التي تتعلق بالمخنثين، لأنها كانت شكسة الخلق، وكذاك نساء تيم وكانت أختها أم طلحة تحت الإمام أبي محمد الحسن ابن علي، وكان يقول: والله لربما حملت ووضعت وهي لي مُصَارِمةٌ[1].

ولما قَتَل عبد الملك بن مروان مصعباً تزوّج عائشة عمر بن عبد الله بن معمر فحمل إليها خمسمائة ألف درهم مهراً، ومثلها هدية وقال لمولاتها: لكِ عليَّ ألف دينار إن دخلت عليها الليلة، وأمر بالمال فحُمل وألقي في الدار، وغطّي بالثياب، فقالت لمولاتها: ما هذا أفرش أم ثياب؟ قالت: انظري إليه، فنظرت فإذا المال، فتبَّسمت فقالت لمولاتها: أجزاء من ساق هذا أن يبيت عَزَباً؟[2] قالت: لا، ولكن لم أتزيّن ولم أستعد، قالت: «بم ذا، فوالله لَوَجهك أحسن من كل زينة وما تَمُدِّين يدَك إلى طيب أو ثياب إلاَّ وهو عندك، وقد عزمت عليك أن تأذني الليلة! قالت: نعم، فذهبت إليه، فقالت: بت بنا الليلة، فجاءَهم عند العشاء الآخرة فأدنى له طعام فأكله كله حتى أعرى الخوان فسأل عن المتوضّأ فأخبرته، ثم قام يصلي حتى ضاق صدر المولاة[3] ونامت، ثم قال: عليكم إذاً فأدخلته وأسبلت الستر عليهما وعَدَّت له في بقيّة الليلة على قصرها سبعة عشر مرة دخل المتوضأ فيها، فلما أصبح وقفت على رأسيهما فقال: أتقولين شيئاً؟ قالت: نعم، والله ما رأيت مثلك أكلتَ أكل سبعة، وصلَّيتَ صلاةَ سبعةٍ، ونِكْتَ نَيْكَ سبعة، فضحك وضرب بيده على منكب عائشة وقال: كيف رأيت ابن عمّك، فضحِكَتْ، وغطّت وجهها وقالت:

قد رأينـاك فـلـم تـحـلُ لـنـا   واختبرناك فلم نرضَ الخبرْ

ذكر ذلك الأصبهاني في الأغاني[4]، وقد ذكرت أنه يرتاح للأخبار المؤنثة حتى كأنه مخنثاً عفى الله عنه.

قال: ولما تأيّمت كانت تقيم بالمدينة عاماً وبمكة عاماً، وتخرج إلى مال لها بالطائف فتجلس بالعشيّات في قصر لها وتناضل بين الرُّماة، فمرّ بها

---

(١) المصارمة: المقاطعة، الاغاني ١١/١٨١.

(٢) العزب: من لا زوج له، رجلاً كان أو إمرأة.

(٣) في هامش الأصل: «لمولاتها».

(٤) ١١/١٨٩ ـ ١٩٠.

النُّمَيْريّ[1] الشاعر فقالت: أنشدني مما قلت في زينب[2]، فامتنع وقال: ابنةُ عمّي وقد صارت عظاماً بالية، فأقسمت عليه فأنشدها:

مررنَ بفَخٍّ ثم رُحْنَ عشيّةً ... يُلَبّين للرحمن مُعْتَمِراتِ[3]
يخمرنَ أطرافَ الثياب من التّقَى ... ويخرجن شَطْرَ الليل مُعتجراتِ[4]
تضوّع مِسْكاً بطنُ نَعْمَانَ إن مَشَتْ ... به زينبٌ في نِسوة خَفِراتِ

قالت: والله ما ذكرت إلاّ جميلاً، ولا قلت إلاّ كرماً وطيباً، اعطوه ألف درهم، وتعرّض لها في الجمعة الآخرة فقالت: عليَّ به، ثم قالت: انشدني من شعرك في زينب قال: أو أنشدك من شعر الحارث[5] فيك؟ فوثب مواليها إليه، فقالت: دعوه، فإنه استقاد لابنة عمّه، هات فأنشدها قول الحارث بن خالد المخزومي فيها لما رَحَل بها مصعب عن مكة:

رَحَلَ الأميرُ بأحسنِ الخَلْقِ ... وغَدَوْا بُلبِّكَ مَطْلَعَ الشَّرْقِ
وتَنُوءُ تُثْقِلُها عَجِيزَتُها ... نَهْضَ الضعيفِ ينوء بالوَسْقِ[6]

---

(١) هو محمد بن عبد الله بن نمير بن خرشة النميري: شاعر غزل، من شعراء العصر الأموي، كان كثير التشبيب بزينب أخت الحّجاج، تهدده الحجاج، فلم يأبه له النميري، توفي في الطائف نحو سنة ٩٠هـ.

(٢) هي زينب بنت يوسف، أخت الحجاج بن يوسف الثقفي ـ راجع الهامش السابق.

(٣) فخّ: واد بمكة «معجم البلدان: مادة فخ»، الاعتماد في الشرع: زيارة البيت الحرام، بشروط مخصوصة.

(٤) اعتجر فلان بالعمامة: لفّها على رأسه ورد طرفها على وجهه، وفي الحديث: «أنه دخل مكة يوم الفتح معتجراً بعمامة سوداء».

(٥) الحارث بن خالد بن العاص بن هشام المخزومي، من قريش: شاعر غزل، من أهل مكة. نشأ في أواخر أيام عمر بن أبي ربيعة. وكان يذهب مذهبه، لا يتجاوز الغزل إلى المديح ولا الهجاء. وكان يهوى عائشة ينت طلحة ويشبب بها. وله معها أخبار كثيرة، وكان ذا خطر وقدر ومنظر في قريش، ولاه يزيد بن معاوية إمارة مكة، فظهرت دعوة عبد الله بن الزبير، فاستتر الحارث خوفاً، ثم رحل إلى دمشق وافداً على عبد الملك بن مروان، فلم ير عنده ما يحب، فعاد إلى مكة، وتوفي بها نحو سنة ٨٠هـ. جمع الدكتور يحيى الجبوري ما وجد من شعره في كتاب «شعر الحارث بن خالد المخزومي ـ ط»
ترجمته في:
الأغاني ٣/٣٠٨ ـ ٣٣٩، و٩: ٢٢٧ وتهذيب ابن عساكر ٣: ٤٣٧ وخزانة البغدادي ١: ٢١٧ ومجلة الأديب: يناير ١٩٧٣، الاعلام ط ٤/٢/١٥٤.

(٦) الوسق: مكيلة معلومة، وهي ستون صاعاً، والصاع خمسة أرطال وثلث.

مـا صـبَّـحـتْ زوجـاً بـطَـلْـعـتـهـا   إلاّ غَـدَا بـكـواكـب الـطَّـلْـق

قُـرَشـيَّـةً عَـبِـقَ الـعـبـيـرُ بـهـا   عَـبَـقَ الـدِّهـانِ بـجـانـب الـحُـقِّ[1]

بـيـضـاءُ مـن تـيـم كَـلِـفْـتُ بـهـا   هـذا الـجـنـون ولـيـس بـالـعـشـقِ[2]

قالت: والله ما ذكر إلاّ جميلاً، إعطوه إلف درهم وحلّتين ولا تعد بعدهما يا نميري. وكان الحارث كلفاً بعائشة، وخيّره عبد الملك بين مائة ألف دينار أو يولّيه مكة سنة، فاختار ولاية الموسم لما علم أن عائشة تحجّ ذلك العام، ولما حجّت أرسلت إليه أن أخِّر صلاة العصر حتى أفرغ من طوافي فأخّرها حتى كادت الشمس أن تجب، وجعل الناس يضجّون، فما صلّى بهم حتى فرغت وقال: لو لم تفرغ إلاّ الليل لأخّرت الصلاة إلى الليل.

والعَرْج، بفتح العين المهملة وإسكان الراء وبعدها جيم: ناحية بين الحرمين تكون تهامة من غربيّها، وإليها ينسب العَرْجي العثماني الشاعر.

وقد طغى القلم، والله يغفر لنا.

(١) الحق: وعاء صغير ذو غطاء يتخذ من عاج أو زجاج أو غيرهما.

(٢) الأغاني ١١/١٩٦.

حرفُ الزّاي

[٧٤]

أبو المعالي ضياء الدين، زيد بن يحيى بن الحسين بن المؤيد بالله أبي الحسين محمد بن المنصور بالله أبي محمد القاسم بن محمد، السيد الجليل الأديب، الشاعر المشهور، الحسني الصنعاني المولد والوفاة(*).

أخ لي معسول الضمير وبعضهم   حميم على إخوانه وغساقُ

فاضل يعجز عن تقريضه قلمي ولساني، ويكاد يغزو بناني، على عدم تصديره في هذه الحلبة جناني، يذكرنيه النسيم إذا سرى، والبرق الملوح سحر أباح الكرى وشرى، فإذا تذكرت عهده وذكاه تذكرت ما بين العذيب وبارق، وإذا رويت خبره فاض دمعي فتحار في مجرى عوالينا ومجرى السوابق، ومتى تقلدت بجوهر شعره المنضد، لم أعوّذ عليه بغير الصلاة على جدّه محمد، وأقسم بمعجز شعره المكنون، وإنه لقسم عظيم لو تعلمون، إن واجب قلبي عليه ولو كان نائحة العرب لا تقوم من قدره بالمسنون، وإن كل بليغ تحت رايته ولو أنه ابن زيدون، لو عارضه علاء الدين الوداعي لتحقق جنونه بالسودا، ولو أدركه السرّاج لعدت عينه بضيائه رمدا، أو ابن نباته لمرّ نباته، أو ابن الوكيل تعطلت خزاناته، أو محاسن الشوّا لخبت ناره، أو ابن الصائغ لتنحس نظاره، أو البدر بن لؤلؤ لعاد

(*) تمام نسبه في ترجمة المؤلف بقلم المحقق في المقدمة.

ترجمته في: نفحات العنبر ـ خ ـ، البدر الطالع ١/ ٢٥٦، نشر العرف ١/ ٧٠٠ ـ ٧٠١.

لؤلؤه جزعا، أو صردر لسمع في نفسه ما قيل في والده ووعا، أو لبيد لهام في البيد، أو ابن الأبرص رأى الفرق بين السادات وعيد، فما روضة بكى الغمام شوقاً لها فضحكت، وعرفها عنبر النسيم فرقصت أغصانها طرباً واهتزّت وربت، وغنت الورق على عيدانها سحرا، وصاغ الطل الأنامل أغصانها خواتم دررا، بأبهى من شعره النظيم، وعمده الخضر وإن صيّر قلب الخليل بفراقه كالحميم:

وكنت كندماني جذيمة حقبة　　　من الدهر حتى قيل لن يتسطعا

وكان من أذكياء العالم، فلو أدركه ابن الجوزي جعله لكتاب الأذكياء حسن الختام، أو صاحب الذخيرة عبس وتولى حسدا وإن كان ابن بسّام، وكان بيني وبينه بعد الأخوة النسبية والأدبية كما بين النسيم والأغصان، فلما فارقته واصلت لبنيه أعاصير الأحزان:

حلف الزمان ليأتين بمثله　　　حنثت يمينك يا زمان فكفِّر

ولقد مات وما زاد على أن فرَّق بين الأخوان.

وكانت ولادته بمدينة صنعاء وقت الضحى من يوم الخميس لخمس ليال بقين من ذي الحجة سنة سبع وسبعين وألف.

وولدت بعده بخمسة أشهر.

وأمه ابنة عم أبيه نفيسة بنت السيد الخطير أمير صنعاء أبي الحسن علي بن المؤيد بالله، فهو ذو الحسبين، فلذا بات بالشعر والهمّة، وهو الرضي.

قال القاضي الأديب الحسن بن علي بن جابر الهبل رحمه الله السابق في حرف الحاء يهنىء والدي بحدوثه:

كنانة عزّ فوَّقتْ لِلْعِدى نَصْلاً　　　وغَايَةُ مجدٍ أطلعتْ لِلْعُلَى شبلا[1]

وأفق فخارٍ أطلعَ البدرَ زاهراً　　　يُنير فَيْملاَ نورُهُ الحزنَ والسَّهلا

وروضةُ فضلٍ أنْبتتْ غصن سؤددٍ　　　عَلَا فوقَ دوحات المكارم واستَعْلَى[2]

---

(١) الكنانة جعبة السّهام. وفوّق السّهم: جعل له فوقاً، والفوق. مشقّ رأس السّهم حيث يقع الوتر.

(٢) الدوحة: الشجرة العظيمة.

ونـجـمٌ بـه تُـرمَـى حـواسـدُ مـجـدِه، ونـجلُ لـخيـر الـرسـل أكْـرِمْ بـهِ نَـجْلاَ[1]
وفـرعُ كـمـالٍ أصْـلُـه سـيِّـدُ الـورى فـيـا حـبـذا فـرعـاً، ويـا حـبّـذا أصْـلا
ومـلـكٌ نـضـاهُ الـلَّـهُ سـيـفـاً لـديـنـه يـقـود إلـى أعـدائـه الـخيـلَ والـرَّجْـلاَ[2]
يُـشَـتّـت شَـمـلَ الـكَـافـريـن بـعـزْمِـهِ، ويـجْـمع لـلـدّينِ الـحـنيـف بـه شَـمـلا[3]
ويـهـدم ربـعَ الـظـلـم بـالـبيـض والـقـنـا، ويـوسع أهلَ الأرض مِنْ حُـكـمِهْ عدْلا[4]
أرى الله مـنـه الـخَـلـقَ بـاهـرَ صُـنـعِـه فَصَوَّر لِلنّاس الـسَّـماحـةَ والـفَـضْـلا[5]
وأبـرزَهُ فـي حَـلْـبَـةِ الـمـجـدِ والـعُـلَـى جـواداً إذا صَـلَّـتْ فـوارسُـهـا جـلَّـى[6]
لِـيَـهْـن عـمـادَ الـدّيـن مـنـهُ مُـسـوّدٌ بـه جـمـعَ الـلَّـهُ الـسَّـيـادة والـنّـبـلا[7]
غـدا لِـلْـمَـعـالـي قُـبْـلَـةٌ فـي جـبـيـنـهـا إذا كـانـتِ الأمـلاك فـي سـاقِـهـا حـجـلا[8]
فـلا زال فـيـنـا مـا أقـامَ «يـلـمْـلَـمُ» يبينُ لنا ـ من نهْجِهِ الواضحِ ـ السُّبْلاَ[9]

وهي طويلة كقدره، ولا أقول كعمره، فإنه كزمن الورد.

ونشأ بصنعاء فحفظ غيباً القرآن، وحيّر بذكائه قبل اشتعال يفاعه الأذهان، وكنت رفيقه في تعلم المثاني، ومن بحره انسجت لي بحر هذه المعاني، وبه انتفعت وبنهر أَدبه انتفعت.

وأخذ النحو عن شيخنا الإمام الحسن بن الحسين بن المنصور الصوفي المذكور في الحاء[10]، وعن القاضي الفاضل أحد الأذكياء الحسين بن عبد الله المسعودي الشبامي أيضاً.

---

(١) النجل: الولد، والنسل.
(٢) الرجل: جمع راجل: من يمشي علي رجليه لا راكباً.
(٣) الشمل: «ضد» ما اجتمع من الأمر وما تفرق منه حسب السياق؛ يقال: شتت الله شملهم: أي ما اجتمع من أمرهم، و«جمع الله شملهم»، أي ما تشتت من أمرهم.
(٤) الربع: الموضع يرتبعون فيه، وارتبع بالمكان: أقام فيه زمن الربيع.
(٥) باهر صنعه: عجيب صنعه.
(٦) جلّى الفرس: سبق في الميدان، وصلّى: تلا السابق فالأول: المجلي؛ والذي يليه المصلّى.
(٧) عماد الدين: يدعى به من اسمه «يحيى» مثل صفي الدين، لأحمد و «فخر الدين» لعبد الله، و «وجيه الدين» لعبد الرحمن، الخ.
(٨) الحجل: الخلخال.
(٩) يلمْلم: جبل على مرحلتين من مكة. وهو ميقات أهل اليمن، والقصيدة في ديوان الهبل ٢٢٦ ـ ٢٢٨.
(١٠) ترجمه المؤلف برقم ٤٥.

لا ينسى شيئاً مع إتقان الحفظ، ونظم الشعر قبل بلوغ العشر السنين، وشعره ربيع القلوب ونزهة الخواطر، ما لحقه فيه حبيب، ولا تبلج مثله محبوب، وجمعت منه ما كان أنشدني أو كاتبني به وهو اليسير وشذّ عني منه الطّيب الكثير، وسمّيت المجموع: «طلوع الضياء» ولم يتزوّج.

وإنّما اخترت له هذه الكنية لمناسبتها حاله، فقد كانت الدنيا إلاّ المعالي عنده أهون على الحجّاج من تباله، فمّما أماس في غلائل الرقّة، وأشبه سحر العيون بمعانيه والحضور في الدقّة، ما كتبه إليَّ أيام التلاقي، وقرّة العيون والمآقي:

قم فقد أَلْـمَمَتْ صبا الأبكارِ	واكتسى الأفق حلة الأنوارِ
واحتلى جيده قلادة تبرٍ	من سنا الشمس بعد در الدرارِ
دب جمر الصباح في فحمة الليل	فطارت نجومه كالشرارِ
خال شمس الضحى عروساً فأضحى	ينفض الشهب قبلها كالنثارِ
وانجلى الزهر في الرياض فقلنا	نقلت نحوها النجوم السواري
فأجبني إلى رياض زواه	قد دعتنا بألسن الأطيارِ
وكفتنا عن مزهر ورباب	بغنا عند ليبها والهزارِ
فرشت تحتنا النبات وأرخت	خيما فوقنا من الأشجارِ
شجر كالحسان أوراقها اللبـ	ـس وفي جيدها حلى الأزهارِ
ويسيل النسيم فيها من النهر	حساماً لقطع محل الديارِ
فاز من بات في الربيع وأضحى	يلتهي بالجنان والأنوارِ
يعقد الأُنس فوق بعض السواقي	تحت ظل الغصون ذات الثمارِ
بين وردٍ ونرجسٍ وأقاحٍ	وشقيقٍ وسوسنٍ وبهارِ
يحتوي فضة من النرجس الغضّ	ويحظى من ورده بالنظارِ
إن ذوى نرجس وورد بكاه	لا على درهم ولا دينارِ
ما لفضل الربيع في الحسن شبه	غير أوصاف يوسفَ ذي الفخارِ
نجم أفق العلى الذي قد تسامى	عن محلِّ الشموس والأقمارِ
خلقه كالنسيم والخلق كالزهر	نداه كغيثه المدرارِ
مفرد العصر في فخار جليٍّ	كسفا الشمس لاح للنظارِ
وأمام البيان فالكل منا	يهتدي من سناه بالأنوارِ

فكره جمرة فسبحان ربي قد قضى للخليل برد النارِ
هاكها بنت فكرة زفها الفهم إلى كفؤها زفاف الجوارِ
طالباً في صداقها صدق ودٍّ كودادي في سره والجهارِ
دمت ما قال ناشق الروض صبحاً قم فقد ألْمَمَتْ صبا الأبكارِ[1]

تأمّل هذا الشعر، وتمسك برقى هذا السحر، فلو رآه الحسن بن هاني لرأى بهجة نيسان وترك مرحباً بالربيع في آذار.

وأما تشبيهاته الروضية والأفقية فيعوّذها ابن شبل والصنوبري بالنجم والتين، ويستيقن الدارمي أنه عن معارضتها مسكين، واشتهرت هذه العقيلة لحسنها اشتهار فضل ناظمها.

وأنشدني روّض الله روحه من شعره المعجز:

ماذا روت لك عنه النسمة العطره حتى علقت بأسباب الشجا الخطره
وما أسرت إليك الورق إذ هتفت صبحاً فاسبلت من غم البكامطره
تلك الحمام حكاني نوحهن ولو حاكت ضنائي غدت بالصدق مشتهره
بعت التصبر من ورق الغصون ضحى أرجو فلاح الهوى في بيعة الشجره
أضحت تذكر بالمحبوب ذا وَلَهٍ ما زاره الرشأ الأحوىٰ ولا ذكره
بدر من الإنس يحكي حسنه ملكا كم لام فيه شياطين الهوى الفجره
وكم نهى جاهل عن غصن قامته وليس عندي لذاك القول من ثمره
قبحاً له عذل المضني ولو عرفت نفس الملحّ بما يلقا به غدره
أهواه معتدلاً لم يبق معطفه في الروض حظاً لأغصان اللوا النظره
ذو طلعة لو أطاف الأفق حين بدت لما جلى شمسه يوماً ولا قمره
لما استقل بملك الحسن صار إذا وافاه مني كثير الصبوة احتقره
بالعين اسقمتني والبرء ضم يدي للخصر منك ورشف الريقة الخضره
نومي بمبسمه المنظوم شرده عن مقلتي ومضى صبر الحشا أثره
قد كان بواء ظل الوصل عاشقه واليوم حل هجير الشوق إذ هجره[2]

(١) نشر العرف ١/ ٧٠٢ ـ ٧٠٣.

(٢) نشر العرف ١/ ٧٠٣ ـ ٧٠٤.

قلت: بيعة الشجرة بها أعطاه الأدب بيعة الرضوان، فرقصت فرحاً حتى القضب بالعيدان، ولم يسبق إليها شاعر ولا حشرج، ولله أو من آخرون وخرج.

وأنشدني من شعره الجامع بين ظبا الكناس، وأسود الأجناس في الحماسة المدمّجة بالغزل وهو الإفتتان:

هاب عينيك عاشق لا يهابُ ... وبها يغلب الفتى الغلابُ
ذل قلبي لمقلتيك وعطفيك ... وما رعنْه الظبا والحرابُ
أعين قد أسلنها من جفون ... فغدت تستقي بها الأعشابُ
وقوام سئلت هل فيه ميل ... قلت عني وما أنا الكذابُ
غرني وعده كما غر يوماً ... ظامياً في لظى البقاع السرابُ
كيف لي باللقا ودون حما الظبى ... أسود بهم يعزّ الجنابُ
صون عرضي وخوف سخط حبيبي ... صَدَّني عنه لا الحماة الغضابُ
كنت لو يرتضي أزور ولو خضت ... سيوفاً يموج منها العبابُ
بيدي صارم متى ما انتضته ... روّع الأُسد من شباه الذئابُ
وأصمّ الكعوب يبدي سناناً ... مثلما جد باللسان السبابُ
بهما أخرق الصفوف إلى أن ... أشهد البدر حوله الأترابُ
وتقول الوشاة عند دخولي ... أين ذاك الحجاب والحجّابُ
غاض صبري عن المليح وفاضت ... عبرتي واعترى جنابي التهابُ
فَرْقُ ما بين حالتيَّ فللزفـ ... ـرة مرقاً وللدموع انصبابُ
همت وجداً بفاضح الغصن والبـ ... ـدر بما ضم برده والنقابُ
قمر تختفي لدى وجهه الشمـ ... ـس كما غَضَّ من سناها السحابُ[1]

وله من قصيدة كتبها إلى السيد علي بن قاسم العادل الأديب:

نفس المحب من اللوام قد ألمتْ ... إن صدها عنكم الواشي فلا سلمتْ
والعين إن شبهتكم بالملاح فلا ... رقت ولا عادها النوم الذي عدمت
أما الحشا فهي بالسلوان باخلة ... عنكم ولكن جفوني بالبكا كرمت
تنثي الدموع لكم عيني فقد ألفت ... تلك القريحة نثر الدمع وانسجمت

(١) بعضها في نشر العرف ١/ ٧٠٤.

فالأدمع انسكبت كالتبر وانسبكت والأضلع انضرمت بالشوق وانصرمت
لا تغبطوا مقلتي ريّاً بمدمعها فلم تكن لمنام بعدكم طمعت
أحبابنا هل يعود الوصل مقتبلاً إذ نلت منكم قبولا حليه انتظمت
والآن قام لتعليق الفراق بنا قوم إذا شرحت أقوالهم فُهمت
لي في حماكم مليح عَلَّمُوه به قبح الصدود وفيه صبوتي علمت
أهواه وهو إلى الأهواء منجذب يصغي لأقوال حسّاد لنا رغمت
محجّب وحماه في حشاي فلو تدري بخيبتها حرّاسه ندمت
لو شاء نضّى لهم سيف الرنا وثنى رمح القوام فألقاه وقد هزمت
أُفديه من قمر من قاس طلعته بالشمس أنصف يوماً وهي قد ظلمت
تاه الهلال بأن حاكى قلامته والكثب حين حكت أردافه عظمت
ليت الترائب منّي صيّرت أبداً ضمر المعاطف دأباً منه والتزمت
لما نأى رحلت تلقاء ساحته مسرّتي وإذا ردّ اللقا قدمت
إذا ألَّم به نشر النسيم سلى بقدّه عن غصون في الربى نعمت
كم طرف نرجسة يبكي بدمع ندىً إن لاح طلع ثناياه التي بسمت
لولاه لم يخلق الله الجمال ولا أرى الصبابة لولا مهجتي قسمت
حزت الغرام برغم العاشقين كما حوى عليَّ العلى والصيد قد رغمت[1]

ثم خرج إلى المديح، وإذا تأمّلت هذه الطريقة، وسرّحت الحدقة في الحديقة، وكنت بدراً منصفاً، علمت أنه شفى الأدب وكان على شفا.

وأمّا قوله:

تنثي الدموع لكم عيني فقد ألفت تلك القريحة نثر الدمع وانسجمت

فترك القريحة فريحة، والجوارح حسداً جريحة.

وأنشدني رحمه الله لنفسه إجازة:

من قدر الليث لظبي الصريمْ ذلك تقدير العزيز الرحيمْ
ومن قضى رب القنا والظبا للابس العقد ولاوي البريم[2]

---

(١) بعض أبياتها في نشر العرف ١/ ٧٠٥.

(٢) هذين البيتين في نشر العرف ١/ ٧٠٥.

وصيّر الفاتك في درعه طوع جبان في رداه الرقيم
أسير حجل قد سبى مطلقا حل به سجن الغرام الغريم
بات سليماً عن هواي الذي بتّ به في مثل ليل السليم
من لي به محتجباً قد غدا تلقاء عيني وثوى بالصميم
بالبيض والسمر حموه وقد كفت رناه والقوام القويم
مبسمه قد عزَّ عن لاثم فاعجب له كيف يعزّ اليتيم
حكم الهوى صيّرني طوعهٌ والحب قد يسلب لبَّ الحليم
يشبه عنه الوجه في شعره صبحاً بهيّاً وظلاماً بهيم
فاعجب لبدر دام في تمّه وصرت كالعرجون فيه القديم
كم من رقيب وعذول لنا فيه وواشٍ قد مشى بالنميم
لم يقدر الكل على سلوتي ولم يَبُحْ سرّي لغير النسيم
يحمل تسليمي إليه فإن ردَّ سلاماً عاد طيب الشميم

وأنشدني من لفظه لنفسه في قهوة البنّ الشَرسي[١]:

لله قهوة قشر في الإناء بدت كالمسك في لونها المرموق والنفس
أهدى لنا شرسٌ منها لطافته فاعجب للطف حويناه من الشرسي[٢]

وما أحسن قول محمد الرومي الشهير بمَامَاي[٣] نزيل الخيال[٤]، أحد شعراء الريحانة في قهوة البنّ على لسانها:

أنا المعشوقةُ السَّمْرَا وأُجْلَى في الفَنَاجِينِ

(١) الشرسي: نسبة إلى شرس بفتح الشين المعجمة وكسر الراء وبالسين المهملة: وهو واد ببلاد حجة غربي صنعاء.
(٢) نشر العرف ١/٧٠٢.
(٣) وهو محمد بن أحمد الرومي المعروف بمامية (ماماي) الشاعر المشهور، أصله من الروم، وقدم إلى دمشق في حال صغره، وكان في أول أمره ينكرجيا، ثم عزل، واهتم بالأدب وقول الشعر، ثم تولى الترجمة بمحكمة الصالحية، ثم بالكبرى وعزل منها، ثم تولى القسمة فأثرى، كان إليه المنتهى في الزجل والموال والموشحات، توفي سنة سبع وثمانين وتسعمائة.
ترجمته في: خبايا الزوايا، ديوان الاسلام ـ شذرات الذهب ٨/٤١٣، الكواكب السائرة ٣/ ٥٠، ريحانة الألبا ١/١٥٨ ـ ١٦٤.
(٤) في الريحانة: «ابن أخت الخيالي».

ومسك التُرْكِ في لون وصيتي شاعَ في الصِّينِ[1]

وأنشدني السيد علي بن قاسم العادل لأخي ضياء الدين المذكور في الاقتباس:

إذا قَبَّلْتَها خجلت فيسري على وجناتها البيض إحمرارُ
كأنّ بخدِّها مصباح نورٍ يكاد يضي ولم تمسسه نارُ[2]

وأنشدني رحمه الله من لفظه لنفسه مع التورية:

لقد حدثت بذور الضرب أمور تسخط الخالقْ
أَخَفَّ الوزن طارقها وما أدراك ما الطارقْ

وأنشدني أيضاً:

أراد أهلي سلوّي عن هوى رشأ من سحر عينيه لاقت مهجتي وصبا
فصار يعصيهُمُ قلبي الحزين وما أطاع أماً عليه في الهوى وأبا[3]

وما أحسن قول يحيى الخبّاز الحموي:

أصبحت في العالم إعجوبة عند أُولي المعقول والفهمِ
جدي حموي فاسمعوا واعجبوا وما كفى حتى أبي أُمّي

❀ ❀ ❀

رجع، وأنشدني لنفسه أيضاً في تضمين قول الحماسي مع نقل معناه:

الجوّ جاد على الرياض بوبله وغدا يقول لها وقد ذهب الصدا
لسحابتي فضل عليك ومنّة وإذا صحوت فما اقصر عن ندا

المضمّن عجز الأخير، وقد أبدع كعادته.

والندى، بالقصر والمدّ: اسم للجود والماء القليل، وأصله:

وإذا سكرت فإنني مستهلك مالي وعرضي وافر لم يكلمِ

---

(١) نشر العرف ١/٤١٩.
(٢) نشر العرف ١/٧٠٢.
(٣) نشر العرف ١/٧٠٢.

وإذا صحوت فما أقصر عن ندًى وكما علمت شمائلي وتكرّمي

وله رحمه الله تعالى في فرس وهبه له أخوه جمال الدين علي بن يحيى:

احذر تقيس على عليٍّ غيره ليس الأسافل والأعالي تستوي
لو لم يكن بحر المكارم والندى ما جاد لي من فيضه باللولوي

والبيت الذي صدّرت به ذكره وهو:

أخ لي معسول الضمير وبعضهم حميم على إخوانه وغساقُ

وهو من قصيدة كتبها إليَّ، وقد كاتبني بقصائد طنّانة ضمنها ديوانه، وهو مجيد سبّاق في فنون الشعر الأربعة، وله موشّحات.

ورأيت بخطّه في الشعر الموّال:

يا خل لا تعتقد إني أباريقك سأمزج رضابك مع خمرة أباريقك
راضي بحبّك على ظلمك وداعي لك من قبل نبيك وفي ساعة وداعي لك

ومن منثوره رحمه الله تعالى في أثناء تقريظ ديوان، وأودعه من شعره ما يغني به البديع، يرتد مسلم لو وعاه عن قول الشعر ويتوب عن المعاودة للخليع، فلو نظم في الزمن القديم لأخرج الخليل عن الكعبة الملعقات السبع، ولما روى غيره شيئاً من قوافي الشعر وفقرات السجع، ولو رآه صاحب الريحانة لعد ريحانته بالنظر إليه من القول، أو صاحب قلائد العقيان لنثر قلائده بين الحصى في مجاري السيول، ولو شامه صاحب القطر النِبَاي[1] لصناع قطره على لجّ بحره الفائض، أو صاحب الغيث لقال كان كتابي هذا كامل حتى أصابه هذا العارض، ولو تلي على الحسناء لأظهر بها رقيق ألفاظه كما تطرب بصوتها الرخيم، ولتوهمته سرق من حلية جيدها فجعلت كما قال المنازي: «تلمس جانب العقد النظيم».

وكانت وفاته يوم عيد النحر سنة أربع ومائة وألف بصنعاء، ودفن بحربة الروض. رحمه الله تعالى وتجاوز عنه وقدس سره:

وإذا الثرى عفّى على حسنٍ فعفى الثرى عن وجهه الحسنِ

---

(١) كذا في الأصل.

فكأنما عناه العزيز بالله نزار[1] حيث قال:

نحن بنو المصطفى أُولوا محنٍ ... أوّلنا مُبْتَلىً وآخرنا
يفرح هذا الورى بعيدهُم ... طرّاً وأعيادنا مآتمنا[2]

وما بلغ عمره ثلاثين سنة.

وقلت أرثيه:

سقى ثراك غزير الدمع لا المطرِ ... يا وارد الخلد والأحشاء في السَّعرِ
راحوا بنعشك والأملاك تحمله ... لو كوشفوا لرأوا جبريل بالبصرِ
وقطعت عقدها الجوزاء من أسفٍ ... وعزَّت الشهب أفق المجد في القمرِ
رحلت عنَّا على كرهٍ وليس لنا ... رجا الإياب كما يرجى أخو السَّفرِ
أبكيتنا بدموع كالعقيق جرت ... أو كالذي نظمت عيناك من دررٍ[3]
لهفي لأحجار لحدٍ فوقك انتظمت ... من بعض نظمك سلك الزهر والزهرِ
دجى سروري وقد ودعتني عجلاً ... وداع مرتحل ما لذَّ بالعمرِ
يا زيد بعدك وجه الأُنس منكسف ... وكيف يسفر وجه عن حلاك عري
تنشي رثاءك أشعاري ولؤلؤها ... مما بفضلك قد قلدته فكري
بلّغت غاية ما تعلو الكرام به ... فخصصت عمرك الأيام بالقصرِ
حليت جيد الليالي بالنظام حلاً ... هذا وخدّك لم يلتف بالشعرِ

---

(١) نزار (العزيز بالله) ابن معد (المعز لدين الله) ابن المنصور العبيدي الفاطمي، أبو منصور: صاحب مصر والمغرب. ولد في المهدية سنة ٣٤٤هـ، وبويع بعد وفاة أبيه (سنة ٣٦٥هـ) وكانت في أيامه فتن وقلاقل. وكان كريم الأخلاق، حليماً، يكره سفك الدماء، مغرى بصيد السباع، أديباً، فاضلاً. وفي زمنه بني قصر البحر وقصر الذهب وجامع القرافة، في القاهرة. وهو الذي اختط أساس الجامع فيها، مما يلي باب الفتوح، وبدأ بعمارته (سنة ٣٨٠) وخطب له بمكة. وطالت مدته، إلى أن خرج يريد غزو الروم، فلما كان في مدينة بلبيس أدركته الوفاة سنة ٣٨٦هـ.

ترجمته في:

مورد اللطافة لابن تغري بردي ٤ ـ ٦ وفيات الأعيان ٥/ ٣٧١ ـ ٣٧٦، المنتظم ٧/ ١٩٠، الدرة المضيئة ١٧٤، وخطط المقريزي ١/ ٣٥٤، ٢: ٢٨٤ وبلغة الظرفاء ٧١، مرآة الجنان ٢/ ٤٣٠، العبر للذهبي ٣/ ٣٤، شذرات الذهب ٣/ ١٢١، ابن خلدون ٤: ٥١ وابن الأثير ٨: ٢٢٠ و٩: ٤٠ الاعلام ط ٤/ ٨/ ١٦.

(٢) وفيات الأعيان ٥/ ٣٧٢.

(٣) نشر العرف ١/ ٧٠٧.

أنت الفقيد الذي أنست محاسنه — ما خلّد الأذكيا في سالف العصرِ

وكنت حجة أهل البيت قاطبة — وكيف أمسيت فيهم غير منتظرِ

أبكي عليك وقلبي يلتظي حزناً — أجارك الله من بجري[1] ومن شررِي

يا سفح صنعا تعزَّى عن سناك فقد — دعاه بالرغم منّا داعي القدرِ

يا جربة الروض طيبي بالربيع ثرىً — فقد تزّينت بعد الجدب بالنهرِ

لا تطلبي الغيم سقياً قد كفاك هما — دمعي عن البحر والفيّاضة الغدرِ

ما بعد فقدك في صنعاء من إربٍ — لذي الحجى ولا في ربعها النضرِ

كانت بك الجنّة الخضراء مثمرة — ومذ ثوى نهرها أقوت من الضجرِ

قد كنت ماء حياة النازلين بها — ولهى قعَّدتها جيرة الخضرِ

عليك فَلْتَبْكِ عين المجد ما بقيت — وتلطم الخدّ كفّ العلم والنظرِ

تقصّفت بعدك السمر اللدان وما — أرضى المجالد حدّ الصارم الذكرِ

وأي عين عليه غير باكية — وأي قلب عليه غير منفطرِ

لكنّه الدهر لا يبقي على أحدٍ — وإنما عيشنا من جملة الغررِ

لم ينج منه الذي ما بات يرقبه — وليس يسلم منه صاحب الحذرِ

رحمه الله وعوّضه عن قصير عمره بجنّة عرضها السموات والأرض، إنه كريم.

[٧٥]

السيد العلامة ضياء الدين، أبو محمد، زيد بن الحسن بن الإمام المنصور بالله أبي محمد القاسم بن محمد الحسني الصنعاني المولد[*].

فاضل تزيّن العصر بوجوده تزيّن الشرق بالفجر، وحمل له الجد على المفيدين بين أفاضل الدنيا راية الفخر، وتبسمت العلياء بفضله تبسم ثغر الروض عن شنب القطر، ودبّت علومه إلى طلابه دبيب عذار الطلّ في وجنة الزهر،

(*) تمام نسبه في الترجمة رقم ١٣.

ذوب الذهب، نفحات الأسرار المكية، طيب السمر، طبقات الزيدية، البدر الطالع ١/ ٢٥٣، نشر العرف ١/ ٦٨٩ - ٦٩٩، الاعلام ط ٤/ ٣/ ٦١.

وأصبح الدهر من نتائج فكرته الذكيّة لأنباته قابسا، ولو ومضت برقة من أشعة علومه باليمن أضاءت قابسا، وأيقنا أنه المجد إذ ذقنا من حديثه العتيق، وتنزهنا من علومه بين رياض وردية ليس لها سواه شقيق، كم ردت فكرته عن ابن معين والواقدي فأروت الصادي، وكم قرّ بعينها من لامه على كثرة دورانه حتى العيس والحادي، إلى أدب يتكدّر بحسنه عيش الصفي، ويتمنى حبيب الطائي لو قيل سماعه طوي، وشعر كأنه عذبات البان، ومن لها أن يتحلى بعذباته التيجان، ودَّته على أطواقها الورقا، وحسدته الرياض إذ حلاها إلى زهر الزرقا، فسجع المطوق بنسيبه، وثمرات الأوراق ما يجتنيه السامع من حلاوته وطيبه، وعلم لو رآه ابن باديس لاعترف لابن محمد، ولو أدركه النعمان لساح وترك الخورنق وتزهّد، ولقال: مالك أنا عبد هذا النبوي المحتد، ولودَّ لو رآه أنه مات في المحنة أحمد، جمع علمي العقل والنقل وأجلى بطريق العود والعقل فأصبح وهو المجتهد المطلق، وكم رام شأوه أسيراً لبلاده فقصّر، وأما هو مخلق، فالمعالي إليه بعد هذا الكمال أشوق، من يعقوب إلى يوسف، ومن ادّعى بقيافته أنه يساويه فقل أحاديث القيافة زخرف، وألّف المجاز إلى حقيقة الإيجاز في علم البيان، كتاب يترك ابن أبي الأصبع بغير بنان، فاتباعه عليه يجتمعون، وكالفراش على نار سنائه يقعون، وأمّا أخلاقه فتترك برد النسيم أخلاقاً، فهي أرقّ من عتاب جحظة والزمان، وألطف من شمائل مخضوب البنان، فمن شعره:

أتــراه يــكــتــم مــا تــجــن ضــلــوعُــه ... ويــصــح عــن ديــن الــغــرام رجــوعــهُ

صــب يــنــم بــمــا يــكــتــم دمــعــه ... ويــبــث مــنــه شــجــونــه ويــذيــعــهُ

يجري العقيق من الدموع إذا سرى ... بــرق عــلــيــه فــيــســتــبــيــن ولــوعــهُ

لــم يــثــنــه قــول الــعــذول وقــلَّ مــن ... في الحب إن عذل المحب يطيعهُ

يــهــدي لــه نــشــر الــصــبــا فــي طــيــه ... عــرفــاً تــعــطــر مــن ذكــاهُ ربــوعــهُ

فــيــزيــده وجــداً إلــى وجــدٍ كــمــن ... يــشــجــيــه نــوح مــطــوق وســجــوعــهُ

وبــمــهــجــتــي مــن وجــهــت ألــحــاظــه ... جــيــشــاً عــلــيّ فــلــم تــفــل جــمــوعــهُ

بــدر يــحــف بــلــيــل شــعــر فــاحــم ... والــبــدر فــي الــلــيــل الــبــهــيــم طــلــوعــهُ

أحــوى لــعــاشــقــه الــصــبــابــة كــلــهــا ... ولــه مــن الــحــســن الــبــديــع جــمــيــعــهُ

إن فــوقــتْ أســهــام لــحــظــيــه إلــى ... صــب فــلــيــس ســوى الــفــؤاد صــريــعــهُ

ولــربــمــا لــم تــغــن رب شــجــاعــة ... مــن فــتــك نــاظــره الــضــعــيــف دروعــهُ

فالحسن لفظ وهو معنى لفظه ... وبزهر خديه النضير ربيعهُ
ظلماً يروم البرق يحكي ثغره ... أين الشنيب وأين منه لموعهُ[1]

ومن شعره أيضاً:

من لي برشف رحيق حل في فيكا ... ففي الفؤاد حريق من تجنيكا
سل المدامع عن جفني فليس سوى ... نجيعها بغرام العتب ينبيكا
أفديك من شادن أسحار مقلته ... لا تستطيع لها الأفكار تفكيكا
وفاتن ما تبدى نور غرَّته ... ألا وأصبح نور البدر مشكوكا
وفاضح الغصن قدٌّ منه ذو هيف ... دم المحب به قد صار مسفوكا
بدرٌ لفظك قد صيرت كل فتى ... حراً على كل ما يرضيك مملوكا
ولا محاسن للظبي الغرير ففي ... سموط جيدك ما عن ذاك يغنيكا
إن قلت تفديك روحي وهي قاصرة ... فمن على الأرض بالأرواح تفديكا
حللت عقد اصطباري بالبعاد وقد ... حللت قلبي وقلّت حيلتي فيكا
ولم تمن بوصل للمحب فما ... قد نال من زفرات الهجر يكفيكا
رضيتُ ما ترتضيه من تلافي إن ... كان التلاف لمن يهواك يرضيكا
فكن كما شئت إني لا أزال على ... عهدي القديم وقلبي ليس يسلوكا
وأسلك بصبك ما تختار من طرق ... مسلوكة أو طريق ليس مسلوكا
فليس عندي بديل في الملاح ولا ... أرى الملاح بمعنى الحسن تحكيكا
عذِّب بما شئت واصنع ما تريد سوى ... تحريق قلب محب فهو يأويكا[2]

ومن شعره الرقيق، نقلته من خطّه وقال نظمته في شهر جمادى الآخرة سنة أربع وتسعين وألف:

سقت العهاد معاهد الشعْبِ ... وهمت عليه هواطل السُّحْبِ
وفدت على أرجائه ديم ... ما بين منهلّ ومنصبِّ
وله نسيم الصبح لابرحت ... تهدي شميم المندل الرطبِ
فبسفحه لأحبّتي خيم ... والحال ان محلّهم قلبي
أوجبت حبهم عليَّ وقد ... سلبوا الفؤاد فهمت في السلبِ

(١) نشر العرف ١/٦٩٦ ـ ٦٩٧.

(٢) نشر العرف ١/٦٩٥ ـ ٦٩٦.

فارقتهم جسماً وعندهم روحي وأدمع مقلتي تنبي
وبمهجتي في سفحهم قمر تغنيه مقلته عن العضبِ
نضح الأهلّة طلعة وزهت هيفاء قامته على القضبِ
في ريقه خمرٌ معتّقة تزري بخمرة أكؤوس الشربِ
ودّعته والقلب متّقدٌ ومدامعي تنهل بالسكبِ
والحال تنشد والدموع دمٌ دمعي عليك مجانس قلبي
وظننت أني بعد فرقته أقضي وجوباً عندها نحبي
فجنحت عن تذكاره وغدا لي مذهباً مدح الفتى النّدبِ

وله من قصيدة كاتب بها القاضي محمد بن إبراهيم السحولي ـ الآتي ذكره إن شاء الله تعالى(١) ـ:

بانوا فسالتْ على خديه أدمعهُ مورق الجفن مغرى القلب مولعهُ
وقوضوا خيماً عنه وإن لهم مضارباً قد حوتها منه اضلعهُ
وفارقوه فلا يدري أودعهم أم روحه قد غدا جهراً يودعهُ
يستنبيء الريح طوراً عنهم خبراً وتارة سرّه المكتوم يودعهُ
ويسأل الركب عنهم أين أمّ بهم حادي المطيّ فلا ينبي فيسمعهُ
ما كان يحسب تفريق الزمان لما قد كان من قبل أن يقضيه يجمعهُ
وفيهم رشأ ما زارني حدباً إلا ونور محياه يروعهُ
كم ليلة بتُّ أجني ورد وجنته ولست أدري ما الأيام تصنعهُ
ولا رقيب سوى صبح يتم بنا (وأدمعي مستهلات وأدمعهُ)
أفديه من خوط بان مثمراً قمراً في قلب مغرمه المشتاق مطلعهُ
وربَّ فتية عذال تعنفني على هواه ولا أقوى فأدفعهُ
تغري بتحذيرها قلبي فأنشدها (لا تعذليه فإن العذل يولعهُ)(٢)

والنصف من هذا البيت ومن البيت التاسع مودع من القصيدة السائرة لابن

---

(١) ترجمه المؤلف برقم ١٤٦.

(٢) نشر العرف ١/ ٦٩٧.

زريق البغدادي الكرخي الكاتب[1]، وأنا أستجيدها.

وقال ابن السبكي الشافعي في الطبقات: من قرأ لأبي عمرو بن العلاء، وتفقّه للشافعي، وتختّم بالعقيق، وروى قصيدة ابن زريق فقد كمل ظرفه وأدبه، وهي:

لاتعذليه فإن العذل يولعهُ ... قد قلت حقّاً ولكن ليس يسمعهُ
جاوزتِ في لومه حدّ أَضَرَّ به ... من حيث قدّرت أن اللوم ينفعهُ
فاستعملي الرفق في تأنيبه بدلاً ... من عنفه فهو مضنى القلب موجعهُ
قد كان مضطلعاً للبين يحمله ... فضلّعت بخطوب البين أضلعهُ
يكفيه من لوعة التفنيد أن له ... من النوى كل يوم ما يروّعهُ
ما آب من سفرٍ إلاّ وأزعجه ... رأي إلى سفر بالرغم يزمعهُ
كأنّما هو من حلٍّ ومرتحلٍ ... موكل بفضاء الأرض يذرعهُ
إذا الزماع أراه في الرحيل غنًى ... ولو إلى السند أضحى وهو يزمعهُ
تأبى المطامع إلاّ أن تجشّمه ... للرزق كدّاً وكم ممن تروّعهُ
وما مجاهدة الإنسان موصلة ... رزقاً ولا دعة الإنسان تقطعهُ
والله قسّم بين الخلق رزقهم ... لم يخلق الله مخلوقاً يضيّعهُ
لكنهم ملأوا حرصاً فلست ترى ... مسترزقاً وسوى الغايات تقنعهُ
والحرص في الرزق والأرزاق قد قسمت ... بغي إلاّ أن بغي المرء يصرعهُ
والدهر يعطي الفتى من حيث يمنعهُ ... يوماً ويمنعه من حيث يطمعهُ
استودع الله في بغداذ لي قمراً ... بالكرخ من فلك الأزرار مطلعهُ
ودّعته وبودّي أن يودّعني ... صفو الحياة وإني لا أوّدعهُ
وكم تشبّث بي يوم الرحيل ضحى ... وأدمعي مستهلّات وأدمعهُ
وكم تشفّع بي ألاّ أفارقه ... وللضرورات حال لا تشفعهُ
لا أكذب الله ثوب العذر منخرق ... عني بفرقته لكن سأرقعهُ
إني أوسّع عذري في خيانته ... بالبين عني وقلبي لا يوسعهُ
أُعطيت ملكاً فلم أُحسن سياسته ... وكل من لا يسوس الملك يخلعهُ
ومن غدا لابساً ثوب النعيم بلا ... شكر عليه فعنه الله ينزعهُ

(١) مرّت ترجمته بهامش سابق.

اعتضت من وجه خلّي بعد فرقته ... كأساً أجرع منها ما أجرعهُ
كم قائل لي: ذقت البين، قلت له: ... الذنب والله ذنبي لست أدفعهُ
إني لأقطع أيامي وأنفدها ... بحسرة منه في قلبي تقطعهُ
ممن إذا هجع النوّام بتّ له ... بلوعة منه ليلي لست أهجعهُ
لا يطمئن بجنبي مضجع وكذا ... لا يطمئن به مذ بنت مضجعهُ
ما كنت أحسب ريب البين يفجعني ... به ولا أن بي الأيام تفجعهُ
حتى جرى البين فيما بيننا بيدٍ ... عسرَّاء تمنعني حظي وتمنعهُ
بالله يا منزل القصر الذي درست ... آثاره وعفى مذ بنت أربعهُ
هل الزمان معيد فيك لذّتنا ... أمِ الليالي التي أمضيت ترجعهُ
في ذمّة الله من أصبحت منزله ... وجاد غيث على مغناك يمرعهُ
من عنده لي عهد لا أُضيّعه ... كما له عهد صدق لا يضيّعهُ
ومن يصدِّع قلبي ذكره وإذا ... جرى على قلبه ذكري يصدعهُ
لأصبرن لدهرٍ لا يمتّعني ... به كما أنه بي لا يمتّعهُ
علماً بأن اصطباري معقب فرجاً ... وأضيق الأمر إن فكرت أوسعهُ
عسى الليالي التي أضنت بفرقتنا ... جسمي تجمعني يوماً وتجمعهُ
وإن تنل أحداً منّا منيّته ... فما الذي بقضاء الله يصنعهُ

هذه القصيدة غرّة في جبهة جواد الشعر.

❀ ❀ ❀

رجع، ولصاحب الترجمة:

جمع الحسن فأضحى ... ساكناً بين ضلوعي
بأبي جامع حسن ... وَقْفُهُ جاري دموعي[1]

وله أيضاً:

نسيم الصبا إن جزت سلعاً عليلة ... صفى بعض ما يلقاه من سقم جسمي

---

(١) نشر العرف ١/٦٩٧.

وإيـــاك والأخـــبـــار عـــمـــا وراءه فأصدق أخبار العليل من السقمِ[1]

أجاد وأجاد.

وله في ثقيل:

ومـثـقـل لـو حـلَّ عـدنـا لـم يـكـن فـيـهـا الـسـكـون لـمـن سـواه مـمـكِّنـا
إن لـم يـكـن فـي الـنـار كـان عـذابـهـا لـلـسـاكـنـيـن بـهـا يـسـيـراً هـيّـنـا

أحسن في هذه المبالغة ما شاء.

وله فيه أيضاً:

مـــثـــقـــل يـــدعـــونـــه تـــرتـــرا من دونه فـي الـثـقـل فـاق الـمـحـيـطْ
لا يـحـمـل الإنـسـان مـن ثـقـلـهِ شـيـئـاً ولـو قـلَّ عـلـيـه الـسـلـيـطْ

الترتر: عبارة عن دهن الخردل وهو السليط، وتعبّر به العامة عن العقل، لأنه سراج البدن.

ولا يخفى حسن سنائه هنا، وشعاع توريته.

وأما سجعه فيترك سجع المطوّق بغير جمال، وما هو إلاّ السحر فلذا ينشط الفهم من عقال فمنه ما كتبه بخطّه في مسوّدة هذا المؤلف:

سرّحت الطرف في رياض من هذا التأليف مغدقة، وتنزهت في زهور منه ذات أنواع معجبة مونقة، تقصر عنها قاصرات الطرف، ويحفُّ بها اللطف من يمين وشمال وقدام وخلف، يأخذ بمجامع القلب، ويقع من ذي الفطرة السليمة موقع الوصل بعد الهجر من الصبّ، لا يصد عن الحكيم بأنها سحر إلاّ أنها حلال، كما لا يمنع عن القول بأنها خمر إلاّ ذلك، وخلّوها عن وصمة الاغتيال، يحير اللب ويميل الطبع المستقيم تمييل النسيم للقضب ما عناق الخرد الكعاب، ما عود شرخ الشباب، ما ارتشاف ريقه الثنايا العذاب، ما نسمة السحر، ما نغمة الوتر، ما نفحة العنبر، ما عرف المسك الأذفر، سمط اللآل لديه منفصم، وعقد ابن عبد ربه عنده غير منتظم، لو رآها الخفاجي لألغى ريحانته ذاوية، وعلم إنها عن طيب الرائحة خالية، أو بلغت الثعالبي لتيقّن أن اسم اليتيمة لكتابه لا يسوغ،

---

(١) نشر العرف ١/ ٦٩٧.

ولرجع عن استحقاقها إياه عند بلوغ ذلك الكتاب، ولا غرو فلا يتمّ بعد بلوغ، أو القطب المكي لما دارت له رحاء أدب، ولخاطب برقة اليمني (لقد حكيت ولكن فاتك الشنب)، بل لا يستحي برقه أن يبدي ومضا، وعاد كليلاً لا يحسن له نبضا، أو المتنبي لأرته آيات يوسف إن دعواه كاذبة، أو متنبي الغرب لاستبان إن نجوم آدابه غاربة، أو صاحب الخريدة لتيقّن أنه يستحق القصر، أو صاحب الذخيرة لقطع بها غير ذخر، أو الصفدي لما أطربته ألحان السواجع، أو ابن نباتة لكان إلى سجع المطوّق غير مصغٍ ولا سامع، أو العناياتي لما نفعته عنايته، أو صاحب نفخ الصور لقامت قيامته، أو سمع بمثله ابن حجة لما قامت للنواحي عليه الحجة، أو صاحب المثل الساير لما دار عليه الفلك الداير، وبينه وبين مقامات الحريري ما بين منسوج الذهب ومنسوج الحرير، ونسبته من بسامة ابن الوزير نسبة الوزير من الأمير.

وبالجملة، فلا أستطيع التعبير عمّا في النفس من فخامة هذا الكتاب الخطير، فلو دنت إلى الكواكب الزاهرة، وصفتها ما عددتها إلاّ قاصرة، فلا يجري بتمني دنوّها قلمي. ولا أقول:

ليت الكواكب تدنو لي فأنظمها   عقود مدح فما أرضى لكم كلمي

فإن ثمّة شيئاً لا يقوم بوصفه العبارات، ولا يلوح إلى مكنون سرّه الإشارات.

كتبه زيد بن محمد بن الحسن بن أمير المؤمنين.

نقلته من خطّه البديع في حامية الكتاب، وهو منثور يخجل الورد ابتساما، يجعل اللآلىء في النحور يتامى، ومناقبه لا تحصى[1].

(١) في هامش ب: «وفاته بصنعاء في ربيع الأول سنة أربع وعشرين ومائة وألف».

أبو اليمن، زيد بن الحسن بن زيد بن الحسن بن زيد بن الحسن بن سعيد الكندي، البغدادي المولد والمنشأ، الدمشقي الدار والوفاة، المصري الشيخ الأديب. أحد أئمة النحو، تاج الدين(*).

فاضل جمع بين العلوم وأحاط بنسجها إحاطة الأطلس بالنجوم، أصلح بين زيد وعمرو بعد طول الضراب، وطالما قاما به، وقيّدهما بالكتاب، وتخرّج بالشريف أبو السعادات ابن الشجري ـ الآتي ذكره(١) ـ وكان زيدياً، وكان الشيخ أبو اليمن أحد أفاضل الدنيا المشهورين، وأئمة النحو المفيدين.

وذكره ابن خلكان فقال: هو.

أوحد عصره في علوم الأدب وعلوم السماع، وشهرته تغني عن الإطناب في وصفه، وكان قد لقي جُملَة مَن المشايخ وأخذ عنهم، منهم الشريف أبو السعادات ابن الشجَري، وأبو محمد بن الخشّاب، وأبو منصور الجواليقي، وسافر عن بغداد في شبابه، واستوطن حلب وبَحَرَ منها إلى بلاد الروم، ثم انتقل منها إلى دمشق، وصحب الأمير عز الدين فَرُّوخَ شاه بن شاهنشاه(٢)، ابن أخي

(*) ترجمته في:
وفيات الأعيان ٢/ ٣٣٩ ـ ٣٤٢، إنباه الرواة ٢/ ١٠، ذيل الروضتين ٩٥، غاية النهاية ١/ ٢٩٧، معجم الأدباء ١١/ ١٧١ ـ ١٧٥، النجوم الزاهرة ٦/ ٢١٦، خريدة القصر/ قسم الشام ١/ ١٠٠، بغية الوعاة ٢٤٩، الجواهر المضيئة ١/ ٢٤٦، مرآة الزمان ٨/ ٥٧٥، مجلة المجمع العلمي العراقي ٢١/ ٢٤٨، الاعلام ط ٤/ ٣/ ٥٧ ـ ٥٨.

(١) ترجمه المؤلف برقم ١٨٦.

(٢) فرخشاه بن شاهنشاه بن نجم الدين أيوب، أبو سعد، عز الدين، الملك المنصور ابن أخي السلطان صلاح الدين: من سلاطين الأيوبيين، صاحب بعلبك. كان على دمشق وأعمالها، استنابه فيها عمه صلاح الدين، لما عاد منها إلى الديار المصرية، فقام بضبط أمورها وإصلاح أحوالها أحسن قيام. وكان موصوفاً بالكرم والشجاعة، له وقائع مع الإفرنج في ساحل الشام، وله علم بالأدب، ونظم ونثر فيهما جودة. وهو أخو صاحب حماة تقي الدين «المظفر» توفي سنة ٥٧٨هـ.
ترجمته في:
كتاب الروضتين ٢: ٣٣ وأبو الفداء ٣: ٦٤ و٦٥ وابن الأثير ١١: ١٨٥ وابن الوردي ٢: ٩٢ والدارس ١: ١٦٩ و٥٦١ ومرآة الزمان ٨: ٣٧٢ ومنتخبات من كتاب التاريخ، لتاج الدين =

صلاح الدين بن أيوب واختصَّ به وتقدم عنده وسافر معه إلى مصر، واقتنى من كتب خزائنها كل نفيس، وعاد إلى دمشق واستوطنها، وقصده الناس وأخذوا عنه، وله في النجوم مؤلف كبير على حروف المعجم، وكان قد رأى الزمخشري صاحب التفسير، وأخبر بعض أصحاب أبي اليمن أنه حدّثه قال: كنت قاعداً على باب أبي محمد عبد الله بن الخشاب النحوي ببغداذ، وقد خرج من عنده أبو القاسم الزمخشري، وهو يمشي في جاون خشب فإن إحدى رجليه كانت قد سقطت من الثلج، والناس يقولون: هذا الزمخشري.

قال: ونقل من خط أبي اليمن المذكور: كان الزمخشري أعلم فضلاء العجم بالعربية في زمانه، وأكثرهم اكتساباً وإطلاعاً على كتبها، وبه ختم فضلاؤهم، وكان متحققاً بالاعتزال، وقدم علينا بغداد سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة، ورأيته عند شيخنا أبي منصور الجوَاليقي، مرتين قارئاً عليه بعض كتب اللغة من فواتحها ومستجيزاً لها منه، لأنه لم يكن له ـ على ما عنده من العلم ـ لقاء ولا رواية، عفا الله عنه وعنّا[1].

قلت: أراد أنه لم يلق المشايخ فيأخذ العلم عنهم، وإنما حصله بالمطالعة والاجتهاد، ولأن القوم كانت همّتهم عليّة في تحقيق العلوم، وكانت العلوم غضّة طريّة، فالعالم عند أولئك الرئيس المطلق، وأما زماننا وبلدنا وأهله فإن العلم عندهم سخرية وهزؤ، وصاحبه لا يرمق إلاّ بالحمق والإهانة، نعم، عذرهم واضح لأنهم جهلوا خاصة علم الأدب، فإنه باليمن في الحضيض الأوهد، فالله يتدارك أهله بلطفه.

= شاهنشاه ٢٥٣ ـ ٣١١ والنجوم الزاهرة ٦: ٩٣ وسماه ابن خلكان في ترجمة أبيه شاهنشاه: «فروخشاه» وتابعه صاحب شذرات الذهب ٤: ٢٦٢ ومثله في الاعلام ـ خ. ورجحت ما في المصادر الأولى، لأن صاحب «الدارس» سمى في جملة مدارس دمشق «المدرسة الفرخشاهية» وعلق الواقف على طبعه بما يفيد بقاء شيء من هذه المدرسة إلى الآن، وهي منسوبة إلى المترجم له. وفي كتاب الروضتين ٢: ٣٤ من قصيدة:

حتّام جذبك للزمام، فأرخه   فلقد أنحت إلى ذرى فرّخشه

وفيه ٢: ٣٥.

عبد لعز الدين ذي الشرف الذي   ذل الملوك لعز عبد فرُخْشه

يستفاد من هذين البيتين، أن الراء في «فرخشاه» تشدد وتخفف، مع سكون الخاء، الاعلام ط ٤/ ٥/ ١٤١.

(١) وفيات الأعيان ٢/ ٣٤٠.

قال ابن خلكان: وأخبرني الشيخ مهذب الدين أبو طالب محمد المعروف بابن الخيمي[1] بالقاهرة المحروسة قال: كتب إليَّ الشيخ تاج الدين الكندي من دمشق من جملة أبيات:

أيها الصاحبُ المحافظ قد حَمَّـ ... ـلْتَنَا من وفاء عَهْدك دَيْنا
نحن بالشام رَهْنُ شوقٍ إليكم ... هل لديكم بمصْرَ شوقٌ إلينا
قد غلبنا بما حرمنا عليكم ... وغلبتم بما رزقتم علينا
فَعَجَزْنا عَنْ أن ترونا لديكم ... وعجزتم عن أن نراكم لَدَينا
حفِظَ الله عَهْدَ مَنْ حفظ العهـ ... ـد وأوفى به كما قد وَفَيْنا

قال: فكتبتُ في جوابه أبياتاً ومنها:

أيها الساكنون بالشام من كِنْـ ... ـدَةَ إنَّا بعَهْدِكم ما وَفَيْنا
لو قَضَيْنا حقَّ المودّة كُنا ... نَحْبنا بَعْدَ بُعْدِكم قد قَضَيْنا[2]

والنحب ليس خاصاً بالأجل، بل يقال: قضى نحبه، أي إربه.

قال: وأنشدني الشيخ مهذب الدين لأبي اليمن المذكور:

دع المنجمَ يكبُو في ضَلالته ... إن ادّعى عِلمَ ما يجري به الفَلَكُ
تفرَّدَ الله بالعِلمِ القديم فَلاَ الـ ... إنسان يَشْرَكُه فيه ولا المَلَكُ[3]

ما أحسن قول الشاعر:

---

(١) محمد بن علي بن علي بن المفضل بن التامغاز، أبو طالب، مهذب الدين الحلي، المعروف بابن الخيمي: عالم بالأدب. ولد بالحلة المزيدية سنة ٥٤٩هـ، ورحل إلى بغداد وسورية. وتوفي بالقاهرة سنة ٦٤٢هـ. من كتبه «أمثال القرآن» و«المؤانسة في المقايسة» و«المخلص الديواني» في الأدب والحساب، و«المطاول» في الرد على المعري، و«نزهة الملك في وصف الكلب والمكلّبين ـ خ» في الظاهرية (١٦ أدب) قال الميمني: قرئت على مصنفها سنة ٦٤٠ وعليها خطه. و«الرد على الوزير المغربي».
ترجمته في: وفيات الأعيان ٢/٣٤٢، بغية الوعاة ٧٨ ومذكرات الميمني ـ خ. والوافي ٤: ١٨١ والفوات ٢: ٤٨٣ الطبعة الثانية، الاعلام ط ٤/٦/٢٨٢.

(٢) وفيات الأعيان ٢/٣٤٠ ـ ٣٤١.

(٣) وفيات الأعيان ٢/٣٤١ وفيه بعده:
«أعد للرزق من اشراكه شركاً ... وبئست العدتان الشرك والشرك».

لأن كان حكم النجم لا شك واقعاً فما سعينا في ردّه بنجيحِ
وإن كان بالتدبير يبطل حكمه فقد صحَّ إن الحكم غير صحيحِ

وكان شخص يعرف بابن بشران مرجّفاً بمصر، فمنعه الحاكم الخليفة، فادّعى التنجيم، فقال فيه الشاعر:

إن ابن بشران ولست ألومه من خيفة السلطان صار منجّما
طبع المشوم على الفضول فلم يطق في الأرض إرجافاً فأرجف في السما

وقد مرّ قول الرئيس: إن علم التنجيم من أقسام الطبيعي الفرعية، وقال: هو علم تخميني لا تحقيقي.

وما أحسن قول القاضي الحسن بن علي الهبل[1]:

لخالِقِنا ـ سبحانه ـ الحلُّ والعقدُ فلا زحلٌ نحسٌ، ولا المشْتري سعدُ
شقاءٌ وسعدٌ؛ ذُو الجلالِ قضَاهما عَلى العَبْدِ؛ ما مِن واحدٍ منهما بدُّ
وقد جعلَ «التخييْرَ» غيرَ مُضيّقٍ إلى العبدِ؛ فلْيَذْهَبْ بما شاءه العبدُ
فبُعداً وسحقاً لِلْمنجِّم إنّه أتَى بمقالٍ يَقْشَعِرَ لَه الجلدُ[2]
وما هي يا مغرورُ إلاّ كَواكَبٌ؛ يُسَيّرهنّ الواحدُ الصَّمَدُ الفَرْدُ[3]

ليس يلزم المنجم الكفران، قال: إن الله خلقها مريده، أو أحياء، أو مؤثرة، نعم يلزمه القول بقدمها كما هو مذهب اليونان.

وحكى الشيخ صلاح الدين الصفدي في الغيث: إن الشيخ تاج الدين المذكور كان ممتحناً بكثرة السؤالات المشكلة.

رأيت بخط الشيخ علاء الدين الكندي الوداعي: إنها حضرت إلى الشيخ تاج الدين أسئلة من مصر في قول القائل: اللهم إني أسألك خير ما سأل العبد ربّه، هل ينتصب ربه أو يرتفع، فكتب: ينتصب، والشيخ علم الدين السخاوي حاضر، فرأى ما كتب وخاف أن يخرج الجواب عن الشيخ بالخطأ، فقال: يا مولانا، تثبّت في الجواب، فقال: النصب. فقال: على ماذا رفعت خير؟ قال:

(١) ترجمه المؤلف برقم ٤٦.

(٢) فبعداً وسحقاً، السحق: البعد: يقال سحقاً له: أي أبعده الله عن رحمته.

(٣) كاملة في ديوان الهبل ١٠١.

على المبتدأ، قال: أين الخبر؟ ففطن للجواب، فقال: يرفع.

قال ابن خلكان: وكتب أبو شجاع الفرضي ابن الدهان[1] إلى الشيخ تاج الدين:

يـا زَيْـدُ زادَكَ رَبـي مِـنْ مَـواهِـبـهِ ... نعمى يقصّرُ عَنْ إدراكِها المَثَلُ[2]

لا غَـيَّـرَ الله حـالاً قـد حَـبـاكَ بـهـا ... مـا دارَ بـيـنَ الـنـحـاة النحو والبَدَلُ

الـنّـحـوُ أنـتَ أحـقّ الـعـالَـمـيـنَ بـهِ ... أَليسَ باسمِكَ فيهِ يُضرَبُ المَثَلُ[3]

ومن شعر الشيخ تاج الدين حين كَبُر:

أرَى الـمَـرْءَ يَـهْـوى أن تـطـولَ حَـيـاتُـهُ ... وفـي طـولِـهـا إرْهـاقُ نـفـسٍ وإزْهـاقُ

تـمـنّـيـتُ فـي عَـصْـرِ الـشـبـيـبةِ أنـنـي ... أُعَـمَّـرْ والأعـمـارُ لا شـكّ أرْزاقُ

فـلـمـا أتـانـي مـا تـمـنـيـتُ سـاءَنـي ... مِنَ العُمْرِ ما قد كنتُ أهْوى وأشتاقُ

يُـخَـيّـلُ لـي فِـكـري إذا كـنـتُ خـالِـيـاً ... رُكوبي على الأعناق والسير إعناقُ

ويـذكـرنـي مَـرُّ الـنـسـيـم ورَوْحُـهُ ... حـفـائِـرَ يَـعـلـوهـا مِـنَ الـتـرْبِ أطـبـاقُ

وهـا أنـا فـي إحـدى وتـسـعـيـنَ حـجـة ... لـهـا فـيّ إرْعـاد مَـخُـوفٌ وإبْـراقُ

يـقـولـونَ تِـرْيـاقٌ لـمـثـلـكَ نـافِـعٌ ... ومَـا لـيَ إلا رَحـمـةَ الـلّـهِ تِـرْيـاقُ[4]

---

(١) هو أبو شجاع فخر الدين (وقيل برهان الدين) واسمه محمد بن علي بن شعيب المعروف بابن الدهان البغدادي. كان فقيهاً فرضياً محدثاً مؤرخاً نحوياً أديباً شاعراً حاسباً منجماً مهندساً، وكان قلمه أبلغ من لسانه. انتقل إلى الموصل ومنها إلى دمشق، ثم ارتحل إلى مصر، ومنها عاد إلى دمشق فجعلها دار إقامته. توفي بالعراق، بالحلة السيفية سنة ٥٩٠هـ (وقيل ٥٩٢ والأول أشهر) وذلك أنه كان ماراً بالحلة عند عودته من حج بيت الله الحرام، فسقط من البعير فمات لوقته. من مؤلفاته: غيب الحديث في ستة عشر مجلداً، وتقويم النظر في الخلاف، والمنير في الفرائض وغيرها.

ترجمته في: وفيات الأعيان ٥/ ١٢ ـ ١٣، الكنى والألقاب ٢/ ٧١، شذارت الذهب ٤/ ٣٠٤، بغية الوعاة ١/ ١٨٠، خريدة القصر ـ قسم العراق ـ ٢/ ٣١٧، ذيل الروضتين تراجم رجال القرنين السادس والسابع/ ٩، النجوم الزاهرة ٦/ ١٣٩، هدية العارفين ٢/ ١٠٣، روضات الجنات/ ٦٩٨، أنوار الربيع ٢/ هـ ٢٧١.

(٢) في الوفيات: «الأمل».

(٣) وفيات الأعيان ٢/ ٣٤١.

(٤) وفيات الأعيان ٢/ ٣٤١ ـ ٣٤٢.

وكانت ولادة الشيخ تاج الدين ببغداد في شهر شعبان سنة عشرين وخمسمائة.

وتوفي بدمشق سادس شوال سنة ثلاث عشرة وستمائة. رحمه الله تعالى، ودفن بسفح قاسيون.

❀ ❀ ❀

وأنا في طلب أخبار ابن الخيمي وعسى أجدها فأذكره في حرف الميم إن شاء الله تعالى، فإنه الفصيح ويكفيه بائيته التي سارت مسير الشمس التي أوّلها:

يا مطلباً ليس لي في غيره أَربُ إليك آل التقصّي وانتهى الطلبُ

سألني القاضي محمد بن الحسن الخيمي، رحمه الله بشبام سنة ١١٠٩، هل التقصّي بالمعجمة أو المهملة، فإنه طال فيه اللجاج؟ قلت: إنه بالمعجمة أوضح، ويجوز أن يكون بالمهملة، لأنه لم يأت شيخ من مصر يرويها مقيّدة عن الشيخ مهذّب الدين، وأصله من الحلة وهم شيعة.

❀ ❀ ❀

وقاسيون، بالقاف بعدها ألف وسين مهملة، مكسورة، والياء المثناة التحتيّة المضمومة وبعد الواو نون: جبل مطلّ على دمشق من شماليها، وبه جامع ومدارس وربط، وفيه مقابر المدينة، وفيه نهران ثوراً ويزيد، وذكره أبو المحاسن ابن عُنين[1] لما نفي عن دمشق في اللاميّة المشهورة التي تشوّقها فيها، وذكر نزهها بقوله:

وفي كبدي من قاسيون حرارة تزول رواسيه وليس يزولُ

---

(١) هو أبو المحاسن، شرف الدين محمد بن نصر الله (وقيل نصر الدين) بن عنين ـ بضم العين ـ الأنصاري الكوفي ولد بدمشق سنة ٥٤٩. أديب شاعر لغوي، فقيه مؤرخ: مولع بالهجاء، له قصيدة طويلة جداً، سماها مقراض الأعراض، جمع فيها خلقاً كثيراً من رؤساء دمشق. نفاه صلاح الدين الأيوبي، فجال في العراق والجزيرة وأذربيجان وخراسان وما وراء النهر واليمن ومصر والهند، وعاد إلى دمشق بعد وفاة صلاح الدين. تولى الوزارة للملك المعظم بدمشق، وانفصل عنها في أيام الملك الأشرف. توفي سنة ٦٣٠ وقيل ٦٣٣هـ. له ديوان شعر مطبوع بدمشق حققه خليل مردم.

ترجمته في: النجوم الزاهرة ٦/٢٩٣، وفيات الأعيان ٥/١٤ ـ ١٩، الكنى والألقاب ١/٣٦١، شذرات الذهب ٥/١٤٠، هدية العارفين ٢/١١٣، أنوار الربيع ١/هـ ٣٣٨ ـ ٣٣٩.

الفقيه زيد بن صالح بن أبي الرجال اليمني المرهبي الضوراني الشاعر، ويعرف بالقاضي أيضاً(*).

شاعر حسِن الشعر، إلاّ أن معانيه لا تلوح برقّة الألفاظ في ستر فهو أبو الخنسا، إن لم يكن قريضه منه أقسى، كسهيل يعارض الكواكب ولا يجري مجراها، وإذا اطلقت حلبة الشعراء جاء في أُخراها، ولا عجب فهو البدر إذا تكلّف، وإن تخلّف عن أولئك المتصرفين فالنوء قد يتخلّف، خاطبه القريض بلسان القلم السوداء ولم يتَّقِ، وقال لقريحته وقد صفقت الجناح إنك من طير الله فانطقي، وشرح مفرد الأديب محمد بن الحسين المرهبي[١] في سيرة الإمام الناصر شرحاً ما أقصر فيه، إلاّ أنه ما فهم بعض البديع الذي فيها فشرحه بفهمه، وكان بينه وبين القاضي الشرفي الحسن بن علي الهبل[٢] مكاتبات ومراجعات، ونقلت من «قلائد الجواهر» ديوان الحسن بن علي بن جابر الذي جمعه القاضي العلامة أحمد بن ناصر بن عبد الحق[٣]: إن القاضي الحسن كتب إلى القاضي زيد المذكور مبادياً مع مداد أهداه له:

يا أخا السؤددِ والمجـ ... ـدِ، ويا زاكي النِّجارِ[٤]

هاكَهُ «أسود» لا يَبْرحُ ... في الخدمةِ جاري

«كاتبٌ» بالفِعْلِ لكن ... لونُه الأسودُ «قاري»[٥]

يكتفي بالماءِ مَهْمَا ... مَسَّهُ حَرُّ الأُوارِ[٦]

(*) ترجمته في:
مراجع تاريخ اليمن ١٦٦، نشر العرف ١/٦٤٨ ـ ٦٥٠، وترجمه الشيخ عبد الرحمن بن محمد الذهبي الشامي، ديوان الهبل/أعلام الديوان ٥٩٤، الاعلام ط ٤/٣/٥٩.

(١) ترجمه المؤلف برقم ١٤٣.

(٢) ترجمه المؤلف برقم ٤٦.

(٣) ترجمه المؤلف برقم ٢٣.

(٤) زاكي النجار: طيّب الأصل.

(٥) القار والقير: شيء أسود يطلى به السّفن والأبل؛ أو هما: الزّفت.

(٦) الأوار: حر النار والشمس.

قــد حــكــى أوجُــهَ حُــسَّــا دِكَ فــي يــومِ فــخــارِ

أبــصــرتْ مــنــكَ «ارتــفــاعــاً» فــانْــثَــنَــتْ ذاتَ «انــكِــسَــارِ»

طَــالَــمــا مِــن غــيــرِ ذَنْــبٍ حَــبَــســوهُ فــي الــقــواري

فَــلَــكــمْ يــومِ تــمــنَّــى وهــو فــي قــيــد الإســارِ

وَصْــلَ خــمــسٍ[1] مــنــك قــد أز رت نــوالاً بــالــبــحــارِ[2]

بيت الأسود القاري لم يشيّد لغير الحسن، والأسود الجاري في الخدمة مثله، ويصلح أن يكون لغزاً في المداد.

وشعر المذكور على علّاته مليح.

واخترت له مما كتبه بخطّه:

ترفق بصبٍّ لا يزال لما به من الشوق في نار الصبابة صالِ

ولا انفك مذ حلّيت بين ضلوعه يكابد أهوال الهوى ويصالي

له كل يوم منك موعد زورةٍ يُشان بخلفٍ مؤلم ومطالِ

أما والهوى العذري ما شبت صبوتي بغدرٍ ولا مرّ السلوّ ببالي

ولا انفصمت يوماً لأفكة كاشح عراي ولا رثّت هناك حبالي

لك الخير لا شوقي المقيم بنازحٍ إليك ولا وجدي القديم ببالي

ولا الروح إن ساومتنيها بساعة من الوصل عندي إن مننت بغالي

ونقلته من خطه أيضاً:

بأبي أهيف التأود حلو الدل ظبي يطيب فيه الغرامُ

عنَّ لي فائق الملاحة لم أد ر أغصن النقا انثنى أم قوامُ

ونضى صارم اللحاظ فلم أد ر لحاظ رمى بها أم سهامُ

فهو خاتم لدائرة الحسن أجاز اقتسامها الأيتامُ

حين فكّوا سلاسل الصدغ عنه حسن الذنب فيه والآثامُ[3]

---

(١) أراد بالخمس: الأصابع.

(٢) ديوان الهبل ٤٣٥.

(٣) نشر العرف ١/٦٤٩.

سبحان مانحة هذه القطعة التي هي كالماء، بل كنار الخليل لدى الظلماء.

وله رحمه الله تعالى من أبيات:

سرى طيفها والنجم في الأفق كالعقدِ ... فكاد سناء للعواذل أن يهدي

سرى فسرى منه العبير بعنبرٍ ... وفاح شذاه بالفتيق وبالندِ

وبت نديماً للسهى ذا ندامة ... كئيب فؤادٍ لا أعيد ولا أبدي

وما بيننا والحمد لله ريبة ... أبى الله ما فعل الدنية من قصدي

وكيف ولي في المجد أي مكانة ... تلاحظها عين الغزالة من بعدِ

أبيت ويأبى لي الخنا طيب محتدٍ ... كريمٍ وجدٌّ في العلى أيَّما جدِ[1]

كاد البيت الثاني أن يكون دكّان عطّار، وأما ملاحظة عين الغزالة من بعد فهو كذلك تحصيل حاصل، والله يقول: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ﴾[2]، وكان البحتري أوصف الناس للخيال حتى قيل خيال البحتري وهو ما يتخيّله النائم من مجيء أشخاص محبوبة وغيرها إليه.

وقال الرئيس أبو علي في خبره: هو الاستدلال من المخيّلات العلمية على ما شاهدته النفس من عالم الغيب مخيّلته القوّة المخيّلة التي محلها مقدّم الدماغ بمثال غيره.

قرأت ذلك على شيخنا العلامة الحسن بن الحسين بن المنصور بالله رحمه الله، فإني كتبت ذكره في حرف الحاء[3]، في شهر صفر وهو حيّ، ثم عرضت لَهُ علّة الاستسقاء فترددت إليه فأعطيته شيئاً من دهن الياسمين العتيق ودهن البابونج فذكر أنه انتفع به وتحلَّل ورم كان بعينه، ثم بلغني أن بعض جهّال المتطببة تردد إليه ودهن قدميه بدهن أحسب أنه بارد رطب فهاج به الورم في يوم وتصاعد في بعض يوم فضغط روح قلبه المقدس فتوفي بعد عصر يوم الاثنين تاسع ربيع الأول من عامنا هذا سنة أربع عشرة ومائة وألف، وكان أنفع علاجه الأيارج الذي يدخل فيه الأفربيون، ولكنه كما أخبرني ابن أخيه السيد العلامة محمد بن عبد الله

---

(١) نشر العرف ١/٦٤٩.

(٢) سورة الطلاق: الآية ٧.

(٣) ترجمه المؤلف برقم ٤٥.

الآتي ذكره[1]: إنه قال قد اشتقت إلى لقاء الله فقد تنغصت أحوال آل المنصور، وكان ذلك الاثنين، كما قلت في رثائه من قصيدة:

اثنين بالواحد الميمون روّعنا ... وما رضى بخميس دونه شرسِ
يا بحر قد كنت من ذي النون مقتبسا ... فانعم بذاك السرى في حضرة القدسِ

❀ ❀ ❀

وذكر الفقيه في الشعر أنه عَفَّ من الخيال، وتلك العفّة لا تكون إرادية، وإنما كانت الشهوة والقلب ضعيفين والعهد بالجماع قريباً لم ينشر العضو فيُخيّل للنائم أنه عفّ، ولكن الشعراء يدّعون العفّة حتى في المنام، ولم أسمع أقوى ولا أبلغ في هذه المادّة من قول الشاعر، وأحسبه الشريف الرضي:

ماذا يعيب الناس من رجلٍ ... خلص العفاف من الأنام لهُ
يقظانه ومنامه شرع ... كلّ بكلّ منه مشتبهُ
إن همّ في حلم بفاحشة ... زجرته عفّته فينتبهُ

وقول الشريف الرضي هو الشعر أيضاً:

بتنا أعفّ مبيت باته بشرٌ ... يلفّنا الشوق من قرن إلى قدمِ

ولفظ بشر له من سحر البلاغة ما لا يأتي به إلاّ أولو العزم من أهلها.

وذكر الحافظ الذهبي في سير النبلاء في ترجمة أبي بكر محمد بن داود الظاهري[2] الإمام بن الإمام الفقيه الأديب أحد أئمة الظاهر أنه مات عشقاً لوهب ابن جامع الصيدلاني وعفَّ عنه.

---

(١) ترجمه المؤلف برقم ١٥٤.

(٢) محمد بن داود بن علي بن خلف الظاهري، أبو بكر: أديب، مناظر، شاعر، قال الصفدي: الإمام ابن الإمام، من أذكياء العالم. أصله من أصبهان. ولد ببغداد سنة ٢٥٥هـ، وعاش فيها، وتوفي بها مقتولاً سنة ٢٩٦هـ. كان يلقب بعصفور الشوك لنحافته وصفرة لونه. له كتب، منها «الزهرة ـ ط» الأول منه، في الأدب، و«أوراق ـ من ديوانه ـ ط» و«الوصول إلى معرفة الأصول» «الانتصار على محمد بن جرير وعبد الله بن شرشير وعيسى بن إبراهيم الضرير» و«اختلاف مسائل الصحابة». وهو ابن الإمام داود الظاهري الذي ينسب إليه المذهب الظاهري.

ترجمته في: النجوم الزاهرة ٣: ١٧١ وفيات الأعيان ٤/٢٥٩ ـ ٢٦١ والمسعودي، طبعة باريس =

عن محمد بن إبراهيم بن سكرة القاضي قال: كان وهب بن جامع محبوب محمد بن داود وكان يتفق عليه، وما عرف معشوق ينفق على عاشقه سواه.

وقال إبراهيم بن عرفة نفطويه: دخلت على محمد بن داود في مرضه فقلت: كيف نجدك؟ فقال: حبّ من تَعلم أورثَني ما ترى، فقلت: ما منعك من الاستمتاع به مع القدرة عليه؟ فقال: الاستمتاع على وجهين: أحدهما: النظر وهو أورثني ما ترى، والثاني: اللّذة المحقورة منعني منها ما حدثني أبي، حدثنا سويد بن سعيد، حدثنا علي بن مسهر عن ابن يحيى، عن مجاهد عن ابن عباس رفعه قال: من عشق وعفّ وكتم وصبر غفر الله له وأدخله الجنة، ثم أنشدنا له:

انظر إلى السحر يجري في لواحظه ... وانظر إلى دعج في طرفه الساجي
وانظر إلى شعرات فوق عارضه ... كأنهن نمال دبَّ في عاجِ

قال نفطويه: ومات من ليلته أو من اليوم الثاني.

قال أبو زيد علي بن محمد: كنت عند يحيى بن معين فذكرت له حديثاً سمعته من سويد بن سعيد، فذكر الحديث المذكور، فقال: والله لو كان عندي فرس لغزوت سويداً في هذا الحديث.

قال الذهبي: هو مما نقموا على سويد به.

وأخبرنا أبو العباس بن الظاهري عن ابن النجّار قال: وهب بن جامع بن وهب العطّار الصيدلاني صاحب محمد بن داود وكان أحب وشغف به حتى مات من حبّه ومن أجله صنّف كتاب «الزهرة».

وقال عبد الكريم بن محمد الحافظ: نا عبد الرحمن بن الحسين الفارسي

= ٨: ٢٥٤ وفيه: وفاته سنة ٢٩٦ وتاريخ بغداد ٥: ٢٥٦ والمنتظم ٦: ٩٣ ودار الكتب ٧: ١٦١ والوافي بالوفيات ٣: ٥٨ ـ ٦١ واللباب ٢: ١٠٠ وصلة الطبري ٣٣ وBrock. S.I: 249 يقول المشرف: في تاريخ بغداد (٥/ ١٦٢) والمنتظم (٦/ ٩٤) ما يفيد موت الظاهري حتف أنفه، لا قتلاً، الاعلام ط ٤/٦/ ١٢٠.

الواعظ املاءً بالري، نا محمد بن إسماعيل العلوي، حدثني جدي، سمعت وهب بن جامع العطار صديق ابن داود، قال: دخلت على المتقّي لله فسألني عن أبي بكر بن داود هل رأيت منه ما تكره، قلت: لا يا أمير المؤمنين، إلاّ إني بتّ عنده ليلة فكان يكشف عن وجهي ثم يقول: اللهم إنك تعلم أني أحبّه وأني لأراقبك فيه، قال: فما بلغ من رعايتك لحقّه؟ قلت: دخلت الحمام فلما خرجت نظرت في المرآة فاستحسنت صورتي فوق ما أعهد فغطّيت وجهي وآليت لا ينظر في وجهي أحد قبله، وبادرت إليه فكشف وجهي ففرح وسُرَّ وقال: سبحان خالقه ومصوّره وتلى: ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[1].

قال الذهبي: كان ابن داود أحد أذكياء العالم، وكان أحد أئمة الظاهر ببغداذ بعد أبيه، وله المؤلفات على مذهبه، وكتاب الزهرة في الأدب، وكان خصم ابن سريح في المناظرة.

وقال أبو علي التنوخي: حدثنا أحمد بن عبد الله بن البختري الداودي، حدثني أبو الحسن بن المفلس الداودي، قال: كان محمد بن داود بن سريح إذا حضر بمجلس أبو عمرو القاضي لم يجر بين اثنين فيما يتفاوضانه أحسن مما يجري بينهما، قال: فسأل أبا بكر عن العود الموجب لكفارة الظهار، فقال: إعادة القول ثانياً وهو مذهبه ومذهب أبيه، فطالبه بالدليل فشرّع فيه، فقال ابن سريح: يا أبا بكر هذا قول مَنْ مِنَ المسلمين؟ فغضب أبو بكر، فقال: أتظن إن من اعتقدت قولهم إجماعاً في هذه المسألة عندي إجماعاً أحسن إخوانهم أن أعدهم خلافاً، فغضب ابن سريح فقال: أنت بكتاب الزهرة أمهر منك بهذه الطريقة، فقال: والله ما تحسن شتم قراءة قرأت[2] من يفهم، وإنه لمن إحدى المناقب لي إذ أقول فيه:

انزّه في روض المحاسن مقلتي ... وأمنع نفسي أن تنال محرّما
وينطق سرّي عن مترجم خاطري ... فلولا اختلاسي ردّه لتكلما
رأيت الهوى دعوى من الناس كلهم ... فما إن أرى حباً صحيحاً مسلما

(١) سورة آل عمران: الآية ١٦.

(٢) كذا في الأصل.

فقال ابن سريح: وأنا الذي أقول:

ومشاهد بالغنج من لحظاته ... قد بت أمنعه لذيذ سناته
ضناً بحسن حديثه وعتابه ... وأكرر اللحظات في وجناته
حتى إذا ما الصبح لاح عموده ... ولّى بخاتم ربّه وبراته

فقال أبو بكر: أيّد الله القاضي، قد أخبر بحاله، ثم ادّعى البراءة، ما توجه فعليه البيّنة، فقال ابن سريح: مذهبي أن المقرّ إذا أقرّ إقراراً أناطه بصفة كان إقراره موكولاً بصفته تلك.

قال الذهبي: ذاكر أبو بكر بالأدب وله عشر سنين، وكان يشاهد في مجلسه أربعمائة صاحب محبرة، وكان من أجمل الناس، وعاش ٤٣ سنة.

وتوفي ببغداد في شهر رمضان سنة سبع وتسعين ومائتين.



وممن قتله العشق من الأعيان: قاضي القضاة شهاب الدين بن خلكان[1]، كان يحب الملك الزاهر بن الكامل فقتله حبّه، وله قصة طويلة ذكرتها في هذا الكتاب.

وما بخاطري من شعر الفقيه زيد بن صالح غير ما ذكرت فهو أجود ما سمعته له، وكان مقامه بضوران، ونقلت ذلك من خطّه إلاّ الدالية فمن خط

---

(١) هو قاضي القضاة شمس الدين، أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان البرمكي الشافعي، صاحب كتاب وفيات الأعيان. ولد سنة ٦٠٨هـ بمدينة أربل. استوطن القاهرة وبها صنف كتابه المذكور وكان من كبار قضاتها، ثم تولى قضاء دمشق، وعزل مرتين، كان أديباً فاضلاً فصيحاً فقيها حلو المذاكرة، عارفا بأيام الناس. له عناية خاصة بشعر يزيد بن معاوية، فقد قال عن نفسه في وفيات الأعيان ٣/ ٤٧٦ أثناء ترجمة المرزباني (وكنت حفظت جميع ديوان يزيد لشدة غرامي به وذلك سنة ٦٣٣هـ بمدينة دمشق، وعرفت صحيحه من المنسوب إليه). توفي سنة ٦٨١هـ بدمشق ودفن بالصالحية.

ترجمته في: النجوم الزاهرة ٧/ ٣٥٣، هدية العارفين ١/ ٩٩، كشف الظنون/ ٢٠١٧، الكنى والألقاب ١/ ٢٧٣، روضات الجنات/ ٨٧، تاريخ دمشق/ ٧٦، شذرات الذهب ٥/ ٣٧١، أنوار الربيع ٢/ هـ ٢٥٦ ـ ٢٥٧.

القاضي العلامة أحمد بن عبد الحق.

وتوفي الفقيه المذكور في سنة سبع عشرة ومائة وألف، وكان يتعلق بخدمة الإمام المهدي أحياناً في الأعمال، ثم غضب عليه فأخرجه ومعه جماعة عن بابه إلى صنعا، فمات بها رحمه الله تعالى.

والمرهبي نسبة إلى مرهبة.

ذكر السيد المحدّث يحيى بن الحسين بن المنصور بالله أخو شيخنا الحسن ابن الحسين في تأريخ له، انتسابهم إليها، وهي قبيلة من حاشد بن جبران بن نوف بن همدان، وقيل إنهم ينتسبون إلى الإمام أبي حفص عمر بن الخطاب، والله أعلم.

وذكر أهل أخبار صفين: أنه كان لهمدان بلاء عظيم بصفين.

قال ابن أبي الحديد: ومن الشعر الذي لا يشك أنه قاله علي عليه السلام لكثرة الرواة له [من الكامل]:

دعوت فلبّاني من القوم عصبةٌ ... فَوَارِسُ مِنْ هَمْدَانَ غَيْرُ لِئَامِ
فَوارِسُ مِنْ هَمْدَانَ لَيْسُوا بِعُزَّلٍ ... غَدَاةَ الْوَغَى مِنْ شاكرٍ وَشِبَامِ
بِكُلِّ رديـنـيٍّ وعَضْبٍ كأنه ... إذَا اختَلَفَ الأَقوامُ شَعْلَ ضِرام
لهمدان أخلاقٌ كرامٌ تزينُهم ... وبأسٌ إذا لاقَوا وَحَدٌّ خصام
وجدّ وصدق في الحروب ونجدة ... وقول إذا قالوا بغير أثام
مَتَى تَأْتِهِمْ فِي دَارِهِمْ تستضيفهم ... تَبِتْ نـاعماً فِي خِدْمَةٍ وَطَعَامِ
جَزَى اللَّهُ هَمْدَان الجِنَانَ فَإِنَّهُمْ ... سِهَامُ العدى في كُلِّ حِمَامِ
فَلَوَ كُنْتُ بوَّاباً عَلَى بَابِ جَنَّةٍ ... لقلْتُ لِهَمْدَانَ ادْخُلُوا بِسَلَامِ[1]

(١) وقعة صفين ٣٧٤ ـ ٤٣٧، شرح نهج البلاغة ٧٨/٨، مجاني الأدب ٤/ ٢٠٠، أنوار العقول/ قطعة رقم ٣٩٨.

الإمام أبو الحسين، زيد بن الإمام السجّاد ذي الثفنات أبي الحسن علي ابن الحسين بن علي بن أبي طالبعليه السلام. الإمام المشهور، الذي تنتمي إليه الزيدية(*).

وهو أشهر من الشمس في الزهد والعلم والمحبّة لإحياء علوم جدّه، فلا حاجة إلى تقريظه، وكان شاعراً خطيباً.

وقيل: إنه كان معدوداً في فصحاء قريش والعرب، وله القصة الشهيرة في مجلس هشام، وقال فيها وقد همَّ بالخروج:

(*) زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب: الإمام، أبو الحسين العلوي الهاشمي القرشي. ويقال له «زيد الشهيد» عده الجاحظ من خطباء بني هاشم. وقال أبو حنيفة: ما رأيت في زمانه أفقه منه ولا أسرع جواباً ولا أبين قولاً ولد سنة ٧٩هـ. وكانت إقامته بالكوفة، وأشخص إلى الشام، فضيق عليه هشام بن عبد الملك، وحبسه خمسة أشهر. وعاد إلى العراق ثم إلى المدينة، فلحق به بعض أهل الكوفة بحرضونه على قتال الأمويين، ورجعوا به إلى الكوفة سنة ١٢٠هـ، فبايعه أربعون ألفاً على الدعوة إلى الكتاب والسنة، وجهاد الظالمين، والدفع عن المستضعفين، وإعطاء المحرومين، والعدل في قسمة الفيء، ورد المظالم، ونصر أهل البيت. وكان العامل على العراق يومئذ يوسف بن عمر الثقفي، فكتب إلى الحكم بن الصلت وهو في الكوفة أن يقاتل زيداً، ففعل. ونشبت معارك انتهت بمقتل زيد، في الكوفة، وحمل رأسه إلى الشام فنصب على باب دمشق. ثم أرسل إلى المدينة فنصب عند قبر النبيصلى الله عليه وآله يوماً وليلة، وحمل إلى مصر فنصب بالجامع، فسرقه أهل مصر ودفنوه. ووقف المجمع العلمي في ميلانو مؤخراً على «مجموع في الفقه ـ ط» رواه أبو خالد الواسطي عن زيد بن علي، فإن صحت النسبة كان هذا الكتاب أول كتاب دوّن في الفقه الإسلامي، ومثله «تفسير غريب القرآن ـ خ» ولا بد من التثبت من صحة نسبته إليه. وإلى صاحب الترجمة نسبت الطوائف «الزيدية» ولإبراهيم ابن محمد الثقفي المتوفى سنة ٢٨٣ كتاب «أخبار زيد بن علي» ومثله للجلودي. ومثله أيضاً لابن بابويه القمي، ومثله للسيد عبد الرزاق المقرم.

ترجمته في:

مقاتل الطالبيين ١٢٧ ـ ١٥١، وأنظر فهرسته. وتاريخ الكوفة ٣٢٧ والفرق بين الفرق ٢٥ وفوات الوفيات ١: ٣٣٣ والطبري ٨: ٢٦٠ و٢٧١ ذكره في وفيات سنة ١٢١ ثم في وفيات ١٢٢هـ. وتهذيب ابن عساكر ٦: ١٥ والبعثة المصرية ١٨ وذيل المذيل ٩٧ وابن خلدون ٣: ٩٨ وابن الأثير ٥: ٨٤ والدر الفريد ٤٠ والذريعة ١: ٣٣١ و٣٣٢ واليعقوبي ٣: ٦٦، الاعلام ط ٤/٣/ ٥٩، وغيرها.

ذلّ الحياة وذلّ المَمات ... وكل أراه طعاماً وبيلا
فإن كان لا بد من واحد ... فسيري إلى الموت سيراً جميلا

والذي اشمأزَّت له الإمامية منه ما تذكره جماعة من أتباعه: إن جماعة من أصحابه كانوا إمامية، فقالوا له: تبرء من فلان وفلان، فقال: بل أتولّاهما وأترحم عليهما، قالوا: ففيم ننصرك إن كانا لم يظلماك، فهشام لم يظلمك، وفارقوه، فسمّاهم الرافضة.

وقد ذكر هذا الخبر جماعة من علماءالزيدية كالفاضل أحمد بن محمد الشرفي الحسني وأورده في «شرح الأساس»، وأحمد بن يحيى المهدي في ملله[1]، ولست أعجب من الشرفي فإنه ربّما لم تكن له ملكة في الإطلاع على أخبار الناس، بل العجب من المهدي فإنه أوحد العلماء في مذهبي الزيدية والمعتزلة، والكلام باطل قطعاً من قولهم، لأنهم أجمعوا إن مذهب الإمامية اختلقه، ودسّه أبو جعفر المنصور لما خشي من تفاقم الأمر بسبب الأئمة الحسنيين الثائرين عليه، فأراد إلاّ يثور التشيّع إذا اعتقدوا إمامة معين، فيقال لهذا الزاعم فكيف أمن المنصور جانب الصادق والكاظم إذا ما سمعت الخراسانية الذين من أكثرهم الإمامية وبهم قامت الدولة العباسية، ثم ذكروا حديث الإمام أبي الحسين مع الإمامية فأثبتوا مذهبهم في أيام هشام بن عبد الملك مع القول بدسيسة المنصور.

وما أحسب من ذكر هذا الكلام إلا حاسباً دولة المنصور قبل دولة هشام، فافترى ذلك، ولو عكس لما انكشف فبطلت الدعوى وليس قصدي التعصب. والله يعلم نيتي والحق يحمد على أن المحققين من الإمامية يعظمون زيداً، وألَّف أبو جعفر القمّي محدّث الإمامية «عيون أخبار الرضا» للصاحب أبي القاسم وذكر

---

(١) في هامش الأصل: «هي المنية والأمل شرح الملل والنحل، وقول المواف في الأبطال، لأنهم أجمعوا إن مذهب الإمامية اختلقه ودسّه أبو جعفر المنصور... من الذين أجمعوا على ما ذكر برد ذلك، وما ذكره هو أن رحمه الداعي الحسن بن إدريس الإسماعيلي ولفظه وهو منسوب بصنعه اسم الفاعل إلى الدعوة الإسماعيلية، وهم فرقة من الشيعة ظهر مذهبهم بعد موت الإمام جعفر الصادق، الذي تبع موسى بن جعفر فهو الإمامي، ومن قال أن النص سبق لإسماعيل بن جعفر فهو إسماعيلي، انتهى بلفظه، يعني إن المنصور اختلقه ودسّه، وزمانه متأخر على موسى، وإسماعيل وهشام لمدة مديدة فعوله أن الكلام باطل قطعاً، باطل قطعاً».

اعتقادهم فيه، فإذا هو جيّد جميل ومن أجله ذكر الاعتقاد.

وقال بعض الإمامية: إنه خرج داعياً إلى ابن أخيه الصادق، وهو كذب لا أصل له، ولم أجد لذلك نقلاً أطمئن إليه.

وكان الإمام أبو الحسين من السلف الصالح الأول، وكان يتولّى الخلفاء الثلاثة على الصحيح.

قال المقريزي فيه: سكن المدينة وروى عن أبيه وعن أبان بن عثمان وعبيد الله بن أبي رافع وعروة بن الزبير، وروى عنه الزهري محمد بن شهاب وزكريا بن أبي زائدة وخلق.

وذكره ابن حبّان في الثقات وقال: رأى جماعة من الصحابة، وقيل لجعفر الصادق: إن جماعة تبرأوا من عمّك، فقال: بريء الله ممن بريء من عمي، ثم أثنى عليه جيّداً.

وقال أبو إسحاق السبيعي: رأيت زيد بن علي، فلم أرَ في أهله مثله، ولا أعلم منه ولا أفضل، وكان أفصحهم لساناً، وأكثرهم زهداً وبياناً.

وقال الشعبي: ما ولد النساء أفضل من زيد بن علي ولا أفقه ولا أشجع ولا أزهد.

وقال الإمام أبو حنيفة: شاهدت زيد بن علي كما شاهدت أهله، فما رأيت في زمانه أفقه منه ولا أعلم ولا أسرع جواباً، ولا أبين قولاً، لقد كان منقطع القرين.

وقال الأعمش: ما كان في أهل زيد بن علي مثل زيد، ولا رأيت فيهم أفضل منه ولا أفصح ولا أعلم ولا أشجع، ولقد وفا له من تابعه لاقامتهم على المنهج الواضح.

وقال عاصم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب: لقد أصيب فيكم رجل ما كان في زمانكم أفضل منه وما كان في زمانكم مثله، لقد رأيته وهو غلام حدث وهو يسمع الشيء من ذكر الله فيغشىٰ عليه حتى يقول القائل ما هو بعائد إلى

الدنيا، وكان يقال له حليف القرآن، وقال: خلوت بالقرآن ثلاث عشرة سنة اقرأه وأتدبّره فما وجدت في طلب الرزق رخصة، وما وجدت ابتغوا من فضل الله إلاّ العبادة والفقه.

وكان نقش خاتمه: إصبر تؤجر، إصدق تنج.

وقرأ: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم﴾[1] فقال: إن هذا الوعيد وتهدد. ثم قال: «اللهم لا تجعلنا ممن تولّى عنك فاستبدلت به بدلاً».

وكان إذا كلّمه إنسان وخاف أن يهجم على أمر يخاف منه مأثماً قال له: يا عبد الله إمسِكْ، إمسِكْ، كُفْ، كُفْ، إليك، إليك، عليك بالنظر لنفسك، ثم يكفّ عنه ولا يكلّمه.

قال: وقد اختلف في سبب قيام زيد، فقيل: إن داود بن علي بن عبد الله ابن عباس، وزيد بن علي، ومحمد بن عمر بن علي بن أبي طالب قدموا على خالد بن عبد الله القسري بالعراق، فأجارهم ورجعوا إلى المدينة، فلما ولي يوسف بن عمر بن خالدكتب إلى هشام بن عبد الملك: إن خالد إبتاع من زيد أرضاً بالمدينة بعشرة آلاف دينار، ثم ردّ الأرض إليه، فكتب هشام إلى والي المدينة أن يسيّرهم إليه، ففعل، فسألهم هشام فأقرّوا بالجائزة وأنكروا ما سوى ذلك، وحلفوا فصدّقهم هشام وعادوا نحو المدينة، فلما صاروا بالقادسية كاتب أهل الكوفة زيداً.

وقيل: بل ادّعى خالد القسري أنه أودع زيداً وداوداً ونفراً من قريش مالاً، فكتب يوسف إلى هشام بذلك فسيّرهم هشام من المدينة إلى يوسف ليجمعهم وخالداً، فقدموا عليه، فقال يوسف لزيد: إن خالداً زعم أنه أودع عندك مالاً، فقال زيد: كيف يودعني وهو يشتم آبائي على منبره، فأرسل إلى خالد فأحضره في عباة وقال: هذا زيد قد أنكر إنك أودعته شيئاً، فنظر خالد إليه وإلى داود وقال لخالد: أتريد أن تجمع مع إثمك فيَّ إثماً في هذا، كيف أودعه وأنا أشتم أباه، وأشتمه على المنبر، فقال زيد: ما دعاك إلى ما صنعت؟ قال: شدد عليَّ العذاب، فادعيت ذلك وأملت أن يأتي الله بفرج قبل قدومك.

---

(١) سورة محمد: الآية ٣٨.

وقيل: إن مدعي المال عندهم يزيد بن خالد، وإن هشاماً استدعاهم إليه ثم أَمرهم بالسير إلى يوسف بن عمر، فاستقالوه خوفاً من شرّ يوسف وظلمه، فقال: أنا أكتب إليه بالكفّ عنكم، وألزمهم بذلك فساروا على كره، فجمع يوسف بينهم وبين يزيد، فقال: ليس لي عندهم قليل ولا كثير، فقال يوسف: أبي كنت تهزأ أم بأمير المؤمنين؟ فعذّبه يومئذ عذاباً كاد يهلكه، ثم استخلف زيداً وعصبة وأطلقهم، فأقام زيد بالكوفة، وكان قد قال لهشام: والله ما آمن بأن بعثتني إليه أن نجتمع أنا وأنت حيّين، قال: لا بد من المسير إليه.

وقيل: بل السبب أن الإمام زيد بن علي كان يخاصم ابن عمّه جعفر بن الحسين بن الحسن بن علي عليه السلام في وقف علي عليه السلام فزيد يخاصم عن بني حسين، وجعفر عن بني حسن، فكانا يبلغان كل غاية، ويقومان فلا يعيدان ما بينهما هرقا، فلما مات جعفر نازعه عبد الله بن الحسن بن الحسن، فتنازعا يوماً بين يدي خالد بن عبد الملك بن الحارث بالمدينة، فاغلظ عبد الله لزيد وقال: يا بن السندية، فضحك زيد وقال: قد كان إسماعيل عليه السلام لأمة، ومع ذلك فقد صبرت أمي بعد وفاة سيّدها ولم يصبر غيرها، يعني فاطمة بنت الحسين أُم عبد الله، فإنّها تزوّجت بعد أبيه الحسن بن الحسن.

قلت: الجواب شرّ من الابتداء، والبادي أظلم، فبلغ فاطمة، فأرسلت إلى زيد: يا ابن أخي لنعم دخيلة القوم كانت أمك، وإني لأعلم أن أُمك عندك كأم عبد الله عنده، ثم أن زيداً ندم واستحيى من فاطمة فلم يدخل عليها زماناً.

وذكر أن خالداً قال لهم: إغدوا علينا غداً فلست لعبد الملك إن لم أفصل بينكما، فباتت المدينة تغلي كالمرجل، يقول قائل قال زيد كذا، ويقول قائل قال عبد الله كذا، فلما كان الغد جلس خالد في المجلس، واجتمع الناس فمن بين شامت ومهموم، فدعى خالد وهو يحب أن يتشاتما، فذهب عبد الله يتكلم فقال زيد: لا تعجل يا أبا محمد، أعتق زيد كلما يملك إن خاصمك إلى خالد أبداً، ثم أقبل على خالد فقال: لقد جمعت ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأمر ما كان يجمعهم أبو بكر ولا عمر.

قلت: يؤخذ من عبارة الإمام أبي الحسين تصويب آراء العمرين لا كما ترويه عنه الجارودية إن صحّت هذه الرواية، وإلاّ فقد جمعا لحمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاطمة الزهراء وزوجها لخصومة الميراث والنحلة، وجمع عمر بين علي والعباس لخصومة الصدقة.

وروى المهدي أحمد بن يحيى السيد الحسني الظفيري عن زيد بن علي أنه قال: لو كنت مكان أبي بكر ثم جائتني فاطمة لم أحكم في فدك إلاّ بحكمه، ذكر ذلك في كثير من كتبه. فمن ثم قالت الإمامية ما قالت. لأن المهدي رضي الله عنه كان يميل إلى رأي أبي هاشم المعتزلي كثيراً.



رجع، فقال خالد: أما لهذا السفيه أحد؟ فقام رجل من الأنصار من آل عمرو بن حزام فقال: يا بن أبي تراب وابن حسين السفيه، أما ترى لوالٍ عليك سمعاً وطاعة، فقال زيد: أسكت أيها القحطان، فأنا لا نجيب مثلك، قال: ولِمَ ترغب عنّي، فوالله...... لخير منك، وأبي خير من أبيك، وإمّي خير من أمّك، فتضاحك زيد وقال: يا معشر قريش هذا الدين قد ذهب، أفتذهب الأحساب، فوالله ليذهب دين القوم وما تذهب أحسابهم، فتكلم عبد الله بن واقد ابن عبد الله بن عمر بن الخطاب فقال: كذبت والله أيها القحطاني، فوالله لهو خير منك نفساً وأباً وأماً ومحتداً، وتناوله بكلام كثير، وأخذ كفّاً من حصبا وضرب بها الأرض، وقال: إنه والله ما لنا على هذا من صبر، وقام.

ثم شخص زيد إلى هشام فجعل هشام لا يأذن له وهو يرفع إليه القصص، وكلما رفع قصة كتب هشام في أسفلها: ارجع إلى منزلك، فيقول زيد: والله لا أرجع إلى خالد أبداً، ثم أذن له يوماً بعد طول حبس، فصعد زيد وكان بادناً، فوقف في بعض الدرج وهو يقول: «والله لا يحب الدنيا أحد إلاّ ذل»، ثم صعد وقد جمع له هشام أهل الشام، فسلم ثم جلس، فحلف لهشام على شيء، فقال له: لا أصدّقك، فقال: يا أمير المؤمنين إن الله لم يرفع أحداً عن أن يرضى بالله، ولم يضع أحداً على أن لا يرضى بذلك منه، فقال هشام: أنت زيد المؤمّل للخلافة، وما أنت والخلافة، لا أمَّ لك، وأنت ابن أمة؟، فقال زيد: لا أعلم أحداً أفضل عند الله من نبي بعثه، ولقد بعث الله نبياً وهو ابن أمة، ولو كان به تقصير عن منتهى غاية لم يُبعث وهو إسماعيل بن إبراهيم، فالنبوّة أعظم منزلة من الخلافة عند الله، ثم لم يمنع الله منه أن جعله أبا العرب، وأباً لخير البشر محمدﷺ، وما يقصر برجل أبوه رسول الله، وبعد أمي فاطمة لا أفخر بأم.

فوثب هشام من مجلسه وتفرّق الشاميّون، وقال لأصحابه: لا يبيت هذا في عسكري أبداً، فخرج زيد وهو يقول: «ما كره قوم قط حرّ السيوف إلاّ ذلّوا».

قلت: وإلى قوله هذا يشير ولده يحيى بن زيد[1] المقتول بالجوزجان:

يا ابن زيد أليس قد قال زيد: من أحب الحياة عاش ذليلا

كن كزيد فأنت نجلٌ لزيد واتخذ في الجنان ظلاً ظليلا

فسار الإمام أبو الحسين إلى الكوفة، فقال له محمد بن عمر بن علي: اذكرك الله يا زيد إلاّ لحقت بأهلك، ولا تثق بأهل الكوفة، فإنهم لا يفون لك، فلم يقبل.

---

(١) يحيى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب: أحد الأبطال الأشداء. ولد سنة ٩٨هـ، وثار مع أبيه على بني مروان. وقتل أبوه وصلب بالكوفة، فانصرف إلى بلخ، ودعا إلى نفسه سراً، فطلبه أمير العراق (يوسف بن عمر) فقبض عليه نصر بن سيار. وكتب يوسف إلى «الوليد بن يزيد بن عبد الملك» بخبره، فكتب الوليد يأمره بأن يؤمنه ويخلي سبيله، فأطلقه نصر، وأمره أن يلحق بالوليد، فسار إلى سرخس وأبطأ بها، فكتب نصر إلى عامل سرخس أن يسيره عنها، فانتقل يحيى إلى بيهق ثم إلى نيسابور، وامتنع، فقاتله واليها عمرو بن زرارة وهو في عشرة آلاف ويحيى في سبعين رجلاً، فهزمهم يحيى، وقتل عمراً، وانصرف إلى هراة. ثم سار عنها، فبعث نصر بن سيار صاحب شرطته «سلم بن أحوز المازني التميمي في طلبه، فلحقه في الجوزجان فقاتله قتالاً شديداً، ورمي يحيى بسهم أصاب جبهته فسقط قتيلاً سنة ١٢٥هـ، في قرية يقال لها «أرغوية» وحمل رأسه إلى الوليد، وصلب جسده بالجوزجان. وبقي مصلوباً إلى أن ظهر أبو مسلم الخراساني واستولى على خراسان، فقتل سلم بن أحوز وأنزل جثة يحيى فصلى عليها ودفنت هناك. قال الذهبي: وكل من ولد في تلك السنة بخراسان، من أولاد الأعيان، سمي يحيى. ، وقال المسعودي: كان يحيى، يوم قتل، يكثر من التمثل بشعر الخنساء».

ترجمته في:

غربال الزمان ـ خ. والفرق بين الفرق ٣٤، ٣٥ والروض المعطار ـ خ. وفيه: «قتل وصلب في الجوزجان فأظهرت شيعة بني العباس لبس السواد بسببه» والبداية والنهاية ١٠: ٥ وجمهرة الأنساب ٢٠١ ومقاتل الطالبيين ١٥٢ ـ ١٥٨ وابن خلدون ٣: ١٠٤ وابن الأثير ٥: ٩٩ والطبري ٨: ٢٩٩ وفيهما وفي تاريخ الإسلام للذهبي ٥: ١٨١ وفي الروض المعطار: مقتله سنة ١٢٥ وهناك رواية ثانية في مقتله: سنة ١٢٦ في رمضان. وانفرد صاحب «الإفادة في تاريخ الأئمة السادة ـ خ» برواية ثالثة، خلاصتها أن الذي رماه بالسهم، هو داود بن سليمان ابن كيسان، من أصحاب يوسف بن عمر، في آخر المحرم «سنة ١٢٢» وزاد ما مؤداه: «واستخرجه يوسف بن عمر، فحز رأسه، وأرسله إلى هشام ابن عبد الملك، وصلب جسده بالكناسة. سنة وشهراً، ولما ظهرت رايات بني العباس في خراسان، كتب الوليد بن يزيد إلى يوسف أن ينزله عن خشبته ويحرقه، ففعل، وذر رماده في الفرات، وكان عمره يوم قتل ٤٦سنة ـ كذا ـ ولما ظهر أبو مسلم تتبع قتلته. فقتل أكثرهم». وشرح ديوان الخنساء ٢١٥ والمحبر ٤٩٢، الاعلام ط ١٤٦/٨/٤.

وقال: خرج بنا هشام أَسرى من غير ذنب من الحجاز إلى الشام ثم إلى الجزيرة ثم إلى العراق ثم إلى قيس ثقيف يلعب بنا، وأنشد [من الكامل]:

بكرت تخوّفني الحتوف كأنني ... أصبحت عن غرض الحتوف بمعزلِ
فأجبتها إن المنيّة منهل ... لا بد أن أسقى بكأس المنهلِ
إن المنيّة لو تُمَثَّلُ مُثلت ... مثلي إذا نزلوا بفنّك[1] المنزلِ
فأفني حياءَكِ لا أباً لكِ واعلمي ... إني امرؤ سأموت إن لم أقتل

وهذا الشعر إنّما مثل به الإمام، وهو مما أورده أبو تمام في حماسته[2]، وفي ذهني أنه لعنترة العبسي[3].

ثم قال لعمر: استودعك، وإني أعطي الله عهداً إن أدخلت يدي في طاعة هؤلاء ما عشت، وفارقه، وأقبل إلى الكوفة مستخفياً يدور في المنازل، فأقبلت الشيعة تختلف إليه تبايعه، فبايعه جماعة من الوجوه، وكانت بيعته: إنا ندعوكم إلى كتاب الله وسنّة رسوله وجهاد الظالمين، والدفاع عن المستضعفين، وإعطاء المحرومين، وقسم هذا الفيء بين أهله على السواء، وردّ المظالم، ونصرنا أهل البيت، أتبايعون على ذلك، فإذا قالوا: نعم، وضع يده على أيديهم ويقول: عليك عهد الله وميثاقه وذمّة رسوله، لتفينَّ ببيعتي، ولتقاتلنَّ عدوّي ولتنصحنّ لي في السرّ والعلانية، فإذا قال: نعم، مسح بيده، ثم يقول: اللهم أشهد.

فبايعه خمسة عشر ألفاً، وقيل أربعون ألفاً، وأمر أصحابه بالاستعداد، فأقبل من يريد أن يفي يستعد ويتهيأ، فشاع أمره في الناس.

وقال آخرون: أنه أتى الكوفة لموافقة خالد القسري أو ابنه يزيد عند يوسف ابن عمر، وأنه أقام بالكوفة ظاهراً ومعه داود بن علي، وأقبلت الشيعة تختلف إليه ويحسنّون له الخروج ويقولون: أنا لنرجو أن تكون أنت المنصور، وإن هذا الزمان الذي يهلك فيه بنو أميّة، فأقام بالكوفة ويوسف بن عمر يسأل عنه فيقال هو هاهنا، ويبعث إليه ليسير، فيقول: نعم ويعتلّ بالوجع، فمكث ما شاء الله، ثم أرسل إليه يوسف بالمسير فاحتج أنه يحاكم آل طلحة بن عبيد الله بملك بينهما

---

(١) كذا في الأصل.

(٢) لم أعثر عليها في كتاب الحماسة لأبي تمّام.

(٣) كاملة في ديوان عنترة ٧٨ ـ ٨٩ ط دار الجيل.

بالمدينة، فأرسل إليه ليوكّل وكيلاً، يرحل عنها، فلما رأى الجدّ من يوسف في أمره سار حتى أتى القادسية وقيل الثعلبية فتبعه أهل الكوفة، وقالوا: نحن أربعون ألفاً لم يتخلف عنك أحد، نضرب معك بسيوفنا وليس ها هنا من أهل الشام إلاّ عدّة يسيرة، وبعض قبائلنا تكفيهم بإذن الله تعالى، وحلفوا له بالأيمان المغلظة، فجعل يقول: إني أخاف أن تخذلوني وتسلموني كفعلكم بأبي وجدّي! فيحلفون له.

فقال داود بن علي: لا يغرّك يا ابن عم هؤلاء، أليس قد خذلوا من كان أعزّ عليهم منك جدك علي بن أبي طالب حتى قتل، والحسن من بعده بايعوه ثم وثبوا عليه فانتزعوا رداه وجرحوه، أو ليس قد أخرجوا جدّك الحسين وحلفوا له ثم خذلوه وأسلموه، ثم لم يرضوا بذلك حتى قتلوه فلا ترجع إليهم أبداً.

فقالوا: يا زيد إن هذا لا يريد أن تظهر أنت ويزعم أنه وأهل بيته أولى بهذا الأمر منكم.

فقال لداود: إن علياً كان يقاتله معاوية بذهبه، وإن الحسين قاتله يزيد والأمر مقبل عليهم، فقال له داود: إني أخاف إن رجعت إليهم أن لا يكون أحد أشدَّ عليك منهم وأنت أعلم، ومضى داود للمدينة.

ورجع زيد إلى الكوفة، فأتاه سلمة بن كهل فذكر له قرابته من رسول الله ﷺ وحقّه فأحسن، ثم قال له: أُنشدك الله كم بايعك؟ فقال: أربعون ألفاً، قال: فكم بايع جدّك؟ قال: ثمانون ألفاً، قال: فكم حصل معه؟ قال: ثلثمائة، قال: أنشدك الله أنت خير أَم جدّك؟ قال: جدّي، قال: فهذا القرن خير أم ذلك القرن؟ قال: بل ذلك، قال: فتطمع أن يفي لك هؤلاء وقد غدر أولئك بجدّك، قال: بايعوني ووجبت البيعة في عنقي وأعناقهم، قال: فتأذن لي أن أخرج من هذا البلد، فإني أخاف أن يحدث حدث فأهلك نفسي، فأذن له، فخرج إلى اليمامة.

وكتب إليه عبد الله بن الحسن بن الحسن:

أمّا بعد، فإن أهل الكوفة نفخ العلانية، خول السريرة، هوج في الردا، أجزع عند اللقا، تقدّمهم ألسنهم، ولا تشايعهم قلوبهم، ولقد تواترت كتبهم أليَّ بدعوتهم، فَصَمتُّ عن ندائهم، وألبست قلبي غشاء عن ذكرهم، يأساً منهم، وأطراها لهم، وما لهم مثل إلاّ كما قال علي بن أبي طالب عليه السلام: إن أُهملتم

خضتم، وإن حوربتم خرتم، وإن اجتمع الناس على إمام طعنتم، وإن أجبتم إلى مشاقّة نكصتم.

فلم يصغ زيد إلى شيء من ذلك، وأقام على حاله يبايع الناس، ويتجهّز للخروج.

وتزوّج بالكوفة امرأتين، وكان يتنّقل تارة عند هذه في بني سلمة، وتارة في الأزد عند الأخرى، وتارة في بني عبس، وآونة في بني تغلب إلى أن ظهر سنة اثنتين وعشرين ومائة، وأمر أصحابه بالاستعداد وأخذ من نيّته الوفاء في ذلك، فبلغ يوسف بن عمر فبعث في طلب زيد فلم يوجد، وخاف الإمام زيد أن يؤخذ قبل الموعد الذي بينه وبين الناس وعلى الكوفة يومئذ الحكم بن الصلت في ناس من أهل الشام، ويوسف بن عمر بالحيرة.

فلما رأى أصحاب زيد أن يوسف بن عمر قد بلغه الخبر، اجتمع إلى زيد جماعة من رؤوسهم فقالوا: رحمك الله ما قولك في أبي بكر وعمر؟ قال: رحمهما الله وغفر لهما، ما سمعت أحداً من أهل بيتي يقول فيهما إلاّ خيراً، وإن أشدّ ما أقول فيمن ذكرتم إنّا كنا أحقّ بسلطان رسول الله ﷺ عن الناس أجمعين، فدفعونا عنه، ولم يبلغ ذلك عندنا كفراً، وقد ولوا فعدلوا في الناس، وعملوا بالكتاب والسنّة.

قالوا: فلم يظلمك هؤلاء، إن كان أولئك لم يظلموا، وإن كان هؤلاء لم يظلموا، فلم تدعونا إلى قتالهم؟

فقال: إن هؤلاء ليسوا كأولئك، هؤلاء ظالمون لي ولأنفسهم ولكم، وإنّما ندعوهم إلى كتاب الله وسنّة نبيه وإلى السنن أن تحيى، وإلى البدع أن تطفى، فإن أجبتمونا سعدتم، وإن أبيتم فلست عليكم بوكيل.

ففارقوه وقالوا: قد سبق الإمام ـ يعنون الباقر ـ وجعفر ابنه إمامنا اليوم، فسمّاهم زيد الرافضة، وقيل سمّاهم الرافضة المغيرة العجلي حين رفضوه لقلّة خيره.

قلت: كلام الإمام أبي الحسين رضوان الله عليه أشكل ما في أصول الزيدية، وأما سيرة الخليفتين السيرة المرضية فهو في نهج البلاغة في كثير من خطب أمير المؤمنين رواية الشريف أبي الحسن الرضي، ثم إن قصّة فدك وأخذها

وما جرى من القول والفعل من الزهراء ومن علي عليه السلام يضادّ ما في بعض الخطب العلوية، فدونك فانظر واختر لنفسك ما يحلو.

وخلاصة الأمر: إن أهل الكوفة فشلوا واغلق عليهم مسجدهم وبعضهم خذل، وجاء يوسف من الحيرة وجرى قتال وقتل، ثم بعث يوسف جماعة من الخراسانية الناشبة قدر خمسة آلاف فرشقوهم بالنشّاب وقت المساء، والإمام زيد بجبانة الكوفة، فرُمي بسهم في جبهته اليسرى ثبت في دماغه، ورجع أصحابه، ولا يظن أهل الشام إلاّ أنهم عادوا للمبيت، فأتوا بطبيب فنزع السهم فضجّ الإمام زيد ومات رضوان الله عليه لليلتين خلتا من صفر سنة ١٢٢.

وعمره اثنتان وأربعون سنة.

فلما مات اختلف أصحابه في أمره، فقال بعضهم نطرحه في الماء، وقال بعضهم نحزّ رأسه ونلقيه في القتلى، فقال ابنه يحيى: والله لا تأكل لحم أبي الكلاب، وقال بعضهم: نلقيه في الحفرة التي يؤخذ منها الطين ونرسل عليه الماء ففعلوا ذلك، وكان معه مولى له سندي فدلَّ عليه، وقيل رآهم، فصار فدلَّ عليه، فتفرّق الناس وسار ابنه يحيى نحو كربلا.

وتتبّع يوسف بن عمر الجرحى في البيوت حتى دلَّ على زيد في يوم جمعة فأخرجه وقطع رأسه وبعثه إلى هشام، فدفع للواصل به عشرة آلاف درهم ونصبه في باب دمشق ثم أرسله إلى المدينة ومنها إلى مصر، وصلب يوسف جسده بالكناسة ومعه ثلاثة من أصحابه، وأقام الحرس فمكث مصلوباً أكثر من سنتين حتى مات هشام وتولّى الوليد فأرسل إلى يوسف أن أنزل زيداً وأحرقه بالنار، فأحرقه وذرى رماده في الرياح، وكان صلبه عرياناً، فاسترخى بطنه على عورته فلم يُرَ منها شيء.

وقال عبد الله بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي: سمعت أبي يقول: اللهم إن هشاماً رضي بصلب زيد فاسلبه ملكه، وإن يوسف بن عمر أحرق زيد فسلّط عليه من لا يرحمه، اللهم فاحرق هشاماً في حياته إن شئت وإلاّ فاحرقه بعد موته.

قال: فرأيت والله هشاماً محرّقاً لما أخذ بنو العباس دمشق، ورأيت يوسف بن عمر بدمشق مقطّعاً على كل باب من أبواب دمشق منه عضواً.

فقلت: يا أبتاه، وافقت دعوتك ليلة القدر، فقال: يا بني بل صِمت ثلاثة

أيام من شهر رجب، وثلاثة أيام من شعبان وثلاثة أيام من رمضان، كنت أصوم الأربعاء والخميس والجمعة، ثم أدعو عليهما من صلاة العصر يوم الجمعة حتى أصلّي المغرب.

قال المقريزي، ومن خططه نقلت الترجمة إلاّ ما استدركته لنفسي وهو ظاهرة وبعد قتل زيد انتقض ملك بني أمية وتلاشى إلى أن أزالهم ببني العباس.

قال: ومشهد رأسه بين كيمان وتراب يقصده الناس للبركة، لا سيما يوم عاشوراء ويعرفونه بزين العابدين، وليس كذلك، وسوّدت الشيعة عليه، وكان أول من سوّد عليه شيخ بني هاشم في وقته، الفضل بن عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم[١] ورثاه بقصيدة طويلة، وشعر الفضل حجّة احتجَّ به سيبويه، وتوفي الفضل سنة ١٢٩[٢].

ورأيت في بعض التواريخ: إن بعض الخوارج قال يرثي الإمام زيداً عليه السلام:

أأبا حسين والأمور إلى مدى	أولاد درزة أسلموك وطاروا
أأبا حسين إن شر عصابة	حضرتك كان لوردها إصدارُ

ومن شعر الإمام أيضاً:

يقولون زيد لا يزكّي بماله	وكيف يزكّي المال من هو باذله
إذا حال حول لم يكن في أكفّنا	من المال إلاّ رسمه وفواضله

---

(١) الفضل بن عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب: شيخ بني هاشم في وقته، وشاعرهم وعالمهم. وهو أول من لبس «السواد» على زيد بن علي بن الحسين. ورثاه بقصيدة طويلة حسنة. وشعره حجة، احتج به سيبويه. كان نازلاً عند بعض «بني تميم» بالبصرة. ولما اشتد هارون الرشيد في طلب بني هاشم استخفى، فدل التميميون عليه، ونهبوه، فهجاهم بأبيات، منها قوله:

إذا ما كنت متخذاً خليلا	فلا تجعل خليلك من تميم»

توفي نحو سنة ١٧٣هـ

ترجمته في:

المرزباني ٣١٠ ونسب قريش ٨٩ وفي مقاتل الطالبيين ٢٥٤ ما يستفاد منه أن عبد الله بن الحسن المثنى، المولود سنة ٧٠هـ، كان أصغر سناً من صاحب الترجمة، فإن صح هذا وصح أنه أدرك أيام الرشيد، فيكون قد عاش أكثر من مئة عام، الاعلام ط ٤/ ٥/ ١٥٠.

(٢) ورد في كثير من المصادر: «أنه توفي سنة ١٧٣هـ».

والذي ينبغي لكل محب لله ورسوله اعتقاد وولاية الإمام زيد وتعظيمه، فإنه من أفضل السلف الصالح، وكلما نسب إليه مما يؤثر في القلب من قبل الاعتقادات، فالواجب الوقف فيه أو تأويله، فإنها جاءت روايات مختلفة متناقضة، وقد كثرت الدسائس في الأخبار.

ورحم الله الحافظ أبو زكريا يحيى بن معين، فلولا قيامه في الجرح والتعديل لما عرف الكاذب من الصادق.

وفي جهّال الشيعة من لا يبالي بنقل الأكاذيب تقليداً أو قصوراً.

وكان ولده يحيى بن زيد شاعراً كثير الفضل شاباً شجاعاً، وقتله سلم بن أحور المازني بالجوزجان أيام الوليد بن يزيد بأمر نصر بن سيار الفزاري أمير خراسان، وكان ثأر بطلب دم أبيه، وصلبه بعد القتل.

وأظهر أبو مسلم الخراساني القيام بثأره وسود ومن معه من شيعة العباسية، وأمر بتسمية كل مولود تلك السنة في خراسان بيحيى.

والجُوزجان، بضم الجيم وإسكان الواو وفتح الزاي وبعد الجيم الثانية ألف ونون: مدينة عظيمة من بلاد خراسان. والله أعلم.

[٧٩]

السيدة الجليلة زينب ابنة السيد الجليل محمد بن أحمد بن الإمام الحسن بن علي بن داود الحسنية اليمنية المولد(*).

فاضلة تحلت بالأدب في عصابتها، ونظمت ما اشتبه حسناً بقلادتها، فلو رأتها ولّادة رأت عن الصواحب العقيمة، وهتكت عقودها الشعرية والنحوية قائلة

(*) زينب بنت محمد بن أحمد بن الناصر الحسن، بن علي بن داود بن الحسن بن عزالدين بن الحسن بن علي بن المؤيد بن جبريل بن المؤيد بن أحمد بن يحيى بن أحمد بن يحيى بن يحيى ابن الناصر بن الحسن بن عبد الله بن محمد بن القاسم المختار بن أحمد الناصر بن الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب عليه السلام، اليمنية الشهارية. «نشر العرف ١/٧٠٩».

ترجمتها في: طيب السمر ـ خ ـ، ذوب الذهب ـ خ ـ، نفحات العنبر ـ خ ـ، البدر الطالع ١/ ٥٨، نزهة الجليس ٢/٤١، نشر العرف ١/٧٠٩ ـ ٧١٩، وفيه وفاتها في محرم سنة ١١١٤. الاعلام ط ٤/٣/٦٧.

ما الحلية إلاّ مثل هذه الخريدة اليتيمة، أو شهدت الكاتبة مرّت حلاوتها، أو محبوبة المتوكلية ذهبت طلاوتها، أشبهت وهي ثالثة القمرين في المعارف رابعة، خلا أنها خلت من سهوات الفضل وإن كانت شمساً في السابعة، لم يدر أشعرها أم وجهها أم حليها أجمل، ولما كانت من الطيبات كتبت وفاتها بالمندل، فهي للغواني جمال، ولو كانت النساء مثلها لفضّلت النساء على الرجال، وكانت تعرف النحو والأصول والمنطق وشيئاً من النجوم والرمل والسيميا، وترتاض كثيراً آخر أيامها.

وأما الأدب فهي حليته، وكانت تذاكر بالأدب والعلوم ولا يُمَلُّ حديثها مع العفة والخفر والسكينة وشعرها قويّ المباني، له في الفكر فعل المثاني، وهو كثير في فَنَّي العربي والموشح، وتزوجها أولاً علي بن المتوكل ثم فارقها، ثم تزوّجها غيره.

وأنشدني ابن أخيها السيد بدر الدين محمد بن علي بن محمد، ومن شعرها ما كتبته لأخيه إسماعيل بن علي وكان وفد إليها إلى شهارة ثم أراد المسير إلى علي بن المتوكل وهو باليمن، فأرسلت معه قصيدة توصيه به وذلك بعد أن طلقها بمدَّة وأولها:

أصخ لي أيها الملك الهمام ... عليك صلاة ربك والسلامُ
إليك ركائب الآمال أمت ... تيقن أن متجرها أمامُ
أتيتك شاكياً من ريب دهر ... به عز المعين فلا يرامُ
به غاض الوفاء فلا وفاء ... به فقد الذمام فلا ذمامُ
ولا الآباء والأبناء فيه ... ولا الأخوان بينهم التئامُ
وفدت على كريم أريحيٍّ ... سخيّ ليس يعروه السئامُ
يجود بصافنات الخيل تزهو ... بعسجدها إذا شَحَّ اللئامُ
يجود بيعملات العيش تنئوا ... بأثقال يجاذبها الزمامُ
بكم لا شك تنتظم المعالي ... كسلك الدر يجمعه النظامُ
وأنت أبو الحسين أجل قدراً ... من الأكفا وإن جحدوا ولاموا
علوت عليهم كرماً وفضلاً ... وما استوت المناسم والسنامُ
تلذ لك المروءة وهي تؤذي ... ومن يعشق يلذ له الغرامُ

لقد حسنت بك الأيام حتى كأنك في فم الدهر ابتسامُ[1]

الأخيران من مشهور شعر أبي الطيب، ولقد كاد يشتبه شعر هذه العقيلة بشعره.

وما أحسن قول مجير الدين بن تميم الدمشقي الأشغردي[2] في تضمين الآخر:

أزهر اللوز أنت لكل زهرٍ من الأزهار يأتينا إمامُ
لقد حسنت بك الأيام حتى كأنك في فم الدهر إبتسامُ

وكتبت إلى بعض الأعيان تعاتبه:

ما بال أخلاقك تلك الحسانْ يا بهجة النادي ونور المكانْ
تنكرت من بعد تعريفها والحال ما امتاز بعطف البيانْ
أين الصفا والخلق المرتضى حين التداني والزمان الزمانْ
وقت إمام العصر من أذعنت لأمره فيما مضى الخافقانْ
البرّ إسماعيل ذاك الذي كان من الرحمن حقاً معانْ
من مصرها ألقت مقاليدها إليه والهند وأقصى عمانْ
فرحمة الله على وجهه تنهلُّ ما دارت صروف الزمانْ
سرعان ما أنسيت ذاك الصفا والأُنس في تلك المغاني الحسانْ
سقين أياماً بتلك الربى وذلك العهد وذاك الأوانْ
ما كدّر الصفو وغال الولا وما لذاك الصدق بي الودّ مانْ
متى أرَ خطّك يا سيدي يدني إلى السلوان بعد امتحان
عسى الحكيم العدل في أمره الراحم الديّان ذو الامتنانْ
مدبّر الأمر على ما يشاء في كل يوم منه أمر وشان
يقضي لنا بالجمع بعد النوى من أين لي أنظركم بالعيان
ودم لكتب العلم ترقى العلى حتى تنال السبق يوم الرهان

سبحان مانحها هذه الرقّة والانسجام.

---

(١) نشر العرف ١/ ٧١٧ ـ ٧١٨.

(٢) مرّت ترجمته بهامش سابق.

وسمعت لها بيتاً مفرداً في التورية، والنساء يتناشدنه، فَضَلّت فيه شهارة على صنعاء لأنها توطنت شهارة بسبب أن أمها أسماء بنت الإمام المؤيد هناك، ولم أسمع له بأول، فنظمت له أولٌ من شعري لاستحساني له ورعاية لأدبها ولأنّها عمّة للوالد من الرضاعة وهو:

وقائل لي أزال ليس تشبهها	شهارة قلت قف لي واستمع مثلي
أليس صنعاء تحت الظهر مع ضلع	أمّا شهارة فوق النحر والمقلِ

ولا تخفى حلاوة النحر والمقل وهما بعقبة شهارة، النحر: أحد أبوابها، والمقل: ماء فيه كروم ومسجد بزه أسفل منه، والظهر[1]: وادي ظهر الذي أشرنا إليه في ترجمة الداعي في حرف الحاء[2].

وضُلع، كجمع، جمع ضلعة: محل قريب الوادي المذكور، به كروم وماء.

وما رأيت أقوى من هذا التفضيل مع قوّة التورية في الأربع المحلات.

ولما مات المتوكّل ودعى القاسم بن المؤيد وهو خالها، ودعى المهدي أحمد بن الحسن قالت تمدح خالها وتعرّض بالمهدي:

إن الإمامة[3] زينت إكليلها	للقاسم بن محمد بن القاسم
لا كالذي جعل الجواري همه	وشفى بحرب إمامه من قادمِ[4]

لأن المهدي رحمه الله كان خرج أولاً على المؤيد بن المنصور أيام صباه، ثم تاب وأناب وهيهات أن يسمح الدهر بمثله، ولا يخفى ما في البيتين من البديع.

ورأيت في «كتاب ميزان السياسة» عند قول صاحبه: من الكرم العفو من سهو الذنوب، وترك البحث عن نشر العيوب، بخطّها عقدت الكاتبة سامحها الله هذا الكلام في متن الكتاب في العفو وترك تتبّع العثرات في ذين البيتين:

---

(١) في هامش ب: «ولعله المراد بالظهر في البيت الأكمة المشرفة على صنعاء من جهة شرق بقبله المسماة ظهر الحمار».

(٢) ترجمه المؤلف برقم.

(٣) في هامش الأصل: «الخلافة».

(٤) نشر العرف ١/٧١٧.

مــن شــيــمــة الــحــرّ الــكــريــمِ الْــ   ـعــفــو عــن ســهــو الــذنــوبِ
ومـــن الـــمـــروءة تـــركـــه   لـــلـــبـــحـــث عـــن نـــشـــر الـــعـــيـــوبِ

وبعدهما كتبت:

أمة الله الفقيرة إليه، الطالبة عفوه ورحمته، زينب بنت محمد بن أحمد بن الإمام الحسن بن علي.

ولها موشّح أنفس من وشاح الجوزاء، ولا أقول وشاحها ولم استحضره.

وكانت عالمة أخذ عنها جماعة كما أخبرني ابن عمي العماد يحيى بن إبراهيم بن الحسين، ولمحبّتها علم السيمياء والروحانية عكفت على المندل وارتاضت له فأصابها سكون ومرض، الظاهر أنه بسبب الروحانية، وبقيت ملقاة نحو شهر فقدرت وفاة تلك الطيبة بالمندل في شهر المحرم افتتاح سنة اربع عشرة ومائة وألف بشهارة، رحمهما الله تعالى.

وكان آخر من تزوجته طالب بن المهدي وكان غَدافي الفعل واللون فلم ترتض الشمس زحل، والوردة لا يعاشرها الجُعَل، ففارقته فراق الحليلة ذا ناجب[1] بأمر ابن زائدة، ومضى والعين قرحا ببعده جامدة.

والمندل كتاب معروف يتوصّل به إلى استحضار الروحانية.

وما أحسن قول شهاب الدين الحاجبي المصري من أبيات:

يــا صــاح عــلّــلــنــي بــكــأس مــدامــةٍ   عــن ذكــره إن الــحــبــيــب مــعــلّــل
صــهــبــاء إن جُــن الــفــتــى بــخــمــارهــا   مــنــهــا شــفــاء فــي شــذاهــا الــمــنــدل

والمندل في المعنى البعيد أحد أصناف العود الهندي، وهو من أجوده، وهو حار يابس في الثانية، ترياقي يقوّي القلب ويسكّن الخفقان البارد، ويقوّي الأحشاء، وينفع الخلفة السوداوية والدماغ البارد، وقد يضرّ المحرور ويصدعه.

وكان والد السيدة زينب فاضلاً عالماً، وله شعر ومصنفات، وتولى العدين والمخا.

وجدّها الإمام الحسن أحد أئمة الزيدية، وكان غزير العلم، كثير الفضل،

(١) كذا في الأصل.

حليماً خليقاً بالإمامة، وما رأيت أفصح من رسائله، وظهر باليمن، وأجابه أهل الجبال، ثم أسره الأجناد الرومية، وأرسله الوزير مع أولاده، المطهر بن الإمام شرف الدين إلى بلاد الروم فاعتقل معهم، وكان مسكنه بذي فُلَلَه، وانقطع خبره، وقيل إنه أعقب هناك. والله أعلم.

حرفُ السّين

[٨٠]

أبو العباس، سُدَيف بن ميمون، مولى أبي الحسن علي بن الحسين السجّاد(*).

وقال أبو الفرج: إنه مولى خزاعة، وتزوّج مولاة لآل أبي لهب، فانتمى إلى بني هاشم(١).

فاضل، شعره والصارم على سواء، فلا يبالي بأيّهما على عدوّه انتضى، أشبه شعره سيف السفّاح، فكلا الماضيين جرّاح.

وقال الذهبي في الميزان: سديف بن ميمون المكي، رافضي خرج مع ابن حسن(٢).

قلت: يعني الإمام إبراهيم بن عبد الله بن حسن وأخاه محمد، فظفر به المنصور فقتله.

(*) ترجمته في:
الأغاني ١٦/١٤١ ـ ١٤٤، ميزان الاعتدال، تهذيب ابن عساكر ٦/٦٦، الشعر والشعراء ٢٩٣، المحبر ٤٨٦، التاج ٦/١٣٦، العقد الفريد، أعيان الشيعة ٣٤/٤، الاعلام ط ٤/٣/٨٠، مقدمة «شعر سديف..» وجمع شعره وحققه رضوان مهدي العبود بعنوان «شعر سديف بن ميمون» ط في النجف ١٩٧٤.

(١) الأغاني ١٦/١٤٢.

(٢) ميزان الإعتدال.

قال العقيلي: كان من الغلاة في الرفض.

قال الذهبي: نا إسحاق بن يحيى الدسّان[1]، نا حرب بن الحسن الطحّان، نا حسّان بن سدس[2]، نا سديف المكي، ثنا محمد بن علي الباقر: وما رأيت محمدياً قط يشبهه.

ثنا جابر بن عبد الله قال: خطبنا رسول الله ﷺ قال: من أبغضنا أهل البيت حشره الله يوم القيامة يهودياً وإن صام وصلى، إن الله علّمني أسماء أمتي كما علّم آدم الأسماء كلها، ومثل لي في الطين فمرّ بي أصحاب الرايات فاستغفرت لعلي وشيعته.

قال ابن حبان: فدخلت مع أبي علي جعفر بن محمد فذكر له أبي هذا فقال: ما كنت أظن أني أحدّث بهذا أبداً.

وقال ابن عبد ربه في العقد: لما قدم القمر بن يزيد بن عبد الملك، على أبي العباس في ثمانين رجلاً من بني أمية فوضعت لهم كراسي، وطرحت لهم نمارق، فأجلسوا عليها، ثم أذن لشيعته فدخلوا ودخل فيهم سديف بن ميمون وهو متوشّح سيفاً، متنكّب قوساً، وكان طويلاً أسود أدلم فقام خطيباً فقال بعد حمد الله والثناء عليه: أتزعم الضلال حبطت أعمالهم أن غير آل محمد أولى بالخلافة فَلِمَ وبِمَ أيها الناس، ألكم الفضل بالصحابة دون القرابة، الشركاء في النسب، الأكفياء في الحسب، الخاصّة في الحياة، الولاة عند الوفاة، مع ضربهم على الدين جاهلكم، وإطعامهم في اللأواء جائعكم، فكم قصم الله بهم من جبّار باغ وفاسق طاغ، لم يسمع بمثل العباس، لم تخضع لهم أمة بواجب حق الحرمة، أبو رسول الله ﷺ بعد أبيه، وجلدة ما بين عينيه، أمينه ليلة العقبة، ورسوله إلى أهل مكة وحاميه يوم حنين لا يرد له كلماً، ولا يخاف له قسماً، إنكم والله معشر قريش ما اخترتم لأنفسكم من حيث اختار الله لكم، فكم تيمي مرة، وعدوّي مرّة، وأسدي مرّة، وكنتم بين ظهراني قوم قد آثروا العاجل على الآجل، والفاني على الباقي، وجعلوا الصدقات في الشهوات، والفيء في الغنى، واللذات والمغانم في المحارم، إذا ذكروا الله لم يذكروا، وإذا قوّموا بالحق

---

(١) كذا في الأصل.

(٢) كذا في الأصل.

أدبروا، فذلك كان زمانهم، وبذلك كان يعمل سلطانهم، فلما كان من الغد دخلوا.

ودخل سديف، فأنشد القصيدة الآتية.

وقال ابن عبد ربه أيضاً: وكان سبب قتل سديف أنه قال أبياتاً ميميّة وكتب بها إلى أبي جعفر وهي [من الكامل]:

أسرفت في قتل الرعية ظالماً ... فاكفف يديك أظلها مهديها
فلتأتينك راية حسنية ... جرارة يقتادها حسنيها[1]

فَأَتْعَبَتْ أبا جعفر، فلم يزل يتجسس عن قائلها حتى علمه، وكتب إلى عبد الصمد بن علي، وكان سديف في حبسه فدفنه حيّاً.

وقال أبو الفرج في الأغاني: وكان سديف شاعراً مطبوعاً، وكان شديد التعصّب لبني هاشم مظهراً لذلك في زمن بني أمية، وهو حجازي مخضرم، أدرك الدولتين، وكان يخرج إلى أحجار صفا بظاهر مكة تسمى صفا السباب، ويخرج مولى لبني أمية يسمى سلبا معه فيتسابّان ويذكران المثالب والمعايب، ويخرج معهما من سفهاء الفريقين من يتعصّب لهذا ولهذا فلا يبرحون حتى يقع الشجاج والجراح، ويخرج السلطان إليهم فيفرقهم ويعاقب الجناة، حتى شاعت عصيّتهم في السفلة والعامة، وكانوا فريقين سديفية وسلبية طوال أيام بني أمية، ثم صارت العصبية في أيام بني هاشم بين الحنّاطين والجزّارين[2] بمكة.

ومن شعره المختار للخلفاء في غناء المائة الصوت [من المتقارب]:

علامَ هَجرتِ ولم تُهْجري ... ومثلكِ في الهجر لم يُعذرِ
قطعتِ حبالَكِ من شادنٍ ... أغنَّ قطوفِ الخُطا أحْوَرِ[3]

---

(١) يشير بحسنيها إلى محمد بن عبد الله بن الحسن العلوي صاحب الثورة على المنصور.
العقد الفريد ٥/٨٨، تهذيب ابن عساكر ٦/٦٨، أعيان الشيعة ٣٤/٤، شعر سديف ٢٩.

(٢) في الأغاني ١٦/١٤٢: «الحرّارين»، أي صنّاع الحرير.

(٣) الشادن: ولد الظبية، والشادن من أولاد الظباء الذي قد قوي وطلع قرناه واستغنى عن أمه، «اللسان: مادة شدن». قطوف الخطا: المتقارب الخطو البطيء، والقطوف من الدواب: البطيء، والجمع قطف «اللسان: مادة قطف».
الأغاني ١٦/١٤١، شعر سديف ٢١.

والغناء فيهما لأبي العباس الصيمري البغدادي النديم.

وكان سديف شديد العداوة لبني أُميّة.

وذكر غير أبي الفرج: إن سليمان بن هشام بن عبد الملك كان له هوى مع بني هاشم، وكان أبو العباس السفّاح لما قتل من وجد من بني أُمية أمّن سليمان وثمانين رجلاً منهم، وكان سديف يحرّضه على قتلهم، فممّا قال في ذلك [من الخفيف]:

ظهر الحق واستبان مضيّاً — إذ رأينا الخليفة الهاشميّا
قد أتتك الوفود من عبد شمس — مستكينين قد أجدّوا المطيّا
فضع السيف وارفع السوط حتى — لا ترى فوق ظهرها أمويّا[1]

وله في ذلك يخاطب أبا العباس [من الوافر]:

عَلامَ وفيمَ تترك عبدَ شمس — لها في كلِ راعيةٍ ثغاءُ
أميرَ المؤمنينَ أبح دماهُم — فإن تفعلْ فعادتُكَ المضاءُ[2]

وروى أبو الفرج: إن أبا العباس كان جالساً يوماً على سريره وبنو هاشم دونه على كراسي، وبنو أُميّة على الوسائد قد ثنيت لهم، إذ دخل عليه سديف مولاه متلثماً، وكان حين قدم من المدينة، فلما رأى بني أمية حوله حسر اللثام ثم قال [من الخفيف]:

أصبح الدين[3] ثابت الآساسِ — بالبهاليل من بني العباسِ[4]
بالصدور المقدمين قديماً — والرؤوس القماقم الرؤاسِ[5]
يا أمير المطهرين من الذم — ويا رأس منتهى كل راسِ

---

(١) الشعر والشعراء ٦٤٧، الكامل للمبرد ١١٧٨، العقد الفريد ٤/٤٨٦، شذرات الذهب ١/١٨٧، النجوم الزاهرة ١/١٣١، أعيان الشيعة ٣٤/١٧، شعر سديف ٢٩ ـ ٣٠.

(٢) تاريخ الطبري ٦/٣٢٦، شذرات الذهب ١/١٨٧، أعيان الشيعة ٣٤/٢٠، أشعار أولاد الخلفاء ٢٩٩، شعر سديف ١٧.

(٣) في هامش الأصل: «الملك».

(٤) الآساس: واحدها أس وقد يقال للواحد أساس وجمعه أسس، البهاليل: جمع بهلول وهو الضحاك ويريد به هنا السيد الجامع لكل خير.

(٥) القماقم والقمقام: أي السيد.

أنـت مـهـدي هـاشـم وهـداهـا — كـم أنـاس رجـوك بـعـد ايـاس

لا تـقـيـلـن عـبـد شـمـس عـثـاراً — واقـطـعـنْ كـل دَقـلـة وغـراسِ[1]

أنـزِلـوهـا بـحـيـث انـزلـهـا الـلّـ — ـه بـدار الـهـوان والاتـعـاسِ

خـوفـهـم أظـهـر الـتـودد مـنـهـم — وبـهـم مـنـكـم كـحـزّ الـمـواسـي

إقـصـهـم أيـهـا الـخـلـيـفـة واحـسـم — عـنـك بـالـسـيـف شـأفـة الأرجـاسِ

واذكـرن مـصـرع الـحـسـيـن وزيـد — وقـتـيـلاً بـجـانـب الـمـهـراسِ

والإمـام الـذي بـحـران أمـسـى — رهـن قـبـر فـي غـربـة وتـنـاسـي

فـلـقـد سـاءنـي وسـاء سـوائـي — قـربـهـم مـن نـمـارق وكـراسـي

نـعـم شـبـل الـهـراس مـولاك شـبـل، — لـو نـجـى مـن حـبـائـل الإفـلاسِ[2]

والظاهر إنه ارتجل الأبيات فتغيّر لون أبي العباس وأخذه الزمع، فقال بعض ولد سليمان بن عبد الملك لرجل كان إلى جنبه: قَتَلنا والله هذا العبد، ثم أقبل عليهم، فقال: يا بني المقارع والعصي إني أرى قتلى كثيراً من أهل بيتي قد سلفوا، وأنتم أحياء تتلذذون، خذوهم، فأخذتهم الخراسانية بالمقارع حتى قتلوهم شدخاً، وبسطت البسط عليهم وجيء بالطعام فأكل أهل المجلس، وإنه ليسمع أنين بعضهم من تحت البسط، وقال لسديف: لولا أنك خلطت شعرك بالمسألة لأغنمتك أموالهم، ولعقدت لك على جميع موالي بني هاشم.

وذكر بعض الرواة الواقعة والشعر لشبل بن معبد وهو أيضاً شاعر من موالي بني هاشم وكتب إلى عمّاله بالنواحي بقتل بني أميّة.

وقال غير أبي الفرج: إنه أجاز سديفاً بألف دينار ثم قال له أخوه المنصور: كأني بك يا سديف قد قدمت المدينة فقلت لعبد الله بن الحسن: يا بن رسول الله إنّما نداهن بني العباس لأجل عطائهم نقوم به أَوَدَنا، وأقسم بالله لَئِنْ فعلت لأقتلنّك، ففعل سديف ذلك، فانتهى خبره إليه، فلما ولي الخلافة ضربه حتى مات، وقيل دفنه حيّاً سنة اثنتين وثلاثين ومائة[3]، رحمه الله تعالى.

---

(١) في ديوانه: «رقلة» والرقلة: النخلة الطويلة.

(٢) الكامل للمبرد ٣/١١٧٨، طبقات ابن المعتز ٣٩، أخبار شعراء الشيعة ٧٦، ديوانه.

(٣) في هامش الأصل عبارة «ينظر في هذا»، أقول: أجمعت المصادر التي أوردت خبر سديف، إن وفاته سنة ١٤٦.

وذكر أبو الفرج: إن المنصور لما حبس عبد الله بن الحسن وقتل ولديه محمد وإبراهيم أنشد سديف قصيدة رائية مدحه بها وذكر خبر ابن عبد الله بقوله [من الكامل]:

يا سوئتا للقوم لا إذ لم يَلُو كفواً ولا كانوا من الأحرارِ

فقال: أتحضض عليَّ يا سديف، قال: بلا أؤنبهم يا أمير المؤمنين.

وقتيل المهراس: هو يحيى بن زيد[1]، وقد مرّت الإشارة إليه عند ذكر أبيه.

وقتيل حرّان: هو إبراهيم الإمام بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، أشخصه مروان بن محمد عن الحميمة إلى حران حين بلغه أن المسوّدة تدعو إليه، ثم أدخل رأسه في جراب فيه نورة وشدّه عليه حتى مات، ثم صلبه.

ورأيت في بعض المجاميع أن إبراهيم بن المهدي ركب مع أخيه الرشيد في زورق للنزهة في الدجلة، وكان الرشيد يحب منادمته لعلمه، فقال له: يا إبراهيم أي الأسماء أشرف وأسعد؟ قال: يا أمير المؤمنين اسم محمد رسول الله، ثم قال: من قال اسم هارون خليفته؟ قال: فأي الأسماء اشأم؟ قال: إبراهيم، قال: فزبرني وقال: يا جاهل أليس هو خليل الرحمن، قلت بشؤم: اسمه لقى من النمرود ما لقى حتى رماه بالمنجنيق إلى النار، لولا أن جعلها الله برداً وسلاماً، قال: ويحك فهو اسم إبراهيم بن رسول الله، قلت بشؤم: اسمه لم يعمره، قال: فهو اسم إبراهيم الإمام، قلت: بشؤمه حبسه مروان ثم غمّه في جراب النورة، وأزيدك يا أمير المؤمنين، إبراهيم بن الأشتر قُتل، وإبراهيم بن عبد الله بن الحسن قُتل، قال إبراهيم: فبينا أنا في حديثه إذ صاح ينادي آخر: يا إبراهيم عُدْ ويلك، ثم نادهِ يا إبراهيم، يا عاض بظر أمه، ويلك مُدْ، فالتفتُّ إلى الرشيد فقلت: بقي لك شيء بعد هذا، والله ما في الدنيا اسم أشأم منه، والسلام، فضحك الرشيد حتى استلقى، وأمر لي بمائة ألف درهم.

قلت: ما في شؤم إبراهيم بن المهدي شك، فإنه حُرِم الخلافة، وأُهين وكان ناصبياً، ولقد تتبعت أنا من اسمه إبراهيم فما وجدته نال سعادة دنيوية ولا

---

(١) الأغاني ١٦/١٤٣، أعيان الشيعة ٣٤/٢٤، شعر سديف ٢١.

(٢) في هامش الأصل: «وقيل: حمزة بن عبد المطلب».

ملكاً قاهراً، فإبراهيم المتقي لله سملت عينه، وإبراهيم الغزي الشاعر مات غريباً، وإبراهيم اليافعي، وإبراهيم الهندي الشاعران اليمنيان ماتا فقيرين عليلين، وغير هؤلاء ممن يطول تعدادهم. وخواصّ الحروف من الأسرار، وهذا الصابي مع فضله امتحن بعضد الدولة المحنة المشهورة.

وقال الأصفهاني: إن سديفاً كان حاضر الجواب، سلّم مرة على رجل من بني عبد الدار فقال له: من أنت؟ قال: أنا رجل من قومك، أنا سديف بن ميمون. قال العبدري: يا هذا ما في قومي سديف ولا ميمون، قال: صدقت والله، ما كان فيهم قط ميمون ولا مُبارك[1].

قلت: هذا من القول الموجب.

وسُدَيف، بضم السين وفتح الدال المهملتين وإسكان الياء المثناة من تحت، ثم فاء وهو تصغير ترخيم سدفه، فإن كان أسود فمنقول، وإلاّ فمرتجل، والله أعلم.

[٨١]

أبو الحسن، السري بن أحمد بن السري الرفاء الموصلي، الشاعر المشهور[*].

أحد الشعراء المجيدين المشاهير، فاضل إذا تصرّف في القريض فلا يزن إلا الدنانير، وإذا انضد القوافي لم تبتسم إلاّ الأزاهير، يتصرّف بالمعاني تصرّف النسيم بالأغصان، ويأتي من بحر الفكرة باللؤلؤ والمرجان، وإنما عرف بالرفّاء

---

(١) الأغاني ١٤٣/٦.

(*) ترجمته في:

يتيمة الدهر ١١٧/٢ ـ ١٨٢، وفيات الأعيان ٣٥٩/٢ ـ ٣٦٢، معجم الأدباء ١٨٢/١١ ـ ١٨٩، معاهد التنصيص ٢٨٠/٣، تاريخ بغداد ١٩٤/٩، النجوم الزاهرة ٦٧/٤، كشف الظنون ١٦١١، شذرات الذهب ٧٣/٣، الكنى والألقاب ٢/ ٢٥٣، الفهرست لابن النديم ٢٤٧، روضات الجنات ٣٠٧، أنوار الربيع ٢٧٣/١، أعيان الشيعة ٣٤/٣٥ ـ ١٣٦، الاعلام ط ٨١/٣/٤، أدب الطف ٣٦/٢ ـ ٣٩، ٣/ ٢٨٤ ـ ٢٩٢، الطليعة ـ خ ـ ترجمته رقم ١٠٦، له ديوان شعر بتحقيق ودراسة د. حبيب حسين الحسني طبع ببغداد وبيروت ١٩٨١.

لأنه كان في بداية أمره يرفو أو يعالج الخياطة ويطرف بالموصل، وتعلق بالأدب فملّكه العنان، فما زال حتى فني به الخالديان.

وقال في وصف عيشه بالأبرة أو حال حاله [من السريع]:

وَكَانَتِ الإبرةُ فيما مَضَى صَائِنَةً وَجْهِي وأَشْعَارِي
فَأَصْبَحَ الرِّزْقُ بِها ضَيِّقاً كَأَنَّهُ مِن ثَقْبِها جَارِي[1]

ثم امتدح الأمير سيف الدولة واختص به وأثرى بجوده، ونال الرغائب، وكان يستجيد شعره ويعرف قدره.

وذكره الثعالبي في يتيمة الدهر وأثنى عليه وحلّى بشعره جيد تلك اليتيمة، وكم باتت به وكأنّما على خدّها من المسك لطيمة، وأورد من مطرب شعره [من الطويل]:

أقولُ لِحَنَّانِ العَشيِّ المُغَرِّدِ يَهُزُّ صَفيحَ البارِقِ المُتَوقِّدِ
تَبسَّم عنْ رِيِّ البِلادِ حَبيُّه ولمْ يَبْتَسِمْ إلاّ لإنجازِ مَوعِدِ[2]
ويا دَيْرَها الشَّرقيَّ لا زال رائِحٌ يَحُلُّ عُقودَ المُزْنِ فيكَ ويَغْتَدِي
تُحيّيه أنفاس الشّمالِ كأنَّما يُعَلُّ بِمَاءِ المِسْكِ عَنبرها النَّدِي
يهيج حنين الورق في شَجَراتِها نَسيمَ متى يَنْظُرْ إلى الماءِ يَبْرِدِ[3]

وكان السري زيدياً، وله قصائد في أهل البيت رضي الله عنهم ومراثي في الحسين عليه السلام، واعترضه ابن حجّة في قصيدة رثى بها الحسين عليه السلام استفتحها بقوله:

نطوي الليالي علماً أن ستطوينا فشعشعيها بماء المزن واسْقِينا

فقال: إنه لم يراع المناسبة حيث استقى المدام، والمقام مقام حزن.

قلت: قد أشعر بذكر طيّ الليالي، وجرت عادة العرب بعدم ملاحظة ما ذكره المتأخرون إلاّ القليل كأبي ذؤيب الهذلي[4] في مرثيته لبنيه:

---

(١) يتيمة الدهر ٢/ ٢٨٩، معجم الأدباء ١١/ ١٨٣ ـ ١٨٤، معاهد التنصيص ٤٧٧، كاملة في ديوانه ٢/ ٢٨٩.

(٢) الحبي: السحاب الذي يعترض اعتراض الجبل قبل أن يطبق السماء.

(٣) يتيمة الدهر ٢/ ١٢٠، معاهد التنصيص ٤٧٨، ديوانه ٢/ ١٣٧ ـ ١٣٩.

(٤) هو أبو ذؤيب خويلد بن خالد بن محرث الهذلي. شاعر مخضرم هلك له خمسة أولاد في الطاعون فأكثر من رثائهم.

أَلِلدهر تبكي أم على الدهر تجزعُ   وما صاحب الأيّام إلاّ مفجّعُ

وذكر أن خالد بن الوليد طرق السماوة في جيش الفتح فصبّح حياً من تغلب، فوجد رجل من أصحابه فتى منهم بين يديه خابية نبيذ وهو يشرب منها ويقول:

ألا علّلاني قبل جيش أبي بكرِ   لعلَّ منايانا قريبٌ وما ندري

فضرب رأسه فوقع الرأس في الخابية.

وقال الحماسي[1]:

ألا عَلِّلاني قَبْلَ نَوْحِ النَّوائِحِ   وقَبْلَ حضور النَّفْسِ بَينَ الجَوانِحِ[2]
وقَبْلَ غَدٍ يا لَهْفَ نَفْسي على غَدٍ   إذا راحَ أصحابي ولستُ بِرائِحِ[3]

وبكاء النفس أشد من بكاء غيرها.

وقال أبو الحسن علي بن الناصر الأطروش الآتي ذكره يرثي الداعي محمد ابن زيد:

نأت دار ليلى بسكّانها   وأوحش معهد جيرانها

فبهذا تبطل حجّة أبي بكر.

ومن شعر السري الرفاء [من الوافر]:

بَلانِي الحُبُّ منك بِما بَلانِي   فَشأْنِي أَنْ يَفِيضَ غُروبُ شَانِي[4]
أَبيتُ اللّيْلَ مرتقباً أُناجِي   بِصِدْقِ الودّ كاذِبَةَ الأماني

= خرج مع عبد الله بن الزبير في مغزى نحو المغرب فمات، وقيل مات في خلافة عثمان بطريق مكة، فدفنه ابن الزبير.

ترجمته في: أسد الغابة ١٨٨/٥، والشعر والشعراء/٥٤٧، والأغاني ٢٧٩/٦ ـ ٢٩٣، وديوان الهذليين تحقيق لايل/٨٤٩، أنوار الربيع ١/هـ ٢٥٢.

(١) وهو أبو الطمحان القيْنيّ.

(٢) التعليل: تطيّب النفس بذكر ما تحب، والجوانح: ضلوع الصدر، وارتقاء النفس: بلوغها التراقي.

(٣) الحماسة لأبي تمام ٣٨٠ ـ ٣٨١.

(٤) بلاني: اختبرني، بلاني الثانية: من البليّة والكارثة. غروب شاني: أصله شأن وهو موصل قبائل الرأس وملتقاها وتجيء منه الدموع، والغروب: الحدود.

فَـتَـشْـهَـدُ لِـي عـلـى الأفـقِ الـثُّـرَيَّـا ... ويَـعْـلَـمُ مـا أجِـنُّ الـفَـرْقَـدَانِ
إذا دَنَـتِ الـخِـيـامُ بِـهِـمْ فـأَهـلاً ... بِـذَاكَ الـخِـيْـمِ والـخِـيَـمِ الـدَّوانِـي[1]
فـتـحـت سُـجُـوفِـهـا أَقْـمـارُ تِـمٍّ ... وبَـيْـنَ عِـمَـادِهـا أَغْـصَـانُ بَـانِ
سَـقَـانـا الـلَّـهُ مِـنْ ريَّـاكِ رِيّـاً ... وحَـيَّـانـا بـأَوْجُـهِـكِ الـحِـسَـانِ
سَـتَـصْـرِفُ طَـاعَـتِـي عَـمَّـنْ نَـهَـانـي ... دُمـوعٌ فـيـكِ تَـلْـحَـقُ مَـنْ لَـحَـانِـي
ولَـمْ أَجـهَـلْ نَـصِـيـحَـتَـه ولـكِـنْ ... جُـنُـونُ الـحُـبِّ أَحـلَـى فـي جَـنانِـي[2]

ومن شعره، وذكره الثعالبي أنه يتغنّى به [من البسيط]:

قَسَمْتُ قَلبيَ بَيْنَ الهَمِّ والكَمَدِ ... وَمُقْلَتِي بَيْنَ فَيْضِ الدَّمْعِ والسُّهُدِ
ورُحْتُ في الحُسْنِ أشكالاً مُقسَّمةً ... بيْنَ الهِلالِ وبَيْنَ الغُصْنِ والغِيَدِ
أَرَيْتَنِي مَطَراً يَنْهَلُّ سَاكِنُهُ ... بين العيون وَبَرْقاً لاَحَ مِنْ بَرَدِ
وَوَجنةً لا يُروِّي ماؤُهَا ظَمَئِي ... بُخْلاً وقدْ لَذَعَتْ نِيرانُها كَبِدِي
فَكَيْفَ أُبقِي على مَاءِ الشُّؤونِ وما ... أَبْقَى الغَرامُ على صَبْرِي ولا جَلَدي؟[3]

لحقيق هذا الجوهر بالتغنّي.

وله من قصيدة كسلاسل العسجد [من الكامل]:

أَسلاسِلَ البَرْقِ الّذِي لَحَظَ الثّرى ... وَهْناً فَرَشَّحَ رَوْضَه بِسُلاسِلِ[4]
أَذكَرْتِنا النَّشَوَاتِ في ظِلِّ الصِّبا ... والعَيْشَ في سِنَةِ الزَّمانِ الغَافِلِ
أيّامَ اسْتُرُ صَبوتِي مِنْ كاشِحٍ ... عَمْداً وأسْرِقُ لذَّتِي مِنْ عَاذِلِ[5]

وله من قصيدة يتشوّق فيها الموصل، وهو بحلب [من الكامل]:

أَمَحلَّ صَبْوَتِنا دُعاءَ مَشُوقِ ... يَرتاحُ مِنكِ إلى الهَوَى المَوْمُوقِ
هلْ أطرُقَنَّ العُمرَ بينَ عِصَابَةٍ[6] ... سَلَكُوا إلى اللَّذاتِ كُلَّ طَرِيقِ؟

---

(١) دنت الخيام به فأهلاً: الخيم بكسر أوله وتسكين ثانيه: الخلق.
(٢) يتيمة الدهر ٢/١٥٩، معجم الأدباء ١١/١٨٦ ـ ١٨٧، مرآة الزمان/ حوادث سنة ٣٦٢، شرح المقامات ١/٢٧٧، كاملة في ديوانه ٢/٧١١ ـ ٧١٢.
(٣) يتيمة الدهر ٢/١٥٨، من غاب عنه المطرب ٧٧، كاملة في ديوانه ٢/١٢١.
(٤) السلاسل: الماء العذب السلسل.
(٥) يتيمة الدهر ٢/١٢١، ١٦٠، ١٦١، كاملة في ديوانه ٢/٥٣١ ـ ٥٣٤.
(٦) العمر: اسم مكان في الموصل وهو أحد نواحيها وربما كان فيه دير بإسمه.

أمْ هلْ أرَى القَصْرَ المُنيفَ مُعَمَّماً ... بِرِداءِ غَيْمٍ كالرِّداءِ رَقِيقِ؟
وعَلالِيَ الدَّيرِ الّتِي لولا الهَوَى ... لَمْ أرْمِها بعَلايلٍ وعُقُوقِ
مُحمرَّةَ الجُدْرانِ يَنْفَحُ طِيبُها ... فكأنَّها مَبنِيَّةٌ بِخَلُوقِ
ومَحَلَّ خَاشِعَةِ القُلُوبِ تَفرَّقُوا ... بالذِّكْرِ بَيْنَ فَرُوقَةٍ وفَرُوقِ[1]
أغشاهُ بَيْنَ مُنَافِقٍ مُتَجَمِّلٍ ... ومُنَاضِلٍ عَنْ دِينِهِ زِنْدِيقِ
وأغنَّ تَحْسِبُ خدّهُ إبريقَهُ ... ما دامَ يَسْفَحُ عَبْرَةَ الإبْرِيقِ
يَتَنَازَعُونَ على الرَّحِيقِ غَرائِباً ... يَحْسِبْنَ زَاهِرَهُ كؤُوسَ رَحِيقِ
صَدَرتْ عَنِ الأفكارِ وهيَ كأنَّها ... رَقْرَاقُ صَادِرَةٌ عَنِ الأبَارِيقِ
دَهْرٌ تَرَفَّقَ بي فوافى صَرْفُه ... وَسَطا عَليّ فكانَ غَيْرَ رَفِيقِ
فَمَتَى أزورُ قِبابَ مُشْرِفَةِ الذُّرَا ... فأَرودُ بَيْنَ النَّسْرِ والعَيُّوقِ[2]
وَأَرَى الصَّوامِعَ في غَوارِبِ أكْمِها ... مِثْلَ الهَوادِجِ في غَوارِبِ نُوقِ[3]

قال الثعالبي: ما وافيت نيسابور قافلاً من سفر فرأيت الصوامع إلاّ تذكرت هذا البيت واستأنفت التعجّب من حسن هذا التشبيه وبراعته وفصاحته.

وله أيضاً كان بعض الأصدقاء يستحسنها [من الوافر]:

ألَا عُدْ لِي بِباطِيَةٍ وكاسِ ... وَرُعْ هَمِّي بإبرِيقٍ وَطَاسِ
وعلِّلني بِشِعْرِ أَبي نُوَاسِ ... على رَوْضٍ كَشِعْرِ أبي فِرَاسِ
وَغَيْمٍ مُرْسِلات البَرْقِ فِيهِ ... عَوارٍ والرِّياضُ بِهِ كَوَاسِي
وَلاحَ لَنَا الهِلَالُ كَشَطْرِ طَرْقٍ ... على لَبَّاتِ زَرْقَاءِ اللِّبَاسِ
وَقَدْ سَلَّتْ جُيوشُ الفِطْرِ فِيهِ ... على شَهْرِ الصِّيامِ سُيُوفَ باسِ[4]

وله فيما يتعلّق بتشبيه هلال الفطر [من المنسرح]:

جاءَكَ شَهْرُ السُّرورِ شَوَّالُ ... واغتالَ شَهْرَ الصِّيام مُغْتَالُ
أَمَا رأيتَ الهِلالَ يرمقه ... قَوْمٌ لَهُمْ إنْ رَأَوْهُ إهلالُ؟

---

(١) فروقه وفروق: شديد الفزع.
(٢) النسر والعيوق: نجمان، مشرفة الذرا: عالية الذوائب.
(٣) يتيمة الدهر ٢/ ١٦١، كاملة في ديوانه ٢/ ٤٧٣ ـ ٤٧٤.
(٤) يتيمة الدهر ٢/ ١٧٨، كاملة في ديوانه ٢/ ٣٢٧.

كــأنّــهُ قَــيْــدُ فِــضَّــةٍ حَــرِجٌ   فُضَّ عنِ الصَّائِمِينَ فاخْتَالُوا[1]

وإذا تأمّلت ما شبّه المتأخرون به الهلال وجدت السابقين قد فرغوا منه إلاّ الينبعي المذكور في الهمزة[2]، فإنه سبق إلى وصال تلك البكر المشّاطة فرعها بالهلال كل عاشق.

وله في قوّاد اسمه إدريس [من المنسرح]:

مَــنْ ذَمَّ إدريــسَ فــي قِــيــادَتِــهِ   فــإنَّــنِــي حــامِــدٌ لإدرِيــسِ
كَــلَّــمَ لــي عــاصِــيــاً فَــكَــانَ لَــهُ   أَطْــوَعَ مِــنْ آدَمَ لإبْــلِــيــسِ
وَكَــانَ فِــي سُــرْعَــةِ الــمَــجِــيءِ بِــهِ   آصَـفَ في حَمْلِ عَرْشِ بَلْقِيسِ[3]

وذكره ابن خلكان فقال: كان شاعراً مطبوعاً، عذب الألفاظ، مليح السبك، كثير الافتنان في ضروب الشعر، قد عمل شعره قبل وفاته نحو ثلثمائة ورقة، ثم زاد بعد ذلك، ثم عمله بعض المحدثين الأدباء على حروف المعجم[4].

ومن محاسن شعره في المديح [من الكامل]:

يَلْقَى النَّدَى بِرقيقِ وَجْهٍ مُسْفِرٍ   فإذا الْتَقَى الجَمْعَانِ عادَ صَفِيقا
رَحْبُ المنازل ما أقامَ فإنْ سَرَى   في جَحْفَلٍ تَرَكَ الفَضَاءَ مَضِيقا[5]

قلت: لعمري، لقد أحسن وأجاد.

وأورد له الثعالبي في كتاب «المنتحل»، هذين البيتين [من الكامل]:

أَلْبستَنِي نِعَماً رَأَيْتُ بِها الدُّجَا   صُبْحاً وكُنْتُ أرى الصَّباحَ بهِيما
فَغَدَوْتُ يَحْمُدُنِي الصَّديقُ وقَبْلَها   قدْ كانَ يَلْقانِي العَدُوُّ رَحِيما[6]

---

(١) يتيمة الدهر ٢/ ١٧٨، من غاب عنه المطرب ٥٧، أسرار البلاغة ٣٣٠، كاملة في ديوانه ٢/ ٥٨٤.
(٢) ترجمه المؤلف برقم ٦.
(٣) ثمار القلوب ٢٤٥، ديوان المعاني ٢/ ٢٤٦، ديوانه ٢/ ٣٢٩.
(٤) وفيات الأعيان ٢/ ٣٦٠.
(٥) يتيمة الدهر ٢/ ١٢١، ١٣٥، ١٦٢، ١٦٥، شذرات الذهب ٣/ ٧٤، النجوم الزاهرة ٤/ ٦٧، وفيات الأعيان ١/ ٢٥٢، كاملة في ديوانه ٢/ ٤٨١ ـ ٤٨٣.
(٦) يتيمة الدهر ٢/ ١٢١، المنتحل، شذرات الذهب ٣/ ٧٤، كاملة في ديوانه ٢/ ٦٢٨ ـ ٦٣٠.

وهما كالأول في الجودة.

ومن غرره في التشبيب [من الوافر]:

بِنَفْسِي مَنْ أَجُودُ لهُ بِنَفْسِي ... وَيَبْخَلُ بالتَّحِيَّةِ والسَّلام
وحَتْفِي كامِنٌ في مُقْلَتَيْهِ ... كُمونَ المَوْتِ في حَدّ الحُسَامِ[1]

وصنّف كتاب «المحب والمحبوب»، وكتاب «المشموم والمشروب»، وكتاب «الدرّة».

وكان بينه وبين أبي بكر وأبي عثمان سعيد إبني هاشم الأخوين الخالديين الشاعرين المشهورين منافسة، وكان يدّعي عليهما سرقة شعره، ووردا بغداذ وهو بها في حضرة الوزير المهلبي فعمل فيهما من قصيدة طويلة [من الكامل]:

بَكَرَتْ عليكَ مُغِيرةُ الأَعْرَابِ ... فاحِفَظْ ثِيَابَكَ يا أبا الخَطَّابِ
وَرَدَ العراقَ ربيعةُ بنُ مُكَدَّمٍ ... وعُتَيبَةُ بنُ الحارِث بنِ شِهَابِ
أفعندَنَا شكٌّ بأنهما هُماً ... في السَرْقِ لا فِي صِحَّةِ الأنسابِ؟[2]

وهي طويلة أجاد فيها، وقد ذكرها صاحب اليتيمة، وعندي إنهم طبقة واحدة في جودة الشعر، وكان لا يبرح يذكرهما في شعره على سبيل الاستطراد كقوله [من الطويل]:

لَنا رَوْضَةٌ في الدَّارِ ضِيْعَ لِزهْرِها ... قَلائِدُ مِنْ حبك النَّدَى وشُنُوفُ
يَطوفُ بِها منا إذا ما تبسمت ... نَسيمٌ كعَقْلِ الخَالِديِّ ضَعِيفُ
ونُدْمان صِدْقٍ نَشْرُهُ ونِظَامُه ... رَبيعٌ إذا فَاوَضْتَهُ وَخَرِيفُ
وقدْ رَقَّ ثَوْبُ الغَيْمِ حتَّى كأَنَّما ... تُنشَّرُ دُونَ الأُفقِ مِنْهُ شُفُوفُ[3]

وتوفي سنة اثنتين وستين وثلثمائة ببغداد، رحمه الله تعالى، وقال ابن الأثير: سنة ستين وثلثمائة.

---

(١) يتيمة الدهر ٢/ ١٣٧، خاص الخاص ١٢١، شذرات الذهب ٣/ ٧٤، النجوم الزاهرة ٤/ ٦٧، وفيات الأعيان ١/ ٢٥٢، ديوانه ٢/ ٦٨٦.

(٢) يتيمة الدهر ٢/ ١٤٥ ـ ١٤٦، معاهد التنصيص ٤٩٩ ـ ٥٠٠، كاملة في ديوانه ١/ ٤١٠ ـ ٤١٨.

(٣) يتيمة الدهر ٢/ ١٧٧ ـ ١٧٩، معاهد التنصيص ١٧٤ وقد نسبهما خطأً لأبي الفرج الببغاء، كاملة في ديوان السري ٢/ ٤١٤.

والموصل، بفتح الميم وإسكان الواو وكسر الصاد المهملة وبعدها لام: مدينة مشهورة، وهي كرسي مملكة الجزيرة الفراتية.

[٨٢]

الفقيه أبو محمد، سعيد بن محمد السمحي الصنعاني الشاعر المشهور(*).

أحد العصريين المحسنين، فاضل أحيى ذكرى حبيب ومعجز أحمد، وحسدت قلائد فكرته الكواكب فحققنا أنه المتنبي وشعره محتد، أشبه شعره وحاشاه من السقم العيون، ولم تكن له حواجب عن جوب سهل البلاد والحزون، لانت له صعاب القوافي كما يريد، ودنا له عقد الجوزا فتصرّف فيه لأنه سعيد، ونشا بصنعا وأتقن الأدب وأجاد نظم الشعر، وشعره قويّ المباني، يذهب فيه مذهب أبي تمّام، ويتشبّه به وانفرد من بين شعراء الزمان بمعرفة اللغة فاستعملها في شعره كعادة الفصحاء وسبكها في قالب حسن كابن نباتة السعدي، وسبط ابن التعاويذي، وأبي الحسين الحيص بيص، وابن الرومي وجميع العراقيين وقبلهم الطائيين حبيب والوليد، وشعراء المغاربة كابن هانيء وابن خفاجة وابن الحداد وابن زيدون وابن بقّي، بل لا ينبغي للشاعر الفصيح استعمال المبتذل إلاّ مضطراً في المقاطيع مع قصد البديع، ولا يعبأ بعدم فهم العامّة معانيها، فإنه ينبغي سترها عمّن لم يبحث في أصول الأدب.

وكتب كثيراً من نسخ ديوان أبي تمّام، وله ديوان شعر، قال لي: إنه ذهب منه هذه الأيام مع ثياب سرقت معه أيضاً، وقد أوقفني عليه ولم يقدر لي أن أنقل منه إلاّ ما ذكر الآن، وله مع هذا الأدب نسك وصلاح، ومن شعره بسبب ظاهر:

لقد حرم الشعر الحلال إمامنا ... ولكنه ما حرّم الجود والبرّا
هو الشمس إشراقاً علينا وبهجة ... فغير عجيب أن يطمس الشعرا

(*) ترجمته في:

ذوب الذهب، ملحق البدر الطالع ٨٢، نشر العرف ١/ ٧٣٧ ـ ٧٤٢ وفيه عن طيب السمر إن إسمه «سعيد بن صالح السمحي» وقال إن هذا هو الأصح.

وأنشدني الأديب شعبان سليم[1] للسمحي:

ومخضوب البنان، كحيل طرف   لوى أسّ العذار على شقيقِ
كأن بنانه قضبان درّ   وقد خضبت بمحمرّ العقيقِ

وأنشدني أيضاً له:

لقد غلى الصابون في دهرنا   على سَوادَي ناظري والفؤادْ
فحق للعالم أن يلبسوا   عند المسرّات لباس الحدادْ
رزيّة في الناس من أجلها   سنّ بنو العباس لبس السوادْ

واستجادها شعبان.

وله وقد ركب الحسن بن المتوكل بحر اللحية مجتازاً إلى جدّة:

قد أوحش اليمن الخصيب وما بقى   في عيشه أنس ولا سلوانُ
ولقد شجتنا غربة الحسن الذي   طارت به وبأهله الغربانُ

أحد معنيي الغربان جمع غراب وهو السفينة الصغيرة التي هي الخرافة، وقد علمت أنه مدحه وإنما قصد التورية، وله فيه رقّة:

الله في مهجة ذابت عليك أسىً   ومغرم شقّه التبريح والوصبُ
فلا قربت فشمل الوصل يجمعنا   ولا بعدت فتسعى بيننا الكتبُ[2]

وله من قصيدة:

فيا أيها الركب المجدّون عرسوا   بها ريثما يرتاح بالغمض نائمُ
ولا تجهدوا العيس المراسيل بالسرى   وقد أخذت منها الفلا والمخازمُ
وإنّا وإن كنّا مقيمين إنها   تسير بنا الدنيا ونحن نوائمُ
وما الكدّ يغني في نصيب زيادة   ولا ينقص التسليم ما الله قاسمُ

نوائم: جمع نائم، خلافاً لبعض النحاة فإنه يخصّه بالمؤنث.

قال متمّم بن نويرة يخاطب خالد بن الوليد لما قتل أخاه مالكاً بسبب امرأته الحسناء على ما قيل:

---

(١) ترجمه المؤلف برقم ٨٥.

(٢) نشر العرف ١/٧٣٨.

فأصبحت ذا أهل وأصبح مالك ... على غير شيء هالكاً في الهوالك[1]

ذكرت بخالد قولي في تضمين بيت المتنبي لأن خالداً كان شجاعاً:

أقول لمن بابن الوليد تشبّه ... جلاداً فما ينفك حيناً يجالدُ
نهبت من الأعمار ما لو حويته ... لهنئت الدنيا بأنك خالدُ

وللسمحي من قصيدة:

وإني لأهوى صوت ديباجة الحيا ... وأرغب في هجر القريض وأطمعُ
وألبس من درع القناعة سابغاً ... برد سهام الغيض[2] عني ويدفعُ
وكم أتحسى الثمد من كل محسن ... وحوض المنى منه لمثلي مترع
ولكنني والحمد لله لم أجد ... لمثلي رزقا غير ما كنت أصنعُ
قريض كما الدر النضيد أصوغه ... وكالروض بالعذب النمير يُوَسَّعُ
يطاوعني هذا القريض صناعة ... وأكثر من وافى به يتصنّعُ[3]

وله من قصيدة في مدح أمير المؤمنين أبي الحسن علي بن أبي طالب عليه السلام:

لو كنت من أسر الهوى بمكاني ... لرحمت كل متيمٍ ولهانِ
وعلمت أن لا خود إلا ما قضت ... في العاشقين محاجرُ الغزلانِ
تفتير لحظ مثل ضرب مهنّد ... ومراح قدّ مثل طعنِ سنانِ
فاشدد يديك على فؤادك واسترح ... مما يقاسي المستهام العاني
انحت على جسدي بلابل صبوة ... تركت جسيم مفاصلي كبناني
لا تحسبنَّ نحول جسمي خلقة ... قد كنت ذا روح وذا جثمانِ
إن الثلاثين التي ناهزتها ... قد شيّبت فَوْدَيّ قبل أوانِ
أعوام سنّي في الشبيبة والصبا ... وبياض ناصيتي من الشيبانِ
فكأنّما ذهب الشباب مغاضباً ... إذ لم تمل بنسيمه عيدانِ
ما حال من عبث الفراق بقلبه ... ونأى به من ساحة الأوطانِ

---

(١) في هامش ب: «وقد استثنى النحاة الهوالك ونحوه من قاعدة الجمع».

(٢) في هامش الأصل: «الضيم»، وفي هامش ب: الغيض بالعناد أي النقص، ومنه قوله تعالى: «وغيض الماء».

(٣) نشر العرف ١/٧٤٢.

لا أهل دار إقامتي أهلي ولا … جيران عاري رحلتي جيرانِ
هل تسمح الدنيا تدير يدي على … خصر وتجعلها وشاحاً ثاني
لو شاء من كنز الغنى بيمينه … لظفرت من شمس الضحى بقرانِ
وأغنّ ساجي المقلتين مهفهف … مهما انثنى أزرى بغصن البانِ
فبثغره نور الإقاح مفلّجاً … وبوجنتيه شقائق النعمانِ
أهون ببيض الهند عند لحاظه … وبما تضمّ عوالي المرانِ
لا سيف إلاّ ذو الفقار ولا فتى … إلاّ علي قاتل الأقرانِ
شلال أشلاء الفوارس بالقنا … ومبيد جمع الكفر والطغيانِ
من أفرح الدين الحنيف بظلّه … وعلى يديه عز بالطيرانِ
المرتضى صنو النبي المصطفى … وحسامه الماضي على الحدثانِ
فاروق ما بين الضلالة والهدى … ومبين كل مؤيد البرهانِ
إذ ليس من أخذ اسمه وَزَها به … بين البرايا قاريء القرآنِ
ومدينة العلم الذي هو بابها … تمتار منه حقائق الإيمانِ
من يقتبس نور الشريعة والهدى … منه فقد أوفى على رضوانِ
ولمن تعامى عنه آخر صفقة … وأقلّ ربحاً من أبي عيشانِ
البايع البيت الحرام بتافه … من خمر عانة كان عنه عاني
الله ألبسه الخلافة راكعاً … وكساه منها سابغ الأردانِ[1]

وهي طويلة، عدّد فيها مناقب الإمام عليه السلام.



وأبو عيشان: المشار إليه رجل من خزاعة، كان يلي مفاتيح البيت الحرام، فشرب يوماً مع قصي بن كلاب، فلما سكر باع مفاتيح البيت من قصي بزقّ خمر، فطار قصي بها من الطائف إلى مكة وجمع قريشاً وقال: يا بني لؤي هذه مفاتيح بيت أبيكم إسماعيل قد ردّها الله عليكم بلا ظلم ولا عدوان. فلما أفاق أبو عيشان ندم، فقالت العرب: «أخسر صفقة من أبي عيشان».

قال الشاعر:

(١) بعضها في نشر العرف ١/٧٤٢.

أبـو عـيـشـان أظـلـم مـن قـصـي ... وأخـسـر مـن بَـنـي فـهـر خـزاعـه
فـلا تـلـمـوا قـصـيّـاً فـي شـراه ... ولـومـوا شـيـخـكـم إذ كـان بـاعـه

وخمر عانة: يضرب به المثل، وهي مدينة بالديار البكرية.

وذكر الزمخشري في ربيع الأبرار: إن شخصاً أهدى لشخص خمراً رديئة وقال هي من خمر عانة، فقال: بل تحت عانة بأربع أصابع.

والسِّمحي، بكسر السين المهملة، وإسكان الميم وكسر الحاء المهملة ثم ياء: النسبة إلى سِمح وهي ناحية من عمل أُنس[1].

---

(١) في هامش ب: «وفاته بصنعاء سنة أثنتين وعشرين ومائة وألف».

حرفُ الشّيـن

[٨٣]

أبو الغَرِيض، شعبة بن الغَرِيض بن عاديا الهاروني الأصل، الحجازي(*).

وكان تابعياً، ورأى أمير المؤمنين علياً عليه السلام ومن كان في ذلك العصر من الصحابة رضي الله عنهم، وكان شاعراً مجيداً وشهد مشاهد علي عليه السلام صفين والجمل والنهروان، وهو أحد شعراء الأغاني.

قال أبو الفرج الأصبهاني: إن بني عاديا أهل الأبلق الفرد من ولد الكاهن ابن هارون عليه السلام وسبب خروجهم من الشام، إن موسى عليه السلام وجّه جيشاً إلى العماليق، وكانوا قد طغوا وأمرهم بقتلهم أجمعين أين ظفروا بهم فقتلوهم أجمعين إلاّ ملكهم فإنه كان غلاماً جميلاً فرحموه واستبقوه وقدموا الشام بعد وفاة موسى عليه السلام فقال لهم إسرائيل: أنتم عصاة بما فعلتم ولا تدخلون الشام علينا أبداً، فقالوا: ما لنا إلاّ الموضع الذي قتلنا أهله فرجعوا إلى يثرب فأقاموا بها قبل ورود الأوس والخزرج من اليمن عند وقوع سيل العرم، فمن هؤلاء اليهود بنو قريظة وبنو النضير وبنو قينقاع وغيرهم[1].

(*) ترجمته في:
الأغاني ٢٢/١٢٧ ـ ١٣٠ وفيه اسمه: «سعية بن عريض» وترجمة أبيه في الأغاني أيضاً ٣/ ١١٠ ـ ١١٢.

(١) الأغاني ٣/ ١١٠.

والسموأل بن عاديا الشاعر صاحب الأبلق أخو شعبة المذكور، وكان شعبة من الشيعة الأُول، ومن شعره الجيّد البديع:

لُبابُ يا أختَ بَنِي مالكٍ ... لا تشتري العاجلَ بالآجلِ
لباب هل عندك من نائلٍ ... لعاشق ذي حاجة سائلِ
لُبابُ داوِيني ولا تَقْتُلي ... قد فُضِّل الشافي على القاتلِ
علّلته منك بما لم ينل ... يا ربّما علّلت بالباطلِ
إن تسألي بي فاسألي خابراً ... والعِلْم قد يكفي لدى السائلِ[1]
يُنْبيكِ من كان بنا عالماً ... عنَّا وما العالِمُ كالجاهلِ
أَنَّا إذا حارت دواعِي الهوى ... وأنصتَ السامع للقائلِ
واعتلج القومُ بألبابهم ... في المنطق الفاصل والنائلِ[2]
لا نجعلُ الباطلَ حقّاً ولا ... نَلُطُّ دون الحق بالباطلِ[3]
نخاف أن تَسفَهَ أحلامُنا ... فَنُخْمل الدهرَ مع الخاملِ[4]

تالله ما كتبت قبل هذه الأبيات في مكارم الأخلاق وحلاوة الغزل مثلها.

وقال أبو الفرج: وكان لشعبة قوم يألفونه وينادمونه، فأغار عليه بعض ملوك اليمن بالشام فانتَسَفَ[5] ماله فافتقر فتفرقوا عنه، فلما أخصب تراجعت حاله عاودوه، فقال:

أرى الخُلَّان لما قلّ مالي ... وأجحفَتِ النوائبُ وَدّعوني
وكان القوم خُلّانا لمالي ... وإخواناً لما خُوِّلْتُ دوني
فلما مَرّ ما لي باعدوني ... ولما عاد ما لي عاودوني[6]

---

(١) خابراً: خبيراً مجرباً.

(٢) اعتلج القوم: اقتتلوا واصطرعوا.

(٣) نلط: نتمسك. من لظ بالشيء: لزمه.

(٤) الأغاني ٢٢/١٢٨.

(٥) انتسف ماله: من فرّق ماله وأذراه.

(٦) الأغاني ٢٢/١٣٠.

وما أحسن ودّعوني وعاودوني، وفي الأبيات الأولى الفاضل والفاضل.

وأسند أبو الفرج في الأغاني: أن معاوية حجَّ فرأى شخصاً يصلي في المسجد الحرام، فقال: من هذا؟ فقالوا: شعبة بن غريض، فأرسل إليه يدعوه فأتاه رسوله فقال: أجب أمير المؤمنين، فقال: أو ليس قد مات أمير المؤمنين؟ يعني علياً عليه السلام، قالوا: أجب معاوية، فأتاه فلم يسلّم بالخلافة، فقال له معاوية: ما فعلت ضيعتك التي بتيماء؟ فقال: نكسي منها العاري، ويرد فضلها على الجار، فقال: إنشد لي شعر أبيك يرثي نفسه فأنشده:

يا ليت شعري حين يذكر صالحي	ماذ تؤنبني به أنواحي
أَيَقُلنَ لا تبعد فربَّ كريهة	فرّجتها ببسالة وسماحِ
وإذا دُعيت لصعبة سهلتها	تدعى بأفلح حاجة ونجاحِ

وقد رويت هذه الأبيات لشعبة المذكور ولأبيه الغريض، فقال معاوية: أنت كنت أحق بهذا الشعر من أبيك، قال: كذبت ولؤمت، قال: أما كذبت فنعم، وأما لؤمت فكيف ولِمَ؟ قال: لأنّك كنت ميّتاً بحق في الجاهلية والإسلام، أما في الجاهلية فقاتلت النبيﷺ والوحي حتى جعل الله كيدك المردود، وأما في الإسلام فمنعت ولد رسول اللهﷺ الخلافة، وما أنت وهي، إنما أنت طليق بن طليق، فقال معاوية: خرف الشيخ فأقيموه.

والطلقاء: هم الذين أطلقهم نبي اللهﷺ يوم الفتح سنة منه، وكان له قتلتهم واسترقاقهم على قول من يقول: فتحت مكة عنوة وهو الصحيح، أو صلحاً فكذلك، إذ قد صح أنه قال بهم: اذهبوا أنتم الطلقاء، لواحد طليق.

ولاميّة السموأل أخي شعبة[1] من الجيّدات المعجزات وهي:

---

(١) السموأل بن غريض بن عادياء الأزودي: شاعر جاهلي حكيم، من سكان خيبر (في شمالي المدينة) كان يتنقل بينها وبين حصن له سمّاه «الأبلق»، توفي نحو ٦٥ق.هـ، له ديوان شعر صغير ـ ط ـ وهو الذي تنسب إليه قصة الوفاء مع امرىء القيس الشاعر.

ترجمته في: معاهد التنصيص ١/٣٨٨، سمط اللآلي ٥٩٥، شرح الشواهد ١٨٠، التبريزي ١/ ٥٥، طبقات الشعراء لابن سلام ٢٣٥، المرزوقي ١/١١٠، العيني ٢/٧٦، الشريشي ١/٣٩٠، الاعلام ط ٤/٣/١٤٠.

إذا المرءُ لَمْ يَدْنَسْ من اللُّؤْمِ عِرضُهُ فكلُّ رِداءٍ يَرْتَديهِ جَمِيلُ
وإنْ هُوَ لَمْ يحملْ على النفسِ ضَيْمَها فليْسَ إلى حسنِ الثناءِ سَبِيلُ
وقائلةٍ ما بالُ أسرة عاديا تباري وفيها قلّة وخمولُ
وما ضَرَّنا أنّا قليلٌ، وجارُنا عزيزٌ، وجار الأكثرينَ ذَليلُ
وإنا لقومٌ ما نَرَى القتلَ سُبَّةً إذا ما رَأَتْهُ عامِرٌ وسَلُولُ
يُقرِّبُ حبُّ الموتِ آجالَنا لنا وتكرَهُهُ آجالُهُمْ فَتَطُولُ
وما ماتَ مِنَّا سيِّدٌ في فِراشِهِ ولا طُلَّ مِنَّا حيثُ كَانَ قَتِيلُ[1]
وأيّامُنا مشهورَةٌ في عَدُوِّنا لَها غررٌ مطرورة وحُجُولُ[2]
وأسيافُنا في كُلِّ شَرْقٍ ومَغْرِبٍ بِها مِنْ قِرَاعِ الدَّارِعينَ فُلُولُ[3]
مُعَوَّدَةٌ أَنْ لا تُسَلَّ نِصالُها فتُغمدَ حتى يُسْتَباحَ قَبِيلُ[4]
وما قلَّ مَنْ كانتْ بقاياهُ مثلَنا شبابٌ تَسامَى للعُلى وكُهولُ
لنا جَبَلٌ يَحْتَلُّهُ مَنْ نُجِيرُهُ مَنِيعٌ يَرُدُّ الطَّرْفَ وهْوَ كَلِيلُ
رَسَا أصلُهُ تَحْتَ الثَّرى وَسَمَا بِهِ إلى النجم فرعٌ لا يُنال طويلُ
تسيلُ على حَدِّ الظِّباتِ نُفوسُنا وليسَتْ على غيرِ الظُّباتِ تَسِيلُ[5]
صَفَوْنَا فلمْ نَكدَرْ وأخْلَصَ سِرَّنا إنَاثٌ أطابتْ حَمْلَنَا وَفُحُولُ
عَلَوْنا إلى خَيْرِ الظُّهُورِ وَحَطَّنَا لِوَقْتٍ إلى خيرِ البُطُونِ نُزولُ
فنحنُ كماءِ المُزْنِ ما في نِصابِنا كَهَامٌ ولا فِينَا يُعَدُّ بَخِيلُ[6]
ونُنْكِرُ إنْ شِئْنَا على الناسِ قولَهم وَلا يُنكِرُونَ القولَ حينَ نَقُولُ
إذا سَيِّدٌ مِنَّا خَلا قامَ سَيِّدٌ قَؤولٌ لِمَا قالَ الكرامُ فَعُولُ
وما أُخْمِدتْ نارٌ لنا دُونَ طارقٍ وَلا ذَمَّنا في النازِلينَ نُزُولُ

---

(١) طل منا قتيل: أي يذهب دمه هدراً.
(٢) الحجول: جمع حجل، وهو البياض يكون في قوائم الفرس.
(٣) القراع: ـ بكسر القاف ـ المضاربة. والدارعين: أصحاب الدروع ـ والفلول: جمع فل، وهو الثلم في حد السيف.
(٤) القبيل: الجماعة من آباء شتى، وجمعه قبل.
(٥) الظباة: جمع ظبة، وهي حد السيف.
(٦) الكهام: الكليل الحد، ويريد به هنا: الضعف.

سلِي إن جَهِلْتِ النّاسَ عنا وعنهُمُ فلَيْسَ سَواءٌ عالِمٌ وجَهولُ
فإنَّ بَنِي الدَّيَّانِ قُطْبٌ لِقَوْمِهِمْ تَدورُ رَحاهُمْ حَولَهُمْ وتَجُولُ[1]

والجبل المذكور في الشعر هو تيماء، ويعرف بالأبلق لأن حجارته سود وبيض وهو منيع مشهور، وكان امرىء القيس الشاعر أودع السموأل الحلقة وهي الصلاح لما اجتاز به سائراً إلى قيصر فقصده عمرو بن هند الملك أحد عمال كسرى على الحيرة فلم يقدر على الحصن، وكان للسموأل ولد يقنص خارج الحصن فأسره عمرو ونادى السموأل: أما أن تسلم الحلقة أو أقتل الصبي، فَفَكّر السموأل قليلاً ثم ناداه: والله لا أسلم أمانتي فاصنع بأسيرك ما شئت، فضرب عنق الصبي وأبوه ينظر إليه، وانصرف، وقال السموأل في ذلك:

وفَيْتُ بأدرُع الكِنديّ[2] إنّي إذا ما خان أقوامٌ وفَيْتُ
بنى لي عاديا حِصناً حَصِيناً وبئراً كلّما شئتُ استقيتُ[3]

فقالت العرب: أوفى من السموأل.

وكانت الزباء ملكة ما بين الشام والجزيرة أرادت حصن تيماء المذكور.

وما ورد: وهو حصين دومة الجندل، فامتنعا عليها، فقالت: تمرّد مارد وعزّ الأبلق.

والزباء هي صاحبة نضير بن عمرو اللخمي وقصّتها معه شهيرة، وقالت من قصيدة:

وأروم أنجو من طويل مطالهِ منجى قصير بالعراق على العصيّ

والعصيّ اسم فرسه.

قال أبو هلال العسكري في الجمهرة: وعزّ الأبلق: أي امتنع من الضيم، وسمّى الله تعالى عزيزاً لأن الضيم لا يلحقه.

---

(١) القطب: الحديد الذي في أسفل الرحى يدور عليه الطبق الأعلى. ديوان الحماسة لأبي تمام ٤٢ ـ ٤٤.

(٢) هو امرؤ القيس منسوباً إلى كندة موطنه.

(٣) الأغاني ٢٢/١٢٤ ـ ١٢٥.

قال أبو كثير الهذلي:

حتى انتهيت إلى فراش عزيزة　　　شعواء روبة أنفها كالمخصفِ

يعني عقاباً ممتنعة على جبل، ويجوز أن يكون من العزيز من قولهم: «من عزَّ بزّ» أي «من غلب سلب»، فيكون العزيز الغالب، والعزيز أيضاً القليل، يقال شيء عزيز، وعزَّ إذا قَلّ، وقيل أصل العزيز من الأرض العزاز وهي الأرض الصلبة التي لا تؤثر فيها الأقدام ولا تعمل فيها المناقير، والعزيز الذي لا يؤثر فيه الضيم.

وتمرّد يقال تمرّد إذا تجرّد من الخير، وأصله من قولهم شجرة رمداء، إذا لم يكن عليها ورق، وغلام أمرد لا شعر على وجهه، وكانوا يقولون للأبلق: الأبلق الفرد، قال الأعشىٰ:

بالأبلق الفرد من تيماء منزله　　　حصنٌ حصينٌ وجار غير غَدّارِ

قلت: الأبلق: بناحية تبوك في آخر الحجاز مما يلي الشام، وهو بالإقليم الثالث من خط جزيرة العرب، ودومة الجندل مشهورة.

القاضي أبو أُمية، شريح بن الحارث بن قيس بن الجهم بن معاوية بن عامر بن الرائش بن الحارث بن معاوية بن ثور وهو كندة بن مُرتِّع الكوفي الكندي.

وقد يلتبس عند الرواة بشريح بن هاني وهو غلط، والفرق بينهما النسب والقضاء، فإن المذكور قضى لعمر ثم لعلي عليه السلام، وابن هاني لم يقضِ وقيل إن القاضي شريحاً من الفرس وعداده في كندة[*].

هكذا نسبه أبو الفرج الأصبهاني في الأغاني[١].

وذكر ابن خلكان أنه استقضى خمساً وسبعين سنة من أيام عمر إلى آخر أيام الحجّاج واستعفى[٢].

وكان من وجوه أصحاب علي عليه السلام ولم يستقضه ذلك النقاد إلاّ عن خبرة به، وقد كان في الشيعة من عمل لأبي حفص عمر كسلمان الفارسي وسهل بن حنيف وغيرهما، إذ لم تكن العصبية والعداوة قد تمكّنت.

وكان المذكور تابعياً، وكان شاعراً فصيحاً وله أجوبة صادرة عن ذهن وقّاد، وقال له رجل: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت ابن مائة وست، قضيت منها ستين سنة[٣].

قلت: لو سمعه الفارابي لقال: إنه أجاب عن الكيفية بالكمية.

قال: وكان سبب قضائه لعمر، إن عمر أخذ من رجل فرساً على سوم

(*) ترجمته في:
الأغاني ١٧/٢١٥ ـ ٢٢٠، وفيات الأعيان ٢/٤٦٠ ـ ٤٦٣، طبقات ابن سعد ٦/٩٠ ـ ١٠٠، ١٣١، طبقات الشيرازي، حلية الأولياء ٤/١٧٢، شذرات الذهب ١/٨٥، المعارف لابن قتيبة ٤٣٣، تذكرة الحفاظ ٥٩، العقد الفريد ١/٨٩ ـ ٩١، ٥/١٠.

(١) الأغاني ١٧/٢١٦.

(٢) وفيات الأعيان ٢/٤٦٠.

(٣) الأغاني ١٧/٢١٨.

فحمل عليه رجلاً فعطب الفرس، فقال عمر: اجعل بيني وبينك شريحاً العراقي، فقال شريح: أخذته صحيحاً سليماً على سوم، فعليك أن تردّه كما أخذته، فأعجبه ما قاله، وبعثه قاضياً[1].

وذكر أبو الفرح: أن علياً أمير المؤمنين عليه السلام عرف درعاً له عند يهودي أيام خلافته بالكوفة فقال له: يا يهودي هذا درعي سقطت مني يوم كذا وكذا، فقال اليهودي: ما أدري ما تقول، درعي في يدي، بيني وبينك قاضي المسلمين، فانطلقا إلى شريح، فلما رآه شريح قام له عن مجلسه، فجلس مع شريح في مجلسه، وقال: إن خصمي لو كان مسلماً لجلست معه بين يديك، ولكنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: لا تساووهم في المجلس، ولا تعودوا مرضاهم، ولا تشيّعوا جنائزهم، واضطّروهم إلى أضيق الطرق، فإن سبّوكم فاضربوهم، وإن ضربوكم فاقتلوهم، ثم قال: درعي عرفتها عند هذا اليهودي، فقال شريح لليهودي: ما تقول؟ قال: درعي في يدي، قال شريح: صدقت والله يا أمير المؤمنين إنّها درعك كما تقول، ولكن لا بدَّ لك من شاهدين، فدعى قنبر والحسين فشهدا له، فقال شريح: أما شهادة مولاك فقد قبلتها، وأما شهادة ابنك لك، فقال أمير المؤمنين: سمعت عمر بن الخطاب يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة، قال: نعم، قال: أفلا تجيز شهادة سيد شباب أهل الجنة! لتخرجن إلى شاهيا لموضع في السواد فلتقضيّن بين أهله أربعين يوماً، ثم سلّم الدرع إلى اليهودي، فقال اليهودي: أمير المؤمنين مشى معي إلى قاضيه فقضى عليه، فرضي به، صدقت والله وأنها لدرعك سقطت منك يوم كذا على جمل لك أورق، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، قال علي عليه السلام: فالدرع لك وهذا الفرس، وفرض له سبعمائة، فلم يزل معه حتى قتل بصفين[2].

قلت: اشتملت الحكاية على حديثين نفيسين عن رواية الإمام الأكبر أبي الحسن عليه السلام وآداب بها، فليقتدي من كان ذا سلطان حق، وإنما جعل أدب القاضي القضاء في السواد لأنّهم بادية الفرس ولهم غلظة الفلاحين، فكان من

---

(١) الأغاني ١٧/٢١٨.

(٢) الأغاني ١٧/٢١٩ ـ ٢٢٠.

المناسب لغفلة شريح عن حديث عصمة الحسنين أن يحبس مع الأضداد، فأضيق السجون معاشرة الأضداد.

وأخبر عامر الشعبي قال: قال لي شريح القاضي: عليكم بنساء بني تميم فإنهن النساء. قلت: وكيف ذاك؟ قال: انصرفت من حسبان ذات يوم مطير، فإذا امرأة جالسة في سقيفة لها على وسادة وأمامها جارية رود ذات ذؤابة على ظهرها فاستسقيت، فقالت: أي الشراب أحبّ إليك، النبيذ أم اللّبن أم الماء؟ قلت: أي ذلك تيسّر، قالت: اسقوا الرجل لبناً، فإني أخاله غريباً، فلما شربت نظرت إلى الجارية فاعجبتني، فقلت: من هذه؟ قالت: ابنتي، قلت: ومن هي؟ قالت: بنت جرير، إحدى نساء بني تميم، قلت: أفارغة أم مشغولة؟ قالت: بل فارغة، قلت: أتزوّجينيها؟، قالت: نعم، إن كنت كفواً، ولها عمّ فاقصده، فانصرفت فخطبتها إلى عمّها فزوّجنيها فمكثت أياماً ثم أقبل بها نساؤها، فلما جلست في البيت أخذت بناصيتها فبركت وأخلي في البيت فقلت: يا هذه إن من السنّة إذا دخلت المرأة على الرجل أن يصلّي ركعتين وتصلّي ركعتين يسألان الله خير ليلتهما ويتعوّذان به من شرّها، ثم التفتُّ فإذا هي خلفي فصلّيت ثم التفت فإذا هي على فراشها فمددت يدي، فقالت: على رسلك، فقلت: إحدى الدواهي منيت بها، ثم قالت: إن الحمد لله وحده استعينه، إني امرأة غريبة، ولا والله ما سرت مسيراً قط هو أشدّ عليَّ منه وأنت رجل غريب لا أعرف أخلاقك، فحدثني بما تحب فآتيه، وبما تكره فأنزجر عنه، فقلت: الحمد لله وصلى الله على محمد، قدمتِ خير مقدم على أهل دار زوجك، سيّد رجالهم، وأنت سيّدة نسائهم إن شاء الله تعالى أحب كذا وكذا، وأكره كذا وكذا، قالت: فأخبرني عن أختانك[1] أتحب أن يزوروك؟ قلت: إني رجل قاضي وما أحب أن يملوني، فبت بأنعم عيش ليلتي، وكنت بعد ذلك لا أرى يوماً إلاّ وهو أفضل من الذي قبله، حتى كان عند رأس الحول فدخلت منزلي فإذا عجوز تأمر وتنهى، فقلت: يا زينب من هذه؟ فقالت: أمي فلانة، فرحبت بها، فقالت: يا أبا أُميّة كيف رأيت زوجتك؟ فقلت: كخير زوج، فقالت؛ إن المرأة لا ترى في حال أسوء منها خلقاً في حالين: إذا خطبت عند زوجها، وإذا ولدت غلاماً، فإذا أرابك منها ريب فالتوسط، فإن

---

(١) أختان: جمع ختن، الصهر من قبل الزوجة.

الرجال ما حازت إلى بيوتها شرّاً من الورهاء[1] المتدللة، قلت: أشهد إنها ابنتك وقد كفيتها الرياضة.

قال: وكانت تأتيني في كل حول مرّة، فتذكر هذا ثم تنصرف، فما غضبت عليها قط إلاّ مرّة وكنت لها ظالماً، لما كنت أمام قوم فسمعت الإقامة، وركعت ركعتي الفجر، فأبصرت عقرباً فأعجلت عن قتلها فأكفأت عليها إناء فلما كنت عند الباب قلت: يا زينب لا تحرّكي الإناء حتى أجيء، فعجلت فحرّكت الإناء فلسعتها العقرب، وجئت فإذا هي تلوى فلا رأيتني يا شعبي وأنا أفرك لسبّتها بالماء والملح وأقرأ عليها المعوذتين وفاتحة الكتاب، وان لي جار، وكان لا يزال يضرب امرأته فقلت:

رأيتُ رجالاً يضرُبون نساءَهُمْ ... فشلَّت يَميني يَوْمَ أضرِبُ زَيْنَبا

أأضربها في غير جُرمٍ أَتَتْ بِهِ ... إليَّ، فما عذري إذا كُنْتُ مذنبا!

فتاة تزينُ الحلْي إن هيَ زُيِّنَتْ ... كأن بفيها المسكَ خالط مَحلبا[2]

فزينب شمس والنساء كواكبٌ ... إذا طلعت لَمْ تَرَ مِنْهُنَّ كوكبا[3]

أخذ القاضي، الرابع من قول النابغة: «فإنك شمس والملوك كواكبُ» وقد مرَّ. إلاّ أن شمس القاضي أبهى من شمس النابغة بحكمه.

وللقاضي أبي أُميَّة المذكور في زينب[4] وهو من أصوات الأغاني المختارة [من المتقارب]:

إذا زينبٌ زارها أهلُها ... حَشَدتُ وأكْرَمْتُ زوّارَها

وإن هي زارت بهم زُرتُهم ... ولم أتّخذ لي هوىً دارها

فسلمي إن سالمت زينب ... وحزني إن أشعلت نارَها

وما زلتُ أرعى لها عَهْدَها ... ولم أتَّبع ساعة عارَها[5]

وذكر ابن خلكان وأبو هلال العسكري: إن زياد بن أبيه كتب إلىٰ معاوية:

---

(١) الورهاء: الحمقاء.

(٢) المحلب: العسل.

(٣) الأغاني ١٧/ ٢٢٤، وفيات الأعيان ٢/ ٤٦٢.

(٤) زينب بنت حدير التميمية وهي زوجته، وأخبارها في الأغاني ١٧/ ٢٢١ ـ ٢٢٥.

(٥) الأغاني ١٧/ ٢١٥.

قد ضبطت لك العراق بشمالي ويميني فارغة، فولّني الحجاز، فبلغ ذلك ابن عمر، وكان مقيماً بمكة، فقال: اللهم إشغل عنا يمين زياد، فأصابه الطاعون في يمينه، فجمع الأطبّاء واستشارهم، فأشاروا عليه بقطعها، فدعى شريحاً فعرض عليه ما أشار به الأطبّاء، فقال له: رزق مقسوم، وأجل محتوم، وإني أكره إن كانت لك مدّة أن تعيش في الدنيا بلا يمين، وإن كان قد دنى أجلك أن تلقى ربك مقطوع اليد، فإذا سألك لم قطعتها؟ قلت بغضاً في لقائك، وفراراً من قضائك، فمات زياد إلى غضب الله من يومه، فلام الناس شريحاً على منعه من القطع لبغضهم زياداً، فقال: إنه استشارني والمستشار مؤتمن، ولولا ذلك لوددت إن الله قطع يده يوماً ورجله يوماً وسائر جسده يوماً[1].

قلت: بل إشارته بإبقائها كان أنفع للإسلام، لأنها لو قطعت ربما كان يسلم من ذلك الداء، وكان شريحاً مخضرماً أدرك الجاهلية والإسلام وعاش عشرين ومائة سنة، وتوفي سنة سبع وثمانين من الهجرة بالكوفة، رحمه الله.

وكان أحد السادة الطلس، والأطلس الذي لا لحية له وهم أربعة: شريح، والأحنف بن قيس، وقيس بن سعد بن عبادة، وعبد الله بن الزبير[2].

إنما لقب ثور بن مرتع كندة لأنه كَنِدَ أباه نعمته أي كفرها، وفي القرآن الكريم: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ﴾[3].

والطاعون: ورم دموي قتّال، شديد الالتهاب، وسببه تغير كيفية الدم إلى الشمية، ويكثر في المواضع والفصول الحارة الرطبة مثل مصر وأيام الربيع، وهو من المعديات، وأقتله ما كان في الأُبط والعنق لقربهما من الرئتين والقلب والدماغ، ومتى حصل فالغالب أنه يقتل، وإنّما يداوى سببه قبل حصوله بالمبرّدات ومغلظات الدم، وبإخراجه، وغالبه يقع بالروم والشام ومصر لإفراط الخصب وكثرة المياه والفاكهة.

---

(١) وفيات الأعيان ٢/ ٤٦٢ ـ ٤٦٣.
(٢) أنظر: وفيات الأعيان ٢/ ٤٦١.
(٣) سورة العاديات: الآية ٦.

الشيخ الأديب شعبان بن سليم بن عثمان الصنعاني المولد والنشأة، الرومي الأصل(*).

أحد الأدباء المجيدين المعاصرين، فاضل لو جارى القمر لأنصف، أو الفلك المحيط لرآه لإحاطته بالأدب أعرف، يقول مجاريه فضل شعبان على محرم، ولا جرم فالديباج المنسوب إلى الروم أنفس والنسيب مقدم، به بان فضل ابن الرومي على العرب، وأتى بمثل العجم من جاراه، وأما هو فجاء بمثل الرطب، فمعانيه غوالي تميس من الألفاظ في الحلل، وما هو إلاّ الشمس ومن جاراه أما الجدي وأما الحمل، وله في الطب يد لا يقوى عليها بقراط، تخفق لها العلل خفقان قلب العاشق بالأقراط.

وهو من أبناء الأجناد الرومية الذين بعثهم السلطان سليمان بن سليم خان إلى بلاد اليمن، ومنهم من لم يعد مع الوزير حيدر كما ذكرناه فيما سلف، وكان والده جندياً من أتباع الأمير السيد الجليل علي بن المؤيد بالله أمير صنعاء، كما ذكر لي ولده المذكور، وأما هو فتكسب بالتجارة أولاً والخياطة، ثم بالطب، وله مع الأدب صلاح تام وحسن عشرة، وصمت ووقار، وقد جمع شعره في سفينة من رآها بات بها صبّاً، وأشبه الجلندي في أخذ كل سفينة غصباً، وقد مرّ لي في أثناء الكتاب كثيراً من شعره، وله وهو مما سار مسير نوح، وترك الحاسد بالدمع في طوفان نوح:

يا أسرة الحب إن عز التخلص من	أسر الغرام وذقتم في الهوى الهونا
قيلوا بنا عند من بعنا بحبهم	نفوسنا فعساهم أن يقيلونا(١)

(*) شعبان بن سليم بن عثمان حاشكي.
ترجمته في: نفحات العنبر ـ خ ـ، ذوب الذهب ـ خ ـ، البدر الطالع ١/٢٨١، نشر العرف ١/٧٥٢ ـ ٧٦٥، الاعلام ط ٤/٣/١٦٤.

(١) نشر العرف ١/٧٥٧.

وله أيضاً:

أن تخل من فضة كفي، ومن ذهب ... فلست أدعي لعمري من ذوي العدم
وفضتي من بياض الشيب خالصة ... والتبر من أدمعي والدر من كلمي[(١)]

وله فيمن اسم رقيبه يحيى:

يا صفي الدين هل يرضيك يا باهي المحيا
إنني مت غراماً ... ورقيبي فيك يحيا[(٢)]

وله في الثور الرقيب، وقد مضى شيء من عبثه به، وكان يحب من اسمه الحبّتين:

لقد أبدى الزمان لنا عجيباً ... سرت أسراره في الخافقين
نمت فيه لنا البركات حتى ... تكفّى ثورنا بالحبتينِ[(٣)]

وله أيضاً مراجعاً:

قلدتّ جيدي يا جمال العلى ... من نظمك الرائق عقداً نظيمْ
هذا وإني لست من أهله ... فهو على الحالين مني يتيمْ[(٤)]

وله يخاطب إسماعيل وقد هويه حنظل:

قل لإسماعيل عنّي مخبراً ... إن جيش الحسن عنه ارتحلا[(٥)]
وانقضى إذ هام فيه حنظل ... فلهذا مرّ منه ما حلا[(٦)]

وله:

وما زلت مذ أرشفتني الثغر قائماً ... لديك ولكن ساء ذلك عذالي
فقلت لهم لا تنكروا ذاك إنما ... لعمركم كان انتصابي على الحالِ[(٧)]

---

(١) نشر العرف ١/ ٧٥٦.
(٢) نشر العرف ١/ ٧٥٦.
(٣) نشر العرف ١/ ٧٥٧.
(٤) نشر العرف ١/ ٧٥٥.
(٥) في نشر العرف: «منه رحلا».
(٦) نشر العرف ١/ ٧٥٥. وفيه: «عنه ما حلا».
(٧) نشر العرف ١/ ٧٥٨.

وله في القرش العطار:

قالت معذبتي وقد ... أفهمتها بالقرش شغلي
أأفل حد لقاك أو ... ما القرش قُلْ لي قلت فلّي[1]

ومن هذه المادّة الحلوة قول القاضي زين الدين بن الوردي الحلبي[2]:

أقول لها وقد جاءت صباحاً ... تخبرني عن الظبي الجموحِ
يسرّك أن أروح إليه أُخرى ... فقلت لها خذي مالي وروحي

ومما نظمته أنا قديماً في هذه المادّة:

للابسة السوسي دلّ خطبته ... فقالت بألباب تباحُ وروسي:
أسوسك بالتعذيب ترضى وما الذي ... دعاك إلى عشقي؟ فقلت لها: سوسي

ولشعبان في القرش والربع:

للقرش والربع البدري قد حُجبا ... عنا فليس لنا في زَورة طمعا
وقد خلت خضرات الإنس فهي إذا ... دوارس لا نرى قرشاً ولا ربعا[3]

وله أيضاً:

وشادن يقرأ في معشر ... يسألهم ما الحال والماضي؟
فقلت: إن الحال هذا الذي ... ترى بنا من طرفك الماضي[4]

وكتب إليَّ في شهر محرم من عامنا هذا سنة أربع عشر ومائة وألف:

مزورك قد أشفى فهل قبلة تشفي ... فليس به إلا التعلّل بالرشفِ
نصبت له من ذابل القدِّ أسمراً ... يميل به ساري النسيم على حقفِ
وأرسلت نبلاً من جفونٍ مريضةٍ ... أسالت نفوساً وهي تشكو من الضعفِ
فواتك لا يرتد نافذ سهمها ... ولا يتقي بالسابرية والزعفِ
حوارس جنات بخديك زهرها ... جناها عزيز ليس يدرك بالقطفِ

---

(١) نشر العرف ١/٧٥٨.
(٢) وهو عمر بن المظفر، مرّت ترجمته بهامش سابق.
(٣) نشر العرف ١/٧٥٨.
(٤) نشر العرف ١/٧٥٦.

تكاد إذا ما خامر الفكر لثمها تسيل دماً وهي المصونة للّطفِ
إذا قابلت إنسان عيني خلته بصفحتها حالاً واسده عن طرفي
وبالثغر ما لو كان يمكن رشفه لما كان معنى للمعتقة الصرفِ
يجل عن التشبيه بالدرّ لم يكن ليحكيه إلاّ بالصقالة والوصفِ
وما البرق إلا من سناه وإنه معيب بسكناه مع الديم الوطفِ
وأين لماه الحلو والشنب الذي يروق لمستحل ويحلو لمستصفِ
إذا قيل إن الظبي يحكيه لفتة وجيداً فهل يحكيه بالقرط والشنفِ
ولا عجب إن همت فيه صبابة وأفصح دمعي عن هواه بما أخفي
بدا قمراً في غصن بان يحفّه لحتف الورى ليل من الشعر الوحفِ
حظيت به والليل مرخٍ حجابه علينا وطرف النجم قد كاد أن يغفي
ولا كاشح إلاّ الوشاح بخصره يدور فيشكو ما يلاقي من الردفِ
وبي مثلما بالخصر والردف من ضنى سوى أن ما بي لا يعبَّر بالوصفِ
كما لا يحد الواصفون مكارماً ليوسف قد جلت عن الرسم في الصحفِ
فليس لها إلا القلوب منازلاً وحسبك سكناها القلوب فهل يكفي
فتى جمع الآداب والعلم والحجا فقل لمجاريه اتئد لست بالملفي
أيدرك شمس الأفق بالكفّ لامسٌ لقد بعدت شمس النهار عن الكفِّ
يروقك أخلاقاً يفيدك حكمة يغيثك ملهوفاً يصونك عن خسفِ
ويدرء عنك الرزء إلاّ عن القضا كأنك تأوي من حماه إلى كهفِ
يعد لألف المشكلات إذا دجت كذلك في الهيجا يقيد للألفِ
إذا اشتجرت سمر الرماح وحمحمت فحول مذاكِيها اشتياقاً إلى الرجفِ
وأمطرت الهيجاء ما نبت صوبه على ماله عند الحصادة من خلفِ
تراعِ به حبّ القلوب وإنّها لدى الضعف لا تخلو هنالك من ضعفِ
إذا عبس الفرسان يبسم ضاحكاً ويشرق مثل البدر في ليلة النصفِ
ثبات جنان كم يكن في سوائه وشدّة عزم لا تحول عن الصفّ
ولو أن جالينوس عمّر لم يكن ليأخذ إلاّ عنه علماً لمستشفِ
يؤلف بين الماء والنار لو يشأ ويجمع ما بين الغضنفر والحشفِ
بتعديل أمزاج ورأي وحكمة تدل على معنى النباهة والظرفِ
نمى غصنه من دوحة هاشمية سماتهم فعل المروّة والعطفِ
من العصبة الزهرى وناهيك عصبة يرجيهم الملهوف في الكرب للكشفِ

فخذها ابن يحيى لاعدمتك إنها — عقيلة ذكر كنزها في الحشى مخفي
ودم ما تغنّى صادح في فروعه — لكل مهم عن أخي مقة تنفي[1]

ولما وجب الثواب أما بالحباء أو الجواب، وكان الثاني بحكم ارتفاع الأنذال هو الممكن، أجبته، وإن كان في الشعر والثناء هو المحسن، فكأنه زهير ولو الإيهام لقلت وهرم بن سنان، وإن كان في السبك الجيّد لا يساوي كعب شعبان، فقلت:

وحقك ما يطفى لهيبي سوى الرشفِ — وصرفك ذاك المنع عن مشتهي العطفِ
فإن جدت نلت الأجر أو كنت باخلا — ففي الحل مني أنت لو قدت لي حتفي
هويتك ظبياً قد حُرست بعصبة — أسودٍ أما خافوا الأسود على الخشفِ
وبدر له في القلب برج مشيّد — وحاشاه من نقص عليه ومن خسفِ
ترى الشفق القاني يلوح بخدّه — وإلاّ فمن دمعي ومن خمره الصرفِ
وقد أينع التفّاح فيه وإن يمل — إليَّ بذاك الغصن أرفق في القطفِ
ألاقي به الأحزاب ما بين كاشح — وواش فما أنفكُّ للحرب في الصفِّ
أمامي اللحاظ البابلية شُرّعاً — وألسنة الواشي الأسنّة من خلفي
وقد ذهبت نفسي شعاعاً وزادها — أشعة ما بين السوالف والشنفِ
فإن ترني أهوى النسيم فإنّما — يساعدني في صبوتي من به ضعفِ
وفي ضمنه مرّوا وما كنت بايحاً — بسرّ الهوى بعد الوثيقة والحلفِ
وذي أدب ألفاظه مثل خدّه — رقاق ولكن صدَّه الصعب كالردفِ
إذا قرأت عيناك أسطر صدغه — تزيدت إيقاناً بمعجزة الصحفِ
لشهب الدجى ما نصه فوق جيده — وما نصَّ غير القلب بالقسر والطرفِ
وللبدر ما أرخى عليه نقابه — ولكنه ما شانه حُلكة السدفِ
فليت لقاه عاد مثل زماننا — بشرقيّ اللوى دون الأراكةِ والحقفِ
ليالي لا واشٍ سوى جرس حلية — ولا عين إلاّ من جداوله الوطفِ
ولا ستر إلاّ للخميلة فوقنا — غلطت بلى من شعره الفاحم الوحفِ
ولم أدرِ لما أن جَلَت لي مدامها — وقد ضاع منها النشر في حالة اللّفِ
أمن خدها كاسي عليه عقودها — فواقع أم درّ تضوَّع في كفي
أم الشفق الأفقي به النجم دار لي — وإلا تجلى بدر شعبان في النصفِ

---

(١) بعضها في نشر العرف ١/ ٧٦٠ ـ ٧٦١.

أديب حكى الدينار خالص نظمه ... وكم شاعر يهوى من الجهل في حرفِ
حباني بأبيات نسيت لحسنها ... همومي وسلّتني حنيني إلى إلفي
غدا خلفاً للشعر من بعد أهله ... ومن يدّعيه غيره كاد كالخلفِ
نظام كمثل البرق لوّح سحره ... وحاشاه من خوف الصواعق والخطفِ
ومذ صحَّ لي أن النظار نظامه ... أنفت لمثلي أن يميل إلى الجعفي
إذا عُدّ أهل الشعر جاء محلّقاً ... ولم يبق للأعشى وطرفة من طرفِ
وأحسب عيسى حين ودّع خصّه ... بما كان عن لقياه بقراط كالخلفِ
فأصبح فرداً في الصناعة دافعاً ... عن الروح ما يخشاه من روعة العصفِ
يخبره النبض الخفيّات مثلما ... يشير فصيح اللفظ بالمضمر المخفي
وليس لبطليموس في الشهب حدسه ... ولا يبلغ التحقيق فيها ولا يلفي
فذاك بفترٍ علمه ولذي الفتى ... ذراع ذكاء فصّل[1] الزبر في السقفِ
أظن إليه النيّرين تدلّيا ... خضوعاً ودلاه لمن جاز من ظرفِ
ومن عجب إن الجواهر شعره ... وحاز إليها الرمل بالسعي واللطفِ
وحب نقيّ الخدّ ما زال لائقاً ... ولا سيما بالكامل الفضل والعفِّ
ودونك مني مثلما لي بعثته ... وإن لم يحاكي درّ سمطك في الوصفِ
بعثت يواقيتاً وقابلت حسنها ... بحصباء فاعذرني فمثلك من يعفي
وأسبل على هذا الرقيم غلالة ... من الستر وأنزله في ظلك الكهفِ
ودم راقياً في متن فضلك سابقاً ... بطرف من الإحسان بورك من طرفِ[2]

ولشعبان مراجعاً لأحمد بن حسين الرقيحي الشاعر المذكور في الهمزة[3]:

لتباريح الجوى قد وجبا ... قلب صبٍّ ندبه قد وجبا
حال من دون تلافيه النوى ... فقضى لم يقضِ منه إربا
ليت حادي العيس لمّا رحلوا ... جعل الدمع إليهم سببا
وسقى عيسهم من أدمعي ... فهي تكفيهم وتروي النجبا
لست يوماً بدمي أمزجها ... إنّما أسقيهم ما عذبا

---

(١) في هامش الأصل: «وصل» أي السماء.

(٢) بعضها في نشر العرف ١/٧٦١.

(٣) ترجمه المؤلف برقم ١٥.

كحلوا بالسهد عيني عندما ميّلوا الأعطاف واختاروا الربى
فأنا اليوم على شرط الهوى مقلة عبرى، وعقل ذهبا
أسفح الدمع على أطلالهم وأناجي ربعهم والكثبا
وإذا مرَّ بسمعي ذكرهم من عذولٍ زاد وجدي طربا
وحمامات اللوى إن سجعت وأمالت بالسجوع القضبا
يعتريها بعض وجدي فترى تندب الألف وتبدي الكربا
مركب الحب خطير وبه كم يقاسي الصبّ فيها الوصبا
يترك الأُسد على صولتها حائرات دون أجفان الظبا
ربَّ ليث أَسرته دمية لم يجد عن حبّها منقلبا
ما وقاه نابه عن بطشها لا ولا مخلبه ماضي الشبا
فأرح قلبك عن حبّ الدُمى وابتني المجد وأعلي الرتبا
ليس من مات عزيزاً ذكره مثل من مات فلن يحتسبا
يخلد الذكر له ما بقيت سمة منه تزين الكتبا
وهو مطويّ بأطباق الثرى وثناه نشره لن يحجبا
قضت الأيام إلاّ شرف لفتىً يطلب منها نشبا
إنّما يشرف من أولى الندى وأجاز العذر مهما غلبا
من أخي ودّ هفى فانزعجت مهجة منه وأبدى تعبا
كصفي الدين إذ وافى بما يوجب العفو على من أذنبا

وهي طويلة، وكأنّما هي صبب الماء في الانسجام، وقصيدة أحمد يستعتبه فيها سبب وجده عليه [لا] لشيء لأنه أستاذه.

وله في الموشح الملحون اليد القويّة، فمن ذلك:

أقام عذري فيك لام العذارِ يا متلفي بالصدّ والتّيهِ
لذا حَلى لي فيك خلع العذارِ ونشر ما قد كنت أطويهِ
عاذل قومي إذ تثنيت جارِ وكم حويسد لامني فيهِ
حقّيت جنّة ورد خدّك بنارِ ونرجس الألحاظ يكفيهِ

❀ ❀ ❀

يا من تفرّد في الملاحة وفاقْ فليس له في الحسن ثاني

عيون عشّاقك لخصرك نطاقْ ... مهما ترى للعطف ثاني
ومبسمك قد رقَّ فيه وراقْ ... خمرُ المشيب والأقحوانِ
ومن خدودهِ يجتنى الجلّنارِ ... لكن يحرق قلب جانيه

❀ ❀ ❀

الحسن كله قد جمع لك جميعْ ... وأنا غرامك قد قُسم لي
فكل كلّي للصبابة مطيعْ ... فيها قد استحليت ذلّي
مالي سوى حسنك إليك من شفيعْ ... ساعي إليك في جمع شملي
عساك تنعم لي بقرب المزارِ ... فالغصن قد يخضرّ ذاويهِ

❀ ❀ ❀

ما كان أحلى جمعنا في زرودْ ... ما بين هاتيك الأثيلاتْ
وأنت مثل الغصن تحت البرودْ ... ولك إلى الأحباب ميلاتْ
فليت شعري ما تقضّى يعودْ ... هيهات ولّى ذاك هيهاتْ
أبديت من بعد التجافي نفارِ ... وودّنا كدّرت صافيهِ

❀ ❀ ❀

والناس يتغنّون بأكثر شعره في الموشح لرّقته. ومحاسن شعبان كقمره[١].

---

(١) في هامش ب: «موت شعبان بن سليم سنة تسع وأربعين ومائة وألف».

حرفُ الضّاد

[٨٦]

أبو بحر، الضحّاك بن قَيْس بن مُعَاوية بن حصن[١] بن عبادة بن نزار[٢] ابن مرة بن عبيد بن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مَنَاة بن تميم التميمي، الشهير بالأحنف، السيد الحليم المشهور[*].

سيد بني تميم، وكان رئيساً مسوداً، من التابعين، وأدرك رسول الله ﷺ ولم يصحبه، وصحب علياً عليه السلام وشهد معه صفين والنهروان ولم يشهد الجمل لأنه قعد. لتسكين ثورة بني تميم لما دعاهم طلحة والزبير وعائشة إلى حرب أمير المؤمنين، وكتب إلى علي عليه السلام: إن أحببت جئتك ناصراً في خمسمائة من بني عمّي، وإن اخترت خَذَّلت عنك سبعة آلاف من بني تميم، فأجابه: أن كفى بقعودك هذا ناصراً.

ثم كتب إلى بني سعد: إنه ليس أحد من تميم إلاّ وقد شقى برأي سيّده غيري، فإنكم لا تزالوا تحمدوا عقبى رأيي، وأمرهم بالسكون فسكنوا، وكان

(*) ترجمته في:
وفيات الأعيان ٢/٤٩٩ ـ ٥٠٦، طبقات ابن سعد ٧/٩٣، تهذيب ابن عساكر ٧/١٠، تهذيب التهذيب ١/١٩١، سرح العيون ٥٤، ذكر أخبار أصبهان ١/٢٢٤، جمهرة الأنساب ٢٠٦، السير ٨١، تاريخ الخميس ٢/٣٠٩، تاريخ الإسلام للذهبي ٣/١٢٩، ألف باء البلوي ٢/٣٤٣، الاعلام ط ٤/١/٢٧٧، وأخبار حلمه والحكايات عنه منثورة في كتب الأدب.

(١) في الوفيات: «حصين».

(٢) في الوفيات: «النزال».

يتبعه مائة ألف من بني تميم ـ كما قيل ـ لأن تميماً أكثر القبائل رجالاً، ومما فُتح على يديه بلخ وهراة وطخارستان أيام الفتوح.

وقال ابن حمدون في التذكرة: وكان الأحنف سيّداً حليماً يضرب به المثل، وقد عُدَّت له سقطات، فمن ذلك: إنه نظر إلى خيل لبني مازن فقال: هذه خيل ما أدركت الثار، ولا نقضت الأوتار، فقال له سعيد بن العلقم المازني: أمّا يوم قتلت أباك فقد أدركت بثأرها، فقال الأحنف: لشيء ما قيل دع الكلام حذر الجواب، وكانت مازن قتلت أبا الأحنف في الجاهلية.

قال: ولما خرج الأحنف مع مصعب بن الزبير أرسل إليه بمائة ألف درهم ولم يرسل إلى زبراء جاريته بشيء، فجاءت حتى تقدّمت بين يدي الأحنف، ثم أرسلت عينها، فقال لها: ما يبكيك؟ قالت: مالي لا أبكي عليك إذ لم تبك على نفسك، أبعد نهاوند ومرو الروذ تجمع بين غارين من المسلمين، فقال: نصحتني والله في ديني إذ لم أتنبه في ذلك، ثم أمر بفسطاطه فقوّضت، فبلغ ذلك مصعباً فقال: ويلكم من دهاني في الأحنف، فقيل زبرا، فبعث إليها ثلاثين ألف درهم فجاءت حتى أرخت عينها بين يديه، فقال: مالكِ يا زبرا؟ قالت: جئت بإخوانك من البصرة تزفّهم كما تزفّ العروس حتى إذا صيّرتهم في نحر أعدائهم أردت أن تفتّ في أعضادهم، قال: صدقتِ والله، يا غلام دع الفساطيط، فاضطرب العسكر بمجيء زبرا مرّتين وذهبت مثلاً.

وقال أيضاً: قيل لم يرَ الأحنف ضجراً إلاّ مرة واحدة، أعطى خياطاً قميصاً يخيطه له فحبسه حولين، فأخذ الأحنف بيد ابنه بحر فأتى به إلى الخيّاط، وقال: إذا متُّ فادفع القميص إلى هذا.

وكان خطيباً يعدّ من خطباء مضر، شاعراً أيضاً.

وقال أبو هلال العسكري في الأوائل: لما قدمت أم المؤمنين البصرة بعد قتل عثمان ومعها طلحة والزبير ومروان، وخطبت خطبتها المشهورة تخط على طاعتها ونكث بيعة علي عليه السلام، فانطلق رجل سمع مقالتها إلى الأحنف وهو معتزل في بني سعد، فقال الأحنف:

لشتان ما بين المقامين تارة ... تضاري وطوراً عذرة تستقيلها
فلو كانت الأكنان دونك لم تجد ... عليك مقالاً ذو أناة يقولها

وقفت بمستن السيول وقلَّ من يقوم بها إلاّ عَلاه بليلها
فخضت سقائي غدرة وملامة وكلتاهما كادت تغولك غولها
إلمَّا ترى أن الأمور بفترة من الشرّ لا يغشى بليل دليلها
حجابكِ أخفى للّذي تسترينها وصدرك أوعى للّتي لا أقولها
فلا تسلكن الوعر ضيقاً مجازه فتغبرّ من سحب الملاة ذيولها

فلما بلغ عائشة مقالة الأحنف، قالت: لقد استفرغ حلم الأحنف هجاؤه إيّاي، إلى الله أشكو من عقوقِ ابْنَيّ، ثم قالت:

بني اتّعظ إن المواعظ سهلة ويوشك أن يكتان وعراً سبيلها
ولا تنسين في الله حق إمومتي فإنك أولى الناس ألاّ تقولها
ولا تنطقن في أُمة لي بالخنا حنيفية قد كان بعلي رسولها

والثاني من هذه ملحون وفيه سناد، لأن الخليل يقول: إن القافية لامية هنا.

وروى أبو هلال أيضاً: عن شيخة أبي أحمد العسكري عن عمرو بن بشير عن عمّته أُم زيد قالت: كنت مع عائشة بمكة، فأتاها إن عثمان قُتل، فقالت: أبعده الله بما قَدَّمت يداه، يا معشر قريش لا يشومكم عثمان كما شام حمير ثمود قومه، إن أحقّ الناس بهذا الأمر ذو الإصبع، تعني طلحة لأنّه من رهطها، ثم أتاها إن علياً استخلف بعده، فقالت: تعسوا لا يؤمرون بني تميم أبداً. أيها الناس: إن عثمان قتل مظلوماً، وإن علياً أخذ الأمر بغير شورى، والله لا نرضى، لنقاتلنه.

فقالت أم سلمة: أيها الناس: إن عثمان قُتل، وإن الناس بايعوا علياً خير من تعلمون، وقد بايعنا، فبايعوا.

وقال العسكري: أخبرنا أبو أحمد قال: أخبرنا أبو بكر بن دريد قال: حدثنا الرياشي قال: حدّثنا عمر بن بكير قال: حدّثنا الهيثم بن عدي بن عيّاش عن الشعبي قال: لما قدم علينا الأحنف بن قيس مع مصعب بن الزبير فما رأيت شيئاً يستقبح إلاّ وقد رأيت في وجه الأحنف منه شبهاً، كان أصلع الرأس، أحجن الأنف، أغضف الأذن، باحق العين، ناتي الوجه، مائل الشدق، متراكب الأسنان، خفيف العارضين، أحنف الرجل، ولكنّه إذا تكلّم جلى عن نفسه، وأقبل يفاخرنا ذات يوم بالبصرة ونفاخره بالكوفة، فقلنا: الكوفة أعلى وأفسح،

فقال له رجل: والله ما أشبه الكوفة إلا بشابّة صبيحة الوجه، كريمة النسب، لا مال لها، فإذا ذكرت وذكرت حاجتها كفَّ عنها، وما أشبه البصرة إلاّ بعجوز ذات عوارض موشرة موسرة، فإذا ذكرت ذكر يسارها رغب فيها.

فقال الأحنف: أما البصرة فأسفلها قصب، وأوسطها خشب، وأعلاها رطب، نحن أكثر عاجاً وساجاً وديباجاً وجارية مغناجاً وبرذوناً هملاجاً، والله ما أتى أحد البصرة إلاّ طائعاً، وما خرج منها إلاّ كارهاً يجرجر.

فقام شاب من بكر بن وائل فقال: يا أبا بحر بما بلغت في الناس ما بلغت، فوالله ما أنت بأحملهم ولا بأشرفهم ولا بأشجعهم، فقال: يا بن أخي بخلاف ما أنت فيه، قال: وما أنا فيه؟ قال بتركي ما لا يعنيني من أمرك إذ شغلت بما لا يعنيك في أمري.

ولما قتل أمير المؤمنين عليه السلام وخُذِل ولده الحسن عليه السلام وفد الأحنف على معاوية فسأله عن رأيه في علي عليه السلام فتكلم بفضله، فقال معاوية: لتصعدنّ المنبر فلتلعنن علياً، فقال الأحنف: لو تعفني من ذلك، ولئن أبيت لأتكلمنّ بما لم تَسْتَطِعْ أن تردّه، قال: عليَّ ذلك، فصعد الأحنف المنبر فقال: أيها الناس إن علياً ومعاوية تنازعا هذا الأمر واقتتلا عليه، وإني داعٍ فأمّنوا رحمكم الله، ثم قال: اللهم إلعن أقلّهما إيماناً وسابقة، وأظهرهما نفاقاً. فقال الناس من جوانب المسجد: آمين[1].

قال أبو الفرج: وهو مورد الخبر عن الحافظ ابن معين، قال ابن معين: وأنا أقول آمين.

قال أبو الفرج: وأنا أقول، آمين.

قال الفاضل عبد الحميد بن هبة الله بن أبي الحديد: وأنا أقول، آمين.

قال القاضي العلامة أحمد بن ناصر بن عبد الحق المخلافي[2]: وأنا أقول، آمين.

---

(١) وفيات ٢/ ٥٠٥.

(٢) ترجمه المؤلف برقم ٢٣.

ويقول المؤلف يوسف بن يحيى بن الحسين بن المؤيد بالله بن المنصور: وأنا أقول، آمين.

وروى ابن الأثير: إنه كان للأحنف جارية وكان مطيعاً لها، فقال له الناس: أنت سيّد قومك ونراك تتبّع هوى هذه الجارية؟ قال: كيف لا أطيع من لي إليه كل يوم حاجة.

وقال أبو هلال في جمهرة الأمثال: أخبرنا أبو القاسم عبد الوهاب بن إبراهيم، ثنا العقدي قال: ثنا أبو جعفر أحمد بن الحارث عن المدائني عن شيخه عن محارب بن عبد الرحمن بن سكرة عن أبيه: إن الأحنف لم يتعلق عليه إلاّ ست خصال:

قوله في أمر الزبير لما أتاه الحمّاني فقال له: هذا الزبير قد مرَّ آنفاً، قال: ما أصنع به قد جمع بين غارّين، فقتل بعضهم بعضاً، ثم يريد أن ينجو إلى أهله فتبعه ابن جرموز فقتله، فقال الناس: قتله الأحنف.

وإنه لما أتاه كتاب الحسن عليه السلام لم يجبه.

وقوله أيام مسعود بن عمر الأزدي للمرأة التي أتته بمجمر فقالت: تجمّر فقال: أست المرأة أحق بالجمر.

والرابعة: قوله للحتات بن زيد: إسكت يا أُدَيئر، وكان أدِرْ.

وقوله لقطري بن الفجاءة: إن أبا نعامة أن أشار على القوم فركبوا البغال، وجنبوا الخيل، فأصبحوا ببلد، وأمسوا بغيره، فأقمن أن يطول أمرهم، فأخذ قطري بقوله. وأتاه رجل فلطمه فقال: بسم الله ولم لطمتني؟ قال: جعل لي أن ألطم سيّد بني تميم، قال: فإنك أخطأت سيّدهم حارثة بن قدامة، فلطم الرجل حارثة فقطع به، فقال الناس: إنّما قطع يده الأحنف.

قلت: إنّما قالت له المرأة تجمَّر لأنه أبطأ في تلك الحرب فكأنها قالت له: إنّما أنت امرأة وليس المحارب بالمطياب والمكحال.

ولما أنشد مسلم بن الوليد بن يزيد بن مزيد الشيباني القصيدة منها:

لا يعبق الطيب خَدَّيه ومفرقه ولا يمسح عينيه من الكحلِ

رمى المشط من يده وقال: حرّم مسلم الطيب علينا، وأراد لشهامته أن لا يكذب مادحه.

وقوله: «أست المرأة أحق بالمجمر» مثل مشهور.

ومما يتعلق به ما حكاه العسكري أيضاً: عن أبي أحمد قال: أخبرنا المبرمان قال: أخبرنا أبو جعفر بن المثنى قال: أول خليفة أخذ الجار بالجار والولي بالولي، سليمان بن عبد الملك، فدخل عليه فتًى ظريف، وعلى رأس سليمان وصيفة حسناء قائمة، فجعل الفتى يديم النظر إليها، فقال للفتى: هات سبعة أمثال في الأست[1] وهي لك، فقال الفتى: أست لم تعود الجمر قال: واحد، قال: أستي أخبثي، قال: اثنان، قال: أست المسؤول أضيق، قال: ثلاثة، قال: أست الباين أعلم، قال: أربعة.

قلت: الباين: حالب الناقة من جانبها الأيمن.

قال الفتى: من الله عليك وأستك، قال: خمسة.

قال: الحر يعطي والعبد ينجع أسته.

قال: ستة.

قال الفتى: لا ماؤك أبقيت ولا حرّك أَنقيت.

قال سليمان: ليس هذا من ذاك.

قال: أخذت الجار بالجار كما يفعل أمير المؤمنين.

قال: خُذها، لا بارك الله لك قوما.

قلت: الصحيح، إن أول من أخذ الجار بالجار زياد بن أبيه قبّحه الله تعالى.

---

(١) الأست: العجز، ويقال للرجل الذي يستذلّ ويستضعف: إست أمك أضيق وإستك أضيق من أن تفعل كذا وكذا، ويقال للقوم إذا استذلوا واستخف بهم: بأسْت بني فلان، وهو شتم للعرب. «لسان العرب: مادة سته».

وذكر أبو الفرج الأصبهاني في أخبار الحطيئة الشاعر واسمه جرول[(١)]: إن الوفاة لما حضرته اجتمع إليه عشيرته، وقالوا: أوصِ يا أبا مليكة لليتامى.

قال: كُلُوا أموالهم، ونِيكوا أُمَّهاتِهِم.

قالوا: فما تقول في عَبِيدك؟

قال: هم عبيد ما تعاقب الملوان.

قالوا: فأوصِ للمساكين.

قال: أوصيتهم بالمسألة، فإنها تجارة لن تبور، وأسْتُ المسؤول أضيقُ.

قالوا: فما تقول في مَالك؟

قال: للأنثى من وَلَدِي مثل الذكر.

قالوا: ما كذا قال الله.

قال: لكنّي كذا قلت.

قالوا: فمن أشعر الناس؟

قال: هذا الحُجَير إذا طَمِعَ في خير [يعني فمه] ومدّ لسانه، وبكى.

وقال: أبلغوا أهل ضابيء، أنه أشعر الناس حيث يقول:

لِكُلِّ جَدِيدٍ لَذَّةٌ غيرَ أَنَّني ... وجدتُ جديدَ الموتِ غيرَ لذيذِ
له نكهة ليست بطعم سفرجل ... ولا طعم تفاحٍ ولا بنبيذِ[(٢)]

---

(١) هو أبو ملكية جرول بن أوس بن مالك العبسي، ولقب بالحطيئة لقصره. قيل إنه أشعر الناس بعد زهير بن أبي سلمى «الراجح أنه أسلم في خلافة أبي بكر(رض)، وبقي رقيق الإسلام إلى آخر حياته. كان هجاء بذيء اللسان لم يسلم من هجائه أحد حتى أمه. كان سؤولا ملحفا دميماً بخيلاً، وقد رويت عنه في هذا الباب حكايات طريفة، منها وصيته لأهله وقومه قبيل وفاته. له ديوان شعر بشرح ابن السكيت والسكري والسجستاني، حققه نعمان أمين طه، وطبع بمصر سنة ١٩٥٨م. يوجد اختلاف في تاريخ وفاته.

ترجمته في: الأغاني ٢/ ١٤٩ ـ ١٩٤، فوات الوفيات ١/ ١٩٢ ـ ١٩٥ وفيه أنه توفي في حدود سنة (٣٠)هـ. شرح شواهد المغني/ ٩١٦، الشعر والشعراء/ ٢٣٨، روضات الجنات/ ١٥٨ وفيه أنه توفي سنة (٥٩)هـ، أنوار الربيع ١/ هـ ٧٩.

(٢) ديوان الحطيئة.

قالوا: أوصنا.

قال: ويلٌ للشعراء من رواة السوء، ثم أُغمي عليه ساعة وأفاق، فقالوا: قل لا إله إلاّ الله، فقال:

قَــالَــتْ وفــيــهــا حَــيْــدَةٌ وذُعْــرُ عَــوْذٌ بِــرَبِّــي مِــنْــكُــمْ وحُــجْــرُ[1]

فقالوا: أوصِ رحمك الله، قال: من الذي يقول:

إذا أَنْبَضَ الـرامـون عـنـهـا تَـرَنَّـمَـتْ تَـرَنُّـمَ ثَكْلَى أوجعَتْها الجنائزُ؟[2]

قالوا: الطرماح[3]، قال: أبلغوا غطفان أنه أشعر العرب.

قالوا له: ويحك: أوصِ بما ينفعك!

قال: أبلغوا امريء القيس أنه أشعر إذ يقول:

فَـيَـا لَـكَ مـن لَـيْـلٍ كَـأَنَّ نـجـومَـهُ بـكـلِّ مُـغَـارِ الـفَـتْـل شُـدَّ بِـيَـذْبُـلِ[4]

قالوا: اتقِ الله ودع عنك هذا.

قال: أبلغوا الأنصار إن صاحبهم أشعر الناس إذ يقول:

يُـغْـشَـوْنَ حـتّـى مـا تَـهِـرُّ كـلابُـهـم لا يَـسْـأَلـون عـن الـسَّـوَاد الـمُـقْـبِـلِ

---

(١) حاد حيداً وحيْدة عن الطريق: مال عنه وعدل. حجر: أي دفع، والعرب تقول عند الأمر تنكره: حجراً له بالضم.

(٢) أَنبض القوس مثل أنضبها: جذب وترها لتصوّت، وأنبض بالوتر إذا جذبه ثم أرسله ليزن، وأنبض الوتر أيضاً: جذبه بغير سهم ثم أرسله، والأنباض أن تمد الوتر ثم ترسله فتسمع له صوتاً «لسان العرب ٧/ ٢٣٥».

(٣) هو أبو تفر، وأبو ضبينة الطرماح بن حكيم بن الحكم من طيء. كان شاعراً فحلاً وخطيباً مفوهاً. نشأ في الشام، وانتقل إلى الكوفة. قيل أنه أعتقد مذهب الخوارج الأزارقة. كان معاصراً للكميت ابن زيد، وتربطه معه صداقة وثيقة. قيل للكميت: كيف اتفقتما وأنت كوفي نزاري شيعي، وهو شامي قحطاني خارجي؟ فقال اتفقنا على بغض العامة. توفي سنة ١٠٠هـ ويحتمل بعد هذا التاريخ. له ديوان شعر صغير طبع بإنكلترا مع ديوان الطفيل بن عوف.
ترجمته في: الأغاني ١٢/ ٣١، الشعر والشعراء/٤٨٩، تاريخ آداب اللغة لزيدان ٣١٦/١، جمهرة أشعار العرب/٣٥٦، حماسة أبي تمام ـ مختصر شرح التبريزي ١١٦/١، أنوار الربيع ١/هـ ٩٠.

(٤) مغار الفتل: محكمه وهو اسم مفعول من أغار الحبل إغارة وغارة: أي شد فتله. يذْبل: بالفتح ثم السكون، هو جبل مشهور الذكر بنجد في طريقها. قال أبو زياد: يذْبل، جبل لباهلة مضارع ذبل إذا استرخى، وله ذكر في شعرهم. «معجم البلدان ٥/ ٤٣٣».

قالوا: إن هذا لا يغني عنك، فهل غير ما أنت فيه؟ فقال [من الرجز]:

الـــشِّـــعْـــرُ صَـــعْـــبٌ وطَـــويـــلٌ كَـــرَمُـــهْ
إذا ارتـــقَـــى فـــيـــه الـــذي لا يَـــعْـــلَـــمُـــهْ
زَلَّـــتْ بـــه إلـــى الـــحَـــضِـــيـــض قَـــدَمُـــهْ
يـــريـــدُ أَن يـــعـــربـــه فَـــيُـــعْـــجِـــمُـــهْ

فقالوا: يا أبا مليكة ألك حاجة؟

قال: لا، ولكن أخرج على المديح الجيد مدح به من ليس له أهلاً.

قالوا: هذا مما كنت فيه، فقال [من الرجز]:

كـــنـــتُ أحـــيـــانـــاً شـــديـــدَ الـــمـــعـــتَـــمَـــدْ
وكـــنـــتُ ذا غـــربٍ عـــلـــى الـــخَـــضْـــمِ الألَـــدّ[1]
وَرَدَتْ نـــفـــســـي ومـــا كـــانـــتْ تَـــرِدْ[2]

قالوا: فهل متى تعهد إلينا فيه؟

قال: نعم، تحملوني على أتان وتتركوني راكبها حتى أموت، فإن الكريم لا يموت على فراشه، والأتان ما لم يمت عليه كريم قط، فحملوه على أتان وجعلوا يذهبون به ويجيئون حتى مات، وهو يقول [من الرجز]:

لا أَحَـــدْ أَلْـــأَمُ مِـــن حُـــطَـــيَّـــهْ
هـــجـــى بَـــنِـــيـــهِ وَهَـــجَـــى الـــمُـــرَيَّـــهْ
مِـــنْ لـــؤمِـــهِ مـــاتَ عـــلـــى فُـــرَيَّـــهْ[3]

وأقول: إنّما أراد إنه كريم، وإذا حمل على الأتان فعسى أن يسلم من الموت لشدّة جفائه.

---

(١) كنت ذا غرب: أي كنت ذا حدّ، ومنه غرب السيف: أي حدّه.
(٢) وردت: أشرفت.
(٣) الأغاني ٢/١٨٧ ـ ١٩٠.

وعاش أبو بحر الأحنف سبعين سنة، وكانت إحدى عينيه ذهبت في فتح سمرقند.

وتوفي بالكوفة لما وردها مصعب بن الزبير سنة سبع أو ثمان وستين من الهجرة، رحمه الله تعالى، وقيل إنه كبر جدّاً.

وحكى ابن يونس في تأريخ مصر المختص بالغرباء: إن عُتْبة بن أبي معيط قال: كنت ممن نزل في قبر الأحنف فلما سوّيته رأيته قد فسح له مدّ بصره[1].

❀ ❀ ❀

وطَخارستان، بفتح الطاء المهملة والخاء المعجمة والألف والراء والسين المهملة الساكنة والتاء المثناة الفوقية بعد الألف ثم نون: إقليم متسع من وراء نهر جيحون، ما بينه وبين الصُغُد، ويعرف ببلاد الهياطلة.

وحسبنا الله ونستغفره ونتوب إليه عما طغى به القلم إنه هو التواب الرحيم، لا إله إلا هو وإليه المصير.

[خاتمة الجزء الأول من تجزئة المؤلف]

انتهى الجزء الأول من «نسمة السحر بذكر من تشيّع وشعر».

ومن أثناء حرف الجيم إلى هنا بخط جامعه العبد الفقير يوسف بن يحيى بن الحسين بن المؤيد بالله محمد بن المنصور بالله، غفقر الله له وسامحه.

انتهت كتابته يوم الجمعة ٢٩ شهر جمادى الأولى سنة ١١١٩هـ.

ويتلوه الجزء الثاني إن شاء الله تعالى[2]

---

(١) وفيات الأعيان ٢/٥٠٤.

(٢) جاء في آخر نسخة ـ ب ـ ما نصه:

وافق الفراغ من زبر هذا، آخر نهار الخميس ٧ شهر الله محمد الحرام.

(٣) وفي آخر نسخة ـ ج ـ ما نصه:

«كتبه ابن محمد حسين، عبد الله التبريزي في الغري، على مشرفها آلاف التحية، في شهر جمادى الثاني سنة ١٣٥١».

حرفُ الطّاء

[٨٧]

الملك الصَّالح أبو الغارات طلايع بن رُزِّيك(*) ويلقب أيضاً فارس المسلمين نصير الدين.

فاضل اجتمعت فيه متفرقات المحاسن، فكان ينظم اللؤلؤ في أجياد ظبا المعاني نظمه المرّان، في أسود الجواش بهمّةٍ لا يطيقها المرّيخ وان علا، وفضل يقصر مِقْول سحبان عن وصفه وان غلا، وجود يكسو خدّه الغمام حمره، ويجعل الحياء آية إذا أرسل الغبره، وعلم موشّع بالأدب، توشيع العقود بالذهب.

وكان فاضلاً عالماً حسن السياسة، جواداً شجاعاً شاعراً مجيداً، وله كلّ معنى بديع وله ديوان شعر.

وقال أحمد بن علي المقريزيّ في أخباره أنه قدم في أوّل أمره إلى زيارة مشهد الإمام علي عليه السلام بأرض النجف من العراق في جماعة من الفقراء، وإمام مشهد الإمام عليّ عليه السلام يومئذٍ السيّد ابن المعصوم، فزار طلايع وأصحابه، وباتوا

(*) ترجمته في:

وفيات الأعيان ٢/٥٢٦ ـ ٥٣٠، الخطط المقريزية ٢/٢٩٣، دول الإسلام ٢/٥١، مرآة الزمان ٨/٢٣٧، خريدة القصر ـ قسم شعراء مصر ١/١٧٣ وفيه: «يقال: ان المهذب بن الزبير كان ينظم له» يعني شعره. الاعلام ط ٤/٣/٢٢٨، الطليعة ـ خ ـ ترجمة ١٣٣، النكت العصرية ١/٣٢ وما بعدها، النجوم الزاهرة ٥/٣٤٥، شذرات الذهب ٤/١٧٧، الغدير ٤/٣٤١، أعيان الشيعة ٣٦/٣٢٨ ـ ٣٣٥، أدب ألطف ٣/٩٤ ـ ١٢٥. وقد جمع د. أحمد أحمد بدوي ديوانه بمصر [دت]، كما جمع د. محمد هادي الأميني ديوانه ط النجف ١٩٦٤، وألحق بمقدمته ثبتاً مفصلاً عن مصادر ترجمته.

هناك فرأى ابن معصوم في منامه الإمام علياً عليه السلام يقول له: قد ورد عليك الليلة أربعون فقيراً من جملتهم رجل اسمه طلايع بن رزيك من أكابر محبينا فقل له: اذهب فقد ولّيناك مصر، فلمّا أصبح أمر من ينادي: من فيكم اسمه طلايع بن رزيك فليقم إلى السيد ابن المعصوم، فجاء طلايع وسلّم عليه فقصّ عليه ما رأى، فسار حينئذٍ إلى مصر وترقى في الخدم حتى ولي منية ابن خصيب، فلما قتل نصر بن عباس الخليفة الظافر إسماعيل بعث نساء القصر إلى طلايع ليستعنّ به في الأخذ بثأره وجعلن في طي الكتاب شعور النساء، فجمع طلايع الناس وسار يريد القاهرة لمحاربة الوزير عباس، فلما قرب من البلد فرّ عبّاس ودخل طلايع القاهرة، فخلعت عليه خلع الوزارة ونعت بالملك الصالح، فارس المسلمين، نصير الدين، فباشر البلاد أحسن مباشرة، واستبدّ بالأمر لصغر سنّ الخليفة الفائز بنصر الله إلى أن مات الفائز، وقام بالأمر العاضد لدين الله عبد الله بن محمّد وبايع له وكان صغيراً لم يبلغ الحلم، فقويت حرمة طلايع وازداد تمكّنه من الدولة، فثقل على أهل القصر لكثرة تمكّنه واستبداده بالأمر، فوقف رجال بدهليز القصر وضربوه بأسيافهم حتى سقط على وجهه وحمل جريحاً لا يعي إلى داره فمات يوم الاثنين تاسع عشر رمضان سنة ست وخمسين وخمسمائة.

وكان شجاعاً كريماً جواداً فاضلاً، محبّاً لأهل الأدب، جيّد الشعر، رجل وقته فضلاً وعقلاً وسياسة وتدبيراً، وكان مهاباً في شكله، عظيماً في سطوته، وجمع أموالاً عظيمة، وكان محافظاً على الصلوات فرائضها ونوافلها، شديد المغالاة في التشيع، صنّف كتاب «الاعتماد في الردّ على أهل العناد» وناظرهم عليه وهو يتضمّن إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام والكلام على الأحاديث الواردة في ذلك، وله شعر يشتمل على مجلدين في كل فنّ، فمنه في اعتقاده.

يـا أُمّـة، سَـلَـكَـتْ ضَـلاَلاً بَـيِّـنـاً ... حَـتَّـى استَـوَى إِقْـرَارُهَـا وَجُـحُـودُهَـا
قُـلْـتُـم إِلَـى انّ الـمـعَـاصِـيَ لَـمْ تَـكُـنْ ... إِلاَّ بِـتَـقْـدِيـرِ الإِلَـهِ وَجُـودُهـا
لَـوْ صَـحَّ ذَا كَـانَ الإِلَـهُ بِـزَعْـمِـكُـمْ ... مَـنَـعَ الـشَّـرِيـعَـةَ أَنْ تُـقـامَ حُـدُودُهَـا
حَـاشَـا وكَـلاَّ أَنْ يَـكُـونَ إِلٰـهُـنَـا ... يَـنْـهَـى عَـنِ الـفَـحْـشَـاءِ، ثُـمَّ يُـرِيـدُهَـا[1]

(١) الخطط المقريزية ٣/٢٦٠ ـ ٢٦١، ديوانه ط بدوي ٤٦، ديوانه ط الأميني ٧٢.

قلت: وذكرها الصفدي في تذكرته أيضاً.

قال المقريزي: وله قصيدة سمّاها «الجوهرية، في الردّ على القدرية»، وجدد الجامع الذي بالقرافة الكبرى ووقف ناحية المفس[1] على أن يكون ثلثاها على الأشراف من بني الحسن والحسين بن عليّ عليهما السلام وتسعة قراريط منها على اشراف المدينة النبوية، وجعل منها قيراطاً على مسجد أمين الدولة، واظهر مذهب الإماميّة وهو مخالف القوم، وباع ولايات الأعمال للأمراء بأسعار مقررة وجعل مدة كل متولٍ ستة أشهر، فتضرر الناس من كثرة تردد الولاة على البلاد وتعبوا من

---

(١) في الخطط المقريزية: «ناحية بلقس».

في هامش نسخة ب:

«قال ضامن بن شدقم: وهذا الوقف أعني «بلقيس» باقٍ إلى يومنا هذا يأتي مغله كل زمن إلى الحرمين المحترمين ويفرق على يد نقيب السادة الأشراف بني حسين أهل المدينة كبيراً وصغيراً غنياً وضعيفاً، ولا يعلمون موقفه إلاّ الخاص منهم فيدعون لواقفه، ومنهم من يعتقد أنه من السلطة العثمانية، واعتقادهم ليس بصواب، فلم يزل يجري هذا الوقف على السادة بني حسين إلى سنة... فحصل بين السادة مضاغنة وعداوة في منصب النقابة فبذلوه لملك الحرمين المحترمين الشريف إدريس بن حسن الحسني.

وفي سنة ١٠٣٩ توجه محمد بن صالح بن عامر الحياري الحسيني المدني إلى خدمة السلطان مراد خان ملتمساً منه إعادة هذا الوقف إلى مستحقيه مع أربعة آلاف أردب حنطة مصرية وألف وخمسمائة أحمر أشرفي أوقفها جدّه السلطان مراد خان بسعي النقيب أحمد بن سعد بن علي بن شدقم الحسيني المدني فأمر بإجراء الجميع كما قال رسول الله ﷺ: «شرط الواقف كنص الشارع» وذلك بعد المراجعة منه إلى الدفاتر السلطانية، فعاد محمد بن صالح إلى المدينة المنورة مستر الخاطر في شعبان سنة ١٠٣٩.

وفي شهر ذي القعدة لهذا العام وصلت الدراهم مع الحاج الشامي واستلمها محمد فطلب السادة الأشراف بني حسين الفاطميين بالمدينة ليفرقها عليهم، فامتنعوا عنها خوفاً ورعباً من الشريف زيد بن محسن بن حسين بن حسن بن أبي نمي الحسني، ففرقها على شيوخ بني حسين البادية، وأخذ منهم عهوداً ومواثيق على كتاب الله عز وجل على أن يكونوا تحت أمره وطاعته على ما أمر الله سبحانه ورسوله ﷺ، وسافر لهذا العام مع الحاج الشامي لمراجعة السلطان مراد، فأعطاه جميع ما أراد منه، وتوجه إلى مصر بأوامر سلطانية للباشا، فأتت إلى الباشا خطوط بني حسين الناكثين للعهد، ونفيه للسيادة وذلك طمعاً لبدو المصلحة الفورية وترك الأخروية، فصارت الألف والخمسمائة مناصفة بين الشريف وبين بني حسين مختصة بالقاطنين بالمدينة، فعيّنوا لمحمد من خاصتهم مأتي أحمر كل سنة.

وفي سنة... إحتوى الشريف على المائتين للبغي والحسد بينهم». تحفة الأزهار ـ خ ـ ٣/ ٢٩١ ـ ٢٩٢.

ذلك، وكان له مجلس بالليل يحضره أهل العلم ويدونون شعره، ولم يترك مدة أيامه غزو الفرنج وتسيير الجيوش لقتالهم في البر والبحر، فكان يخرج البعوث في كل سنة مراراً، وكان يحمل لأهل الحرمين من الأشراف كلّ سنة سائر ما يحتاجون إليه من الكسوة وغيرها حتى إنه يحمل إليهم ألواح الصبيان التي يكتب فيها والأقلام وآلات النسخ، ويحمل كل سنة إلى العلويين الذين بالمشاهد جملاً كثيرة، فرحمه الله ورضي عنه.

وكان أهل العلم يفدون عليه من كلّ جانب من سائر البلاد فلا يخيب أمل قاصد منهم، فلمّا كانت الليلة التي قتل في صبيحتها قال: هذه الليلة ضرب في مثلها الإمام عليّ، وأَمر بقراءة مقتله واغتسل وصلّى على رأي الأمامية مائة وعشرين ركعة أحيى بها ليله، وخرج ليركب فعثر وسقطت عمامته عن رأسه وتشوش لذلك، فقعد في دهليز دار الوزارة فأمر فاحضر ابن الصيف. وكان يتعمم للخلفاء والوزراء وله على ذلك الجاري الثقيل فلمّا أخذ في إصلاح العمامة قال رجل للصالح: [نعيذ بالله] مولانا ويكفيه مثل هذا الذي جرىٰ يتطير منه، فإن رأى مولانا أن يؤخّر الركوب فعل، فقال: الطيرة من الشيطان، ليس إلى تأخير الركوب سبيل، ثم ركب فكان من ضربهِ ما كان(١) رحمه الله تعالى وعفى عنه ورضى.

وقال الصلاح الصفدي في شرح الجهورية: كان الصالح بن رزيك قد ألزم الأثير بن بيان بمال رفع عليه لكونه كان يتولّى أموالاً له فأرسل إليه يمتّ بقديم الخدمة والتشيع الموافق لمذهبه فقال الصالح:

أتى ابن بيان ببهتانه ... يحصّن بالدين ما في يديه

بريت من الرفض إلاّ له ... وتبت من النصب إلاّ عليه(٢)

فكان المال ستين ألف دينار فأخذ منه اثني عشر ألفاً وترك له الثاني.

قلت: لو بذل نصراني الإسلام في زماننا على أن يحط عنه خمسون ديناراً لما قبل منه فرحمة الله على الصالح وبركاته.

وما أخال أَمّ الليالي تلد مثله فهو سعيد الدارين، وكأنما نَشْرُ المسك من

---

(١) الخطط المقريزية ٣/ ٢٦١ ـ ٢٦٢.

(٢) ديوانه.

مناقبه، وهكذا فلتكن شيعة وصي رسول الله ﷺ.

وذكر ابن خلكان: أنه ولد في التاسع عشر من شهر ربيع الأول سنة تسع وأربعين وخمسمائة[1] وأورد من بديع اغزاله:

وَمُهَفْهَفٍ، ثَمِلِ القَوَامِ، سَرَتْ إِلَى ... أَعْطَافِهِ النَشَوَاتُ مِن عَيْنَيْهِ[2]

مَاضِي ٱللّحَاظِ كأنَّما سَلَّتْ يَدِي ... سَيْفِي غَدَاةَ الرَّوْعِ مِن جَفْنَيه

قَدْ قُلْتُ إذْ خَطَّ العِذَارُ بِمِسْكه ... فِي خَدِّهِ أَلِفَيْه لاَ لاَمَيْه:

مَا الشَّعْرُ دَبّ بِعَارِضَيْهِ، وإنَّمَا ... أَصْدَاغُهُ نَفَضَتْ عَلَى خَدَّيْهِ

النَّاسُ طَوْعُ يَدِي، وأَمْرِي نافذٌ ... فِيهِمْ، وَقَلْبِي الآنَ طَوْعُ يَدَيْهِ

فَاعْجَبْ لِسُلْطَانٍ يَعُمُّ بِعَدْلِه ... وَيجُورُ سُلْطَانُ الغَرَامِ عَلَيْهِ[3]

هذا الشعر لا تلحق كمّيته حسناً ومتانة وحلاوة ورقة، ويعرف من تركيبه أنه شعر ملك، والبيت الثاني والخامس مشتمل على إدماج الحماسة في الغزل وهو الافتتان، والخامس يشبه شعر الرشيد في حظاياه الثلاث وهنّ خنث وتلقب ذات الخال لخال كان على شفتها، وسحر وضيا.

قال الأصبهاني: لمّا حج الرشيد آخر حجّاته كان الناس يتناشدون قوله في جواريه المذكورات:

ملك الثلاث الآنسات عناني ... وحللن من قلبي بكل مكانِ

مالي تطاوعني البرية كلّها ... وأطيعهن وهُنَّ في عصيانِ

ما ذاك إلاّ أن سلطان الهوى ... وبه قوين أعزَّ من سلطاني

---

(١) وهم المؤلف في نقل النص من وفيات الأعيان، والنص هو «وكانت ولايته ـ لاولادته ـ في التاسع عشر. . . الخ» أنظر الوفيات ٢/٥٢٦ .

والصواب من الوفيات ٢/٥٢٨: «وكانت ولادته سنة خمس وتسعين وأربعمائة».

(٢) المهفهف: الضامر البطن، الدقيق الخصر. والثمل: السكران. ، والأعطاف: الجوانب، والنشوات: جمع نشوة، وهي السكر.

(٣) خريدة القصر ١/١٧٧، وفيات ٢/٥٢٧، شذرات الذهب ٤/١٧٧، الوافي بالوفيات ٥/ق١/٢١٣، ديوانه ط بدوي ٣٦، ديوانه ط الأميني ١٧٤.

وقال المستعين بالله المرواني[1] صاحب قرطبة[2] يعارضها:

عجباً يهاب الليث حدّ سناني ... وأخاف لحظ فواتر الأجفانِ
وأقارع الأهوال لا متهيباً ... منها سوى الأعراض والهجران
وتملكت قلبي ثلاث كالدمى ... زهر الوجوه نواعم الأبدان
هذي الهلال وتلك أخت المشترى ... حسنا وهذي أخت غصن البان
حاكمت فيهنّ السلوّ إلى الصّبا ... فقضى بسلطان على سلطان
لا تعذلوا ملكاً تذلّل في الهوى ... ذلّ الهوى عزٌّ وملك ثاني
إن لم أطع فيهن سلطان الهوى ... كلفاً بهن فلست من مروان[3]

وذكر الثعالبي: إنه كان للرشيد في بعض قصوره عشرون مقصرة، في كل

---

(١) في الأصل: «المرواني» وما أثبتناه من المراجع الأخرى.

(٢) إبراهيم بن علي بن عثمان بن يعقوب المريني، أبو سالم؛ السلطان المستعين بالله: من ملوك بني مرين في المغرب الأقصى، من بني عبد الحق بن محيو، كان أخوه أبو عنان (فارساً) قد بعثه إلى الأندلس، فاستقر بها إلى أن مات أبو عنان وبويع لإبنه الطفل (أبي بكر السعيد بالله) فركب أبو سالم البحر إلى ساحل بلاد غمارة، ودعا أهل المغرب لمبايعته، فأقبلوا عليه. وكان يدير مملكة أبي بكر وزير اسمه «حسن بن عمر الفودويّ» فخلع صاحبه، واستقبل أبا سالم مبايعاً (سنة ٧٦٠هـ» فاستقر في فاس الجديدة. وكان من رجاله المؤرخ الأشهر «ابن خلدون» فولاه توقيعه وكتابة سره. وارتاب بحسن الفودوي، بما في نفس السلطان فترك مراكش ولحق بتادلة خارجاً عليه بجماعة من بني جشم، فأرسل السلطان من جاءه به فشهره ثم قتله. ونهض إلى تلمسان فاستولى عليها وأخضع «بني زيان» ورأى أن يجعل مقامه في قصبة فاس القديمة، فانتقل إليها، وخلف أحد وزرائه (عمر بن عبد الله الفودوي) أميناً على فاس الجديدة، وكان في صدر هذا حزازات على السلطان، فلما خلا له الجو اتفق مع قائد جند «النصارى» واسمه «غرسية بن أنطول» «Garcia fils d'Anatolc» على خلعه، وعمدا إلى موسوس من بني مرين اسمه تاشفين (من أبناء السلطان علي بن عثمان) فألبساه شعار الملك، وأعلن عمر الفودوي الثورة على أبي سالم ومبايعة تاشفين (الموسوس) وأمر بالطبول فقرعت. وهجم الجند على بيت المال فنهبوه. وعمت البلد الفوضى، فوصل الخبر إلى أبي سالم، فأقبل يريد الدخول، فلم يستطع، وتفرق عنه رجاله. فغير لباسه وأوى إلى وادي «ورغة» فعرفه بعض رجال الفودوي فقبضوا عليه وحملوه على بغل، فأمر الفودوي بقتله فقتل سنة ٧٦٢هـ وحمل إليه رأسه في مخلاة. قال لسان الدين ابن الخطيب: كان السلطان أبو سالم بقية البيت ـ يعني المريني ـ وآخر القوم دماثة وحياءاً وبعداً عن الشرور. مدته سنتان و٣ أشهر و٥ أيام.

ترجمته في: الاستقصا ٢: ١٠٤ ـ ١٢٣ والحلل الموشية ١٣٥ وجذوة الاقتباس ٨٣، الاعلام ط ٥٢/١/٤.

(٣) خريدة القصر/قسم الشام ٢/٢٨٦.

مقصورة عشر حظايا من حواريه، فأحسّ إحداهن تترنّم فإذا هي تضرب بعودها وتقول:

ألا يــا دار كــم تــحــويــن ... مــن ظــرف ومــن غــلــمــهْ
أأيــــرٌ واحــــد فــــيــــك ... يــكــافــي مــاءتــي حــرمــهْ
مــتــى يــرقــع طــيّــان ... ضــعــيــف مــاءتــي ثــلــمــهْ

فدخل عليها فاستحيت، فقال: لا عليك أعيدي فأعادت، فقال: والله ما بي الشعر ولكن أن جعلتني طيّانا ضعيفاً ثم قرّبها منه بعد ذلك.

وللملك الصالح طلايع المذكور:

كَـمْ ذَا يُـريـنَـا الـدَّهـرُ مـن أحـداثِـه ... عِـبَـراً، وفـيـنـا الـصّـدُّ والإعـراضُ؟!
نَنْسَى الـمَـمَـاتَ، وَلَيْسَ تَجْرِي ذِكْرُهُ ... فِـيـنَـا، فَـتُـذْكِـرُنَـا بِـهِ الأَمْـرَاضُ[1]

وروى ابن خلكان عن أبي الحسن علي بن إبراهيم بن نجا بن غنائم الأنصاري الملقّب زين الدين الحنبلي المعروف بابن نُجَيَّة[2] الواعظ الدمشقي[3] المشهور قال: انشدني طلايع بن رزّيك لنفسه بمصر:

مَـشِـيـبُـكَ قَـدْ نَـفَـا صِـبْـغَ الـشَّـبَـابِ ... وَحَـلَّ الـبَـازُ فِـي وَكْـرِ الْـغُـرَابِ
تَـنَـامُ وَمُـقْـلَـةُ الـحـدْثَـانِ تَـقْـضَـى ... وَمَـا نَـابُ الـنَّـوَائِـبِ عَـنْـكَ نَـابِـي
وَكَـيْـفَ بَـقَـاء عـمْـرِكَ وَهْـوَ كَـنْـزٌ ... وَقَـدْ أَنْـفَـقْـتَ مِـنْـهُ بِـلاَ حِـسَـابِ[4]

قال: وممن قصده المهذب عبد الله بن أَسعد الموصلي نزيل حمْصَ من

---

(١) وفيات الأعيان ٢/ ٥٢٦، النجوم الزاهرة ٥/ ٣١٤، البداية والنهاية ١٢/ ٢٤٤، الوافي بالوفيات ٥/ ق١/ ٢١٤، ديوانه بدوي ٤٢.

(٢) في الأصل: «نخبه» وما أثبتنا من الوفيات.

(٣) زين الدين، علي بن إبراهيم الواعظ المعروف بابن نُجَيْة، ولد سنة ٥٠٨هـ بدمشق ونشأ بها وقدم بغداد مراراً، وصاهر أبا الحسن سعد الخير بن محمد بن سهل بن سعد البلنسي الأنصاري الأندلسي على ابنته أم عبد الكريم فاطمة، وانتقل قبل وفاته إلى مصر، وحدّث بها، وتوفي يوم الأربعاء ٨ رمضان سنة ٥٩٩ بمصر.

ترجمته في: وفيات الأعيان ٢/ ٥٣٠، ذيل الروضتين ٣٤، ذيل ابن رجب ١/ ٤٣٦.

(٤) وفيات الأعيان ٢/ ٥٢٧، الوافي بالوفيات ٥/ق١/ ٢١٤، خريدة القصر ١/ ١٧٥، النجوم الزاهرة ٥/ ١٤، البداية والنهاية ١٢/ ٢٤٤، ديوانه ط بدوي ٣٩.

الموصل ومدحه بقصيدة كافية أبدع فيها وأوّلهَا:

أمـا كَـفَـاكَ تـلافـي فـي تَـلافِـيـكـا ... ولَـسْـتَ تَـنـقِـمُ إلا فـرْطَ حُـبِّـيـكـا
وفِـيـمَ تَـغْـضَـبُ أنْ قـالَ الـوُشـاة سَـلا ... وأنـتَ تَـعْـلَـمُ أنـي لَـسْـتُ أسْـلُـوكـا

ومنها

لا نِلتُ وصْلَكَ إنْ كَانَ الذي زَعَموا ... ولا شَفى ظَمَئي جُودُ ابنِ رُزِّيكا[1]
أأمدح الترك أبغي الجود عندهم ... والشعر ما زال عند الترك متروكا

❁ ❁ ❁

فأجاد جائزته كعادته.

قال: وكان المهذب[2] فقيهاً شافعياً أديباً فاضلاً شاعراً ولما ضاقت به الحال بالموصل عزم على قصد الصالح وعجزت قدرته عن استصحاب زوجته فكتب إلى الشريف ضياء الدين أبي طاهر محمد بن محمد بن عبيد الله الحسيني نقيب العلويين بالموصل هذه الأبيات:

وذات شَجْوٍ أسال البَينُ عَبْرَتها ... باتت تؤمِّلُ بالتفنيد إمساكي
لَجّتْ فلما رأتني لا أُصيخُ لها ... بَكَتْ فأقرح قلبي جفنُها الباكي
قالت وقد رأتِ الأجمالَ مُحْدَجةً ... والبينُ قد جمع المشكوَّ والشاكي
منْ لي إذا غبتُ في ذات المحل قلتُ لها ... الله ثم وابنُ عبيدِ الله مولاكِ
لا تجزعي بانحباسِ الغَيثِ عنكِ فقد ... سألتُ نَوْءَ الثريّا جَوْدَ مَغْنَاكِ[3]

فتكفّل الشريف لزوجته بجميع ما تحتاج إليه مدّة غيبته.

قال العماد: وكان في المهذب تمتمة تسفر عن فصاحة تامة، أذكرني قوله: «والشعر ما زال عند الترك متروكا» قول أبي إسحاق إبراهيم الغزي الشاعر المشهور في مدحهم بالشجاعة والجمال ولم أسمع بمثله:

---

(١) وفيات الأعيان ٢/٥٢٧.

(٢) ترجمته في: وفيات الأعيان ٣/٥٧ ـ ٦١، خريدة القصر ـ قسم الشام ٢/٢٧٩، طبقات الشافعية للسبكي ٤/٢٣٣، تهذيب ابن عساكر ٧/٢٩٢، العبر للذهبي ٤/٢٤٣، شذرات الذهب ٤/٢٧٠، وقد نشر ديوانه الأستاذ عبد الله الجبوري ط بغداد ١٩٦٨.

(٣) وفيات الأعيان ٣/٥٧، ديوانه ١٨٢.

وفتية من كماة الترك ما تركت ... للرعد صولاتهم صوتاً ولا صيتا
قوم إذا قوبلوا كانوا ملائكة ... حُسناً وإن قوتلوا كانوا عفاريتا
مدّت إلى النهب أيديهم وأعينهم ... وزادهم صغراً الأحداق تثبيتا

❁ ❁ ❁

وذكر ابن خلكان صفة قتل الصالح بأبسط مما ذكر المقريزي فإنه قال: لمّا مات الفايز بالله وتولّى العاضد استوزره وبسط يده واستولى على الحلّ والعقد، وكان العاضد في حكم الأسير معه فأعمل الحيلة في قتله، واتفق مع قوم من أجناد الدولة يُعرفون بأولاد الراعي وتقرّر ذلك بينهم وعيّن لهم موضعاً في القصر يجلسون فيه مجتمعين فإذا مرَّ بهم الصالح ليلاً أو نهاراً قتلوه، فقعدوا له ليلة وخرج من القصر فقاموا فخرجوا إليه وأراد أحدهم أن يفتح الباب فأغلقه وما عَلِم فلم يحصل مقصودهم تلك الليلة لأمر أراده الله في تأخير الأجل، ثم جلسوا له يوماً آخر فدخل القصر نهاراً فوثبوا عليه فجرحوه جراحات عديدة بعضها في رأسه فوقع الصوت فعاد أصحابه، فقتلوا الذين جرحوه، وحمِل إلى داره مجروحاً ودمه يسيل فأقام بعض يوم، ومات يوم الاثنين في التاريخ المذكور، وخرجت الخلع لولده العادل أبي شجاع فتولى الوزارة[١].

وقال الفقيه: أبو محمد عمارة اليمني[٢] يرثيه من قصيدة أجاد فيها وأوّلها [من الطويل]:

أفي أهْلِ ذا النّادي عَلِيمٌ أُسائِلُهْ ... فإني لِما بي ذاهِبُ اللُّبِّ ذاهِلُهْ
سَمِعتُ حَدِيثاً تخرس الصُّمَّ عِندَهُ ... ويَذهَلُ واعِيهِ ويَخْرَسُ قائِلُه
وقدْ رابَنِي مِنْ شاهِدِ الحالِ أنّنِي ... أرى الدَّسْتَ مَنصُوباً وما فيهِ كافِله
فَهَلْ غابَ عَنْهُ واسْتَنابَ سَليلَهُ ... أم اخْتَارَ هَجْراً لا يُرَجّى تَواصُله
فإني أرى فَوقَ الوُجُوهِ كآبَةً ... تَدُلُّ على أنَّ الوُجُوهَ ثَواكِله
دَعُوني فما هذا أوانُ بُكائِهِ ... سيَأتِيكُمُ طَلُّ البُكاءِ ووابِله
ولا تُنكِرُوا حُزْني علَيهِ فإنّني ... تَقَشّعَ عَنّي وابلٌ كنت آمله
فيا لَيتَ شِعري بَعدَ حُسنِ فِعالِهِ ... وقد غابَ عَنّا ما بنا الله فاعِله

---

(١) وفيات الأعيان ٢/٥٢٨.

(٢) ترجمه المؤلف برقم ١٢٦.

أيُكرَمُ مَثوَى ضَيفكمْ وغَريبكمْ فيَمكثَ أمْ تُطوَى ببَينٍ مَراحِله
ولِمْ لا نُبكّيهِ ونَنْدُبُ قَبْرَهُ وأوْلادُنَا أيْتامُهُ وأرامِله[1]

قلت: كأنّما كان عمارة ينظر إلى الغيب من ستر رقيق في قوله: «سيأتيكم طَلُّ البكاء ووابله» فإنها زالت الدولة بسوء تدبير العاضد حيث استأمن من أعداهم حتى مات مسموماً وبكوا دماً وما رأوا إلاّ ندماً. وبقوله «ما بنا الله فاعله» كأنّه يشير إلى شنقه بسبب رثائهم كما نذكره إن شاء الله تعالى.

ودفن الصالح في القاهرة بدار الوزارة، ثم نقله ولده العادل بعد ذلك إلى القرافة الكبرى، وركب العاضد خلف تابوته، وأنشد الفقيه عمارة قصيدة منها:

وكأنه تابُوتُ مُوسى أُودِعَتْ في جانِبَيهِ سَكينَةٌ ووقَارُ[2]

وقد ذكرنا في أخبار راجح الحلّي[3] أنّه أخذ أكثر ألفاظ هذه القصيدة ومعانيها.

ومن عماير الصالح؛ الجامع الذي على باب زويله بظاهر القاهرة.

ثم استولى شاور السعدي[4] على الوزارة وهرب منه العادل بن الصالح إلى إطفيْح، وحمل من الذخائر ما لا يحصى ومعه أهله وحاشيته. واستجار بسليمان وقيل: يعقوب بن العيص[5] اللخمي، وكنيته: أبو السُفن، وكان من خواص أصحابهم وحصّل من جهتهم نعمة وافرة، فأنزلهم عنده وسار من ساعته إلى شاور وأعلمه بهم، فأرسل معه جماعة أحاطوا بالعادل في دار سليمان وأحضروه إلى باب شاور فوقف زماناً طويلاً ثم حبسه.

وقال شاور ليعقوب: لقد خبّاك خير الصالح ذخيرةً صالحة، وأنا أيضاً أُخبؤك لولدي ثم شنقه[6].

---

(١) وفيات الأعيان ٢/٥٢٨ ـ ٥٢٩. كاملة في النكت العصرية ٣٠٢ ـ ٣٠٤.
(٢) وفيات الأعيان ٢/٥٢٩.
(٣) ترجمه المؤلف برقم ٧٢.
(٤) مرّت ترجمته بهامش سابق.
(٥) في الوفيات: «النيص» وفي نسخة أخرى من الوفيات «الفيض».
(٦) وفيات الأعيان ٢/٥٢٩.

قلت: أحسن فيه، ثم إن شاورا قتل العادل في الحبس بعد مدة[١].

قلت: العاضد كان ركيك الرأي فكان من علامة إدبارهم أن الوزارة تؤخذ بالسيف بين الأعيان فمن غلب خرجت له الخلع في آخر دولتهم، ثم تعقّب ذلك أنه استنجد بنور الدين محمود صاحب دمشق فأنجده بأمير اسمه شيركوه وكان شاور خشي من الإفرنج لأنهم جاسوا خلال الديار المصرية فلما تمكن شيركوه قتل شاوراً وكان شجاعاً مشهوراً، وفيه قال عمارة [من الكامل]:

ضجر الحديد من الحديد وشاور ... من نصر دين محمّد لم يضجرِ

حلف الزمان ليأتين بمثله ... حنثت يمينك يازمان فكفّرِ[٢]

فاستوزر العاضد شيركوه ولقبه أسد الدين فمات قريباً، فاستوزره صلاح بن يوسف بن أيوب ولقبه الصلاح، وكان سنّياً أشعري المذهب متعصباً يعادي الإسماعيلية وسائر الشيعة والمعتزلة، فلما تمكن غدر بولي النعمة فقطع خطبتة وسمّه واحتوى على القصور المشهورة بمن فيها وما فيها، وسبا الحرم، ونهب الأموال، وحبس الرجال، وأزال رسوم الشيعة، وجعل يوم عاشوراء عيداً، وحذف حيّ على خير العمل وغير ذلك.

ورأيت بخطّ والدي رحمه تعالى عند ذكر المقريزي صلاح الدين، ما صورته:

إبتدأ المقريزي تاريخه من حوادث سنة سبع وستين وخمسمائة ثم ذكر في تاريخه، بعد ذكره لتوبة صلاح الدين وتركه لشرب الخمر والغناء واللهو، ثم أنه دأب في إزالة الدولة الفاطمية وقطع دابرها ومحو آثارها فأعانه الله على ذلك[٣].

فانظر أيّها المتأمل تشفّي القوم من آل محمّدﷺ، وان كان العبيديون غير مرضيين عندنا لكن ذكره للفاطميين والغضّ منهم ما يدلك أنهم تركوا قول الله تعالى: «قل لا أسألكم عليه أجراً إلاّ المودة في القربى»[٤].

---

(١) وفيات الأعيان ٢/٥٢٩ ـ ٥٣٠.

(٢) النكت العصرية ٧٣.

(٣) السلوك لمعرفة دول الملوك ١/٥٣.

(٤) سورة: الشورى: الآية ٢٣.

إنتهى كلام والدي رحمه الله تعالى.

وقد أحببت أن أذكر ما ذكره جلال الدين السيوطي في أخبار مصر والقاهرة ممّا أخذ صلاح الدين بن أيوب بعد غدره بالعاضد من ذخائرهم لتهون الدنيا عند من رآه فإنّه ممّا لم يسمع بمثله. قال: وفي سنة سبع وستين وخمسمائة توفي العاضد بعد أن قطع صلاح الدين خطبته وخطب للمستضيء بنور الله العبّاسي فمات كمداً، وقيل: كان عليلاً بالاسهال فكتموا قطع خطبته، فاستولى صلاح الدين على القصر وما فيه، وكان عند العاضد من الذخائر مالم يكن عند أحد من الخلفاء.

ووجدوا في خزائنه زركش من السلاح والعقود والجواهر والسيوف المحلاة ما لم يحصر.

ووجد خيمة زركش لها ستة أعمدة فضّة عليها ست رصافيات بلور جملة ما صرف عليها أربعة عشر ألف دينار، وآمّا الخيام الدبيقي خمسمائة خيمة.

ووجدوا خيمة مدوّرة طول عمودها خمسة وعشرون ذراعاً، وأخرج الفسطاط الكبير المعروف بالمدوّرة كانت عملت بحلب سنة ٤٤٥ وأنفق عليها نيف وثلاثون ألف دينار، عامودها أربعون ذراعاً، ودور فلكته أربعة وعشرون شبراً، وقطرها ثمانية أشبار، ويحملها سبعون جملاً، ووزن رصافيتها الفضّة قنطاران، والذي على العواميد فضّة، وكان لا ينصبها إلا مائتا رجل وربما مات منهم اثنان ثلاثة.

وأمّا آلات الفضة ما يعلم قدرها إلاّ الله تعالى.

وأمّا أعمدة الخيم والآلات والبسط والفرش فما يعلم له قدر، ودسوت فضة برسم الطعام عشرون حملاً، سروج مثمنة خمسة آلاف سرج قيمة كل سرج سبعة آلاف دينار وما دونها إلى ألف دينار، وكان برسم الركوب أربعة آلاف سرج مثلها ودونها فسبكها الجميع، وأخذ منها آلات فضة مثل الحلق وغيرها زنتها ثلثمائة ألف، وأربعون ألف درهم، وأخرج أربعمائة قفص مملوءة من سائر الصياغات المحلاة بالذهب المعدومة النظير، ووجد نرجسيّات أربعة ألاف نرجسيّة وألفي بنفسجة فضّة، وأخرج ستة وثلاثين ألف قطعة بلور مزيكة بفضة من سائر الصنوف، أواني العنبر اثنان وعشرون قطعة، كافور ثمانمائة طبلة، وأخرج

من حاصل أربعة ألاف رزمة في كل رزمة فرش مجلس بمفرشه وبسطه وتعاليقه وسائر آلاته مخيطة بخيوط لم تُمَس ولم تفتق قماش البدن، ثمانمائة بدلة كاملة منها الشاش المرصع الذي للخدمة قيمته مائة ألف دينار وثلاثون ألف دينار، وكان فيه جوهر مثمن وزنه سبعة عشر رطلاً بالمصري بلخش من جملتها قطعة زنتها ثلاثة وعشرون مثقالاً حبة لؤلؤ زنة كلّ حبّة ثلاثة مثاقيل، وأخرج خمس قطع عود كل قطعة ما بين تسعة أذرع إلى عشرة أذرع، عنبر خام ألف قطعة زنة القطعة الواحدة ثلاثة آلاف مثقال قطامير صيني مائة يسع الواحد قنطاراً، ووجد منديل سمندل لا تعمل فيه النار طوله تسعة أشبار.

ووجد قطامير بلّور يسع الواحد سبعة عشر رطلاً إلى عشرين رطلاً.

ووجد طاووساً من ذهب عيناه ياقوت أحمر وريشه زجاج المينا المجرّا بالذهب، وديك من ذهب لا يشك إلا أنه ذو روح بعرفٍ أكبر ما يكون من الأعراف من ياقوت أحمر مرصّع بالدرّ والجوهر، وغزال مرصع وبطنه أبيض قد نظم من درّ وباقيه على لون الغزال، ومجمع سكارج من بلور بغطائه فتحه أربعة أشبار في مثلها بديع الصنعة، وأخرج صِفة بطيخة من كافور شبكة ذهب مرصّع وزن كافورها سبعون منّا ووزن ذهب شبكتها ستة آلاف مثقال، ووجد قطامير بلّور منقوش الجوانب برسم الشراب يسع كل واحد عشرين رطلاً.

ووجد قطعة حرير صفة بساط مربعة عملت سنة ثلاث وخمسين وثلثمائة فيها صور الأقاليم كلّها وهيئة مدينة رسول الله ﷺ وقبره ومكة وصفة الأنهار وكلّ إقليم باسمه وكلّها منسوج بالذهب والحرير من سائر الألوان مكتوب في آخرها: أمر بحملها المعزّ لدين الله شوقاً إلى حرم الله، وجملة ما أنفق عليها اثنان وعشرون ألف دينار.

ووجد أيضاً بيضة بلخش وزنها سبعة وثلاثون مثالاً، ووجد حصر، مكلّلة بالذهب والجوهر النفيس وجليل الدرّ في أُجانة من ذهب فيها الطلع والبلح والموز والرطب كله من الجواهر لا يغادر شيء من الخلقى.

ووجد مركباً عشارياً عمل في سنة ٤٦٦ لأجل البحيرة التي في القصر وزنه مائة ألف وستة وسبعون ألف وسبعمائة درهم فضّة، ومما صرف على المركب المذكور ثمن ذهب طلا ألفان وتسعمائة دينار وذلك خارج عن مقاذيفه وآلاته التي

فيه. وأمّا المراكب التي برسم النزّه في البحر فأخرج قماشها وآلاتها التي كانت تزخرف بها حين يركب الخليفة للنزهة فكان قيمتها أربعمائة ألف دينار.

وأمّا سرير الخليفة الكبير الذي كان يجلس عليه في القصر في يوم الموكب والأعياد فكان فيه من الذهب مائة ألف مثقال وعشرة آلاف مثقال.

وكان أبو محمد البازوري أنشأ للخليفة في وزارته سريراً فيه من الذهب مائة ألف وثلاثون ألف مثقال ورصّع بألف وخمسمائة وستين قطعة جوهر من سائر الألوان.

وأخرج الشمسة الكبيرة التي كانت تحمل في يوم الموكب زنتها ثلاثون ألف مثقال ذهباً وفيها من الفضة عشرون ألف درهم، ورصعت من الجوهر الملوّن بثلاثة آلاف قطعة.

وأخرج شمسه أُخرى لم يتم عملها وجد فيها سبعة عشر ألف مثقال.

وأخرج بياكير فضة برسم الورق زنتها مائة وسبعة أرطال بالمصري.

وإخرج صفة بستان أرضه من فضة مخرقة مذهبة وطينهُ مزند، وأشجار من فضة مصبوبة ملوّنة وثماره من غير زنته ثلاثة قناطير.

ووجد كثيراً من اللؤلؤ زنة كل حبّة مثقالان، ومن الياقوت الأزرق ما تزن كلّ قطعة سبعة عشر درهماً.

وأخرج قضيب زمرّد أخضر كان من نصاب مرآة طوله شبر وسمكة فوق الإبهام لا نظير له، وسبعمائة يتيمة من الجوهر وإبريقاً من الياقوت وإبريقاً عظيماً من حجر مايع.

ووجد خزانة ملأىٰ كتباً ليس في الإسلام لها نظير تشتمل على نحو ألفي ألف مجلد، منها بالخطوط المنسوبة مائة ألف مجلد، فأعطاها القاضي الفاضل، والباقي من سائر العلوم القديمة.

ووجد ألفين وأربعمائة ختمة وربعات بخطوط منسوبة كلّها محلاّة بالذهب.

هذا كلّه من الخزائن البرانيّة.

وأمّا الخزائن الجوّانية من الذهب العين والفضة ما يعلم أحد لها مقدار،

ونهب أكثر الذي قلناه وراحوا، ولا يبقى إلا الله تعالى.

وأمّا الخيل الخاص فكانت ألف فرس برسم الخليفة في اصطبل يعرف بالطارمة خمسمائة، وفي حارة زويلة يعرف بالجميزة خمسمائة، وممّا يحفظ عنهم إنهم لم يركبوا حصاناً أدهم ولا أضافوه إلى خيلهم.

قلت: والظاهر إنهم لا يستعملون الحيوان الأسود أصلاً فإنّ إسماعيلية اليمن لا يستعملون البقر السود في الحرث ونحوه، والعامة يعلّلون ذلك بعلّة بيّنة السخافة.

قلت: وسيأتي إن شاء الله تعالى رثاء عمارة لهم عند ذكره[1] وزيادات من أخبارهم.



ورُزِّيْك بضمّ الراء وكسر الزاي المشددة، وإسكان الياء المثناة من تحت ثم كاف آخره.

واطفيح بكسر الهمزة وإسكان المهملة وكسر الفاء وإسكان الياء المثناة من تحت وآخره حاء مهملة: اسم قرية وكورة من صعيد مصر، والله أعلم.

(١) ترجمه المؤلف برقم ١٢٦.

حرفُ الظّاء

[٨٨]

أبو منصور ظافر بن القاسم بن منصور بن عبد الله بن خلف بن عبد الغني المعروف بابن الحداد الاسكندري الشاعر المشهور(*).

فاضل صقلت فكرته صفحات المعاني صقلة المرهفات، فاحتلتها القلوب لمّا انسجمت غواني عن الإطراء معصرات، وحكت الحباب والمدام، بذوقها وحسن الانتظام، وسارت ذاليته في البلاد، أبهى من إرم برغم الفاضل والعماد، وكم رام معارضتها من ساوره العارض، فغرق في بحرها الغائظ الفائض، وهي:

لو كانَ بالصبرِ الجميل ملاذُهُ ... ما سَحّ وابلُ دَمعِهِ ورَذاذُهُ
ما زالَ جيشُ الحبِّ يَغزو قلبه ... حتى وهَى وتقَطَّعتْ أفلاذه
لم يَبقَ فيهِ مِنَ الغَرام بقيّة ... إلا رَسيسٌ يحتويهِ جُذاذه
مَنْ كانَ يرْغبُ في السلامةِ فليكنْ ... أبَداً مِنَ الحدَق المِراض عِياذُه
لا تخدَعنّكَ بالفتور فإنهُ ... نظرٌ يضرُّ بقلبكَ استلذاذه
يا أيها الرَّشأ الذي مِنْ طرفِهِ ... سهمٌ إلى حبّ القلوب نفاذُهُ
درٌّ يلوحُ بفيكَ مَنْ نظّامُهُ ... خمرٌ يجولُ عليهِ مِنْ نَبّاذه
وقناةُ ذاكَ القدِّ كيفَ تقَوَّمَتْ ... وسِنانُ ذاكَ اللحظ ما فُولاذُه
رِفْقاً بِنَفْسك لا تذوب فإنني ... أخشى بأنْ يَجني عليها لاذُهُ

(*) ترجمته في: معجم الأدباء ١٢/ ٢٧، خريدة القصر/ قسم مصر ٢/ ١ ـ ١٧، وفيات الأعيان ٢/ ٥٤٠ ـ ٥٤٣، النجوم الزاهرة ٥/ ٣٧٦، رسالة أبي الصلت (نوادر المخطوطات ١/ ٢٥٣) شذرات الذهب ٤/ ٩١، مجلة معهد المخطوطات ١٨/ ٣٥٣، الاعلام ط ٤/ ٣/ ٢٣٦. وله ديوان شعر ـ ط ـ.

هـاروتُ يـعـجـزُ عَـنْ مـواقِـعِ سِـحـرِهِ   وهُـوَ الإمـامُ فـمَـنْ تـرى أسـتـاذه
تـا الله مـا عـلـقـتْ مَـحـاسِـنُـك امـرءًا   إلا وعـزَّ عـلـى الـوَرى إنـقـاذه
أغـرَيـتَ حُـبّـكَ بـالـقـلـوب فـأذعَـنَـتْ   طَـوْعـاً وقـدْ أودى بـهـا اسْـتـحـواذه

ومنها:

مـالـي أتـيـتُ الـلـحـظَ مِـنْ أبـوابـهِ   جُـهْـدي فـدامَ نـفُـورهُ ولـواذهُ
إيّـاكَ مِـنْ طَـمَـعِ الـمُـنـى فَـعـزيـزُه   كـذلـيـلـهِ وغـنـيُّـهُ شـحّـاذه
ذالـيّـة ابـن دُرَيـدٍ اسـتـهْـزَى بـهـا   قَـوْمـاً غَـداةَ نـبَـتْ بـه بـغـداذهُ
مَـنْ قـدّرَ الـرّزقَ الـسـنـيَّ لـك آنّـمـا   قـد كـانَ لـيـسَ يـضـرُّهُ إنـقـاذُه[1]

صوغ فولاذ هذه القصيدة ليس في قوة غير الحداد.

وذكره ابن خلكان وقال: كان من الشعراء المجيدين، وله ديوان شعر كبير، ومدح جماعة من الخلفاء الفاطميين، وروى عنه الحافظ السلفي وغيره من الأعيان[2] ومن شعره أيضاً:

رَحَـلـوا ولـوْلا أنَّـنـي   أرْجُـو الإيـاب قـضـيـت نَـحْـبـي
والله مـا فـارَقـتـهـمْ   لـكـنـنـي فـارَقـت قـلـبـي[3]

قال: وله من جملة أبيات:

يـذمُّ الـمـحـبُّـونَ الـرّقـيـبَ ولـيـتَ لـي   مِنَ الوَصلِ ما يُخشى عليه رَقيبُ[4]

قلت: أخذه من قول المتنبي:

وشـيـكـتـي فـقـد الـسـقـام فـإنـه   قـد كـان لـمّـا كـان لـي أعـضـاءُ

وله في كرسي النسخ:

انـظـرْ بـعـيـنـكَ في بـديـع صـنـائـعي   وعـجـيـب تـركـيـبـي وحـكـمـة صـانِـعي
فـكـأنـنـي كَـفّـا مـحـبّ شـبـكَـتْ   يـومَ الـفـراق أصـابـعـا بـأصـابـعِ[5]

---

(١) وفيات الأعيان ٢/ ٥٤٠ ـ ٥٤١، ديوانه ١٢٧.
(٢) وفيات الأعيان ٢/ ٥٤٠.
(٣) وفيات الأعيان ٢/ ٥٤١.
(٤) وفيات الأعيان ٢/ ٥٤٢.
(٥) خريدة القصر ٢/ ١٤، معجم الأدباء ١٢/ ٣٣، وفيات الأعيان ٢/ ٥٤٢، ديوانه ١٩٥.

وأحسن من قال في كرسي المصحف:

حملت على ضعفي الذي كلماته ... لهيبتها يصدّع الجبل الراسي
تداخل منّي البعض في البعض هيبة ... لأنّ كتاب الله أضحى على راسي

وما أحسن قول الفقيه أحمد الينبعي[1] في المقصّ:

نحن خليلان ما رأينا ... أحلى من الضمّ والعناقِ
فمن يحل يرد بيننا نبادر ... بقطعه خشية الفراقِ

رجع، قال: وذكره علي بن ظافر بن أبي منصور في كتاب «بدائع البداءة» وأثنى عليه، وأورد فيه عن القاضي أبي عبد الله محمد بن الحسين الآمدي النائب الآن بثغر الإسكندرية، قال: دخلت على الأمير السعيد بن ظفر أيام ولايته للثغر فرأيته يقطر دهنا على خنصره، فسألته عن سببه، فذكر ضيق خاتمه عليه وأنه ورم بسببه، فقلت له: الرأي قطع حلقته قبل أن يتفاقم الأمر فيه، فقال: اختر مَنْ يصلح لذلك، فاستدعيت أبا المنصور ظافر بن القاسم الحداد المذكور، فقطع الحلقة، وأنشد بديهاً:

قَصَّرَ عنْ أوصافِكَ العالمُ ... وكَثُرَ الناثِرُ والناظمْ
من يكن البحرُ لهُ راحةً ... يضيقُ عن خنصرهِ الخاتمُ

فاستحسنه الأمير ووهب له الحلقة، وكانت من ذهب. وكان بين يدي الأمير غزال مستأنس، وقد رَبَضَ وجعل رأسه في حجره، فقال:

عَجبتُ لجرْأةِ هذا الغزال ... وأمْرٍ تخطَّى لهُ واعتمدْ
وأعجِبْ بهِ إذ بَدا جاثِماً ... وكيفَ اطمأنّ وأنت الأسد

فزاد الأمير والحاضرون في الاستحسان، وتأمل ظافر شباكاً كان على باب المجلس يمنع الطير من دخولها فقال:

رأيتُ ببابكَ هذا المنيف ... شباكاً فأدركني بعْضُ شَكّ
وفكّرَ فيما رَأى خاطري ... فقلتُ البحارُ مكان الشبك

ثم انصرف وتركنا متعجبين من حسن بديهته[2].

---

(١) ترجمه المؤلف برقم ٢٦.

(٢) خريدة القصر ١٥، وفيات الأعيان ٢/٥٤٣، ديوانه ٢٩٥، ١٢٦، ٣٤٤.

وتوفي بمصر سنة تسع وعشرين وخمسمائة[1] رحمه الله تعالى.



والإسكندرية مدينة مشهورة بعمل مصر وهي أحد ثغور الروم ومنها يسافر إلى بلاد الروم والإفرنج والأندلس وافريقية في بحر الروم وهي ومنارتها مشهورتان فلا تحتاج إلى الإيضاح.

وذالية ظافر لم يظفر من عارضها بسعادته فيها وهذه عادة جارية في كلّ معارض، هذا الشريف الرضيّ قل من لم يعارض كافيته من الشعراء فيروح بمعارض بغير ميم. ولا يرزق تلك السعادة ولا ذاك القبول، وقصيدة الطغرائي اللاميّة أسالت عين معارضها، وقصيدة الوزير أبي محمد عبد المجيد بن عبدون الأندلسي[2] التي رثى بها عمر بن الأفطس صاحب بطليوس وابنيه لما قتلهم ابن تاشفين المتسلط على ملوك الطوائف وكان غالبهم كراماً أدباء، وهي قصيدة يقصر عن ادراكها المتطاول، ومن عارضها فأنّما فاخر سمط الكواكب بالجنادل، وحيث أوردت اللامية هناك اذكر هذه هنا [من البسيط]:

الدهر يَفْجَع بعد العين بالأثر ... فما البكاء على الأشباح والصُّوَرِ
أنهاك أنهاك لا آلوك معذرة ... عن نَوْمَةٍ بين ناب الليث والظفر
والدهر حَرْبٌ وإن أبدى مسالمة ... والبيض والسمر مثل البيض والسمر
ولا هوادة بين الراس تأخذه ... يد الضراب وبين الصارم الذكر

---

(١) وفيات الأعيان ٢/٥٤٢.

(٢) هو أبو محمد عبد المجيد بن عبد الله بن عبدون الفهري الأندلسي. نحوي شاعر كاتب. استوزره المتوكل من بني الأفطس، وبعد انتهاء دولته استوزره المرابطون. له القصيدة العصماء المشهورة المسماة بـ (البسّامة) التي يرثي بها المتوكل وولديه الفضل والعباس، حينما قتلهم المرابطون صبرا ومطلعها: ـ

الدهر يفجع بعد العين والأثر ... فما البكاء على الأشباح والصور

توفي بيابرة ـ وهي مسقط رأسه ـ سنة ٥٢٩ وقيل ٥٢٠هـ. كان عالماً بالتاريخ، ومن محفوظاته كتاب الأغاني لأبي الفرج. من مؤلفاته: كتاب الانتصار لأبي عبيدة على ابن قتيبة.

ترجمته في: الصلة لابن بشكوال ١/٣٦٩، والمعجب/١٢٨ ـ ١٤٤، دائرة معارف البستاني ١/٥٩٢، فوات الوفيات ٢/١٩ ـ ٢٣، دائرة المعارف الإسلامية ١/٢٢٥، قلائد العقيان ١٤٥، أنوار الربيع ١/هـ ١٨٧.

فلا يغرَّنْك من دنياك نومتها ... فما صناعة عينيها سوى السهر

ما لليالي أقال الله عثرتَنا ... من الليالي وخانتها يد الغِيَر

تَسُرّ بالشيء لكن كي تغرّ به ... كالأيم ثار إلى الجاني من الزهر[1]

كم دولة وليت بالنصر خدمتها ... لم تبق منها وسل ذكراك عن خبر

هوت بدارا وفَلّتْ غَرْبَ قاتلهِ ... وكان غَضْباً على الأملاك ذا أُثُرِ[2]

واسترجعت من بني ساسان ماوهبت ... ولم تدع لبني يونان من أثَرِ

وأتبعت أختَهَا طَسْماً وعاد على ... عادٍ وجرهم منها ناقصُ المدر

وما أقالت ذوي الهيئات من يمَنٍ ... ولا أجارت ذوي الغايات من مضر

ومزقت سبأ في كل قاصية ... فما التقى رائح منها بمبتكر

وأنفذت في كُلَيْبٍ كَلْمها ورمت ... مُهَلْهِلاً بين سمع الأرض والبصر

ولم تَرُدَّ على الضِّلّيل صحته ... ولا ثنت أسَداً عن ربها حُجُر[3]

ودوّختِ آل ذبيان واخوتهم ... عَبْساً وعَضَّتْ بني بدر على النهر

وألحقت بَعدِيّ بالعراق على ... يد ابنه أحمر العينين والشعر[4]

وأشرفت بخُبيب فوق قارعة ... وألصقت طلحةَ الفياض بالعَفَر

ومزقت جعفرا بالبِيضِ واختلست ... من غِيلِهِ حمزة الظلاَّم للجُزْرِ[5]

وبلغت يَزْدَجِرْدَ الصينَ واختزلت ... عنه سوى الفرس جمع التُرك والخزر

ولم ترد مواضي رستم وقنا ... ذي حاجب عنه سعدا في ابنة العيرِ

وخضبت شيبَ عثمان دَماً وخَطَتْ ... إلى الزُّبير ولم تستحي من عمر

ولا رعت لأبي اليقظان صحبته ... وَلَمْ تُزَوِّدْهُ إلاَّ الضَّيْحَ فِي الغُمُرِ[6]

وأحْرَزَت سيفَ أشقاها أبا حسن ... وأمكنت من حسين راحتي شَمِرِ

وليتها إذ فَدَت عَمْراً بخارجة ... فَدَتْ عليا بمن شاءت من البشر

وفي ابن هند وفي ابن المصطفى حسنٍ ... أتت بمُعْضِلة الألباب والفكر

---

(١) الأيم ـ بالفتح أو بوزن طيب ـ الحية مطلقاً، أو الأبيض خاصة.

(٢) دارا: أحد ملوك الفرس، وقاتله: هو الإسكندر الأكبر، وفلت: أي ثلمت، والغرب ـ بالفتح ـ حد السيف.

(٣) الضليل: لقب امرىء القيس بن حجر، وبنو أسد: هم قوم حجر الذين قتلوه.

(٤) في هامش الأصل: «يعني به النعمان بن المنذر».

(٥) الجزر ـ بضمتين ـ جمع جزور، والظلام للجزر: كناية عن كرمه وأنه يذبح الإبل للأضياف.

(٦) في هامش الأصل: «قلت: يشير إلى قول النبيﷺ لعمار... ضياح لبن رحمه الله تعالى».

فبعضُنا قائل ما اغتاله أحد ... وبعضنا ساكت لم يؤت من خبر
وَعَمَّتْ بالردى فَوْدَىْ أبي أنس ... ولم يردّ الردى عنه فتى زفر
وأردَتِ ابنَ زياد بالحسين فلم ... يَنُوءْ بِشِسْعِ له قَدْ طاح أو ظُفُرِ
وأنزلت مصعبا من رأس شاهقة ... كانت بها مهجة المختار في وزر
ولم تراقبْ مكان ابن الزبير، ولا ... رعت عِيَاذته بالبيت والحَجَر
ولم تدع لأبي الذبان قاصية ... ليس اللطيم لها عمرو بمنتصر[1]
وأظفرت بالوليد بن اليزيد، ولم ... تبق الخلافة بين الكأس والوتر
ولم تعد قُضُبُ السفَّاح نابِيَةً ... عن رأس مروان أو أشياعه الفُجُرِ
وأرسلت دمعة الروح الأمين على ... دم بفخ لآلِ المصطفى هَدَرِ
وأشرقت جعفراً والفضلُ يبصره ... والشيخ يَحْيَى بريقِ الصارم الذكر
وأخفرت في الأمين العهد وانتدبت ... لجعفر بابنه والأعْبُدِ الغُدُر
وَرَوَّعَتْ كل مأمون ومؤتمن ... وأسلمت كل منصور ومنتصر
وأعثرت آل عباس لعاً لهم ... بعارض صاب من بيض ومن سمر
ولا وَفتْ بعهود المستعين، ولا ... بما تأكد للمعتز من مرَرِ
وأوثقت في عُرَاها كل معتمد ... وأشرقت بقَذَاها كل مقتدر
بني المظفَّر والأيام ما برحت ... مناهلا والورى منها على سفر
سحقاً ليومكم يوماً ولا حَمَلَتْ ... بمثله ليلةٌ في مقبل العمر
مَنْ للأسنَّة أو من للأعِنَّة أو ... من للسماحة أو للنفع والضرر
من للبراعة أو من لليراعة أو ... من للأسنّة يهديها إلى الثغر
من للعدى وعوالي الخط قد عقدت ... أطراف أَلْسنِها بالعي والحصر
وطوقت بالثنايا السود بيضهم ... أعجب بذاك وما منها سوى ذكر
أو رفع كارثة أو دفع آزفةٍ ... أو دفع حادثة تُعْيِي على القدر
ويح السماح وويح الجود لو سلما ... ووحشة الدين والدنيا على عمر
سَقَتْ ثرى الفضل والعباس هامية ... تُعْزَى إليهم سماحاً لا إلى المطر
ثلاثة ما رقى النسران حيث رقوا ... وكلما طار من نسر ولم يطِر
وَمَرَّ من كل شيء فيه أطيبُهُ ... حتى التمتع بالآصال والبكر
من للجلال الذي غَطَّت مهابتُهُ ... قلوبَنَا وعيونَ الأنجم الزّهر

---

(١) أبو الذبان: عبد الملك بن مروان.

أي البناء الذي أرْسَوْا قواعده — على دعائم من عزٍّ ومن ظَفَرِ
أين الوفاء الذي أصفوا شرائعه — فلم يَرِدْ أحد منها على كَدَرِ
كانوا رواسي أرض الله منذ نأوا — منها استطارت بمن فيها فلم تقر
كانوا مصابيحها دهراً فمذ خبأوا — هذي الخليقة يا لله في شرر
كانوا شجى الدهر فاستهوتهم خدع — منه بأحلام عاد في خطى الحضر
من لي ومن بهم أن أطبقت محن — ولم يكن وردها يفضي إلى صَدَرِ
من لي ومن بهم أن أظلمت نوب — ولم يكن ليلها يفضي إلى سحر
ويل أمةٍ من طلوب الثار مدركةً — لو كان ديناً على لبَّات ذي عسر
من لي ومن بهم أن عطلت سنن — وأخفيت سنن الأيام والسير
على الفضائل إلا الصبر بعدهم — سلامُ مرتقبٍ للأمر مُصطَبرِ
يرجو عسى، وله في أختها طمع — والدهر ذو عُقَبٍ شتّى وذو غِيَرِ
قرطت أذان من فيه بفادحة — على الحسان حصاً الياقوت والدرر[١]

لله هذا السمط الحالي الذي ترك عرنين الأفطس مستقيم المارن وأعاد جديد ملكه البالي.

وكان أبو محمد من الكتاب الأدباء الأفاضل[٢]، وعمر بن الأفطس أحد أجلاء الملوك الأدباء، وهما من شعراء قلائد العقيان وذكر الفتح بن خاقان: إن ابن تاشفين أسر ابن الأفطس وولديه الفضل والعباس ثم أمر بقتلهما وقتله في المجلس، فالتمس أبوهما أن يقدمهما الجلادون أمامه ليحتسبهما، فانفذوا فيهما تلك البوارق وهو يرى. وجرى دمهما ودمعه عليهما عقيقاً ودرراً، ثم الحقوه بهما في الحين[٣]. فاكمدوا قلب الدّنيا والدين. رحمهما الله بفضله.

(١) كاملة في قلائد العقيان ٤٢ ـ ٤٥، جملة من أبياتها في فوات الوفيات ٢/١٩ ـ ٢٢.

(٢) ترجمته في قلائد العقيان ١٦٤ ـ ١٦٨.

(٣) أنظر: قلائد العقيان ٤١ ـ ٥٣.

أبو الأسود، ظالم بن عمرو بن سُفيان بن جندل بن يَعْمُر بن بُغاثة[1] بن عديّ بن الدُّئل بن بكر بن عبد مناف بن كِنانة بن خُزيمة بن مُدْرِكة بن إلياس بن مضر بن نزار الدؤلي[*].

أحد التابعين السادة الفصحاء الشعراء.

وبنو كنانة أخوة قريش في قول من جعل خزيمة مجتمع قريش، وقيل: من لم يلده فِهرٌ فليس بقرشي وهو الصحيح.

ولمّا وفد الأشعث بن قيس الكندي من اليمن قال: يا رسول الله نحن بنو آكل المرّار وأنت ابن آكل المرار.

فقال النبيﷺ ناسبوا بهذا النسب العبّاس، لا بل نحن بنو النضر بن كنانة لا نزمّ آمناً ولا ننتفي من أبينا.

والنضر هو ابن مالك بن فهر وإنّما قال انتسب بهذا النسب العباس لأنّه كان تاجراً وربما سافر في أحياء اليمانية، فإذا خاف انتسب إليه وهو من ملوكهم فهَابوهُ وهو حجر بن عدي والد إمرىء القيس لقب بذلك لأنه جاءه خبر غاظه وبين يديه منابت مرّار فأكثر من أكله فلم يشعر بمرارتهِ لشدة الغيظ.

وسمّيت قريش من التقرش وهو التكسّب لأنّهم كانوا تجّاراً وقيل بل تصغير

(*) ترجمته في: الأغاني ١٢/٣٤٦ ـ ٣٨٧، روضات الجنات ٣٤١، وفيات الأعيان ٢/ ٥٣٥ ـ ٥٣٨، الشعر والشعراء ٦١٥، الكنى والألقاب ١/٧، رجال الطوسي ٤٦، ٦٩، ٧٥، ٩٥، شذرات الذهب ١/ ١١٤، بغية الوعاة ٢/ ٢٢، تهذيب ابن عساكر ٧/ ١٠٤، خزانة الأدب ١/ ١٣٦، الفهرست ٣٩، إنباه الرواة ١/ ١٣ (وفي حاشيته ثبت وافي لمصادر ترجمته) معجم الأدباء ١٢/ ٣٤ ـ ٣٨، سرح العيون ١٥٣، غاية النهاية ١/ ٣٤٥، أخبار شعراء الشيعة ٢٧ ـ ٢٩، الطليعة ـ خ ـ ترجمته رقم ١٣٥، وقعة صفين، الاصابة، جامع الرواة ١/ ٤٢٨، معجم الشعراء ١٤٧، الغدير ١/ ٤٨، أعيان الشيعة ٣٧/ ١١ ـ ١٤، أدب ألطف ١/ ١٠١ ـ ١٠٧، الذريعة ١/ ٣١٤، مقدمة ديوان أبي الأسود الدؤلي للشيخ محمد حسن آل ياسين، أنوار الربيع ١/ هـ ٨٥.

له ديوان شعر صغير طبع بإنكلترا، ثم نشر ديوانه عبد الكريم الدجيلي ط بغداد، ثم حقق ديوانه الشيخ محمد حسن آل ياسين وطبع ببغداد سنة ١٩٦٤م.

(١) في الأغاني ١٢/ ٣٤٦: «يعمر بن حِلْس بن نفاثة».

قرش وهو أخبث حيوان البحر سمّوا به لعزّتهم وشجاعتهم.

وكان أبو الأسود فاضلاً لا يساجل، وبحراً في الكمال إن لم يصب من كل قامرة بوابل أصابه بطلّ.

وروى الحديث عن أمير المؤمنين علي عليه السلام، وكان من كبار شيعته، وعن عمر بن الخطاب وعن ابن عباس، واستعمله أمير المؤمنين علي عليه السلام وقبله عمر وعثمان[١] وكان شاعراً فصيحاً وله ديوان شعر، وهو أحد من شبّب بعجوزٍ من العرب، وأورد له أبو تمام في الحماسة[٢] وأبو الفرج في الأغاني:

أبى القلبُ إلاّ أُمَّ عَمْروٍ وحُبَّها ... عَجُوزاً ومَنْ يُحْبِبْ عَجُوزاً يُفَنِّدِ[٣]
كثوب يمان قَدْ تَقَادم عَهْدُهُ ... ورُقْعَتُهُ ما شِئْتَ في العَيْنِ واليَدِ[٤]

وهو أحد أصوات الأغاني المختارة والغناء فيه لعَلْويه الصغدي المغنّي المشهور.

وله في جارية شراها وبها حولٌ فعابها أهله:

يَعيبونها عندي ولا عيبَ عندها ... سوى أن في العينين بعضَ التأخّر
فإن يك في العينين سوء فإنها ... مُهَفْهَفَةَ الأقلاء رَدَاحُ[٥] المؤخّر[٦]

ما أحسن ما تبجح بعض الأدباء الحِول بحوله وانتفاعه به بقوله:

حمدت إلٰهي إذ بليت بحبّها ... وبي حِول يغني عن النظر الشزرِ
نظرت إليها فالرقيب يخالني ... نظرت إليه فاسترحت من العذرِ

قال أبو الفرج: تقدم رجل مع خصم له إلى عبد الله بن الحسن قاضي البصرة فخلط في كلامه فتمثل القاضي بقول أبي الأسود الدؤلي:

---

(١) الأغاني ١٢/٣٤٦.
(٢) أنظر: كتاب الحماسة لأبي تمام ٤١٥.
(٣) التفنيد: التوبيخ والتعنيف.
(٤) الأغاني ١٢/٣٤٥، ٣٧٨، كتاب الحماسة ٤١٥، البيان والتبيين ١/١٩١، عيون الأخبار ٤/٤٣ ديوانه ٥٣.
(٥) مهفهفة: ضامرة البطن ـ امرأة رداح ورداحة وردوح: عجزاء ثقيلة الأوراك تامة الخلق وقيل: ضخمة العجيزة والمآكم (اللسان مادة ردح ج٢ ص٤٤٧).
(٦) الأغاني ١٢/٣٥٦، عيون الأخبار ٤/٥٨، ديوانه ٥٢.

يُصيب وما يدري ويُخطي وما درى　　وكيف يكون النّوك إلاّ كذالِكا[1]

وهو لأبي الأسود الدؤلي من أبيات يهجو بها جد القاضي الحُصَيْنَ بن أبي الحُرّ العبدري[2]، فقال الرجل: إن رأى القاضي إن يدنيني منه حتى أقول شيئاً فعل، فقال: أدنُ فدنا، وقال: إن أحقّ من يستر هذا الشعر لأنت، وقد علمت فيمن قيل، فتبسم القاضي وقال: إن فيك مصطنعاً وغرم عنه ما كان يطالب به.

قال: وكان أبو الأسود يجلس إلى فناء امرأة بالبصرة وكانت بَرْزة[3] جميلة، فقالت له: يا أبا الأسود هل لك أن أتزوجك فإني صَناع[4] الكف، حَسَنة التدبير، قانعة باليسير، قال: نعم، فجمعت أهلها وتزوجته، فوجد عندها خلاف ما قدّر، وأسرعت في ماله، ومدَّت يدها إلى خيانته، فغدا على مَنْ كان حضر تزويجها من أهلها، فسألهم أن يجتمعوا عنده ففعلوا، فقال:

أَرَيتَ امْرَءاً كنت خاللته　　أتاني فقال اتّخذْني خليلا[5]
فخاللتُه ثم أكرمته　　فلم أستفد من لدنْه فتيلا
وألفيتُه حين جرّبته　　كَذُوبَ الحديث سروقاً بخيلا
فذكَّرته ثم عاتبتُه　　عتاباً رقيقاً وقولاً جميلاً
فألفيتُه غيرَ مستعتِبٍ　　ولا ذاكِر الله إلا قليلا[6]
ألستُ حقيقاً بتوديعه　　وإتْباع ذلك صَرماً طويلاً؟

فقالوا: بلى والله يا أبا الأسود! قال: تلك صاحبتكم، وقد طلقتها لكم، وأنا أحبّ أن أستر ما أنكرت من أمرها، فانصرفت معهم[7].

وسأله رجل شيئاً فمنعه، فقال له: يا أبا الأسود والله ما أصبحت حاتمياً

(١) الأغاني ١٢/٣٧٥ ـ ٣٧٦، معجم الشعراء ٣١٧ وفيه «إنها لفرات بن حيان، وقيل لأبي سفيان بن الحارث» ديوانه ٤٧.
(٢) في الأغاني: «العنبريّ».
(٣) امرأة بَرَزَةٌ: متجالَّة تبرز للقوم يجلسون إليها ويتحدثون عنها، والبرزة من النساء أيضاً: الجليلة الموثوق برأيها وعفافها (لسان العرب مادة برز).
(٤) امرأة صناع اليدين: حاذقة ماهرة بعمل اليدين.
(٥) أريت: أصله أرأيت، يقولون: أرأيتك بمعنى أخبرني.
(٦) استعتبه: استرضاه، وطلب منه العُتْبى. أعطاه العتبى أي أرضاه.
(٧) الأغاني ١٢/٣٦٠ ـ ٣٦١، ديوانه ١٢٢ ـ ١٢٣.

قال: بلى أصبحت حاتمياً، من حيث لا تشعر، أليس حاتم الّذي يقول:

أماوِيَّ أمّا مانع فمبينٌ ... وأمّا عطاء لا ينهنه الزجرُ

ومن شعره أيضاً:

أعَصَيْتَ أَمْر ذَوي النُّهَىٰ ... وأطعت أمر ذوي الجهالَهْ

أخطيت حين حرمتَني ... والمرءُ يعجز لا المحالَهْ[1]

وله أيضاً:

وما طلب المعيشة بالتمنّي ... ولكن ألق دلوك في الدِّلاءِ

تجئك بمثلها يوماً ويوماً ... تجئك بحمْأة[2] وقليلِ ماء[3]

وذكر أبو الفرج: أن أبا الأسود كان نازلاً في بني قشير وكانوا عثمانية، وكانت امرأته منهم، وكانوا يؤذونه وينالون من علي عليه السلام ليغيظوه، ويرمونه في الليل بالحجارة، فإذا أصبح يقول لهم: يا بني قشير أي جوار هذا؟ فيقولون: إنما رماك الله لسوء مذهبك، وقبح دينك، فيقول: كذبتم، لو رماني لما أخطاني، وقال فيهم:

يقول الأرذلون بنو قشير ... طَوالَ الدهر ما تنسى عليّاً!

فقلت لهم: وكيف يكون تركي ... من الأعمال مفروضاً علَيّاً؟

أحِب محمداً حباً شديداً ... وعباساً وحمزة والوصِيّا[4]

بنِي عمّ النبي وأقربوه ... أحبَّ الناسِ كلّهم إليّا

فإن يك حبّهم رُشْداً أُصِبه ... ولست بمخطىء إن كان غيّا[5]

فقالوا له: شككت يا أبا الأسود في مذهبك وصاحبك حيث قلت: «فإن يك حبّهم رشداً أُصبهُ».

---

(١) الأغاني ١٢/٣٧١، ديوانه ٦٩.

(٢) الحمأة والحمأ: الطين الأسود المنتن. وحمئت البئر حمأ، بالتحريك، فهي حمئة إذا صارت فيها الحمأة وكثرت. اللسان (مادة حمأ ج١ ص٦١).

(٣) الأغاني ١٢/٣٨١، وفيات الأعيان ٢/٥٣٨، بغية الوعاة ٢٧٤، ديوانه ٨٠.

(٤) الوصي: هو أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

(٥) أخبار شعراء الشيعة ٢٨، أعيان الشيعة ٣٦/٣٥١، الأغاني ١٢/٣٧٢، نزهة الألبا ٣، أمالي المرتضى ١/٢٩٣، إنباه الرواة ١/١٧ ـ ١٨، ديوانه ٧٢ ـ ٧٣.

قال: أفترون الله شكّ في نبيّه حيث أنزل عليه «وأنا وإيّاكم لعلى هدى أو في ضلال مبين»[١].

قلت: أرادوا لست بمخطىء إن كان غيّاً أنه إن كان حبّ هؤلاء الأخيار غيّاً لم يكن في الوجود غيّ.

ودخل على معاوية، فقال له: لقد أصبحت جميلاً يا أبا الأسود، فلو علّقت تميمة تقيك العين! فقال:

أفنى الشباب الذي فارقتُ جِدّتَه ... كرُّ الجدِيدين من آتٍ ومنطلِقِ[٢]
لم يتركا لي في طول اختلافهما ... شيئاً تُخاف عليه لَذْعةُ الحَدَقِ[٣]

وقال الجاحظ: أبو الأسود معدود في طبقات من الناس هو في كلّها مقدّم، كان معدوداً في التابعين والفقهاء والشعراء والمحدثين والأشراف والفرسان والأمراء والدهاة والحاضري الجواب والشيعة والبخلاء والأشراف الصلع والأشراف البلح، وهو السبب في علم النحو لأنه دخل إلى ابنته بالبصرة فقالت: يا أبه ما أشد الحرّ بضم الدال وكسر الراء؟ فقال لها: شهراً باحر[٤] وظن أنّها تستفهم، فقالت: يا أبه إنّما أخبرتك ولم أسْألْك.

وأتى علياً عليه السلام فقال: ذهبت لغة، العرب لمّا خالطوا العجم ويوشك أن تضمحل، ثم حكى له حديث ابنته، فأمره، فاشترى مصحفاً بدرهم، ثم أملى عليه: الكلام كلّه لا يخرج عن اسم وفعل وحرف جاء لمعنى، وهذا أول كتاب سيبويه، ثم رسم أصول النحو كلها فنقلها النحويون وفرّعوها، ثم جاء بعده ميمون الأقرن فزاد في حدود العربية، ثم زاد فيها عنبسة بن معدان المهري، ثم جاء عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي وأبو عمر بن العلاء فزاد فيه، ثم الخليل بن أحمد الأزدي فلحقهم، ثم نجم علي بن حمزة الكسائي مولى بني كاهل فرسم للكوفيين رسوماً.

---

(١) سورة سبأ: الآية ٢٤، الأغاني ١٢/ ٣٧٢.

(٢) كر الجديدين: كناية عن الليل والنهار.

(٣) الأغاني ١٢/ ٣٧٣، الامتاع والمؤانسة ٣/ ١٧٧، أمالي المرتضى ١/ ٢٩٣، الكامل ١/ ٣٤١، ديوانه ١١٧ ـ ١١٨.

(٤) في هامش الأصل: «باحر: بالباء الموحدة وبعد الألف حاء مهملة ثم راء».

وأبو الأسود أول من نقط المصاحف بأمره وكانت جميعها مهملة قبل ذلك، هذه رواية أبي الفرج.

وقال العسكري في كتاب الأوائل: أخبرنا أبو أحمد، عن ابن دريد، عن أبي حاتم، عن محمد بن عبّاد، عن أبيه، قال: سمع أبو الأسود رجلاً يقرأ: «أن الله بريء من المشركين ورسولَه»[1]، بكسر اللام من رسوله، فقال: لا يسعني إلا أن أصنع شيئاً أصلح به نحو هذا، فوضع النحو، والمشهور الأول.

وهو أول من قال بالقدر، يعني نسبة أفعال العبد إليه.

وهو أوّل من نقط المصاحف، وبإسناده عن الجوهري، عن أبي زيد، عن أحمد بن معاوية، عن الأصمعي قال: حدثنا صاحب لنا، قال: سأل أبو الأسود إعرابياً: كيف أبوك؟ قال: أخذته الحمى فطبخته طبخاً، فتركته فرخاً، ففضخته فضخاً، قال: طلّقها وتزوج غيرها فحظيت، ورضيت، وبضيت، قال: وما بَضيت؟ قال: حرف من العربية لم يبلغك.

قال الأصمعي: هو مثل رضيت.

وتنازع أبو الأسود وإمرأته في ولده منها إلى زياد، فقال: أنا أحقّ به منها حملته قبلها ووضعته قبلها، فقالت: حملته خفّاً وحملته ثقلاً، ووضعته شهوة ووضعته كرهاً.

قال زياد: صدقت أنتِ أحق به ما لم تزوّجي، أمّا لو أدركتني يا أبا الأسود وبك قوة لاستعنت بك في بعض الأمر، فقال: أللصراع تريدني.

وقال له بعض الأمراء: سمعت إنك شديد على حقك، فإنه لا يذهب لك شيء على أحد، فمم ذاك؟

قال من سوء ظنّي بالناس، ومجانبة أهل الافلاس.

وأسند العسكري عن مشائخه، قال: قال أبو الأسود الدؤلي لمعاوية: لو كنت مكان أبي موسى ما صنعت ما صنع، قال: وما كنت تصنع؟ قال: كنت أجمع عدّة من المهاجرين والأنصار، ثم أنشدهم بالله، المهاجرون أحق بالخلافة أم الطلقاء؟ فقال معاوية: أقسمت عليك لا تذكرها ما عشت.

وسمع قوماً يستشيرون في تزويج إمرأة فقال: زوّجوها من عاقل فإنّه إن

---

(١) سورة التوبة: الآية ٣.

أحبّها أكرمها وإن أبغضها طلقها.

ورأيت في الأغاني: أن زياداً ولّى حارثة بن بدر الغداني[1] سيد تميم ولاية بالسواد إسمها سُرّق، فلقيه أبو الأسود فقال له:

أَحارِ ابن بدرٍ قد وليتَ ولاية ... فكن جُرَذاً فيها تخونُ وتسرقُ
ولا تحقرنْ يا حار شيئاً تصيبه ... فحظُّكَ من مال العراقَيْنِ سُرَّقُ
فإن جميعَ الناس إمّا مكذِّب ... يقول بما يهوى وإمّا مصدِّقُ

فجزاه حارثة خيراً[2].

وإلى هذه الواقعة يشير المولى الأخ ضياء الدين زيد بن يحيى[3] رحمه الله وقد كتب إليّ مراجعاً عن قصيدة:

زفّت إليّ خريدة من نظمه ... نسج البرود بمعطفيها المهرق
عذراء لم تطمث ولم تسرق ولا ... حظّ ابن يحيى كابن بدر سُرّق

وذكر أبو الفرج في الأغاني أيضاً: أن بني الدئل اجتمعوا إلى أبي الأسود في ديةٍ لزمتهم يسألونه المعونة وألح عليه غلام منهم ذو بيانٍ وعارضة، فقال: يا أبا الأسود أنت شيخ العشيرة وسيّدها وما يمنعك من معاونتهم قلّة ذات يدٍ ولا جود؟ فلمّا ألحّ عليه أقبل عليه أبو الأسود وقال: قد أكثرت يا بن أخي فاسمع، إن الرجل والله لا يعطي ماله إلاّ لإحدى ثلاث خصال: أمّا رجاء مكافأة، أو خوفاً على نفسه، أو إرادة وجه الله، إلا رجل أحمق خدع عن ماله، ووالله ما أنتم بإِحدى هذه الطبقات ولا عمّك بالعاجز ولا بالمنخدع ولما أفدتك إياه في عقلك خير من مالي لو وصل بني الدئل، قوموا إذا شئتم، فانصرفوا عنه[4].

---

(١) حارثة بن بدر بن حصين التميمي الغداني: تابعي، من أهل البصرة. وقيل أدرك النبيﷺ. له أخبار في الفتوح، وقصة مع عمر، ومع عليّ، وأخبار مع زياد وغيره، في دولة معاوية وولده. وأمِّر على قتال الخوارج في العراق فهزموه بنهر تيرا (من نواحي الأهواز) فلما أرهقوه دخل سفينة بمن معه فغرقت بهم سنة ٦٤هـ.
ترجمته في: الإصابة ١: ٣٧١ وابن عساكر ٣: ٤٣٠، الاعلام ط ٤/٢/١٥٨.

(٢) زهر الآداب ٤/٦٤، فتوح البلدان ٣٧٢، الظرائف واللطائف ٦٣، ديوانه ١١٨ ـ ١١٩.

(٣) ترجمه المؤلف برقم ٧٤.

(٤) الأغاني ١٢/٣٥٢.

قال أيضاً: وكان حاضر الجواب وكان يبخل.

قيل: إنه خرج إلى الصيد ومعه أصحابه، فجاء أعرابي فقال: السلام عليك، فقال: أبو الأسود كلمة مقوله.

قال: أَدخل؟ قال: وراك أوسع لك، قال: فإن الرمضاء قد أحرقت رجلي، قال: بُل عليهما أو إتِ الجبل يفي عليك، قال: هل عندك شيء تطعمنيه؟ قال: نأكل ونطعم العيال، فإن فاض شيء فأنت أحقّ به من الكلب، فقال الاعرابي: ما رأيت قط الأَم منك، قال له: قد رأيت، ولكنك أنسيت، قال: فأنا ابن الحمامة[1]، قال انصرف وكن ابن أي طائر شِئْت[2].

قلت: قد نسبها في الأغاني[3] إلى الحطيئة الشاعر[4] وهو الأنسب.

قال: وكان له على باب داره دكّة عالية ضيقة فيأمر بغدائه فيوضع عليها ثم يقعد يأكل، فإذا مرّ به أحد دعاه إلى الأكل فلا يجد موضعاً لجلوسه فينصرف، فمرّ به فتًى على ناقةٍ فدعاه إلى الأكل، فتأمّل الفتى المكان[5] فإذا هو ضيق فأخذ الصحفة فأنزلها إلى الأرض وأقبل يأكل وأبو الأسود: يتغيّظ حتى أستوفا الطعام. ثم ردها فقال أبو الأسود ما إسمك يا فتى؟ قال: لقمان الحكيم، قال: أصاب أهلك إسمك[6].

---

(١) هوذة بن الحارث بن عجرة السلمي، ابن الحمامة: شاعر قوي العارضة. من الصحابة، أو ممن كانوا في عصر النبوة. والحمامة أمه، اشتهر بنسبته إليها. كان من سكان البصرة. ووفد على عمر (في خلافته) ليأخذ عطاءه، فدعي قبله أناس من قومه، فأغضبه تقديمهم عليه؟ فقال:

«لقد دار هذا الأمر في غير أهله!	فأبصر، أمين الله، كيف تريد»
«أيدعى خثيم والشريد أمامنا؟	ويدعى رباح قبلنا، وطرود؟»
«فإن كان هذا في الكتاب، فهم إذاً	ملوك، بنو حر، ونحن عبيد!»

فدعا به عمر، وأعطاه، توفي نحو سنة ٢٠هـ.

ترجمته في: الإصابة: ت ٩٠٥٩ والمرزباني ٤٨٢، الاعلام ط ٤/٨/١٠٢.

(٢) الأغاني ١٢/ ٣٥٤.

(٣) الأغاني ٢/ ١٦٣.

(٤) مرّت ترجمته بهامش سابق.

(٥) في هامش الأصل: «الموضع».

(٦) الأغاني ١٢/ ٣٧٣.

وله نوادر.

وذكر المدائني: إن أبا الأسود توفي بالبصرة في الطاعون الجارف سنة تسع وستين وله خمس وثمانون سنة. وقيل إنه توفي قبل ذلك وهو الأنسب لأنه لم يسمع له في فتنة المختار بذكر، رحمه الله تعالى.



والدؤلي بضم المهملة والهمزة ثم لام نسبة إلى جدّه الدِئل وهو مكسور الدال نادر في ابنية الأسماء فإذا نسبوا إليه ضمّوها للاستثقال مع زيادة يا النسب، والله أعلم.

حرفُ العَيْن

[٩٠]

أبو الطّفيل عامر بن واثلة

ابن عبد الله بن عمير بن جابر بن خميس بن حربي[١] بن سعد بن الليث ابن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر الكناني الكوفي الصحابي[*].

فاضل اجتمعت له الصحبة وحبّ أهل البيت، وقال له الفضل والدين: قد بلغت ما أردت منّا وأربيت، وكأن الدهر رحى بركته فاشفق عليه من الجدث، فعاش حتى رأى الحياة بعد أقرانه من العبث.

قال أبو الفرج: كان أبو الطفيل من خيار أصحاب رسول الله ﷺ، ورَوى الحديث وعَمَّر بعده طويلاً وصحب عليّاً عليه السلام، وكان من وجوه شيعته، وله

(*) كتب عنه وجمع شعره الطيب العشاش في حوليات الجامعة التونسية، العدد العاشر لسنة ١٩٧٣. ثم استدرك عليه وجمع شعره الأستاذ ضياء الدين الحيدري بمجلة البلاغ الكاظمية للسنة ٥/ ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م ع ٧/ ٢٧ ـ ٣١.

ترجمته في: وقعة صفين، الاصابة، الأغاني، ١٥/ ١٤٣ ـ ١٥٢، رجال الطوسي ٤٧، مناقب آل أبي طالب ٣/ ٦٧، جامع الرواة ١/ ٤٢٨، معجم الشعراء ١٤٧، أخبار شعراء الشيعة ٢٤ ـ ٢٧، الغدير ١/ ٤٨، أعيان الشيعة ٣٧/ ١١ ـ ١٤، الطليعة ـ خ ـ ترجمه رقم ١٣٦.

تهذيب التهذيب ٥/ ٨٢، طبقات ابن سعد ٥/ ٣٣٨، خزانة البغدادي ٢/ ٩١، الجواهر المضيّة ٢/ ٤٢٦، تهذيب ابن عساكر ٧/ ٢٠٠، سير النبلاء للذهبي، الذريعة ١/ ٣١٧، الاعلام ط ٤/ ٣/ ٢٥٥ ـ ٢٥٦.

(١) في الأغاني: «حُميس بن جُدَيٍّ».

منه محلّ خاص[1].

وكان فارساً كريماً شجاعاً شاعراً.

وعاش بعد علي عليه السلام فخرج مع المختار طالباً بدم الحسين عليه السلام فكان معه حتى قتل المختار، وعمّر أيضاً بعد ذلك.

وقال قطر بن خليفة: سمعت أبا الطفيل يقول: لم يبق من الشيعة غيري ثم تمثّل [من الطويل]:

وخُلّفْتُ سَهْماً في الكنانة واحداً ... سَيُرْمَىٰ بهِ أو يكسِر السهمَ كاسرُهْ[2]

ولمّا رجع أبو القاسم بن الحنفية من الشام، حبسه ابن الزبير في سجن عارم، فخرج إليه جيش من الكوفة عليهم أبو الطفيل أميراً من قبل المختار، حتى أتوا سجن عارم[3] فكسروه وأخرجوه منه، فكتب ابن الزبير إلى أخيه مصعب: أن يسيّر نساء كل من خرج لذلك، فأخرجهن وفيهن أمُّ الطفيل إمرأة أبي الطفيل، وابنٌ لها صغير إسمه يحيىٰ، فقال أبو الطفيل [من المتقارب]:

إنْ يَكُ سَيَّرَهَا مُصْعَبُ ... فإنّي إلى مصعب مذنبُ
أَقودُ الكتيبةَ مُسْتَلئِماً ... كأنّي أخو عُرَّةٍ أَجْرَبُ[4]
عليّ دِلاصٌ تَخَيَّرْتُهَا ... وفي الكفِّ ذو رَوْنَقٍ مِقْضَبُ[5]
سعرت عليهم مع الساعرين ... ناراً إذا أخمدت تثقب
فلو أن يحيى به قوة ... فيغزو مع القوم أو يركب
ولكن يحيى كفرخ القطا ... في الوكر مستضعف أزغب

وإنما خرج أبو القاسم إلى الشام لسوءِ جوار ابن الزبير لبني هاشم.

---

(١) الأغاني ١٥/١٤٣.

(٢) الأغاني ١٥/١٤٧.

(٣) في الأغاني: «عارم» وسجن عارم: ظنه ياقوت بالطائف وقال: حُبس فيه محمد بن الحنفية، ثم كان سجناً للحجاج «معجم البلدان ٤/٦٦».

(٤) العُرَّة: بضم أوله وفتح ثانيه المشدّد: الجرب.

(٥) الدلاص: بكسر أوله: الدرع الملساء اللينة، وذو رونق: أي سيف، ورونق السيف: ماؤه وصفاؤه وحسنه، والمِقْضَبُ: القاطع.
الأغاني ١٥/١٤٦ ـ ١٤٧.

وذكر الجاحظ: إن عبد الله بن العبّاس[1] لما دنت وفاته أوصى ابنه عليّاً فقال: يا بني لا أرضى لك جوار ابن الزبير فإن قلبي قد تفتت من سوء جواره لنا، فالحق ببني أبيك من بني عبد مناف بالشام، ففعل ذلك ورضى عبد الله لولده جوار بني أميّة واختاره على جوار ابن الزبير.

وممّا غنّى فيه أبو إسحاق إبراهيم الموصلي[2] من شعر أبي الطفيل واختاره إسحاق للواثق [من الطويل]:

أَيَدْعُوْنَني شَيْخاً وقد عِشْتُ حِقْبَةً ... وَهُنَّ من الأزواج نحوي نوازعُ
وما شابَ رأسي من سِنِينَ تَتَابَعَتْ ... عليَّ ولكنْ شَيَّبَتْنِي الوقائعُ[3]

ومن شعره يرثي ابنه طفيلاً [من البسيط]:

خَلّى طُفيلُ عليَّ الهمَّ فانشعبا ... وهدَّ ذلك ركنِي هدَّةً عَجَبَا
وأبْنَيْ سُميةَ لا أنساهما أبداً ... فيمن نَسِيتُ وكلٌّ كان ليْ وَصَبا[4]
فاملِكْ عزاءَكَ إنْ رزءٌ بلِيتَ به ... فلنْ يردَّ بكاءُ المرء ما ذهبا
وليس يَشفِي حزيناً مِنْ تذكُّره ... إلاّ البكاءُ إذا ما ناح وانتحبا
فإذْ سلكْتَ سبيلاً كنْتَ سالكَها ... ولا محالةَ أن يأتي الذي كُتبا
فما لفظتك من ريٍّ ولا شَبَعٍ ... ولا ظلِلْتَ بباقي العيش مُرْتَغِبا[5]

---

(١) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي. أبو العباس: حبر الأمة، الصحابي الجليل، ولد بمكة سنة ٣ق.هـ ونشأ في بدء عصر النبوة، فلازم رسول الله ﷺ وروى عنه الأحاديث الصحيحة. وشهد مع عليّ الجمل وصفين. وكفّ بصره في آخر عمره. فسكن الطائف، وتوفي بها سنة ٦٨هـ له في الصحيحين وغيرهما ١٦٦٠ حديثاً. ولحسان بن ثابت شعر في وصفه وذكر فضائله. وينسب إليه كتاب في «تفسير القرآن ـ ط» جمعه بعض أهل العلم من مرويات المفسرين عنه في كل آية فجاء تفسيراً حسناً، وأخباره كثيرة.

ترجمته في:

الإصابة، ت ٤٧٧٢ وصفة الصفوة ١: ٣١٤ وحلية ١: ٣١٤ وذيل المذيل ٢١ وتاريخ الخميس ١: ١٦٧ ونكت الهميان ١٨٠ ونسب قريش ٢٦ وفي المحبر ٢٨٩: أنه كان ممن يرى المتعة، وأنظر فهرسته، الاعلام ط ٤/٤/٩٥.

(٢) مرّت ترجمته بهامش سابق.

(٣) الأغاني ١٥/١٤٢، ١٤٤ ـ ١٤٥، كاملة في شعره/القطعة ٤.

(٤) الوَصَبُ بالفتح: المرض والوجع الدائم، والجمع أوصاب، أخبار شعراء الشيعة ٢٦.

(٥) المُرْتَغِبُ: الراغب. الأغاني ١٥/١٤٨ ـ ١٤٩.

فارقتني حين لا مال أعيش به　　　وحين جُنَّ زمان الناس أو كُلبا

وذكر أبو الفرج: أن أبا الطفيل دعي إلى وليمة فغنّت قينة عندهم بهذه الأبيات فبكى حتى مات[1] رحمه الله تعالى.

وكانت وفاته سنة مائة من الهجرة وهو آخر الصحابة موتاً، وآخر من مات من الأنصار أنس بن مالك، ومن أهل الصفة جابر بن عبد الله، ومن المهاجرين سعد بن أبي وقّاص سمّهُ معاوية، وكان أبو الطفيل من البدريين وذكر عنه القول بجواز الرجعة، رحمه الله والله أعلم.

[٩١]
أبو الحسن عبد الله بن معاوية بن عبد الله الجواد بن جعفر بن أبي طالب عمرو بن هاشم الهاشمي الجعفري[*].

فاضل تهاب الأسد سمره، وترتجي العقاب عدائه برّه، وشاعر يهدي للقلوب من معاينه سلاماً بردا، ويخلع على أعطاف القوافي برغم بشّار من نسج فكرته بُردا.

وكان من فتيان بني هاشم وجواديهم وشعرائهم.

وخرج في الكوفة في آخر أيام مروان بن محمد وبايعه الناس على ما يحبّون ويكرهون، وكانت له بها حروب ثم انهزم إلى نواحي الجبل فغلب على اصبهان ونواحيها وبلاد فارس، ثم احتال عليه أبو مسلم الخراساني فحبسه ثم قتله في الحبس بعد مدة.

---

(١) الأغاني ١٤٩/١٥.

(*) طبع له «الصبابة من شعر عبد الله بن معاوية» بتحقيق الدكتور عبد الجبار المطلبي في مجلة الكتاب البغدادي ٧ و٨ تموز ـ آب ١٩٧٥م. واستدرك عليه الأستاذ عبد الحميد الراضي في مجلة البلاغ الكاظمية للسنة ١٣٩٦/٦هـ/١٩٧٦م وما بعده.
ترجمته في:
الأغاني ٢٥١/١٢ ـ ٢٧٦، مقاتل الطالبيين ١٦١ ـ ١٦٩، تاريخ الطبري ٤٨/٩ ـ ٥٢، ٩٣ ـ ٩٥ ط القاهرة ١٣٢٣، ابن الأثير ١٣٠/٥ ـ ١٣٢، ١٤٩ ـ ١٥١ بولاق ١٢٩٠، زهر الآداب ١٢٤/١ ـ ١٢٦، المعارف لابن قتيبة ٩٠ ط القاهرة ١٣٥٣، لسان الميزان ٣٦٣/٣ ـ ٣٦٤، عمدة الطالب ٣٨، أعيان الشيعة ٨١/٣٩، سرح العيون ٣٤٦، ابن خلدون ١٢١/٣، الملل والنحل ط مكتبة الحسين ٢٦/١، خطط المقريزي ٣٥٣/٢، التبريزي ١٠٢/٣، الاعلام ط ١٣٩/٤/٤.

وذكر القاضي أبو القاسم التنوخي الآتي ذكره قريباً[1] في قصيدته التي ستأتي: إنه خرج ثائراً بزيد بن علي عليه السلام.

قال الأصفهاني: إن ابن هرمة الشاعر مدحه فلمة أتاه وجد الناس بعضهم على بعض عند بابه، فقيل: ما هذا؟ قيل: عامتهم غرماؤه، فقال: هذا شرّ، فلما دخل قال: لم أعلم والله هؤلاء الغرماء الذين على بابك، فقال له: لا عليك، أَنشدني، فقال: أعيذك بالله، واستحياه فأبى إلاّ إن ينشد، فأنشده قصيدة منها:

حلَلْتَ محلَّ القلبِ من آل هاشم ... فعُشُّك مأوَى بيضَة المتفَلِّقِ
ولم تك فيها بالمُعْرَّى نِصابهُ ... إليها ولا ذا المركب المُتَعَلِّق
فمن مثلُ عبد الله أو مثلُ جعفرٍ ... ومثل أبيك الأريحيِّ المُرَهَّقِ[2]

فَدَعا باثنين من الغرماء فسارَّهما وخرجا، فقال له: إتبعهما فأعطياه مالاً كثيراً.

وكان أبو الحسن بن معاوية المذكور كامل الخصال الجيّدة، ولم يكن يُعاب إلاّ بقسوة القلب، وقيل: إنّه غضب يوماً على غلام له وهو في غرفةٍ باصبهان، فأمر أن يرمى به منها، فرمي فتعلّق بدرابزين كان أمام الغرفة، فأمر بقطع يده التي أمسك بها فقطعت، وخرَّ الغلام يهوي حتى بلغ الأرض فمات[3].

وشعره بديع الغرّة سائلها فمنه [من المتقارب]:

ألا تزع القلبَ عن جهله ... وعمّا يُؤَنَّبُ من أجلهِ[4]
فأُبدِل بعد الصبى حِلْمَه ... وَأَقْصَرَ ذو العَذْل عن عذلِه
فلا تركبنّ الصنيع الّذي ... تلوم أخاك على مثلِهِ
ولا يعجِبنّك قولُ امرءٍ ... يخالِف ما قال في فعلِهِ
ولا تُتبِع الطَّرفَ ما لا ينال ... ولكن سل الله من فضلِهِ
فكم من مُقِلٍّ ينال الغنى ... ويحمَد في أمره كلِّهِ[5]

---

(١) ترجمه المؤلف برقم ١١٠.

(٢) المرهق: الكريم الجواد الذي يغشاه الناس. الأغاني ١٢/ ٢٦٤.

(٣) مقاتل الطالبيين ١٦٣.

(٤) وزعه: كفّه، والوزع: كف النفس عن هواها (اللسان/ مادة وزع).

(٥) مقاتل الطالبيين ١٦٣ ـ ١٦٤، الأغاني ١٢/ ٢٧١ ـ ٢٧٢. الصبابة/ القطعة ٢٩.

هذه حِكَمُ يعجز عنها الإيادي، ولقد طوّق ناظمها من حفظها بالأيادي.

ومن شعره الساير مسير المثل:

وعين الرضى عن كل عيب كليلةٌ ... ولكن عين السخط تبدي المساويا
وأنت أخي ما لم تكن لي حاجة ... فإن عرضت أيقنت أن لا أخا ليا

وروى أبو الفرج الأصبهاني: عن إبراهيم أبي إسحاق النديم الموصلي قال: بينا نحن عند الرشيد وابن جامع حاضر إذ قال صاحب الستارة لابن جامع: تغنَّ في شعر عبد الله بن معاوية، ولم يكن يغنّي في شيء منه فارتج عليه، وفطنّا لما أراد من شعر عبد الله فاندفعت فغنّيت [من الكامل]:

يا قوم كيف سِواغُ عيشٍ ... ليس تؤمَن فاجِعاتُهُ
ليست تزالُ مِظَلَّةً ... تغدو عليك منغِّصاته
الموت هولٌ داخلٌ ... يوماً على كرْهٍ أناتُه
لا بدّ للحذِرِ النَّفورِ ... من أن تَقَنَّصَهُ رماتُهُ[1]

فأومى إليّ صاحب الستارة إن أمسك، ووضع يده على عينه يشير إلى أنه يبكي، وأمر لي ببدرة، فلمّا خرجنا قال لي ابن جامع: ما صبّ الله أمير المؤمنين على شعر ابن معاوية؟ فقلت: صبّه عليه البدرة الدنانير التي أخذتها، قال: ثم حضرنا فلما اطمأن بنا المجلس قال ابن جامع كلام خفّي: اللّهم أنسه ذكر ابن معاوية، فقلت: اللّهم لا تجب، فقال صاحب الستارة: يا بن جامع تغنَّ في شعر عبد الله بن معاوية فقال ابن جامع: لو كان في عبد الله خيراً لطار مع أبيه[2] ولم يقبل على قول الشعر، فسمعنا الضحك من خلف الستارة فاندفعت أغنّي من شعره [من المتقارب]:

---

(١) الأغاني ١٢/ ٢٧٣، سرح العيون ٣٥٠، الصبابة/القطعة ٧.

(٢) يريد جدّه جعفر بن أبي طالب، وكان يلقب بالطيار وبذي الجناحين (ت٨هـ) وهو صحابي هاشمي، وهو أخو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، حضر وقعة مؤتة بالبلقاء (من أرض الشام) فنزل عن فرسه وقاتل ثم حمل الراية وتقدم صفوف المسلمين فقطعت يمناه، فحمل الراية باليسرى فقطعت أيضاً، فاحتضن الراية إلى صدره وصبر حتى وقع شهيداً، وفي الحديث: إن الله عوّضه عن يديه جناحين في الجنة.

ترجمته في: الإصابة ١/ ٢٣٧، صفة الصفوة ١/ ٢٠٥، مقاتل الطالبيين ٣، حلية الأولياء ١/ ١١٤، طبقات ابن سعد ٤/ ٢٢، الاعلام ط. ٤/ ٢/ ١٢٥.

سلا ربَّةَ الخِدر ما شأنُها ... وعن أيّما شانِنَا تعجبُ؟
فلستُ بأوّل من فاته ... على إِرْبِهِ بعضُ ما يَطْلُبُ[1]
فأصبح صدعُ الذي بيننا ... كصدع الزجاجةِ لا يُرأبُ
وكالدَّرِّ ليست لهُ رَجْعة ... إلى الضَّرْعِ من بعد ما يُحْلَبُ[2]

فقال: صاحب الستارة: أَحسنت فأَعد فأعدته فأمر لي ببدرة، وكان الرشيد نظر إلى ابن جامع كاسف البال فأمر له ببدرة، وكان في ابن جامع حسد لا يستره، فلمّا انصرفنا قال: اللّهم أرحنا من ابن معاوية هذا، فما أشدّ بغضي له لقد بغّض إليّ جدّه فقلت: ويحك أتدري ما تقول؟ قال: فمن يدري ما يقول إذاً لوددت أنّي لم أرَ إقباله عليك وعلى غنائك من شعر هذا البغيض ابن البغيضة، وأني تصدقت بها يعني البدرة[3].

❁ ❁ ❁

واسم ابن جامع[4] إسماعيل وهو من بني سهم بن هُصَيص بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر، وكان أحد مشائخ المغنّين، وكان عالماً بالأخبار والشعر والفقه والمنادمة، ولأمه قصّة مع زوجها ذي مناجِبْ الحميري[5]، وكان ذو مناجب أقبح الناس، فلما كان معن بن زائدة والياً بصنعاء واليمن من قبل أبي جعفر المنصور أتته أُمّ ابن جامع تتظلّم من زوجها ذي مناجب، وكانت قرشيّة فدعى به معن فرآه رجلاً قصيراً ذميماً، سائل المخاط، أشيب العنفة، جاحظ العينين، فأنشد معن:

لعمري لقد أصبحتَ غيرَ محبَّب ... إليها ولا في عينها ذا مناجِب
فما لمتُها لمّا تبيّنتُ وجهَه ... وعيناً له حَوْصاء من تحت حاجب[6]

---

(١) الإِرب: العقل والدهاء.

(٢) الدرّ: اللبن. الأغاني دار الكتب ١٢/٢٣٧، سرح العيون ٣٥١، الصبابة/القطعة ٥.

(٣) الأغاني ١٢/٢٧٥ ـ ٢٧٧.

(٤) مرّت ترجمته بهامش سابق.

(٥) في هامش نسخة العزاوي: «إلى قصة ذي مناجب أشار المؤلف في ترجمة الشريفة زينب بنت محمد [برقم ٧٩] حيث فارقها طالب بن المهدي، وذمّه بذلك الذم القبيح، وليته لم يفعل، عفى الله عنهما جميعاً».

(٦) الحَوَصْ: ضيق في مؤخر العين حتى كأنّها خيطت، وقيل: هو ضيق مشقّها، وقيل: هو ضيق إحدى العينين دون الأخرى، والعين الضيّقة حوصاء (لسان العرب/ مادة حوص).

وأنـف كـأنـف الـبَـكْـر يـقـطُـر دائـمـاً   على لِحْية شوهاء شابتْ وشارِب[1]

ثم فرق بينهما وأَمرها أن تتجهّز إلى عشيرتها بمكّة[2].

وكان شديد التعصب على اليمانيّة لأنه قيسي، وهذا كان قصد المنصور في توليته اليمن.

وإنّما سمّى عبد الله بن جعفر ولده معاوية لأنه جاءَه البشير بولادته من إحدى جواريه وكان بالشام عند معاوية، فبلغه ذلك فاستدعى عبد الله وقال: سمّه باسمي ولك مائة ألف درهم ففعل ذلك لحاجته، وأَعطاه معاوية المال فوهبه عبد الله للذي بشره به، وكان عبد الله بن جعفر لا يؤدب ولده، ويقول: إن يرد الله بهم خيراً يتأدبوا، فلم ينجب منهم غير معاوية[3].

وتوفي عبد الله بن جعفر في خلافة عبد الملك عام سيل الحجاف سنة ثمانين من الهجرة، رحمه الله تعالى.

[٩٢]

السيّد أبو محمد عبد الله بن المتوكّل شرف الدين بن شمس الدين بن المهدي أحمد بن يحيى المرتضى الحسيني اليمني الصنعاني[*]

فاضل أَحاطت به الفضائل إِحاطة الفلك بالدنيا، ومغرم ولكن بالنفيسين الأدب والعليا، من رأى قصيدته البائيّة صلّى على النبي، ومن لم يعترف بفضل عبد الله إذ قام يدعو إلى الحكمة فهو غبي.

وكان عالماً أديباً وله أشعار مشهورة، ومحاسن غير مغمورة، وكان فيه تصوّف.

---

(١) البكر: الفتي من الأبل، جمعها أبكر وبكران.

(٢) الأغاني ٦/ ٣٠٥.

(٣) الأغاني ١٢/ ٢٦٠.

(*) ولد سنة ٩١٣ وقيل ٩١٨ وتوفي سنة ٩٩٣هـ، وقبره بمدينة ثلا.

ترجمته في: خبايا الزوايا ـ خ ـ، ريحانة الألبا ١/ ٤٥١ ـ ٤٥٥، البدر الطالع ١/ ٣٨٣ ـ ٣٨٤، نفحة الريحانة ٣/ ٢٧٢ ـ ٢٧٣.

وأخبرني شيخي السيد العلاّمة الحسن بن الحسين المذكور في الحاء[١] رحمه الله: إنّ مما عدّ من عناياته أن والده شرف الدين أنكر عليه ميله إلى التصوف، وأكل القات المتعارف، فقطع جرايته، وكان عنده قدور نحاس عظام، فاتفق أن أهل الحمّامات طلبوا منه إجارتها منهم للتسخين في تلك الحال، وكان كَراهاً بقدر ما قطع عليه ثم رقّ له، فأعاد الجاري فجاءت القدور لغنية المستأجرين عنها في وقت إِعادة راتبه.

وشعره جيّد إلى الغاية.

وذكره الفاضل أحمد أفندي الخفاجي في الريحانة، والسيد أبو الحسن إسماعيل بن محمد في سمط اللآل، وكان يدخل السوق، ويستعمل الزهادة في أيام إِمارة أهله هظماً للكبر.

ومن شعره وفيه توجيه بأسماء عدّة من مؤلفات جدّه المهدي إلاّ أنه انتهب لؤلؤ القاضي عبد الوهاب المالكي[٢] في أبياته المذكورة في أخبار أحمد بن الحسين في حرف الهمزة[٣]:

قبّلته في فيه وهو نائم ... فقال: قوموا طالبوا بالحدّ

قلت له: أفديك أنّي غاصب ... وما على الغاصب غير الردّ

قال: نعم لو كنت غير نائم ... لكان غصباً يا قليل الرشد

قلت: ما في الفقه تقرأه، قال: لا ... أما ترى الأزهار فوق خدّ

قلت وهذا الغيث فيض أدمعي ... والغيث للأزهار معنى يبدي

والبحر أيضاً من دموعي حاضر ... أن شئت أن تقرأه فعندي

تيَّار جفني قد غدا تذكرةً ... لمن يجيء في الزمان بعدي

لي في هواك مللٌ ونحلٌ ... أشرحها يوم النقى بوجدي

عقايدي في حبّكم قلائد ... في عنقي نظمتها في عقدي

وهي طويلة ومن شعره:

بين الرجاء وخوفي ... قلبي الشجيّ مقيم

---

(١) ترجمه المؤلف برقم ٤٥.

(٢) مرّت ترجمته بهامش سابق.

(٣) ترجمه المؤلف برقم ١٣.

قال الرجاء لخوفي إنّ المخوف حليم
إن كان ذنبي عظيماً فإنّ ربّي كريم
قد قال جل تعالى وهو العزيز الحكيم:
نبىء عبادي أنّي أنا الغفور الرحيم
فقال: خوفي فاقرأ ما بعدها يا فهيم
اقرأ وإن عذابي هو العذاب الأليم
فقال: في سبق هذا لذاك سرّ عظيم
سل أهل علم المعاني ما ذلك التقديم

وكتب إلى والده لمّا قطع رزقَهُ المشار إليه:

أيا والداً أربى وجودي بجوده وأصلاً نمى في رأس دوحته فرعي
لما تمنعوني الصرف من غير علّة ومعرفتي قد لازمت مانع المنع
وقد اذهبت تنوين فضلي إضافة ملازمة للاتصال بلا دفع
وإني عبد الله والأمر أمره يصرفني في الخفض والنصب والرفع

ألمّ فيه بقول أبي المحاسن بن عنين:

شكى ابن المؤيد من عزله وذمّ الزمان وأبدى السفه
فقلت له لا تذم الزمان وتظلم أيامه المنصفه
ولا تغضبنّ إذا ما صرفت فلا عدل فيك ولا معرفه

ويقول ابن صرّدُرّ:

علمته باب المضاف تفاؤلا ورقيبه يغريه بالتنوين

وله في صفة القات:

أَدِرْ عليّ يواقيت من القات زبرجديّات أوراقٍ وريقات
يَجْلوتَنَا وله قلبي ورؤيته طرفي ويجلو به حالي وأوقاتي
فلوبه تحمل الأسرار نودعها قلوبنا ثم تسري في السريرات
براق معراج قلبي حين يصعده جبريل روحي إلى أعلا سماواتي
زيتونة زيتها الأضوا بها اتقدت فتيلة النّور في مصباح مشكاتي
رأيت قلبي إليه قلبه مقة فليس بدعاً إذا ما حنّ للقات
كل المرادات فيه جمّعت فلذا توجهت نحوه كل الإرادات

لـيـن الـقـدود وتـلـويـن الـخـدود وتـنـ ... ـعـيـم الـورود ولـذّات الـمـذاقـات

وكـم خـصـائـص تـرويـهـا مـشـايـخـنـا ... الاثـبـات عـن سـادةٍ فـي الـديـن إثـبـات

كُـلـهُ لـمـا شـيـت عـن دنـيـا وآخـرةٍ ... وجـلـب نـفـعٍ ودفـع لـلـمـضـرّات

وأكـلـةُ مـنـهُ قـال الـمـرشـدون بـهـا ... تـنـويـر سـرّ اعـتـكـاف الأربـعـيـنـات

فـمـا أردت ارْتـقـاء فـي سـمـا نـظـري ... في الكون ألا جعلت القات مرقات

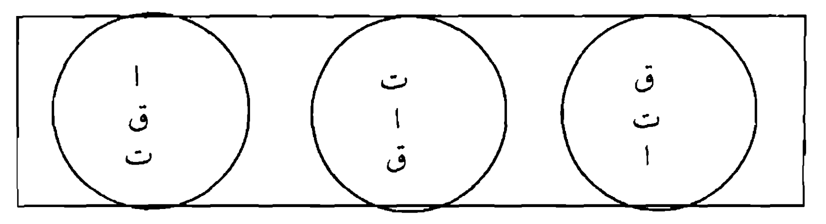
فـيـرتـقـي بـي إلـى أقـصـى حـقـائـقـهـا ... والـريّـن يـذهـبـه عـن وجـه مـرآتـي

فـيـنـجـلـي فـي صـفـا ذاتـي فـتـحـسـبـنـي ... ذاتـــاً لـــه وأراه أنـــه ذاتـــي

تـكـسـيـره مـنـتـج فـي الإنـتـهـا تـرقـاً ... وعـده عـدةٌ فـافـهـم إشـاراتـي

قـلـوب أضـلـعـه تـقـرا وتـأمـرنـا ... بـالاتـقـا فـي فـصـيـحـات الإشـارات

ولم أسمع بمن مدحه سواه بهذا المنهج الصوفي، ومزاجه بارد يابس في الثانية قابض، ومنه مخدر يفعل فعل اليبروج والشهدانج وهذه صفة تكسيره الطبيعي.



وأورد له الخفاجي، القصيدة البائية التي مطلعها:

خَطَرَتْ فَقُل للغُصنِ صَلِّ على النَّبِي ... وبدَت فقلنا للشُّموسِ تَحَجَّبِي[1]

وهي مشهورة أجاد فيها وخاصة المطلع فإنه سبق إلى رقته لا إلى معناه، فإن السابق إليه شيخ شيوخ حماه عبد العزيز الأنصاري في مخلص قال فيه:

فـــمـــن رأى ذاك الـــوشـــا ... ح الـصـائـم صـلاً عـلـى مـحـمّـد

وزاده الصيام وقد مرّ قول حيدر أغا في موشحته:

وعـــوّذ طـــلـــعـــتـــه واذكـــر مـــحـــمّـــد

ففيه أيضاً من الرقة ما يوجب الصلاة والسلام على محمد وآله.

---

(١) بعض أبياتها في ريحانة الألبا ١/ ٤٥٢ ـ ٤٥٣.

وفي قصيدة السيد المذكور مآخذ لم ينتبه لها الخفاجي منها:

قمر يقول لمقلة الرّائي لها ... من قبل مرآها إذهبي لا تذهبي

أخذه من لفظ القاضي التنوخي في قوله:

وإذ اللحاظ دنت لتسرق لمحة ... قال الشعاع لها اذهبي لا تذهبي

وقوله فيها:

أصبحت مثل النجم ينحو مشرقاً ... وتردّه الأفلاك نحو المغربي

هو بعينه قول القاضي أبي الحسن الأرجاني[1]. وقبل بيت الأرجاني:

سيري إليكم في الحقيقة والذي ... قد تنظروه فهو سير الدهر بي

وفي بيت الأرجاني أيضاً لحن...؟

والظاهر أنه ضمّنه ولم ينبّه عليه لشهرته.

وقوله: «أعجبت من خوف الأسود لثعلب» فله نظائر وأشهرها قول ابن السّاعاتي[2]:

إذا مد جيشاً للعدوّ تلاعبت ... ثعالب أطراف الرمّاح بأسدِه

ومن البديع فيها قوله:

فتراه يضرب في الرؤوس ببارقٍ ... ماضٍ ويطعن في الثغور بكوكبِ

[٩٣]

الخليفة المأمون، أبو الفضل وأبو العبّاس، عبد الله بن هارون الرشيد ابن المهدي بن المنصور الهاشمي البغدادي(*).

ملك دانت له الثقلان الأنس والجان، وقام الجد السّعيد له مقام الحماة

(١) مرّت ترجمته بهامش سابق.

(٢) مرت ترجمته بهامش سابق.

(*) ترجمته في: تاريخ بغداد ١٠/١٨٣، تاريخ الخلفاء ٢٩٧، مروج الذهب ٤/٤ وما بعدها، البداية والنهاية ١٠/٢٧٤، الفخري في الآداب السلطانية ٢١٦، شذرات الذهب ٢/٣٩، تاريخ اليعقوبي ٣/١٧٩، هدية العارفين ١/٤٢٩، البدء والتاريخ ٦/١١٢، فوات الوفيات ١/٥٠١ ـ ٥٠٥، الفهرست لابن النديم ١٧٤، النبراس لابن دحّية ٤٦ ـ ٦٣، الكامل لابن الأثير ٦/١٤٤ ـ ١٤٨، تاريخ اليعقوبي ٣/١٧٢، تاريخ الخميس ٢/٣٣٤، الاعلام ط ٤/٤/١٤٢، مختصر التاريخ ١٣٤ ـ ١٣٧.

الأعوان، تحلى بحلية الملك مرصّعة بجوهر الأدب الغضّ. وقرض من الشعر ونقده نقد الذهب فللّهِ ذلك النقد والقرض، وكان من أَجلاّء خلفاء الإسلام، وهو أَفضل ملوك الدولتين.

وكان عالماً بالأصول والنحو واللّغة وعلوم الحكمة، وفي أيّامه ظهرت كتب اليونان وأمر بتعريبها واعتنى بها وكان من الفلاسفة في حبّها وكان يناظر في كلّ فنّ.

وهو أوّل من أمر بمساحة الدنيا فأمر بني شاكر أصحاب الرصد المشهور فخرجوا إلى بريّة سنجار وهي صحراء مستوية فقاسوا دور كرة الدنيا على ما كان رآه المأمون في كتب الأَوائل، وكان رأى فيها أنّ دور كرة الأرض أربعة وعشرون ألف ميل، وكلّ ثلاثة أميال فرسخ، فيكون المجموع ثمانية آلاف فرسخ، بحيث لو وضع طرف حبل على أي نقطة من الأَرض وأدرناه على كرة الأرض حتى ينتهي إلى الطرف الآخر كان طول ذلك الحبل (٢٤) ألف ميل، فسأل المأمون، أبا عبد الله محمد بن موسى بن شاكر وأخويه الحسن وأحمد أهل الهمم العالية في تحصيل الكتب القديمة، وبذل الأموال النفيسة في نقلها من الروم، وتعريبها وتحقيقها، وقال: أريد تحقيق ذلك، فقالوا: هذا قطعي، قال أريد عمله، فسألوا عن البلاد المستوية، فقيل لهم صحراء سنجار في غاية الاستواء، وكذلك وطأة الكوفة، فأخذوا معهم جماعة من ثقات المأمون وجاؤوا إلى صحراء سنجار فوقفوا في موضع منها فأخذوا ارتفاع القطب الشمالي ببعض اللآلات وضربوا في ذلك الموضع وتداً وربطوا فيه حبلاً طويلاً ومشوا إلى الجهة الشمالية كفعلهم الأول ولم يزل ذلك دأبهم حتى انتهوا إلى الموضع الذي أخذوا فيه ارتفاع القطب فوجدوه قد زاد على الارتفاع الأوّل درجة فمسحوا ذلك القدر من الأرض فبلغ ٣٦ ميلاً وثلثي ميل، فعلموا أن كلّ درجة من الفلك يقابلها من سطح الأرض ٣٦ وثلثا ميل، ومن المعلوم أن عدد درج الفلك ٣٦٠ فضربوا في ستة وثلاثين ميلاً وثلثي ميل فكان أربعة وعشرين ألف ميل، وهي ثمانية آلاف فرسخ، وعادوا إلى المأمون وأخبروه، فأراد تحقيق ذلك في موضع آخر فسيرهم إلى الكوفة، ففعلوا كما في سنجار فتوافق الحسابان وعلم المأمون صحة ما حرره القدماء.

وكان المأمون يظهر أن مذهبه مذهب القائلين بالنص والوصية من الشيعة، فلذا بايع الناس للإمام الرضا عليه السلام بالعهد، وأمر فنودي برئت الذمّة ممن ذكر

معاوية بخير أَو ترحّم عليه وأمر بلعنه على المنابر مراراً، ونادى بتحليل متعة النكاح، حتى صدّه القاضي يحيى بن اكثم وقال المتعة زنا لأنه:

قاضٍ يرى الحدّ في الزناءِ ولا ... يرى على من يلوط من بأسِ

وذكر ابن خلكان عن محمد بن منصور قال: كنّا مع المأمون في سفر فأمر أن ينادى بتحليل المتعة، فقال لي يحيى بن أكثم ولأبي العيناء: فإن رأيتما للقول وجها فقولا، وإلاّ فاسكتا حتى أدخل.

قال: فدخلنا وهو يَسْتاك ويقول وهو مغتاظ: متعتان كانتا على عهد رسول الله ﷺ وعهد أبي بكر وأنا أنهى عنهما، ومن أَنت يا جُعَل حتى تنهى عمّا فعله رسول الله ﷺ! فأمسكنا حتى جاء يحيى بن أكثم فجلس، فقال المأمون: مالي أَراك متغيّراً؟ فقال: هو غم يا أمير المؤمنين لما حدث في الإسلام من النداء بتحليل الزنا، قال: الزنا! قال: نعم، المتعة زنا، قال: ومن أين لك هذا؟ قال: من كتاب الله تعالى وحديث رسول الله ﷺ، قال الله «قد أفلح المؤمنون» إلى قوله «إلاّ على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم»[1]. والمتعة من وراء ذلك فمتبعها من العادين، وهذا الزهري روى عن عبد الله والحسن ابني محمد بن الحنفيّة عن أبيهما عن علي قال: أمرني رسول الله ﷺ أن أنادي بالنهي عن المتعة وتحريمها بعد أن كان أَمَرَ بها، فقال المأمون: أمحفوظ هذا من حديث الزهري؟ فقلنا: نعم يا أمير المؤمنين رواه جماعة منهم مالك، فقال: استغفر الله نادوا بتحريم المتعة، قال: فنادوا بذلك[2].

وسيأتي تفصيل عقد المتعة إن شاء الله تعالى في ذكر زين الدين العاملي[3] في حرف الميم وما يجيب المثبت لها عن الآية.

ومن محاسن المأمون: إنّه أرجع ضيعة فدك لآل فاطمة عليها السلام ومدحه أبو علي دعبل الخزاعي على ذلك بقصيدة أولها:

أصبح وجه الزمّان قد ضحكا ... بردّ مأمون هاشم فدكا

---

(١) سورة المؤمنون: الآيات ١ ـ ٧.

(٢) وفيات الأعيان ٦/١٤٩ ـ ١٥٠.

(٣) ترجمه المؤلف ضمن الترجمة رقم.

وقال العسكري في الأوائل: أوّل من أَرجع فدك عمر بن عبد العزيز رحمه الله.

أخبرنا أبو أحمد عن الجوهري عن محمد بن زكريا عن ابن عائشة عن أبيه عن محمد قال: شهد علي عليه السلام وأمّ أيمن عند أبي بكر أن النبيّ صلى الله عليه وآله وهب فدكاً لفاطمة عليها السلام ثم ساق الحديث المشهور الخ، قال: فلمّا ولي معاوية أقطع ثلثها مروان بن الحكم، وثلثها عمر بن عثمان، وثلثها يزيد بن معاوية، وذلك بعد موت الحسن عليه السلام، فتداولوها حتى ولي مروان فوهبها لعبد العزيز بن مروان فنحاها عمر إليه في حياة أبيه، فلما ولي كانت أوّل مظلمة ردّها إلى عبد الله بن الحسن ثم قبضها أبو جعفر ثم ردّها المهدي على ولد فاطمة عليها السلام، ثم قبضها موسى وهارون ثم ردّها عليهم المأمون.

أخبرنا أبو أحمد عن الجوهري عن محمد بن زكريا عن مهدي بن سابق قال: جلس المأمون للمظالم فأوّل رقعة وقعت في يده نظر إليها وبكى، وقال: أين وكيل فاطمة بنت رسول الله فقام شيخ عليه دُراعة وعمامة وخُفّ تعزي، فتقدم فجعل يناظره في فدك، والمأمون يحتج عليه وهو يحتج على المأمون، ثم أمر أن يسجّل بها لهم فسجّل وأمضاه المأمون، ولم تزل في أيديهم حتى كان أيام المتوكل فاقطعها عبد الله بن عمر البازيار وكان فيها أحدى عشرة نخلة ممّا غرسهُ رسول الله صلى الله عليه وآله بيده، وقد كان آل أبي طالب يأخذون ذلك التمر، فإذا قدم الحُجّاج أهدوا إليهم منه فيصلُ إليهم به مال جليل، فبلغ المتوكل ذلك فأمر عبد الله بن عمر أن يصرمه ويعصره، فوجّه رجلاً اسمه بشر بن أُميَّة الثقفي فخرج إلى المدينة فصرمه وعصره، وذكروا أنّه جعله نبيذاً فما وصل الثقفي إلى البصرة حتى فلج وقتل المتوكل، ولمّا ردّها قال دعبل:

أصبح وجه الزمان قد ضحكا ... بردّ مأمون هاشم فدكا

وكان المأمون مشهوراً بالحلم ويقول: لو يعلم الجناة تلذذي بالعفو لتقربوا إليّ بالمعاصي.

والمأمون أَشعر العباسيين بعد ابن المعتز وابن الهبارية والبياضي، فمن شعره وقد أَرسل إلى المحبوب رسولاً:

بعثتك مشتاقاً ففزت بنظرة ... واغفلتني حتى أسأت بك الظّنا
ورددت طرفاً في محاسن وجهها ... ومتّعت في استمتاع نغمتها أذنا
أرى أثراً منها بعينك لم يكن ... لقد سرقت عيناك من وجهها حسنا

وله أيضاً وكانت أُمه أم ولد اسمها مراجل:

لا تنقص المرء قدراً أن تكون له ... أم من الروم أو سود اءعجماءُ
وإنما هنَّ للأولاد أوعية ... مستودعات وللأبناء آباءُ

وله في وصف رقعتها:

أرض مربّعة حمراء من أدم ... ما بين إلفين مخصوصين بالكَرَم
تذاكرا الحرب فاحتالا لها مثلاً ... من غير أن ياثما فيها بسفك دَمَ
هذا يكرّ على هذا وذاك على ... هذا يغير وعين الحزم لم تَنَم
فانظر إلى حكمة جاشت بمعرفة ... من عسكرين بلا بوق ولا عَلَم

وقيل: إن المأمون شرب يوماً ومعه يحيى بن أكثم فمال السّاقي على القاضي حتى وقع سكراً، فأمر المأمون أن يلقى عليه الورد والرياحين حتى يدفن فيها كأنه ميت، وصنع بيتين من الشعر وقال لجاريته: خذي العود وغني على رأسه بشعري:

ناديته وهو ميت لا حراك به ... مُرَسّل في ثياب من رياحينِ
فقلت: قم، قال: رجلي لا تطاوعني ... فقلت: خذ، قال: كفّي لا يواتيني

فاستيقظ القاضي عند رنّة العود والجارية تغنّي بالبيتين وقام فقال:

يا سيّدي وأمام الناس كلّهم ... قد جار في حكمه من كان يسقيني
سقاني الراح لم تمزج سلافتها ... فبتّ منها سليب العقل والدينِ
فخذ لنفسك قاضي إنني رجل ... الراح يقتلني والعود يحييني

وهي قصة طويلة رواها كما مرّ ابن خلكان[1].

وفي سنة ثمان ومائتين سار المأمون من بغداد غازياً للروم واستخلف بها إسحاق بن إبراهيم بن مصعب[2] وولاّه مع ذلك السواد وحلوان وكور الدجلة

---

(١) وفيات الأعيان: ٦/ ١٥٠.

(٢) إسحاق بن إبراهيم بن الحسين بن مصعب، المصعبي الخزاعي، أبو الحسن: صاحب الشرطة ببغداد أيام المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل. وكان وجيهاً مقرباً من الخلفاء، ذا رأي وشجاعة، استخلفه المأمون على بغداد حين برحها لغزو الروم سنة ٢١٥هـ وأضاف إليه ولاية السواد وحلوان وكور دجلة. وعقد له المعتصم على الجبال سنة ٢١٨ وسيره في جيش كبير لقتال أصحاب بابك الخرميّ فأوقع بهم في أطراف همذان وعاد ظافراً. وحج سنة ٢٣٠هـ فولي أحداث الموسم. ولما مرض أرسل إليه المتوكل ابنه المعتز يعوده، وجزع المتوكل لموته. مات في بغداد سنة ٢٣٥هـ.

ولمّا لبس درعه بكت جارية له وقالت ودموعها على خدّها كاللؤلؤ المنتظم:

سأدعو دعوة المضطرّ ربّاً ... يثيب على الدعاء ويستجيبُ
لعل الله أن يكفيك حرباً ... ويجمعنا كما تهوى القلوبُ

فضمّها المأمون إلى صدره وأنشد متمثلاً:

فيا حسنها إذ يغسل الدمع كحلها ... وإذ هي تشير الدر منها الأنامل
عشيّة قالت في العتاب قتلتني ... وقتلي بما قالت هناك تحاول

ثم قال لمسرور الخادم: احتفظ بها وأكرم نزلها إلى أن أرجع فلولا قال الأوّل:

قوم إذ حاربوا شدّوا مآزرهم ... عن النساء لو باتت بأطهارِ

لأقمتُ، ثم لم تلبث أن توفيت.

وله في مذهبه:

أقسم بالله والائه ... والمرءُ عمَّا قال مسؤولُ
إن عليّ بن أبي طالب ... على التُّقَى والبِرِّ مَجْبولُ
وأنّه كان الإمام الذي ... له على الأمة تفضيلُ
يقول بالحق ويختاره ... ولا تدانيه أباطيلُ
كان إذا الحرب مراها القنى ... فقصّرت عنها البهاليلُ
يمشي إلى القرن وفي كفّه ... أبيض ماضي الحدّ مصقولُ
مشي العفريا بين أشباله[1] ... اسلمه المقتنص الغيلُ[2]

ترجمته في:

الكامل لابن الأثير ٧: ١٧ والديارات ٢٢ وفيه طائفة حسنة من أخباره، وعرفه بالطاهري، نسبة إلى عمه طاهر بن الحسين، الاعلام ط ٤/١/٢٩٢.

(١) في هامش ج: «العفريا: من أسماء الأسد».

(٢) نسب صاحب الأغاني البيتين الأولين للسيد الحميري، أنظر الأغاني ٧/٢٦٧.

والقصيدة كاملة في ديوان السيد الحميري ٣٢١ ـ ٣٢٣ وتخريجها عن: كشف الغمة ١١٧، ضحى الإسلام ٣/٣٠٨، أعيان الشيعة ١٢/١٤٦، الغدير ٢/٢١٧ ـ ٢٤٣.

وحكى إنّ أبا العتاهية[١] الشاعر المشهور كان يرى رأي الجهميّة فسأل المأمون أن يجمع بينه وبين أبي علي ثمامة بن أشرس المتكلّم ليقطعه، فقال المأمون لأبي العتاهية: عليك بشعرك، فلم يقبل، فجمع بينهما بحضرته فقال أبو العتاهية: إني أقول أن كلّما في العالم من خير وشرٍ فهو من الله ثم حرّك أصبعه وقال لثمامة من حرّك إصبعي؟ قال ثمامة: من أمّه زانية، فقال أبو العتاهية: شتمني يا أمير المؤمنين، قال ثمامة: ناقض الماصُّ بظَر أُمّه[٢] فضحك المأمون وقال: ألم أقل لك عليك شعرك فلم تقبل منّي! ثم قال لثمامة: ما منعك أن تجيبه برفق؟ فقال: إن خير الأجوبة ما قام بالحجة وشفى الغيظ وانتقم من الجاهل[٣].

قال البيهقي في المحاسن والمساوي عن بعض أهل الأدب قال: تجارينا الأدب واللّغة عند المأمون وكان بجاراً فقال لي: ما أرادت هند بنت عتبة[٤] في قولها:

---

(١) هو أبو إسحاق إسماعيل بن القاسم العنزي بالولاء، وقيل عنزي نسباً وولاء، الملقب بأبي العتاهية. ولد بعين التمر سنة ١٣٠هـ وقيل ١٣١ ونشأ بالكوفة، ثم انتقل إلى بغداد. كان له اتصال بالبلاط العباسي. وكان شاعراً مجيداً مكثراً، وهو أحد الثلاثة المكثرين المجودين ـ هو والسيد الحميري وبشار ـ حتى قيل: يكاد يكون كل كلامه شعراً. رماه خصومه وحساده بالفسق والزندقة، وكانت مثل هذه التهم رائجة في زمانه. كل شعره في السنين الأخيرة من حياته في الزهد والوعظ والحكم والامثال.

توفي ببغداد سنة ٢١١ على أصح الروايات. له ديوان شعر حققه د. شكري فيصل وعمل له تكملة، وطبعته جامعة دمشق سنة ١٩٦٥م.

ترجمته في: الأغاني ٤/٣ ـ ١١٨، أعيان الشيعة ١٢/٤٨، الشعر والشعراء/ ٦٧٥، طبقات ابن المعتز/ ٢٢٨، معاهد التنصيص ١/ ٢٣٧، روضات الجنات/ ١٠٢، شذرات الذهب ٢/ ٢٥، الكنى والألقاب ١/ ١١٨، وفيات الأعيان ١/ ٢١٩ ـ ٢٢٦، تاريخ بغداد ٦/ ٢٥٠، الموشح/ ٣٩٥، أنوار الربيع ٢/ هـ ٩٦.

(٢) يا ماصّ بظر أمه، أو يا عاض بظر أمه: سبّة درج على تردادها العرب.

(٣) الأغاني ٤/ ٨ ـ ٩.

(٤) هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف: أم «معاوية» بن أبي سفيان. تزوجت أباه بعد مفارقتها لزوجها الأول «الفاكه بن المغيرة» المخزومي، في خبر طويل من طرائف أخبار الجاهلية. وكانت فصيحة جريئة، صاحبة رأي وحزم ونفس وأنفة، تقول الشعر الجيد. وأكثر ما عرف من شعرها مراثيها لقتلى «بدر» من مشركي قريش، قبل أن تسلم. وكانت ممن أهدر النبي ﷺ دماءهم، يوم فتح مكة، وأمر بقتلهم ولو وجدوا تحت أستار الكعبة؛ فجاءته مع بعض

نحن بنات طارق نمشي على النمارق
المسك في المفارق والدرّ في المخانق

وما طارق ولم يكن عندي علم بما أرادت؟ فقال المأمون: أرادت نحن بنات النجم علوّاً ورفعةً والعرب تسمي النجم الطارق قال الله تعالى: **﴿وما أدراكَ ما الطارق النجم الثاقب﴾**[1] فكتب عنه ثم أنشدني قول الشّاعر:

أجاعل أنت بيقور مُسلَّعة ذريعة لك بين الله والمطر

وقال: ما أراد الشاعر؟ فقلت: لا علم لي، فقال: إن العرب في الجاهلية كانوا إذا اجدبوا وتتابعت عليهم السنون ربطوا في أذناب البقر السلع والعشر وأعلقوا فيه النار وأصعدوها مكاناً مرتفعاً يتفاءلون بزعمهم بالبرق والمطر، قال: فكتبت عنه[2].

وحدّث الأصمعي فكتب عنّي عن المأمون وكان الرشيد لمّا دنت وفاته عهد إلى أولاده الثلاثة: محمّد الأمين وإنّما قدّمه على صبوة فيه لهوى أمّه زبيدة بنت جعفر وبعده المأمون، ثم المؤتمن واسمه القاسم، وبايع لهم الجند، وكتب عهداً بذلك رصّعه بالجواهر، ثمّ حجّ وهم معه فبايع لهم الناس بالموسم وفرّق الأموال، وعلّق العهد على الكعبة وأمر السدنة أن يقرأوه على الناس كل سنة. ولما صدر من حجّه خرج إلى مدينة طوس وهو عليل ليحارب رافع بن الليث

= النسوة في الأبطح، فأعلنت إسلامها، ورحب بها. وأخذ البيعة عليهن، وكان لها صنم في بيتها تعبده، فلما أسلمت عادت إليه وجعلت تضربه بالقدوم حتى فلذته، وأخبارها كثيرة، توفيت سنة ١٤هـ.
ترجمته في:
طبقات ابن سعد ٨: ١٧٠ وخزانة البغدادي ١: ٥٥٦ والروض الأنف ٢: ٢٧٧ ونهاية الأرب للنويري ١٧: ١٠٠، ٣٠٧، ٣١٠ وأسد الغابة ٥: ٥٦٢ والإصابة، كتاب النساء: ت ١١٠٣ والاستيعاب، بهامشها ٣: ٤٠٩ والدر المنثور ٥٣٧ ومجمع الزوائد ٩: ٢٦٤ وفيه قصتها مع «الفاكه بن المغيرة» وسماه ابن سعد «حفص بن المغيرة» في المردفات من قريش، نوادر المخطوطات ١، «... كانت عند الفاكه بن المغيرة، فقتل عنها بالغميصاء، في الجاهلية، ثم خلف عليها حفص بن المغيرة، فمات عنها، فتزوجها أبو سفيان». ورغبة الآمل ٣: ٧٨ والأغاني، طبعة الساسي: أنظر فهرسته، الاعلام ط ٩٨/٨/٤.

(١) سورة الطارق: الآيات ١ ـ ٢.
(٢) المحاسن والمساوىء.

فظفر به وقطعه أربع قطع وكانت علّته الذُبيلة، وابتدأها ببغداد، فمات بطوس يوم السبت لثلاث خلون من جمادى الآخرة سنة ١٩٣ وكان قد ولى المأمون خراسان وشرط على الأمين أنه يقرّه ولا يغير عليه، فجعل الفضل بن الربيع بن يونس يُحسّن للأمين خلع المأمون وأن يعهد لولده موسى وكان طفلاً فمال على ذلك وخلع المأمون وعهد إلى ولده موسى ولقّبه المظفّر وكتب اسمه على السكّة والطراز وكان يكتب عليهما:

كـــلّ عـــزّ ومـــفـــخـــر فـلـمـوسـى الـمـظـفّـر
مـلـك خـطّ ذكـره فـي الـكـتـاب الـمـسـطـر

وكتب إلى المأمون: إنه يقبل إليه قبل الخلع المذكور فكتب إليه المأمون يتعلل فلم يقبل منه إلاّ الوصول ولم يفعل المأمون، ولما يئس منه أظهر خلعه. وولاية ولده فكتب المأمون يذكّره العهد والميثاق فلم يرجع.

ثم بعث الأمين علي بن عيسى بن ماهان من بغداد في مائة ألف فارس وعشرين ألفاً في أبهى العدد والسلاح المحلّى وكان عند المأمون نحو عشرة آلاف فارس فحارَ وهَمَّ بالطاعة أو بالهرب إلى خاقان ملك الترك ثم ثبت.

وذكر الشيخ أبو جعفر القمي في عيون أخبار الرضاعليه السلام: أن المأمون قال: لقد هممت بالهرب إلى خاقان فلم آمنه وقلت: كافر يبعث إليه أخي بالأموال فيهديني إليه فصمت ثلاثة أيّام وأحييت لياليها صلوة ودعاء وأعطيت الله عهداً لئن نصرني على المخلوع لأخرجن الخلافة عن بني العبّاس إلى بني علي فنصرني الله فوفيت بما عاهدته، وكان هذا أحد أسباب بيعته لأبي الحسن الرضاعليه السلام فعقد لواء جيش المأمون الفضل بن سهل وكانوا أربعة آلاف فارس مع طاهر بن عبد الله الخزاعي ـ كما أشرنا إليه في أول الكتاب ـ وشيّع المأمون طاهراً وخرج بالجيش، وكان المأمون قد لقب نفسه الداعي إلى الحق.

فلمّا تقارب الجيشان أشرف طاهر على جيش الأمين من عقبةٍ هناك وقد نزلوا يتغدون ببعض المروج، فإذا المرج يموج بهم وقد لمعت السيوف بحلاها والعدد المذهبة فهي تغشي البصر، فقال لأصحابه: لا طاقة لنا بمقاتلة هذه العساكر ولكن اجعلوها خارجية، ثم كردس خيله أربعة كراديس وحملوا حملة رجل واحد، وقصد طاهر خيمة علي بن عيسى الأمير وهو يتغدى فانتهى إليه فقتله بسيفه، فلمّا قتل انهزم عسكره وظفر بهم طاهر وثاب عامتهم إليه وأدبرت دولة

الأمين وندم، ولمّا وصل خبر الفتح بهزيمة علي بن عيسى ومعها رأسه تسمّى المأمون بالأمامة وقد كان الأَمين أرسل مع علي بن عيسى بقيد ذهب ليقيّد به المأمون بزعمه، وانتهى طاهر إلى الأهواز، فثار بعض آل المهلب بالبصرة فخلع الأمين ودعى إلى المأمون، ثم نزل طاهر على بغداد فحاصرها ورماها بالمجانيق، وقاتل عامّة أهل بغداد مع الأمين قتالاً لم يسمع بمثله، وطال الحصار نحو ثلاثين شهراً حتى أَكلوا الجيف، وأنفق الأمين خزائن الدنيا، وقيل: إن الأمين سمع الهيعة يوماً حول قصره فسأل عنها فقيل هؤلاء الجند يطلبون أَرزاقهم، فقال: أَراحني الله منهم فإنّ الجميع أَعدائي، هؤلاء يريدون مالي، وأولئك يريدون دمي، وكان وزيره الفضل بن الربيع قد جعل لكل من يُجرح في الحرب من أهل بغداد مائة دينار فجاءه منهم رجل بجرح يطلب الجعل، فقال له الوزير: هذا جرح صغير لا تستحق عليه شيئاً فرجع إلى القتال، فطعن في بطنه فخرجت حشوته فرجع إلى الوزير وحشوته أَمامه، وقال: أَعجبك هذا؟ فضحك، وأَعطاه مائة دينار وأمر الطبيب بعلاجه.

ثم اختفى الفضل حتى دخل المأمون إلى بغداد فأمنه وقيل: خرج كوثر غلام الأمين وكان بديع الجمال ليرى الحرب فرمي بحجر في رأسه فرجع إلى الأمين ودمه يسيل فجعل الأمين يمسح الدم عن وجهه بيده ويقول:

رجـــمـــوا قـــرّة عـــيـــنـــي ... ومِـــنَ اجْـــلـــي رجـــمـــوه
أخـــذ الله لـــقـــلـــبـــي ... مـــن أنـــاس أحـــرقـــوه

وقال لأبي علي الحسين بن الضحّاك المعروف بالخليع[1] أجزهما فقال:

---

(١) هو أبو علي الحسين بن الضحاك، المعروف بالخليع، خراساني الأصل. ولد بالبصرة سنة ١٦٢هـ. كان اتصاله بالأمين بن الرشيد وثيقاً وله فيه مدائح كثيرة، ولما قتل الأمين أكثر من رثائه. وقبيل دخول المأمون بغداد ارتحل الحسين إلى البصرة وانزوى فيها، فلم يتعرض المأمون له بسوء. استقدمه المعتصم في أيامه إلى بغداد وقربه، ولم يزل مع خلفاء بني العباس إلى أيام المستعين. كان خليعاً ماجناً، متفنناً في الشعر، له معان مبتكرة، قيل أن أبا نواس كان يأخذها عنه. توفي سنة ٢٥٠هـ.

ترجمته في: الأغاني ٧/ ١٦٣ ـ ٢٤٥، الكنى والألقاب ٢/ ٢٠٠، تاريخ آداب اللغة العربية لزيدان ٢/ ٩١، وفيات الأعيان ٢/ ١٦٢ ـ ١٦٨، شذرات الذهب ٢/ ١٢٣، وفيه أنه توفي سنة ٢٥١، تاريخ بغداد ٨/ ٥٤، طبقات ابن المعتز/ ٢٦٨، معجم الأدباء ١٠/ ٥ ـ ٢٣، تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٢/ ٢٠، حديث الأربعاء ٢/ ١٧٣، أنوار الربيع ٤/ هـ ٦٠.

مـــن رأى الـــنـــاس لـــه الـــفـــضــــ ل عـــلـــيـــهـــم حـــســـدوه
مـــثـــلـــمـــا قَـــدْحـــســـد الـــقـــا ئـــم بـــالـــمـــلـــك أخـــوه

وسَبَبَ هذا البيت غضب عليه المأمون وجفاه، وقيل: كان الأمين يوماً في بستانهِ فعلت الضجة، فدخل عليه الحاجب فقال: إن طاهر قد ملك الجانب الفلاني من بغداد، فقال: دعوني إن كوثراً قد صاد سمكتين وأنا لم أَصد شيئاً.

وحكى إبراهيم بن المهدي قال: استدعاني الأمين ليلة وقد اشتدّ به الحصار، فقال: إني دعوتك لتؤنسني ثم أخذ بيدي فصار إلى بستانه على الدجلة في ليلة مقمرة فقال: أَما ترى حسن نور هذا القمر وصورته في الماء؟ قلت: بلى يا سيدي، ودعوت له، فقال: هل لك في الشراب؟ قلت: ما رأى أمير المؤمنين، فدعى به واستدعى ثلاثاً من جواريه المغنّيات فشربنا ثم قال لأحداهن: غنّي فغنت:

كـلـيـبٌ لـعـمـري كـان أكـثـرنـا صـراً وأيـسـر ذنـبـاً مـنـك ضـرّج بـالـدّمِ
رمـى ضـرع نـابٍ فـاسـتـقـلّ بـطـعـنـة كـحـاشـيـة الـبـرد الـيـمـانـي الـمـسـهّـمِ

قلت: وهو للنابغة، فتطيّر ووجم. وقال: قومي، ثم التفت إلى الثانية وقال: غنّي، فاندفعت فغنّت:

لـهـفـي عـلـى فـتـيـةٍ ذلّ الـزمـان لـهـم فـمـا أصـابـهـم إلاّ بـمـا شـاؤوا
مـا زال يـعـدو عـلـيـهـم ريـب دهـرهـم حـتـى تـفـانـوا وريـب الـدهـر عـدّاءُ
أبـكـى فـراقـهـم عـنّـي وأرّقـهـا أن الـتـفـرّق لـلأحـبـاب بـكّـاءُ

فتطيّر أَعظم من المرّة الأولى، وقال: قومي عليك غضب الله، ثم التفت إلى الثالثة فأمرها بالغناء فحبست عودها بقول مضّاض بن عمرو الجرهَمي[1]:

---

(١) مضاض بن عمرو بن نفيلة الجرهمي: من ملوك العرب في الجاهلية. كان محباً للغزو، كثير المعارك، مقيماً في الحجاز، تابعاً لليمن. وكان قبل الميلاد بزمن بعيد. ويقال: إن إسماعيل النبيّ تزوج بنته وجميع ولد إسماعيل منها. ويؤخذ من رواية نقلها الزبيدي أنه كان معاصراً لعمرو مزيقياء. وفي مخطوط لأحد النقلة من المتأخرين ما يفيد أن مضاضاً كان يحكم أعلى مكة ويأخذ «العشور» ممن يدخلها من تلك الجهة.

ترجمته في:

التيجان ١٧٨ و١٨٠ وأخبار ابن عبيد ٣١٥ وفي التاج للزبيدي ٥: ٨٧: «.. وفهيرة بنت عامر بن =

كان لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس ولم يسمر بمكّة سامرُ
بلا نحن كنّا أهلها فأبادَنَا صروف الليالي والجدود الغوابرُ

فتغيّر وجهه وضرب صدرها برجله فانكسر عودها، وقامت فعثرت بكأس بلّور مرصّع فكسرته، فالتفت إليّ وقال: يا عمّ أرأيت أَعجب ممّا نحن فيه، والله ما أَظنّ أَمري إلاّ قد قرب، قلت: بل يطيل الله بقاء أمير المؤمنين ويقتل عدوه، فسمعنا صارخاً من دجلة لا نرى شخصه يقرأ ﴿**قُضيَ الأمر الذي فيه تستفتيان**﴾[1] فقال: أسمعت، ما أَرى أَمري إلاّ قد قرب، قلت: سمعت شيئاً، وكنت سمعت لكن أردت أن لا أزيده وحشة، ثم قام منكسراً فما مرت ثلاثة أيام ألا وأسر وقتل.

وكان سبب أَسره أنّه ضاق صدره لضيق الحصار الطويل، وقلّة الأموال، وفناء الأجناد، فكاتب طاهراً أنّه ينزل على حكم المأمون فأبى إلاّ أن ينزل على حكمه، فتركه وكاتب هرثمة بن أعين أحد القوّاد الخراسانية ـ وكان نازلاً بعسكره في الجانب الغربي ـ فقبل كلامه وعزم على إرساله إلى المأمون فخرج الأمين في جوف الليل وركب زورقاً ليعبر فيه إلى هرثمة، وكان طاهر قد جعل الحرس في الدجلة خوفاً أن يفرّ الأمين إلى الشام فيعظم الخطب، فأحسّ به أصحاب طاهر فقصدوا زورقه فقاتلهم غلمانه فقلبوها عليهم فغرقوا، وكان الأمين سابحاً فعبر سباحة إلى الجانب الشرقي فتلقاه أصحاب طاهر فشمّوا منه ريح المسك فعرفوه، وأتوا به إلى طاهر في جوف الليل، فسجد وأمر بحبسه في بيت، وخرج بنو العباس والوجوه إلى طاهر فبايعوه للمأمون وصاح بالأَمان فهدأ الناس.

وحكى ابن بدرون المغربي في «أطواق الحمامة شرح قصيدة ابن عبدون البسامة» عن بعض أصحاب طاهر قال: كان طاهر حبسني في جنايةٍ وتهدّدني بالقتل، فبينا أنا في الحبس في جوف الليل إذ سمعت حركة الأقفال فلم أشك أنّه القتل، فدخل عليّ شابّ حسن الجسم، أبيض اللون، عريان ليس عليه إلاَّ سراويل ثم أُغلقت الأَبواب فَدَنا إليَّ مرتاعاً فقرب منّي وقال: ادن منى لأستأنس بك وتخفّف وحشتي، فدنوت منه وهو يرتعد، فلما سكن قلت: جعلت فداك من

= الحارث بن مضاض، هي أم عمرو بن ربيعة بن حارثة ابن عمرو مزيقياء». وفي مسودة تاريخ مكة ـ خ: كان مضاض الجرهمي يعشر من يدخل مكة من أعلاها، والسميدع (؟) يعشر من يدخل من أسفلها، ولا يدخل أحد منهما على صاحبه، الاعلام ط ٢٤٩/٧/٤.

(١) سورة يوسف: الآية ٤١.

أنت؟ قال: أنا محمد الأمين، فحادثته وهوّنت عليه الأمر فأنس إليّ، فلما انتصف الليل سمعنا حركة الإقفال فدخل علينا سبعة من العجم الخراسانية بأيديهم السيوف مشهورة فقصدوا الأمين فأخذ وسادة كانت هناك وضربه أحدهم فتلقى السيف بها، ثم واثب الرجل فصرعه وقعد على صدره فصاح بالفارسية: قتلني فركب بعضهم ظهر الأمين وأخذ السيف وذبحه من قفاه وخلّصوا صاحبهم، وأَخذوا رأس الأمين محمد وخرجوا وخرجت معهم، ثم أمر طاهر برأسه فنصب بعض يوم على جسر بغداد وبعث به وبالبردة والقضيب والخاتم إلى المأمون وكتب إليه قد بعثت إليك بالدنيا والآخرة.

وكان الأمين بديع الجمال أبيض طويلاً لم يرَ مثل جماله، وكان أبو نواس مغرماً به، وكان أيّداً، شديد القوة، ولما دخل المأمون بغداد بعد قتل الأمين أَنشدته أمّ الأمين زبيدة، قيل إنّه من شعرها، وقيل: بل هو لأبي العتاهية قاله على لسانها:

ألا إنَّ ريبَ الدهْرِ يُدني ويبعدُ ... ويقبح بالإتلاف حيناً ويحمدُ
أَصابَ بِرَيْبِ الدَهْرِ منّي يَدِي يَد ... فسلّمتُ للأَقدارِ والله أَحْمَدُ
وقلتُ لِرَيْبِ الدهرِ إنْ ذَهَبَتْ يَدٌ ... فقد بقيت والحمدُ لله لي يَدُ
إذا بقِيَ المأمونُ لي فالرشيدُ لي ... وَلِي جعفرٌ من بَعدِهِ ومحمَّدُ[1]

فرقّ لها وبكى بكاء شديداً ولعن طاهر ومقته.

وذكر أبو الفرج الأصبهاني: أن الرشيد أُهديت إليه جارية بارعة الجمال والكمال فخلى معها يوماً للاصطباح فكان من حضر من جواريه للغناء والخدمة في الشراب نحو ألفي جارية في أحسن زيّ من أنواع الملابس والحلي، واتصل الخبر بأمّ جعفر فغلظ عليها ذلك، وأَرسلت إلى عليّة بنتِ المهدي الشاعرة الأديبة تشكو ذلك إليها فأرسلت عليّة إليها: لا يهولنّك ذلك، فوالله لا أردّنه إليك، وقد عزمت أن أصنع شعراً وأصوغ فيه لحناً وأطرحه على جواريي، فوجِّهي لي بجميع جواريك ليأخذن الصوت مع جواريِّ، ففعلت ذلك أمّ جعفر، فلما جاء وقت صلوة العصر لم يشعر الرشيد إلاّ وعُلَيّة وأمّ جعفر قد خرجتا عليه من حجرتيها ومعهما نحو ألفي جارية من جواريهما ومن سائر جواري القصر عليهن غرائب

---

(١) الأغاني ٢٠/٣١٧.

اللباس، وكلّهن يغنّين في لحن واحدٍ هزج صنعته عليّة وهو:

منـــفـــصـــل عَـــنِّـــي ومـــا قـــلـــبـــيَ عـــنـــه مـــنـــفـــصِـــلْ
يـــا قـــاطـــعـــي الـــيـــومَ لِـــمَـــنْ أنـــويـــت بـــعـــدي أن تَـــصِـــلْ

فطرب الرشيد حتى قام على قدميه فتلقاهما وهو على غاية من السرور وقال: لم أر كاليوم سروراً قطّ، وقال لمسرور لا تبقين في بيت المال درهماً ألا نثرته فكان مبلغ ما نثر يومئذٍ ألف ألف درهم ما سمع بمثل ذلك اليوم قط[1].

وحكى بعض الأخباريين: أن المأمون لاعب أم جعفر بالشطرنج بعد قتل الأمين فماراها فقالت: لعن الله المرا فهو أثكلني ولدي فقال: وكيف ذاك؟ قالت: جلست مع الرشيد ألاعبه الشطرنج فتمارينا في بعض اللعب فحكمته أن غلب وحكمني أن غلبت، فلم يلبث أن غلبني فحكم أن أَتجرّد من ثيابي وأمشي عريانة مقبلة ومدبرة إلى أقصى الأيوان، فاستعفيته وسألته غير ذلك فلم يعفني فمشيت مقبلة ومدبرة ثم عاودنا اللعب، فغلبته وأخذت بيده ودرت به القصر حتى أوقفته على أَقبح جارية فيه، فقلت: حكمي أن تجامع هذه على هذه الحال التي هي فيها فاستعفاني، فلم أقبل ولم أبرح حتى جامعها، فعلقت ثم جاءت بك فاثكلتني ولدي فعجب المأمون.

وأنا أرى ان هذه الحكاية بعيدة وإن كانت ممكنة فبعيد أن تستقبله بهذا الذمّ الشّنيع.

وبالجملة: فكان المأمون من كبار الأدباء والعلماء والعدلية وقد قدمنا ما قيل عنه في الرضاعليه السلام وكانت وفاته بمدينة طرسوس من بلاد الشام صادراً عن غزاة الروم. قيل إنه مرّ بنهر البدَيْدون فرأى صفاه فاغتسل فيه واصطاد منة سمكة وكان الزمان شاتياً فحمّ من ساعته فحمل إلى طرسوس فمات بها وقيل مات بالحوانيق فلمّا قرب موته أمر ففرش له رماد فاضطجع عليه وكشف رأسه وجعل يقول: يامن لا يزول ملكه إرحم من قد زال ملكه حتى مات، وهذه توبة نصوح.

وكانت خلافته عشرين أو إحدى وعشرين سنة.

وتوفي يوم النيروز لاثنتي عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ثماني عشرة ومائتين سامحه الله.

---

(١) الأغاني ١٠/٢١١.

أبو محمد عبد الله بن محمد الكاتب الأصبهاني الشهير بابن الخازن الشاعر المشهور(*).

فاضل ينظم اللؤلؤ والياقوت من سجعه، وينثر النضار الخالص المطبوع بطبعه، صيرت همزيّته البوصيري في صفد، ولو سمعها عمرو بن كلثوم خرّ لاستنشاق ريحانها وسجد، وإنّما عرف بالخازن لأنه كان خازناً للصاحب أبي القاسم كافي الكفاة إسماعيل بن عبّاد، وكاتبنا له.

وكان شاعراً مجيداً وله في الصاحب غرر القصائد ومن محاسنها اللاميّة.

قال أبو القاسم الزعفراني: عهدي بأبي محمد بن الخازن ينشد قصيدته التي أوّلها:

«هــذا فــؤادك نــهــبــاً بــيــن أهــواء»

وكان الصاحب في صدر مجلسه، فمّا أتمّها إلاّ وقد زحف إلى طرف البساط طرباً لما يسمع من حسنها وأوّلها:

هـذا فـؤادك نـهـبـاً بـيـن أهـواء ... وذاك رأيـك شـورى بـيـن آراءِ
هـواك بين العيون النجل منقسم ... داء لـعـمـرك مـا أبْـلاه مـن داء
لا تـسـتـقـر بـأرض أو تـسـيـر إلـى ... أخرى بشخص قريب عزمه نـاءٍ
يوماً بحزوى ويوماً بالعقيق وبالـ ... ـعذيب يوماً ويوماً بالخليصاء
وتـارة تـنـتـحـي نـجـداً وآونـة ... شعب العقيق وحيناً قصر تيماء
وكـم تـهـيـم بـسـعـدى بـرهـةً وإذا ... هـويـت عـزّة تـبـغـي وصـل عـفـراء
صبيّة الحي لم تقنع بها سكناً ... حتى هويت صبايا كل أحياء
قالوا بغانية واصلت غانية ... فقلت حزم وودّ الماء بالماء
ما كل مرعى كسعدان وكلّ فتًى ... كـمـالـك لا ولا مـاء كـصـداء
ما مثل رامة دار في الديار ولا ... مثل الرباب حبيب في الأحبّاء

(*) ترجمته في: يتيمة الدهر ٣/٣٢١ - ٣٣٥، معاهد التنصيص ٢/٢٠٦ وفيهما اسمه: «عبد الله بن أحمد الخازن»، أنوار الربيع ١/٥٧ وفيه اسمه: «عبد الله بن محمد بن أحمد الخازن».

وما يطيب الهوى إلاّ لمنفرد بالحبّ ناب عن العذّال أبّاء
أما رأت عينه اسماء واحدة وقد ثوت في فؤادي بالسويداء
أدْعَا بأسماء نبزاً في قبائلها كأن أسماء أضحت بعض أسماء
تود كلّ النفوس أن تصير لها فداً فدتها إذاً نفسي وحوباء
ثنت أناملها عني وقد دُميت من مهجتي فادّعتها وشم حِنّاء
ألقيت شعري فألقت شعرها طرباً فالفيا بين أصباح وأمساء
والغور أرض أُودّائي وأجرعه ملاعبي حبّذا أرض الأودّاء
أخبت هواجر قلبي كلّ هاجرة فالجمر قلبيَ والرمضاء أحشائي
وشَيَّعتني نفس حرة فجعت بالماء في حرّة كالنار رجلاء
عفت العراق فعداني قرا سرح ميلا عن جانب الزوراء زوراء
ورمت بلغة عيش لا ينغصها ضيم يعود بإقناع وإقناء
وليس تعجب يوماً أنني رجل أرىٰ الأذلّاء موتى غير أَحياء
فليس بيني وبين الدهر غير قلا وناقةٍ ذات اقتاب وأحناء
ومَهْمَهٍ مثل ظهر الترس متصل ببلدة مثل ظهر الرمح روحاء
من كل قفر يباب يبره سدم ضمى الدلاء مظلّ للأدلاء
أسير في فتية زهر وجوههم من الكرام الأسداء الأشدّاء
من كل ندب إلى الهيجاء ومبتدر وكلّ شهم إلى العلياء رقاء
وكلّ يعملة خطاره أُحُد تحدي بأعيف حذاء وعدّاء
ترمي الفلاة بهم سهلا إلى جبل كأنّه مقلة ترمى بأقذاء
وكنت في ظما عيس فانتهيت إلى بحر يقلقل أضمائي بأرواء
والبحر يعفى عن الحِسْيِ الركيِّ ولم أكن لأ برد أحشائي بأحساء

ومن مشهور مديحها:

نعم تجنّب لا يوم العطاء كما تجنّب ابن عطاء لفظة الراء

قلت: لو طار الصّاحب طرباً لهذه القلادة التي هي أحسن من جناح الطاووس فبلغ النسر الطائر لما أبعد، ولعمري أنها تسلب الحجر بزخرفها، وتهزم كالشمس ظلم الهموم من سدفها، وفيها من الأمثال السائرة، والألفاظ الميحطة بالإحسان الدائرة، ما يعلم به حسن اختيار الصاحب، وعلمه بالكافي الكاتب، فهي أحسن همزيّة على الإطلاق.

❁ ❁ ❁

والحرّة: الأرض ذات الحجارة السود، ورجلاء: قامت على أرجل وهو من البهائم ما يكون أحد أرجليه بيضاء يريد حجارة إحدى جانبيها أبيض.

والأَرجل من بني آدم: عظيم الرجلين.

والحِسْي بكسر الحاء وإسكان السين المهملتين ثم ياء مثناة من تحت: واحد الاحساء وهي آبار تحفر في الرمل وفي بطون الأودية، وبها سميت الإحساء المدينة المشهورة بناحية البحرين لكثرة هذه الحفائر بها.

والرّكي، الدلو: ومن أسمائه الذّنوب.

ومن شعره أيضاً وهو بديع [من الكامل]:

حثّ المطي فهذه نجد ... بلغ المدا وتجاوز[1] الحدُّ

يا حبّذا نجد وساكنها ... لو كان ينفع حبّذا نجدُ

وبُمنحنىٰ الوادي لنا رشأ ... قد ظلّ حيث الظّال والرندُ

هند ترى بسيوف مقلتها ... ما لا ترى بسيوفها الهندُ[2]

وذكر الثعالبي في اليتيمة ممّا يتغنّى بهِ من شعر أبي محمّد الخازن:

لا لعمري ما أنصفوا يوم بانُوا ... حلفوا لي أن لا يخونوا فخانوا

شتتوا بالفراق شملي ولكن ... جمع الله شملهم حيث كانوا[3]

ومر شعره من جملة قصيدة [من البسيط]:

لا يحسن الشعر ما لم تسترق له ... حر الكلام وتستخدم له الفكرُ

انظر تجد صور الأشعار واحدة ... وإنما بالمعاني تعشق الصور

والمعدمون من الإبداع قد كثروا ... وهم قليلون إن عدوا وإن حصروا

قوم لو انَّهم ٱرتاضوا لما قرضوا ... أو أنهم شعروا بالنقص ما شعروا[4]

يعني أن وجودهم كعدمهم. وقد عدّ من المطالع المشعرة بالمقصود قوله

(١) في يتيمة الدهر: «وتزايد».

(٢) يتيمة الدهر ٣/ ٣٢٦.

(٣) لم أعثر عليها في اليتيمة.

(٤) يتيمة الدهر ٣/ ٣٢٥.

يهنّي الصاحب بولد حصل له من ابنته ووالده علويّ [من البسيط]:

بشرىٰ فقد أنجز الإقبال ما وعدا وكوكب المجد في أُفق العلا صعدا[١]

قلت: ما بعد بشرىٰ والإقبال زيادة على الأشعار بتهنئةٍ بالولادة للأذهان القابلة.

قال أهل البديع: الشاعر يلحن بما بنى قصيدته له في أَوَّل النسيب أو الحماسة بحيث يلوح قصده للذكي ولا يصرّح، ولا زيادة على قول أبي تمام يمدح الإمام المعتصم بالله بفتح عمورية ويذكر عزمه مخالفاً للمنجمين:

«السيف أصدق إنباء من الكتب»[٢]

وقد ذكرت شيئاً منها فيما مضى، ويعجبني قول الشيخ إبراهيم الهندي يرثي:

بني الدهر ما هذا الذي فعل الدهر أمات أمير المؤمنين أم الحشرُ

وربما يزل الأديب الكامل في هذا الحرف كأبي محمّد إسحاق الموصلي فإن المعتصم بالله عمّر قصراً ثم انتقل إليه فكان أوّل من أنشده إسحاق يهنّيه لقربه منه فإنه طيب روحه فقال:

يا دار غيّرك البلا ومحاك يا ليت شعري ما الذي أبلاكِ

فتغيّر وجه المعتصم وقام من فوره وأمر بخراب القصير، ما كان أحقّ إسحاق مع أَدبه بقول أشجع السّلمي يهنّي الرشيد بعمارة:

قصرٌ عليه تحيّة وسلامُ خلعت عليه جمالَها الأيامُ[٣]

والشيء بالشيء يذكر، وممّن استفتح الهجاء بالنسيب المشعر به القاضي الأديب شرف الدين الحسن بن علي بن جابر الهبل[٤] رحمه الله ولست أعني أنّه أوّل من صدّره فإنّ البحتري هجا أبا الجيش أحمد بن طولون بقصيدة أوّلها:

بعينيك إعوالي وطول شهيقي

---

(١) كاملة في يتيمة الدهر ٣/٢٣٦.

(٢) البيت لأبي تمام، والقصيدة كاملة في ديوانه ١٤ ـ ١٨.

(٣) الخبر والمقطوعة كاملة في الأغاني ١٨/٢٢١ ـ ٢٢٢.

(٤) ترجمه المؤلف برقم ٤٦.

بل إنّ القاضي أَشْعَرَ بالمقصود في قصيدة أوّلها:

لا نالَ منكَ فؤادي ما يُرجّيهِ ... إن كَان طُولُ التَّنائي عنكَ يُسْلِيهِ
سَلِ الصَّبابةَ عَنْ جسمي السَّقيم، ولا ... تَسَلْ سَقامي فإنّ السُّقم يخفيهِ
ولا تَسَلْ غَير طرفي عَنْ مَدامِعِهِ ... لا تأخذِ الماءَ إلاّ من مجاريهِ
أشكو إلى الله وجداً كُنْتَ أَكتُمُهُ ... عَنْ عاذِلي ودموع العين تبديه!
وخاطراً قد تمادَى في غوايتِه؛ ... وزادَ حَتّى تمادَى في تماديهِ
وصَرَفَ دَهْرٍ أَصابتني حَوَادِثُه ... بكلّ سَهْم مِنَ الأحداثِ تَبْريهِ
سُقْياً لِدَهْرٍ مضى لو كَانَ سَاعدني ... حَظّي لَكُنْتُ بِهَذا الدَّهرِ أَفْديْه
هَذَا الزّمانُ الّذي لاَ كانَ مِنْ زمنٍ ... ولا سَقاهُ مِنَ الوسْميّ سارِيْهِ[1]
فأينَ مَنْ يَسْتَحقُّ المدحَ مُبْتَذِلاً ... لِلْمالِ فيهِ فيوفِينَا ونُوفِيه؟
لَهْفِي عَلَى غُرِّ أَبْيَاتٍ مَدَحْتُ بها ... مَنْ لَوْ هَجوتُ لأرخَصْتُ الْهجا فِيهِ!
لَهْفِي عَلَى ثوبِ عزٍّ نَشْرهُ عَطِرٌ؛ ... أَلْبَستُهُ لِشَقَائي غَيرَ أَهْلِيهِ!
وأُفق نَظْم تذيبُ الصّخر رقّتُه ... أَطْلَعتُ فيه نجوماً مِنْ معانيهِ
خَبّرتُه في بخيلٍ نقشُ دِرْهمِهِ؛ ... الله مِن أعينِ السّؤّال يَحْميهِ!
لو جَاءَه «المُصطفى» مُسْتَشْفِعاً «بأميـ ... ـنِ الله» في دِرهم ما كانَ يُعطيهِ[2]
لا المدحُ يُغْريه بالإعطا لِسَائِلِهِ، ... ولا الهجاء عَنِ الحرمان يُثْنيهِ
أزْهى مِنَ الديكِ؛ إذْ يمشي عَلَى صَلَفٍ ... لَهُ جناحان مِنْ كِبرٍ، ومن تِيهِ
لا عَقلَ فيه، ولا حِلمٌ ولا أدبٌ، ... ولا وفاء إلى المعروف يهديه!
يرومُ شأوَ العُلَى؛ والبخلُ يُقْعِدهُ ... كأنّه طائرٌ قُصّتْ خوافيْهِ[3]

وهي طويلة، وكلّ بيت أغرب مما قبله ولم يسمع له في هجاء حي غيرها.

ومن مطالعه المشعرة يهنّي الحسين بن مطهر الجرموزي[4] بنزول زوجته إلى عتمه:

---

(١) الوسمي: مطر الربيع الأول.

(٢) المصطفى: رسول الله ﷺ. وأمين الله: جبريل عليه السلام.

(٣) الشأو: السبق. والخوافي: ريشاتٌ إذا ضم الطائر جناحيه خفيت.
القصيدة كاملة في ديوان الهبل ٤٦٧ ـ ٤٦٩.

(٤) ترجمه المؤلف برقم ٦٣.

وفت لك ذات المبسم العذب بالوصل ... ووافت على طول التباعد والمطل

ومن شعره الشبيه بالسحر قوله يهنّى السيد أبا الحسن إسماعيل بن محمّد المذكور في الهمزة[1] بقدومه من العدين إلى صنعاء:

طائر اليمن بالوصال استهلاّ ... ألف أهلاً بالواصلين وسهلا

وهذا باب واسع، والاختصار مقصودنا والله يعين بمنّه وكرمه.

[٩٥]

السيّد فخر الدين عبد الله بن علي الحسني الصنعاني الشهير بابن الوزير[*] ويعرف بعبده بإضافته إلى الضمير.

فاضل صاغ من المعاني ما تختمت بهِ أنامل الأدب، فأصبح يقال لشعره

---

(١) ترجمه المؤلف برقم ٣٠.

(*) عبد الله بن علي بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن أحمد بن السيد صارم الدين إبراهيم ـ صاحب البسامة ـ بن محمد بن عبد الله بن الأمام الهادي بن إبراهيم بن علي بن المستضيء بن المفضل بن المنصور بن محمد العفيف الملقب بالوزير بن المفضّل بن الحجّاج بن عبد الله بن علي بن يحيى بن القاسم بن الإمام يوسف الداعي بن المنصور يحيى بن الناصر أحمد بن الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن الإمام القاسم الرسّي بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام. «هكذا ورد نسبه في نشر العرف ٢/ ١١٣ ـ ١١٤».

مؤرخ، أديب، يماني، من رجال الإفتاء، له شعر. مولده بصنعاء سنة ١٠٧٤هـ ووفاته فيها سنة ١١٤٧هـ. من كتبه «طبق الحلوى وصحاف المن والسلوى ـ خ» في شستربتي (٤٠٩٧) والمتحف البريطاني (٣٦١٩) ومنه نسخة كتبت في حياته (سنة ١١٤٥) في المكتبة العقيلية بجازان، جعله تاريخاً للحوادث من سنة ١٠٤٦ إلى سنة ١٠٩٠هـ، و «جامع المتون في أخبار اليمن الميمون ـ خ» في مكتبة الجامع بصنعاء (الرقم ٦٣) أوراقه ١٦٣ هذب فيه «أنباء الزمن في أخبار اليمن» ليحيى بن الحسن. و«نفح العبير» في سيرة شيخه علي بن يحيى البرطي، و«أقراط الذهب في المفاخرة بين الروضة وبئر العزب ـ خ» و«ديوان شعر».

ترجمته في:

البدر الطالع ١: ٣٨٨ ـ ٣٩٠ وتحفة الإخوان ٥ والبعثة المصرية ٤١ ومراجع تاريخ اليمن ١١٢، واليمامة: العدد ١٧٤، الاعلام ط ٤/ ٤/ ١٠٧، طبقات الزيدية للسيد إبراهيم بن القاسم بن المؤيد ـ خ ـ، السفينة لإسحاق بن يوسف بن المتوكل على الله إسماعيل، نفحات العنبر ـ خ ـ، ذوب الذهب ـ خ ـ تاريخ عبد الرحمن الذهبي الدمشقي، نشر العرف ٢/ ١١٣ ـ ١٣٤.

وعلمه حدّث عن البحرين ولا عجب، أشاع الجد حليته ما بين بنيه فاشتهر، وقال الأدب لذويه إذ أرضاه هذا الإمام المنتظر.

وهو من أعيان سادة العصر بصنعاء وعلمائهم، وأخذ العلم عن القاضي أوحد الزّمان جمال الدين علي بن يحيى البرطي وغيره من أهل صنعاء وله ذهن يتوقّد.

وألّف «إرسال الذؤابة في الفرق بين القرابة والصحابة»، وسمعت أنّ له كتاباً ذكر فيه مناقب شيخه وشيخنا السيد إمام المعقولات والطريقة الصوفية الحسن بن الحسين رحمة الله عليه، وله شعر كالصارم، يخفض المنتصب أو يسكّنه إسكان الجازم، فمن ذلك:

لي صاحب أمنحه راغباً ... ما رام إلاّ وصل أحبابي
إن ذقت كاسات الهوى حلوة ... فليشرق الصاحب والصّابي

أجاد وأَحسن، وإستحق الفضل على جعفر بن المطهّر الجرموزي ـ المذكور في الجيم[1] ـ لقوة الترشيح هنا وقوة السبك، وله أيضاً:

لما سكرت بريق من أحببته ... حتى كأني شارب لمعتّقِ
بالغت في وصفي محاسن ثغره ... حتى وضعت رسالة في المنطقِ

قلت: من رُزق التهذيب لم يخف عليه شرح هذه الرسالة في المنطق، وله أيضاً:

يغالطني من بعد أن طال هجره ... وطُلّ دمي منه بأحور أَحومِ
أقول له: عن ذاك خدّك قد روى ... فقال: روى عن عندمٍ ليس عن دمِ

ونقلت منْ خطّهِ لهُ:

لعمرك لو ذقت خمر اللّما ... ودارت عليكَ أباريق ريقي
لقلت مقالة ذي نشوةٍ ... رأيت العذيب ووادي العقيقِ

---

(١) ترجمه المؤلف برقم ٤١.

في هامش ج: «أشار المؤلف رحمه الله إلى قول السيد [جعفر بن] المطهر الجرموزي:

تعانقت أغصان بان اللوى ... فاشبهت أعطاف أحبابي
ومذ صبا قلبي صبا صاحبي ... آهاً على الصاحب والصابي».

وله وهو معنى غريب:

عابوهُ لمّا أن تبدت صفرة ... في خدّه المتورّد المصقولِ
ما ذاك من ألم ألمَّ وإنّما ... كثر انتظار الخدّ للتقبيل

ومما يعجبني من شعره عقيب قتل زيد بن علي الجملولي الأَهنومي، وكان يدّعي التنجيم فسار في وقت سعيد بن عمّه فقتله سعد الذّابح:

من بعد ما عاينت زيداً لا أرى ... قول المنجّم غير زورٍ فاضحِ
مسراهُ في سعد السعود فلم غدا ... من صيحة في كفّ سعد الذّابحِ

ونقلت من خطّهِ لنفسه في مديح السيد العلاّمة ضياء الدين أبي محمّد زيد بن محمد بن الحسن[1]، وذكر أنّه نظمها في ذي القعدة سنة أربع ومائة وألف.

ملأ الكاسات صرفاً واحتسا ... وانثنى نحوي يحثّ الأكؤسا
فتعاطينا كؤوساً أفصحت ... إنّها قد غادرتني أخرسا
وسقاني من كميتٍ سبحت ... بالحجا في غمراتٍ فرسا
عجباً ظلّ بها عقلي وقد ... شعشعت لي من سناها قبسا
وأساطير عذولي طمست ... فلكم نمَّق زوراً وأسا
كم رسالاتٍ إليه لم تفد ... منه غيظاً في حشاه كم رسا
كم تلا الأعمى ملاماً وإذا ... جاءه كالليل يتلو عبسا
ليس بالقاسي على الصبّ فإن ... رام بي فتكاً فلي دعوا القسا
بعت خلّي مهجتي نقداً إذا ... ذكر الميثاق يوماً أو نسا
رشأٌ يسرقني روحي إذا ... ما تبدّا في القبا مختلسا
وجهه كنز جمال فلذا ... بعضه بالبعض عنّا حُرسا
فسيوف اللّحظ تحمي ورده ... ونبال الهند تحمي نرجسا
لو تراني وعنان الراح قد ... راض من أخلاقه ما شمسا
قلت في ميدان سكري بعدما ... صرت فيه للطلا مفْترسا
يوم أنس فيه أنسيت النّوىٰ ... ونسيم القرب فيهِ نسنسا
أيّها الغاني بدينارين في ... وجنتيه أتواسىٰ مفلسا

---

(١) ترجمه المؤلف برقم ٧٥.

إنّما شعرك ليل فإذا	حوله العذّال أمست حرسا
أنا للغرّة والشعر معاً	شاكر كلّ صباح ومسا
إنّما وجهك من نور الضيا	مستمدّ فهو يجلو الحندسا
من علاه قد علا فوق ذكا	وعلى هامة برجيس رسا
من له نسمة آدابٍ إذا	زارت الأنفس أهدت نفسا
بأبي يا عَمْرُ زيد طاهر	ثوبه بين بني أهل الكسا
مالك آثاره محمودة	وهو في الآثار يتلو انسا
هو كالبحر فزره للنّدا	واخشه يوم الوغى ان حَمِسا
مغنم التقوى زكوة حازها	فطرة لم يحو منه خمسا
وله جدّ حوى كلّ العلا	عجباً والجد يحوي السدسا
قلمي صدقني في مدحه	فلهذا بمدادٍ غطسا

وهذه القصيدة من مختار الشعر ومحاسنه، وقد اشتملت على النوع الذي أَبدع فيه المتأخرون وهو الاكتفاء مع التورية فجاء في عدّة أبياتٍ منها كما يدركه المتأمل، بل فيها سائر أَنواع البديع.

وكتب إليه الفقيه الأديب العارف عبد القادر بن أحمد بن عبد المؤمن النزيلي الشافعي مبادياً، وهو ظريف أديب، حسن الشكل، ذكي القلب، وقد جمعتني وإيّاه قراءة شرح الشيرازي على تهذيب المنطق في مقام شيخنا العارف الحسن بن الحسين بن المنصور بالله رحمه الله، ولحدّة طبعه ربّما شوّش ذهن الشيخ المذكور، وكتب القصيدة إلى السيد فخر الدين يلتمس إتمام شرح الإيجاز تأليف السيّد العلامة أبي محمد زيد بن محمد بن الحسن المذكور في حرف الزاي، ولحسن هذه القصيدة وحق رقة ناظمها أذكر بعض محاسنها وأوّلها[1]:

عدّ عن ذكر الحمى والكثبِ	وأدر ذكرى بديع الشّنبِ
وارْوِ عن مكحول طرف منه قد	أرشق القلب نبال الوصبِ
وأدر كأس الطلا من ذكره	ما زجا من ريقه بالضربِ
لا تغالطني بجيران النّقا	فغزال الحسن أقصى أربِ
أنا أدري أين قلبي موثق	وبمن هام ومن أين سبي

(١) ترجمه المؤلف برقم ٧٥.

لا أسمّي من سباني حسنه إنّما التمويه فيه مذهبي
يحسن الهجر به صوناً لهُ والضّنا في حبّه يحسن بي
يا عذولي كفّ عذلي إنّما أنت عن حال المحبّين غبي
لو ترى قدّ حبيبي ينثني كقضيبٍ مايس من ذهبِ
أو ترى الغرّة والوجه الذي جمع الْمُا واضطرام اللّهبِ
ناره والنور والنور غدا عجباً في عجب في عجبِ
لا تظن الورق تشدو طرباً ما أثار الشجو إلاّ طربي
فاترك العذل عن مبدي الهوى يا ابن ودّي لا تسل عن سببي
ما سوى عيني لحيني جَلَبتَ أوقعتني في شراك النصبِ
نظرت ريم اللوا في سربه فحلى في العين لمّا مرّ بي
طمعت منه بوصلٍ في الكرى وهو منها بمنَاط الشهبِ
فلذا بالسهد والدمع معاً ما تراها عوقبت بالسببِ
كلّما قيل سَرَا برق الدجا قلت نوم المغرم المكتئبِ
أو سلى الصّب فقل عن صبره لا هوا أخدي ورد مذهبي
أو سقى الغيث ديار المنحنا قلت من دمعي الغزير الصّيبِ
حبّه عندي فرضٌ واجبٌ فلذا قولي لهم بالموجبِ
وأرى أوجب من حبّي له مدحي المالك عالي الرّتبِ

تكاد تسيل من الرقة وتخجل الخصور معانيها من الدقة، فراجعهُ بقوله:

لا وقدٍّ تحت خدٍّ مذهب ما انتحال العشق إلاّ مذهبي
والتزام القدّ من شأني وان هزه مثل القنا يهزأ بي
إن سَبَا قلبي المعنّىٰ فلقد رقّ في الحبّ ومن رقّ سُبي
يا عذولي غاب رشدي في الهوى إنّما أنت عن الحبّ غبي
فدع اللّوم بتفريطي نعم أنا فرّطت وهذا أدبي
لا تحم حول حمى ذاك اللمىٰ يا عذولي لا تكدّر مشربي
داوِ قلبي من شفا ريقته فلصدغيه فعال العقرب
واستمع من حليه في قدّه أن تهادى نغمات الطرب
إن يكن بين ضلوعي ساكناً لا عجيب كلّما عزّ خبي
ليت أقلام عذولي كسرت ليت أسباب الجفا لم تكتبِ

لحظك المكسور كم حاصرني | عجباً مكسوره لم يغلبِ
فاستمع آداب بحثي فلها | في معانيك بيانُ أدبي
في إدّعاء الغصن معنى الحسن من | قدّك المنصوب غصب المنصبِ
إن غدا قدّك عندي فاضلاً | حسناً لا غرو فهو الشلبي
إن من لحظك في سكرٍ ومن | نظم عبد القادر المستعذب
إن يكن طرّزني أمداحه | فهو من ذاك الطراز المذهب
أو بهِ قامت قيامات العدا | فهو شمس طلعت في المغرب

تأمّل لطف الشمس الطالعة من المغرب التي قامت بها قيامات العدا، وذلك أن بلد الفقيه عبد القادر المحويت وهو من مغارب بلاد اليمن، ومحاسنه في الشعر كثيرة، وهو من العصريين الأفاضل. والله تعالى يعين.

[٩٦]

الإمام أبو الحسن عبد الله بن حمزة بن سليمان بن حمزة بن علي بن حمزة بن الإمام الملقّب بالنفس الزكية بن هاشم بن الحسن بن عبد الرحمٰن بن يحيى بن عبد الله بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم الرسيّ ابن إسماعيل بن إبراهيم طباطبا بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام الملقب بالمنصور بالله أحد أئمة الزيدية المشاهير الحسني اليمني(*).

فاضل قنع بالأبيض والأسمر معشوقاً في المعالي، طال الهادي للفخار وقد

(*) ولد سنة ٥٦١هـ وبويع له سنة ٥٩٣هـ. واستولى على صنعاء وذمار، في أيام الملك المسعود. وقاتله المسعود سنة ٦١٢ فاستمرت الوقائع إلى أن مات المنصور (صاحب الترجمة) وكانت وفاته في كوكبان سنة ٦١٤هـ، ونقل إلى ظفار. له مصنفات، منها «حديقة الحكمة النبوية ـ خ» و«الشافي ـ خ» في أصول الدين، و«العقد الثمين ـ خ» في تبيين أحكام الأئمة، و«تلقيح الألباب في أحكام السابقين وأهل الاحتساب ـ خ» و«ديوان شعر ـ خ» و«أرجوزة في الخيل» وفي مكتبة الفاتيكان (١١٠٧ عربي) مخطوطة من كتاب «المهذب لمذهب الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة بن سليمان رضي الله عنه. جمعه الفقير إلى رحمة الله وغفرانه محمد بن أسعد بن علاء بن إبراهيم داعي أمير المؤمنين، والحمد لله» وهو مجموع فتاوى ومسائل فقهية، قال محمد بن أسعد: «وقد أبدلت ألفاظاً غير مستعملة في هذه الناحية بما هو أظهر منها.. وقد اجتهدت في =

قصّرته الليالي، فهو نظام نثر الكلام في السلم، وناثر نظم الرؤس بالكلم، وهو أشعر الدّعاة من أئمة اليمن، بل هو أشعر أئمة الزيديّة على الإطلاق.

وله ديوان شعر مشهور، وشعره مطبوع منسجم، طويل النفس.

ومن تصانيفه الزبدة في أصول الدين، والشافي في الإمامة والمهذّب، وغير ذلك.

وذكر ابن أبي مخرمة الشافعي الحضرمي أن المنصور المذكور أرسل دعوته إلى خوارزم شاه مع رجل من الأشراف فتلقّاها السلطان بالأكرام وأكرم من جاء بها، على جبروت كان بالسلطان معروف، وكذلك فعل مع رسله الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين صاحب حلب.

وكان ظهوره في بلاد اليمن في أيام الناصر لدين الله أبي العباس المذكور في حرف الهمزة[1] ولما قويت شوكته ببلاد اليمن، كتب رجل من مطرفيّة الزيدية يعرف بابن النسّاخ إلى الإمام الناصر رسالة بليغة ضمّنها نظماً ونثراً يحثّه على إستخلاص اليمن من المنصور بالله لأنه كان يستحل دماء المطرفيّة وممّا أودعها:

وساعده المقدور حتى جرت له بما يشتهي أفلاكها ونجومها
وقال أنا ابن المصطفى ووصيّه عليّ وللعلياء حقّاً أقيمها

فأرسل الناصر إلى صلاح الدين بن أيوب صاحب مصر أن يبعث عسكراً إلى اليمن، فأرسل أخاه توران شاه بن أيوب فقتل الخارجي الذي نجم بزبيد المسمّى عبد النبي بن مهدي وملك أكثر اليمن وحارب الأئمة، ثم أخوه طغتكين، ثمّ المعزّ إسماعيل بن طغتكين فحاربوا المنصور، وكان ذلك أول دخول الغزّ اليمن، وكان بينه وبين أمراء الإسماعيلية حرب كثيرة لأنّهم كانوا أهل الشوكة بتلك الأيام.

ثم تزوّج متعَة بنت السلطان حاتم بن أحمد اليامي ملك صنعاء وله فيها

= التهذيب والترتيب الخ» مما يدل على أنه تصرف في أصوله ورتبها.

ترجمته في:

الحدائق الوردية ٢/ ٧٤٠ ـ ٨٦١، العقود اللؤلؤية ١: ٣٣ وبلوغ المرام ٤٣ و٤٠٩ والبعثة المصرية ٢١ و٢٦ و٢٧ و٣١ وBrock.I: 509 S. I: 701، الاعلام ط ٤/ ٤/ ٨٣، الغدير ٥/ ٣٩٦ ـ ٤٠٠.

(١) ترجمه المؤلف برقم ١٧.

أَشعار كثيرة، والظاهر أنه كان لا يكفرهم كغيره ممن قام بأمره لأن الكافرة غير الكتابية لا تحل للمسلم بالعقد الدائم ولا تحلّ له متعة بإجماع الشيعة.

ودخل في بعض مغازيه صنعاء فسبى منها نحو سبعمائة امرأة واحتج بأنهم كفار، ولم تثبت الواسطة بين دار الكفر والإسلام التي تسميها المعتزلة دار الفسق، وكان غَالب أهل صنعاء. حشوية وأشاعرة والشوكة للإسماعيلية وقتل منها كثيراً.

وكان يناقض عبد الله بن المعتز العبّاسي في قصائده التي يفضّل فيها آل العباس على آل عليّ عليه السلام ويذكر أنّهم أحق بالخلافة كالميميّة التي أوّلها.

بني عمّنا ارجعوا ودنا ... وسيروا على السنن الأقومِ
لنا مفخر ولكم مفخر ... ومن عرف الحقّ لم يعدمِ
فأنتم بنو بنته دوننا ... ونحن بنو عمّه المسلمِ

فقال المنصور في الرد عليه:

بني عمنا أنّ يوم الغدير ... يشهد للفارس المعلمِ
حماه أبونا أبو طالبٍ ... وأسلم والناس لم تسلمِ
وقد كان يكتم أيمانه ... فأمّا الولا فلم يكتمِ[1]

قلت: بنى ابن المعتز على مذهب الحشويّة من عدم إسلام أبي طالب. والحقّ الذي قاله المنصور بالله لإجماع أهل البيت المعصومين عليه بل آباء النبي صلى الله عليه وآله إلى آدم مؤمنون.

وأمّا آزر فإنّه عمّ الخليل عليه السلام وإنّما جاء في القرآن بلفظ الأب لأن العرب يطلقون على العمّ أباً واسم والد إبراهيم عليه السلام تارخ والمجاز أفصح من الحقيقية والمثبت حجّة على النافي.

ومن جملة ما قال أبو طالب أيّام حصار الشعب يخاطب ابن أخيه صلى الله عليه وآله:

فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة ... فلقد صدقت وكنت ثمّ أَمينا

والتصديق هو الإسلام.

---

(١) كاملة في الحدائق الوردية ٢/ ٨٣٩، الغدير ٥/ ٣٩٧.

وكتب المنصور إلى زوجته متعة:

لم يخل عن ذكركم ساعة ... وكيف والقلب بكم مستهامْ
نحمّل الريح إلى أرضكم ... أزكى التحيات وأسنى السلامْ
والقلب ملآن من الوجد وَالـ ... ـصّبر على المكروه فعل الكرامْ
فكلّما قلنا خبت ناره ... أذكته في الأحشاء نار الغرامْ
وقائل قال دعوا ذكرهم ... قلنا أأعوزت سواد الكلام
لو كنت إنساناً عرفت الذي ... بنا فأذهبت فضول الكلام
عذلت في أحور لو فاخرا لـ ... ـشمس لألْقَتْ نحوه بالزمام
مقابل بين ذُرَاحميرا ... لأقيال والأملاك من غلب يام

وله إليها:

كل ألفٍ لألفه تبعُ ... جسمي ثاوٍ والروح مفتجعُ
يا متع إن الفؤاد بعدكم ... زلزله الشوق فهو منصدعُ
أهابكم دائماً وهل علم الـ ... ـنَّاس بخشفٍ يهابه السبعْ
طال انتظاري لوعدكم فمتى ... يحطّ عنّي لرحلك النسعُ
يا طائر البين كم تطير بهم ... وكلّ طير بغائب يقعُ
يا شهد ذاك الوصال هل غلب الـ ... ـصّاب على مطعميك والسلعْ
أنا الصحيح العليل بعدكم ... وهل سقيم وماله وجعْ
عسى الذي قدّر الفراق لنا ... يعمّنا لطفه فنجتمعُ
ضاقت بي الأرض من بعادكم ... فهل على العالمين تتسعُ

وله من أخرى إليها:

وأدنى وداد المحبّ السهاد ... وأهون جري الجياد الخببْ
وقد شاهد الناس من قبلنا ... حبيب يطاوع من قد أَحبْ
ومن غرس السرى يجني الهبيد[1] ... ومن غرس النخل يجني الرطبْ
نروم لقاكم ومن دونكم ... ليوث غضاب وغاب أشبْ
وفيكم لنا باغض كاره ... له عايدٌ بزّه المنقلبْ

---

(١) كذا في الأصل.

ولم تسمحوا بوشيك الوصال ... ولا النفس تسخو بقطع السببْ
فمن لي بذي ورع منصف ... ليقضي عليكم بما قد وجبْ
ولولا اشتغالي بسدّ الثغور ... وبعث الجيوش وقَوْدِ العَصَبْ
لسرت إليكم مسير الرّياح ... في مرحجن[1] عظيم اللجبْ

وقال يعزّيها عن أَخيها وقد وجدت عليه وجداً عظيماً:

الحمد لله الذي لم تزل ... أحكامه في خلقه قاضيه
وكل من كان بها راضياً ... فإنه في عيشة راضيه
وكل من كان لها ساخطاً ... فأُمّه في سقر هاويه
كم قائل قد قال يا ليتها ... عند الرزايا كانت القاضيه
يا بنت فضلٍ ابن فضل وهل ... باقٍ على الأيام أو باقيه
كم من ملوكٍ طال ما عمّروا ... فهل لهم في الأرض من باقيه
توقّوا الموت بإمكانهم ... وما وقتهم بطشة الواقيه
أين النبي المصطفى أحمد ... وصنوه حيدر والزاكيه

ومنها:

فسلّمي الأمر لمن أمره ... ينطح غلب العصب العاتيه
ومن إذا أعصاه ذُو نخوةٍ ... صبّ عليه الأخَذَة الرابيه
لا يغلب الله على أمره الـ ... ـنّا فذ من راقٍ ولا راقيه
أعجز هذا الموت من يعتني ... بالطبِّ من يونان والخاليه
لو أنّ ما غمّكم دفعه ... بالجرد والمرّان والماضيه
لخضت لجّ الهول يشتدّ بي ... طام شديد الأمر أو طاميه
ومن قريش حولنا عصبة ... أظفارها يوم الوغى داميه
يا متع صبراً أنت من دوحةٍ ... باسقة زاكية ساميه
والعقل في الإنسان أصل النهىٰ ... وأنت فالعاقلة الوافيه[2]

وله أشعار أجلّ مما ذكرته ومنها ما هو في رتبة المتنبي إلا أني ذكرت الآن ما سنح.

---

(١) كذا في الأصل.

(٢) كاملة في الحدائق الوردية ٢/ ٨١٢ ـ ٨١٥، الغدير ٥/ ٣٩٩.

وتوفي بظفار قرية من بلاد همدان وليست بالتي يقال فيها المثل المشهور (من دخل ظفار حمّر) وفيه دليل أن حمير فعيل فإنّها بناحية ذي رعين، وهو مثل.

وقال القاضي الرشيد أحمد الدين الأسواني[1] في المقامة الحصينية وقد ذكر تغيّر لغة حمير، قيل: إن قوماً من العرب وفدوا على ملك من ملوك حمير وهو في غرفة له وهي بلغتهم المشربة، فلمّا مثلوا بين يديه قال لهم: ثبوا، أي: اجلسوا، فرموا بأنفسهم من سطح كان عليه إلى الأرض فكسروا واستعظم الملك ما رأى من أمرهم وسأل عن حالهم، فأعلم ما تدل عليه ثبوا في لغتهم من الوثوب فإنّهم أرادوا طاعته فأسف وقال: «من ورد ظفار حمّر» فأرسلها مثلاً، ومعناه أنه من توسّط بلاد قوم وجب عليه تعلّم لغتهم وسلوك سبيلهم.

❁ ❁ ❁

وخوارزم شاه معناه ملك خوارزم، واسمه علاء الدين محمود بن تتش بن أرسلان سلطان خراسان وغزنه وعراق العجم، وكش ومكران وكرمان والعراق وأكثر بلاد الهند، وما وراء النهر وكان عظم شأنه وكانت دبادبه وطبوله وآلات نوبته من ذهب مرصّع بنفيس الجواهر وكان من مملكته تركستان، وهو السبب في خروج التتار، فإنّه تابع الحروب على ملوك الخطا حتى أضعفهم، وكانوا سوراً على البلاد من التتار، ونصحه ملك الخطأ فلم ينجع فيه واتّهمة، فلمّا خرجوا هزموه من وراء النهر، ثم فتكوا بأهل تلك البلاد فتكاً لم يسمع بمثله حتى أفنوهم، ولم يزالوا يتبعوه حتى مات سنة ٦٢٣، وكان عالماً بالفقه والأُصول، فرجع التتار حين أيسوا منه، فأخذوا مازندران وقتلوا ملكها، وكذلك فعلوا بالريّ وهمذان ومراغة وخراسان وخوارزم وفعلوا في هذه البلاد من قتل العلماء والصلحاء وتحريق المصاحف وتخريب الجوامع ما لم يسمع بمثله، وعادوا إلى ما وراء النهر.

ثم جهز جنكز خان[2] إلى جلال الدين بن علاء الدين المذكور اثني عشر ألف تترياً، وكان جلال الدين في غزنه ومعه ستون ألف فارس فانكسر التتار ثم جهز أكثر منهم فكسرهم أيضاً وجاء هو بنفسه بجميع عسكره، وقد تفرق عن

---

(١) ترجمه المؤلف برقم ٢٠.

(٢) ترجمته في: شذرات الذهب ١١٣/٥، النجوم الزاهرة (أنظر فهرست ج ٧)، السلوك (أنظر فهرست ج١).

جلال الدين غالب عسكره، فاستضعف نفسه وهرب إلى الهند، وتبعه جنكرخان وأدركه على ماء عظيم بالسند، فلم يجد بداً من قتاله وتقاتلا قتالاً شديداً، وصبر الفريقان ثم تأخر كل جيش عن الآخر، فعبر جلال الدين النهر إلى الهند، وعاد جنكزخان فاستولى على غزنة، وقتل أهلها وسارت فرقة من التتار فأخذوا بلاد القفخان وشروان والروس.

وفي سنة ٣٨ ضعفت دولة جلال الدين واختل عقله لموت مملوكٍ له كان يحبّه حتى أنه استصحبه ميتاً عدّة أيام كل يوم يعمل له غداء ويرسله إليه، ويعاد الجواب بأنه أصلح مما كان بالأمس، وأخذت التتر سائر بلاد العجم وفعلوا أعظم من فعلهم الأول، وكبسوا السلطان جلال الدين المذكور وسيروه أسيراً، ثم هرب منهم فقتَله كردي حين عرفه لأنه قتل أخاه، وكان ملكاً عظيماً وزادت مملكته على مملكة والده، وقسّم الممالك بين أولاده من غزنة وهي من ثغور الصين إلى بلاد الروم، وكانت تضرب له نوبة ذي القرنين وقت طلوع الشمس وغروبها، وكانت دبادبه تسعاً وعشرين دبدبة من الذهب مرصّعة بالجواهر وكذا باقي آلات نوبته، وأوّل ما فرغ الصنّاع من عملها ضربها له جماعة من الملوك الكبار تعظيماً له.

وذكر الذهبي: أن عسكر خوارزم شاه كانوا أَوْباشاً لا رزق لهم ولا ديوان وإنّما كانوا يعيشون من النهب، وكان اللواط في عسكره ظاهراً، وقد صنع بعدّة بلاد من بلاد الإسلام كأرمينية أعظم من فعل التتار.

وكانت أُمّه تركان خاتون تحكم وتعلم علامتها اعتصمت بالله وحده وتُلَقَّبْ عصمة الدنيا والدين ملكة نساء العالمين.

وأخذ جنكز خان عشرة صناديق من جملة أمواله مملوءة من الجوهر، قال خوارزم شاه: إنه أودع صندوقين منها ما يساوي خراج الدنيا جميعها، وكان له ثلاثون ألف مركوب خاص من جياد الخيل، ولما توفي في التاريخ المقدّم لم يكن عنده كفن سوى قميصه الذي عليه.

وكان ولده جلال الدين يلقّب بخوند عالم، وكان شديد الغيرة، ولمّا أدركته خيل التتر على نهر السند قالت له حريمه: بالله عليك أقتلنا وخلصنا فأمر بتغريقهن فغرقن.

وأمّا جنكرخان فقد ذكره ابن شاكر في فوات الوفيات[1] فقال: جنكزخان طاغية التتار وملكهم الأول الذي خرب البلاد ولم يكن للتتار قبله ذكر وإنّما كانوا ببادية الصين فملكوهُ عليهم وأطاعوه طاعة أصحاب نبي لنبيّ لهم، وكان مبدأ ملكه سنة تسع وتسعين وخمسمائة، واستولى على مدن خراسان سنة ثمان عشرة، ولما رجع من حرب السلطان جلال الدين خوارزم شاه على نهر السّند ووصل إلى مدينة بنكث من بلاد الخطا مرض بها، ومات في رابع شهر رمضان سنة أربع وعشرين وستمائة، وكان ملكه خمساً وعشرين سنة، وكان اسمه قبل الملك تمرحين، وخلف ستة أولاد، وفوض الأمر إلى ازكياي[2] أحدهم بعدما استشار الخمسة الآخرين، فلما هلك امتنع ازكياي من الأمر، وقال: في أخوتي وأعمامي من هو. أكبر منّي، فلم يزالوا به أربعين يوماً حتى تملّك عليهم، ولقّبوه القان الأعظم، ومعناه الخليفة فيما قيل، وبعث جنوده، وفتح الفتوحات، وطالت أيامه، وولي بعده مونكو كان[3]، وولي بعده أخوه قيلاي[4] وطالت أيام قيلاي وبقي في الأمر إلى سنة أربع وسبعمائة ومات بمدينة خان بالق.

ويقال: إنه لمّا كان خوارزم شاه يغزو هؤلاء الأتراك ويسبيهم ويقتلهم ويمنعهم عن الخروج من حدود بلادهم اجتمع التتار وشكوا ما يلاقون منه وما هم فيه من الضيق والبلاء، فقال لهم جنكزخان: إن ملكتموني عليكم والتزمتم لي بالطاعة التزام «اليسو»[5] الذي أصنع لكم شرعة رَددت خوارزم شاه عنكم فالتزموا له بذلك.

وكان مما وضعه لهم: إن كل من أحبّ امرأة بنتاً كانت أو غيرها لا يمنع من الزواج ولو كان زَبّالاً والامرأة بنت ملك، وكان غرضه أن يتناكحوا بشهوة شديدة فيتضاعف نسلهم، ويكثر عددهم، فلمّا تقرّر ذلك ودخلوا فيه عقد بينهم وبين خوارزم شاه هدنة عشرين سنة، فما جاءت العشرين إلاّ وهم أمم لا يُحْصَرُون ولا يُحْصَوْن.

---

(١) في الأصل: «تفويت الوفيات» وهو تصحيف.

(٢) كذا في الأصل، وفي الفوات: «أركناي».

(٣) كذا في الأصل، وفي فوات الوفيات: «موركونا».

(٤) كذا في الأصل، وفي الفوات: «قبلاي».

(٥) كذا في الأصل: وفي الفوات: «النسق».

وكان من جملة ما شرعه: أنه إذا حرّم ألقان على أحد شيئاً فلا يحلّ له أن يأتيه حتى الممات، وقرّر لهم من أن رُعف وهو يأكل قُتل كائناً من كان، وقرّر لهم أن كل من لم يمض حكم أليسوا[١] ولم يعمل به قتل أيضاً، وأراد أن يذهب الكبار الذين فيهم، لعلمه أنّه يداخلهم الحسد ويستصغرونه، فتركهم وهم على سماطه يوماً ورعّف نفسه، فلم يجسر أحد أن يمضي فيه حكمه لمهابته وجَبَروته، فتركوه ولم يطلبوه بما قرّر، وهابوه في ذلك، فتركهم أيّاماً وجمعهم وقال: لأيّ شيء ما أمضيتم حكم أليسوا[١] وقد رعفت وأنا آكل بينكم؟ فقالوا: لم نجسر على ذلك، فقال: ألم تعلموا بأليسوا[١] ولا أمضيتم حكمه وقد وجب قتلكم، فقتل أكابرهم واستراح منهم.

والترك يزعمون أنّه من ولد الشمس، لأنّ في صحاريهم أماكن فيها غاب الغاب لا يقربه أحد من الذكران، وأنّ أمّه اعتقت فرجها وغابت فيه مدّة وأتتهم به، وقالت: هذا من الشمس لأن الشمس دخلت في فرجي في بعض الأيام وأنا اغتسل، فحملت بهذا، ويقال: إنّه كان حداداً[٢] ويسمّون الآن بالهند المغل.

وما أحسن قول الشيخ جمال الدين بن نباتة:

من المغل أشكو عنده ألم الهوى فطبّ الهوى عندي كما قيل بالمغل[٣]

وقال أحمد بن عليّ المقريزي: أن جنكزخان لمّا غلب أوتك خان وصارت له دولة قرّر قواعد وعقوبات أثبتها في كتاب سمّاه «ياسا» ومن الناس من سمّاه «اليسو» ونقشه نقشاً في صحائف الفولاذ وجعله شريعة لقومه فالتزموه بعده.

قال: وأخبرني العبد الصالح الداعي إلى الله أبو هاشم أحمد بن البرهان أنه رأى نسخة: من «الياسا» بخزانة المدرسة المستنصرية ببغداد.

ومن جملة ما شرعه جنكزخان في «ياسا»: أنه من زنا قُتِل ولم يفرق بين المحصن وغيره، ومن لاط قتل، ومن تعمّد الكذب أو سحر أو تجسس على أحد

---

(١) أنظر الهامش السابق.

(٢) فوات الوفيات ١/٢١١ ـ ٢١٣.

(٣) كاملة في ديوان ابن نباته المصري ٣٧٦ ـ ٣٧٨.

أو دخل بين اثنين وهما يتخاصمان وأعان أحدهما على الآخر قتل، ومن بال على الماء أو على الرماد قتل، ومن أعطى بضاعة فخسر فيها فإنه يقتل بعد الثالثة، ومن أطعم أسير قوم أو كساه بغير إذنهم قتل، ومن وجد أسيراً هارباً أو عبداً ولم يردّه على مَن كان في يده قتل، وأن الحيوان تكتف قوائمه ويشق بطنه ويمرس قلبه إلى أن يموت ثم يؤكل لحمه، وأن من ذبح حيواناً كذبيحة المسلمين ذُبح، ومن وقع رمحه أو قوسه أو شيء من متاعه وهو يكرّ أو يفرّ في حال القتال وكان وراءه أحد فإنه ينزل ويناول صاحبه ما سقط منه فإن لم ينزل ولم يناوله قتل.

وشرط أن لا يكون على أحد من ولد علي بن أبي طالب مؤنة ولا كلفة، وأن لا يكون على أحدٍ من الفقراء والقراء ولا الفقهاء ولا الأطباء ولا من عداهم من أرباب العلوم وأصحاب العبادة والزهد والمؤذنين ومغسلي الأموات كلفة ولا مؤنة، وشرط تعظيم جميع الملل من غير تعصّب لملّة على أخرى، وجعل ذلك كلّه قربة إلى الله تعالى، وألزم قومه إن لا يأكل أحد من يد أحد حتى يأكل المناول منه أوّلها ولو أنه أمير، ومن يناوله أسير، وألزمهم أن لا يتخصص أحد بأكل شيء وغيره يراه بل يشاركه معه في أكله، وألزمهم أن لا يتميّز أحد منهم بالشبع على صاحبه ولا يتخطّى أحد ناراً ولا مائدة ولا الطبق الذي يؤكل عليه، وإن من مرّ بقوم وهم يأكلون فله أن ينزل ويأكل معهم من غير إذنهم فليس لأحد منعه، وألزمهم أن لا يدخل أحد منهم يده من الماء ولكنّه يغترف بشيء، ومنعهم من غسل ثيابهم بل يلبسونها حتى تبلى، ومنع أن يقال لشيء إنه نجس، وقال: جميع الأشياء طاهرة، وألزمهم أن لا يتعصبوا لشيء. من المذاهب، ومنعهم من تفخيم الألفاظ ووضع الألقاب وإنما يدعى السلطان ومن دونه باسمه، وألزم القائم بعده بعرض العساكر بالسلاح إذا أراد الخروج للقتال وأنه يعرض كلما سافر به عسكره وينظر حتى إلى الأبرة والمخيط، ومن وجده قد قصّر في شيء مما يحتاج إليه عند عرضه إياه عاقبه، وألزم نساء العساكر بالقيام بما على الرجال من السخر والكلف في مدة غيبتهم في القتال، وجعل على العساكر إذا قدمت من القتال كلفة يقومون بها للسلطان فيؤدّونها إليه، وألزمهم عند رأس كلّ سنة بعرض سائر بناتهم الأبكار على السلطان ليختار لنفسه وأولاده، وشرع أن أكبر الأمراء إذا أذنب وبعث إليه الملك أخسّ من عنده ليعاقبه فإنّه يلقي نفسه إلى الأرض بين

يديه وهو ذليل خاضع حتى يمضي فيه ما أمره الملك من العقوبة ولو كانت بذهاب نفسه، وهي شريعة طويلة هذه أغرب ما فيها والله يوفقنا...

[٩٧]

أبو أحمد عبيد الله بن عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مُصْعَب بن زُريق[١] بن ماهان الخُزاعي، الأمير البغدادي[*].

فاضل سما به الأدب وأنار وأرى حساده مما ينظم في القرطاس نجوم نصف النهار، مع الشرف العالي على البيوت، والجود الذي يحسر دونه الرتوت.

وآل طاهر أعظم أعوان آل عبّاس وإشتهارهم بالجود والشجاعة والأدب يغني عن الشرح.

قال الخطيب أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي في تاريخ بغداد: ولي أبو أحمد المذكور بغداد وخراسان وحدَّث عن أبي الصلت الهروي.

قلت: وأبو الصلت أحد أصحاب الرّضا عليه السلام المياسير الزهّاد. قال الخطيب: وروى عبيد الله عن الزبير بن بكّار الزبيري، وروى عنه محمد بن يحيى الصولي، وعمرُ بن الحسن الأشناني، وأبو القاسم الطبراني وغيرهم.

وكان فاضلاً أديباً شاعراً فصيحاً.

أخبرنا محمد بن عبد الله بن شهريار الأصبهاني بها، أنبأنا سليمان بن أحمد ابن أيّوب الطبراني، نا عبيد الله بن عبد الله بن طاهر، نا الزبير بن بكّار، نا يحيى ابن أبي فتيلة، نا عبد الخالق بن أبي حازم، حدثني ربيعة بن عثمان، قال: حدثني عبد الوهاب بن خسه[٢] عن عمر بن عبد العزيز، قال: حدثني أنس بن مالك: أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: كل راع مسؤول عن رعيته، قال سليمان:

(*) ترجمته في:

وفيات الأعيان ٣/ ١٢٠ ـ ١٢١، تاريخ بغداد ١٠/ ٣٤٠ ـ ٣٤٤، الديارات ٧١ ـ ٧٩، الأغاني ٩/ ٥١ ـ ٦٠، Brock S. I: 224، الكامل لابن الأثير ج٧، صلة عريب ٢٢، الاعلام ط ٤/ ٤/ ١٩٥.

(١) في الوفيات: «رُزَيق».

(٢) كذا في الأصل.

لا يروى عن ابن سلمان إلاّ بهذا الإسناد تفرّد به الزبير.

أخبرنا أبو الحسن محمد بن المظفر الدقاق، نا محمد بن عمران الكاتب، قال: أنشدني المظفر بن يحيى للبحتري يمدح عبيد الله بن عبد الله بن طاهر لمّا قدم من خراسان من قصيدةٍ فقال:

لَقَدْ سَرّني أنّ المَكارِمَ أصْبَحَتْ ... تُحَطُّ إلى أرْضِ العِرَاقِ حُمُولُهَا
مَجيءُ عُبَيْدِ الله مِنْ شَرْقِ أرْضِه ... سُرَى الديمةِ الوَطفاء هبّتْ قَبولُهَا
مَسيرٌ تَلَقّى الأرْضُ مِنْهُ رَبيعَهَا، ... وَتُبْهِجُ مَنْهُ حَزْنُهَا وَسُهُولُهَا
وَأبيَضَ مِنْ آلِ الحُسَينِ نَودهُ ... إلى الحمد، أعرَاقٌ يُهَدى دَليلُهَا[1]
أضَاءَتْ لَهُ بَغدادُ، بَعدَ ظَلامِها، ... فَعَادَ ضُحَى إمْسَاؤُهَا وَأصِيلُهَا
مَقامَاتُ حِلْم ما يُوَازَنُ قَدْرُها، ... وَساعاتُ جُودٍ ما يُطاعُ عَذُولُهَا
كأنّهُمُ، عِنْدَ اسْتِلام رِكَابِهِ ... عَصَائِبُ عِنْدَ البَيْتِ حانَ قُفُولُهَا
يُجِلّونَ مَأمُولاً مَخُوفاً لِنَائِلٍ ... يُوَاليهِ، أوْ صَوْلاتِ بأسٍ يَصُولُهَا
أبا أحمَدٍ، وَالحَمدُ رَهْنُ مَآثِرٍ، ... تُؤثّلُهَا، أوْ عارِفاتٍ تُنيلُهَا
وَصَلْتُ بكَ الحاجاتِ جَمعاً، وَإنّما ... بطُولِ جَليلِ القدر يُقضَى جَليلُهَا[2]

أخبرنا بشر[3] محمد بن عمر الوكيل، نا محمد بن عمران بن موسى المرزباني، أخبرني محمد بن يحيى، قال: أنشدني عبيد الله بن عبد الله بن طاهر لنفسه:

حقّ التنائي بين أهل الهوى ... تكاتبٌ يسخن عين النّوا
وفي التداني لا انقضى عمره ... تزاورٌ يشفي غليل الجوا[4]

أخبرنا أبو علي محمد بن الحسين بن محمّد الجازري، نا المعافا بن زكريا الجزيري، نا أحمد بن أبي سهل بن عاصم الحلواني، نا [أبو] الحسن[5] علي بن

---

(١) يودى: تدفع ديته، حق دمه.

(٢) تاريخ بغداد ١٠/٣٤١، كاملة في ديوان البحتري ١/٣٩٩ ـ ٤٠٠.

(٣) في تاريخ بغداد: «أبو بشر».

(٤) تاريخ بغداد ١٠/٣٤٢.

(٥) ما بين المعقوفين من تاريخ بغداد.

هارون بن علي بن يحيى بن أبي منصور، قال: كان أبي نازلاً في جوار عبيد الله بن عبد الله بن طاهر فانتقل منه إلى دار إتباعها بنهر المهدي، وهي دار إسحاق بن إبراهيم الموصلي فكتب إليه عبيد الله متوحشاً:

يا من تحوّل عنّا وهو يألفنا ... جدا فلا ناصرٌ... يلقانا
فاعلم بأنك إذ بدّلت جيرتنا ... بدلت داراً وما بدّلت إخْوانا

فأجابه هارون بن عليّ[1]:

بعدت عنكم بداري دون خالصتي ... ومحض ودّي وعهدي كالذي كانا
وما تبدّلت إذ فارقت قربكم ... إلاّ هموماً أعانيها وأحزانا
وهل يسر بسكنا داره أحدٌ ... وليس أحبابه للدّار جيرانا[2]

قلت: هارون بن علي هو المنجّم النديم وأباه كذلك.

وقال الخطيب: أخبرني الأزهري، نا محمّد بن الحسن الهاشمي، نا محمد بن القليم بن بشار الأنباري، قال: أنشدني إبراهيم بن عبد الله الورّاق لعبيد الله بن عبد الله ابن طاهر:

---

(١) هارون بن علي بن يحيى، أبو عبد الله، ابن المنجم البغدادي: عالم بالأدب. من أهل بغداد ولد سنة ٢٥١هـ. له تصانيف، منها «كتاب النساء» في أخبارهن وما قيل فيهنّ من منظوم ومنثور، و«المختار» في الأغاني، و«اختيار الشعراء» كبير، لم يتمه. وأشهر تآليفه «البارع» في أخبار الشعراء المولدين، جمع فيه ١٦١ شاعراً، أولهم بشار بن برد، وآخرهم محمد بن عبد الملك بن صالح، قال ابن خلكان: وهو من الكتب النفيسة، فإنه يغني عن دواوين الجماعة وقد مخض أشعارهم وأثبت منها زبدتها. توفي ببغداد شاباً سنة ٢٨٨هـ.
ترجمته في:
وفيات الأعيان ٦/٧٨ ـ ٧٩، وسير النبلاء ـ خ، الطبقة الخامسة عشرة، وفيهما: «كان جده الأعلى أبو منصور، منجم أبي جعفر المنصور، وكان مجوسياً، وأسلم ابنه يحيى على يد المأمون وصار نديمه ومولاه ومات بحلب سنة بضع عشرة ومائتين». والمرزباني ٤٨٥ وفيه: «وفاته سنة ٢٨٩ وأورد له شعراً رقيقاً، منه:

إنعم بأيام الصبى ... واخلع عذارك في التصابي
أعط الشباب نصيبه ... مادمت تعذر بالشباب

وكشف الظنون ٢١٧ ومفتاح السعادة ١: ٢١٢ وهدية العارفين ٢: ٥٠٣ ومرآة الجنان ٢: ٤١ في وفيات سنة «٢٠٨» خطأ. وحماسة ابن الشجري ٢٤٢ ـ ٢٤٣، الاعلام ط ٤/٨/٦١ ـ ٦٢.

(٢) تاريخ بغداد ١٠/٣٤٢.

ألا أيّهـا الـدهـر الـذي قـد مَـلَـلْـتـه لـتـخـلـيـطـه هـلاّ مـلـكـت حـيـاتـي
فـقـد وجـلال الله حـبـبـت دائـمـاً إلـيّ عـلـى بـغـض الـوفـاة وفـاتـي[(١)]

أخبرنا هلال بن عبد الله بن محمد الضبي مؤدبي، نا إسماعيل بن محمد زنجي الكاتب، قال أبو عبد الله بن محمد بن عبد الله رشد[(٢)] الكاتب: حمّلني أبو الحسن علي بن محمد بن الفرات في وقت من الأوقات برّاً واسعاً إلى عبيد الله بن عبد الله بن طاهر فأوصلته إليه ووجدته على فاقة شديدة فقبله وكتب إليه:

أيـاديـك عـنـدي مـعـظـمـات جـلائـل طـوال الـمـدى شـكـري لـهـن قـصـيـرُ
فـإن كـنـت عـن شـكـري غـنـيّـاً فـأنّـنـي إلـىٰ شـكـر مـا أولـيـتـنـي لـفـقـيـرُ

قال: فقلت هذا أعزّ الله الأمير حسن، قال: أَحسن منه ما سرقته، فقلت: وما هو؟ قال: حديثان حدثني بهما أَبو الصلت الهروي بخراسان عن أبي الحسن الرضا عن أبائه، قال: قال النبيﷺ: أنه يؤتى بعبد فيوقف بين يدي الله تعالى فيؤمر به إلى النار: فيقول: أي ربّ لمَ أَمرت بي إلى النار؟ فيقول: إنك لم تشكر نعمتي، فيقول: أي ربّ أنعمت علي بكذا فشكرت بكذا فلا يزال يحصي النعم ويعدّد الشكر فيقول الله تعالى: صدقت عبدي إلا أنك لم تشكر من أَنعمت عليك بها على يديه، وقد آليت على نفسي أن أقبل شكر عبدٍ على نعمةٍ أنعمتها عليه أو يشكر من أنعم بها على يديه.

قال: فانصرفت بالخبر إلى أبي الحسن وهو في مجلس أخيه أبي العباس أحمد بن محمد وذكرت ما جرى، فاستحسن أبو العباس ما ذكرته وردّني إلى عبد الله ببرّ واسع أوسع من برّ أخيه فأوصلته إليه، فقبله وكتب إليه:

شـكـرك مـعـقـود بـأيـمـانـي حـكّـم فـي سـرّي وإعـلانـي
عـقـد ضـمـيـر وفـم نـاطـق وفـعـل أعـضـاء وأركـانـي

قال: فقلت: هذا أعزّ الله الأمير أحسن من الأوّل، فقال: أحسن منه ما سرقته منه: قلت وما هو؟ قال: حدثني أبو الصلت الهروي بخراسان عن أبي الحسن الرضا عن أبي الحسن موسى بن جعفر الكاظم عن الصادق عن الباقر عن

---

(١) تاريخ بغداد ١٠/ ٣٤٢.

(٢) في تاريخ بغداد: «محمد بن عبيد الله بن رشيد».

السجّاد عن السبط عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في الجنّة قال: قال رسول الله ﷺ: «الإيمان عقد بالقلب ونطق باللسان وعمل بالأركان» قال: فعدت إلى أبي العباس فحدّثته بالحديث، وكان في مجلسه ابن راهويه المتفقة، فقال: ما هذا الإسناد؟ قال ابن رشيد: فقلت له: صعود السيلثيا الذي إذا صعّد به المجنون برىء وصحّ[1].

قال الخطيب: قلت: روى غير ابن زنجي هذا الخبر عن ابن رشيد فذكر في آخره عن أبي أحمد بن طاهر أن إسحاق بن راهويه سأل أبا الصلت عن إسناد هذا الحديث وذاك أشبه، ويحتمل أن يكون ابن راهويه ذكر ابن رشيد كونه في مجلس ابن الفرات محمد بن إسحاق بن راهويه.

أخبرني الأزهري، نا أحمد بن إبراهيم، نا إبراهيم بن محمد بن عرفة، قال: توفي عبيد الله بن عبد الله بن طاهر سنة ثلثمائة[2] رحمه الله، وكان مولده سنة عشرين ومائتين.

قال لي هلال بن المُحسن: مات أبو أحمد عبيد الله بن عبد الله بن طاهر ليلة يوم السبت لاثنتي عشرة ليلة خلت من شوال سنة ثلثمائة.

قلت: ومن المنسوب إليه من غير رواية أبي الصلت:

أيا دهرنا إسعافنا في نفوسنا	وأسعفنا فيمن نحبّ ونكرمُ
فقلت له نعماك فيهم أتمّها	ودع أمرنا إنّ المهمّ المقدّمُ

وكان أبوه عبد الله شاعراً مجيداً وجواداً سخيّاً، وجدّه طاهر لا يحتاج إلى وصف بالكمال وهو أحد الثلاثة الذين قال المأمون فيهم هم أجلّ ملوك الدنيا، والذين قاموا بالدول وهم: الإسكندر، وأبو مسلم الخراساني، وطاهر، وكان متشيّعاً كحفيده المذكور.

وذكر: أن الحسن بن سهل أراد أن يندبه لحرب أبو السرايا والعلوي الذي أقامه بالكوفة فرفعت إليه رقعة فيها أبيات:

---

(١) تاريخ بغداد ١٠/٣٤٣ ـ ٣٤٤.

(٢) تاريخ بغداد ١٠/٣٤٤.

قناع الشك يكشفه اليقينُ وأفضل كيدك الرأي الرّصينُ
اتبعث طاهراً لقتال قومٍ بحبّهم وطاعتهم يدينُ

فرجع الحسن عن إرسال طاهر وبعث هرثمة بن أعين، والله تعالى أعلم.

[٩٨]

أبو محمّد عبيد الله بن أحمد بن معروف القاضي البغدادي(*).

فاضل كمل في الشعر والشرع، وحجّ منهما إلى وادٍ ذي نورٍ وزرع، فهو إن قضى قدر، وإن نظم مهر.

قال الخطيب أبو بكر في تاريخ بغداد: ولي قضاء القضاة ببغداد بعد أبي بشر عمرو بن أكثم، وحدث عن يحيى بن محمد بن صاعد، ومحمد بن إبراهيم ابن نيروز، وأحمد بن سليمان الطوسي، وأبي حامد محمد بن هارون الحضرمي، وجعفر بن محمّد بن المغلس، ومحمد بن حبش السراج، ويوسف بن يعقوب، وعبد الله بن محمد بن زياد النيسابوريين، والقاضي المحاملي، ويعقوب بن إبراهيم البزّاز، ومحمد بن نوح الجند نيسابوري، وسهل بن يحيى بن سبا الحداد، حدّثنا عنه: أبو محمد الخلال، والأزهري، والعسقي، والتنوخي، وأحمد بن علي بن التوزي، وعبد الواحد بن الحسين بن شيطاء، وأبو جعفر محمد بن أحمد بن المسلمة وغيرهم، وكان ثقة، حدثنا علي بن المحسّن قال: قال لي القاضي أبو الحسن بن قاضي القضاة أبي محمد بن معروف: ولد أبي في سنة ست وثلثمائة(١).

قلت: وكان من أجلّاء الرجال وألبّاء الناس مع تجربة وحنكة، ومعرفة وفطنة، وبصيرة ثاقبة، وعزيمة ماضية، ضارباً في الأدب بسهم، وآخذاً في علم الكلام بحظٍ، وكان يجمع وسامةً في منظرهِ، وظرفاً في ملبسه، وطلاقة في مجلسه، وبلاغة في خطابه، وعفة عن الأموال، ونهوضاً بأعباء الأحكام، وهيبة في قلوب الرجال.

(*) ترجمته في:
تاريخ بغداد ١٠/٣٦٥ ـ ٣٦٨، النجوم الزاهرة ٤/١٦٢، يتيمة الدهر ٣/١٠٧ ـ ١٠٩ وفيه اسمه «عبد الله».

(١) تاريخ بغداد ١٠/٣٦٥ ـ ٣٦٦.

سمعت أبا القاسم التنوخي يقول: كان الصاحب أبو القاسم بن عبّاد يقول: كنت أشتهي أن أدخل بغداد فأشهد جرأة محمد بن عمر العلوي، وتنسّك أبي محمد الموسوي، وظرف أَبي محمد ابن معروف.

قال الخطيب: وقال لي التنوخي: بلغني أن أبا محمد ابن معروف جلس يوماً للحكم في جامع الرصافة، فاستدعى بأصحاب القصص إليه، فتتبّعها ووقّع في أكثرها، ثم نظر في بعضها فإذا فيها ذكر له بالقبيح وإِيقافه على وضاعته وسقوط أصله، ثم تنبيهه وتذكيره بأَحوال غير جميلة وتعديد ذلك عليه، فقلب الرقعة وكتب على ظاهرها شعراً:

العالم العاقل ابن نفسه	أغناه علم جنسه عن جنسهِ
كن ابن من شيت وكن كيّسا	فإنّما المرء بفضل كيسهِ
كم بين من تكرمه لغيره	وبين من تكرمه لنفسهِ
من إنما حياته لغيره	فيومه أولىٰ به من أمسه[1]

وقال أيضاً: حدثني علي بن محمد الصّوري قال: أنشدني القاضي أبو عصمة أحمد بن عبد الرحمٰن بن عبد الملك بن زيد بن[2] الهيثم بطرابلس قال: أنشدني قاضي القضاة أبو محمد عبيد الله بن أحمد المعروف لنفسه ببغداد مضمناً البيت الآخر:

أَشتاقُكُمْ إشتياق الأرض وابلها	والأمّ واحدها والغايب الوطنا
أبيت أطلب أبيات السلوّ فما	ظفرت الاّ ببيت شقّني وعنا
استودع الله قوماً ما ذكرتهم	الاّ تحدّر من عيني ما خزنا[3]

قال الخطيب: وقد أنشدني الصوري الأبيات التي ضمّن ابن معروف منها شعر البيت الآخر:

يا صاحبي سلا الأطلال والدّمنا	متى يعود إلى عسفان من ضعنا
إن الليالي التي كنّا نسّرُ بها	أَبْداً تذكرها في مهجتي حزنا
أستودع الله قوماً ما ذكرتهم	إلا تحدّر من عينيَّ ما خزنا

---

(١) تاريخ بغداد ١٠/٣٦٦.

(٢) كذا في الأصل.

(٣) تاريخ بغداد ١٠/٣٦٧.

كـان الـزمـان بـنـا غِـرّاً فـمـا بـرحـت أيـدي الـحـوادث حتـى فـطّـنـتـه بـنـا[1]

قلت أنا: أجاد في البيت الآخر.

وقال الخطيب: أنشدنا علي بن أبي علي، قال: أنشدني قاضي القضاة أبو محمد ابن معروف لنفسه:

يـا بـؤس لـلإنـسـان فـي الـ ـدّنـيـا وإن نـال الأمـلْ
يـعـيـش مـكـتـوم الـعـلـل فـيـهـا ومـكـتـوم الأجـلْ
بـيـنـا يُـرى فـي صـحّـةٍ مـغـتـبـطـاً قـيـل اعـتـلـلْ
وبـيـنـمـا يـوجـد فـيـ ـهـا ثـاويـاً قـيـل انـتـقـلْ
فـأوفـر الـحـظّ لـمـن يـتـبـعـه حـسـن الـعـمـلْ[2]

قلت: فك الإدغام يجوز للضرورة مثل قول رؤبة: الحمد لله العليّ الأجلل.

وذكر الخطيب: عن العسقي: أنه توفي يوم السبت لسبع خلون من صفر سنة إحدى وثلاثين وثلثمائة، قال: وكان له في كلّ سنة مجلسان يجلس فيهما للحديث أوّل يوم من المحرّم وأوّل يوم من رجب، ولم يكن له سماع كثير، وكان مجرداً في مذهب الاعتزال، وكان عفيفاً نزهاً في القضاء لم ير مثله في نزاهته وعفّته، وصلّى عليه في داره أبو أحمد الموسوي العلويّ وكبّر عليه خمساً، ثم حمل تابوته إلى جامع المنصور وصلّى عليه أربعاً، وحمل إلى داره على شاطىء دجلة فدفن فيها، ووقع لي أنه كان متشيّعاً.

---

(١) تاريخ بغداد ١٠/٣٦٧.

(٢) تاريخ بغداد ١٠/٣٦٧.

الشيخ الصَّاحب عزّ الدّين أبو حامد عبد الحميد بن هبة الله بن محمد ابن محمد بن الحسين بن أبي الحديد الأنباري المولد البغدادي الدار والوفاة المعتزلي المتشيع(*).

فاضل تصدّر بشرحه وما أحسن شرحِ الصدر، وشنف به القلوب فمثلت من ذلك العصر، وحلّى بابن العلقمي ذكره وسفّر في عصره فجره.

وكان من الفضلاء الأعيان ببغداد، إماماً في علم الكلام واللغة والأدب والشعر، شاعراً فصيحاً له السبع العلويات المشهورة.

وأخذ عن الشيخ المحدث عبد الوهاب بن سكينة البغدادي علم الحديث، وعن عمر بن عبد الله الدباس وغيرهم.

وشرح خطب أمير المؤمنين علي عليه السلام التي جمعها الشريف أبو الحسن الرضى بشرح بسيط في نحو أربعة مجلدات كبار جمع فيه العجائب، ودلّ على فضله وغزارة مادته، وكان ألّفه للوزير مؤيد الدين محمد بن محمد العلقمي[١]

(*) كان له ديوان شعر مشهور بين الناس، إلاّ أنه لم يصل إلينا، وقد طبع له (العلويات السبع) وهي سبع قصائد طوال كلها في مدح الإمام علي بن أبي طالب وأهل بيته عليهم السلام، وله (المستنصريات) خمس عشرة قصيدة طويلة أكثرهافي مدح المستنصر بالله العباسي، منها نسخة مخطوطة في دار الآثار ببغداد.

كتب عنه علي محي الدين النجفي دراسة مفصلة عن حياته ـ خ. ودراسة أخرى كتبها د. رؤوف الشمري.

وتصدى د. أحمد الربيعي لجمع شعره وأضاف إليه علوياته ومستنصرياته وأرجوزته التي نظم بها فصيح ثعلب.

ترجمته في:

وفيات الأعيان ٥/ ٣٩٢(ضمن ترجمة ابن الأثير)، تلخيص مجمع الآداب م٤/ق١/ ١٩ ذيل مرآة الزمان لليونيني ١/ ٦٢، عيون التواريخ ٢٠/ ١١٢، الغيث المسجم ٢/ ٩١، الكشكول للبحراني ٢/ ١١٧، روضات الجنات ٥/ ٢٠ ـ ٢١، هدية العارفين ٥/ ٥٠٧، هدية الأحباب للقمي ١/ ١٧٩، شرح نهج البلاغة للغمراوي الزهري م٤/ ٥٧٥، مقدمة شرح النهج لأبي الفضل إبراهيم ١/ ١٣، فوات الوفيات ٢/ ٥١٩ ـ ٥٢٢، البداية والنهاية ١٣/ ١٩٩، آداب اللغة العربية ٣/ ٤٣، الاعلام ط ٤/ ٣/ ٢٨٩، العذيق النضيد بمصادر ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة د. أحمد الربيعي.

(١) مرّت ترجمته بهامش سابق.

وزير المستعصم بالله آخر الخلفاء العبّاسية.

وكان الوزير المذكور من أَفاضل الشيعة ورؤسائهم، ومن به ختمت وزارة المشرق، وكانت حالة عزّ الدين المذكور عجباً بيناً، هو شيعي متعصّب كما في القصائد المشار إليها إذ صار معتزلياً جاحظياً أو أصمعياً كما في أكثر شرحه.

وما أحسن قوله في أحد السبع[1]:

بزغت لكم شمس الكنسْ ... وبدت لكم روح القدسْ
لا تلقها إلا ببشـ ... ـرك فالقطوب من الدنسْ
ما أنصف الكاسات من ... ضحكت إليه وقد عبسْ[2]

قلت: ومن هنا أخذ الشيخ صدر الدين بن الوكيل المصري[3] قوله:

وإن أقطب وجهي حين تبسم لي ... فعند بسط الموالي يحفظ الأدب[4]

---

(١) أي «القصائد السبع العلويات».

(٢) كاملة في القصائد السبع العلويات ٥٥ ـ ٦٣.

(٣) محمد بن عمر بن مكي، أبو عبد الله صدر الدين «ابن المرحل» المعروف بابن الوكيل: شاعر، من العلماء بالفقه. ولد بدمياط سنة ٦٦٥هـ، وانتقل مع أبيه إلى دمشق، فنشأ فيها. وأقام مدة في حلب وتوفي بالقاهرة سنة ٧١٦هـ. كانت له ذاكرة عجيبة، حفظ المقامات الحريرية في خمسين يوماً، وديوان المتنبي في اسبوع. ولي مشيخة دار الحديث الأشرفية بدمشق سبع سنين. قال ابن حجر: كان لا يقوم بمناظرة ابن تيمية أحد سواه. وصنف «الأشباه والنظائر ـ خ» في فقه الشافعية. وشرع في شرح «الأحكام» لعبد الحق بن الخراط، فكتب منه ثلاثة مجلدات تدل على تبحره في الحديث والفقه والأصول. وله شعر وموشحات رقيقة جمعها في ديوان سماه «طراز الدار».

ترجمته في:

فوات الوفيات ٢/ ٥٠٠ ـ ٥١٣ والدرر الكامنة ٤: ١١٥ والنجوم الزاهرة ٩: ٢٣٣ والنعيمي ١: ٢٧ والبداية والنهاية ١٤: ٨٠ وفيه ما محصله: كان شيخ الشافعية في زمانه، من أهل دمشق، انتقل إلى مصر وتوفي فيها. والفهرس التمهيدي ١٩١ وهو في مطالع البدور ١: ١٦٤ «صدر الدين محمد بن المرحل، ويعرف في الشام بابن وكيل بيت المال» وفيه: من شعره القصيدة التي مطلعها:

ليذهبوا في ملامي أية ذهبوا ... في الخمر لا فضة تبقى ولا ذهب!

الاعلام ط ٤/ ٦/ ٣١٤.

(٤) جملة من أبياتها في فوات الوفيات ٢/ ٥٠٢ ـ ٥٠٣.

إلاّ أنه زاده حسناً، وقيل: إن من شأن الوزير الكامل، والنديم الحاذق، أن يبلغ في الأدب والتحفظ متى بسط الملك وجهه ومازحه، وما أحسن قول القائل:

ومصاحب السلطان مثل سفينة … في البحر يُرعد دائماً من خوفِه
ان أدخلت في جوفها من مائه … دخلت وما في جوفها في جوفهِ

وأورد الشيخ أبو حامد المذكور لنفسه، وقال: إنه من شعره الذي يناجي به ربّه تعالى في خلواته:

يَا مَنْ جَفَانِي فَوِجْداني له عَدَمُ … هَبْني أَسَأْتُ فَأَيْنَ العَفْو والكَرَمُ!
أنا المرابطُ دونَ الناس فاجف وَصِلْ … واقبَلْ وعَاقِبْ وحَاسِبْ لَسْتُ انهزِمُ
إنَّ المحبَّ إذا صَحَّتْ محبّته … فما لوقْعِ المواضِي عِنْدَهُ أَلَمُ
وَحَقِّ فَضْلِكَ ما استأنَسْتَ مَنْ نِعَم … تُسدى إليَّ وإنْ حَلَّتْ بِيَ النِّقَمْ
ولا أَمِنْتُ نَكَالاً منك أَرْهَبهُ … وإنْ ترادفَت الآلاء والنِّعَمُ
حاشاكَ تُعرض عَمَّنْ في حَشاشتِهِ … نارٌ بحبِّك طُولَ الدَّهْر تضطرمُ
أَلَمْ تَقُلْ إنَّه مَنْ يدنو إليَّ مَدَىٰ ا … لذراع ادنُ له باعاً وأَبْتَسِمُ
والله والله لو عَذَّبتني حُقُباً … بالنَّار تأكُلُني حطماً وتلتهمُ
ما حُلْتُ عن حبّك الباقي فليس على … حالٍ بمنصرمٍ، والدهر منصرمُ[1]

وممّا أنشده لنفسه في شرحه على النهج:

فيك يا أُغلوطة الفكرِ … تاه عقلي وانقضى عُمُري
سافرتْ فيك العقولُ فمَا … ربحتْ إلاّ عنا السفرِ
رجعتْ حَسْرىٰ وما وقعتْ … لا على عينٍ ولا أثَرِ
فَلَحى الله الأُولى زَعَمُوا … أَنَّك المعروفُ بالنَّظرِ
كذبوا إنَّ الّذي زعموا … خارجٌ عن قوَّة البشرِ[2]

وهذه الأبيات فيها ردّ على المعتزلة أهل مذهبه، فإنه روى عن أبي هاشم: أنه أقسم أنه لا يعرف من ذاته غير ما يعرف أبو هاشم، ومما أورد لنفسه في الشرح:

(١) شرح نهج البلاغة ٥/١٦٦ ـ ١٦٧.

(٢) شرح النهج البلاغة ١٣/٥١.

فيك يا أعجوبة الكوْن ... غدا الفكر عليلا

أنت حيّرت ذا اللُّب ... وبَلْبَلْتَ العُقُولا

كلّما اقدم فِكْرِي ... فيك شبراً فَرَّ ميلا

ناكصاً يحصل في عَمْياء ... لا يُهدىٰ السَّبِيلا[1]

وله في السلك من أبيات:

والله ما موسى ولا ... عيسى المسيحُ ولا مُحمّدْ

كلّا ولا الروح الذي ... إلى محلّ القدس يصعَدْ

علموا بذاتك غير إنّك ... أو حديّ الذّات سَرْمَدْ[2]

وقال الشيخ صلاح الدين الصفدي في الغيث: أخبرني من لفظه الشيخ الحافظ العلامة أثير الدين أبو حيّان محمد بن يوسف بالديار المصرية، قال: أنشدني الناقل النسابة، حافظ المشرق والمغرب، شرف الدين أبو محمد عبد المؤمن بن خلف بن أبي الحسن الدمياطي يوم الأربعاء الخامس عشر من جمادى الآخرة سنة خمس وثمانين وستمائة بالقاهرة بقراءتي عليه، قال أنشدنا الشيخ الإمام الحافظ الصاحب عز الدين أبو حامد عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد المعتزلي ببغداد، ومولده بالمدائن يوم السبت مستهلّ ذي الحجة سنة ستّ وثمانين وخمسمائة:

لولا ثلاث لم أُخف صرعتي ... ليست كما قال فتى العبدِ

إن انصر التوحيد والعدل في ... كل زمان باذلاً جهدي

وإن أناجي الله مستمتعاً ... بخلوة أحلى من الشهدِ

وأن أتيه الدهر كبراً على ... كلّ لئيم أصعر الخدِّ

لذاك أهوى لا فتاة ولا ... خمر ولا ذي منعة[3] نهدي[4]

---

(١) شرح نهج البلاغة ١٣/٥١.

(٢) كاملة في شرح نهج البلاغة ١٣/٥٠.

(٣) في الغيث المسجم: «ميعة».

(٤) الغيث المسجم ٢/٩١.

لأن طرفة بن العبد[1] سئل عن مثل ذلك، فقال: مركب وطي وثوب بهي ومطعم شهي.

قال أبو الحسن العكوَّك فحدثت أبا دلف بذلك فقال:

أطيب الطيّبات قتل الأعادي ... واختيالي على متون الجيادِ

ورسول يأتي بوعد حبيبٍ ... وحبيبٌ يأتي بلا ميعاد

قلت: وللمتأخرين على هذا المنوال أشعار كثيرة حذفتها ميلاً للاختصار.

ومن الغرائب التي ذكر في الشرح: أن سائلاً سأل زفر صاحب أبي حنيفة عن الاستفتاح في الصلوات بالكلام هل يفسدها أم لا؟ فقال: قد قال أبو بكر في صلواته ما قال ثم تيقض، فقال السائل: وما قال أبو بكر؟ فصاح به زفر: اخرج عليّ لولا أنّك مريب، أشار إلى ما ذكر إن أبا بكر أمر خالد بن الوليد بضرب عنق عليّ وهو ساجد ثم بدا له، فصاح به في الصلوة: لا تفعل يا خالد ما كنت أمرتك به.

وذكر الديار بكري والذهبي: أن الشيخ الصّاحب أبا حامد المذكور توفي قبل دخول التتار بغداد بها بنحو سبعة عشر يوم وسلّمه الله من شرّهم رحمه الله تعالى.

قلت: استباحت التتار بغداد سنة ست وخمسين وستمائة كما تقدم، وكان

---

(١) هو أبو عمرو طرفة بن العبد بن بكر بن وائل. شاعر جاهلي من أصحاب المعلقات السبع. ولد في بادية البحرين نحو سنة ٨٦ق.هـ. وتنقل في نجد واتصل بالملك عمرو بن هند فكان من ندمائه. ثم تغير عليه فأرسله بكتاب إلى عامله بالبحرين يأمره فيه بقتله. ولما وصل نفذ فيه الآمر سنة ٦٠ق.هـ. وكان عمره يوم مقتله عشرين عاماً وقيل كان ابن ست وعشرين. أشهر شعره معلقته ومطلعها: ـ

لخولة أطلال ببرقة ثهمد ... تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

ترجمته في: جمهرة أشعار العرب/ ٧٤، شرح المعلقات السبع للزوزني ٢٨، شرح شواهد المغني/ ٨٠٥، مقدمة ديوان طرفة، أنوار الربيع ١/هـ ٣٥٦. مجلة المشرق ١٥: ٢٣٢ والشعر والشعراء ٤٩ وسمط اللآلي ٣١٩ وفيه: «وهو ابن العشرين، لأنه قتل وهو ابن عشرين عاماً» ومعاهد التنصيص ١: ٣٦٤ وجمهرة أشعار العرب ٣٢ و٨٣ وفيها اسمه «عمرو بن العبد»، والتبريزي ٤: ٨ وخزانة البغدادي ١: ٤١٤ ـ ٤١٧ وفيه. عن ابن قتيبة: قتل وهو ابن ست وعشرين سنة. وصحيح الأخبار ١:٨ و١٦٢ والمحبر ٢٥٨ والآمدي ١٤٦، الاعلام ط ٤/٣/ ٢٢٥.

الوزير مؤيد الدين قد خرج إلى هولاكو وقرّر الصلح بين الخليفة وبينهم أنه يواجهه ويزوّج هولاكو ابنته بابن الخليفة ويخطب له كعادة ضعفة الخلفاء مع آل بويه والسلجوقية فخرج الخليفة ومعه ولده والأعيان والقضاة والشهود لشهود العقد فضربت أَعناق الجميع وأَدخل الخليفة وولده غرارتين ورفسا حتى ماتا، ودخلت التتار بغداد فاستباحوها أَربعين يوماً، والذي أمكن حصره من القتلى في بغداد ألف ألف وثمانمائة ألف، وسلم الوزير وسلمت الحلة المزيدية لحرمة الشيخ العلامة يوسف بن المطهر الحلّي الأمامي فإن هولاكو احترمه.

وذكر الذهبي: أن الوزير خدع الخليفة لحنقٍ كان في نفسه على السنيّة فأَراد أن يقتلهم التتار ويشفي غليله، وهذا بعيد فإن كماله وحرمة مخدومه تمنعه، وقد قتلت الشيعة والسنية جميعاً ولكن هولاكو غدر.

❀ ❀ ❀

والأنبار أحد مدائن كسرى وهي كجمع نبر، بكسر النون الموحدة: وهو الموضع الذي تدفن فيه الحبوب، وكانت الأكاسرة تخزن فيه الحبوب، والله أعلم.

[١٠٠]

الشيخ الصّالح عبد الهادي بن محمد السَّوْدي الصنعاني الصوفي(*).

فاضل جنح عن الخيال، وما اغترّ من أمّ ذفر بالضلال والضلال، وجعل الفقر إلى الواحد الغني رفيقه، وفريق العارفين بالحقائق فريقه، هام وجداً وتزهد، وعاد كما خرج إلى الدنيا فقيراً والعود أحمد.

وكان أول أمره بصنعاء وبها تخرج وقرأ العلوم.

وكان فقيهاً محققاً في علوم الزيدية، ثم لحقته جذبة الصوفية فخرج هائماً من صنعاء ونزل إلى مدينة تعز.

وذكر الإمام شرف الدين ـ لأنه كان في أيّامه ـ وقال: إنّما حصل له الهيام

(*) ترجمته في: خبايا الزوايا ـ خ ـ، ريحانة الألبا ١/ ٤٦٠ ـ ٤٦١، البدر الطالع ١/ ٤٠٨.

بسبب إكثاره لأكل القات فخفّ دماغه والله أَعلم، وصار فقيراً ينسب إلى الشيخ أحمد بن علوان الصوفي.

وأخبرني شيخنا السيد المحقق الحسن بن الحسين بن المنصور: أنه حصلت له كرامات بإِب وذاك إنه دخلها وبها بعض المشائخ ومن عاداتهم أن الشيخ لا يساكن الشيخ في بلد واحدٍ، فحصل لعبد الهادي قلق أزعجه بسبب سرّ ذلك الشيخ، فنام فرأى في منامه الشيخ أحمد بن علوان فشكى له ما لقي بسبب الشيخ الإِبّي، ولما أصبح قويت نفسه وسكن جأشه فمدح الشيخ أحمد بقصيدة طويلة لم أكتبها من إملائه.

وبالجملة، فكان من الفضلاء، ولمّا وصل إلى تعز خلع لباس الوقار، ولبس ثياب الفقر، وساح في شوارعها.

وذكره الشهاب الخفاجي في ريحانته وأورد من شعره:

كيف حارُوا فيكَ وَاعجَبا ... يا مُنَى سمْعِي ويا بصَرِي
أنتَ لا تخْفَى على أحدٍ ... غير أغْشَى الفكرِ والنَّظَرِ
حيرةٌ عمَّتْ وَأَيُّ فَتًى ... رامَ عِرْفاناً ولم يَحِرِ[1]

ونقلت من خطّ السيد حسن بن مطهر الجرموزي وقد مضى ذكره في الحاء[2] للشيخ عبد الهادي المذكور:

لا وقدٍّ منك معتدلِ ... عن غرامي فيك لم أملِ
ليس لي عطف على أحدٍ ... لا ولا ميل إلى بدلِ
بك يا سولي ظفرت فلم ... التفت للدار والطللِ
وجهك المغنى فديتك عن ... ظلل الإيضاح والجملِ
طاب قلب أنت ساكنه ... وفؤاد من سواك خلي
لو رآك العاذلون صبوا ... وقضوا بالإثم في العذلِ
ما على العذّال من دنفي ... فالهوى عدل علي ولي

وله أيضاً: من خط المذكور:

---

(١) ريحانة الألبا ١/ ٤٦٠.

(٢) ترجمه المؤلف برقم ٥٢.

بـلابـل الـحـبّ تـشـدو بـكـل مـعـنـى غـريـبِ
ولـيـس تـلـك الـمـعـانـي إلاّ لـصـبّ غـريـبِ

ومنه أيضاً وفيه التورية:

جـرحـت يـا نـور عـيـنـي خـدّي بـمـاءٍ مـعـيـنِ
ولـيـس يـنـكـر جـرح أتـى بـه ابـن مـعـيـنِ

وله أيضاً دوبيت:

ان جزت سلعاً سل عن الأحبابِ واذكر لهم كي يرحموني ما بي
قل حبّكم قد ضاق صدراً فمتى بالوصل يَفون أو يفتح البابِ

والأبيات الرائية للمذكور ضدّ أبيات ابن أبي الحديد المتقدمة، فسبحان خالق الأذهان.

وله من قصيدة:

عـاذِلِـي فـي الـحـبِّ أو خـطَـرهْ لـسـتَ مـن لـيـلـي ولا سَـمَـرهْ
أنـا فـي وادٍ أظـنُّـك مـا قِـلْـتَ فـي الأفْـيـاءِ مـن شَـجَـرِهْ
لا تُـطِـلْ فـيـه الـمَـلامَ إلـى أن تـذوقَ الـحُـلْـوَ مـن ثَـمَـرِهِ
يـا حُـلـولَ الـشِّـعْـبِ مـن إضَـمِ أنْـشِـقـونـي الـنَّـشْـرَ مـن زَهَـرِهْ[1]
لا أَذُودُ الـطـيـرَ عـن شـجَـرٍ قـد بـلـوْتُ الـحـلـو مـن ثَـمَـرِهْ[2]

الطريقة مليحة، والرويّ مطرب، وأكثره من قصيدة أبي نواس وأبي الحسن العكوّك.

وعجبت كيف لم ينبّه عليه الخفاجي على فضله، وله ديوان شعر أَكثره من الموشح الملحون وهو في اصطلاح القوم..

ومشهده بتعز مشهور مزور رحمه الله تعالى.

❀ ❀ ❀

(١) إضم: ماء يطأه الطريق بين مكة والمدينة (معجم البلدان ١/ ٣٠٥).
(٢) ريحانة الألبا ١/ ٤٦١ وفيه: «المرّ» بدل «الحلو».

وإِبّ بكسر الهمزة وتشديد الباء الموحدة: مدينة خصيبة باليمن.

والسَوْدِي بفتح السين المهملة وإسكان الواو وبعد الدال المهملة ياء النسبة نسبة إلى السود قرية من قرى همدان قريب كحلان.

[١٠١]

الشيخ الصَّاحب صفي الدين عبد العزيز بن سَرايَا بن أبي الحسن الحليّ الطائي السنبسي، الشاعر المشهور أحد المتأخرين المشهورين المجيدين(*).

فاضل يلوح من شعره فيروزج الصبح أو ياقوته الشفق، ما ترنّمت الغواني به إلاّ وهيجت الورقاء في الورق، تلاعب بمصونات معانٍ كفى البدر حسناً أن يقال نظيرها، فيزهو ولكنّى بذاك نظيرها.

ورأيت في ديوان شعره ترجمته لبعض المتأخرين.

قال الشيخ الإمام العالم عبد العزيز بن سرايا بن علي بن أبي القاسم بن أحمد بن نصر بن عبد العزيز بن عبد الله بن العريض: الإمام العلامة، البليغ المفوّه، الفاضل الناظم، الناثر على الإطلاق، صفي الدين الطائي السنبسي الحلي، شاعراً أصبح به راجح الحلي ناقصاً، وكان سابقاً فأصبح على عقبه ناكصاً، يتلعب بالمعاني كما تتلعب النسيم بالأغصان، ويولّد بعضها من بعض كما يتولّد الصّبغ من الخجل في خدود الحسان، مع بديع ما سمع بمثله البديع،

(*) ترجمته في: الدرر الكامنة ٢/ ٤٧٩، فوات الوفيات ١/ ٥٧٩ _ ٥٩٤، آداب اللغة العربية ٣/ ١٢٨، النجوم الزاهرة ١٠/ ٢٣٨، وفيه وفاته في ذي الحجة ٧٤٩ وBrock. S. 2:199، نزهة الجليس ٢/ ٢٠١، شعراء الحلة ٣/ ٢٩٩ _ ٣٢٠، البدر الطالع ١/ ٣٥٨، الكنى والألقاب ٢/ ٣٧٨، الذريعة ١/ ٣٣٧، ٣/ ٧٦، ٩/ ٦١٥، سفينة البحار ٢/ ٣٧، أعيان الشيعة ٣٨/ ٤٨ _ ٥٣ وفيه: أنه توفي بالقاهرة، البابليات ١/ ١٠٦ _ ١١٣، الطليعة في ترجمة رقم ١٥٢، الغدير ٦/ ٣٩، دائرة معارف وجدي ٥/ ٥٢٥،مجالس المؤمنين ٤٧١، أمل الآمل، الحصون المنيعة _ خ _ ٢/ ٣٥٣. روضات الجنات ٣/ ٤٢٢، تاريخ مصر لابن إياس/حوادث سنة ٧٤١، ١/ ١٧٣، وله فيه ترجمة موجزة في ١/ ٢١٠ أو آخر أخبار الملك الناصر حسن بن الملك الناصر محمد بن قلاوون، أنوار الربيع ١/هـ ٤٥ _ ٤٦، الاعلام ط ٤/ ١٧/٤ _ ١٨.

وتصريع ما ألمّ بمثله الصريع، وشعره مع حلاوة الديباجة، وطلاوة التركيب التي مرحت بها طلا الدنّ، ولا سلافة الزجاجة، لا تخلو من نكتة أدبيّة ترقص المناكب، وفوائد علمية من كلّ فن تنقضّ منها الكواكب، عالم بكلّ ما يقول، عارف بغرائب النقول، أجاد فنون النظم والقريض، وأتى في الجميع بما هو شفاء القلب المريض، لأنه نظم القريض فبلغ فيه الغاية، وحمل قدّامه فحول المتقدمين الراية، كذلك هو في الموشحات والأزجال والمكفرات والبلاليق والدوبيات والقرقيات والمواليات والكان وكان والقومَا وكذلك الشعر أبدع في مديحه وهجوه ورثاه وأغزاله وأوصافه وتشبيهاته وحماسته وحكمه وأمثاله.

وأمّا نثره فهو طبقة وسطى، وترسله يحتاج إلى أن تعلق في أذنه قرطا، وكان يسافر ويتجر، وكان ينقطع في بعض الأحيان عن الاجتداء بالشعر وينزجر، وكان منقطعاً إلى الملوك الأَرتقية أصحاب ماردين، وكان فيه شجاعة وإقدام، وقوة وجنان، وثبات أقدام، وورد إلى مصر ومدح الملك الناصر فرج بن برقوق.

قلت: استوفى هذا الأديب حال الصفي وأنا بالأَشواق إلى معرفته.

وكان الصفيّ من كبار الإمامية وكان عالماً بالأدب، وله شرح على بديعته أَجاد فيها، وله فضل السبق إلى نظم البديع في مديح رسول الله ﷺ وإنّما تبعه الحموي والموصلي والعَميان أعنى محمد بن جابر الأندلسي صاحب بديعيتهم، وعندي إن أَجود شعره النبويات، وديوان شعره مشهور، فما خامرني خمره، وهزّني بنسمته عطره، من روضيّاته:

قد نشر الزنبق أعلامه	وقال كلّ الزهر في خدمتي
لو لم أكن في الحسن سلطانه	ما رفعت من دونه رايتي
فقهقه الورد بهَ هازئاً	وقال ما تحذر من سطوتي
وقال للسوسن ماذا الذي	يقوله الأشيب في حضرتي
فامتعض الزنبق من قوله	وقال للأزهار يا عصبتي
يكون هذا الجيش بي محدقا	ويضحك الورد على شيبتي

وأحسب أنّ ابن نباتة أخذ من هنا قوله:

حسب الفتى بعد الصّبا ذلّة	أن يضحك الشيب على ذقنه[١]

(١) ديوان ابن نباته المصري.

وقد مرّ.

وللصفي أيضاً:

ولم أنس إذ زار الحبيب بروضة ... وقد غفلت عنّا وشاةٌ ولوّامُ
وقد فرش الورد الخدود ونشرت ... بمقدمه للسوسن الغض أعلام
أقول وطرف النرجس الغض شاخصٌ ... إليّ وللنمام حولي الممام
أيا ربّ حتى في الحدائق أعينٌ ... علينا وحتى في الرّياحين نمّام

أجاد الصفي. وقام للروض بما يجب في شرعه بالوفا وفي وفي.

ويعجبني قول مجير الدين بن تميم:

كيف السبيل للثم من أحببته ... في روضة للزهر فيها معركُ
ما بين منثور وناظر نرجس ... مع اقحوان وصفه لا يدركُ
هذا يشير بإصبعٍ وعيون ذا ... ترنو إليَّ وثغر هذا يضحكُ

وقول ابن الدباغ[1]:

غضّى عيونك يا عيون النرجسِ ... فعسى أفوز بقبلة من مؤنسي
فلقد تخيّر إذ راك شواخصاً ... ترمينه بلواحظ المتفرّسِ

ومن شعر الصفي:

أيمن الحمى عربُ ... لي بربعهم أربُ
كلّما ذكرتهم ... هزّني لهم طربُ
جيرة بحبهم ... ليس يحفظ الأدبُ
العهود واهية ... والحقوق تغتصبُ
في خيامهم قمر ... بالصفاح مُحْتَجِبُ

---

(١) لعله أبو الفرج محمد بن الحسين بن علي الجفني البغدادي المعروف بابن الدباغ: كان أديباً فاضلاً قرأ على الشريف ابن الشجري، وأبي منصور الجواليقي، تصدر لتدريس النحو واللغة مدة طويلة، خرج إلى الموصل، ثم عاد إلى بغداد وبها توفي سنة ٥٨٤، من آثاره: ديوان شعره، وله رسائل.

ترجمته في: بغية الوعاة ١/٩٢، إنباه الرواة ٣/١١٣، هدية العارفين ٢/١٠٣، خزانة الحموي/ ٢٤٦، أنوار الربيع ٤/هـ ١٢٦.

ريقة معتقة ... ثغره لها حببُ
بت في ديارهم ... والفؤاد مكتئبُ
الدموع هاطلة ... والضلوع تلتهبُ
أن للغرام يدٌ ... مسّني بها العطبُ
أن قضيت فيه أسًى ... فهو بعض ما يجبُ
أبدت الوشاة رضاً ... منه يلحظ الغضبُ
ألثغور ضاحكة ... والقلوب تنتحبُ

ما أرق هذه الأبيات الشبيهة بالثنيّات، ومثلها أول شعر قاله أبو نؤاس.

حامل الهوى تعبُ ... يستخفه الطربُ

وهي مشهورة.

ومن المطرب في الروضيات أيضاً قول أَمين الدين الجوبان القواس[1] الدمشقي:

نفّش غصن البان أذنابه ... وماس عند الصبح زهواً وفاحْ
وقال هل في الروض مثلي وقد ... تعزا إلى غصني القدود الملاحْ
فحدّق النرجس يهزأ به ... وقال حقاً قلت ذا أم مزاحْ
بل أنت بالطول تحامقت يا ... مقصوف عجباً بالدعاوى القباحْ
فقال غصن البان من تيهه ... ما هذه إلاّ عيون وقاحْ

وللصفي في غلام قلع الطبيب ضرسه وفصده:

لحى الله الطبيب لقد تعدّى ... وجار على الجمال بذي الفعال
أعاق الظبي في كلتا يديه ... وسلّط كلبتين على غزالِ

وله أيضاً:

ولو شاهدت عيناك وجه معذّبي ... وقد زارني بعد القطيعة والهجرِ
رأيت بعيني من تلقّيه مرحباً ... وسيف علي في لحاظ أبي بكرِ

---

(١) أمين الدين القواس، واسمه جوبان بن مسعود بن سعد الله. شاعر شامي، كان من أذكياء العالم، وله النظم الجيد، والخط الجميل، وكان له ذهن خارق. توفي في حدود سنة ٦٨٠هـ.
ترجمته في: فوات الوفيات ١/٢١٣، أنوار الربيع ١/هـ ٢٦٩.

غضب أبو بكر بن حجّة من التورية باسمه واسم إمامه.

وإنما أخذه الصفي من قول عبد المحسن الصوري الشاعر في غلام اسمه عمر وأجاد [من السريع]:

نــادَمــنــي مَــن وَجْــهُــهُ رَوْضَــةٌ ... مــشــرقــة يــمــرحُ فــيــهــا الــبَــصَــرْ
فَـانْـظُـر مـعـي تَـنْـظُـر إلـى مُـعْـجِـبٍ ... سـيـفُ عـلـيٍّ بـيـنِ جِـفْـنَـي عُـمَـرْ[1]

نعم زاد الصفّي مرحباً وأهلاً وسهلاً بقوله في ما أخذه.

وله في رجل عجز عن افتضاض عرسه:

تــزوّج شــيــخ فــي جــواري صــبــيّــة ... فــلــم يــســتــطــع غــشــيــانــهــا حــيــن جــاءهــا
ولــو أنــنــي بــادرتــهــا لــتــركــتــهــا ... يــرى قــائــمــاً مــن خــلــفــهــا مــا وراءهــا

ضمّن عجز الثاني من قول قيس بن الخطيم الأوسي[2] وذلك أن أباه الخطيم كان قتله رجل يعرف بابن عبد القيس وابنه صبيّ أَعني قيساً فلما ترعرع قيس عدى على قاتل أبيه فقتله وقال:

طعنتُ ابن عبد القَيْس طعنة ثائرٍ ... لــهــا نَــفَــذٌ لــولا الــشُّــعــاع أضــاءَهــا
ملكت بها كفّي فأَنْهَرْتُ فَتْقَها ... يَرىٰ قائماً من خلفها ما وراءَها[3]

وكان قيس من شعراء الأوس المجيدين.

وقيل إنه وجد عمرة زوجة حسان بن ثابت وقد ظعن الحيّ للنجعة وهي

---

(١) يتيمة الدهر ١/٢٩٦، الغدير ٤/٢٢٥، ديوان الصوري ١/٢٠٤.

(٢) قيس بن الخطيم بن عدي الأوسي، أبو يزيد، شاعر الأوس، وأحد صناديدها في الجاهلية، أول ما اشتهر به تتبعه قاتلي أبيه وجدّه حتى قتلهما، وقال في ذلك شعراً، وله في وقعة «بعاث» التي كانت بين الأوس والخزرج قبل الهجرة أشعار كثيرة، أدرك الاسلام وتريث في قبوله، فقتل قبل أن يدخل فيه نحو سنة ٢ق.هـ، شعره جيد، وفي الأدباء من يفضله على شعر حسان، له ديوان مطبوع.

ترجمته في: الأغاني ٣/٣ ـ ٢٧، الإصابة ت/ ٧٣٥٠، جمهرة أشعار العرب ١٢٣، طبقات ابن سلام ٥٦، معجم المرزباني ٣٢٠ وفيه اسم الخطيم «ثابت» معاهد التنصيص ١/٩١، الآمدي ١١٢، خزانة البغدادي ٣/١٦٨ ـ ١٦٩، الاعلام ط ٤/٥/٢٠٥.

(٣) الخبر والشعر في الأغاني ٣/٤ ـ ٥.

أنهر الفتق: وَسّعه، الخبر والشعر في الأغاني ٣/٤ ـ ٥.

متأخرة عنهم، فقال لها: ليت شعري ما أخرّك، أقلّ ناصرك؟ أم قلّ وافدك، فسبّته ثم أخبرت زوجها حسّان فلج بينهما الهجاء، وقال قيس فيها لبغيض حسّان:

أجـد بـعـمـرة عـتـبـانـهـا فـتـهـجـر أم شـأنـنـا شـانـهـا
وعـمـرة مـن سـروات الـنـسـا يـنـفـح بـالـمـسـك أردانـهـا

وقال أبو الفرج الأصبهاني في أخبار أبي عبد المنعم طويس المغنّى المديني[1]: أن العقيق سال مرة فخرج الناس ينظرونه، وخرج في الناس عبد الله ابن جعفر الطيّار، فبينما هم هناك إذ هاجت السماء، فقال عبد الله: إن هذه السماء لخليقة أن تبلّ ثيابنا فلو عدلنا إلى منزل طويس فسمعنا غناه وأضحكنا لكان أجمل بنا، فقال له عبد الرحمٰن بن حسّان بن ثابت: جعلت فداك وما تصنع بمنزل طويس عليه غضب الله؟ مغن شاين لمن عرفه، فقال: وإن كان كذلك فإن له لأدباً وظرفاً ومروّة، وطويس بحيث يسمع كلامهما، فسبق إلى منزله فذبح عناقاً سمينة كانت عنده، وأمر زوجته أن تشويها، وتصنع لهم طعاماً، ولقى عبد الله فقال: جعلت فداك أَلا تعدل إِلى المنزل حتى تمسك السماء فاغنيك وأُضحكك؟ فقال عبد الله: إياك أردنا، فدخلوا فأنّسهم وأضحكهم، ثم قدّم لهم العناق فاستظرف عبد الله طعامه[2]، ثم قدم النبيذ، ثم قال: جعلت فداك آخذ الدف فأتمشى به لك صوتاً أو صوتين، فأخذ الدف ونقر فيه ورقص وغنّى:

«أَجـدّ بـعـمـرة عـتـبـانـهـا»

وهي أم عبد الرحمٰن فاحمرّ وجهه فلو فتحت له الأرض لساخ فيها حياءً وخجلة من ذكر أمّه، فأقاموا يوماً ودخلوا المدينة، فقال عبد الله لعبد الرحمٰن: أنت تعلم مما أتيتُ.

ذكرت بالعاجز عن البكر قول السيد الحسين بن عبد القادر[3] في تظمين قول أبي الطيب:

---

(١) ذكر طويس وأخباره في الأغاني ٣/٢١٩ ـ ٢٢٣.
(٢) الأغاني ٣/٣٣ ـ ٣٤، وفي آخرها اختلاف يسير.
(٣) ترجمه المؤلف برقم ٦٠.

قم للعروس ابتكرها قبل قبلتها ... أعلى الممالك ما يبنى على الأسلِ
وانشد لذا تركك التقبيل معتذراً ... والطعن عند محبّيهنّ كالقبلِ

قلت: روى في الحديث: «إذا أراد أحدكم أهله فلا يأتيها كالعِير وليكن بينهما رسول، قيل: وما الرسول يا رسول الله؟ قال: «القبلة».

وسَبَى معن بن زائدة سبايا من العرب فأنشد متمثلاً:

ليس بيني وبين قيس عتاب ... غير طعن الكلا وضرب الرقابِ

فقالت احداهن: أمّا طعن الكلا فأنت مليء به، وأما ضرب الرقاب فلم يكن.

من رقيق شعر الصفي الحلي:

يا غصناً في الرياض مالا ... حملتني في هواك مالا
وما ادعيت السلوّ ميلاً ... ولاشكى جسمي انتحالا
ظبيٌ من الترك سلّ سيفاً ... عليَّ من لحظه وشالا
قد غيّرته الوشاة حالاً ... عليّ بعد الرضا فمالا
وظنّ أني سلوت لمّا ... أبعدني سالفاً وخالا
من قبل ذكر الوصال ماذا ... يفعل لو سمته الوصالا
أن قال كم ذا آتيه عُجباً ... قال له الحسن ته دلالا
يا رايحاً بعد إذ سباني ... حسبك ربّ السما تعالا
استغفر الله فاق بدري ... غزالة الأفق والغزالا

أمّا «يا رايحاً بعد إذ سباني» فقد ذكرت في ترجمة الأمير السيد أبي الحسن إسماعيل بن محمد[1] قول ابن العفيف فينظر فيه، وأمّا أن أحدهما أخذ من صاحبه الصفي أَو الشاب الظريف فلم أَتحققه فأنّهما كانا متقاربين أو متعاصرين.

ومحاسن الشيخ صفي الدين كثيرة لأنه أبوها.

وذكر القاضي قطب الدين محمد بن محمد بن حضر المصري: إنّه توفي سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة تقريباً.

❀ ❀ ❀

---

(١) ترجمه المؤلف برقم ٣٠.

والحلّة المنسوب إليها مدينة مشهورة، بالعراق بين بغداد والكوفة اختطّها سيف الدولة صدقة بن فخر الدين أبي كامل منصور بن دبيس بن علي بن مزيد الناشري الأسدي الإمامي سنة خمس وتسعين وأربعمائة. وجميع أهلها شيعة.

والسَنْبَسْي، بفتح السين المهملة وإسكان النون وفتح الباء الموحدة وآخره سين مهملة أيضاً: نسبة إلى بني سَنبَس بطن من طي، والله أعلم.

[١٠٢]

أبو محمد عبد السلام بن رَغْبانَ بن عبد السَّلام بن حبيب بن عبد الله ابن رَغْبانَ بن زيد بن تميم الكلبي الشامي الحمصي الملقب ديك الجن الشاعر المشهور(*).

فاضل أعار النجوم قلادة فكره، وكاد يحرق حاسده ذكاه بجمره، فالطاووس إلى رونق محسنه يجنّ، ويتمنّى لو ألبس ديباجة شعر ديك الجنّ.

وذكر أبو الفرج في الأغاني فقال: كان يذهب في شعره مذهب أبي تمام والشاميين، وكان يتشيع وله مراثٍ في الحسينعليه السلام، وهو من شعراء الدولة العباسية من أهل حمص، ولم ينتجع بشعره خليفة ولا غيره، ولا دخل العراق[١] مع نفاق سوق الأدب، وذكره ابن خلكان في تاريخه[٢].

وقال أبو الفرج في الأغاني: إن أَبا تمّام قبل أن يشتهر شعره دخل على ديك الجنّ فقال له: أنا ابن أخيك حبيب بن أوس وقد ألهمت الشعر وأحبّ أن أعرض عليك بعض ما قلته، ثم أنشده شعره فلمّا فرغ من إنشاده، أَخرج أبو

(*) له ديوان شعر جمعه وشرحه عبد المعين الملوحي ومحي الدين درويش ط حمص ـ سوريا ١٩٦٠، ثم بتحقيق أحمد مطلوب وعبد الله الجبوري.

ترجمته في: الأغاني ١٤/ ٥٢ ـ ٦٩، وفيات الأعيان ٣/ ١٨٤ ـ ١٨٨، حياة اليحوان للدميري ١/ ٤٨٨، تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام/٢٠١، الكنى والألقاب ٢/ ٢١٥، ثمار القلوب ٢٧ ـ ٤٧٠، أعيان الشيعة ٣٨/ ٢٩ ـ ٣٦، الطليعة ـ خ ـ ترجمة رقم ١٥١، أدب الطف ١/ ٢٨٣ ـ ٢٨٨، الغدير، مقدمة ديوان ديك الجن تحقيق مطلوب والجبوري، أنوار الربيع ٢/ هـ ١٥٠، الاعلام ط ٤/ ٥/٤، وله أخبار في مصارع العشاق، وتزيين الأسواق.

(١) الأغاني ١٤/ ٥٣.

(٢) أنظر: وفيات الأعيان ٣/ ١٨٤ ـ ١٨٨.

محمد من تحت مصلاّه درجاً كبيراً فيه من أشعاره فأعطاه أبا تمّام وقال: تكسّب بهذا فأخذه أبو تمّام وخرج[1].

وذكر ابن خلكان، عن أبي الجراح صاحب كتاب الورقة: أن ديك الجن مولى طي، وأصله من مدينة سلمية، ومولده بحمص، وتميم أول من أسلم من آبائه على يد حبيب بن مسلمة الفهري وكان أخذ محارباً فأسلم وكان ديك الجن ماجناً خليعاً متلافاً لما ورثه من أبيه، وشعره في غاية الجودة.

وحدّث عبد الله بن محمد بن عبد الملك الزبيدي قال: كنت جالساً عند ديك الجنّ فدخل عليه حدث فسلم وذكر الحكاية المذكورة آنفاً، فلما خرج سألته عنه فقال: هذا فتًى من حاسم[2] يذكر أنه من طيء، يكنى أَبا تَمَّام واسمه حبيب ابن أوس، وفيه أدب وذكاءٌ، وله قريحة وطبع.

قال: وعُمِّر ديك الجنّ حتّى مات أبو تمّام فرثاه[3].

ولمّا سافر أبو نؤاس من بغداد إلى مصر قاصداً للخصيب عاملها إجتاز بحمص فجاء إلى دار ديك الجنّ فاستأذن عليه، فقال ديك الجنّ للجارية: قولي ليس هو هنا، ففهم أبو نوّاس إنّه إستحى من ملاقاته، فقال لها: قولي له أُخرج فقد فَتَنْتَ أهل العراق بقولك:

مورَّدة من كفِّ ظبيٍ كأنها ... تَناولَها من خدّه فأدارها

فأبلغته الجارية، فخرج إلى أبي نواس فأضافه واعتذر إليه، وأوّل الأبيات التي هذا البيت منها:

بها غير معذولٍ فداوِ خُمارَها ... وصلْ بعشيّات الغبُوق ابتكارَها[4]

وَنَل من عظيم الوزْرِ كلَّ عَظِيمَةٍ ... إذا ذُكِرَتْ خافَ الحفِيظانِ نارَها[5]

وقُم أَنت فاحثُثْ كأسَها غيْرَ صاغرٍ ... ولا تَسْقِ إلا خَمْرَها وعُقارَها

---

(١) لم أعثر عليها في الأغاني بأخبار أبي تمام أو ديك الجن!!

(٢) في الوفيات: «فتىً من أهل جاسم».

(٣) وفيات الأعيان ٣/ ١٨٤/ ١٨٥.

(٤) الخمار: صداع الخمر. الغبوق: شرب المساء ويقابله الصبوح وهو شرب الصباح.

(٥) الحفيظان: الملكان اللذان يحفظان الرجل ويحصيان أعماله.

فقام تكادُ الكأسُ يُحرِقُ كَفَّهُ   من النار أو من وَجْنَتَيهِ اسْتعارَها
مورَّدَةٌ من كفّ ظبي كأنما   تناولها من خدِّه فأدارها
ظلِلنا بأيدينا نُشَعْشِعُ رُوحَها   فتأخذ من أقدامِنا الرَّاحُ ثارَها[١]

أخد هذا المعنى الشيخ جمال الدين بن نباتة فقال من تائيّة:

تذكرت عند قوم دَوس أرجلهم   فاسترجعت من رؤوس القوم ثارات[٢]

ومن الأوّل قول أبي نواس:

«وداوني بالتي كانت هي الدّاءُ»

قال أبو الفرج: وكان ديك الجن قد استهتر بجاريةٍ نصرانية من أهل حمص، وغلبت عليه وذهبت به، فدعاها إلى الإسلام فأسلمت على يديه وإسمها ورد، فتزوجها ثم سعي بها إليه بعد مدّة وذكر له أنّها تخالط غيره فقتلها، وصحّ له بعد ذلك براءتها، فندم أشد الندم، وله فيها عدة مراثٍ، وقال فيها حين تزوَّجها:

أُنظر إلى شمس القُصورِ وبَدْرِها   وإلى خُزَامَاها وَبَهْجَةِ زَهْرِها[٣]
لم تبلُ عينُك أبيضاً في أسودٍ   جَمَعَ الجمالَ كَوَجْهِهَا في شَعْرِها[٤]
وَرْدِّيةُ الوَجَنات تَخْتَبِرُ اسمَها   من رِيقها مَنْ لا يُحيطُ بِخُبْرِها
وتمايلتْ فَضَحِكْتُ من أَرادِفها   عَجَباً ولكنّي بَكَيْتُ لِخِصْرِها
تَسْقيك كأْسَ مُدَامة من كَفِّها   وَرْديَّةٍ ومُدامةً من ثَغْرِها[٥]

وله بعد قتلها:

لَكِ نفسٌ مُواتِيَهْ   والمَنَايَا مُعَادِيَهْ[٦]

(١) وفيات الأعيان ٣/١٨٥، زهر الآداب، العمدة، ديوان المعاني، ديوانه ط سوريا ٣٨ ـ ٣٩.
(٢) ديوان ابن نباته المصري.
(٣) الخزامى: نبت طيب الرائحة زهره أطيب الأزهار نفحة.
(٤) تبلو: تختبر.
(٥) الأغاني ١٤/٥٦، محاضرات الأدباء، ديوانه ط سوريا ٥٤ ـ ٥٥.
(٦) مواتية: موافقة وملائمة.

أيّـــهــا الــقــلـــب لا تَــعُــدْ لِـهــوَى الـبـيـضِ ثَـانِـيَـهْ[1]
لـيـس بَـرْقٌ يـكـون أخـ ـلبَ مـن بَـرْقِ غـانِـيَـهْ[2]
خُـنْـتِ مـن لـم يَـخُـنْـكِ سِـرّاً فَـمُـوتِـي عَـلاَنِـيَـهْ[3]

وله فيها:

يـا طـلـعـةً طـلـع الـحِـمـامُ عـلـيـهـا وجَـنَـى لـهـا ثَـمَـرَ الـرَّدَى بِـيَـدَيْـهَـا[4]
رَوَّيْـتُ مـن دَمِـهَـا الـثَّـرَى ولَـطـالَـمـا رَوَّى الـهـوى شَـفَـتَـيَّ مـن شَـفَـتَـيْـهَـا
قد بـات سَـيْـفِـي فـي مَـجـال وشـاحِـهـا ومَـدامِـعِـي تـجـري عـلـى خَـدَّيْـهَـا[5]
فـوَحَـقِّ نَـعْـلَـيْـهَـا ومـا وطـيء الـحَـصَـى شـيءٌ أَعَـزُّ عَـلَـيَّ مـن نَـعْـلَـيْـهـا
مـا رَحْـتُ أَقـتـلـهـا لأنّـي لـم أكُـنْ أبـكـي إذا وَقَـعَ الـذُّبـاب عَـلـيـهـا
لكـنْ ضَـنَـنْـتُ عـلـى الـعـيـون بـحُـسْـنـهـا وأنِـفْـتُ مـن نَـظَـر الـحـسـودِ إلـيـهـا[6]

وله فيها غير ذلك وهو مخطىء في فعله غير معذور، لكن هذا الديك كالهرة تأكل أولادها من المحبّة.

وقد سرد ابن أبي حجلة في ديوان الصبابة[7] قصّته الشنيعة كلها وما قال فيها من الأشعار.

وذكرها أيضاً أبو بكر الخرايطي في كتاب اعتلال القلوب.

وقال أبو الفرج: كان ديك الجنّ يهوى غلاماً من أهل حمص اسمه بكر بن بهمرد وكان شديد التمنع والتصاون فاحتال عليه قوم من أهل حمص فاخرجوه إلى متنزّه لهم يعرف بميماس فأسكروه وفسقوا به جميعاً فقال فيه:

قُـلْ لـهـضِـيـم الـكَـشْـحِ مَـيَّـاس أيـنـقـض الـعـهـدُ مـن الـنَّـاسِ[8]

---

(١) البيض: النساء.
(٢) اخلب: اخدع ـ الغانية: المرأة الغنية بحسنها وجمالها عن الزينة وجمعها غوانٍ.
(٣) الأغاني ١٤/٥٨، ديوانه ١١٤.
(٤) الردى: الموت. ـ
(٥) الوشاح: نسيج عريض يرصع بالجوهر، وتشده المرأة بين عاتقها وكشحيها.
(٦) الأغاني ١٤/٥٨ ـ ٥٩، تزيين الأسواق، ديوانه ١١٢ ـ ١١٣.
(٧) ديوان الصبابة ٩٧.
(٨) هضيم الكشح: رقيق الخصر. مياس: من ماس أي تبختر.

يا طاقة الآس التي لم تمِلْ … إلاّ أذلّت قُضُبَ الآس[1]
وَثِقْتَ بالكأس وشُرَّابها … وحَتْفُ أمثالِك في الكاس[2]
وحال مِيماسُ ويا بعدما … بين مغيثيك وميماس
تُقطِّعُ انْفاسِك في أَثْرِهِمْ … كُلّهم في قَطع أنفاسي[3]
لا بأسَ مولايَ، على أنها … نِهايةُ المكروهِ والباس
فَالْهُ ودَعْ عنكَ أحاديثَهم … سَيُصْبِحُ الذَّاكِر كالنَّاسِي[4]

وقال فيه:

قُولاَ لِبَكرِ بن دَهْمرْدٍ إذا اعتَكرتْ … عَسَاكِرُ اللَّيْلِ بين الطَّاسِ والجام[5]
ألم أَقُلْ لك إنَّ الكِبَر مَهْلَكةٌ … والبغي والعُجْب إفسادٌ لأقوام
قد كنْتَ تَفْرَقُ مِن سَهْم تعاينه … فصِرْتَ غيرَ رَميم رُقْعَةَ الرامي[6]
وكنتَ تَفْزَعُ منَ لَثْم ومن قُبَلٍ … فقد ذَلَلْتَ لإسراجٍ وإلجام
ان تَدْمَ فَخْذَاكَ مِنْ رَكْضٍ فَرُبَّتَمَا … أُمْسِي وقلبي عليك المُوجَعُ الدامِي[7]

وشعره في غاية الجودة، وتوفي في خلافة المتوكّل سنة ست وثلاثين ومائتين، رحمه الله تعالى

❀ ❀ ❀

بفتح الراء وإسكان الغين المعجمة وبعد الباء الموحدة ألف ونون، والله أعلم.

---

(١) الآس: شجر دائم الخضرة، بيضي الورق، أبيض الزهر أو ورديه، عطري، وثماره لبية سود تؤكل غضة، تجفف فتكون من التوابل، وهو من فصيلة الآسيات. ماد: مال واهتز.

(٢) الحتف: الموت.

(٣) الأثر: اكثار الفحل من ضراب الناقة. واستعمل هنا للإنسان. ـ يقال: ملك العجين: إذا أنعم عجنه. وهنا على سبيل التشبيه.

(٤) الأغاني ١٤/٦٢ ـ ٦٣، ديوانه ٥٨ ـ ٥٩.

(٥) اعتكر: أظلم. الجام: الكأس.

(٦) تفرق: تخاف. ـ سهم غانية: نظرتها. ـ الرميم: البالي. قال تعالى: ﴿وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم﴾. سورة يس: الآية ٧٨.

(٧) الأغاني ١٤/٦٣، ديوانه ٩٤ ـ ٩٥.

الشريف المرتضى أبو القاسم علي بن الطاهر، ذي المناقب أبي أحمد الحسين بن موسى بن إبراهيم بن الإمام أبي الحسن موسى الكاظم بن جعفر الصّادق وبقية النسب أشهر من نار على علم(*).

فاضل أحاط بالنفيسين علم الشرع وعلم الأدب، فأصبح يجتدىٰ من لسانه ويده اللؤلؤ والذهب، وضربت إلى فنائه آباط النّياق، وكاد ينقلب لسعادته الحج من الحجاز إلى العراق.

ثم عقد للشيعة راية لا تنحلّ إلى القيامة، وكم أقامها على الناصبة وأغمد في رؤوسهم حسامه.

وقال ابن بسام في الذخيرة: كان هذا الشريف إمام أهل العراق، بين الاختلاف والاتفاق، إليه فزع علماؤها. وأَخذ عنه فضلاؤها، صاحب مدارسها، وجامع شواردها وأَنيسها، ومن سارت أخباره، وعرفت به أشعاره، وحمدت في ذات الله تأثيره وآثاره، إلى تآليفه في الدين، وتصانيفه في أحكام المسلمين، ما يشهد أنه فرع تلك الأصول، ومن أهل ذلك البيت الجليل، وأورد له عدّة مقاطيع(١).

وقال ابن خلكان في تاريخه بعد ذكر نسبه: وكان نقيب الطالبيّين، وكان

(*) له ديوان شعر كبير بثلاثة أجزاء حققه رشيد الصفار المحامي، وطبع بمصر سنة ١٩٥٨م.

ترجمته في: أعيان الشيعة ٤١/١٨٨ ـ ١٩٧، الكنى والألقاب ٢/٤٤٥، تاريخ بغداد ١١/٤٠٢، وفيات الأعيان ٣/٣١٣ ـ ٣١٧، معجم الأدباء ١٣/١٤٦ ـ ١٥٧، إنباه الرواة ٢/٢٤٩، النجوم الزاهرة ٥/٣٩، شذرات الذهب ٣/٢٥٦، جمهرة أنساب العرب ٦٣، دمية القصر ٢/٢٧٩ ـ ٢٨٣، أنوار الربيع ١/هـ ٣٢٩، روضات الجنات ٣٨٣، مجلة العرفان ٢/٣٢، ميزان الاعتدال ٢/٢٢٣، لسان الميزان ٤/٢٢٣، تتمة اليتيمة ٦٩ ـ ٧٢، رجال النجاشي ١٩٢، الفهرست للطوسي ٩٨، مجلة المجمع العلمي العربي ٣٤/١٠١، الذريعة ٢/٤٠١، الاعلام ط ٤/٤/٢٧٨ ـ ٢٧٩، معالم العلماء ٦٩ ـ ٧١، رجال العلامة ٩٤، رجال السيد بحر العلوم، أدب ألطف ٢/٢٥٦ ـ ٢٩٧، الطليعة ـ خ ـ ترجمة رقم ١٧٩، الذخيرة.

وللدكتور عبد الرزاق محي الدين دراسة بعنوان «أدب المرتضى» ط بغداد ١٩٥٧، الغدير ٤/٢٦٢ ـ ٢٩٩.

(١) الذخيرة.

إماماً في علم الكلام والأدب والشعر[١].

وله تصانيف على مذهب الشيعة، ومقالة في أصول الدين، وله ديوان شعر كبير، وإذا وصف الطيف أجاد فيه، وقد استعمله في كثير من المواضع، وقيل إنه جامع نهج البلاغة، وله كتاب الغرر والدرر، وهي مجالس أملاها تشتمل على فنون من معاني فنون الأدب، تكلم فيها على النحو واللغة، وغير ذلك، وهو كتاب ممتع يدل على فضل كبير وتوسّع في الاطلاع على العلوم.

قلت: ومن أشهر تصانيفه الشافي في الإمامة لم يصنّف مثله للأمامية، وكتاب المغني في الفقه من أجل الكتب، وممّا وقفنا عليه من تصانيفه شرح قصيدة السيد الحميري المذهبة المذكورة في أوآخر حرف الهمزة[٢] وكان معلّمه مفيد الدين محمد بن محمد بن النعمان الحارثي الشهير بابن المعلم[٣].

ومن شعره:

يـا خـلـيـلـيَّ مـن ذؤابـةِ «قَـيْـس»	فـي الـتّـصـابـي ريـاضَـةُ الأخـلاقِ
عـلّـلانـي بـذكـرهـمْ تُـطْـرِبـانـي	وٱسـقـيـانـي دمـعـي بـكـأسٍ دِهـاقِ[٤]
وخُـذَا الـنّـومَ عـن جـفـونـي فـإنّـي	قـد خـلَـعْـتُ الـكَـرىٰ عـلـى الـعُـشّـاقِ[٥]

---

(١) وفيات الأعيان ٣/٣١٣.

(٢) ترجمته برقم ٣١.

(٣) محمد بن محمد بن النعمان بن عبد السلام العكبري، يرفع نسبه إلى قحطان، أبو عبد الله، المفيد، ويعرف بابن المعلم: محقق إمامي، انتهت إليه رئاسة الشيعة في وقته، كثير التصانيف في الأصول والكلام والفقه. ولد في عكبرا (على عشرة فراسخ من بغداد) سنة ٣٣٦هـ ونشأ وتوفي ببغداد سنة ٤١٣هـ. له نحو مئتي مصنف، منها «الإعلام فيما اتفقت الإمامية عليه من الأحكام - ط» و«الإرشاد - ط» في تاريخ النبي -ﷺ- والزهراء والأئمة وغيرها.
ترجمته في:
مجلة العرفان ٣: ٢٥٣ والنجاشي ٢٨٣ وروضات الجنات ٤: ٢٤ وفهرست الطوسي ١٥٧ وميزان الاعتدال ٣: ١٣١ والذريعة ١: ٣٠٢ و٥٠٩ ثم ٢: ٢٣٧ و٢٥٨ ومجلة المجمع العلمي العربي ٢٩: ١٢٩ و322 :Brock. I وأنظر «مشاركة العراق» الرقم ٢٩٧ ففيه ذكر ٢٤ كتاباً ورسالة من تأليفه كلها مطبوعة، الاعلام ط ٤/٧/٢١.

(٤) دهاق: ممتلئة.

(٥) وفيات الأعيان ٣/٣١٤، تتمة اليتيمة ١/٦٩، معجم الأدباء ٣/١٤٩، ١٥٧ كاملة في ديوانه ٢/٣٤٢ - ٣٤٥.

وهي طويلة أجاد فيها.

وحكي: أنه كان جالساً في علية له تشرف على الطريق فمرّ به ابن المطرّز الشاعر[1] يجرّ نعلاً له بالية وهي تثير التراب فأمر بإحضاره وقال: أنشدني أبياتك التي فيها:

إذا لم تبلّغني إليك ركائبي فلا وردت ماءً ولا رعت العشبا

فأنشده إياها فلما بلغ هذا البيت أشار الشريف إلى نعله البالية وقال: أهذه كانت ركائبك؟ فأطرق المطرّز ساعة، ثم قال: لما عادت هبات سيدنا الشريف إلى مثل قوله:

وخذا النوم من عيوني فإني قد خلَعْتُ الكرَى على العشّاقِ[2]

عادت ركائبي إلى ما ترى، فإنه خلع ما لا يملكه على من لا يقبله، فاستحيى الشريف منه.

وأورد ابن خلكان من شعره:

ضَنَّ عَنّي بالنَّزْر إذ أنا يَقظا نُ وأعطى كثيرَهُ في المنامِ
والتقينا كما اشتهينا ولا عيـ ـبَ سوى أن ذاكَ في الأحلامِ
وإذا كانت الملاقاة ليْلاً فالليالي خيرٌ من الأيام[3]

وقال الشريف أبو الحسين علي بن أحمد بن معصوم في السلافة: وقال الشريف المرتضى في كتابه الدرر والغرر: ذاكرني بعض الأصدقاء بقول أبي دهبل الجُمحي يصف ناقته:

---

(١) هو أبو القاسم، عبد الواحد بن محمد بن يحيى بن أيوب الشاعر المعروف بالمطرز. قال عنه الخطيب في تاريخ بغداد (كثير الشعر، سائر القول في المديح والهجاء والغزل وغير ذلك، قرأت عليه أكثر شعره، وكان يسكن نواحي درب الدجاج). ولد سنة ٣٥٥ وقيل ٣٥٤، توفي سنة ٤٣٩هـ. له ديوان شعر.

ترجمته في: تاريخ بغداد ١١/١٦، هدية العارفين ١/٦٣٣، النجوم الزاهرة ٥/ ٤٤، اللباب ٣/ ١٤٩، تتمة يتيمة الدهر ١/ ٥٧ وفيه اسمه: عبد الرحمن بن محمد، أنوار الربيع ٤/هـ ١٤٨ ـ ١٤٩، الاعلام ط ٤/٤/١٧٧.

(٢) وفيات الأعيان ٣/ ٣١٤، ديوانه ٢/ ٣٤٢.

(٣) وفيات الأعيان ٣/ ٣١٤، ديوانه ٣/ ٢٧٠.

وَأَبـرَزْتُـهَـا بـطـحـاء مـكّـة بـعـدمـا أَصاتَ المُنَادِي بالصَّلاةِ فَأَعْتَما[1]

وسألني إجازة هذا البيت، وأن أجعل الكناية عن امرأة فقلت:

فـطـيّـب رَيّـاهـا الـمـقـامُ وضـوّأتْ بـإشـراقـهـا بـيـن الـحـطـيـم وزمـزمـا
فـيـاربِّ إن لـقَـيـتَ وجـهـاً تـحـيّـةً فحيّ وجوهاً بـالـمـديـنـةِ سُهَّـمـا[2]
تـجـافـيـن عـن مسّ الـدّهـان وطـالـمـا عـصـمـن عـن الـحِـنّـاءِ كفّاً ومِـعْـصَـمـا
وكـم مـن جـلـيـدٍ لا يُـخـامـره الـهـوٰى شَـنَـنَّ عـلـيـه الـوَجْـدَ حـتّـى تـتـيَّـمـا
أَهـانَ لـهـنّ الـنّـفـسَ وهـي كـريـمـةٌ وألـقىٰ إلـيـهـنَّ الـحـديـثَ الـمُـكَـتَّـمـا
تـسـفَّـهْـتَ لـمّـا أنْ مـررتَ بـدارهـا وعـوجـلـتَ دون الـحِـلْـم أنّ اتـحـلّـمـا
فـعُـجْـتَ لـتـقـرى دارسـاً مَـتَـنـكّـراً وتسأل مصروفاً عـن النُّطقِ أعجما
ويـوم وقـفـنـا لـلـوداع وكـلُّـنـا يَـعُـدّ مُـطـيـعَ الشُّوقِ مَن كان أحزما
صبرت بـقـلـبٍ لا يُـعَـنَّـفُ في الـهـوىٰ وعيناً متى آستَمْطَرتُها قَطَرَتْ دما[3]

ومن شعره:

بـيـنـي وبـيـن عـواذلـي فـي الـحـبِّ أطـرافُ الـرمـاح
أنـا خـارجـيٌّ فـي الـهـوٰى لا حُـكـمَ إلاَّ لـلـمِـلاحِ[4]

قلت: من عجائب الحبّ أن صيّر الشيعي خارجياً.

وله أيضاً وهو رقيق:

مـولايَ يـا بـدرَ كـلِّ داجـيـةٍ خـذ بـيـدِي قـد وقـعـتُ في الـلُّـجَـجِ
حُـسـنُـك مـا تـنـقـضِـي عـجـائـبُـهُ كـالـبـحـرِ حـدّثْ عـنـه بِـلا حَـرَجِ
بـحـقّ مـن خـطّ عـارِضَـيْـك ومَـنْ سـلَّـطَ سُـلـطـانَـهـا عـلـى الـمُـهَـجِ
مُـدَّ يـديـكَ الـكـريـمـتـيـنِ مَـعِـي ثـمَّ آدْع لِـي مِـن هـواك بـالـفَـرَجِ[5]

ومراعاة النظير في الأوّلين ممّا يدلك على إمامته في الأدب.

---

(١) أصات: نادى، وأعتم: دخل في العتمة.

(٢) السهم: جمع الساهم، وهو المتغيرّ.

(٣) الغرر والدرر ١/ ١١٥ ـ ١١٦، سلافة العصر، الشعر والشعراء لابن قتيبة ٥٩٧، معجم الأدباء ٦/ ٢١٢ ـ ٢١٣، ديوانه ٣/ ٢٠٠ ـ ٢٠١.

(٤) وفيات الأعيان ٣/ ٣١٥، أنوار الربيع ١/ ٢١١، ديوانه ١/ ٢١١.

(٥) وفيات الأعيان ٣/ ٣١٥، أنوار الربيع ٤/ ١٥٠، ديوانه ١/ ١٧٤.

وله أيضاً وأجاد:

قل لمن خدّه من اللحظ دامٍ ... رق لي من جوانح فيك تُدمى
أنا خاطرت في هواك بقلبٍ ... ركب البحر فيك إمّا وإمَّا
يا سقيم الجفون من غير سقمٍ ... لا تلمني أن متّ منهن سقما[1]

وهكذا الاكتفاء بهذه الرقّة من خصائص علي.

وله أيضاً:

ولمّا تفرّقنا كما شاءتِ الهَوى[2] ... تبيّنَ حبٌّ خالصٌ وتودُّدُ
كأنّي وقد بانَ الخليطُ عشيّةً ... أخو جِنَّةٍ ممّا أقومُ وأقعُدُ[3]

قال ابن خلكان: وحكى الخطيب أبو زكريا يحيى بن علي التبريزي اللغوي: أن أبا الحسن علي بن أحمد الفالي كانت له نسخة لكتاب الجمهرة لابن دريد في غاية الجودة، فدعته الحاجة إلى بيعها فاشتراها المرتضى أبو القاسم المذكور بستّين ديناراً وتصفحها فوجد فيها أبياتاً بخط بايعها أبي الحسن الفالي هي:

أنِسْتُ بها عشرين حَوْلاً وبعتُها ... لقد طال وَجْدِي بعدها وحنيني
وما كان ظَنِّي أنني سأبيعُها ... ولو خَلَّدَتني في السجون ديوني
ولكن لضعفٍ وافتقار وصِبْيَةٍ ... صغارٍ عليهم تستهلُّ شؤوني
فقلت ولم أملك سوابق عَبْرَةٍ ... مقالة مكويّ الفؤاد حزين:
«وقد تخرج الحاجاتُ يا أُم مالك ... كرائم من ربٍّ بهن ضَنِينِ»[4]

فلما قرأ الأبيات أرجع له النسخة ووهب له الدنانير.

وكان بين المرتضى وبين أبي العلاء المعري مكاتبات بالشعر يضمها ديوانه «سقط الزند»، ومحاسنه كثيرة، وشعره وعلمه أكثر من أن يُحصَر.

كانت ولادته سنة خمس وخمسين وثلثمائة.

---

(١) وفيات الأعيان ٣/ ٣١٥ ـ ٣١٦، أنوار الربيع ٤/ ١٤٩، ديوانه ٣/ ٢٢٢.

(٢) في هامش ب: «النوى».

(٣) وفيات الأعيان ٣/ ٣١٤ ـ ٣١٥، أنوار الربيع ٤/ ١٥٠، ديوانه ١/ ٢٣٣.

(٤) وفيات الأعيان ٣/ ٣١٦.

وتوفي يوم الأحد الخامس والعشرين من شهر ربيع الأول سنة ست وثلاثين وأربعمائة ببغداد، رحمه الله تعالى.

❀ ❀ ❀

والفالي بالفاء منسوب إلى فالَه: بلد من خوزستان قريب من أيذج، والله أعلم.

[١٠٤]

أبو البركات، علي بن الحسين بن علي بن جعفر بن محمد الملقب بخوز بن الحسين بن علي بن محمد الديباج بن جعفر الصادق، الشريف الحسيني النيسابوري(*).

فاضل أيّد البلاغة تأييد جده، وكان كالسيف لا يأوي الحكم إلى غير حَدّه، في شعره من كنى بأبيه، والكمال صفته برغم ابن النبيه.

وذكره أبو الفضل(١) العتبي في سيرة السلطان يمين الدولة محمود بن سبكتكين وقد ذكر جماعة من فضلاء دولته، وقال بعد إيراد نسبه شعراً:

وأرى النجابة لا يكون تمامها ... لنجيب قوم ليس بابن نجيب

نسب توارث كابراً عن كابرٍ ... كالرمح انبوباً على أنبوب

قد جمع الله له بين ديباجتي النظم والنثر، فنثره منثور الرياض جادته السحائب، ونظمه منظوم العقود زانتها النحور والترائب، وأورد له نثراً بليغاً، ومن شعره [من الطويل]:

وأغيد سحّار بألفاظ عينه ... حكى لي تثنّيه من البان أملودا

سلخت بذكراه عن القبح ليلة ... أسامره والكاس والناي والعودا

ترى أنجم الجوزاء والنجم فوقها ... كباسط كفّيه ليقطف عنقودا(٢)

(*) ترجمته في:

يتيمة الدهر ٤/ ٤٢٠ ـ ٤٢١، تتمة اليتيمة ٢/ ١٨١ ـ ١٨٤.

(١) في الأصل: «أبو الفضل» وما أثبتناه من وفيات الأعيان ٥/ ١٧٩. وهو أبو النصر محمد بن عبد الجبار العتبي، واسم كتابه «اليميني» وهو مشهور.

(٢) يتيمة الدهر ٤/ ٤٢٠.

قلت: الثالث من قول ابن المعتز وقد مرّ.

وأورد من شعره في وصف اللقائق وهو اللحم المشويّ:

إذا كنت تهوى اليوم أكل اللقايقا ... فبادر إلى أمثال جيد الغرانقِ

إلى جامع اللذّات طيباً ولذّة ... قضى حقه طاهٍ بصنعة حاذق

تراه على السفود عند صلاته ... كزنجية زينت بحلي المخانق

فبعض تدلّى كالوشاح وبعضه ... تحوط عليه في محلّ المناطق

فانجح لقيت الخير في حاجة امرئٍ ... وفيّ بشرط الحبّ غير مماذق

وكتب إلى أبي بكر الخوارزمي(١):

لَئِنْ كان ذنبي بأني اعتللت ... فذلك ذنب صغير صغير

وإن كان هجرك من أجله ... فذلك ظلم كبير كبير

صدودك عنّي صدود الحياة ... وصدّ سواك يسير يسير

فزرني قليلاً تجد شاكراً ... لديه القليل كثير كثير

ومن نثره:

أحب أن تكون مكاتبتي للأمير أنفاً لم ترتع، وبكراً لم تفرع، وسايبة لم تركب ولا تحلب، فلا أشوبها بأرب، ولا أتسبب إليها بسبب، فعل من لا يشين ولاه طمع، ولا يثرب دعواه عيب ولا طبع، على أن الاضطرار تغيّر في وجه الاختيار، والعذر منه مقبول عند ذوي الأخطار والأحرار، وفلان لمسني بحق الجوار، ولقد نشر خرايد شكره، وأظهر بحسن النشر خبايا برّه، فملأ الأرض ثناء والسماء دعاء، وعادة الأمير أن يحيي الأموات، ويسترق الأحرار، فليجعل متكرماً هذا الآمل محظوظاً، ولا يجعله محطوطاً، إن شاء الله تعالى.

وهذا منثورٌ عبق، وله باقات منثور أجاد وصفها، وشعر بهي، رحمه الله تعالى.

---

(١) ترجمه المؤلف برقم ١٥٨.

أبو الحسن علي بن العبّاس بن جرجيش المعروف بابن الرومي، الهاشمي بالولاء، مولى عبد الله بن عيسى بن جعفر بن المنصور العبّاسي الشاعر المشهور(*).

فاضل معانيه أبهى من ديباج بلده، لو أدركه السامري لاستغنى بذهب فكرته الناطق عن جسده، غواص على الجواهر من بحور الفكر، فلو رأى الروض باهر نظمه، لازداد بثغور غصونه واحتفر، وقال صاحب الفصول المهمة في فضائل الاثنى عشر الأئمة، وهو من المالكية: كان ابن الرومي شاعر الإمام الهادي أبي الحسن علي بن الجواد عليهما السلام. وذكره عامة أهل التاريخ وأثنوا عليه، وكان من فحول الشعراء المولدين، ومعانيه لم تسبق إليها[١].

وقال ابن خلكان فيه: صاحب النظم الجيّد العجيب، والتوليد الغريب، يغوص على المعاني النادرة، يستخرجها من مكامنها، ويبرزها في أحسن صورة، ولا يترك المعنى حتى يستوفيه إلى آخره ولا يبقي فيه بقية. وجمع شعره الصولي، وجمعه أبو الطيب ورّاق بن عبدوس من جميع النسخ فزاد على كل نسخة مما هو على الحروف ونحوها نحو ألف بيت[٢].

قال الصفدي في الغيث: واختار شعره الخالديان وابن نباتة المصري.

(*) له ديوان شعر طبع بتحقيق د. حسين نصار ـ ط دار الكتب المصرية ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.
ترجمته في: وفيات الأعيان ٣/٣٥٨ ـ ٣٦٢، معاهد التنصيص ١/١٠٨، تاريخ بغداد ١٢/٢٣، معجم الشعراء للمرزباني ١٤٥، ٢٨٩، ٤٤٨، الذريعة ١/٣١٣، مجلة الكتاب ١/١٨٦، دائرة المعارف الإسلامية ١/١٨١، مذيلة بتعليق من إنشاء الأستاذ عباس محمود العقاد شاكاً في صحة الخبر من موت ابن الرومي من سم القاسم بن عبيد الله، وبانياً شكّه على ما يذكر من أن القاسم قال لابن الرومي: «سلّم على والدي» ووالد ه كان حياً في ذلك الحين، أعيان الشيعة ٤١/٢٨١ ـ ٢٨٤، الغدير ٣/٢٩، نور الأبصار ٢٥١، الكامل لابن الأثير ٦/٢٨١، تأسيس الشيعة ٢١١، أنوار الربيع ١/هـ ١٤٩، مروج الذهب ٤/٢٨٣، زهر الآداب ٢٩٥ وصفحات أخرى، العمدة في صفحات متفرقة، الفصول المهمة للمالكي، الغيث المسجم، الطليعة ـ خ ـ ترجمة رقم ١٨٧، الاعلام ط ٤/٤/٢٩٧، أنوار الربيع ١/هـ ١٤٩.

(١) الفصول المهمة.

(٢) وفيات الأعيان ٣/٣٥٨.

ومن شعره:

أعانقه والنفس بعد مشوقة ... إليه وهل بعد العناق تداني
وألثم فاه كي تزول حرارتي ... فيزداد ما ألقى من الهيجانِ
كأن فؤادي ليس يشفي غليله ... سوى أن ترى الروحان يمتزجانِ[1]

ومن شعره:

ما للحسان مسيئات بنا ولنا ... إلى المسيئات طول الدهر إحسانُ
فإن تبعن بعهد قلن معذرة ... أنا نسينا وفي النسوان نسيانُ
لا نلزم الذكر أنا لم نسم به ... ولامُنحناه بل للذكر ذكرانُ
فضل الرجال علينا أن شيمتهم ... جود وبأس وأحلام وأذهان
وأن منهم وفاء لا نقوم به ... وهل يقوم مع النقصان رجحان[2]

هذه معارف وعللٌ لا يشرحها غيره.

وأورد الصفدي أيضاً:

وأنا أقول: إنما يتمّه منها الجناس الذي بلى بعشيقة، وما أظرف قول بن الهبارية يهجو، أذكرنيه بخل النساء:

يا واسطيين ثقوا أنني ... بهجوكم بين الورى مولعُ
ما فيكم كلّكم واحد ... يعطي ولا واحدة تمنعُ

ومن مشهور قول ابن الرومي في المديح:

أراؤكم ووجوهكم وسيوفكم ... في الحادثات إذا دَجَوْنَ نَجُومُ
منها معالم للهدى ومصابح ... تجلو الدجى والأُخرياتُ رُجومُ[3]

وفيه الجمع: والتقسيم واللّف والنشر ومراعات النظير والتشبيه.

وله أيضاً [من الخفيف]:

وغزالٍ ترى على وَجْنتيهِ ... قَطْرَ سَهْمَيهِ من دماء القلوبِ

---

(١) الغيث المسجم.

(٢) الغيث المسجم.

(٣) وفيات الأعيان ٣/٣٥٩.

جَرَحتْه العيونَ فاقتصَّ منها   بجوىً في القلوب دامي النّدوبِ[1]

وقال بعض الأدباء: كان الناس يتشوقون إلى أوطانهم ولا يفهمون العلّة في ذلك إلى أن أوضحها ابن الرومي في قصيدته لسليمان بن عبد الله بن طاهر يستعديه على رجلٍ من التجّار، أجبره على بيع داره واغتصبه بعض حدودها:

ولي وطن آليت أن لا أبيعه   وأن لا أرى غيري له الدهر مالكا
عهدت به شرخ الشباب ونعمة   كنعمة قوم أصبحوا في ظلالكا
وحبّب أوطان الرجال إليهم   مآرب قضّاها الشباب هنالكا
إذا ذكروا أوطانهم ذكرتهم   عهود الصّبا فيها فحنّوا لذالكا
فقد ألفته النفس حتى كأنّه   لها جسد إن بان غُودِرَ هَالِكَا

قلت: لا شكّ أن ابن الرومي لم يبق بقيّة في أسباب حنين النفس إلى الوطن، وأمّا فاتح الباب فهو الحماسي القائل:

أحبّ بلاد الله ما بين منعج   وبين عذيب أن يصوب سحابها
بلاد بها نيطت عليّ تمايمي   فأوّل أرضٍ مسّ جلدي ترابها

وقيل: لم تجيء في شماتة بمنكوب مثل قول ابن الرومي:

لازال يومك عبرة لِغَدِك   وبكت بشجوٍ عين ذي حسدكْ
فلئن بكيت فطالما بكيَتْ   بك همّةٌ لجأت إلى سندك
لو تسجد الأيام ما سجدت   إلا ليوم فتّ في عضدك
يا نعمة ولّت غضارتها   ما كان أقبح حسنها بيدك
فلقد غدت برداً على كبدي   لما غدت جمراً على كبدك
ورأيت نعمىٰ الله زائدة   لما استبان النقص في عددك
لم يبق لي مما برى جسدي   إلاّ بقايا الروح في جسدك

وله في بعض الأمراء وقد سأله حاجة قضاها، وكان لا يتوقّع منه خيراً:

سألتك في أمرٍ فجدت ببذله   على أنني ما خلت أنك تفعلُ
وألزمتني بالبذل شكراً وإنه   عليَّ من الحرمان أدهىٰ وأعضلُ

(١) نهاية الأرب للنويري ٢/ ٧٥، كاملة في ديوانه ١/ ١٧٢.

وما خلت أن الدهر يثني بصرفه	إلى أن أرى في الناس مثلك يُسأَلُ
لئن سرّني ما نلت منك فإنه	لقد ساءني إذ أنت ممن يؤملُ

وله في الخضاب [من الطويل]:

إذا دام للمرء السواد، وأَخْلَقَتْ	شَبيبتُهُ ظُنَّ السوادُ خِضابا
فكيفَ يَرومُ الشيخُ أن خِضابه	يُظَنُّ سواداً أو يُخال شبابا[1]

وله في هجاء ما أجمع على حسنه الورد:

وقائل لم هجوت الورد قلت له	من شؤمه حين يبدو لي ومن سخطهْ
كأنه شرم بغل حين أخرجه	عند البراز وباقي الروث في وسطهْ

إلاّ أن هذا التشبيه من العجائب.

ومن سحر غزله:

وحديثها السحر الحلال لو انَّهُ	لم يحن قبل المسلم المتحرّزِ
إن طال لم يملل وإن هي أوجزت	ودّ المحدّث أنها لم توجزِ
شرك العقول ونزهة ما مثلها	للمطمئن وعقله المستوفز

ومن معانيه الغريبة في الهجاء، إنه مدح بعض الكتاب فتردّد إليه طالباً جائزته فدفع شعره إلى غلامه، وقال: قل له يمدح به غيري فلست أرغب فيه، فقال ابن الرومي [من الوافر]:

رَدَدْتَ عليَّ شعري بعد مَطْلٍ	وقد دنَّسْتَ ملبسَه الجديدا
وقلتَ: أمْدح به من شئتَ غيري	ومن ذا يقبل المدْح الرَّديدا؟
ولا سِيما وقد أعتَقْتَ فيه	مخازِيَكَ اللواتي لنْ تَبيدا
وما للْحَيِّ في أكفان مَيْتٍ	لبوسٌ بعد ما امتلأتْ صديدا[2]

وله في ضدّ ذلك:

ردّوا عليّ قصائدا سوّدتها	فيكم بلا حَقٍّ ولا استحقاقِ

---

(١) وفيات الأعيان ٣/٣٥٩، ديوانه ١/٢٤٣.

(٢) معجم الشعراء للمرزباني ١٤٧، محاضرات الأدباء ١/١٨٥، معاهد التنصيص ١٨٢، هدية الأمم لعز تلو عبد الرحمن ناجم ٣٥٢، ديوانه ٢/٦٠٣ ـ ٦٠٤.

وله في مذهبه:

تراب أبي تراب كحل عيني ... إذا رمدت جلوت به قذاها
تلذ لي الملامة في هواه ... لذكراه واستحلي أذاها

وله في طول أيّام رمضان:

شهر الصّيام وإن عظمت حرمته ... شهر طويل بطيء السير والحركهْ
يمشي الهوينا وأنّي حين يطلبنا ... فلا سليك يدانيه ولا السلكهْ
كأنّه طالب ثاراً على فرسٍ ... أجد في أثرِ مطلوب على الرمكهْ
أذمُّهُ غير وقت فيه أمدحه ... من العشاء إلى أن تسقع الديكة
لو كان مولى وكنّا كالعبيد له ... لكان مولىً بخيلاً سيء الملكهْ
يا صدق من قال أيّام مباركةٌ ... إن كان يكنى عن اسم الطول بالبركهْ

السليك: أحد لصوص العرب وكان يسبق الخيل عدواً على رجليه[1].

والسلكة أمّه وكانت أمّه سوداء وإنّما ذكرها للمشاكلة.

والرمكة الانثى من الخيل.

كان أبو عيسى بن الرشيد[2] قد تسخط شهر رمضان فقال:

أتاني شهرُ الصَّومِ لا كان من شهرِ ... ولا صُمْتُ يوماً بعده آخِر الدَّهر
فلو كان يُعْدِيني الإمام بِقُوَّةٍ ... على الشهر لاستعدَيتُ الإمام على الشَّهْرِ

ثم إنه خرج إلى الصيد فعثر به فرسه فسقط ولم يزل يصرّع بعدها حتى مات

---

(١) السليك بن عمير بن يثربي بن سنان السعدي التميمي، والسلكة أمه: فاتك، عدّاء، شاعر، أسود، من شياطين الجاهلية. يلقب بالرئبال. كان أدل الناس بالأرض وأعلمهم بمسالكها. له وقائع وأخبار كثيرة. وكان لا يغير على مضر. وإنما يغير على اليمن، فإذا لم يمكنه ذلك أغار على ربيعة. قتله أسد بن مدرك الخثعمي نحو سنة ١٧ق.هـ.

ترجمته في:

الأغاني ١٨/٣٨٩ ـ ٤٠٢ والكامل للمبرد ١: ٢٥١ وفيه: «كان من غربان العرب»، وجمهرة الأنساب ٢٠٧ و٣٠٦ وفيه اسم قاتله: «يزيد بن رويم الذهلي الشيباني» والشعر والشعراء ١٣٤ وفيه اسم أبيه «عمرو» وكذا في شرح المقامات للشريشي ١/١٥١، وسمّاه ابن حبيب في المحبر: «السليك بن يثربي» وأورد خبراً عنه، الاعلام ط ٤/٣/١١٥.

(٢) ترجمته وأخباره في الأغاني ١٠/٢٢٧ ـ ٢٤٠.

ولم يصم شهراً بعده[1].

وكان بديع الجمال، وكان يقال انتهى جمال الخلفاء إلى ثلاثة منهم الأمين وأخيه أبي عيسى[2] والمعتز بن المتوكل.

وروي: أن الرشيد قال يوماً لابنه أبي عيسى: ليت جمالك لعبد الله قال: يا أمير المؤمنين على أن حظّه لي، وضمّه إليه وقبّله[3].

وكان المأمون يحبّه ويقول: إني ليهون عندي طعم الموت وفقد الخلافة محبة أن يلي الأمر أخي أبو عيسىٰ ولا يهون ذلك على أحد. فلما مات أبو عيسىٰ ترك المأمون الطعام والشراب حزناً أياماً كثرة حتى أثرَّ فيه[4].

وكان أبو عيسىٰ شاعراً مجيداً أديباً شديد العبث:

وسمعت لابن الرومي بيتاً واحداً في هجاء جارية قصيرة وهو:

نكهتها تقتل جلّاسها ... لقرب مجثاها من المفسىٰ

وهو أخبث هجاء، والنكهة بتقديم الكاف للخبيثة الرائحة وتقديم الهاء للطيبة.

❁ ❁ ❁

وله في بني خاقان [من الوافر]:

أموركُم بني خاقان عندي ... عُجابٌ في عجابٍ في عجاب
قرونٌ في رؤوسٍ في وجوهٍ ... صِلابٌ في صلابٍ في صلابِ[5]

وله في بني وهب:

إذا رأيت بني وهب بمجتمع ... لم يدر أيّهم الأنثى من الذكرِ
قمصان نسوتهم تنقدُّ من قبلٍ ... وقمص ولدانهم تنقدّ من دُبُرِ

---

(1) الأغاني ١٠/٢٢٨.
(2) الأغاني ١٠/٢٢٧.
(3) الأغاني ١٠/٢٢٨.
(4) الأغاني ١٠/٢٣٠ مع اختلاف باللفظ.
(5) نفحات الأزهار على نسمات الأسحار لعبد الغني النابلسي ٢٥٩، ديوانه ١/٣٥٣.

وله وقد غاب عن بغداد فتشوقها وهو كالأول [من الكامل]:

بلد صَحِبْتُ به الشبيبة والصِّبا ... ولبستُ ثوب العَيْش وهو جديدُ
فإذا تمثَّل في الضمير رأيتُه ... وعليه أغصان الشباب تميدُ

وله في صفة خبّاز رقاق حاذق خفيف الحركات مرّ به:

ما أنس لا أنس خبّازاً مررت به ... يدحو الرقاقة وشك اللمح بالبصرِ
ما بين رؤيتها في كفّه كرة ... وبين رؤيتها قوراء كالقمرِ
إلاّ بمقدار ما تنزاح دايرة ... في صفحة الماء ترمى فيه بالحجر[1]

ذكر الصفدي فيما احفظ أن منشداً أنشده هذه الأبيات في حلقة بعض مشائخ المغاربة واستحسنها وجعل يرددها فقال الشيخ وكان في غاية المجون:

فكدت اضرط إعجاباً بصنعته ... ومن رأى مثل ما عاينت منه خري

فأنكر بعض الجماعة إفراط مجون الشيخ فقال:

إن كان قولي هذا ليس يعجبكم ... فعجّلوا محوه أو فالعقوهُ طري

ومن المعاني التي أجاد ابن الرومي [من الطويل]:

لِمَا تُؤْذن الدنيا به من صروفها ... يكون بكاءُ الطفل ساعةَ يُولَدُ
وإلا فما يبكيه منها وإنها ... لأوسعُ ممّا كان فيه وأرْغَد
إذا أبصرَ الدنيا اسْتَهلَّ كأنه ... بما سوف يلقى من أذاها يُهَدَّدُ

وله القصيدة الجميمة[2] التي رثا فيها الإمام يحيى بن عمر الحسيني الكوفي[3]

---

(١) ديوانه ٢/٧٦٦.

(٢) معجم الشعراء ٦٢٧، سمط اللآلي ٣٢٩، ٣٣٠، ٩٢٦، ٩٢٧، زهر الآداب ٢٠٢ ومواضع أخرى، يتيمة الدهر ٣/١٥٢، وهي كاملة في ديوانه ٢/٥٨٤ ـ ٦٠٣ وقوامها ٢٨٢ بيت.

(٣) يحيى بن عمر بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين السبط: ثائر، من أباة أهل البيت. خرج في أيام المتوكل العباسي (سنة ٢٣٥) واتجه ناحية خراسان بجماعة، فرده عبد الله ابن طاهر إلى بغداد، فأمر المتوكل بضربه وحبسه. ثم أطلقه، فأقام مدة في بغداد. وتوجه إلى الكوفة في أيام المستعين بالله، فجمع بعض الأعراب، ودخلها ليلاً، فأخذ ما في بيت مالها، وفتح السجون فأخرج من فيها، ودعا إلى الرضى من آل محمد، فبايعه الناس، وطرد نواب الخليفة من الكوفة، واستحوذ عليها، وعسكر بالفلوجة. وقصده جيش، فحاربه. وظفر، فقوي أمره جداً، قال ابن كثير: «وتولاه أهل بغداد، من العامة وغيرهم ممن ينسب إلى التشيع، وأحبوه =

وهي جيدة، وذكرها كلها أبو الفرج في مقاتل الطالبيين[١].

وكان شديد الطِّيرة، فكان الأخفش الصغير النحوي يؤذيه بما يتطير منه في الصّباح فلا يخرج من داره، فأكثر هجاه حتى بلغه أنه يتبجّح بهجوه له وأنه يريد ذلك لينوّه بذكره فكفّ عن هجاه.

ومحاسنه نوادره كثيرة.

وكانت وفاته ليلة الأربعاء لليلتين بقيتا من جمادى الأولى سنة ثلاث وثمانين وقيل سنة ستّ وسبعين ومائتين ببغداد مسموماً، في أيام المعتضد، ودفن بمقبرة باب البستان، رحمه الله تعالى.

وقال ابن خلكان: أن الوزير أبا الحسن[٢] القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب وزير المعتضد بالله، وكان سفّاكاً للدماء مشتهراً بالظلم، كان يخاف من فلتات لسانه بالفحش، فدسّ عليه من سقاه السم في حشكائه[٣] وهو بمجلسه، فلمّا أكلها أحسّ بالسمّ فقام، فقال القاسم: إلى أين تذهب؟ فقال: إلى الموضع الذي بعثتني إليه، فقال: سلّم على والدي، فقال: ما طريقي على النار، وأقام في داره أياماً يتعالج والطبيب يختلف إليه فما أجدَى.

وقيل إن الطبيب غلط عليه في بعض العقاقير[٤].

= أكثر من كل من خرج قبله من أهل البيت». وأقبل عليه جيش آخر، جهزه محمد بن عبد الله بن طاهر، فاقتتلا بشاهي (قرب الكوفة) فتفرق عسكر الطالبي، وبقي في عدد قليل، وتقنطر به فرسه، فقتل سنة ٢٥٠هـ وحمل رأسه إلى المستعين. وكان حسن السيرة والديانة، قويّ الساعد يلوي عمود الحديد على عنق من يسخط عليه من خدمه، فلا يحلّه غيره. ورثاه كثير من الشعراء، منهم ابن الرومي.

ترجمته في:

ابن الأثير ٧: ١٧، ٤٠ ـ ٤٣ والطبري: حوادث سنة ٢٣٥ وسنة ٢٥٠ ومقاتل الطالبيين، تحقيق صقر ٦٣٩ ـ ٦٦٤ وأبو الفداء ٢: ٤٢ ـ ٤٥ والبداية والنهاية ١٠: ٣١٤ و١١: ٥ وجمهرة الأنساب ٥١ ـ ٥٢، مروج الذهب ٢/ ٢٩٠ ـ ٢٩٣، شرح شافية أبي فراس ١٧٧، الفخري ٢١٦ ـ ٢١٨، الاعلام ط ٤/٨/ ١٦٠.

(١) القصيدة كاملة في مقاتل الطالبيين ٦٤٦ ـ ٦٦٢، ديوانه ٢/ ٤٩٢ ـ ٥٠٠.

(٢) في الوفيات: «أبا الحسين».

(٣) كذا في الأصل، وفي الوفيات: «خُشكنانجة».

(٤) وفيات الأعيان ٣/ ٣٦١.

وقال إبراهيم بن محمد بن عرفة الأزدي الشهير بنفطويه دخلت على ابن الرومي وهو يجود بنفسه. فقلت له ما حالك فقال:

غلط الطبيبُ عليَّ غلطَةَ مُوردٍ ... عجزت موارده عن الإصدارِ
والناس يَلحَوْنَ الطبيبَ وإنما ... خطأُ الطبيب إصابة المقدارِ[1]

وقال أبو عثمان الناجم: دخلت على ابن الرومي أعوده وهو يجود بنفسه فلما قمت من عنده قال في تلك الحال:

أبا عثمان أنت حميدُ قومِكْ ... وجودُكَ للعشيرة دون لومِكْ
تَزَوَّدْ من أخيك فما أراه ... يراكَ ولا تراهُ بَعَدَ يَوْمِكْ[2]

فلما غلقت الباب خارجاً سمعت الصراخ عليه. والله تعالى أعلم.

[١٠٦]

أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم بن عبد الرحمٰن بن مروان بن محمد بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي الأصبهاني الأصل، البغدادي، الكاتب، صاحب كتاب الأغاني[*].

فاضل علمه محيط ما وجد له ثان، قد جمع الأدب له من طرق هو نزهة الخليع ونفس ذات عفاف، فكتبه سلوة المهموم، وعلى أغانيه خوافق القلوب تحوم، وله شعر يستعير من النسيم اللطف، ويعلم من عكف عليه أنه جامع الظرف، وأخذ عنه كثير من العلماء يطول عددهم، وكان بحراً في أخبار الناس وأيام العرب وانسابهم وأحوال الشعراء الجاهليين والمخضرمين والمولدين.

---

(١) وفيات الأعيان ٣/ ٣٦١.

(٢) وفيات الأعيان ٣/ ٣٦١.

(*) ترجمته في: يتيمة الدهر ٣/ ١٠٩ ـ ١١٣، وفيات الأعيان ٣/ ٣٠٧ ـ ٣٠٩، نشوار المحاضرة، الفهرست للنديم ١١٥، تاريخ بغداد ١١/ ٣٩٨، تاريخ أصبهان ٢/ ١١، المنتظم ٧/ ٤٠، معجم الأدباء ١٣/ ٩٤، إنباه الرواة ٢/ ٢٥١، ميزان الاعتدال ٣/ ١٢٣، لسان الميزان ٤/ ٢٢١، ابن الأثير ٨/ ٥٨١، النجوم الزاهرة ٤/ ١٥، العبر للذهبي ٢/ ٣٠٥، شذرات الذهب ٣/ ١٩.

وقال ابن خلكان: وكان من أعيان بغداد وأفراد مصنفيها[1].

وقال القاضي التنوخي: ومن المتشيعين الذين شاهدناهم أبو الفرج الأصبهاني كان يحفظ من الشعر والأغاني والأخبار والآثار والأحاديث المسندة ما لم أرَ قط من يحفظه، ويحفظ دون ذلك من علوم أخر منها اللغة والنحو والخُرافات والسير والمغازي ومن آلة المنادمة شيئاً كثيراً مثل علم الجوارح والبيطرة ونتف من الطب والنحو والأشربة وغير ذلك، وله شعر يجمع اتفاق العلماء، وإحسان ظرفاء الشعراء[2].

وله المصنفات المستملحة منها كتاب الأغاني الذي وقع الاتفاق أنه لم يعمل في بابه مثله، يقال إنه جمعه في خمسين سنة وحمله إلى سيف الدولة بن حمدان فأعطاه ألف دينار واعتذر إليه.

وحكى الثعالبي عن الصاحب بن عباد: أنه كان في أسفاره وتنقلاته يستصحب حمل ثلاثين جملاً من كتب الأدب ليطالعها فلمّا وصل إليه كتاب الأَغاني لم يكن بعد ذلك يستصحب سواه واستغنى به عنها، ومنها: كتاب القيان، وكتاب الإماء الشواعر، وكتاب الديارات، وكتاب دعوة التجار، وكتاب مجرد الأغاني، وأخبار جحظة البرمكي، ومقاتل الطالبيين، وكتاب الحانات، وأدب الغرباء.

وحصل له ببلاد الأندلس كتب صنّفها لبني أمية ملوك الأندلس سراً وسيّرها إليهم وجاءه الأنعام منهم فمن ذلك: [كتاب] نسب عبد شمس، وكتاب [أيام] العرب ألف وسبعمائة يوم، وكتاب التعديل والانتصاف في مناقب العرب ومثالبها، وكتاب جمهرة النسب، وكتاب نسب بني شيبان، وكتاب نسب المهالبة، وكتاب نسب بني تغلب، و[كتاب] نسب بني كلاب، وكتاب المغنيين والغلمان، وغير ذلك[3].

ورأيت في خطبة الأغاني، قال أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد القرشي الكاتب المعروف بالأصبهاني: أن أمير المؤمنين هارون الرشيد أمر من

---

(١) وفيات الأعيان ٣/ ٣٠٧.

(٢) وفيات الأعيان ٣/ ٣٠٧.

(٣) وفيات الأعيان ٣/ ٣٠٧ _ ٣٠٨.

كان بحضرته من المغنيين كإسماعيل بن جامع[1] وإبراهيم الموصلي[2] وفليح بن العوراء[3] أن يختاروا له من أصوات الغناء القديم والمُحدث مائة صوت ففعلوا ذلك ثم إنّها وقعت بعد إلى الواثق، فأمر إسحاق بن إبراهيم الموصلي[4] بأن يختار له منها ما يرىٰ أنه أفضل مما تقدّم اختياره ويبدل ما لم يكن بهذه الطبقة بما هو أعلىٰ منه ففعل ذلك فابتدأ أبو الفرج كتابه بذكر هذه المائة الصوت وذكر ما تعلّق كتابه بذكر قائلها من أَشعار وأَخبار، ثم اتبع ذلك بما ذكره غير هؤلاء من متقدم الأصوات المعروفة بمدن معبد[5] وزيانب يونس[6] وغيرها، ثم بأغاني الخلفاء وبنيهم وذويهم، ثم بسائر الأغاني التي عرفت لها قصص يستفاد وأحاديث تستحسن وقد مرّ من ذلك الثلاث الأَصوات التي أطبق أهل العلم بصنعة الغناء والأَلحان على تقديمها وتفضيلها على جميع ما غنّى به وهي لحن معبد في شعر أبي قطيفة[7]:

---

(١) مرّت ترجمته بهامش سابق.

(٢) إبراهيم الموصلي: هو إبراهيم بن ماهان (أو ميمون) بن بهمن، الموصلي التميمي بالولاء؛ أبو إسحاق النديم: أوحد زمانه في الغناء واختراع الألحان. شاعر من ندماء الخلفاء. أجاد الغناء الفارسي والعربي. غنّى المهدي والهادي والرشيد الذي جعله من ندمائه وخاصته. كان ينظم الأبيات ويلحنها ويغنيها، توفي سنة ١٨٨هـ. (الاعلام ط ٤/١/٥٨).

(٣) ترجمته وأخباره في الأغاني ٤/٣٥٣ ـ ٣٦٠.

(٤) مرّت ترجمته بهامش سابق.

(٥) معبد: (توفي سنة ١٢٦هـ/ ٧٤٣م). نابغة الغناء العربي في العصر الأموي. ترجمته في الأغاني ١/ ٤٣ ـ ٦٩، (أنظر الاعلام ط ٤/٧/ ٢٦٤).
ومدن معبد: «وهي أصوات معبد وتسمى أيضاً حصون معبد» (أنظر الأغاني ج٩).

(٦) يونس الكاتب: هو يونس بن سليمان بن كرد بن شهريار، من ولد هرمز: كاتب شاعر، بارع في صناعة الغناء. أخذ الغناء عن معبد وطبقته، وهو أول من دوّن الغناء في العرب. صنف كتاباً في «الأغاني» ونسبتها إلى من غنّى بها وهو الأصل الذي يعمل عليه ويرجع إليه، توفي نحو سنة ١٣٥هـ. (الاعلام ط ٤/٨/ ٢٦١).
وزيانب يونس: نسبة إلى زينب بنت عكرمة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام الذي شبب بها ابن رحيمة وغنّى يونس بشعره. وهي سبعة أصوات معروفة بالزيانب. (الأغاني ج، في أخبار يونس الكاتب).

(٧) عمرو بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط، الأموي، القرشي، شاعر، رقيق الشعر، جلي المعاني، كان يقيم في المدينة، ونفاه عبد الله بن الزبير إلى الشام مع من نفاهم من بني أمية، فأقام زمناً في دمشق أكثر فيه الحنين إلى المدينة حتى رقَّ له ابن الزبير فأذن برجوعه، فبينما هو عائد أدركه الموت قبل أن يبلغ المدينة، وذلك نحو سنة ٧٠هـ، وفي الأغاني عدة أصوات من شعره:
ترجمته في: الأغاني ١/ ١٥ ـ ٤٢، معجم الشعراء ٢٤٠، الاعلام ط ٤/ ٥/ ٨٧.

القصرُ فالنخلُ فالحَمَّاء بينهما أَنْهَى إلى القلب من أبواب جَيْرونِ[1]
إلى البلاط فما حازت قَرائنُهُ دُورٌ نَزَحْنَ عن الفَحْشاء والهُونِ
قد تَكْتُمُ الناسُ أَسراراً فأعلمُها ولا يَنَالون حتى الموتِ مَكْنوني[2]

وهذا أبو قطيفة [هو] عمرو بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط، واسم أبي معيط أبان بن أبي عمرُو بن أمية بن عبد شمس، وقيل إن أباه عمرواً كان عبداً اسمه ذكوان فاستلحقه أمية وكناه أبا عمرُ، فحلف على امرأة أمية وهي أم الأعياص آمنة بنت أمية، وعقبة بن أبي معيط هو الذي قتله علي عليه السلام بأمر النبي ﷺ [عند] منصرفه من بدر بالصفراء، وقيل قتله عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح الأنصاري، ولمّا قدّم ليقتل قال: فمن للصبية يا محمد؟ قال: النار فسمي بنو أبي معيط صبيّة النار، وجاءت أخته قتيلة إلى رسول الله ﷺ وقال: لو سمعت شعرها قبل قتله ما قتلته.

وقال أبو قطيفة هذا الشعر لما نفاهُ ابن الزبير إلى الشام مع من نفى من بني أميّة من الحجاز لمّا بويع له.

وجيرون: اسم لدمشق.

والقصر: قصر سعيد بن العاص، المتقارنة أي المتلاصقة.

وكان أبو الفرج منقطعاً إلى الوزير المهلبي.

وذكره الثعالبي وأورد من شعره في الوزير المهلبي [من الطويل]:

ولما انتجعنا لائذين بظلة أعان وما عنّا ومنَّ وما منَّا
وَرَدْنا عليه مقترين فراشنا وردنا ذراه مجد بين فاخصبنا[3]

قلت: أجاد في الجناس مع قلّته في ذلك الزمان، وكان الوزير المهلّبيّ رزق ولداً من سرية روميَّة فأنشده أبو الفرج قصيدة يهنّيه بها، ذكر الثعالبي منها: [من الكامل]:

(١) جيرون: قال ابن الفقيه: «ومن بنائهم جيرون عند باب دمشق من بناء سليمان بن داود عليه السلام، وهي سقيفة مستطيلة على عمد وسقائف وحولها مدينة تطيف بها، والمعروف اليوم إن باباً من أبواب الجامع بدمشق، وهو بابه الشرقي يقال له باب جيرون..» (معجم البلدان/ مادة جيرون).

(٢) الأغاني ١/١٣.

(٣) يتيمة الدهر ٣/١٠٩، وفيات الأعيان ٣/٣٠٨.

اسْعَدْ بِمَوْلُودٍ أتاكَ مبارَكاً كالبدرِ أشْرَقَ جُنحَ ليلٍ مقمرِ
سعد لِوَقتِ سعادةٍ جاءَت بهِ أمُّ حَصانٌ من بناتِ الأصفرِ
شمسُ الضحى زفّت إلى بدر الدجى حتى إذا اجتمعا أتت بالمشتري
مُتَبَجِّحٌ في ذرْوَتي شرفِ العلى بين المهلب منتماه وقيصرِ[1]

أذكرني بالمشتري قول السيّد بدر الدين محمد بن الحسين بن أحمد سيد الكوكباني[2] كتبها إلى الشيخ أبي الوفاء شعبان بن سليم[3] مراجعاً:

سفرت بمطلعها المنير المزهرِ فروت عن الزهري ثم الأزهري
أين الثريا من جبين لو بدا باع الهلال وأين أين المشتري

لو سمع هذا ابن الخياط لمزّق ثيابه دفعة ورمى قصيدته أو صير كالخيوط منها الرقعة والله يضاعف لمن يشاء.

وكتب أبو الفرج إلى بعض الرؤساء وكان مريضاً [من البسيط]:

أبا محمدٍ المحمودَ يا حَسَنَ الـ ـإحسان والجود يا بَحْر الندى الطامي
حاشاكَ من عَوْد عُوّاد إليك ومِنْ دواء داء ومن إلمام إلمامي[4]

وفي صدر البيت الأوّل ما يجري مجرى التوجيه بأسماء الأعلام، وفي الثاني ما لا يخفى من أنواع الجناس.

وقد حكى في كتاب الأغاني قال: أوّل من قال الشعر المعروف بالبديع أبو تمام الطائي[5].

وقال أيضاً: أنشد أبو تمام الطائي يوماً قول العكوك:

فردّ البيض والبيض إلى الأغماد والحجبِ

فاهتز من قرنه إلى قدمه، وقال: لوددت إن هذا البيت لي بثلاث قصائد من شعري يتخيرها مكانه[6].

---

(١) يتيمة الدهر ٣/١٠٩، وفيات الأعيان ٣/٣٠٨.
(٢) ترجمه المؤلف برقم ١٤٧.
(٣) ترجمه المؤلف برقم ٨٥.
(٤) يتيمة الدهر ٣/١١٠، وفيات الأعيان ٣/٣٠٨.
(٥) أنظر الأغاني ١٦/٤١٤ ـ ٤٣١.
(٦) الأغاني ٢٠/٢٩.

قلت: صدق أبو تمام ما زال العكوك يأتي بمعجزات الشعر والبيض الأولى السيوف والثانية النساء واللّف والنشر المرتب.

وقال البحتري: أنشدني أبو تمام يوماً:

وسابح هطل التعدات هتّان ... على الجرا أمينٌ غير خوان
أظمى الفصوص ولم تظمى قوائمه ... فخل عينيك من ظمآن ريّان
فلو نظرت إليه والحصى ريمٌ ... تحت السنابك من مشي ووحدان
أيقنت أن لم تبين أن حافره ... من صخر تدمر أو من وجه عثمان[1]

ثم قال لي: هذا هو الاستطراد، أو قال المستطرد، ثم إن البحتري تبعه فقال من قصيدةٍ في صفة الفرس أوّلها:

أهْلاً بذَلِكُم الخَيَالِ المُقْبِلِ ... فعَلَ الّذي يَهْوَاهُ، أوْ لَمْ يَفْعَلِ
بَرْقٌ سرَى من بطنِ وَجرَةَ، فاهتدىٰ ... بِسَنَاهُ أعْنَاقُ الرِكّابِ الذُلَّلِ
مِنْ غادَةٍ مَنَعَتْ، ويَمْنَعُ وصلها ... فَلَوَ انْهَا بُذِلَتْ لنا لَمْ تَبذُلِ
كالبَدْرِ، غيرَ مخيَّلٍ، وَالغُصْنِ غِيْـ ... ـرَ مُمَيَّلٍ، وَالدِّعصِ غيرَ مَهيَّلِ
وَأغَرَّ في الزّمنِ البَهيم مُحَجَّلٍ ... قَدْ رُحْتُ مِنْهُ على أغرّ مَحَجّلِ
خَافِي الضّلوعِ، يَشُدُّ عَقدَ حزَامِهِ ... يَوْمَ اللّقَاء، على مُعِمّ مَجوّلِ
أخْوالُهُ للرُّسْتَمَيْنَ بِفَارِسٍ ... وَجُدُودُهُ للتَبَعَيْنِ بِمَوْكَلِ[2]
مُتَوَجِّس بِرَقِيقَتَيْنِ، كَأَنَّما ... يَرْيَانُ مِنْ وَرَقٍ عليهِ مَوَصَّلِ
ما إنْ يَعافُ قذًى، ولَوْ أوْرَدْتَهُ ... يَوْماً خَلائِقَ حَمْدَوَيْهِ الأحْوَلِ
ذنب كما سحب الرداء يذب عن ... عرف وعرف كالقناع المسبل[3]

زاد في استطراد حمدويه ذكر الأحول وهو تتميم، وأما الوصف للفرس فله فعل الكميت، وكانت بين أبي الفرج وبين السيرافي النحوي المشهور منافسة فقال فيه أبو الفرج:

لست صدرا ولا قرأت على صدر ... ولا علمك القليل بشافي

(١) لم أعثر عليها في ديوان أبي تمام.
(٢) في هامش ب: «موكل: اسم محل باليمن».
(٣) كاملة في ديوان البحتري ـ ط صادر ٢/٣٦٦ ـ ٣٦٩.

لعن الله كلّ نحوٍ وصرفٍ وعروض يجيء من سيرافي[1]

وكان أبو الفرج: زيديا ومن شيوخه الإمام الحافظ أحمد بن محمد بن عقدة الزيدي.

وكانت ولادته في السنة التي مات فيها البحتري وهي سنة أربع وثمانين ومائتين.

وتوفي يوم الأربعاء رابع عشر ذي الحجة سنة ست وخمسين وثلثمائة، وقيل سنة [سبع وخمسين] ببغداد، رحمه الله تعالى.

وفي سنة ستّ وخمسين مات أيضاً أبو علي القالي[2] الإمام اللغوي صاحب الأمالي، وسيف الدولة الآتي ذكره[3]، ومعز الدولة بن بويه، وكافور الاخشيدي فهؤلاء عالمان وثلاثة ملوك[4].



---

(١) يتيمة الدهر ٣/١١٢.

(٢) إسماعيل بن القاسم بن عيذون بن هارون بن عيسى بن محمد بن سلمان، أبو علي القالي: أحفظ أهل زمانه للغة والشعر والأدب. ولد في منازجرد (على الفرات الشرقي بقرب بحيرة وان) سنة ٢٨٨هـ ونشأ فيها ورحل إلى العراق، فتعلم في بغداد وأقام ٢٥ سنة، ثم رحل إلى المغرب سنة ٣٢٨هـ فدخل قرطبة في أيام عبد الرحمن الناصر واستوطنها، وأحبه الحكم المستنصر بن الناصر. ويقال: إنه هو كتب إليه ورغبه في الوفود عليه. وكان الحكم قبل ولايته الأمر ـ وبعد توليه ـ ينشطه على التأليف بواسع العطاء، ويشرح صدره بالإفراط في الإكرام، ومات أبو علي في أيامه بقرطبة سنة ٣٥٦هـ. أشهر تصانيفه كتاب «النوادر ـ ط» ويسمى «أمالي القالي» في الأخبار والأشعار وغيرهما. أما نسبة القالي. فإلى «قالي قلا» بين طرابزون ومنازجرد، ولم يكن منها، وإنما صحبه بعض أهلها إلى بغداد، فنسب إليها، وكان أهل المغرب يلقبونه بالبغدادي لمجيئه إليهم من بغداد.

ترجمته في:

نفح الطيب ٢: ٨٥ وبغية الملتمس ٢١٦ ووفيات الأعيان ١/٢٢٦ ـ ٢٢٨ وسير النبلاء ـ خ ـ الطبقة العشرون. وابن الفرضي ١: ٦٥ وجذوة المقتبس ١٥٤ والروض المعطار ـ خ ـ وفهرسة ابن خليفة ٣٩٥ وفيه أسماء أكثر كتبه. وإنباه الرواة ١: ٢٠٤ ودار الكتب ٧: ٩٤ وفي دائرة المعارف الإسلامية ١: ٦٠٩ أن «قالي قلا» هي التي يسميها البيزنطيون Theo-dosiupolis وتذكرة النوادر ١١١، الاعلام ط ٤/١/٣٢١ ـ ٣٢٢.

(٣) ترجمه المؤلف برقم ١١٤

(٤) وفيات الأعيان ٣/٣٠٩

وسيراف: مدينة على ساحل بحر فارس وهي فرضة للهند.

وتَدْمِر: في شعر أبي تمام بفتح التاء المثناة من فوق وإسكان الدّال المهملة بعد الميم المكسورة راء مدينة مشهورة، من بلاد الجزيرة كان مروان بن محمد جد أبي الفرج يسكنها وبها صخور عادية، وسميت باسم امرأة من ملوك العماليق عمرتها وماتت بها، وقيل: أن مروان بن محمد نبش قبرها فوجدها في لوح من رخام وعليها ديباج يغشي ذهبه البصر وعنده لوح من ذهب مكتوب عليه: أنا تدمر بنت حسّان بن أذينة بن السميدع العملقية فمن ازعجني من قبري وأخربه وهتكني أزعجه الله وهتك ستره فلمّا قرأه مروان ارتاع وردّها ولم يمض إلاّ قليل حتى جاءه عبد الله بن علي العباسي فهزمه وأخرب قصوره المشهورة بحران وهتكه وسبى حريمه وقتله بمصر، والله أعلم...

[١٠٧]

القاضي جمال علي بن محمد بن أحمد العنسي الصنعاني المولد، أحد أدباء العصر المجيدين(*).

فاضل لم تلق كواكب شعره الشمس إلاّ بوجهٍ ليس فيه حيا، ولم يقابله

(*) علي بن محمد بن أحمد بن صالح بن يحيى بن محمد بن قاسم بن إبراهيم بن مسعود بن عمرو بن محمد بن علي بن أسعد اليمني الصنعاني: شاعر من القضاة الحكام. نشأ بصنعاء وأقام مدة في بلاد العدين (باليمن الأسفل). وقلد القضاء فيها بأيام المهدي (صاحب المواهب) محمد بن أحمد، وأيام المتوكل (القاسم بن الحسين) واشتهر بشعره ورسائله. ورفع حاكم «وصاب» وشاية به إلى المتوكل، فعزله وحبسه. ثم ظهرت براءته، فرضي عنه وأقامه حاكماً بالحيمة (من بلاد صنعاء) فاستمر إلى أن توفي في العر (من قرى الحيمة) فجأة، وقيل مسموماً. سنة ١١٣٩هـ وجمع الإمام عبد القادر بن أحمد الكوكباني معظم شعره ورسائله، وشعره الملحون الحميني، في ديوان «كأس المحتسي من شعر القاضي علي بن محمد ابن العنسي - خ» في الأمبروزيانة والظاهرية: ومنه «ديوان العنسي - خ» في دار الكتب المصرية (١٣٣١٦).

ترجمته في: نفحات العنبر - خ -، البدر الطالع ١/ ٤٧٥، Brock S. 2: 545، Ambro. C:41 ونشر العرف ٢: ٢٨٠ - ٣٠٠ والبدر الطالع ١: ٤٧٥ وفيه قصيدة رقيقة له. وأن غالب شعره على أسلوبها، ووصف «ديوانه» بأنه مجموع في مجلد لطيف، ولم يشر إلى رسائله وشعره الملحون ولا أعلم إن كانت مخطوطة «الامبروزيانة» المسماة «كأس المحتسي» هي التي جمعها الكوكباني، أم التي وصفها الشوكاني. أم هما كتاب واحد؟ وفي خزانة الرباط ١٦٩٧ مخطوطة من ديوانه مشرقية كتبت سنة ١٢٠٤ وأنظر شعر الظاهرية ٣٥٢ - ٣٥٣، الاعلام ط ٤/ ٥/ ١٥.

الزهر إلاّ واغرورقت عينه وأحمرّ خدّه من الحيا، قد حكّم في الأدب تحكم الزمان على بنيه، وأعطى من ذخائره ما لم ينله شاه أرمن ولا شاعرة ابن النبيه، وله بعلم الشرع ما يترك الجاهل في جمر الغضا، فهو عليّ القدر والنفس وفي الحكم الرِّضَى، وقد حكم بالعدين في العنفوان، فلم تضع الأعادي قدر شأنه، ولا قالوا قدر شاه فلان.

ومن شعره نقلته من خطّه:

يا كحيل الجفون صبّك أضحى ... عن ثياب السلوّ عنك عريّا
أنا عالٍ على المحبّين قدراً ... فلما بالجفا خفضت عليّا[1]

وله في تضمين بيت أبي الطيب مع نقل معناه والتورية الحلوة بحالٍ:

العيد وافىٰ ولمّا أن أتى وبنا ... قِلٌ وفلس وإقتار وتنكيدُ
وقد حلى جيده بالفلس قلت له ... عيد بأيّة حال عدت يا عيدُ

وله على لسان غريم يسمّى الشوق أكثر التردّد عليه وفيه تضمين عجز الآخر وأجاد:

غريمي الشوق أضناني تردّدهُ ... فصار شوقي أني لا أشاهدهُ
يا صاحبي لا تلمني حين أقبحه ... لا يعرف الشوق إلاّ من يكابدهُ

وله فيمن يدعي النسك والشك في الوضوء وباطنه خلاف ذلك:

وقالوا فلان كان أفضل زاهد ... يرىٰ الشك في أمر الوضوء من النسك
واقلع عن ذاك التشكك والتقى ... فقلت لهم هذا سفيه بلا شك

وله وأجاد إلى الغاية:

لا ما عذار الحبيب قد أسرى ... قلبي المعنّا فارقا عيني
ملّكته القلب إذ نظرتهما ... فالقلب ملك له بلا مينِ

ولو قال مكان أرّقاً، أطلقاً لكان أصنع. وله وعجز الأخير مضمّن من صدر بيت بشّار:

منازلي خاليات ... من الغنى ومحلّي

---

(١) نشر العرف ٢/ ٢٨٣.

وعـــقـــدة أنـــا فـــيـــهـــا ... يـــا نـــعـــمـــة الله حُـــلـــي

وله:

شـوقـي ودمـعـي والـسـهـاد والـهـوى ... إلـيـك يـا ذات الـبـهـى وسـائـلـي
أن تكذبيني في الهوى فاستخبري ... عـن هـامـلٍ في وجـنـتـي وسـائـلِ

وله من قصيدة كتبها إلى أبي الوفا شعبان بن سليم[1]:

لاذقـت حـلـو يـديـك الـسـلـسـال ... وحـرمـت ضـمّ قـوامـك الـعـسّـالِ
واعتضت من جنات وصلك في الهوى ... نـار الـصـدود ولاعـج الـبـلـبـالِ
ومـنـعـت مـن خـدّيـك ورداً نـاعـمـاً ... ومـنـحـت شـوك مـلامـة الـعـذّالِ
وجـهـلـت أن عـذاب حـبّـك جـنّـة ... أو انّ عــزّي فـيــك مــن إذلالــي
وزعـمـت زعـم مـعـانـد مـسـتـرسـل ... فـي غـيّـه آتٍ بـكـل مـحـالِ
إن لـيـس فـي ديـنـار وجـهـك غـنـيـة ... عـن درهـم الـبـدر الـمـنـيـر الـعـالـي
وجـحـدت أنـك شـمـت مـرآة الـسـمـا ... ولـوجـهـهـا بـالـصـحـو حـسـن مـثـالِ
فحكت بشكل البدر وجهك مسفراً ... وحـكـتـه مـلـتـثـمـاً بـوجـه هـلالِ
وسـألـت عـن حـالـي لـمـاك مـغـالـطـاً ... مـن قـاسـه بـسـلافـة الـجـريـالِ
فـشـكـكـت شـك بـسـيـط جـهـل جـهـلـه ... عـذر لـه فـي غـيـر هـذا الـحـالِ
ورددت مـعـجـز نـاظـريـك لـمـرسـل ... فـي فـتـرة مـن جـفـنـك الـمـكـسـالِ

وله أيضاً إليه:

أَمـا ودمـوع فـيـك تـكـتـب مـا تـمـلـي ... لـقـد صـدّ حـتـى شـحّ بـالـكـتـب والـرسـلِ
أنـسـمـت عـذلٍ مـيّـلـت غـصـن قـدّهِ ... فـمـال ولـلاغـصـان مـيـل إلـى الـعـدلِ
أَم الـبـيـن أنـسـاه وحَـسَّـنَ جـفـوتـي ... لـه أم ثـنـت أعـطـافـه نـخـوة الـدلِّ
أَم اخـتـار خـلاً طـارى الـحـب والـنـوى ... واضـرب عـمّـن حـبّـه ثـابـت الأصـلِ
ولاذو الهوى الأصلي كمبتدىء الهوىٰ ... ولا كَـحَّـلِ الأجـفـان يـا قـوم كـالـكـحـل
تـرى هـل نـسـى مـاضـي الـمـودّة أم بـه ... عـلـيـم ولـكـن قـال يـسـقـط بـالـمـطـلِ
تـرى هـل درىٰ أنـي إذا مـا ذكـرتـه ... أحنّ فتبكي أعين السحب من أجلي
بـعـيـشـكـمـا عـوجـا عـلـيـه وعـرّضـا ... بـذكـر شـيـخ يـبـكـي عـلـى زمـن الـوصـلِ

---

(١) ترجمه المؤلف برقم ٨٥.

وقولا فلان يشتكي منك جفوة | وما كان ذا المعهود من صنعك السهلِ
غدا من بني ماء السما دمع عينه | وأمّا حجاهُ فهو قد صار من ذهلِ
متى رقّ للشكوى فقولا فسرّه | بكتبك حتّى يشمت العزّ بالذلِّ
فإن قال طيفي لا يزال يعوده | فقد ناب عن كتبي إليه وعن رسلِ
فقولا قد استحيا من الطيف كلما | أتى طرفه ألفاه، بالسهد في شغلِ
قبيح به أن يسترد رقاده | وقد كان أهداه لألحاظك النجلِ

وجميع شعره على هذه الطريقة العذبة، وقد نحى في مراجعة هذه اللاميّة التي هي أحسن من لاءِ العذار طريقة الوأواء الدمشقي في قصيدته الفائيّة المشهورة.

❁ ❁ ❁

وابن ماء السماء: هو المنذر والد النعمان بن المنذر اللخمي، وإنّما سُميت أمّه ماء السماء لحسنها ورقاق محاسنها، وكان اسمها الأصلية مارية، وفي المثل «أنفس من قرطي مارية» وكان فيهما درّتان كبيض الحمام لا تعرف قيمتهما، وكان آل المنذر عمّالاً للأكاسرة على البلاد المجاورة لبلاد العرب من بلاد الريف كالحِيرة وسواد الكوفة.

والعنسي، بالنون: نسبة إلى عنس قبيلة مشهورة من مذحج منهم عمّار بن ياسر رضي الله عنه، والله أعلم.

[١٠٨]

القاضي جمال الدين أبو محمّد علي بن صالح بن محمد بن علي بن أبي الرجال الصنعاني المولد، أحد الشعراء المجيدين في العصر(*).

فاضل لو تجسّد شعره لكان عقيانا، ولما رفع الناس إلى قلائد ابن خاقان بنانا، يجول نظمه الكميت في ميدان الإجادة فيجيء سابقاً، ولا يجلو من بنات فكره على مسامع اكفائهِ إلا عاتقاً.

(*) وهو أخ العلامة أحمد بن صالح مؤلف كتاب مطلع البدور.
ترجمته في: طيب السمر ـ خ ـ، نفحات العنبر ـ خ ـ، السوانح ليوسف بن علي الكوكباني ـ خ ـ، تأريخ لطف الله جحّاف ـ خ ـ، نزهة الجليس، البدر الطالع ١/٤٥٦، نشر العرف ٢/٢١٧ ـ ٢٣٩.

وله المقاطع المليحة، والقصائد المستجادة، ومدح جماعة من آل القاسم، وكان قليل الحظّ على فضله، وأحسب أن الحظّ تنبّه له هذه الأيام ومن شعره:

ولقد أقول وقد تغنَّت في الحمى ورقاء ذات صبابة وولوعِ
والعود في يدها يميل وإلفها يختال بين خمائل وفروعِ
والعين قد سفحت وهاج لها البكا تذكارها لأحبة وربوع
أحمامة الأيك التي قد هيجت شجو الكئيب بأنّة وسجوع
مهلاً فنفخك للسوالف في الفضا أذكى غضىٰ الأشجان بين ضلوعي
فدعي الهوى ثم اسبحي فتخيري دراً لطوقك من بحار دموعي[١]

وذكره القاضي ضياء الدين يوسف بن علي الكوكباني في السوانح، وذكر أنه كتب إليه يستدعي عارية «طوق الصّادح»:

أضياء دين الله دعوة نازح عنكم بطلعته قريب الأربع
أهدي إليك بطاقة من طاقة لطلاب طوق حمامة للمولع
فابعث بنسخته إليَّ تفضلاً وامنن عليَّ به وشَنِّف مسمعي
وخذ الجمالة لا برحت مجملاً بالسعد مقروناً بشمس المطلع
تزهو على نور الصباح صباحه ويفوق نور الكوكب المتشعشع
ونعمت بالفخر الذي أحرزته فينا بمرأى لا يزال ومسمع
فلعل حسن الطوق يبعث لوعة طيّ الفؤاد لجيرة بالأجرع
ومليحة كالغصن راحت تدعي في الحب يوم وصالها ما تدّعي
قالت وقد حاولت ضمّ قوامها بالراحتين إليّ عند المضجع
إنا تقاسمنا الغضى فغصونه في راحتيك وجمره في أضلعي
فأجبتها وقد امتطت منّي على ذي قامةٍ هيفا ورأس أصلع
أحمامة الوادي بشرقي الغضا إن كنت مسعدة الكئيب فرجعي[٢]

أجاد في التضمين وحسن السبك والحلاوة والتزم المجون وهو مذهبه.

وله في شخص يسمّى النجار، وقد جرت له واقعة يطول شرحها، وكتبها إلى زيد بن المتوكل لأن النجار خادمه:

---

(١) نشر العرف ٢/ ٢٢١.

(٢) كاملة في نشر العرف ٢/ ٢٢٠.

قل لزيدٍ موضحاً ما قد جرى | من أمير الخيل جنح الغسق
وهو امرٌ لو جرى من غيره | كنت قد أودعته في المطبق
سمر النجار بالعود على | لون صرفٍ أحمر كالشفق
فأتوه نشروا ما قد طووا | من ثياب دنّست بالعرق
خلف بابٍ كسروا مفتاحه | فهو باب لم يكن بالمغلق
بالحميدي قد سَرَىٰ يا ويحه | قبله التاج بقلبٍ شيّق
جمع الذئب مع الغزلان في | سفح صنعا لا بسفح الأبرق
ورقى جبران ليلاً فوقهم | فتفادوا ضربه بالورق
لم يفق من سكرة إلاّ إلى | ضربة العود وجرّ الممشق
كم توالت فوقه من فلقٍ | لم يعذ منها برب الفلقِ

وهذه الأبيات في غاية الحسن وفيها تواري بجماعة من الحاضرين، وفيها لطف لمن تأملها.

والعري: أَحد معنييه عرق الخمر وأما التوجيه بآلة النجارة فظاهر.

وله فيمن اسمه الحِبْسي:

وأغيد عشقته | كالظبي حين يسنحُ
أوجانه تهلّلت | وقلبه يسبّحُ

وله في مليح بفرد عين بين ملاح:

ثلاثة ما فيهم واحد | الا رشيق القدّ صافي البديدْ
تجمّعوا كالدرّ في سلكه | والدر أعلى ما يكون الفريد
لقد أسى في جمعهم محسن | في النظم لا يعرف بيت القصيد

وله فيمن اسمه «الفضلي» جلس لدى شيخ من محلّ يسمّى العرّ، والفضلي له بعض ملاحة:

اني رأيت اليوم ما لم يكن | يخطر في بالك من قبلي
شيخ عفيف هام في يافعٍ | بأَحور من ولد الفضلي
وصاحب العرّ أراكيّهُ | ان رام أمر الجهل بالعقلِ

وغير خفيّ بها التوجيه بالمحلات مع التواري لأن يافع وأَحور بلدان متجاوران والعرّ محلّ وداء يصيب الإبل.

والفضلي: رئيس أحور.

وله في المجون:

وهيفاء حازت بهجة ووسامة ... تراود معشوقاً بكل مكانِ
أريد قفاها وهي تطلب عكسه ... واني وإيّاها لمختلفانِ[1]

وله في شخص يسمّى «الذويد يحيىٰ»:

يقولون الذويّد له محلّ ... إذا جاوزت كحلاناً وحوثا
فقلت نعم ولكنّي أراه ... بأكراش الحمير يصير روثا

ومحاسنه كثيرة وشعره جيّد، وهو من الشيعة المبالغين في حبّ أهل البيت، والله أعلم.

[١٠٩]

أبو الحسن علي بن محمّد بن منصور بن نصر بن بسام، النديم الشاعر المشهور البغدادي[*].

فاضل شعره كجدّه منصور وبسّام، جمع لسانه بالشعر مديحاً وهجاء بين

---

(١) نشر العرف ٢/ ٢٢٠ ـ ٢٢١.

(*) وذكرت المصادر أن إسمه: علي بن محمد بن نصر، وعلي بن أحمد، وعلي بن نصر بن منصور ابن بسّام.
ترجمته ونماذج من شعره في: وفيات الأعيان ٣/ ٣٦٣ ـ ٣٦٦، معجم الأدباء ١٤/ ١٣٩ ـ ١٥٢، الأنساب للسمعاني ٢/ ٢١٩، البداية والنهاية لأبي الفداء ١١/ ١٢٥، الكنى والألقاب ١/ ٢١٩، هدية العارفين ٢/ ٦٧٥، أنوار الربيع ٢/ ٣٧٢، الكامل لابن الأثير ٨/ ٢٩، مفتاح السعادة ١/ ١٩١، الاعلام ط ٤/ ٤/ ٣٢٤، زهر الآداب، تاريخ بغداد ١٢/ ٦٣، الهدايا والتحف ١٣٩، مروج الذهب ٤/ ٢٩٧ ـ ٣٠٤، أعتاب الكتاب ١٨٨، فوات الوفيات ٢/ ١٦٧، مناقب آل أبي طالب، أعيان الشيعة ٤٢/ ٢٤، أمالي الطوسي ٢٠٩، أدب الطف ١/ ٣٢٧ ـ ٣٣٠، الفهرست لابن النديم ١٦٧، اللباب لأبن الأثير: «البسامي»، معجم الشعراء ٢٩٤، الطليعة ترجمة رقم ٢٠٧.
وللدكتور مزهر السوداني: «ابن بسّام حياته وشعره» طبع بمجلة المورد البغدادية مج ١٥ لسنة ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م ع ٢/ ١٠٣ ـ ١٤٢.
واستدرك عليه عامر سالم حساني بمجلة المورد أيضاً مج ٢٤ لسنة ١٤١٧هـ/١٩٩٦م ع ١/ ٥٦ ـ ٥٧.

الفرند والحسام، يضوع نشر أدبه ولا يضيع، ولو ادّعاه شاعرا طيء للقبا كل منهما دون ابن الضحاك بالخليع.

وقال ابن خلكان: كانت أمّه أُمامة ابنة حمدون النديم.

وروى عنه أبو بكر الصولي، وأبو سهل زياد وغيرهما، وكان من أعيان الشعراء، ومحاسن الظرفاء، لسناً مطبوعاً في الهجاء، حتى هجا أباه وإخوته، وأورد مديحاً وهجاءً من نفيس شعره [من الكامل]:

أقصَرْتُ عن طلب البطالة والصبا ... لمّا علاني للمشيب قِناعُ
لله أيام الشباب ولهوها ... لو أنّ أيامَ الشباب تُباع
فدع الصَّبا يا قلب واسْلُ عن الهوى ... ما فيك بعد مشيبك استمتاع
وانظر إلى الدنيا بعين مودّع ... فلقد دنا سَفَرٌ وحان وداع
والحادثاتُ موكَّلاتٌ بالفتى ... والناسُ بعد الحادثات سَماع[1]

وكان المتوكل جعفر بن المعتصم يتشبّه بالخوارج في عداوته علياً والحسين عليهما السلام، ويزيد عليهم في استحلاله ما حرّموا من الكبائر، فبلغت عداوته أن أمر بهدم قبر الإمام الشهيد أبي عبد الله الحسين عليه السلام بالحائر الشريف وتخريب المشهد الكريم، فقال أبو الحسن بن بسّام المذكور فيه [من الكامل]:

تالله إن كانت أمَيَّة قد أتت ... قَتْلَ ابن بنت نبيّها مظلوما
فلقد أتاه بَنُوا أبيه بمثله ... هذا لعَمْرُك قبره مهدوما
أسِفُوا على أن لا يكونوا شاركوا ... في قتله فتَتَبَّعُوهُ رَميما[2]

مهدوماً على الحال من اسم الإشارة، لأن معنى هذا أشير إليه وهو مثل قوله تعالى: «وهذا بَعْلي شيخاً»[3] أي أشير إليه شائخاً.

وقال أبو الفرج الأصبهاني في مقاتل الطّالبيين: وكان السبب في كرب قبر الحسين عليه السلام، ما حدثني به أحمد بن الجعد الوشّاء، وقد شاهد ذلك قال: وكان السبب في كرابِهِ قبر الحسين عليه السلام، أن بعض المغنيات كانت تبعث جواريها إلى

---

(١) معجم الأدباء ٥/ ٣٢٤، الكنى والألقاب ١/ ٢٢٥، وفيات الأعيان ٣/ ٢٦٣، ابن بسام/ قطعة ٨٤.

(٢) وفيات الأعيان ٣/ ٣٦٥، الكنى والألقاب ١/ ٢٢٥، أدب ألطف ١/ ٣٢٧، ابن بسام/ قطعة ١٢٣.

(٣) سورة هود: الآية ٧٢.

المتوكل قبل خلافته فيغنّين لهُ إذا شرب، فلمّا وليها بعث إلى تلك المغنية فعرف أنّها غائبة، وكانت قد زارت قبر الحسينعليه السلام، فبلغها خبره، فأسرعت الرجوع إليه وبعثت إليه بجارية من جواريها كان يألفها، فقال لها: أين كنتم؟ قالت: حجت مولاتي فأخرجتنا معها، فقال: وإلى أين حججتم في شعبان؟ قالت: إلى قبر الحسين، فاستطير غضباً، وأمر بمولاتها فحبست، فاستصفى أملاكها، وبعث برجل من أصحابه يقال له الدّبرج[١]، كان يهودياً فأسلم، إلى قبر الحسينعليه السلام، فأمر بكراب قبره وإخراب كل ما حوله، فمضى لذلك واخرب البناء، وكرب حوله نحو مائتي جريب، فلما بلغ القبر لم يتقدم إليه أحد، فاحضر قوماً من اليهود فكربوه، وأجرى الماء حوله، ووكل به مسالح بين كلّ مسلحتين ميل، لا يزوره زائر إلاّ أخذ، ويوجّه به إليه[٢].

فحدثني محمد بن الحسين الأشناني قال: بعد عهدي بالزيارة تلك الأيام خوفاً، ثم عملت على المخاطرة بنفسي فيها فساعدني رجل من العطّارين على ذلك فخرجنا زائرين نكمن النهار ونسير الليل حتى اتينا نواحي الغاضرية، فخرجنا منها نصف الليل فصرنا بين مسلحتين، وقد ناموا حتى أتينا القبر فخفي علينا فجعلنا نشمّه ونتحرىٰ جهته حتى أتيناه، وقد قلع الصندوق الذي كان حواليه وأحرق، وأجري الماء عليه، فانخسف موضع اللبن فصار كالخندق، فزرناه وأكبينا عليه فشممت رائحة منه ما شممت مثلها، فقلت لصاحبي العطار، أيّ ريح هذه؟ فقال: والله ما شممت مثلها لشيء قط من الطيب، فودّعناه وجعلنا حول القبر علامات في عدّة مواضع.

فلمّا قتل المتوكل إلى سخط الله اجتمعنا مع جماعة من الطالبيين والشيعة، حتى صرنا إلى القبر فاخرجنا تلك العلامات وأعدناه إلى ما كان عليه[٣].

وإنما تستحب زيارة مولانا الحسينعليه السلام في شعبان، لمّا رواه الشيخ المفيد، أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان الحارثي البغدادي الشهير بابن المعلّم في

(١) في المقاتل: «الديزج».

(٢) مقاتل الطالبيين ٥٩٧ ـ ٥٩٨، أنظر: تاريخ الطبري/حوادث سنة ٢٣٦هـ.

(٣) مقاتل الطالبيين ٥٩٨ ـ ٥٩٩.

(٤) في الأصل: «مسار» وهو تصحيف.

كتاب «مزار الشيعة» وأحزانها وقد ذكر شهر شعبان فقال: وفي النصف منه ولد الحجّة صاحب الزمان عجل الله فرجه وهي أفضل الليالي في السنة «وفيها يفرق كل أمر حكيم»[1] وفيها يمنح الله العباد فضله، وهي ليلة يعظمها المسلمون جميعاً وأهل الكتاب، ويستحب فيها زيارة الحسين عليه السلام، وفي ثالث شعبان يوم الثلاثاء وقيل يوم الخميس ولد الحسين عليه السلام. والكرب: الحرث.

قال الأخطل:

أقول ولم أملك سوابق عبرة ... متى كان حكم الله في كرب النخلِ

وكان تخريب المشهد سنة ست وثلاثين ومائتين وذكر ابن خلكان: أن ابن بسّام سأل الوزير ابن المرزبان برذوناً فمنعه عنه فقال: [من المنسرح].

بخلتَ عني بمقْرِفٍ عَطِبٍ ... فلن تراني ما عشتُ أطلبه
وإن تَقُلْ صنته فما خلق الله مصوناً وأنت تركبه[2]

وله في أسد الدين بن جهور الكاتب [من الكامل]:

تعِسَ الزمانُ لقد أتى بعجابِ ... ومحا رسوم الظرف والآدابِ
وأتى بكُتّاب لو انبسطَتْ يدي ... فيهم رددتهم إلى الكُتّاب
أوَ ما ترى أسدَ بنَ جهورَ قد غدا ... متشبهاً بأجلَّة الكتّابِ[3]

والكتاب الثاني موضع تعليم الصبيان.

ومن دقيق شعره الحُرّ [من الوافر]:

وكانت بالصَّراةِ لنا ليالٍ ... سرقناهن من رَيْبِ الزمانِ
جعلناهنَّ تاريخ الليالي ... وعُنوان المسرَّة والأماني[4]

قال المسعودي: وأنشدني أبو إسحاق الزجّاج لإبن بسّام المذكور في المعتضد وقد ختن ابنه جعفر المقتدر [من مخلع البسيط]:

---

(١) سورة الدخان: الآية ٤.

(٢) مروج الذهب ٤/٣٠٢، تاريخ بغداد ١٢/٦٣، اللباب/البسامي، وفيات الأعيان ٣/٣٦٤، ابن بسام/ قطعة ٩.

(٣) مروج الذهب ٤/٣٠٤، وفيات الأعيان ٣/٣٦٤، ابن بسام/ قطعة ١٢.

(٤) وفيات الأعيان ٣/٣٦٤، ابن بسام/ قطعة ١٤٣.

انصرف الناس من ختانٍ يدعون من جوعهم حراما
فقلت لا تعجبوا لهذا فهكذا تختن اليتامىٰ[1]

وأنشد له في المعتضد أيضاً [من الوافر]:

إلى كم لا نرى ما ترتجيه ولا تنفكّ عن أملٍ كذوبِ
لأن سمّوك معتضداً فإنّي أظنك سوف تعضد عن قريبِ[2]

وله أيضاً في أبيه محمد بن نصر [من البسيط]:

بنىٰ أبو جعفر داراً فشيَّدها ومثله لخيار الدور بنّاءُ
والجوع داخلها والذلّ خارجها وفي جوانبها بُؤس وضرّاءُ
ما ينفع الدار من تشييد حائطها وليس داخلها خبز ولا ماء[3]

قال: وكان أبو محمد بن منصور رجلاً مترفاً في غاية النعمة حسن الزيّ ظاهر المروّة متخصصاً في مطعمه وملبسه وتَجَمّل داره فقال فيه ابنه المذكور:

هبك عُمِّرْتَ عمر سبعين نَسْراً أترى أنَّني أموت وتبقى
فلئن عشتُ بعد موتك يوماً لأشقَّنَّ جَيْبَ مالك شقا[4]

وجدّه: نصر بن منصور، ممدوح أبي تمام، وقيل: أن الوزير القاسم بن عبيد الله الذي سمّ ابن الرومي دخل على المعتضد يوماً وهو يلعب بالشطرنج ويتمثل بقول أبي الحسن بن بسّام. [من مخلع البسيط]:

حياة هذا كموت هذا فليس تخلو من المصايب[5]

ثم رفع المعتضد رأسه فنظر إلى الوزير فاستحى منه، فقال: يا قاسم اقطع لسان ابن بسام عنك، فخرج الوزير مبادراً لقطع لسانه فبلغ ذلك المعتضد فرده،

---

(١) مروج الذهب ٤/٢٩٩، ابن بسام/ قطعة ١٢٤.

(٢) مروج الذهب ٤/٢٩٩، ابن بسام/ قطعة ١٦.

(٣) مروج الذهب ٤/٢٩٧، ابن بسام/ قطعة ١.

(٤) مروج الذهب ٤/٢٩٧، شرح مقامات الحريري ٣/٢٦٦، وفيات الأعيان ٣/٣٦٣، ابن بسام/ قطعة ١٠١.

(٥) وفيات الأعيان ٣/٣٦٢، محاضرات الأدباء ٤/٥١٥، التمثيل والمحاضرة ١٠٦، ابن بسام/ قطعة ١٩.

وقال: لا تعرض له بسوء، بل اقطعه بالبرّ والشغل، فولاّه البريد والجسر بجند قنسرين والعواصم من بلاد الشام، وهذا البيت له يهجو به الوزير المذكور وقبله:

قل لأبي القاسم المرزّا قابلَك الدهر بالعجائبْ[1]
مات لك ابنٌ وكان زَيناً وعاش ذو الشَّيْنِ والمعايب

قلت: يجوز أن يكون القاسم بن القاسم، فإني أحفظه هكذا: «قل لأبي القاسم». وقال فيه [من مخلع البسيط]:

قل لأبي القاسم المرزّا ونادِ يا ذا المصيبتينِ
مات لك ابنٌ وكان زَيْناً وعاش شَينٌ وأيُّ شَيْن
حياةُ هذا كموت هذا فالطم على الرأس باليدين[2]

وله من التصانيف: أخبار عمر بن أبي ربيعة استوفى فيه أخباره، وكتاب أخبار الأحرص، وكتاب مناقضات الشعراء، وديوان رسائل، وغير ذلك.

وهو غير ابن بسّام صاحب الذخيرة.

وكانت وفاته سنة اثنتين أو ثلاث وثلاثمائة عن نيف وسبعين سنة، رحمه الله.

❀ ❀ ❀

والمسلحة: جماعة أهل سلاح.

---

(١) وفيات الأعيان ٣/ ٣٦٢، خاص الخاص ١٠٨، المنتحل ١٤١، معجم الأدباء ٥/٣١٩، نهاية الأرب ٣/ ١٠٢، ابن بسام قطعة ١٩.

(٢) معجم الأدباء ٥/ ٣٢٢، وفيات الأعيان ٣/ ٣٦٢، ابن بسام/ قطعة ١٣٦.

القاضي أبو القاسم علي بن محمد بن أبي الفهم داود بن إبراهيم بن تميم بن جابر بن هاني بن زيد بن عبيد بن مالك بن موقظ بن سرح بن نزار بن عمرو بن الحارث، وهو من ملوك تنوخ بن فهم بن تيم الله بن أسد بن وبرة بن تغلب بن حُلوان[*].

فاضل ارتفع بأدبه ما خفض من الشعر، وانتصب بحاله فيه كل لاحق بلا تمييز غِرّ، وأصل التهذيب في مبتدأه فحلى عنه الخبر، واعرب بكل بيت له مبنى على الفتح أغرّ.

وذكره القاضي أبو العباس بن خلكان في تاريخه وقال: كان عالماً بأصول المعتزلة والنجوم[1].

(*) كتب المؤلف عنوان هذه الترجمة (القاضي أبو القاسم علي بن القاضي أبي علي المحسن بن علي ابن محمد بن أبي الفهم. . .الخ) هو سهوٌ من المؤلف، فالترجمة تعود لجدّه (أبي القاسم علي بن محمد بن أبي الفهم). وقد صوّبنا العنوان حسب المضمون. أما الحفيد (أبو القاسم علي بن أبي علي المحسن بن علي المذكور) فقد ترجمه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ١٢/ ١١٥، وابن خلكان في وفيات الأعيان ٤/ ١٦٢ ضمن ترجمة والده المحسن بن علي.
كما ترجمه المؤلف ضمن ترجمة والده برقم ١٤٠. وسيكون تعليقنا وتحقيقنا لهذه الترجمة كما ذكرنا للقاضي أبي القاسم علي بن محمد بن أبي الفهم داود.
وتكملة النسب لما ذكره المؤلف: «حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة التنوخي».
له ديوان شعر صنعه الأستاذ هلال ناجي ونشره في مجلة المورد البغدادية مج ١٣/ع١/ ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.
ترجمته في:
وفيات الأعيان ٣/ ٣٦٦ ـ ٣٦٩، الأنساب ١١١، تاريخ بغداد ١٢/ ٧٧، لسان الميزان ٤/ ٢٥٦، العبر للذهبي ٢/ ٢٦٠، تاج التراجم ٤٠، اللباب في تهذيب الأنساب ١/ ٢٢٥، بغية الوعاة ٢/ ١٨٧، النجوم الزاهرة ٣/ ٣١٠، شذرات الذهب ٢/ ٣٦٤، معجم الأدباء ١٤/ ١٦٢ ـ١٩١، معاهد التنصيص ١/ ١٣٦، الوافي بالوفيات، نشوار المحاضرة ٢/ ١٤٠ ـ ١٤١، يتيمة الدهر ٢/ ٣٣٥ ـ ٢٤٥، مروج الذهب ٤/ ٢٢٩، تجارب الأمم ١/ ٣٤٥، روضات الجنات ٥/ ٢١٩، معالم العلماء ١٤٩، الحدائق الوردية ـ خ ـ ٢/ ٨٨٩ ـ ٨٩٣، الجواهر المضية ١/ ٣٧٢، طبقات المعتزلة ١٣٢، الطليعة ـ خ ـ ترجمة رقم ١٩٨، أنوار الربيع ١/ ٤٠، مرآة الجنان ٢/ ٣٣٥، معجم المؤلفين ٧/ ١٩٦، الفوائد البهيّة ١٣٧، أعيان الشيعة ٤٢/ ٨٨ ـ ٩٤، الاعلام ط ٤/ ٤/ ٣٢٤ ـ ٣٢٥، الغدير ٣/ ٣٧٧ ـ ٣٨٧.

(١) وفيات الأعيان ٣/ ٣٦٦.

وقال الثعالبي: هو «من أعيان أهل العلم والأدب، وأفراد الكرم وحسن الشيم، وكان كما قرأته في فصل للصاحب من عبّاد: إن أردت فإني سَبْحة ناسك، وأن أحببت فإني تفّاحة فاتك، أو ٱقترحت فأنّي مدرعة راهب، أو آثرت فإني تحيّة شارب». وكان تقلد قضاء البصرة والأهواز بضع سنين[١] وحين صُرف عنه ورد حضرة سيف الدولة بن حمدان زائراً ومادحاً، فأكرم مثواه واحسن قِراه، وكتب في معناه إلى الحضرة ببغداد حتى أُعيد إلى عمله، وزيد في رزقه ورتبته[٢].

وقال أبو الفضل بن جيرون: قيل كان رأيه الرفض والاعتزال.

وقال شجاع الهذلي: كان يتشيع ويذهب إلى الاعتزال.

وقال القاضي أحمد بن سعد الدين المسوري اليمني الكاتب الماضي ذكره[٣]: «كان زيدياً وكان التشيع دينه ودين أبيه وجده علي بن محمد الأكبر»[٤].

قلت: تتبعت ذكره في التواريخ والطبقات فأخذت منها أنه كان حنفي الفروع، معتزلي الأصول، متشيّع جداً، وأكثر فقهاء العراق المتشيعين حنفية الفروع.

وقد ذكر ابن الذّهبي: إن أبا حنيفة كان من بترية الزيدية.

وذكر الثعالبي: أن الوزير المهلبي وغيره من وزراء العراق كانوا يميلون إلى القاضي التنوخي، ويتعصّبون له، ويعدّونه ريحانة الأدباء والعلماء، وتاريخ الظرفاء، وكان من جملة الفقهاء والقضاة الذين ينادمون الوزير المهلبي ويجتمعون عنده في الأسبوع ليلتين على اطراح الحشمة والتبسّط في القَصْف والخلاعة، وهم: القاضي أبو بكر بن قريعة، وابن معروف، والتنوخي المذكور، وما منهم إلاّ أبيض اللحية طويلها، وكذلك كان [الوزير] المهلّبي، فإذا تكامل الإنس، وطاب المجلس، ولذّ السماع، وأخذ الطّرب منهم مأخذه، وهَبُوا أثواب الوقار

---

(١) يتيمة الدهر ٢/٣٣٥، وفيات الأعيان ٣/٣٣٦.

(٢) وفيات الأعيان ٣/٣٦٦.

(٣) ترجمه المؤلف برقم ٢٤.

(٤) هذا القول يخصّ صاحب الترجمة، ولا محل له هنا.

للعُقار، وتقلّبوا في أَعطاف العيش بين الخفّة والطيش، ووضع في يد كل واحدٍ منهم طاس ذهب فيه ألف مثقال، شراباً قطربليّاً أو عكبريّاً، فيغمس لحيته فيه بل ينقعها حتى تتشرب أكثره، ويرش به بعضُهم بعضاً، ويرقصون بأجمعهم وعليهم المصبّغات، ومخانق المنثور والبرم(١)، فإذا أصبحوا عادوا كعادتهم في التوقّر والتحفظ بأبهة القضاء وحشمة المشائخ الكبراء(٢).

وإيّاهم عَنَى السّري الرفاء بقوله [من المنسرح]:

مَـجَـالـسٌ تـرقُـص الـقُـضَـاةُ بِـهـا ... إذا انْـتَـشَـوْا فـي مَـخَـانِـقِ الـبَـرَمِ
وصَـاحِـبٍ يَـخْـلِـطُ الـمُـجُـونَ لَـنـا ... بِـشِـيـمَـةٍ حُـلْـوةٍ مِـنَ الـشِّـيَـمِ
تَـخْـضِـبُ بـالـرّاح شَـيْـبَـهُ عَـبَـثـاً ... أَنـامِـلٌ مِـثْـلُ حُـمْـرَةِ الـعَـنَـمِ
حـتَّـى تَـخَـالَ الـعُـيُـونُ شَـيْـبَـتَـهُ ... شَـيْـبَـةَ عُـثْـمَـانَ ضُـرِّجَـتْ بِـدَمِ(٣)

ومن بديع شعر التنوخي المذكور وكان الصاحب يفضله على سائر شعره وهو الكافي فيه [من الكامل]:

أحْـبِـبْ إلـيَّ بـنـهـر مَـعْـقِـلِ الـذي ... فـيـه لـقـلـبـي مـن هـمـومـي مَـعْـقِـلُ
عَـذبٌ إذا مـا عَـبَّ فـيـه نـاهـلٌ ... فـكـأنّـه فـي ريـق حِـبٍّ يـنـهـل
مـتـسـلـسـل وكـأنـه لـصـفـائـه ... دمعٌ بـخـدَّيْ كـاعـبٍ يـتـسـلـسـل
وإذا الـريـاحُ جَـرَيْـنَ فـوق مُـتُـونـه ... فـكـأنـه دِرْعٌ جَـلاهـا صَـيْـقَـلُ
وكـأنّ دجـلَـةَ إذ تـغـطـمـط مَـوْجـهـا ... مـلـك يُـعَـظَّـم خـيـفـةً ويُـبَـجَّـل
وكـأنّـهـا يـاقـوتـة أو أعـيـن ... زرق يـلائـم بـيـنـهـا ويـوصـل
عـذبـت فـمـا تـدري أمـاء مـاؤهـا ... عـنـد الـمـذاقـة أم رحـيـق سلـسـل
ولـهـا بـمـدٍّ بـعـد جَـزْر ذاهـبـاً ... جـيـشـان يـدبِـرُ ذا وهـذا يُـقـبـل
وإذا نـظـرت إلـى الأبُـلَّـةِ خِـلْـتَـهـا ... مـن جـنـة الـفـردوس حـيـن تُـخَـيَّـلُ
كـم مـنـزلٍ فـي نـهـرهـا آل الـسـرو ... ر بـأنّـه فـي غـيـره لا يَـنْـزِلُ
وكـأنّـمـا تـلـك الـقـصـورُ عـرائـسٌ ... والـروض فـيـه حـلـي خـودٍ تـرَ فُـلُ(٤)

---

(١) البرم: نوع من الثياب.

(٢) يتيمة الدهر ٢/ ٣٣٥ ـ ٣٣٦، وفيات الأعيان ٣/ ٣٦٦ ـ ٣٦٧.

(٣) يتيمة الدهر ٢/ ٣٣٧، معاهد التنصيص ١/ ١٣٦، ديوان السري الرفاء ٢/ ٦٧٧.

(٤) في الأصل: «والروض فيه حليتها وفيه ترفل» وما أثبتنا من ديوانه.

غَنَّتْ قِيانُ الطيرِ في أرجائها هَزَجا يَقِلُّ له الثقيلُ الأولُ
وتعانقت تلك الغصونُ فأدركت يومَ الوداع وعِيرُهم تترحل
رَبَعَ الربيعُ به فحاكتْ كَفُّهُ حُلَلاً بها عُقَدُ الهموم يُحلّلُ
فمدبَّجٌ وموشَّحٌ ومُدَنَّر ومُعَمَّدٌ ومُحَبَّرٌ ومهلَّلُ
فتخال ذا عيناً، وذا ثغراً، وذا خدّاً، يُعَضَّضُ مرةً ويُقَبّل[1]

إنّما الشعر هذا الذي يعيد كبد الحاسد أفلاذاً.

وله [من السريع]:

كأنّما المرِّيخُ والمشتري أمامه في شامخ الرِّفْعَهْ
منصرفٌ بالليل عن دَعْوَة قد أوقدتُ قدّامَهُ شمعهْ[2]

وله أيضاً في العلويات [من الطويل]:

وليلةِ مُشتاقٍ كأنَّ نجومَها قد اغْتَصَبَتْ عَيْنَ الكرى وَهي نُوَّمُ
كأنَّ سوادَ الليلِ والفَجْر ضاحِكٌ يلوحُ ويَخْفى أسْوَدٌ يتبسَّمُ[3]

وله في غور الكواكب عند الصّباح [من البسيط]:

عهْدي بها وضياءُ الصُّبْح يُطفِئُها كالسُّرْج تُطفَأ أو كالأعيُنِ العُورِ
اعْجِبْ به حين وافى وَهْيَ نَيِّرَةٌ فظلَّ يَطْمِسُ منها النورَ بالنُّورِ[4]

وكتب إلى الوزير المهلبي وقد منعه المطر عن خدمته [من الطويل]:

سحابٌ أتى كالأمس بعد تَخَوّفِ له في الثَّرى فعلُ الشِّفاء بمُدْنَفِ
أكَبَّ على الآفاق إكبابَ مُطْرِقٍ يُفكِّرُ، أو كالنادم المتلهف
ومَدَّ جَنَاحَيْه على الأرضِ جانحاً فراحَ عليها كالغُراب المُرَفْرِفِ

---

(١) يتيمة الدهر ٢/ ٣٤، محاضرات الأدباء ٢/ ٥٧٠، نهاية الأرب ١١/ ٢٦١، معاهد التنصيص ١/ ١٣٦ ـ ١٣٧، ديوانه/ قطعة ٧٧.

(٢) يتيمة الدهر ٢/ ٣٣، معاهد التنصيص ١/ ١٣٧، أسرار البلاغة ١٨٠، نهاية الأرب ٧/ ٤٢، أنوار الربيع ٥/ ٣٠٦، ديوانه/ قطعة ٦٢.

(٣) يتيمة الدهر ٢/ ٣٣٧، معجم الأدباء ١٤/ ١٦٨، معاهد التنصيص ١/ ٣٧، الوافي بالوفيات، ديوانه/ قطعة ٨٣.

(٤) يتيمة الدهر ٢/ ٢٢٨، معجم الأدباء ٤/ ٨٦٩، معاهد التنصيص ١/ ١٣٧، الوافي بالوفيات، ديوانه/ قطعة ٣٩.

غدا البَرُّ منه برَّه، وانثنى الضحى بظُلمته في ثَوْب ليلٍ مُسَجَّف
يُعَبِّسُ عن بَرْقٍ به مُتَبَسَّم عُبُوسَ بخيلٍ في تبسُّم مُعْتَفِ
تحاولُ منه الشمسُ في الجوِّ مَخْرجاً كما حاول المغْلُوبُ تجريدَ مُرْهَفِ
فأفرغ ماء قال واردُ شربه أسلسالُ ماءٍ أم سُلافَةُ قَرْقَفِ
أتى رحمة للناس غيري فإنه عليَّ عذابٌ ماله من يُكشّف
سحابٌ عداني عن سحابٍ، وعارضٌ مُنعْتُ به من عارض متوّكفِ[١]

وله أيضاً [من الطويل]:

رضاكَ شبَابٌ لا يَليهِ مَشيبُ وسُخْطُكَ داءٌ ليسَ منهُ طبيبُ
كأنّكَ من كُلِّ النفوسِ مُرَكَّبٌ فأنْتَ إلى كُلِّ النفوسِ حبيبُ[٢]

وله في مُعذِّر [من السريع]:

قلتُ لأصحابي وقد مرَّ بي مُنقّباً بعد الضِّيا بالظُّلَمْ:
بالله يا أهل وِدادي قِفُوا كي تُبصروا كيف تزولُ النِعَمْ[٣]

وكان له غلام يؤثرهُ على غيره من غلمانه اسمه «نسيم»، فكتب إليه بعض أصحابه: هل عليَّ لامه مدغمة؟ لاضطرار الوزن في ميم نسيم، فوقّع تحته: نعم ولم لا؟.

وقال منصور الخالدي: كنت ليلة عند التنوخي في ضيافة فاغفى إغفاءة فخرج منه ريح فضحك بعض القوم وانتبه لضحكه، وقال: لعلّ ريحاً فسكتنا من هيبته فسكت ساعة، ثم قال:

إذا نامَتِ العينانِ من مُتَيَقِّظٍ تراخَتْ بلا شَكٍّ تشاريجُ فَتْحَتِه
فمنْ كانَ ذا عَقْلٍ فيَعْذِرُ نائماً ومن كان ذا جَهْلٍ ففي جوفِ لحيته[٤]

ذكرت بهذه قول محمد بن دانيال الكحال في بعضهم:

---

(١) يتيمة الدهر ٢/٣٤١ ـ ٣٤٢، نهاية الأرب في فنون الأدب ١/٧٩، ديوانه/ قطعة ٦٥.

(٢) يتيمة الدهر ٢/٣٤٤، معجم الأدباء ١٤/١٧١، الاعجاز والايجاز ٢٤٩، محاضرات الأدباء ٢/ ٢٩، وفيات الأعيان ٣/٣٦٧، شذرات الذهب ٢/٣٦٣، ديوانه/ قطعة ٨.

(٣) يتيمة الدهر ٢/٣٤٥، معجم الأدباء ١٤/ ١٧١، ديوانه/ قطعة ٨٤.

(٤) معجم الأدباء ١٤/١٧٣، معاهد التنصيص ١/١٣٦، الوافي بالوفيات، ديوانه/ قطعة ١٩.

أمسى الضياء منادمي وحشاهُ لي ... محشوة بغرائب الأَخلاطِ
عصفت عليّ رياحه فوجدتها ... أقوى هبوباً من رياح شباطِ
قد كنت أنعس لانتشاق فسائه ... غشياً فيوقضني بصوت ضراطِ
ما زلت أنشق منه ريحاً منتناً ... حتى استحال إلى الخراء مخاطِي
يا أيّها المفتوق من ارياحه ... هذي النصيحة فيك للخيّاطِ

وأورد الثعالبي في شعر القاضي أبي القاسم التنوخي [من المتقارب]:

وراح من الشمس مَخْلُوقةٍ ... بَدَتْ لكَ في قَدَحٍ من نَهارِ
هواءٌ ولكنّه جامد ... وماءٌ ولكنّه غَيرُ جارِ
كان المدير لها باليمين ... إذا ما للسَّقْي أو باليسار
تدرَّعَ ثوباً من الياسمين ... له فَرْدُكُمٌ من الجُلَّنارِ[(١)]

قال ابن خلكان: وحكى أبو محمد الحسن بن عسكر الصوفي الواسطي، قال: كنت ببغداد سنة إحدى وعشرين وخمسمائة جالساً على دكة باب أبرز للفرجة، إذ جاءت ثلاث نسوةٍ فجلسن إلى جانبي فأنشدت متمثلاً [من المتقارب]:

هواءٌ ولكنّه جامدٌ ... وماءٌ ولكنّه غير جارِ[(٢)]

وسكتّ فقالت لي إحداهن: هل تحفظ لهذا البيت ثانياً؟ فقلت: ما أحفظ سواه، قالت: فإن أنشدك أحد ما قبله وما بعده ماذا تعطيه؟ قلت: مالي شيء فأعطيه ولكنّي أُقبل فاه، فانشدتني الأبيات المذكورة وزادت بعد البيت الأول [من المتقارب]:

إذا ما تأملتَها وهي فيه ... تأمَّلْتَ نوراً محيطاً بنارِ
فهذي النهاية في الأبيضا ... ض وهذي النهاية في الاحمرارِ[(٣)]

فحفظت الأبيات منها، فقالت: أين الوعد؟ تعني التقبيل تريد مداعبتي بذلك.

وقلت أنا في تضمين البيت الثاني من هذه الأبيات [من المتقارب]:

---

(١) يتيمة الدهر ٢/٣٣٨ ـ ٣٣٩، وفيات الأعيان ٣/٣٦٧، ديوانه/ قطعة ٤٠.

(٢) يتيمة الدهر ٢/٣٣٨.

(٣) يتيمة الدهر ٢/٣٣٨ ـ ٣٣٩، وفيات الأعيان ٣/٣٦٧، ديوانه/ قطعة ٤٠.

وقــالــوا بــصــنــعــا هــواءٌ ومــاءٌ ... يـطـيـبـان لـلـمـرء طـيـب الـعـقـاري
فــقــلــت صــدقــتــم ولــكــنّــه ... إذا الــمــال حــل مــحــلّ الــدراري
هـــواء ولـــكـــنـــه جـــامـــدٌ ... ومـــاءٌ ولـــكـــنّـــه غـــيـــر جـــاري

جاري: من الجوار.

وذكر القاضي أحمد بن سعد الدين المسوري[1]: إن ابن المعتز لما قال القصيدة البائية التي أوّلها:

أبــى الله إلاّ مــا تــرونَ فــمــا لــكُــمْ ... غضابى على الأقدار يا آل طالبِ؟

قال القاضي أبو القاسم يجيبه:

مــن ابــن رســولِ الله وابــنِ وَصِــيِّــهِ ... إلى مُدْغلٍ في عُقبةِ الدين ناصبي
نـشـا بـيـنَ طُـنـبـورٍ وزقٍ ومِـزْهَـرٍ ... وفي حِجْرِ شادٍ أو على صدر ضارب
ومـن ظـهـر سـكـرانٍ إلى بطن قينةٍ ... عـلـى شُـبَـهٍ فـي مِـلْـكِـهـا وشـوائـبِ
يعيب علينا خير من وطىء الحصىٰ ... وأكـرم سـار فـي الأنـام وسـاربِ
ويزري على السبطين سبط محمّد ... فقل في حضيض رام نيل الكواكبِ
ويـنـسـب أفـعـال الـقـرامـط كـاذبـاً ... إلـى عـتـرة الـهـادي الـكـرام الأطـايـب
إلـى مـعـشـر لا يـسـرح الـذمّ بـيـنـهـم ... ولا تـزدرىٰ أعـراضـهـم بـالـمـعـايـب
إذ ما انتدوا كانوا شموسَ بيوتهم ... وإن ركبوا كانوا شموس المواكبِ[2]
وإن عَبَسُوا يوم الوغى ضَحِكَ الردى ... وإن ضَحِكوا بكَّوْا عيونَ النوادبِ
نـشـوا بـيـن جـبـريـل وبـيـن مـحـمـد ... وبـيـن عـلـيّ خـيـر مـاشٍ وراكـبِ
رضـيُّ الـنـبـيّ الـمـصـطـفـى ووصـيّـه ... ومـشـبـهـه فـي شـيـمـة وضـرائـبِ
ومـن قـال فـي يـوم الـغـديـر مـحـمـد ... وقد خاف من غدر العداة النواصبِ
أمـا أنـا أولـى مـنـكـم بـنـفـوسـكـم ... فقالوا بلى قول المريب الموارب
فقال لهم: من كنت مولاه منكمُ ... فهذا أخي مولاه قِصدي وصاحبي
أطـيـعـوه طُـرّاً فـهـو عـنـدي بـمـنـزل ... كهارون من موسى الكليم المخاطب

---

(١) ترجمه المؤلف برقم ٢٤.

(٢) في هامش الأصل، بعده:
«وإن تــســألــوا إســحــاق... ... . بــيــت الــمــطــالــب»
الكلمات المنقوطة، غير مقروءة.

وقولا له أن كنت من آل هاشم ... فما كل نجم في السماء بثاقبِ
وإنك إن خوفتنا منك كالذي ... يخوّف أسداً بالظبا الربايبِ
وقُلتَ: بنو حَرْبٍ كسوكُمْ عمائماً ... من الضَّرْب في الهامات حمرَ الذوائبِ
صدقتَ، منايانا السيوفُ وإنّما ... تموتون فوقَ الفَرْشِ موتَ الكواعبِ
أبونا القنا والمشرفيّة أمّنا ... وإخواننا جرد المذاكي الشواربِ
ما للغواني في الوغى؟ فتعوّضوا ... بقَرْعِ المثاني عن قراع الكتائب
وقلت قتلنا عبد شمس فملكهم ... لنا سلب هل قاتل غير سالبِ
فيا عجباً من حارب صار يدعي ... مواريث خير الناس ملكاً لحاربِ
هو السلب المغصوب لا تملكونه ... وهل سالب للغصب إلاّ كغاصبِ؟

ومنها :

وجئتُمْ مع الأولاد تبغونَ إرْثَهُ ... فأبْعِدْ بمحجوبٍ بحاجبِ حاجبِ
ويومَ حُنينٍ قال حُزْنا فخارَهُ ... ولو كان يدري عَدَّها في المثالب
وما واقف في حومة الحرب حائر ... وإن كان وسط الصفّ إلاّ كهاربِ
وما شهد الهيجاء من كان حاضراً ... إذا لم يطاعن قرنه ويضاربِ
فهلاّ كما لاقىٰ الوصي مصمماً ... يعصب بالهندي كبش العضايبِ
وعبت بعميّنا أبانا سفاهة ... وكم لك من عمّ عن الدين ناكبِ
ومثلُ عقيل من عليّ وطالبٍ ... أبو لهب من بعدكم في التقاربِ
ونحن أسرنا عمّنا وأباكُمُ ... فبات بليلٍ مكفهرّ الجوانبِ
وقلت أضعتم ثأر زيد وكنتم ... كسالىٰ كذبتم لا هدى كل كاذبِ
أما ثار فيه الطالبي وجعفر ... فذكرك ركن الموت من كلّ جانبِ
فامطر في جور وفي أرض فارس ... سحائب موت ماطرات المصائبِ
إلى أن رمته عاديات دعاتكم ... بسهم اغتيال نافذ السهم صائبِ
وقلت نهضنا شاهرين شعارنا ... بثارات زيدِ الخيرِ عندَ التحاربِ
وما كان من حبّ لزيد وأهله ... ولكنها تشغيبة من مشاغبِ
دعوتم إلينا عالمين بأنّكم ... مكان الذنابا من ذرى ومناكبِ
فهَلاّ بإبراهيمَ كان شِعارُكم ... فيَرْجِعَ دعواكُمْ بخُلَّةِ خائبِ
وكنّا لكم في كل حالٍ مناهلاً ... عذاباً إذا يوردن خضر الجوانبِ
فلمّا ملكتم كنتم بعد ذلة ... أسوداً علينا داميات المخالبِ

فقل لبني العبّاس عمّ محمّد وعمّ عليّ صنوه في المناسبِ
عزيز علينا أن تدبّ عقاربي إلى معشر الأدنى دبيب العقاربِ
ولكن بدأتم فانتصرت فاقصروا فليس جزاء الذنب مثل المعاقبِ
وليس سواء ذم سيّدة النساء وسبّة مادٍ بالصّفا والأخاشبِ
وقد قال أصحاب النبي محمد له قد هجانا مشركو آل غالب
فقال لهم قولوا كمثل مقالهم فما مبتدٍ في الحرب مثل مجاوبِ[1]

وفيها أبيات لا يليق بجانب العباس رحمه الله حذفتها، ولو كان البادي أظلم.

❀ ❀ ❀

ويريد بالطالبي: ابن جعفر عبد الله بن معاوية الذي مرّ ذكره وكان قيامه قبل أبي مسلم.

وعَنَى بإبراهيم إبراهيم الإمام المشار إليه في ذكر السيد الحميري والذين كانوا يهجون النبيّ ﷺ من قريش: عبد الله الزبعرى السّهمي، وعبد الله بن قميئة وابن عمّه أبو سفيان الحارث بن عبد المطلب وكان أخاً له من الرضاعة أرضعتهما مولاة لأبي لهب ثم أسلم أبو سفيان وحسن إسلامه وثبت يوم حنين.

وأثبت الخطيب في تاريخ بغداد الرواية عن القاضي أبي القاسم المذكور، وذكر فيه أنّه ولد بانطاكية يوم الأحد لأربع بقين من ذي الحجة ثمان وسبعين ومائتين وقدم بغداد، وتفقه على مذهب أبي حنيفة، وسمع الحديث، وتوفي بالبصرة يوم الثلاثاء لسبع خلون من ربيع الأول سنة اثنين واربعين وثلثمائة ودفن من الغد بتربة اشتريت له بشارع المِرْبَد[2] وله ديوان شعر، رحمه الله تعالى.

---

(١) بعض أبياتها في: معجم الأدباء ١٤/ ١٨١، مناقب آل أبي طالب ٢/ ٢٣١ ـ ٢٣٢، روضات الجنات ٥/ ٢١٧ ـ ٢١٨، الوافي بالوفيات ديوانه/ قطعة ١١، الغدير ٣/ ٣٧٧.

(٢) تاريخ بغداد ١٢/ ٧٧ ـ ٧٨، وفيات الأعيان ٣/ ٣٦٨.

الشريف أبو الحسن علي بن الإمام أبي محمّد الناصر لدين الله الحسن الأطروش بن علي بن الحسن بن عمر الأشرف بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الحسيني الديلمي، الأديب الشاعر المشهور.

فاضل خلع على الأدب بفكرته خلعة لؤلؤية، وتجانست كلمته وكلماته فهي علوّية وعُلويّه، وأتى بالجوهر الفرد وهو نظام، واستعبده فصار جوهره غلام.

وكان أشعر أولاد الناصر وأظرفهم، وهو مكثر مجيد طويل النفس، وقد ذكره الثعالبي وغيره وأثنوا عليه، وكان على مذهب الإمامية وعذله والده الناصر فلم يرجع إلى مذهبه، وقد تتبعت ذكره فلم يقع لي سوى هذه القصيدة يرثى بها محمد بن زيد العلوي الملقب بالداعي الصغير[١] أخا الحسن بن زيد الملقب بالداعي الكبير، وكان قتل في وقعة بينه وبين إسماعيل بن نوحِ بن منصور الساماني على باب جرجان، وحمل رأسه إلى بخارى، فقال أبو الحسَن:

نأت دار ليلى بسكّانها ... وأوحش معهد جيرانها
وعاقك عن وصلها عائق ... يرد النفوس بأشجانها
وقد كان موعدنا بالوصال ... إحدى مواعيد إحسانها
وعهدي بها وهي تقتادنا ... بألحاظ أعين غزلانها
معاهد تجمع بين المزور ... والزور عامر بنيانها
كأن الربوع تباهىٰ بها ... بحمرانها وبصفرانها
تسقّى سحائب من صيّب ... بقطقطها وبهتانها
نسيم الصّبا روّعت موهناً ... من النور نوار خوذانها

---

(١) محمد بن زيد بن إسماعيل بن الحسن، العلوي الحسني: صاحب طبرستان والديلم. ولي الإمرة بعد وفاة أخيه الحسن بن زيد (سنة ٢٧٠هـ) وكانت في أيامه حروب وفتن، وطالت مدته. وكان شجاعاً، فاضلاً في أخلاقه، عارفاً بالأدب والشعر والتاريخ. أصابته جراحات في واقعة له مع «محمد بن هارون» من أشياع إسماعيل الساماني، على باب جرجان فمات من تأثيرها سنة ٢٨٧هـ.

ترجمته في: ابن الأثير ٧: ١٦٦ والطبري ١١: ٣٧٠ وما قبلها. والوافي بالوفيات ٣: ٨١، الاعلام ط ٤/٦/ ١٣٢.

فما روضة من رياض الحزون   تروق العيون بأفنانها
نأت دار ليلى فهذي العيون   تروّى العيون بتهتانها
فدع عنك ليلَى وأيّامها   وهيهات شأنك من شانها
فما لك منها سوى غلّة   تقلقل أحشاء ضمآنها
تنيلك منزور معروفها   على المطل منها وليّانها
أنا ابن النبوة عند الفخار   وابن البواهر برهانها
نماني الوصي وجدّي النبيّ   وفاطم أفضل نسوانها
لنا ذروة المجد قد تعلمون   بأعراقها وبأغصانها
ومنّا الفوارس يوم الهياج   والطاعنون بمرّانها
ولما أصبنا بشيخ العشير   ة وابن جلاها ومنّانها
نصبنا لهم مدرهاً في الخطوب   يردّ الأمور لأبّانها
جلا حلة تستدير الرجال   ويقضي فوارج أديانها
كأن نوافذ آرائه   صوائب عن بيض مرنانها
فبات ينابذ آراؤه   ويبلو معاذير عيدانها
يقلّب قلباً له همّة   تجوز السماء بأعنانها
فلما تأمّل أسبابه   وابصر فرصة أمكانها
نحا حبل الديلمي المنيف   يدعو إلى الله رحمانها
يبوح بأسراره معلناً   لأشياخها ولشبّانها
فتابعه منهم عصبةٌ   كأسد العرين بخفّانها
وشمر في نصره، ذو الوفا   جُستانها وابن جُستانها[1]
قيالاً لكلّ حزون العِدا   حتى تملّ بأضعانها
يطيل ويطوي لها بشره   ويدني لها نشر أكفانها
فمالت عساكرنا كالأذى   يصوّبها رحب قيعانها
كأنّ الرجال بأرماحها   نواضخ نشقىٰ بأشطانها
فقل للأولى جهلوا حربنا   اتتكم شماطيط سرعانها
إلى أن نقيم لكم سوقها   ونصليكم حرّ نيرانها

---

(١) الجستان: سمة لملك الديلم وطبرستان.

رويدكم أنّها وقعة … تثار عواقب أعيانها
أتدرون بازمعات النبيط … وحشو هايب بلدانها
بأيّ المحارم أوقعتم … وخالفتم دين ديّانها
بنفسي قتيل بأرض الثغور … غودر رهناً بجرجانها
شرىٰ نفسه برضى ربّه … بروح الجنان وريحانها
فواكبدا أن سلت بعده … وهيهات كيف بسلوانها
أأسى وما في الأسى مطمع … وفي النفس لاعج أحزانها
فيا نفس لا تقنطي إنما … قنوط النفوس بكفرانها
فكم ترحةٍ عندها فرحة … أتتك بأحسن إتيانها

وهذه قصيدة تترك فصاحتها امرىء القيس غريباً ذا قروح، وعبيداً بيوم بوس وهو مذبوح، والإشطان الحبال.

وأشار الثعالبي في كتاب ألّفه لخوارزم شاه أن أبا الحسن المذكور كانت به مع الأدب خلاعة ومجانة.

وروى عن بعض أصحاب الناصر قال: أرسلني الناصر يوماً إلى ولده أبي الحسن علي أعاتبه بسبب المجون فلمّا دخلت عليه وجدته مخموراًوعليه دوّاج سمّور فأَبلغته رسالة الناصر فكشف لي عن أيره وهو مُنعِظ وقال:

قل لمن كان إمامياً … كم إلى كم تترددْ
التمس مافي سراويل … فتى الناصر أحمدْ
فهو القائم يا مغرو … ر من آل محمّدْ

فرجعت إلى الناصر وأَعلمته بما جرى فسكت عن عذله، ويجوز أن يكون أحمد علماً له لا لأبيه فيكون صاحب هذه الواقعة غير أبي الحسن، وفي أئمة زيدية الديلم جماعة تكنّوا بالناصر وإنّما استمدّ الأخير من قول ابن الحجّاج وقد مرّ.

ومحاسن أبي الحسن كثيرة.

ولم أعلم تاريخ وفاته، رحمهُ الله تعالى.

[١١٢]

أبو الحسن علي بن عبد الله بن وصيف الحلاّ المعروف بالناشىء الصغير، الشاعر المشهور، البغدادي(*).

فاضل غلب المعارضين من محاسنه بالبرهان، وأتى بنظم ذهبيّ يتعالى عن كفّة الميزان، عقد الألسن شعره فعلموا أنه سحر، ولم يبق عنده لياقوت الخدود وجوهر الثغور سعر.

وكان إماماً في علوم الكلام على مذهب الشيعة، وأخذ الكلام عن الشيخ أبي سهل إسماعيل بن علي بن نوبخت المتكلّم الإمامي.

قال ابن خلكان: وكان من كبار الشيعة، وكان أبوه عطّاراً، وجدّه وَصِيف مملوك، وكان هو يجلي المداخن النحاس[1].

وقال أبو بكر الخوارزمي أنشدني أبو الحسن الناشىء لنفسه [من الطويل]:

إذا أنا عاتبت الملوك فإنّما أخطُّ بأقلامي على الماء أحرفا
وهبه ارعَوَىٰ بعد العتاب ألم يكن مودته طَبعاً فصارت تكلّفاً؟[2]

وذكر الثعالبي في اليتيمة من شعره [من مجزوء الخفيف]:

يا خليلي وصاحبي من لؤي بن غالبِ
حاكم الحبّ جائر موجب غير واجبِ
لك صدع كأنّما نونه نون كاتبِ

(*) له ديوان شعر محفوظ بمكتبة الإمام الحكيم العامة في النجف برقم ٦١٢، يحتفظ المحقق بنسخة مصورة منه.
ترجمته في:
وفيات الأعيان ٣/٣٦٩ ـ ٣٧١، معجم الأدباء، سير النبلاء ـ خ ـ، الفهرست للطوسي ٨٩، لسان الميزان ٤/٢٣٨، يتيمة الدهر ١/٢٣٢ ـ ٢٣٣، الطليعة ـ خ ـ ترجمة برقم ١٩٤، أمل الآمل ٢/٢٠٨، مناقب آل أبي طالب، أعيان الشيعة ٤١/٣٢٩ ـ ٣٤١، أدب الطف ٢/١٠٨، الاعلام ط ٤/٤/٣٠٤، الغدير ٤/٣٤ ـ ٣٣.

(١) وفيات الأعيان ٣/٣٦٩.

(٢) يتيمة الدهر ١/٢٣٢، وفيات الأعيان ٣/٣٦٩.

يــلــذع الــنــاس إذ تــعــقــ ـرب لــدغ الــعــقــاربِ[1]

وقال ابن خلكان: أن أبا الحسن الناشىء المذكور خرج إلى الكوفة سنة ٣٢٥ وأملى من شعره بجامعها، وكان أبو الطيب المتنبّي يحضر حلقته وهو صبيّ، فكتب من إملائه لنفسه من قصيدة يمدح بها أمير المؤمنين كرم الله وجهه في الجنّة:

كــأن ســنــان ذابــلــه ضــمــيــرٌ فــلــيــس عــن الــقــلــوب لــه ذهــابُ
وصــارمــه كــبــيــعــتــه بــخــمٍّ مـعـاقـدُهـا مـن الـخـلـق الـرقـابُ[2]

فأخذه المتنبي فقال في مديح سيف الدولة بن حمدان:

كـأن الـهـام فـي الـهـيـجـا عـيـونٌ وقـد طُـبـعـت سـيـوفـك مـن رقـادِ
وقـد صُـغْـنَ الأسـنّـة مـن هـمـوم فـمـا يـخـطـرن إلاّ فـي فـؤادي[3]

قلت: لكن متانة شعر الناشىء وأنه السابق فضحت المتنبي وأول قصيدة الناشىء:

بـآلِ مُـحـمّـد عـرف الـصَّـوابُ وَفِـي أَبْـيـاتِـهِـمْ نَـزَلَ الـكِـتَـابُ
وهـم حـجـج الإلٰـه عـلـى الـبـرايـا بـهـم وبـجـدّهـم لا يـسـتـرابُ
ولا سـيـمـا أبـو حـسـن عـلـيّـاً لـه فـي الـمـجـد مـرتـبـة تـهـابُ
طـعـام حـسـامـه مـهـج الأعـادي وفـيـض دم الـرقـاب لـه شـرابُ[4]

وبعد البيتين المذكورين:

هـو الـبـكـاء فـي الـمـحـراب لـيـلاً هـو الـضـحـاك إن جـدّ الـضـرابُ
هـو الـنـبـأ الـعـظـيـم وفـلـك نـوح وبـاب الله وانـقـطـع الـخـطـابُ

والعامة تنسب هذه الأبيات إلى عمرو بن العاص، ويقولون: إنه قالها لمّا عزله معاوية عن مصر وهو من أفحش غلطهم.

وكان الناشىء أحد شعراء سيف الدولة، ولمّا عزم على مفارقته من حلب وقد غمره بإحسانه كتب إليه يودّعه:

---

(١) يتيمة الدهر ١/٢٣٣.
(٢) وفيات الأعيان ٣/٣٦٩ ـ ٣٧٠.
(٣) وفيات الأعيان ٣/٣٧٠.
(٤) معجم الأدباء ١٣/٢٩٠ وفيه البيت الأول فقط، وبيتين غيره كاملة في الغدير ٤/٢٥ ـ ٢٧.

أودِّع لا إنـــي أودِّع طـــائـــعـــا وأعطى بكرهي الدهر ما كنت مانعا
وأرجع لا ألقى سوى الوجد صاحباً لنفسيَ إن ألفيت بالنفس راجعا
تحملت عنّا بالصنائع والعلا فنستودع الله العلا والصنائعا
رعاك الذي يرعى بسيفك دينهُ ولَقَّاكَ روض العيش أخضَرَ يانعا[1]

ومن حُرّ شعره وحكمته:

إنِّي ليهجرني الصديقُ تجنباً فأريه أنّ لهجره أسبابا
وأخاف أن عاتبته أغريته فأرى له تركَ العتاب عتابا
وإذا بليتُ بجاهل متغافلٍ يدعو المحال من الأمور صوابا
أوليته منّي السكوتَ وربّما كان السكوتُ عن الجواب جوابا[2]

وأورد له الثعالبي أيضاً ثم أوردها لأبي محمد المنجّم [من المتقارب]:

إذا لم تنل هِمَمَ الأكرمين وسعيهمُ وادعاً فاغترب
فكم دعَة أتعبت أهلها وكم راحةٍ نُتجت من تعبِ[3]

وذكر ابن خلكان أنه ولد سنة إحدى وسبعين ومائتين وتوفي سنة ست وستين وثلثمائة ببغداد[4]، رحمه الله تعالى.

❀ ❀ ❀

والناشىء الكبير هو أبو العباس عبد الله بن محمد الأنباري المعروف بابن سرشير الشاعر المشهور[5]، وكان من أئمة الكلام في مذهب المعتزلة والمنطق

---

(١) يتيمة الدهر ١/ ٢٣٢، وفيات الأعيان ٣/ ٣٧٠، كاملة في ديوانه ٢ ـ٣.
(٢) وفيات الأعيان ٣/ ٣٧٠ ـ ٣٧١.
(٣) يتيمة الدهر ١/ ٢٣٢ له، وفي ٣/ ٣٩١ لأبي محمد المنجم.
(٤) وفيات الأعيان ٣/ ٣٧١.
(٥) مرّت ترجمته بهامش سابق، له ديوان شعر حققه الأستاذ هلال ناجي في مجلة المورد البغدادية مج ١١/ ١٩٨٢ ع١ وما بعده.
ترجمته في: وفيات الأعيان ٣/ ٩١ ـ ٩٣، النجوم الزاهرة ٣/١٥٨، طبقات الشعراء ٤١٧، مروج الذهب ٣/٤٥٣، العبر للذهبي ٢/ ٩٥، تاريخ بغداد ١٠/ ٩٣، المنتظم ٦/٥٧، الأنساب ٥٥١، شذرات الذهب ٢/ ٢١٤، إنباه الرواة ٢/٥/ ١٢٨، البداية والنهاية ١١/ ١٠١، هدية العارفين ٤٤٢، مقدمة ديوانه بقلم المحقق هلال ناجي.

والعروض وغيره، وكان بقوّة فطنته قد نقص علل النحاة ومثّل العروض بغير أمثلة الخليل وقد أشرنا إليه في حرف التاء وذكرنا له طرديّة، وله في جارية مغنيّة [من المتقارب]:

فَـدَيْـتُـكِ لـو أَنَّـهـم أنـصـفـوكِ ... لـردُّوا الـنـواظـرَ عـن نـاظـريْـكِ
تَـرُدِّيـنَ أعـيـنـنـا عـن سِـواكِ ... وهـلْ تـنـظـرُ الـعـيـنُ إلاَّ إلـيـكِ
وهـم جـعـلـوك رقـيـبـاً عـلـيـنـا ... فـمـن ذا يـكـون رقـيـبـاً عـلـيـكِ؟!
أَلـم يـقـرأُوا وَيْـحَـهُـمْ مـا يَـرُونَ ... مِنْ وَحي حُسنِكِ في نَـاظَـريْـكِ[1]

وبين بغداد والأنبار عشرة أيام، والأنبار من الجانب الغربي، والله أعلم.

[١١٣]

أبو الحسن علي بن محمد بن عبد العزيز الكاتب التهامي، الشاعر المشهور، وقيل كنيته أبو الفتح(*).

فاضل اشتهر بالنظم المليح، وجال بكميته العالي في رياض من الألفاظ فسيح، فشعره قبلة في جبين حسناء الأدب، وقبلة لمن حج البيت الخليل وطلب.

وقال ابن بسّام في كتاب الذخيرة: كان مشتهراً بالأحسان، ذرِبَ اللسان، مخلّى بينه وبين ضروب البيان، يدل شعره على ورى القِدْح، دلالة بَرْد النسيم على الصبح، ويُعْرب عن مكانةٍ من العلوم، إعرابَ الدَمع بسرّ الهواء المكتوم[2].

---

(١) المنتظم ٦/٥٨، شذرات الذهب ٢/ ٢١٤ ـ ٢١٥، تأريخ بغداد ١٠/ ٩٣، ديوان المعاني ٢/ ٢٢٨ ـ ٢٢٩، البصائر والذخائر ٢/ ٦٢١، إنباه الرواة ٢/ ١٢٩، وفيات الأعيان ٣/ ٩٢، ديوانه/ قطعة ٩٢.

(*) له ديوان شعر مطبوع.
ترجمته في:
وفيات الأعيان ٣/٣٧٨ ـ ٣٨١، الذخيرة، تتمة اليتيمة ٤٨ ـ ٥٣، النجوم الزاهرة ٤/ ٢٦٣، العبر للذهبي ٣/ ١٢٢، شذرات الذهب ٣/ ٢٠٤، بروكلمان التكملة ١/ ١٤٧، دمية القصر ١/ ١١٠ ـ ١٢٦، روضات الجنات ٤٦١، تأسيس الشيعة ٢١٥، تاريخ ابن الوردي ١/ ٣٣٧، مرآة الجنان ٣/ ٣٠، معجم البلدان ٢/ ٥١٨ ـ ٥١٩، أنوار الربيع ١/ ٦٢.

(٢) الذخيرة وفيات الأعيان ٣٧٨ ـ ٣٧٩.

وقال ابن خلكان: وله ديوان شعر صغير أكثره نُخب، ومن لطيف نظمه من جملة قصيدة طويلة يمدح بها أبا القاسم المغربي المذكور في الحاء[1].

قلت لخلّي وثغور الرّبا ... مبتسمات وثغور الإقاحْ[2]
أيّهما أحلى ترى منظراً ... فقال: لا أعلم كلٌّ أقاحْ[3]

وله أيضاً:

كم قلتُ: إياك الحجازَ فإنه ... منعت جآذره بصَيْد أُسودِهِ
وأَردتَ صيدَ مهى الحجاز فلم يُسا ... عدك القضاء فصرت بعض صيُوده[4]

وله في عقد كلمة مشهورة حكمة:

بين كريمين مجلسٌ واسعْ ... والودُّ حال يقرِّبُ الشاسع
والبيت إن ضاق عن ثمانية ... متسعٌ بالوداد للتاسع[5]

وله وهو من نوافع الحكمة:

وإذا جفاك الدهر وهو أَبو الورى ... طرًّا فلا تَعْتب على أولادِهِ[6]

وأورد له الصفدي هذا البيت في الغيث متعجباً من حسنه:

وعصابة مال الكرى برؤسهم ... ميل الصبا بذوايب الأغصان[7]

فإن العصابة الجماعة، ومع ذكر الرؤوس المائلة من الذوائب أوهم بذكر العصابة التي هي الجوهر أو المنديل ونحوه.

وأمّا الانسجام فيتكسر النهر حسداً له وفيه حسن التشبيه المنزوع الأداة.

وأما قصيدة أبي الحسن التهامي في ولده الصغير، فإنّها تشجي الجماد،

---

(١) ترجمه المؤلف برقم ٥٧.
(٢) في الوفيات: «الملاحْ».
(٣) وفيات الأعيان ٣/ ٣٧٩.
(٤) وفيات الأعيان ٣/ ٣٨٠.
(٥) وفيات الأعيان ٣/ ٣٨٠.
(٦) وفيات الأعيان ٣/ ٣٨٠.
(٧) الغيث المسجم.

وتشق رأس اليراع، وتلبسه من المداد الحداد. ألاّ أن ابن خلكان ذكر: أنه منعه من إيرادها أنّ الناس يقولون أنّها محدودة فتبعناه، وأي مخلوق لا تصيبه المصائب وأوّلها [من الكامل]:

حُكْمُ المنيَّةِ في البريَّةِ جارِي ... ما هذه الدُّنيا بدار قَرارِ
وَمُكَلِّف الأيام ضدَّ طِباعِها ... مُتطلِّبٌ في الماءِ جَذْوَةَ نارِ
طُبِعَتْ على كَدَرٍ وأنتَ تُريدُها ... صَفْواً من الأَقْذاءِ والاكْدارِ
وإذا رجَوْتَ المستحيلَ فإنّما ... تَبْنِي الرَّجاء على شَفِيرٍ هَارِ
إنّي لأَرحَمُ حاسِدِيَّ لَحِرِّما ... ضَمَّتْ صدورُهمُ من الأَوْغارِ
نَظَرُوا صَنِيعَ الله بي فَعيُونُهمْ ... في جَنَّةٍ، وقلوبُهُمْ في نارِ

منها:

يا كوكباً ما كان أَقْصَر عُمْرَهُ ... وكذاك عُمْرُ كواكبِ الأَسْحارِ
جَاورْتُ أعدائِي وجاورَ ربَّه ... شَتَّانَ بين جوارِهِ وجَوارِي
وتَلَهُّبُ الأحشاء شَيَّبَ مفرقي ... هذا الشُواظُ دُخانُ تلك النارِ[1]

هذا وليس على ترتيب الناظم وإنّما واليته هنا.

وأقول: إن الزمن الغادر، والجد العاثر، والليالي اللساعة، والأيام التي ما ملّت حربي ولا ساعة، فجعتني في شهر جمادى، بما كان لصحة فرحي وأنسي ذا[2]، فابتزت غصني الناظر، وفقأت من إنساني الناظر، وفجعتني بسليلي، واضرمت بنارها غليلي، وذهبت بولدي هلالاً، واطفأت من كوكبي الزاهر ذبالاً، وبلغت فيّ مناها، وسعّرت نيران أحزاني بهواها، وكنت عليه أَحذر الموت وحده، فلم يبق لي شيء عليه أَحذره، غصن آن نوّاره فقصف، وهلال قارب أن يكمل فخسف، وتشوقه الروض فساخ، ونجم أردت الأنس بشعاعه فباخ:

سألونا أن كيف نحن فقلنا ... مَنْ هَوى نجمه فكيف يكون؟

فسحقاً لدهر أرانيه بعد النضارة ذابلاً، وبعداً لمجنون زمان غدا للسانه بعد

---

(١) دمية القصر ١/ ١١٤ ـ ١٢٢، الكشكول للبهائي ٢/ ٢٨٠ ـ ٢٨٢، وفيات الأعيان ٣/ ٣٧٩ ـ ٣٨٠، كاملة في ديوانه ٤٦١ ـ ٤٧٣ وقد رتّبها مؤلف النسمة حسب رغبته.

(٢) كذا في الأصل.

الفصاحة عاقلاً، وكم طنّبت عليه حذراً منه ورفعت خِبَا، حتى أناخ عليه في ليلة لا يعرف الكلب وهو الدهر من ظلمائها الطنبا، فمنعه الكلام، وسقاه الحمام، وما رحم يده النحيلة، ولا حداثته التي لا تعرف غير الشكا إلى الله حيلة، ولا رثى لقوّته الواهية، ولا رقّ مني ومن أمه لباكٍ وباكية، ولا والله ما قبض غير روحي، ولا ربح غير ذميّ له ما عشت وقبيحي، وكان قد بلغ من السنين عشراً، وقارب هلاله أن يكون بدراً، وحفظ من القرآن إلى المدثر، فأمسى بالتراب مدثراً، فأعجب لبقائي برغمي بعده، ولا تسل من دم قلبي وعيني عما جرى، فعند الله احتسبه راحلاً بسروري، ومزايلاً لأملي في أمّ ذفرٍ وغروري، وكان مما قطع قلبي حسرات، وسيّل بالدماء العبرات، أنّي أردته على أكل شيء في مغرب الليلة التي فارقني آخرها، فقال: أكثر الله خيرك، ولا والله مرّت قبل على لسانه، ولا عاشرها كما يقول الضيف الراحل، ولم يسغ ذلك المطعوم وليس المدنف بأكل، وكانت ليلة الأربعاء الرابع عشر من جمادى الأولى سنة أربع عشرة ومائة وألف فهي الليلة المشؤومة المنحوسة عندي ولا شك ولا خلف، وأن كان الثواب بقدر المصاب من ذي المنّة، فما ثوابي في مصيبتي الدائمة إلا الجنة، واسمه إسحاق بن يوسف بن يحيى[1] وجاءت قصيدة من السيد العلامة العارف بدر الدين محمد بن عبد الله بن الحسين بن المنصور[2] ضحوة صباح مواراته بل مواراة حياتي وسأذكرها إن شاء الله في حرف الميم. وهي على روي أبيات ابن التهامي ووزنها، فاذكرنيها فقلت وأنا في سكرات الأحزان، قول العاني المحروب الولهان:

ضاقت عليّ رحيبة الأقطارِ ... ومضى اصطبار حشاشتي ووقاري

لما ارتحلت إلى البلا قسراً وما ... قد كنت تدري شدّة الأقسارِ

والله ما أبكي لحزني والجوى ... وحرارتي وشواظ قلبي الواري

إلا لسقمك والذي قاسيته ... تلقاي من ضيق وحرّ أوارِ

عشر وخمس ذوّبتك كأنها ... نار تذوّب منك صفو نضارِ

حتى اغتديت وكنت بدراً كاملاً ... مثل الهلال عشيّة الإفطارِ

بأبي أنينك ذاك ملء مسامعي ... وتململ اليمنى وذات يسارِ

---

(١) ابن المؤلف، ترجمته في نشر العرف ٢/ ٩٦٠ ـ ٩٦٣.

(٢) ترجمه المؤلف برقم ١٥٤.

وشكاك لي بضعيف صوتك علة ... وإجابتي بالمدمع المدرارِ
ألبست ثوب الدّا وكنت مؤملاً ... لبس القباء مرصع الأزرارِ
وقصفت غصناً حين أورق وابتدت ... تفتر منه مباسم الأنوارِ
وسقيت سمَّ الحادثات ولم يَفد ... إطفاؤه بمدامعِ الأنهارِ
عللٌ قَوين على ضعيف باهتٍ ... وعقرنه وهَدَيْنَ بالعقّارِ
خفقان قلب والتهاب جوانح ... منعاه طيب الليل والأبكارِ
يا وحشتي لنحيل جسم ذابلٍ ... أودت به الأخطار كالخطّارِ
وجميل وجه كان جنَّة خاطري ... وفقدته فعرفت طعم النارِ
لم يبق منه السقم غير بقيَّة ... لولا الأنين خفَتْ على الزُّوارِ
ودعوت لي قبل الوداع وليتها ... قُبلت لك الدعوات في الأسحارِ
ليلات أدعو الله في ستر الدجى ... ببقاك وهو غناي يا ديناري
وتؤمن الدمعات وهي سواقط ... دررٌ على خَدّي وسمط دراري
والله ما خيري وقد فارقتني ... إلاّ لحوقك نحو تلك الدارِ
لا قدس العمر الذي هو واصلي ... من بعد ما حجبوك بالأحجارِ
وعلى لذيذ العيش إذ ودعتني ... مني سلام الموجع المنهارِ
قد كنت لي الذخر النفيس فقدته ... في فاقتي العظمى وفي إقتاري
مالي دعوتك في الظلام مردّداً ... إسحاق فاستعجمت عن أخباري
مالي حسستك بارداً من بعد ما ... أمسيت من حُمّاك في إسعارِ
ما بال نرجس مقلتيك مُغَمِّضاً ... هذا أوآن تَفَتُّح الأزهارِ
أشرِبتَ كِأس الموت قبلي راضياً ... أم ذقته بالعنف والإجبارِ
عكس القضا ظَنّي وكنتُ مؤملاً ... أن ليس غيرك لي يكون مواري
مالي نبذتك بالعراء ولم يكن ... نبذ العزيز صنائع الأحرارِ
لو أنني مُكّنت كان بمهجتي ... مثواك لم أنبذك كالغدّارِ
من لي برؤيا ما نقلت إليه من ... أنس تسرُّ به وحسن جوارِ
هل تمرح الأطفال حولك مثلما ... قد كنت لا تنفك إلف صغارِ
من وارثي إذ ذقت ما سقيته ... ومن الذي تحييٰ به أشعاري
وبقايَ بعدكَ مثل موتي قبله ... أقبح بعيش الحزن والأكدارِ
كنت الحياة فمذ تَولَّت غَصَّةٌ ... ماذا الذي أبغيه في الآثارِ
رُكناي ثُلاً عمّك الماضي وقد ... اتبعته كتتابع الأقمارِ

أما السلوُّ فلست من أصحابه   ولحاقك المرجو من الجبّارِ[(١)]

هذا قصار ما يصنع المولّه فما استطعت أن أحفظه من المنيّة حولاً. ولا حول ولا قوة إلاّ بالله.

وعمّه هو زيد بن يحيى[(٢)] فإنّه أوّل من سخنت به المقلة، وكان تعاويذي الشعر والمعلم لي فخلفني من بعده الأبله، فعلى الدنيا بعدهما العفا، وما مناي بالعيش بعد فراق إخوان الصفا.

وكتب إلى الشيخ الفاضل شعبان بن سليم[(٣)] في التعزية بهذه المصيبة:

يا نفس ذوبي أساً يا دمع لا تقفِ   حتّى مَ صون اللالىء منك في الصدف

أبعد إسحاق أبقى منه باقية   هيهات من بعده الأرزاء لم أخفِ

لو يفتدى فايتٌ بالروح جدتُ بها   فمنتهى أربي من بعده تَلَفِي

لهفي لمصباح علياء به عصفت   ريح المنون ولن يقوى لها قطفي

وزهرة في رياض المجد مذ فتحت   مدّ الزمان إليها كفّ مقتطفِ

مضى وخلَّف في قلبي وفي كبدي   ضرام نارين من حزني ومن أسفي

وحلّ من جنّة الفردوس حيث يشا   تحفّه الروح والريحان في غرف

صبراً أبا أحمد في حادث جللٍ   فلطف ذا الصبر في هذا المصاب خفي

لو دام في الدهر حال لا انقلاب له   لم تنتقل شمسه عن نقطة الشرف

هذا وحقك حال الدهر فاغن به   وعظاً ومن وعَّظته الحادثات كفي

ما نحن إلاّ لأسلاف مضوا خَلفاً   وعن قريب وقد صرنا من السلفِ[(٤)]

ودفن ذلك الغصن الذاوي في بستان الدار، وبعد أربعة أيام نقل إلى مقبرة البكيرية بحكم الأقدار، فقال الفاضل شعبان بن سليم أيضاً:

لئن نقلت من البستان محتملاً   على الرؤوس إلى مستودع ثاني

فأنت غصن أراد الله منبته   فيما يخيَّر من جنّات عدنان

وذكر ابن خلكان: أن بعض أصحاب أبي الحسن التهامي رآه في النوم فقال

---

(١) نشر العرف ٢/ ٩٦١ ـ ٩٦٣.

(٢) ترجمه المؤلف برقم ٧٤، ترجمته أيضاً في نشر العرف ١/ ٧٠٠ ـ ٧٠٧.

(٣) ترجمه المؤلف برقم ٨٥.

(٤) تكملتها في نشر العرف ١/ ٧٦٠، والقصيدة كاملة في ترجمة شعبان بن سليم برقم ٨٥.

له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي، قال: بأيّ الأَعمال؟ قال: بقولي في مرثية ولدي الصغير:

جاورت أعدائي وجاور ربّه شتّان بين جواره وجواري[1]

وكان من شعراء الدولة الفاطمية بمصر، وقتل سرّاً بخزانة البنود بالقاهرة المعزّية، بسبب كتب جاء بها مستخفياً من حسان بن مفرّج الطائي المشار إليه في ترجمة الوزير المغربي[2] وكان متوجهاً إلى بني قرة فظفروا به فسجن وقتل في تاسع جمادى الأولى سنة ست عشرة وأربعمائة، [3]رحمه الله تعالى.

قلت: لقد فجع جمادى الأولى من التهامي بالزّهر الشعري، ومن ولدي هذا بالكوكب الدري، ولأمر ما ضربت العرب بشدّته الأمثال.

والتهامي نسبة إلى خطة تهامة وهي مكة وما دون جبل الشراة من ناحية الغرب إلى ناحية مكة لا غير، فإن جبل الشراة يمتد كما قال الجاحظ إلى الجبل الأقرع بانطاكية. ومنها ومن القصائد المحدودة قصيدة أبي الوليد بن زيدون النونية التي عاتب فيها ولادة:

تكاد حين تناجيكم ضمائرنا يقضي علينا الأسى لولا تأسينا

وهي من المحاسن.

قال شيخنا العلامة الحسن بن الحسين[4] رحمه الله: وقعت التجربة إن من حفظ مقامات الحريري لا يموت الا غريباً، وهيهات أن يفرّ من القدر أحدٌ، ونسأل الله المغفرة.

---

(١) وفيات الأعيان ٣/ ٣٨١.

(٢) ترجمه المؤلف برقم ٥٧.

(٣) وفيات الأعيان ٣/ ٣٨١.

(٤) ترجمه المؤلف برقم ٤٥.

أبو الحسن سيف الدولة علي بن عبد الله بن أحمد بن حمدان بن الحارث بن نعمان بن راشد بن المثنى بن رافع بن الحارث بن عطيف ابن محرثة ابن حارثة بن مالك بن عبيد بن عدي بن أسامة بن مالك بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب التغلبي، ملك حلب والثغور ودمشق وحمص وغيرها من ديار الشام وبلاد بكر(*).

فاضل تجمعت فيه خصال الكمال التي زانها الأدب، وسيف يرضّع السور أخلاف الدم في انعام الكفّار من حلب، وعارض تصعق سوابجه العاديات ضبحاً بالروم وتبرق، وإذا كتب عليهم سطور الجيوش جعل العنوان في قذال الدمشق، والكرم الذي يخجل الغمام، والأدب الذي ينبي بما قاله زياد في الهمام.

وكان أوائل بني حمدان من وجوه قوّاد الخلفاء ببغداد.

وكان الحسين بن حمدان قد قتل وزير المقتدر بالله حامد بن العبّاس وهزم غلمانه، وولي عبد الله بن المعتز يوماً وانتقض أمرهم.

واجتمعت في سيف الدولة متفرقات خلال المجد، فكان حاتم بالنسبة إلى كرمه بخيلاً، وعنترة إذا قيس بشجاعته ذليلاً، وسحبان باهلة في جنب فصاحته باقلا، وكان عال تحت عماد قدره المرتفع إلى الثريّا سافلا، فلو قصرت العرب الفخر به أغناها، وأراحها من ذكر أولاها من الكرام وأخراها، وتغلب سيف الدولة على ما كان في يده.

وقال الثعالبي في اليتيمة بعد كلام نفيس في وصفه وصفة عشيرته: وسيف الدولة فخر سيادتهم، وواسطة قلادتهم، وكانت حضرته كعبة الوفود، ومطلع

(*) ترجمته في: يتيمة الدهر ١/ ١٥ ـ ٣٤، العمدة لابن رشيق، تأريخ حلب لابن طي، وفيات الأعيان ٣/ ٤٠١ ـ ٤٠٦، مناقب آل أبي طالب، أعيان الشيعة ٤١/ ٣١٣ ـ ٣٢٧، زبدة الحلب ١/ ١١١ ـ ١٥٢، المنتظم ٧/ ٤١، العبر للذهبي ٢/ ٣٠٥، شذرات الذهب ٣/ ٢٠، الطليعة ـ خ ـ ترجمة رقم ١٩٢، أنوار الربيع ٤/ ٧٩، الاعلام ط ٤/ ٤/ ٣٠٣ ـ ٣٠٤.

وأخباره في الكتب التاريخية مثل: تكملة الهمداني، وتجارب الأمم، والكامل لابن الأثير، وقد جمع (كانار) مجموعة في أخباره بعنوان (الأمير سيف الدولة الحمداني) ط الجزائر ١٩٣٤.

الجود، وقبلة الآمال ومحطّ الرحال، وموسم الأدباء، وحلبة الشعراء، ونجوم الدهر، وإنما السلطان سوق يجلب إليها. ما ينفق لديها، وكان كلّ من أَبي محمد عبد الله بن محمد الفياض الكاتب وأبي الحسن علي بن محمد السميساطي قد اختار من مدائح الشعراء له عشرة آلاف بيت[١].

قلت: لا مزيد على علوّ همّة المتنبي ومع ذلك كان من خدمه، ولا يوجد في شعره أفضل من السيفيات.

وأورد الثعالبي لسيف الدولة [من الطويل]:

وساقٍ صَبيح للصَّبُوح دعوتُه ... فقام وفي أجفانه سِنَةُ الغُمْضِ
يطوف بكاساتِ العُقار كأنجُم ... فمِنْ بين مُنقَضّ علينا ومنفضّ
وقد نشَرَت أيدي الجنوبِ مَطارفاً ... على الجوِّ دُكناً والحواشي على الأرض
يُطَرّزُها قوسُ الغمام بأصفَرٍ ... على أحمرٍ في أخضر تحت مُبْيَضّ
كأذيال خَوْدٍ أقبلت في غَلائلٍ ... مُصَبَّغة، والبعضُ أقصَرُ من بعضِ[٢]

أَجمع أَهل الأدب أن هذا من التشابيه الملوكيّة التي لا تقع للسوقة.

وما أَحسن قول شهاب الدين فتيان الأسدي الشاغوري الدمشقي[٣] في جنّة الزبداني، وهو جبل بناحية دمشق يتراكم عليه الثلج في الشتاء، وينبت أصناف الزهر في الربيع:

قد أَجْمَدَ الخمرَ كانونٌ بكلّ قَدَحْ ... وأَخْمد النار في الكانون حِينَ قَدَحْ
يا جنّة الزبَداني أنت مسفرة ... بحسن وجه إذا وجه الزمان كلَحْ
فالثلج قطنٌ وكفّ الريح تجمعه ... والبرق يحلجه والقوسُ قوسُ قُزَحْ[٤]

وقول الشيخ علاء الدين الوداعي الآتي ذكره[٥]:

---

(١) يتيمة الدهر ١/١٥ ـ ١٦.

(٢) يتيمة الدهر ١/٣١، وفيات الأعيان ٣/٤٠٢.

(٣) ترجمته في: وفيات الأعيان ٤/٢٤ ـ ٢٦، مطلع البدور ١/٢٨، النجوم الزاهرة ٦/٢٢٦، شذرات الذهب ٣/٦٣، خريدة القصر/قسم الشام ١/٢٤٧، معجم البلدان: مادة (شاغور).

(٤) وفيات الأعيان ٤/٢٥، ديوان فتيان ٩٤.

(٥) ترجمه المؤلف برقم ١٢٣.

يوم يقول بصبحه ... قوموا احمدوا الله الأحدْ
قزح كمحرابٍ بدا ... والبرق قنديل وقدْ
والرعد فيه مسبح ... حبّات سبحته البرد

لقد علا قدر الوداعي إلى فوق السحاب بهذا السحر الحلال.

وقيل لأشعب: هل رأيت أطمع منك؟ قال: نعم، شاة لي صعدت إلى السطح فرأت خضرة قوس قزح فظنّته قتّاً فوثبت إليه فسقطت فاندق عنقها.

والقتُّ: القصب.

ومن شعر سيف الدولة [من الطويل]:

تجنى عليَّ الذنب والذنب ذنبه ... وعاتبني ظلماً وفي شقه العتبُ
وأعرض لما صار قلبي بكفه ... فهلا جفاني حين كان لي القلبُ[1]!

وكانت لسيف الدولة جارية من بنات ملوك الروم يكاد أن يستصحب لحاظها في مغازيه بدلاً عن صارمه، فحسدها بقيّة حظاياه وعزّ من على اغتيالها بسمّ أو نحوه فنقلها إلى بعض الحصون إحتياطاً، وقال [من الخفيف]:

راقَبَتني العيونُ فيكِ فأشفقـ ... ـت ولم أخْلُ قطُّ من إشفاقِ
ورأيتُ العدوَّ يَحْسُدُني فيـ ... ـك مجداً يا أنفسَ الأعلاق
فتمنيتُ أن تكوني بعيداً ... والذي بيننا من الودّ باق
رُبَّ هجر يكون من خوف هجرٍ ... وفراقٍ يكون خَوْفَ فراق[2]

وله أيضاً [من الوافر]:

أقَبِّله على فَزَع ... كشرب الطائر الفزِعِ
رأى ماءً فأطْمَعَهُ ... وخاف عواقب الطمع
وصادَفَ خُلسة فدَنا ... ولم يلتذَّ بالجُرَعِ[3]

وله أيضاً [من المديد]:

---

(١) يتيمة الدهر ١/ ٣٢ ـ ٣٣.
(٢) يتيمة الدهر ١/ ٣٢، وفيات الأعيان ٣/ ٤٠٢.
(٣) يتيمة الدهر ١/ ٣٢، وفيات ٣/ ٤٠٣.

قد جرى من دمعه دمه ... قال لي كم أنت تظلمه؟
رد عنه الطرف منك فقد ... جرحته منك أسهمه
كيف يَسْطِيعُ التجلد من ... خطرات الوهم تؤلمه؟[1]

وله في وصف نار الكانون [من المنسرح]:

كأنّما الجمر والرماد معاً ... وضوؤها في ظلامه يحجب
وجنَةُ عذراء مسّها خجلٌ ... فاستترت تحت عنبر أشهب[2]

قال أبو الحسن علي بن رشيق القيرواني في العمدة: لما أنشد أبو الطيب المتنبي سيف الدولة القصيدة التي منها [من الطويل]:

وقفت وما في الموت شك لواقفٍ ... كأنك في جفن الردى وهو نائمُ
تَمرُّ بك الأبطال كلمى هزيمةً ... ووجهك وضاح وثغرك باسمُ[3]

قال له سيف الدولة: إنا قد انتقدنا عليك بيتيك هذين كما انتقد على امرء القيس في قوله [من الطويل]:

كأني لم أركب جواداً للذّةٍ ... ولم أتبطَّن كاعباً ذات خلخالِ
ولم أسبأ الزق الرويَّ ولم أَقُلْ ... لخيلي كرّي كرّة بعد إجفالِ[4]

فقال أبو الطيّب: أيد الله الأمير، إنما قرن امرؤ القيس لغرة النساء بلذّة ركوب الخيل للصيد، وقرن السماحة بالشجاعة للائتلاف، وأنا لمّا ذكرت الموت اتبعته بذكرالرداء ليجانسه، ولما كان وجه المنهزم عبوساً وعينيه باكيةً، قلت «ووجهك وضّاح» لأَجمع بين الأَضداد، وهذا الانتقاد والجواب لا يردان إلاّ عن إمامين في الأدب.

ومدحه مشاهير الشعراء وفحولهم كالمتنبي، والسري الرفاء، والنامي، وأبي الفرج الببغا، وأبي فراس، والوأواء الدمشقي، وأبي هاشم وأبي عثمان الخالديين، والنامي، والزاهي، وأبي بكر الخوارزمي، والقاضي التنوخي وغيرهم

---

(١) يتيمة الدهر ١/٣٣.
(٢) يتيمة الدهر ١/٣٤.
(٣) يتيمة الدهر ١/٢١.
(٤) يتيمة الدهر ١/٢١.

ممن يطول ذكره، وكان معروفه شهيراً، ونوء نواله غزيراً، وكان يصل إلى بغداد وإلى سائر النواحي من يعرف فاقته من أرباب الفضائل.

وله صنَّف أبو الفرج كما مرّ كتاب الأغاني، وكان من كبار الشيعة.

وذكر ابن أبي طي في تاريخ حلب: أن سيف الدولة هو الذي عمَّر مشهد الدكّة بظاهر حلب بسبب أنه رأى نوراً على مكانه، وهو بأحد مناظره في حلب، فلما أصبح ركب إلى هناك وأمر بالحفر فوجد حجراً مكتوباً عليه هذا المحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب فجمع العلويين وسألهم، فقال بعضهم: أنهم لما مرّوا بالسبي أيام يزيد من حلب فطرحت نساء الحسينعليه السلام بهذا الولد فعمَّره سيف الدولة وقال: إن الله أذن لي في عمارته على اسم بنت نبيّه، ويعرف الموضع بالجوشن.

وقال الشريف محمد بن أسعد الجوّاني النسابة: أوّل من قال في الأذان بالليل محمدٌ وعليٌّ خير البشر، الحسين بن علي بن محمد بن علي بن إسماعيل ابن الحسين بن زيد بن الحسين بن علي بن أبي طالبعليه السلام، أذَّن بذلك في حلب في أيام سيف الدولة سنة سبع وأربعين وثلثمائة ولم يزل الأذان كذلك إلى أيام محمود بن زنكي الملقب نور الدين فمنع ذلك.

وكانت ولادة سيف الدولة يوم الأحد حادي عشر ذي الحجة سنة ثلاث أو واحداً وثلثمائة.

وتوفي يوم الجمعة في الساعة الثالثة، وقيل الرابعة لعشر بقين من صفر سنة ست وخمسين وثلثمائة، ونقل إلى مَيَّافارِقينَ ودفن في تربة أمّه، وكان يجمع الغبار الذي يقع عليه أيام غزواته للروم حتى اجتمع منه لبنة بقدر الكفّ فأوصى أن يجعل خدّه عليها في قبره فنفذت وصيّته، [1] رحمه الله تعالى.

وكان قبل أن يملك الشام ملك واسط وتلك النواحي بالعراق ثم انتزع حلب من أحمد بن سعيد الكلابي نائب الاخشيدية، والله أعلم.

---

(١) وفيات الأعيان ٣/ ٤٠٥.

السيد أبو الحسين علي بن المتوكل على الله أبي [على] إسماعيل بن المنصور بالله القاسم بن محمد، الأمير الحسني صاحب تعز وجبله وما بينهما(*).

فاضل انتشر صيته فطاب نشره، وابتسم أدبه كما ابتسم بشره، وقام بالفضائل قيام الجواهر بالأعراض وصانها بنداً. وخلقهما حياضاً ورياض، وكان عظيم القدر كريم الرياسة، وعنده نحو أربعة ألاف جندي خيلاً ورجلاً وله دار ضرب، وكان والده ولاّه تلك النواحي بعد وفاة أبي الحسن إسماعيل بن محمد ابن الحسن ووالده وأخيه عماد الدين يحيى بن محمد فإنه تتابع موتهم، ثم أقرَّة عليها المهدي أحمد بن الحسن، وأضاف إليه زيادة، وكان فيه ذكاء يشتعِل قبسه إشتعال الكواكب، وأخذ عن والده المتوكل وعن غيره، وكانت حضرته مألفاً لأهل الأدب والظرف، ومدحه الشيخ الأديب محمد بن الحسين المرهبي الآتي ذكره(١)، ومشاهير الشعراء كاليافعي(٢)، والينبعي(٣)، والهندي(٤)، والسمحي وكان عارفاً بأحوال الملوك السالفين، فكانت هيئته هيئة خاصة وحشمة ملوكية، وله الشعر النفيس والمنهج الرئيس، فمن شعره مبادياً لأخيه ضياء الدين يوسف ابن المتوكل على الله(٥):

لما رنا ظبي الخميلهْ ... أضنا بمقلته الكحيلهْ
رشأ تودُّ الشمس أن ... تحكي محاسنه الجميلهْ
والبدر يهوىٰ أنّه ... يلقى لرؤيته وسيله
وكذا السيوف إذا حكت ... ألحاظه عادت كليله
وشذاه لو حكت الصّبا ... سحراً لما دعيت عليله

(*) تتمة نسبه في الترجمة رقم ١٣.
(١) ترجمه المؤلف برقم ١٤٣.
(٢) ترجمه المؤلف برقم ٢.
(٣) ترجمه المؤلف برقم ٢٦.
(٤) مرّت ترجمته بهامش سابق.
(٥) ترجمه المؤلف برقم ١٩٧.

والغصن لما اختال أن يحكي القوام بكل حيله
ناديتِ يا غصن الأراكة لست من هذي القبيلهْ
يا برق إن جئت النقا ورأيت من قرب مخيله
فهناك مربعه وها تيك السفوح غدت مقيله
بلغه أشواقي وقل واحذر وقوفك أن تطيله
فعساه يسعف صبّه ويبل باللقيا غليله
أولا فأُنهي قصّتي لأخي المقامات الجميلهْ
أعني ضياء المكرمات وصاحب الرتب النبيلهْ

[و] منها:

جاءتك أبكار تزفُّ إلى علاك المستطيله
سالت بمدحك رقةً تختال في ثوب المخيله
جاءتك وهي قليلة والمدح للفئة القليلهْ

وله وفيه التورية:

أثارت شجا قلبي المشوق حمامة وناحت وما باحت بأسرار شوقها
تنوح على غصن وتبدي كآبة وهيهات ما حمل الهوى تحت طوقها

وكتب إلى والده المتوكل لما صُدّ حاج اليمن عن الدخول إلى مكة:

لعمرك ليس يدرك بالتواني ولا بالعجز غايات الأماني
فما نيل المعالي قطّ إلاّ ببيض الهند والسمر اللدّاني
وعزم دونه الشمّ الرواسي وحزم لم يكن أبداً بواني
أمير المؤمنين وخير ملك تبوّأ في العلا أعلى مكانِ
وتاج بني البتول ومنتقاهم وأكرم معتلٍ ظهر الحصان
أترضى أن ترى في الدين هوناً ويثلم ركنه في ذا الأوان
ويمنع وفد بيت الله منه ويضحى الخوف في مأوى الأماني
وأنت خليفة الرحمٰن فينا وأنت حسامه في ذا الزمان
ونحن به لعمر الله أولى ونحن الشايدون به المباني
فلا تركب بنا ظهر الهوينا ولا تجنح إلى ظلّ الأماني

وهي طويلة.

وله وقد رأى مع بعض أصحابه رمحاً طويلاً:

ما بطول القناة يعرف ذو الباس ... ولا باللباس زين الرجالِ
إنّما الباس طردك الخيل بالخيل ... وطعن الكماة والأبطالِ
في مجالٍ غدا به النقع كالليل ... وأضحت نجومه من فصال
يوم لا بارق سوى لمع سيف ... وَدْقُهُ سال من دماء الرجال

وله أيضاً:

ظَبْيٌ أتاني في الصّباح مقبّلاً ... كفي وآثار النعاس عليه
في مطرف من أرجوانٍ صبغه ... أرخىٰ حواشيه على خدّيهِ
كالبدر في شفق وليس نعاسه ... إلاّ لأن الخمر في شفتيهِ

وله أيضاً:

ظبي من الأنس غدا مفرطاً ... في تيهه والدلّ والعجبِ
قلت له يوماً وقد رمت أن ... يرشفني من ريقه العذبِ
إياك والإفراط إني امرؤٌ ... لا أرتضي ملك الهوى قلبي
فمذ رأت غيضي وقد راعها ... تبسمت عن لؤلؤ رطبِ
ثم أثنت نحوي وقالت أما ... تعفو فقد أقررت بالذنبِ
قلت لها عطفاً فقد بان من ... سيوف ألحاظك لي غلبي

قلت: ما تهدّد الحبيب، فليس يليق بالأديب، وفضائله كثيرة وأدبه مشهور.

وكان من كُتّابه السيد الأديب عماد الدين يحيى بن إبراهيم بن جحاف[1]، والشيخ محمد بن حسين المرهبي[2] الآتي ذكرهما، وهما نجما الأدب، وقد عرفت أن بطانه الرجل إنّما هم من أشكاله، ولم يزل بتلك البلاد ناشر العلم، ماضي السيف والقلم، حتّى حامت عليه المنيّة، ونزلت بمحاسنه من كيد الدهر البليّة، فمرض بيريم من ذات الجنب أو من البرسام فحمل إلى إبّ، وفيها ساوره

---

(١) ترجمه المؤلف برقم ١٩٠.

(٢) ترجمه المؤلف برقن ١٤٣.

الحمام في يوم الجمعة لثلاث خلون من شهر رمضان سنة ست وتسعين وألف[1] ودفن في قبّة الكاظمي، وذلك في أيام أخيه المؤيد بالله بن المتوكل رحمهم الله تعالى، والله سبحانه أعلم.

[١١٦]

أبو القاسم، علي بن إسحاق بن خلف الزاهي البغدادي الشاعر المشهور[*].

فاضل شعره كلقبه زاهي، تفاخر به الأدب سائر الفضائل، وتباهي له قلائد لو انتطقت بها الجوزاء لما التقمتها الغرب، تسيل رقّة وكل قلب إلى عيونها صبّ، وكان شيعياً شاعراً مشهوراً فاضلاً.

وقال ابن خلكان: أن أكثر شعره في أهل البيت[2] وذكره الثعالبي في اليتيمة[3].

وذكره الخطيب أبو بكر في تاريخ بغداد وقال: كان حسن الشعر في التشبيهات وغيرها، وأحسب شعره قليلاً وأشار إلى أنه كان قطاناً بقطيعة الرّبيع في دكان[4].

قال ابن خلكان: وذكره عمدة الدولة أبو سعيد عبد الرحيم في طبقات الشعراء وقال: ديوان شعره في أربعة أجزاء وأكثر شعره في أهل البيت عليهم السلام،

---

(١) في هامش ج: «وجاء تأريخ وفاته: (وتحيتهم فيها سلام) ٨٦٩+ ٢٢٧=١٠٩٦».

(*) له ديوان شعر صغير بخط الشيخ محمد السماوي نسخته بمكتبة الإمام الحكيم العامة في النجف برقم ٦١٢، يحتفظ المحقق بنسخة مصورة منه.

ترجمته في:

يتيمة الدهر ١/ ٢٣٣ ـ ٢٣٥، وفيات الأعيان ٣/ ٣٧١ ـ ٣٧٣، المنتظم ٧/ ٥٩، تأريخ بغداد ١١/ ٣٥٠، سير النبلاء، الطليعة ـ خ ـ ترجمة رقم ١٧٦، أعيان الشيعة ٤١/ ٦٥ ـ ٦٩، أدب الطف ٢/ ٥١، الاعلام ط ٤/ ٤/ ٢٦٣، الغدير ٣/ ٣٨٨ ـ ٣٩٨، مناقب آل أبي طالب، معالم العلماء، مرآة الجنان ٢/ ٣٤٩، مجالس المؤمنين ٤٥٩، بحار الأنوار ١٠/ ٢٥٥، الكنى والألقاب ٢/ ٢٥٧.

(٢) وفيات الأعيان ٣/ ٣٧١.

(٣) يتيمة الدهر ١/ ٢٣٣ ـ ٢٣٥.

(٤) تاريخ بغداد ١١/ ٣٥٠، وفيات الأعيان ٣/ ٣٧١.

ومدح سيف الدولة والوزير المهلبي وغيرهما من رؤساء وقته، وقال في جميع الفنون، وأورد له:

صدودك في الهوى مَنَعَ استتاري ... وعاونه البكاء على اشتهاري

وقد ذكرتها في أول كتابي هذا إلاّ قوله آخرها:

وكم في الناس من حسنٍ ولكن ... عليك لشقوتي وقع اختياري

ومن تشابيهه البديعة في البنفسج:

ولا زَوَرديَّةٍ تزهو بزُرقتها ... بين الرياض على زرق اليواقيت

كأنها فوق طاقات ضعفن بها ... أوائل النار في أطراف كبريت[١]

وقال الثعالبي: أنشدني أبو سعيد[٢] نصر بن يعقوب في كتابه «روائع التشبيهات وبدائع التوجيهات»[٣] لأبي القاسم الزاهي المذكور [من البسيط]:

الريح تعصف والأغصان تعتنق ... والمزن باكية والزهر معتبق

كأنّما الليل جفن والبروق له ... عين من الشمس تبدو ثم تنطبق[٤]

وله في الأترج [من البسيط]:

وذات جسم من الكافور في ذهبٍ ... زرّت عليه حواشيه بمقدارِ

كأنها وهي قدّامي ممثّلة ... في رأس دوحتها تاج من النّارِ[٥]

وله في العذار [من الكامل]:

لولا عذارك ما خلعت عذاري ... ولكنت في وزرٍ من الأوزارِ

ما كنت أحسب أن أعاين أو أرى ... تخطيط ليلٍ في بياض نهارِ

حتى نظرت إلى عذارك فاغتدىٰ ... سقم القلوب ونزهة الأبصار

وتركت قولي في الوعيد لأجله ... وعزمت فيك على دخول النّارِ[٦]

قلت: يؤخذ من هذا أنه كان زيدياً لأن الامامية ينفون الوعيد.

---

(١) وفيات الأعيان ٣/ ٣٧١ ـ ٣٧٢.

(٢) في اليتيمة: «أبو سعد».

(٣) في اليتيمة: «روائع التوجيهات من بدائع التشبيهات».

(٤) يتيمة الدهر ١/ ٢٣٤.

(٥) يتيمة الدهر ١/ ٢٣٥.

(٦) يتيمة الدهر ١/ ٢٣٤.

قال الثعالبي: وأنشدني له بيتاً مفرداً [من الكامل]:

من كان آدم مجملاً في سنه ... هجرته حواء السنين من الدُّمىٰ[1]

وآدم بحساب الجمل = (٤٥) وحواء = (١٥). ولقد أجاد ورَاعَىٰ النظير بما لا نظير له.

وأورد له ابن خلكان:

وبيض بألحاظ الجفون كأنَّما ... هززن سيوفاً واستللن خناجرا

تصدَّيْن لي يوماً بمنعَرَح اللِّوىٰ ... فغادرن قلبي بالتصبّر غادرا

سفرن بُدُوراً وانتقينَ أهلَّةً ... ومِسنَ غصوناً والتفتن جآذرا

وأطلَعْنَ في الأَجياد بالدرّ أَنْجما ... جُعلن لحبّات القلوب ضرائرا[2]

وله في صفة الخمرة الأبيات العينية التي مرّت في حرف الهمزة، وهذه الأَشعار تنادي بفضله نداء الرعد بوبله.

وتوفي يوم الأربعاء لعشر بقين من جمادى؟ سنة اثنتين وخمسين وثلثمائة ببغداد ودفن بمقابر قريش، رحمه الله تعالى[3].

وكانت ولادته في شهر صفر سنة ثماني عشرة وثلثمائة، والله سبحانه أعلم.

[١١٧]

أبو الحسن علي بن [أبي] سعيد عبد الرحمٰن بن أحمد بن يونس بن عبد الأعلى الصدفي المصري المنجّم المشهور[*].

فاضل نادم الملأ الأعلى ذهاباً بنفسه، وأدرك ما رمز به أهل الكيمياء من

---

(١) يتيمة الدهر ١/ ٢٣٥.

(٢) وفيات الأعيان ٣/ ٣٧٢، أعيان الشيعة ٤١/ ٦٦.

(٣) في تاريخ بغداد أنه توفي بعد سنة ستين وثلثمائة، وذكره مؤلف المنتظم في وفيات إحدى وستين وثلثمائة.

(*) في الأصل اسمه: «أبو الحسن علي بن سعيد بن عبد الرحمن» وما أثبتنا من وفيات الأعيان. ترجمته في: وفيات الأعيان ٣/ ٤٢٩ ـ ٤٣١، طبقات صاعد ٥٩، أخبار الحكماء ٢٣٠، شذرات الذهب ٣/ ١٥٦، تاريخ الفلك عند العرب لنلينو ١٨٦ ـ ٢٨١، تراث العرب العلمي لقدري طوقان ٢٤٣ ـ ٢٤٨.

قمره وشمسه، وأتى بلؤلؤٍ عنّ على سواه وخفي، وأفضل الجوهر اللؤلؤ الصدفي، وكان من أصحاب الخلفاء الفاطميين الاسماعيلية.

وذكره ابن خلكان وقال: هو صاحب الزيج الحاكمي المعروف بـ«زيج ابن يونس»، وهو زيج كبير رأيته في أربع مجلّدات، بسط القول والعمل فيه ولم أرَ في الأزياج على كثرتها أبسط منه، وذكر فيه أن الذي أمره بعمله العزيز بن المعزّ.

ومن شعره وهو رقيق:

أُحَمِّلُ نشر الريح عند هبوبه رسالةَ مشتاق لوجهِ حبيبه
بنَفْسيَ مَنْ تحيا النفوسُ بقُرْبْهِ ومن طابت الدنيا به وبطيبه
لعَمْري لقد عطلتُ كأسي بعدهُ وغَيّبْتُها عني لطول مغيبه
وجدَّدَ وجدي طائف منه في الكرى سَرى مَوْهناً في خفية من رقيبه[1]

وقال الأمير عز الدين المسبّحي في تاريخ مصر: كان ابن يونس المذكور أبله مغفّلاً يعتمُّ على طرطور كبير ويجعل رداه فوق العمامة، وكان طويلاً، وإذا ركب ضحك منه الناس لشهرته وسوء حاله، ورثاثة لباسة، وكانت له مع هذه الهيئة إِصابة بديعة غريبة في النجامة لا يشاركه فيها غيره، وكان أحد الشهود، وكان متفنّناً في علوم كثيرة وكان قد أفنى عمره في الرصد والتسيير والمواليد وعمل منها مالا نظير له، وكان يضرب بالعود على جهة التأدب[2].

وذكر المختار أيضاً قال: أخبرني أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله قال: دخل إليّ ابن يونس يوماً وعليه خفّان غليظان خلقان يضحكان الرائي ولم ينزعهما من رجله حتى قرب إلى سريري وخلعهما على بساطي وقبّل الأرض وانصرف وأنا أضحك منه وأعجب من تغفيله[3].

قال ابن خلكان: وذكر من شاهده وقد صعد إلى جبل المقطم، ثم نزع ثيابه ولبس ثياباً حمراً، ودخّن ببخور وأخذ العود، وضرب به ورقصَ، وهو يلاحظ

---

(١) وفيات الأعيان ٣/ ٤٣٠.
(٢) ن.م.
(٣) وفيات الأعيان ٣/ ٤٣١.

الزهرة، ومما يناسبها لبس ثياب الحرير النساوية واللهو فكان عجباً من العجب[1].

ورأيت في تاريخ مصر لجلال السيوطي في إصابات ابن يونس الغريبة قال: ومنها أن الحاكم أعطاه داراً بمصر محكمة العمارة فسكنها أياماً، ثم دخل يوماً على الحاكم فقال: يا أمير المؤمنين أحبّ أن تأخذ الدار التي أعطيتني وتعوضني منها، قال: ولم ذاك؟ قال: لا أريدها، فأمر له الحاكم بدار أُخرى فانتقل منها، ولم تمض ثلاثة أيّام حتى أَقبل سيل لم يعلم مثله ولا عهد فسال بتلك الدار وحدها وسلم ما حولها فعجب منه الحاكم غاية العجب.

ومن إصابته: إنّه حفر قبل موته لنفسه قبراً في دهليز داره وبيَّضه وكان ينزل إليه فيتفقده ويقرأ فيه شيئاً من القرآن، فلمّا كان صبيحة الليلة التي مات فيها جمع أهله وكتب وصيّته وهو صحيح لا علّة فيه ثم ودّعهم، وقال: إني ميّت بعد ثلاث ساعات، واغتسل ولبس أكفانه، ونزل القبر وجعل يقرأ سورة الإخلاص ويهلّل، فلمّا كان بعد ثلاث ساعات فاضت نفسه، رحمه الله تعالى.

ووالده هو صاحب تاريخ مصر المعروف بتاريخ ابن يونس[2] وذكر المختار: أَنه توفي في شوال سنة تسع وتسعين وثلثمائة فجأة، ودفن بداره[3].



والصَدفي بفتح الصاد والدال المهملتين وبعد الدال فاء: نسبة إلى الصدف قبيلة من العرب نزلت مصر أيام الفتوح الإسلامي، والله سبحانه أعلم.

---

(١) وفيات الأعيان ٣/ ٤٣٠.

(٢) ترجمة والده في وفيات الأعيان ٣/ ١٣٧ ـ ١٣٨، فوات الوفيات ١/ ٥٢٦، تذكرة الحفاظ ٨٩٨، العبر للذهبي ٢/ ٢٧٦، شذرات الذهب ٢/ ٣٧٥، حسن المحاضرة ١/ ١٤٧، الرسالة المستطرفة ١٣٣.

(٣) وفيات الأعيان ٣/ ٤٣١.

الشريف أبو الحسن، علي بن محمّد بن جعفر بن محمد بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن بي طالب‌ﷺ الحسيني الكوفي الحمّاني.

فاضل كفاه شعره في الحماسة والغزل عن الألحاظ والثغور، وكادت الجواري الكنّس حدّاً لفكرته أن تغور، له كلّ معنى ترك ذو الفطنة معنّى، فهو أحلى من التهويم إلى المقلة الوسنا وأسنىٰ.

قال ياقوت الحموي: وكان في العلوية من الشهرة في الشعر والأدب والطبع كعبد الله بن المعتز في العبّاسيّة، وكان يقول: أنا شاعر وأبي شاعر وجدّي شاعر إلى أبي طالب.

وقد ذكر له الثعالبي في متفرقات كل مقطوع فصيح ومعنى مليح، ويعجبني قوله [من مخلع البسيط]:

أحسن من نيلك التمنّي ... وأخذ ملك بلا تعنّي

مقال معشوقة لصبّ ... تيمها آه فرّ عنّي[١]

ومن شعره [من المتقارب]:

إذا غبت لم تفقد الغائبين ... وإن غبت كنت فريداً وحيدا

(*) كان من العلماء الأعلام، وخطيباً مصقعاً، وشاعراً مفلقاً، جليل القدر، شجاعاً صريحاً.

توفي سنة ٣٠١هـ، كما ذكرت ذلك أغلب المصادر وقيل غير ذلك. له ديوان شعر صنعه د. محمد حسين الأعرجي ونشره في مجلة المورد البغدادية مج ٣/ع٢/ ١٩٩ ـ ٢٢٠، وآخر صنعه مزهر السوداني ونشره في مجلة كلية الآداب، جامعة البصرة مج ٧/ع٩/ ٢٩١ ـ ٣٤٣.

ترجمته في: عمدة الطالب ٣٠٠، الغدير ٣/ ٥٧ ـ ٦٨، سمط اللآلي ١/ ٤٢٩، الأنساب ٤/ ٢٣٥ ـ ٢٣٦، أخبار القضاة ٣/ ١٩١ ـ ١٩٣، مجمع الآداب ٤/ هـ ١٠٤، الطليعة ـ خ ـ ترجمة رقم ١٩٩، الوافي بالوفيات ٢/ ٢٩٥ ـ ٢٩٦، محاضرات الأدباء ٣/ ٣٤٣، ديوان المعاني ٢/ ٦٦، سمط النجوم العوالي ٤/ ٢٢٤، مروج الذهب ٤/ ١٥٠ ـ ١٥٣، الكامل لابن الأثير ٥/ ٣٧٣، حوادث سنة ٢٦٠هـ، معجم البلدان ٤/ ٣٢١، الموشح ٥٢٩ ـ ٥٤٤، تأسيس الشيعة ٢١٦، أعيان الشيعة ٤٢/ ٥٠ ـ ٥٣، هدية العارفين ١/ ٦٧٣ وفيه أنه توفي سنة ٢٤٥هـ، أنوار الربيع ٢/ ٣٣٢، الاعلام ط ٤/ ٤/ ٣٢٤. كتب عنه الأستاذ مزهر السوداني بحثاً في مجلة البلاغ الكاظمية السنة ٣/ ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م ع٢/ ٣٤ ـ ٤١.

(١) شعره صنعة السوداني/ قطعة ٧٥.

تباعد نفسي إذا ما بعدت ... فليس تعاود حتى تعودا
أشبّهك البدر حسناً فما ... تناقض حسنك حتى يزيدا
محَى حسن وجهك عنّي الملام ... وأسكت طرفك عنّي الحسودا[(١)]

وأورد له أبو تمّام في مادة الحماسة [من البسيط]:

يسترسل الضيف في أبياتنا أنساً ... فليس يعلم قومٌ أيّنا الضّيفُ
والسيف إن قسته يوماً بفاتكنا ... في الروع لم يدر عزماً أيّنا السيف[(٢)]

وأورد له أيضاً فيها [من المتقارب]:

وإنا لتصبح أسيافنا ... إذا ما اصطبحن بيوم سفوك
منابرهن بطون الأكفّ ... واغمادهن رؤوس الملوك[(٣)]

وقال أبو الفرج الأصبهاني: دخل أبو الحسن الحمّاني المذكور على محمد ابن طاهر وقد هنّا الناس بقتل يحيى بن عمر الحسيني وجاؤوا برأسه، إليه فدخل وجوه أهل الكوفة يهنونه بالفتح، فلمّا مثل بين يديه قال: أيها الأمير جئتك مهنياً بما لو كان رسول الله ﷺ حيّاً لعزّي به، ثم قال [من الوافر]:

قتلت اعزّ من ركب المطايا ... وجئتك استلينك في الكلام
وعزّ عليّ أن ألقاك إلاّ ... وفيما بيننا حدّ الحسام

فتغيّر وجه الأمير وسكت[(٤)].

وذكر الثعالبي: أنّ أبا الحسن الحمّاني مرّ على دور بني طاهر وقد سلبها الدهر البهجة، ونزل بها من غدره رجة، فقال:

---

(١) ديوان المعاني ١/٢٣١، ديوانه صنعة الأعرجي/قطعة ٢٥، شعره صنعة السوداني/قطعة ٢٦.

(٢) الزهرة ١٦، أعيان الشيعة ٤٢/٥٢، بهجة المجالس ٢٩٦ البيت الأول نسبه إلى صاحب الزنج، شعره صنعة السوداني قطعة ٥٢، ديوانه صنعة الأعرجي/ملحق الشعر المنسوب له قطعة ٢.

(٣) ديوان المعاني ٢/٥٠، نهاية الأرب ٦/١٩٣، عمدة الطالب ٣٠١، سمط النجوم العوالي ٤/ ١٢٤، أنوار الربيع ٤/١٤٥، أعيان الشيعة ٤٢/٥٠، شرح الحماسة ١/٢٧٦ بلا عزو، شعره صنعة السوداني/قطعة ٥٤، ديوانه/ ملحق الشعر المنسوب له/ قطعة ٣.

(٤) مقاتل الطالبيين ٦٦٣، والشعر في: مروج الذهب ٤/١٥١، زهر الآداب ١/٩٠، تأريخ طبرستان ١/٢٢٧ ـ ٢٢٨، الملل والنحل ١/٢٥٨، ديوانه صنعة الأعرجي/قطعة ٧٣، شعره صنعة السوادني/ قطعة ٦٠.

مـــررت بـــدور بـــنـــي طـــاهـــر بـــدور الـــســـرور ودور الـــفـــرحْ
فـــشـــبـــهـــت ســـرعـــة أيـــامـــهـــم بـــســـرعـــة قـــوس يـــســـمّـــى قُـــزَحْ
تـــألّـــق مـــعـــتـــرضـــاً فـــي الـــســـمـــاء قـــلـــيـــلاً ومـــا دام حـــتـــى مـــصـــحْ[1]

ومسح ومصح: ذهب.

وقال الحريري في «درّة الغوّاص»: أن بعض النحاة دخل على أبي الحسين النضر بن شميل الإمام المشهور عايداً له فقال في جملة دعائه: مسح الله ما بك، فقال له النضر: قل مصح الله بالصاد، فقال: الصاد تبدل من السين فيقال الصراط والسراط وسرَط وصَرَط، وكان يكنى بأبي صالح فقال له النضر: فأنت إذاً أبو سالح فخجل، وذلك أنّها لا تبدل إلاّ إذا وليت الطاء والخاء والغين والقاف ولو كان بينهما واسطة كالألف المذكورة ومثل صخر وسخر ومسبغة ومصبغة وسيقل وصيقل.

ومحاسن الحماني كثيرة.

❁ ❁ ❁

والحِمّاني بكسر الحاء المهملة وتشديد الميم وبعد الألف نون ثم ياء النسبة: نسبة إلى محلة بالكوفة نزلها بنو حِمّان بن سعد بن زيد مناة بن تميم واسمه عبد العزى، وكان أبو الحسن نازلاً بها.

قال ياقوت الحموي في معجم البلدان: وقد سكن هذه المحلة من نسب إليها وإن لم يكن من القبيلة[2].

[١١٩]

أبو الحسن علي بن عبد الله بن جعفر بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن جعفر الطيّار بن أبي طالب رضي الله عنهم، الشريف الجعفري الحجازي[*].

فاضل رقَّ شعره كرِّقة أخلاقه، وأَطلق بذهنه عقد الأدب من وثاقه، يسفر

(١) الثعالبي، محاضرات الأدباء ٣/ ٣٨٤، التشبيهات ٢٥٨، أنوار الربيع ٢/ ٣٣٣، الغدير ٣/ ٦٤، ثمار القلوب ٢٤ ـ ٢٥، ديوانه صنعة الأعرجي/ قطعة ١٥، شعره صنعة السوداني/ قطعة ١٣.

(٢) معجم البلدان: مادة «حمان».

(*) ترجمته في: الأغاني ط الثقافة ٢٢/ ٢٢٤ ـ ٢٢٧.

شعره عن أصباح نيسان، ويتمايل سامعه لسجوع ورقه تمايل الأغصان، وهو أحد شعراء الأغاني، وشعره عذب المذاق، كأنّما هو حلاة طيب العناق.

وقال أبو الفرج في حقّه: هو شاعر حجازي ظريف، وحبسه المتوكل مع الطالبيين[1].

وأورد من شعره المختار لأغاني الخلفاء:

والله لانـظـرتْ عـيـنـي إلـيـكَ ولـو سـالـتَ مـساربُـهـا شَـوقـاً إلـيـكَ دَمَـا
إن كنت خنتُ ولم أَضمر خيانتكمْ فـالله يـأخـذ مـمّـن خـانَ أو ظَـلَـمَـا
سـمـاحـة لـمُـحـبٍّ خـان صـاحـبَـه ما خان قطُّ محبٌّ يعرفُ الكَرَمَا[2]

قال: وحدَّث علي بن عبد الله الجعفري المذكور، قال: مكثت في الحبس مدّة فدخل عليّ رجل من الكتّاب يوماً، فقال: أريد هذا الجعفري الذي تَديَّث[3] في شعره. فقلت: إليّ فأنا هو، فعدل إليّ وقال: جعلت فداك! أَحب أن تنشدني بيتيك اللذين تديَّثت فيهما، فأنشدته:

ولـمـا بَـدا لـيْ أَنـهـا لا تـحـبُّـنـي وأَنَّ هـواهـا لـيـس عـنـهـا بـمُـنْـجَـلِ
تـمـنَّـيـتُ أَن تـهـوىٰ سـواي لـعـلَّـهـا تـذوقُ حـراراتِ الـهـوى فـتـرقَّ لـي

قال: فكتبها، ثم قال: إسمعْ جعلت فداك بيتين قلتهما في الغيرة، فقلت: هاتهما فأنشدني:

ربّــمــا ســرَّنــي صــدودك عــنِّـي فـي طـلابـيـكِ وأمـتـنـاعِـكِ مـنِّـي
حـذراً أن أكـون مِـفـتـاح غـيـري وإذا مـا خـلـوت كـنـت الـتَّـمَـنِّـي[4]

قال: وقال أبو الحسن الجعفري: مرَّت بي إمرأة في الطواف، وأنا أنشد صديقاً لي:

أَهوىٰ هوىٰ الدين فاللذاتُ تعجبني فـكـيـف لـي بـهـوى الـلـذات والـدّيـنِ؟

---

(١) الأغاني ط الثقافة ٢٢/ ٢٢٥.
(٢) الأغاني ٢٢/ ٢٢٤.
(٣) تديّث: فقد الغيرة والخجل، أظهر الفساد والفجور.
(٤) الأغاني ٢٢/ ٢٢٥ ـ ٢٢٦.

فالتفتت إليَّ وقالت: دع أيَّهما شئت وخذ الآخر[1].

وأورد له أبو الفرج:

وقف الهوى بي حيثُ أنتِ فليسَ لي ... متأخَّرٌ عنهُ ولا متقدَّمُ
أجدُ الملامةَ في هواكِ لذيذةً ... حبّاً لذكرك فليلُمني اللُّوَّمُ
أشبهتِ أعدائي فصرتُ أُحبُّهمْ ... إذا صار حظّي منكِ حظِّي منهمُ
وأهنتِني فأهنتُ نفسيَ صاغراً ... ما مَنْ يهون عليك ممّن تُكْرَمُ[2]

أجاد في هذا الجوهر المتّسق، والزهر الفايح المعتبق، وقد نسبها في الأغاني أيضاً لأبي الشيص الخزاعي عمّ دعبل[3]، والله أعلم.

[١٢٠]

السيد جمال الدين علي بن الحسين بن محمد بن صلاح بن بدر الدين الحسني الصنعاني الدار والمولد[*].

فاضل له شعر نفيس، يداوي علل الهموم وهكذا الرئيس، فكم بيت له فرد ماله ثاني، بناه على الإحسان في الصّناعة، فللّه ذلك الصانع الباني، ذو خاطر يشتعل لكن بغير نار، بل بالرياض ذات الأنوار، وفكرة إذا ولدت على الأوراق يتايم الدرر، وجرىٰ لها القلم، جاءت بجنّات تجري من تحتها الأنهار، سفر شعره سفور البدر، ولم يتكلف وبلغ أشدَّه في حسن النظم والعمر ومن العجب كيف يسحر بالنظم ويتعفف.

وهو من بيت كبير من السادة الحسنية باليمن.

وكتب إليّ هذه القصيدة الرقيقة، لا بل السيدة الحرّة وإن كانت المدامة العتيقة، وكان قد سمع على بعض شروح الكافية مع جماعة من أهل النباهة بصنعاء وهي هذه:

---

(١) الأغاني ٢٢/٢٢٦.
(٢) الأغاني ٢٢/٢٢٧.
(٣) أنظر الأغاني ١٦/٤٣٥.
(*) ترجمته في: نشر العرف ٢/٢١٣ ـ ٢١٤.

نداماي قد غنىٰ على البانة القمري وجاوبه الشحرور من جانب القصرِ
وقد صافحت أيدي الصبا نشر عنبر فمرّت به عفواً علينا ولم تدرِ
ولما شدا صاح الهزار مغرّداً على فنن من فوق أغصانه الخضرِ
فصفقت من جور الصبابة والهوى وقلت لخلّي أبسط العذر للعذِر
وقم هاتها صهباء من بحر دنّها لنشهدها بكراً على وجهك البدرِ
فما ألطف الصفراء من كف أبيض وما أروق الحمراء من في كأسها الخمري
بعينيك سقّيني على صوت مزهرٍ لنسمع نظم الدر من ثغرك الدرّ
ودعني من تذكار سلع وحاجرٍ وصف لي من ذكراه يشفى به صدري
حديث النقى يا بدر كرّره منشداً وسلسل عن مكحولها وعن الزهري
ضياء الهدى بحر الندىٰ علم التّقَىٰ وأكرم ماشٍ في الملا يوسف العصرِ
له الله ما أسخاه في بذل ماله إذا جاءه الملهوف يشكو من الفقرِ
يقول له لا تأس وابشر فإنّني سأعطيك ما يكفيك شراً من الفقر
لقد حاز ما حازته آباؤه الذي لهم من أياد الله تاج من النصرِ
وقد خصّه رب العبَاد بأنعم ومولده يا صاح في ليلة القدرِ
ونال علوم الأولين وفضلهم فمن صدره يقرى ومن داره يقري
إذا ما علا يوماً على ظهر أدهم فللّه كم تروى به ذابل السمرِ
فكم غزوة بالعاديات على العدىٰ ضحاء وفي الليل البهيم وفي العصرِ
وكم روعت أكبادهم خوف يوسف على هل أتى بالنصر خوفاً من النحرِ
فلو كان في أيّام طه وحيدرٍ لما ثبت الكفّار يوماً على الكفرِ
ولو كان في أيام صفّين ما اعتدىٰ معاوية ذاك اللعين أبو الغدرِ
علىٰ المرتضى أعني عَلِيّاً وسبطه فمن فعله في القلب أذ كىٰ من الجمرِ
ودم في نعيم مستمر مؤيّد ولا زلت في نَعْمَاء بالشفع والوترِ[1]

وأحسن فيها ما شاء.

وأنشدني له هذه القصيدة أنشأها في المواهب على لسان صديق له يمتدح بها الإمام المهدي ويخطه على قتال قبائل الشرق، وهي أيضاً من أمتن الشعر بل كادت تزاحم رائية أبي تمّام بالمناكب ويقول:

---

(١) بعض أبياتها في نشر العرف ٢/٢١٣ ـ ٢١٤.

وإنّي وإن كنت الأخير زمانه .... الخ الأبيات

وقصيدة أبي تمام المشهورة يرثي بها محمد بن حميد الطوسي لما قتل في حرب بينه وبين بابك الخرمي الخارج بخراسان أيام المعتصم بالله محمد بن هارون الرشيد، ومطلع قصيدة أبي تمام:

كذا فليجل الخطب وليفدح الأمرُ فليس لعين لم يفض دمعها عذرُ

وشهرة حال بابك لا تحتاج إلى الإيضاح، والقصيدة التي للمذكور:

إليك أتى السعد المؤيد والنصرُ تحفّ به راياتك البيض والحمرُ
وأقبلت الابلاق من كلّ جانب يريدون عفواً منك يا من هو البرُ
ألست ابْن خير الخلق وابْن نبيه وابن أبي السبطين إن ذكر الفخرُ
عفى الله عنهم بعد عفوك عنهم وإن قد أسوا فالحمد يتبعه الشكرُ
ألست الذي أعطاك ربك رتبة ونئ عن مداها النجم والشمس والبدرُ
ألست الذي أفنى العدا بحسامه ولم يبق للأعداء في عصرنا ذكرُ
إليك أمير المؤمنين نصيحة مترجمة عذراء أنبئ بها الصدرُ
فجنّد جنود الحقّ نحو عدوّهم فمن فعله عن أرضهم منع القطرُ
فقد آذن الله العظيم بحربهم وقد أغضبوه عندما ظهر الكفرُ
متى ما أراهم والحسام ينوشهم ويجري على البيضا دماؤهم الحمرُ
متى يسبو سبياً كسبي محمّد لأعداه قسراً متى يحرق الخدرُ
متى ما أرئ والوحش تفري جلودهم بأنيابها من بعد أن يشبع النسرُ
متى تخرب الدور التي أفسدوا بها متى تكسر الآلات أو يهرق الخمرُ
فيا حاشداً بل يا بكيل جميعهم ويا أهل خولان العريض ويا جبرُ
ويا أهل سفيان إلى كم خمولكم ويا شاكراً من لا يهون لهم قدرُ
أما تأخذون الثار ممّن رجالكم غدت في بطون القوم ما ضمّها قبرُ
ألم تعلموا أني أغار عليكم وقد قلّ ممّا نالكم منهم الصبرُ
وكم مرة غارت جنودي عليكم بخيل جيادٍ ضاق عن بعضها البرُّ
فوارسها قوم أسود عوابس إذا جالدوا ما زيد يحكي ولا عمرُ
وقد أوجب الله الجهاد عليكم فما مثلكم يعصى الذي أمره الأمرُ

وأنتم نساء الشرق شلّت سلاحكم جهاراً وما سلت سيوفكم البترُ

ومن بعد ذا تبقى بخير ونعمة أياديك مثل البحر لا بل هي البحرُ

فأنت الذي ترجى لكلّ عظيمة إذا نالك المحتاج ما ناله الفقرُ

وعمرت ما دامت أياديك جمّة حماك الذي أعطاك ما بقي الدهرُ

وصلّى عليك الله بعد محمّدٍ نبيّ الهدى من جا على يده النصر[١]

وفيها دلالة على رسوخ قدمه في ميدان القريض، فإنها تطرب ولا طرب معبد والغريض.

وأنشدني هذا المقطوع له، وفيه التواري في عدّة مواضع لا تخفىٰ:

وشادن يزري بغصن النقا قد أخجل الشمس وبدر التّمامْ

قد ساس مهراً للضيا أدهماً لذا ترى المولى تصبّا وهامْ

قد شدّ طرفاً ورمىٰ طرفه قلبي وكم أثبت فيه السهامْ

فياله من شادنٍ أغيدٍ بدا لنا بين الضيا والظلامْ

فليته لو زارني مرّة وقلت يا بشراي هذا غلامْ[٢]

وله أشعار في الملحون الحميني مستحسنة، ولولا خوف الإطالة لذكرتها.

❀ ❀ ❀

وبابك بالبائين الموحدتين بينهما ألف وآخره كاف.

والخُرّميّ بضم الخاء المعجمة وبتشديد الراء المفتوحة والميم وياء النسبة.

والخرَّميّة: فرقة من المجوس، وكان بابك يريد أن يقيم الملّة المجوسية وفعل العظايم وأفنى الجيوش قتلاً ثم أسَّره حيدر الأفشين، وسيّره إلى مولاه المعتصم بالله وهو ببغداد فقتله، وأَمره عظيم شهير في كتب التاريخ، والله سبحانه أعلم[٣].

---

(١) بعض أبياتها في نشر العرف ٢/ ٢١٤.

(٢) نشر العرف ٢/ ٢١٤.

(٣) في هامش نسخة ج: «توفي سنة ١١٢١هـ».

الملك الأفضل نور الدين أبو الحسن علي بن السلطان صلاح الدين بن يوسف بن أيوب صاحب دمشق(*).

فاضل أعطى مع المملكة علم الأدب، وبلغ بالمنزلتين في سماء المجد أعلى الرتب، تلقب بالنور ولقبنا شعره بالنور، ودار الجدّ السعيد في طاعته فحمدنا هذا الدور.

قال ابن خلكان: وكان الأفضل أكبر أولاد أبيه وكانت إليه ولاية عهده، فلمّا توفي أبوه بدمشق وكان معه استقل بمملكة دمشق، واستقر أخوه العزيز عثمان بمملكة مصر وأَخوه الظاهر غازي بمملكة حلب، ثم إن الأَفضل جرت له مع أَخيه العزيز وقايع وأسباب يطول شرحها، وآخر الأمر أن العزيز والعادل أَبا بكر ابن أيوب عمّه حاصراه بدمشق وأخذاها وأَعطياه صرخد فمضىٰ إليها(١).

ورأيت في تأريخ ابن الشحنة الحلبي: أن العزيز والعادل لمّا حاصرا الأفضل بدمشق أنجده أخوه الظاهر غازي صاحب حلب، فلما كاد الملكان ينهزمان اتفق أن هرب على الظاهر غلام كان يحبّه ولم يجده، وبلغه أن الأفضل ستره عنده فغضب وعاد ولم يتمّ الأمر، ولما مات أخوه العزيز بمصر ملك الأمر ولده المنصور وكان صغيراً، فاستدعوا عمّه الأفضل ليكون أتابكه أي مربيه.

ثم أن العادلأبا بكر قصد الدّيار المصرية فأَخذها ودفع للأفضل عدّة بلدان بالمشرق فمضى إِليها فلم يتمّ له سوى سميساط فأَقام(٢) بها.

قال ابن خلكان: وكانت فيه فضيلة ومعرفة وكتابة ونباهة وكان يحب العلماء ويعظّم حرمتهم(٣).

قلت: وقد مرّ في ذكر الناصر أحمد بن المستضيء تلك الأَبيات التي كتبها اليه.

(*) ترجمته في: وفيات الأعيان ٣/٤١٩ ـ ٤٢١، ذيل الروضتين ١٤٥، مرآة الزمان ٦٣٧، تأريخ ابن الأثير ١٢/٤٢٨، السلوك ١/١/٢١٦، العبر للذهبي ٥/٩١، شذرات الذهب ٥/١٠١.

(١) وفيات الأعيان ٣/٤١٩ ـ ٤٢٠.

(٢) وفيات الأعيان ٣/٤٢٠.

(٣) وفيات الأعيان ٣/٤٢٠.

وذكر ابن خلكان: إن الأفضل كان يهوى جارية من جواري أبيه ويراسلها، ففطن به فمنعت عنه. فاتفق أن القاضي الفاضل كان عنده يوماً فأرسلت الجارية إليه بكرةٍ من عنبر وقد غرزت فيها زرّاً من ذهب فلم يدر ما أرادت، فقال القاضي الفاضل:

أهدت لك العنبر في وسطه زِرٌ من التبر رقيق اللحامْ
فالزر والعنبر معناهما زر هكذا مستتراً في الظّلامْ

ففطن لإرادتها.

قال الصفدي: كان الملك الأفضل علي بن صلاح الدين كامل الفضائل، يتظاهر بالتشيع لأجل الإمام الناصر صاحب بغداد، فمن ذلك أنه كتب إليه لما تعصب عليه عمّه العادل أبو بكر:

ذي سنّة بين الأنام قديمة أبداً أبو بكر يجور على عليّ

وكتب الصاحب شرف الدين بن عنين إليه من الهند قصيدة قال فيها:

هيهات أن أتي دمشق وملكها يعزى إلى غير المليك الأفضلِ
ومن العجائب أن يقوم بها أبو بكر وقد علم الوصيّة من علي
مهلاً أبا حسن فتلك سحابة صيفيّة عمّا قليل تنجلي

ومن شعر الأفضل:

أما آنّ للسعد الذي أنا طالب لإدراكه يوماً يرىٰ وهو طالبي
وهل يريني الدهر أيدي شيعتي تمكّن يوماً من نواصي النواصبِ

وكانت ولادته بالقاهرة، ووالده وزير العاضد، سنة خمس وستين وخمسمائة.

وتوفي فجأة بسميساط سنة اثنين وعشرين وستمائة، رحمه الله تعالى.

وقال الذهبي: إن المحسن بن صلاح الدين كان متشيّعاً أيضاً، وكان المحسن فاضلاً سمع الحديث.

❀ ❀ ❀

وسُمَيْساط بضم المهلمة وفتح الميم وإسكان المثناة التحتية وبعد المهلمة

الثانية ألف وطاء مهملة قلعة بديار بكر على الفرات مجاورة لبلاد الروم، والله أعلم.

[١٢٢]

أبو الحسن علي بن محمّد الحريري الشاعر المشهور أحد شعراء الدمية(*).

فاضل أَدرك النار، وكمن كمون الفار، وما برحت عقارب كيده ساعية، حتى أَهان في دار ملكه معاوية وخبره طريف.

قال أبوالحسن الباخرزي في دمية القصر: وقع من بعض الجزائر إلى بَاخَرْز، فارتبط بها للتأديب، وبقي بين كبرائها موفور النصيب، وبلغ من الغلو في التشيع مبلغاً حتى أدرّع الليل، وشمر الذيل، وشد الاقتاد، وطوىٰ البلاد، وأقام في مجاورة قبر معاوية بالشام سنة حرداً، يطوف بأركانه، ويتبرك باستلام بنيانه، ووراء تملقه ذلك امر، وخلل رماده وميض جمر، ولم يزل ينتهز الفرصة حتى خلى وجهه يوماً من الأيام، وانقض عنه أولئك الأقوام، فنقص على عيابه، وأسال فوقه أسرابه، وألقى به جنينه، وخلط بذي بطنه طينه، «فخرج منها خائفاً يترقّب قال ربّ نجنّي من القوم الظالمين»(١).

قلت: الحاصل أنه خرى على ذلك الجدث. ولم تنتقض طهارة إيمانه بذلك الحدث.

وقال وفي هذا المعنى يقول:

رأيتُ بني الطَّوامِثِ والزَّواني ... بِمَقْتٍ ينظرون إِليَّ شَزْرَا
لأَنِّي بالشَّآمِ أَقمْتُ حَوْلاً ... على قَبْرِ ابن هِنْدٍ كنتُ أَخْرَىٰ(٢)

قال الصفدي: وقلت أنا أردّ على هذا الشاعر أخزاه الله:

(*) ترجمته في:
دمية القصر ١/١٣٧ ـ ١٣٨ وفيه «الَجزريّ» وليس الحريري، إنباه الرواة ٢/٣٠٩.

(١) سورة القصص: الآية ٢١، دمية القصر ١/١٣٧ ـ ١٣٨.

(٢) دمية القصر ١/١٣٨.

أتحسب أنَّ ذا يرضي عليّاً | عليك وقد خريت جزيت شرّا
فكيف يكون وجهك يوم تأتي | غداً ويقال هذا وجه خرّا
ولكن كان هذا نقص عقلٍ | ودين من تحرا ما تحرّا[١]

قلت: ملام على الحريري كما أنه لا ملام على الكناني الذي خرىٰ في كعبة أَبرهة الحبشي التي عمّرها بصنعا.

وقول الصفدي لا معنى له وأيّ إنسان غير خرّا يرد القيامة؟

وكان أَهل دمشق بسبب بني أميّة وبني أيوب لم يحل عنهم النصب.

وحكى الصفدي، عن سليمان بن زيرة قال: اجتمعت أنا وعشرة من المشايخ بدمشق فيهم أبو بكر أحمد بن سعيد الطائي فقرأنا فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام، فوثب علينا قريب من مائة يضربوننا ويسحبوننا إلى الوالي، فقال لهم أبو بكر الطائي: اسمعوا يا سادة إنّما قرأنا اليوم فضائل علي وغداً نقرأ فضائل أمير المؤمنين معاوية، وقد حضرتني أبيات فإن رأيتم أن تسمعوها فقالوا هات فأنشد بديهاً:

حبّي عليّاً كلّه ضربُ | يرجف من خيفته القلبُ
ومذهبي حبّ أمام الهدى | يزيد والدين هو النصبُ
من غير هذا قال فهو امرؤٌ | ليس له عقل ولا لبّ
والناس من ينقد لأهوائهم | يسلم وإلا فالقفا نهبٌ

قال: فخلّوا عنّا، قال أبو بكر الطائي: والله لا أقمت في بلد يجري فيها ما جرى.

ثم إنه خرج منها وسكن حمص[٢].

وأورد الباخرزي في الدمية للحريري المذكور ولم أَسمع في معناه مثله:

انْظرْ إلى حظّ ابنِ شِبْلٍ في الهَوى | إِذْ لا يزالُ لكلِّ قلبٍ عاشقا[٣]

---

(١) الغيث المسجم.
(٢) الغيث المسجم.
(٣) في الدمية: «شائِقًا».

شَغَلَ الرجالُ عن النساءِ وطالما[1] شَغَلَ الرِّجَالُ عن النِّساءِ مُراهِقا

عَشِقوه امْرِدَ فالْتَحى فَعَشِقْتَهُ الله أكبرُ ليس يعدِمُ عاشِقا[2]

قلت: باخرز بالباء الموحدة فالألف فالخاء المعجمة فالراء الساكنة فالزاي: مدينة من بلاد خراسان منها أبو الحسن علي بن الحسن الباخرزي مؤلف الدميّة[3].

[١٢٣]

الشيخ علاء الدين أبو المظفر علي بن عبد الله الكندي الشهير بالوداعي الشامي الشاعر المشهور[*]

فاضل يسحر بشعره العقول، وجال بكميت الشعر في حلبة السبق فسقىٰ الأسماع الشمول، وأظهر لوجنة الشام خالاً فهمنا بالشامات، وإنما سجعت الورقاء بنظمه فرقصت البانات، وهو من المتأخرين عصراً، السابقين أدباً وشعراً، وكان أول الفاتحين باباً للتورية والاستخدام بتلك السهولة، وذلك الانسجام.

ومن شعره:

---

(١) في الدمية: «شغل النساء عن الرجال».

(٢) في الدمية ١/١٢٧، أوردها للطاهر الجزري وليس لصاحب الترجمة.

(٣) هو أبو الحسن علي بن الحسن بن علي بن أبي الطيب الباخرزي: اشتغل في شبابه بالفقه على مذهب الإمام الشافعي، ثم غلب أدبه على فقهه، قدم بغداد مع الوزير الكندي، وعمل في الكتابة معه مدّة، واختلف إلى ديوان الرسائل، توفي بباخرز مقتولاً في مجلس أُنس، وذهب دمه هدراً، من آثاره كتابا «دمية القصر وعصرة أهل العصر» و«ديوان شعره».

ترجمته في:

معجم الأدباء ١٣/٣٣ ـ ٤٨، وفيات الأعيان ٣/٣٨٧ ـ ٣٨٩، الكنى والألقاب ٢/٥٦، النجوم الزاهرة ٥/٩٩، شذرات الذهب ٣/٣٢٧، هدية العارفين ١/٦٩٢، أنوار الربيع ١/هـ ٨١ ـ ٨٢، طبقات الشافعية للسبكي ٣/٢٩٨، الأنساب ٢/١٧، اللباب/مادة الباخرزي، العبر للذهبي ٣/ ٢٦٥.

(*) ترجمته في:

شذرات الذهب ٦/٣٩، تاريخ الإسلام للذهبي، النجوم الزاهرة ٩/٢٣٥، خزانة الأدب لابن حجة، الدرر الكامنة ٣/ ١٣٠، الطليعة ـ خ ـ ترجمته رقم ٢٠٩، فوات الوفيات ٢/١٧٣ ـ ١٧٨، تذكرة الحفّاظ للذهبي، البداية والنهاية ١٤/٧٨، روضات الجنات، الوافي بالوفيات، البدر الطالع ١/٤٩٨، أعيان الشيعة ٤٢/ ١٦٠ ـ ١٦٤، أدب الطف ٤/ ١٣٩ ـ ١٤٤، أنوار الربيع ١/ ٢٠٢، الاعلام ط ٤/٥/٢٣.

رَدَّدْ بِـمـصـرَ وَسُكّـانـهـا ... شـوقـي وجـدّدَ عـهـدَي الـبـالـي
وصـف لـي الـقـرط وشـنّـف بـه ... سـمـعـي ومـا الـعـاطـل كـالـحـالـي
وآروِ لـنـا يـا سـعـد عـن لـيـلـهـا ... حـديـث صَـفْـوَانَ بـن عـسّـال
فَـهْـوَ مـرادي لا يـزيـد ولا ... ثـور وإن رق ورقّـا لـي[1]

القرط: ثمرة القرط بمصر.

وثوراً ويزيد: نهران بدمشق.

وقد رأيت أن اذكر ما ذكر الشيخ تقي الدين بن حجة في كشف اللثام عن التورية والاستخدام في مآخذ الشيخ جمال الدين بن نباتة من شعر الشيخ علاء الدين الوداعي المذكور قصداً للامتاع لمن يتشوق إلى ذلك لا تبكيةً على ابن نباتة فإنه هو، وتلك أمّة قد خلت.

قال الوداعي المذكور:

إذا رأيـت عـارضـاً مـسـلـسـلاً ... فـي وجـنـة كـجـنّـة يـا عـاذلـي
فـاعـلـم يـقـيـنـاً أنّـنـي مـن أمّـة ... تـقـاد لـلـجـنـة بـالـسـلاسِـل

أخذه ابن نباتة فقال:

أَفـدي الـتـي سـاق إلـيـهـا مـهـجـتـي ... فـرع طـويـل تـحـت حـسـن طـائـل
قـلـبـي بـصـدغـيـهـا إلـى طـلـعـتـهـا ... يـقـاد لـلـجـنّـة بـالـسـلاسـل[2]

قال الوداعي:

لـقـد سـمـح الـزمـان لـنـا بـيـوم ... غـدا فـيـه الـسـمـيُّ مـع الـسـمـيِّ
تـجـمّـعـنـا كـأنـا نـظـم خـيـطٍ ... عـلـيٌّ فـي عـلـيٍ فـي عـلـيِّ

أخذه ابن بناتة فقال:

عـلـوت إسـمـاً ومـقـداراً ومـعـنـى ... فـيـالله مـن حـسـنٍ جـلـيِّ
كـأنـكـم الـثـلاثـة ضـرب خـيـط ... عـلـيٌّ فـي عـلـيٍّ فـي عـلـيٍّ[3]

---

(١) فوات الوفيات ٢/ ١٧٥.
(٢) ديوان ابن نباتة المصري ٤٢٤.
(٣) ديوان ابن نباتة المصري ٥٧٨.

قال الوداعي:

مـــــن آخـــــذ مـــــن خـــــدّه ... بـــدم الـــشـــهـــيـــد الـــمـــغـــرمِ
فـــالـــريـــح ريـــح الـــمـــســـك مـــنـــه ... ولـــــونـــــه لـــــون الـــــدم

أخذه ابن نباتة فقال:

لا تـنـكـر الـكـاسـر مـن جـفـنـه ... دم الـشـهـيـد الـصـابـر الـمـغـرم
فـالـريـح ريـح الـمـسـك مـن خـدّه ... كـمـا تـرى والـلـون لـون الـدَّمِ[1]

قال الوداعي:

يـفـتـن بـالـفـاتـر مـن طـرفـة ... وريـــقـــه الـــبـــارد يـــا حـــار

أخذه ابن بناتة وفتر عن الفاتر، وقد مرّ في ذكر الحسين بن عبد القادر[2] فقال:

لـو ذقـت بـرد نـصـابٍ مـن مـقـبّـلـة ... يا حار ما قلت أَعضايَ التي ثملت[3]

قال الوداعي:

قـيـل إن شـئـت أن تـكـون غـنـيّـاً ... فـتـزوّج وكـن مـن الـمـحـصـنـيـنـا
قـلـت مـا يـقـطـع الإلـه بـحـرّ ... لـم يـضـع بـيـن أظـهـر الـمـسـلـمـيـنـا

أخذه ابن نباتة فقال:

قـال لـي خـلّـي تـزوج تـسـتـرح ... مـن أذى الـفـقـر وتـسـتـغـنـي يـقـيـنـا
قـلـت: دع نـصـحـك واعـلـم أنـنـي ... لـم أضـع بـيـن أظـهـر[4] الـمـسـلـمـيـنـا[5]

قال الوداعي:

يا عـاذلي في التكاريش اطِّرِحْ عذلي ... واعـذر فـعـذري فـيـهـم واضـح حَـسِـنُ
فـالـمُـرد إن حـاولـوا هـجـري بـحـربـهـم ... إذاً لـقـام بـنـصـري مـعـشـر خـشـنُ

---

(١) ديوان ابن نباتة ٤٧٩.
(٢) ترجمه المؤلف برقم ٦٠.
(٣) ديوان ابن نباتة.
(٤) في الديوان: «ظهور».
(٥) ديوان ابن نباتة ٥٣٥.

أخذه ابن نباتة فاستعمل بيت الحماسي جميعاً وقصر عن الاكتفاء:

لو آذنتني عذّالي بحربهم ... عند الحفيظة إن ذُو لوثةٍ لانا[1]

التكاريش، جمع تكريش فارسيّ معناه لحية جيّدة، وقيل: إن المجّان من الشاميّين يقولون إذا شاب طاب، وإذا انحنى فهو المنى.

قال الوداعي:

ألحاظه وهي السيوف كليلة ... ويكون تعذيب الكليلة أطولا

أخذه ابن نباتة فقال:

بليت به ساجي اللحاظ كليلها ... وما زال تعذيب الكليلة أطولا[2]

قال الوداعي:

والنهر كالمبردِ يجلو الصدا ... ببرده عن قلب ظمآنهِ

أخذه ابن نباتة فقال:

والنهر فيه كمبردٍ ... فلأجل ذا يجلو الصدا

قال الشيخ علاء الدين الوداعي:

ما أنت أوّل عاشق محرومُ ... من باخلٍ بادي النفّار كريمُ

أخذه ابن نباتة فقال:

مبخّل يشبه ريم الفلا ... وآ طول شجوي من بخيلٍ كريمْ[3]

قال الوداعي:

بروحي غزال راح في الحسن جنة ... تعشقته أعمىٰ فهمت من الوجدِ
إذا ما تبدىٰ قائد بيمينه ... تيقّنت حقاً أنّه جنّة الخلدِ

أخذه ابن نباتة مع القافية:

---

(١) ديوان ابن نباتة ٥٣٠.
(٢) لم أعثر عليه في ديوانه.
(٣) لم أعثر عليه في ديوانه.
(٤) كاملة في ديوانه ٤٣٦ ـ ٤٣٧.

أفديه أَعمَى مغمداً لحظه ... لنرتعي في خدِّه الوردي
تمكّنت عيناي من خدّه ... فقلت هذي جنّة الخلد[1]

النكتة إن الخلد: حيوان أعمى يشبه الفار.

قال الوداعي من قصيدة:

بخلت عليّ بدرّ مبسمها ... فغدت مطوّقة بما بخلتْ

أخذه ابن نباتة فقال:

بخلت بلؤلؤ ثغرها عن لاثمٍ ... فغدت مطوّقة بما بخلت بهِ[2]

قال الوداعي:

باللّوا صعدة عليها لواء ... كل طعنات نصلها نجلاءُ
لا تخل عندها سماعاً لشكوى ... فلهذا قالوا لها صمّاءُ

أَخذه ابن نباتة فقال:

وَعَدَتِ بِطيفِ خيالها أَسماءُ ... إن كان يمكن ناظري إغفاء
يا من أطيل من الجوىٰ لقوامها ... شكواي وهي الصعدة السمراءُ

وما أحسن ما جاء به يوسف بن علي بن هادي في سرقات ابن نباتة معاني الوداعي وفيه التورية:

عزا ابن نباتة شعر الوداعي ... إليه بسرقة لا باختراعِ
ففارق يا فتىً من قال هذا ... نباتيٌ وقل هذا وداعي

وما أحقّ المذكور بانتقاده لنفسه فإنه أخذ معنى ابن نباتة الذي سرقه الوداعي:

تمكنت عيناي من خدّه ... فقلت هذي جنّة الخلدِ

فقال يوسف بن علي:

دنت فوق وجهي حين وافت بعودتي ... وقد سلبتني صحة الجسم بالصدِّ
فشاهدتها والخلد يقرع خدّها ... وقلت لعمري هذه جنة الخلدِ

---

(١) ديوان ابن نباتة المصري ١٦٢.

(٢) لم أعثر عليه في ديوانه.

وغير ذلك ممّا يطول فاسمع واعجب.

ومن مطالع علاء الدين المطربة:

أعـيـذ ظـبـي الـتـرك بـالـرومِ ... والـصـدغ مـع فـيـه بـخَـتـمِ
وخـدّه الـمـشـرق قـد صـحّ لـي ... عـذاره الـمـعـوّج تـقـويـمـي

ومن شعره أيضاً:

وفـي أسـانـيـد الأراك حـافـظ ... لـلـعـهـد يـروي صـبـره عـن عـلـقـمـهْ
فـكـلّـمـا نـاحـت بـه حـمـامـة ... روىٰ حـديـث دمـعـه عـن عـكـرمـهْ

عكرمة: من أسماء الحمامة فاطرب لهذا النظام.

وله أيضاً مطلع قصيدة:

بـدر إذا مـا بـدا مـحـيّـاه ... أقـول ربّـي وربّـك اللهُ

ومن شعره وقد كثر المطر:

أن يـدوم الـغـيـث شـهـراً هـكـذا ... جـاء بـالـطـوفـان والـبـحـر والـمـحـيـطِ
مـا هـم مـن قـوم نـوح يـا سـمـا ... إقـلـعـي عـنـهـم فـهـم مـن قـوم لـوطِ

ومن نكته الغريبة:

ولـيـل خـلـت مـجـلـسـنـا سـمـاء ... وصـحـبـي كـالـثـريّـا فـي اجـتـمـاعِ
وبـات الـطـرف يـرعـى الـبـدر مـنـهـم ... إلـى أن حـلَّ مـنـزلـة الـذراعِ

وله أيضاً:

قـال لـي الـعـاذل الـمـفـنّـد فـيـهـا ... حـيـن وافـت فـسـلّـمـت مـخـتـالـهْ
قـم بـنـا نـدعـي الـنـبـوة فـي الـعـشـق ... فـقـد سـلّـمـت عـلـيـنـا الـغـزالـهْ

أخذه ابن نباتة فقال:

يـا غـزالاً أهـدى الـسـلام إلـى الـمـغـرمِ ... لا تـنـكـرن حـالاً لـديـه
كـيـف لا يـدّعـي الـنـبـوة فـي الـعـشـقَ ... وقـد سـلَّـمَ الـغـزال عـلـيـه[1]

---

(١) كاملة في ديوان ابن نباتة المصري ١١ ـ ١٢.

وللوداعي:

طـــوق جـــود الـــوزيـــر جـــودي　　فـــلـــســـت عـــن مـــدحـــه أَعـــوقْ
اســـجـــع بـــالـــمـــدح فـــي عـــلاه　　لا غـــرو ان يـــســـجـــع الـــمـــطـــوقْ

أخذ التورية ابن نباتة وسمى كتابه «سجع المطوق».

ومحاسن الشيخ علاء الدين تحتمل مجلداً، وبالجملة فهو أمام أئمة التورية والاستخدام ويكفيه فضلاً أن ابن نباتة عيالٌ عليه، ولم أَعلم تاريخ موته رحمه الله تعالى ثم أني رأيت [في] تذكرة الحفّاظ للذهبي قال يصف عن نفسه: وسمعت مع الشيخ الأديب العلامة البليغ المحدث المفيد علاء الدين علي بن المظفر بن إبراهيم الكندي الدمشقي كاتب ابن وداعة، ولد على رأس الأربعين وستمائة، وتلى بالسبع على العلم أبي القاسم، وسمع من أبي الحسن، وإبراهيم بن خليل، وابن عبد الدايم وخلق، وكتب الأجزاء وحصّل، ثم تعانى الانشاء وخَدَمَ، ثم ثلبه الذهبي بقلّة الدين والتهاون بالصلوة وقال في عقيدته، فقال: إلا أنه متثبت فيما ينقله.

قلت: المقال هو التشيع فافهم.

قال: وتوفي سنة ست عشرة وسبعمائة، والله أعلم.

[١٢٤]

القاضي أبو الحسن علي بن القاضي أبي حنيفة النعمان أبي عبد الله محمد بن منصور أحمد بن حبّول[١] القاضي المغربي أحد قضاة الإسماعيلية(*).

فاضل تفرّد بالقضاء وساعده القدر، ورزق من عقبة ومجده حسن الخُبر والخَبر، وله شعر خسف الثريا وعاق العيّوق، فهو كالجوهر على اللّبات وغيره

(١) لم أعثر عليها في ديوان ابن نباتة.

(*) ترجمته في:
يتيمة الدهر ١/ ٣٨٤ ـ ٣٨٥، رفع الأصر، وفيات الأعيان ٥/ ٤١٥ ـ ٤١٩ ضمن ترجمة والده القاضي أبي حنيفة النعمان.

(٢) في الوفيات: «حيون».

كالخلخال الكاسد في السوق.

قال ابن خلكان: وكان والده أبو حنيفة أَحد الأئمة الفضلاء المشار إليهم، وكان مالكي المذهب، ثم انتقل إلى مذهب الإمامية يعني الإسماعيلية ـ كما تقدم في ذكر الصليحي، وصنّف ابتداء الدعوة للعبيديين، ومن تصانيفه «الاختيار» «والانتصار في الفقه» و«اختلاف أصول المذاهب» وغير ذلك، وكان ملازماً لصحبة المعز ووصل معه إلى الديار المصرية من افريقية ولم تطل مدته بمصر، ومات في رجب سنة ثلاث وستين وثلثمائة وصلّى عليه المعزّ وكان والده من المعمّرين[1].

وكان لأبي حنيفة أولاد نجباء سادة منهم: أبو الحسين علي المقصود بالذكر هنا. ولما مات والده أَصلح المعز بينه وبين أبي الطاهر محمد بن عبد الله الذهلي قاضي مصر في الحكم فلم يزالا مشتركين إلى أن توفي المعز وتولى ولده العزيز نزار، فردّ إلى أبي الحسن المذكور أَمر الجامعين، يعني جامع ابن طولون والجامع الأزهر، وجعل إليه دار الضرب إلى أن لحقت أَبا طاهر رطوبة منعته عن الحركة إلاّ محمولاً، فركب العزيز يوماً إلى الجزيرة التي بين مصر والجيزة، فحمل إليه أبو طاهر فسأله استخلاف ولده أَبي العلاء، وقال: ما بقي إلا أن تعددوه، ثم قلد القاضي أبا الحسن المذكور ثالث هذا اليوم القضاء مستقلاً فقرىء سجله بجامع القاهرة وجامع مصر وفيه: إنا قلدناك القضاء بالديار المصرية والشام والحرمين والمغرب وجميع مملكة العزيز والخطابة والإمامة والعيار في الذهب والفضة والمكائيل والموازين، وأذن العزيز لأَبي طاهر أن ينظر في الأحكام من غير فصل.

وقد حكم ببغداد قبل أن يرد إلى مصر مستقلاً مدّة، وكان أهل الحديث يترددون إليه في مرضه لسماع الحديث إلى أن توفي سنة سبع وستين[2].

وكان القاضي أبو الحسن متفنناً في عدة علوم منها علم القضاء والقيام به بسكينة ووقار، وعلم الفقه والعربية والأدب والشعر، وأيام الناس، وكان شاعراً مجيداً ومن شعره وفيه الجناس المشتق:

---

(١) وفيات الأعيان ٥/٤١٥ ـ ٤١٦، باختصار واقتباس.

(٢) وفيات الأعيان ٥/٤١٧.

رب خَوْدٍ عرفت في عرفاتِ ... سلَبَتْني بحُسْنها حسناتي
حَرَّمَت حين أحْرَمَتْ نوم عيني ... واستباحت حمايَ باللحظات
وأفاضَت معَ الحجيّج ففاضَتْ ... عن جُفوني سوابقُ العَبرات
ولقد أضْرَمَتْ على القلب جَمراً ... إذ مشت ترتمي إلى الجمَرات
لم أنل من مِنى مُنى النفس حتى ... خِفْتُ بالخَيْف أن تكون وفاتي[1]

وأمّا مراعاة النظير فظاهر.

ومن شعره أيضاً [من المنسرح]:

ولي صديقٌ ما مسني عدم ... مذ وقعَتْ عينُه على عدمي
أغْنى وأقنى وما يُكلفُني ... تَقبيلَ كف له ولا قَدَم
قام بأمري لما قعدتُ به ... ونمت عن حاجتي ولم ينَمِ[2]

قلت: هذا أفضل من الصديق الذي تمنّاه المأمون.

ومن شعره أيضاً في مثله [من مجزوء الوافر]:

صديقٌ لي له أدبُ ... صداقةُ مثلِهِ نَسَبُ
رعى لي فوق ما يُرْعى ... وأوجب فوق ما يجب
فلو نَفِدَتْ خلائقه ... لَبَهْرجَ عندها الذهب[3]

ولم يزل وافر الحرمة على أَحكامه عند العزيز حتى توفي في رجب سنة أَربع وستين وثلثمائة رحمه الله تعالى، وصلّى عليه العزيز ودفن بداره، وكانت ولايته تسع سنين وأشهرا[4].

فأرسل العزيز إلى أخيه محمد بن أبي حنيفة وكان مريضاً فقال له: إن القضاء لك ولا نخرجه عن أهل هذا البيت، ولما خفّ مرضه كتب إلى العزيز، فقلّده القضاء وخلع عليه، وقلده سيفاً، وكان سجله كسجل أَخيه، ثم استخلف ولده أبا القاسم عبد العزيز على قضاء الإسكندرية، وخلع عليه العزيز، وعقد

---

(١) وفيات الأعيان ٥/٤١٨.
(٢) يتيمة الدهر ١/٣٨٤ ـ ٣٨٥، وفيات الأعيان ٥/٤١٨.
(٣) يتيمة الدهر ١/٣٨٥، وفيات الأعيان ٥/٤١٨.
(٤) وفيات الأعيان ٥/٤١٩.

القاضي أبو عبد الله محمد بن النعمان نكاح ولده أبي القاسم على ابنة القائد جوهر في مجلس العزيز، وكان الصداق ثلاثة آلاف دينار وكان المعزّ وهو بالمغرب قد تقدم إلى القاضي أَبي حنيفة بعمل إصطرلاب فضّة، وأَن يجلس مع الصائغ أَحد ثقاته فأَجلس ولده محمد المذكور، فلما حمله إلى المعز قال: من أجلست معه؟ قال: ولدي محمداً، فقال: هو قاضي مصر، فكان كما قال[1].

وقال القاضي محمد: كان المعزّ إذا رآني وأنا صبيّ بالمغرب يقول لولده العزيز: هذا قاضيك.

قال: وكان محمد جيّد المعرفة بالأَحكام، متفنناً في العلوم، حسن الأدب والدراية بالأخبار والشعر وأيام الناس، ومن شعره:

أيا مُشْبِهَ البدرِ بدرِ السماء ... لسبعٍ وخمسٍ مضتْ واثنتينِ
ويا كاملَ الحسنِ في نعته ... شَغَلْتَ فؤادي وأسهرت عيني
فهل ليَ من مَطْمعٍ أرتجيه ... وإلا انصرفنا بخفَّيْ حُنَين
ويشمتُ بي شامتٌ في هواك ... ويفصح لي ظلت صفر اليدين
فإما مننت وإما قتلت ... وَأنت القديرُ على الحالتين[2]

وكتب إليه عبد الله بن الحسن بن جعفر السمرقندي:

تعادلَتِ القضاة علاً فأمّا ... أبو عبد الإلٰه فلا عديلُ
وحيدٌ في فضائله غريبٌ ... خطيرٌ في مفاخره جليل
تألق بهجةً ومضى اعتزاماً ... كما يتألقُ السيفُ الصقيل
فيقضي والسدادُ له حليفٌ ... ويعطي والغمام له رَسيل
لو اختبرتْ قضاياه لقالوا ... يؤيده عليها جَبْرَئيل
إذا رقيَ المنابرَ فهو قسّ ... وإن حضر المشاهد فالخليل[3]

فأجابه:

قرأنا من قريضك ما يروقُ ... بدائعَ حاكها طبعٌ رقيقُ

---

(١) وفيات الأعيان ٥/ ٤٢٠ باختصار واقتباس.
(٢) وفيات الأعيان ٥/ ٤٢٠.
(٣) ن.م.

كـأن سـطـورهـا روضٌ أنـيـقٌ تـضَـوَّعَ بـيـنـهـا مـسـكٌ فـتـيـق
إذا مـا أنـشـدت أرَجَـت وطـابـت مـنـازلـنـا بـهـا حـتـى الـطـريـق
وإنـا تـائـقـون إلـيـك فـاعـلـمْ وأنـت إلـى زيـارتـنـا تـتُـوق
فـواصِـلـنـا بـهـا فـي كـلِّ يـومٍ فـأنـت بـكـلِّ مـكـرمـةٍ حـقـيـق[1]

وفي شهر المحرم سنة ثلاث وثمانين وثلثمائة[2] استخلف ولده أبا القاسم عبد العزيز في الأحكام بمصر والقاهرة، وارتفعت رتبة القاضي محمد عند العزيز حتى أَصعده معه على المنبر يوم عيد النحر سنة خمس وثمانين[3]، ولما مات العزيز تولّى غسله القاضي محمد المذكور وقام بالأمر ولده الحاكم فأَقرّ القاضي محمد على منزلته، وزادت رتبته عنده، وكان له من الرياسة معهم ما لم يشاهد مثله لقاضي لا في مصر ولا غيرها والعراق، وكان حقيقاً بها لما فيه من العلم وإقامة الحق والهيبة، ثم كثرت علله ولازمه النقرس والقولنج فكان أكثر أوقاته عليلاً، وكان الاستاذ أبو الفرج برجوان على جلالته يعوده في كل وقت حتى توفي في صفر سنة تسع وثماني وثلثمائة.

ثم قلّد الحاكم القضاء ابن أخيه أبا عبد الله الحسَين بن أبي الحسن بن النعمان[4] ثم صرفه بعد مدة بابن عمّه عبد العزيز بن محمد، ثم ضرب الحاكم عنق الحسين المذكور في رمضان وأُحرقت جثته لأمر اقتضى ذلك، واستقلد عبد العزيز بالأَحكام وقلّده الحاكم النظر في المظالم ولم يجتمعا لأحدٍ قبله، وعلت مرتبته وأَصعده معه على المنابر يوم العيدين، وشدّد في الأَحكام على أمراء الدولة ممّن عليه حق، ثم صرفه الحاكم واستقضى أَبا الحسن مالك بن سعيد الفارقي وأخرجه عن بيت النعمان، ثم إن الحاكم أَمر الأتراك بقتل عبد العزيز، والقائد أبي عبد الله الحسين جوهر، وأبي علي إسماعيل أخي القائد ابن صالح فقتلوا في ساعة واحدة لأسباب، سنة أحدى وأربعمائة وفصّل خبره المقريزي ولا حاجة إلى ذكره[5].

---

(١) وفيات الأعيان ٥/٤٢١.
(٢) في الأصل: «اثنتين وثلاثين» وما صوّبناه من الوفيات.
(٣) في الأصل: «سنة ٧٥» وما صوّبناه من الوفيات.
(٤) ترجمته في رفع الأحد ٢٠٧.
(٥) وفيات الأعيان ٥/٤٢١ ـ ٤٢٣، باختصار واقتباس، أنظر الخطط المقريزية.

[١٢٥]

السيد جمال الدين علي بن أحمد بن محمد بن معصوم الحسيني المدني الميلاد، الهندي الدار، مؤلف سلافة العصر والبديعية الموسومة بتقديم عليّ(*).

أَحد الأَعيان، فاضل استحق التقديم بنصّ الأدب الجلي، ورمى ابن حجة رمي الجمار بتقديم علي، وأَدار من أَدبه على العقول سلافة العصر، وفجّر ما اندمل من جراح حاسده فظل الحاسد بالفجر، فصاحب الغيث من الغرقا ببحره الزاخر، وابن الأثير محترق بناره، وذكر فضله الذي هو المثل السائر.

وقد مضى ذكر والده في الهمزة(١) وولد ابنه جمال الدين علي بن أحمد المذكور في المدينة المشرفة، وأخبرني السيد مصطفى بن علي نور الدين الشامي المكي الحسيني: أن السيد علي بن أحمد في هذا الوقت سنة أربع عشرة ومائة وألف بعسكر ملك الهند، وهو ممّن اشتهر فضله وعرف بتصانيفه نبله، وكتابه «سلافة العصر»(٢) لم يصل إلى اليمن.

(*) هو السيد علي صدر المدني بن الأمير نظام الدين أحمد بن محمد معصوم، تكملة نسبه في ترجمة أبيه برقم ٢٧.
كتب عنه الأستاذ شاكر هادي شكر ترجمة ضافية في مقدمة (أنوار الربيع في أنواع البديع) المطبوع بتحقيقه في النجف ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م. وله في آخر الطبعة الحجرية من أنوار الربيع، ترجمة موجزة، وله ديوان شعر مخطوط نسخته محفوظة في دار الآثار ببغداد برقم، وطبع ديوانه بتحقيق شاكر هادي شكر في بيروت ـ عالم الكتب ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، وقد اعتمدناهما في تحقيق شعره.
ترجمته في:
نزهة الجليس ١/٢٠٩ ـ ٢١٣ وفيه: وفاته سنة ١١١٩ أو ١١٢٠، أبجد العلوم ٩٠٨ وفيه: وفاته سنة ١١١٧هـ، ومجلة لغة العرب ٣/٥٧٦، إيضاح المكنون ١/١٤٤ ـ ٤٨٧، نفحة الريحانة ٤/١٨٧ ـ ١٩٥، الفهرس التمهيدي ٣١٣، مجلة المجمع العلمي العربي ٢٢/٥٠٣، البدر الطالع ١/٤٢٨ وفيه: «ولد في المدينة» خلافاً لما في المصدر الأول، بروكلمان، روضات الجنات ٣٩٨، نفائس المخطوطات ٤/٤٠ ـ ٦٨، الاعلام ط ٤/٢٥٨ ـ ٢٥٩، أمل الآمل ٢/١٧٦، الطليعة ـ خ ـ ترجمة ١٧٢، سفينة البحار ٢/٢٤٥، الغدير ١١/٣٤٦ ـ ٣٤٩، سبحة المرجان ٨٥ ـ ٨٦، أعلام العرب ٣/١٢٩، الذريعة، حديقة الأفراح ٥٢، أعيان الشيعة ٤١/٤٣ ـ ٦٤، أدب الطف ٥/١٧٧ ـ ١٩٢.

(١) ترجمه المؤلف برقم ٢٧.

(٢) تكملة إسمه: «في محاسن الشعراء بكل مصر» يشتمل على تراجم شعراء القرن الحادي عشر، طبع بمصر سنة ١٣٢٤هـ.

ثم اني رأيت بخط القاضي شمس الدين أحمد بن ناصر بن عبد الحق[1] أنه وقف عليه ببندر المُخَا فقال أَطلعني على نسخة منه بعض الأخوان ذكر أنّها عارية عنده من الشيخ سليمان بن محمد الوزير، وذكر مؤلف الكتاب المذكور في خطبته: أنه شرع في تأليفه في بلاد الهند في أواخر سنة إِحدى وثمانين وألف، وفرغ منه يوم الخميس لسَبْعٍ خلون من ربيع الثاني سنة اثنتين وثمانين وألف[2].

وذكر أنه قصر كتابه على ذكر محاسن أهل المائة الحادية عشرة ورتبه على خمسة أقسام:

الأول: في محاسن أهل الحرمين الشريفين والمحلّين المنيفين.

القسم الثاني: في محاسن أهل الشام ومصر ونواحيهما ومن تصدّر من الفضلاء في صدور نواديهما.

القسم الثالث: في محاسن أهل اليمن، المقلدين بعقود آدابهم جيد الزمن.

القسم الرابع: في محاسن أهل العجم والعراق وإيراد مارقَّ من لطائفهم وراق.

القسم الخامس: في محاسن أهل المغرب، وإثبات شيء من نظمهم المطرب، والعذر في تأخير قسمتهم عن سائر الأقسام رعاية النكتة في المغرب للختام، وإلا فلهم السبق والبداية ولا غرو أن انتهت إليهم الغاية، وإذا أشرق أن شاء الله تعالى بدره المنير من افق التمام، وتفتق زهره النظير من حجب الكلام وسميته بـ«سلافة العصر في محاسن أعيان العصر»[3].

ثم قال بعد ذلك: فإني انشأته عن فكر قد صلد زنده، في بلد عربه عجمه وهنده، لم يقم للأدب فيه سوق، ولا عرف به غير الكفر والفسوق[4].

وحججت أنا سنة أربع عشرة ومائة وألف، واتفق ورود السيد جمال الدين إلى مكة، فلقيته وسمعته يحكي أنه أقام بالهند ثماني وأربعين سنة وكتبت إليه

---

(١) ترجمه المؤلف برقم ٢٣.

(٢) سلافة العصر ٦٠٧.

(٣) السلافة ٩.

(٤) السلافة ٩.

قصيدة طائية عارضت بها قصيدة ابن بِلِيَّطة[1] الأندلسي في قصيدته المشهورة التي مدح بها المعتصم بن صمادح، وأول قصيدتي:

أخذت عليها قبل وشك النوى شرطا ... فراغت وخلّت مثل صبري له بطا
وعهدي بها لا العذر مما احتلت به ... ولا دفعت يوماً لتسمعه القرطا

وهي طويلة جيّدة مذكورة في ديوان شعري.

ومن مؤلفاته أيضاً: شرح صحيفة الإمام زين العابدين عليه السلام[2]، وله اعتراضات على صاحب القاموس، وله كتاب «أنوار الربيع في أنواع البديع»[3] أجاد فيه غاية الإجادة ورأيته ونقلت منه مما أورده لنفسه في التورية وذكر أنه لم يسبق إليه:

ليس احمرار لِحاظِهِ من عِلّةٍ ... لكن دم القَتْلىٰ على الأَسيافِ
قالوا تشابهَ طرفُهُ وبنانُه ... ومن البَديعِ تشابُهُ الأَطرافِ[4]

ومنه له أيضاً:

إلى الله مما يلاقي المحبّ ... بليلىٰ وما نال في الحبّ نيلا[5]
قضى العمرَ بيْنَ بُكا واشتياقٍ ... فيبكي نهاراً ويشتاق لَيْلا[6]

وأورد فيه لنفسه أيضاً من أبيات:

---

(١) هو أبو القاسم الأسد بن بليطة الأندلسي، ترجمته في الذخيرة ١/٢/٢٩٠، المطمح ٨٣، بغية الملتمس ٢٢٨، المطرب ١٢٦، المغرب ٢/١٧، وفيات الأعيان ٥/٤٢ ـ ٤٣، وأول قصيدته:

برامَةَ ريم زارني بعدما شَطَّا ... تقنَّصتُه في الحلم بالشط فاشتطا

وهي طويلة قوامها تسعين بيتاً.

(٢) وإسمه: «رياض السالكين في شرح صحيفة الامام زين العابدين» وقد جعله باسم الشاه حسين الصفوي، وهو شرح كبير تضمن فوائد جليلة نادرة، طبع على الحجر في إيران.

(٣) طبع بالحجر في إيران سنة ١٣٠٤هـ، ثم طبع بالنجف عام ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م بتحقيق الأستاذ شاكر هادي شكر.
وله مؤلفات أخرى أوردها الأستاذ شكر في مقدمة «أنوار الربيع» المذكور.

(٤) أنوار الربيع ٣/١٦٦، سبحة المرجان ٨٧، ديوانه ـ خ ـ ٩٧، ديوانه ـ ط ٣٠٠.

(٥) في الأصل: «ليلا» وما صوّبناه من ديوانه.

(٦) أنوار الربيع ٢/٥٦، ديوانه خ/١١٣، ديوانه ط ٣٥٢.

بـــدا بـــدراً ولاح لـــنـــا هـــلالاً وأشـــرق كـــوكـــبـــاً واهـــتـــزَّ غُـــصـــنـــا
وَثَـــنَّـــى قـــدة الـــحـــســـن ارتـــيـــاحـــاً فـــهـــام الـــقـــلـــب بـــالـــحـــســـن الـــمُـــثـــنَّـــى[1]

وله أيضاً:

عـجـبـاً لـمـن مـنَّ الـحـبـيـب عـلـيـهِ وحـبـاه بـالـتـقـبـيـل وهـو لـديـهِ
كيف اشتكي ضعف الفؤاد من الجوى ومـفـرح الـيـاقـوت فـي شـفـتـيـهِ[2]

وأجاد ما شاء بقوله في مسمعة اسمها فنون:

ذَهَـبَـتْ فـنـونَ مَـسَـرّتـي فـتـنـوّعـتْ في القلب من وجدٍ فنونُ شجوني
يـا مَـن بـكـاهُ لِـفَـقْـدِ فَـنٍّ واحـدٍ إنِّـي امـرؤ أبـكـي لِـفَـقْـدِ فـنـونِ[3]

وله من أبياتٍ رقيقة:

يا جيرة حفروا من بعد ما خفروا لـم يـرع مـجـدكـم عـمـا أتـى خـفـروا
بـالله هـل كـان ذنـبـاً أن وثـقـت بـكـم أم كـــان وزر رجـــائـــي إنـــكـــم وزرُ
لـم أدر أن الـنـوى يـعـفـو مـودّتـنـا فـيـصـبـح الـودّ لاعـيـن ولا أثـرُ
وعـاد غـرس ودادي فـي جـنـابـكـم كـبـقـلـة الـرمـل لا ظـلّ ولا ثـمـر
كـاتـبـتـكـم عـن هـوىً مـا كـنـت أحـسـبـه يـعـدّ ذنـبـاً لـديـكـم لـيـس يـغـتـفـر
أمـا اقـتـضـت سـنّـة الـمـعـروف عـنـدكـم ردّ الـجـواب وان لـم يـقـضِ لـي وطر[4]

ومحاسن شعره وفضله وأدبه كثير والاختصار على ما دلّ مقصود.

---

(١) سلافة العصر ٣، نفحة الريحانة ٤/ ١٩٤، حديقة الأفراح ٥٢، كاملة في ديوانه ـ خ ـ ١٥٥ ـ ١٥٧، وديوانه ط ٤٣٧ ـ ٤٤٠ وهي في مدح النبي ﷺ.

(٢) ديوانه ط/٤٧٦.

(٣) ديوانه ـ خ/ ١٦٤، ديوانه ط ٤٦٠.

(٤) لم أعثر عليها في الديوان.

[١٢٦]

الفقيه أبو محمّد، عمارة بن أبي الحسن علي بن زيدان بن أحمد الحكمي اليمني، المشهور، الشاعر، الملقب نجم الدين، المصري الدار والوفاة[*].

فاضل أطاعه الشعر فتصرّف في دنانيره تصرف العوامل بالأسماء، وصاغ كلّ بيت سحر الألباب، فهامت به هيامها بأسماء، واستغنى بأدبه الملك النقّاد عن الذخيرة، واستيقن كل من رأى فضله أنه من سعد العشيرة، وكان لا يلحق في تلك الحلبة، ولا يلتمس شاعر في النظم شهبة.

قال ابن خلكان، نقلت من بعض تآليفه: إنه من سعد العشيرة ثم من قحطان، وسعد العشيرة من مذحج وإنه من مرطان، مدينة من تهامة اليمن من وادي وَسَاع[١]، وبعدها من مكّة في مهبّ الجنوب إحدى عشر يوماً، وبها ولد ونشأ، ورحل إلى زبيد سنة [إحدى وثلاثين وخمسمائة] وسيّره قاسم بن فليتة أمير مكّة، رسولاً إلى الديار المصرية فدخلها في ربيع الأول سنة [خمسين وخمسمائة] وخليفتها يومئذ الفائز بن الظافر، والوزير الصّالح طلايع بن رُزِّيك[٢].

وقال ابن خلكان وكان عمارة ظاهر التسنن، شافعي المذهب أوّل دخوله مصر[٣].

وذكر الجندي في تاريخه: أنّ عمارة كان أوّل حاله سنيّاً ثم اعتقد مذهب الإسماعيلية وشعره شاهد بمذهبه.

(*) ترجمته في:
خريدة القصر/ قسم الشام ٣/ ١٠١، وفيات الأعيان ٣/ ٤٣١ ـ ٤٣٦، الروضتين ١/ ٢/ ٥٧٢، تاريخ ابن الأثير ١١/ ٣٩٨، مفرج الكروب ١/ ٢١٢، ٢٣٨، مرآة الزمان ٢٧٧، ٣٠٢، السلوك ١/ ١/ ٥٣، النجوم الزاهرة ٦/ ٧٠، العبر للذهبي ٤/ ٢٠٨، شذرات الذهب ٤/ ٢٣٤، الغدير ٤/ ٤٠٨، صبح الأعشى ٣/ ٥٢٦، كشف الظنون ١٧٧٧/ ١٩٧٧، تأسيس الشيعة ٢٧٤، الذريعة ٩/ ٧٦٩، أنوار الربيع ٣/ ٢٨٠، تاريخ آداب اللغة العربية لزيدان ٣/ ٨٠، وقد كتب أخباره على نحو سيرة ذاتية في كتابه (النكت العصرية).

(١) وساع: من قرى عثر باليمن «معجم البلدان».

(٢) وفيات الأعيان ٣/ ٤٣١ ـ ٤٣٢.

(٣) وفيات الأعيان ٣/ ٤٣٣.

وذكر: أن الصالح بن رزيك بعث إليه بثلاثة آلاف دينار في ثلاثة أكياس وكتب فيها:

قل للفقيه عمارة يا خير من ... قد حاز فهماً ثاقباً وخطابا
إني نصحتك فاستمع لنصيحتي ... قل حطة وادخل إلينا البابا
تجد الأئمة شافعين ولا تجد ... إلا لدينا سنّة وكتابا
وعليّ أن أُعلي محلك في الورى ... وإذا شفعت إليَّ كنت مجابا
وتعجّل الآلاف وهي ثلاثة ... ذهباً وقلّ لك النضار ثوابا[1]

فراجعه عمارة بأبيات ذكرها الجندي وذهبت عن خزانة حفظي[2].

قال: ثم إنه سلك سلكهم ومعتقدهم.

قلت: قد مرّ أن اعتقاد طلايع غير اعتقاد الإسماعيلية، بل كان من الاثني عشرية، ورواية الجندي بتشيعه أقوى فيما أَحسب، كيف وهو القائل من قصيدة [من الكامل]:

غصبت أميّة إرث آل محمدٍ ... سفهاً وشنّت غارة الشنآنِ
وغدت تغالب في الخلافة أهلها ... وتقابل البرهان بالبهتانِ
وأتى زياد في القبيح زيادة ... تركت يزيد يزيدُ في الطغيانِ
وتصرَّفوا في رتبةٍ نبويّةٍ ... لم يبنها لهم أَبو سفيان[3]

ويبعد أن يرد هذا من سنّي يعتقد إمامة معاوية.

وله في المرثية اللامية التي سترد أقوى دليل على التشيع، وألّف تاريخ وزراء مصر، والمفيد في أخبار ملوك زبيد.

---

(١) النكت العصرية.

(٢) وهي:

«حاشاك من هذا الخطاب خطابا ... يا خير أملاك الزمان نصابا
لكن إذا ما أفسدت علماؤكم ... معمور معتقدي وصار خرابا
ودعوتم فكري إلى أقوالكم ... من بعد ذاك أطاعكم وأجابا
فاشدد يديك على صفاء محبَّتي ... وامنن عليَّ وسدَّ هذا البابا»

النكت العصرية

(٣) كاملة في النكت العصرية ٣٦٢ ـ ٣٦٤.

ولما دخل مصر والخليفة يومئذ الفائز بن الظافر والوزير الصالح بن رزّيك أنشدهما [من البسيط]:

الحمدُ للعيسِ بعد العَزْم والهِمَم ... حمْداً يقومُ بما أولَتْ من النِّعَم
لا أجحَدُ الحقَّ عندي للركاب يَدٌ ... تمنَّتِ اللُّجْمُ فيها رتَبةَ الخُطُمَ
قَرَّبن بعد مزار العز من نظري ... حتى رأيت إمام العصر من أمَمَ
ورُحن من كعبة البطحاء والحرم ... وفداً إلى كعبة المعروف والكرم
فهل دَرى البيتُ أني بعد فُرْقته ... ما سِرْتُ من حَرَمٍ إلاّ إلى حَرَم
حيث الخلافة مضروبٌ سُرادقها ... علىٰ النقيضين من عفوٍ ومن كَرَمِ
وللإمامة أنوارٌ مقدَّسة ... تجلو البهيمين من ظُلْم ومن ظُلَمَ
وللنبوة آيات تنصُّ لنا ... على الخفيين من حكم ومن حكم
وللمكارم أعلامٌ تعلمنا ... مدحَ الجزيلين من بأس ومن كرم
وللعلا ألسنٌ تُثني محامدها ... على الحميدين من فضل ومن شيم
ورايةُ الشرفِ البذاخ ترفَعُها ... يدُ الرفيعين من مجدٍ ومن همم
أقسَمْتُ بالفائز المعصوم معتقداً ... فوز النجاة وأجْرَ البر في القَسَم
لقد حَمى الدينَ والدنيا وأهلهما ... وزيرُه الصالح الفرّاج للغمم
اللابس الفخر لم تنسج غلائلَهُ ... إلا يد الصَّانِعَين السيف والقلم
وُجوده أوجَدَ الأيام ما اقترحت ... وَجوده أعدَمَ الشاكين للعَدَم
قد ملَّكته العَوالي رِقَّ مملكة ... تُعِيرُ أنفَ الثريّا عزةَ الشَّمَم
أرى مقاماً عظيم الشأن أوهمني ... في يَقظتي أنها من جملة الحلم
يوم من العمر لم يخطر على أملي ... ولا ترقَّتْ إليه رغبة الهمم
ليت الكواكب تدنو لي فأنظِمَها ... عقود مدح فما أرضىٰ لكم كلمي
ترى الوزارة فيه وهي باذلة ... عند الخلافة نصحاً غير متهم
عواطف علمتنا أن بينهم ... قرابة من جميل الرأي لا الرَّحِم
خليفة ووزير مَدَّ عدلُهما ... ظلاً على مفرِقِ الإسلام والأمم
زيارة النيل نقص عند فيضهما ... فما عسى نتعاطى منّة الدِيَم[1]

هذه القصيدة تدنو لها الكواكب خضوعاً، وتتمنّى الورقاء لو لقنتها فتسجع

---

(١) النكت العصرية ٣٢ ـ ٣٤، وفيات الأعيان ٣/ ٤٣٢ ـ ٤٣٣. الغدير ٤/ ٤١١ ـ ٤١٢.

بها سجوعاً، وأمّا قسمه بالفائز حتى تخلّص به إلى مدح الوزير فهو مما اختصّ به فاستحسنا عقيلته واجزلا عطيته.

ثم حجّ من عامه فأعاده صاحب مكّة برسالة أخرى فاستوطن مصر وأحسن الصالح وبنوه إليه غاية الإحسان، ومما سار مسير المثل من شعره، في مدح شاور السعدي الوزير [من الكامل]:

ضجر الحديد من الحديد وشاورٌ ... من نصر دين محمد لم يضجرِ
حلف الزمان ليأتين بمثله ... حنثت يمينك يا زمان فكفّرِ(١)

وكان فيه وفاء الأحرار وهو الذي قتله، ومن ذلك: أن الصّالح بن رزّيك لما قتل كما سبق وصفت الوزارة لشاور السعدي، جلس شاور يوماً وعنده جماعة من أَصجاب بني رزيك يقعون فيه تقربا إليه، قال عمارة: فأنشدته في تلك الحال [من البسيط]:

صحّت بدولتك الأيام من سَقَم ... وزال ما يَشتكيه الدهر من أَلَمِ
زالت ليالي بني رُزِّيكَ وانصرمتْ ... والحمدُ والذمُّ فيها غيرُ منصرمِ
كأَنَّ صالحهم يوماً وعادلهم ... في صدر ذا الدّست لم يَقعد ولم يَقُمِ
هم حركوها عليهم وهي ساكنة ... والسِّلم قد يُنْبتُ الأوراقَ في السَّلَمِ
كنّا نظنّ وبعضُ الظنّ مأثمة ... بأنَّ ذلك جمعٌ غيرُ منهزِمِ
فمذ وَقَعْتَ وقوعَ النسر خانهمُ ... من كان مجتمعاً من ذلك الرَّخَمِ
ولم يكونوا عَدُوّاً ذَلَّ جانبُه ... وإنّما غَرقوا في سيلك العَرِمِ
وما قصدتُ بتعظيمي عداك سِوىٰ ... تعظيم قدرك فاعذرني ولا تَلُمِ
ولو شكرتُ لياليهم محافظةً ... لعهدها لم يكن في العهد من قِدَمِ
ولو فتحتُ فمي يوماً بذمّهمُ ... لم يَرض فضلُك إلا أن يَسدَّ فَمي
والله يأمر بالإحسان عارفةً ... منه وينهى عن الفحشاء في الكَلِمِ(٢)

قال عمارة: فشكر لي شاور وولده على الوفاء لبني رزّيك.

ومن وفائه ما حكاه المقريزي في الخطط عند ذكر نزه الخلفاء فقال: قصر

---

(١) النكت العصرية ٣.

(٢) النكت العصرية ٦٩ ـ ٧٠، الغدير ٤/٤١٢ ـ ٤١٣.

اللؤلؤة بناه الظاهر بن الحاكم لأجل التفرج فيه أيام زيادة النّيل وساق خبره العجيب.

قال: ومما اتفق لما قدم نجم الدين أيوب والد صلاح الدين بن أيوب وصلاح الدين يؤمئذ وزير العاضد، فنزل أيوب بقصر اللؤلؤة، اتفق أنّه حضر عنده الفقيه نجم الدين عمارة اليمني، والرضى أبو سالم يحيى الأَحدب ابن أبي خصيبة[1] الشاعر، في قصر اللؤلؤة، بعد موت الخليفة العاضد، فأنشد بن أبي خصيبة[2] نجم الدين:

يا مالك الأرض لا أرضى له طرفاً ... منها وما كان منها لم يكن طرفا
قد عجل الله هذي الدار تسكنها ... وقد أعدّ لك الجنّات والغرفا
تشرّفت بك عن من كان يسكنها ... فالبس بها العزّ ولتلبس بك الشرفا
كانوا بها صدفاً والدرّ لؤلؤة ... وأنت لؤلؤة صارت بها صدفا

فقال عمارة يردّ عليه [من البسيط]:

أَثِمتَ يا من هجا الساداتِ والخُلَفَا ... وقلتَ ما قلتَ في ثلب لهم سَخَفَا
جعلتَهم صَدَفاً حلّو بلؤلؤةٍ ... والعُرْفُ ما زال سُكْنَى اللؤلؤ الصَّدَفَا
وإنّما هي دارٌ حَلَّ جوهرُهم ... فيها وَشَفَّ فأسْناها الذي وصفَا
فقال لؤلؤةٌ عُجْباً ببهجتها ... وكونِها حوتِ الأَشرافَ والشَّرفَا
فهم بسُكنائها الآياتُ إذ سكنوا ... فيها ومن قبلها قد أسكنوا الصُّحُفَا
والجوهرُ الفردُ نورٌ ليس يعرفه ... من البريَّة إلاّ كلُّ من عرفَا
لولا تجشمهم فيها[3] لكان على ... ضعف البصائر والأبصار مُخْتَطِفَا
فالكلبُ يا كلبُ أَسْنَى منك مكرمةً ... لأن فيه حفاظاً دائماً وَوَفَا[4]

قال المقريزي: فللّه درّ عمارة، لقد قام بحسن الوفاء، ووفى بحسن الحفاظ كما هي عادته، لا جرم أنه قتل في واجب من يهواه كما هي سنة المحبين، فالله يرحمه ويتجاوز عنه[5].

---

(١) في النكت: «حَصينة».

(٢) في النكت: «ابن أبي حَصينة».

(٣) في النكت: «لولا تجسمه فيهم».

(٤) كاملة في النكت العصرية ٢٩٢ ـ ٢٩٣، الغدير ٤/٤١٣.

(٥) الخطط المقريزية ٢/٣٥٣ ـ ٣٥٥.

قال: ولمّا مات العاضد لدين الله في يوم عاشوراء سنة سبع وستين وخمسمائة، احتاط الطواشي قراقوش مولى صلاح الدين بن أيوب على أهل العاضد وأولاده، فكان عدّة الأشراف في القصور مائة وثلاثين، والأطفال خمسة وسبعين، وجعلهم في مكان أفردَ لهم خارج القصر، وجمع عمومته وعشيرته وعترته في إيوان بالقصر، واحترز عليهم، وفرّق بين الرجال والنساء كي لا يتناسلوا، وليكون ذلك أسرع لانقراضهم، وتسلّم السلطان صلاح الدين القصر بما فيه من الخزائن، وفرَّق الجواري والموالي، بين أصحابه[1] والتفصيل يطول.

وقال الفقيه عمارة يرثيهم، وبسبب هذه القصيدة قُتِل.

قال ابن سعيد[2] ولم يسمع فيما نكبت به دولة بعد انقراضها أحسن منها وهي:

رميت يا دهر كفّ المجد بالشللِ ... وجيده بعد حسن الحلْي بالعطلِ

سعيت في منهج الراي العثور فإن ... قدرت من عثرات الدهر فاستقلِ

جدعت مارنك الأقنى فانفك لا ... تنفك ما بين قرع السنّ والخجلِ

هدمت قاعدة المعروف عن عجلٍ ... شقيت مهلاً أما تمشي على مهلِ

لهفي ولهف بني الأمال قاطبةً ... على فجيعتها في أكرم الدولِ

قدمت مصراً فأولتني خلائفها ... من المكارم ما أربى على الأملِ

قوم عرفت بهم كسب الألوف ومن ... نمامها أنها جاءت ولم أسلِ

وكنت من وزراء الدست حين سما ... رأس الحصان بهاديه على الكفلِ

ونلت من عظماء الجيش مكرمة ... وخلّة حرست من أعظم الخللِ

يا عاذلي في هوى أبناء فاطمة ... لك الملامة أن قصرت في عذلي

با لله زر ساحة القصرين وابكِ معي ... عليهما لا علا صفّين والجملِ

وقلْ لاهليهما والله ما التحمت ... فيكم جراحي ولا قرحي بمندملِ

ماذا عسى كانت الافرنج فاعلة ... في نسل آل أمير المؤمنين علي

---

(١) الخطط المقريزية ٢/ ٣٩٩.

(٢) في الخطط: «ابن سعد».

هل كان في الأمر شيء غير قسمة ما ملكتم بين حكم السبي والنقلِ
وقد حصلتم عليها واسم جدّهم محمّد وأبوهم غير منتقل
مررت بالقصر والأركان خالية من الوفود وكانت قبلة القبلِ
فملت عنها بوجهي خوف منتقدٍ من الأعادي ووجه الودّ لم يملِ
أسبلت من أسفي دمعي غداة خلت رحابكم وغدت مهجورة السّبلِ
أبكي على مأثرات من مكارمكم تشكو من الدهر حيفاً غير محتملِ
دار الضيافة كانت أنس وافدكم واليوم أوحش من رسم ومن طللِ
وفطرة الصوم أن أضحت مكارمكم حال الزمان عليها فهي لم تحلِ
وكسوة الناس في الفصلين قد درست ورثَّ منها جديد عندهم وبلي
وموسم كان في يوم الخليج لكم يأتي تجمّلكم فيه على الجملِ
وأوّل العام والعيدين كان بكم فيهن من وبل جود ليس بالوشلِ
والأرض تهتزّ في يوم الغدير كما يهتزّ ما بين قصريكم من الأسلِ
والخيل تعرض في وشي وفي شيةٍ مثل العرايس في حليٍ وفي حللِ
ولا حملتم قرا الأضياف من سعة الـ أطباق إلا على الأكتاف والعجلِ
ولا خصصتم ببرّ أهل ملّتكم حتى عممتم به الأقصى من المللِ
كانت مراتبكم للذمّتين وللـ ـضّيف المقيم وللطاري من الرسلِ
ثمّ الطراز بتنّيسِ التي عظمت منه الصّلات لأهل الأرض والدولِ
وللجوامع من أحباسكم نعمٌ لمن تصدَّر في علم وفي عملِ
وربّما عاذت الدّنيا بمعقلها منكم وأضحت بكم محلولة العقلِ
والله لا فاز يوم الحشر مبغضكم ولا نجى من عذاب الله غير ولي
ولا سقى الماء من حرّ ومن ظمأٍ من كفّ خير البرايا خاتم الرسلِ
ولا رأى جنّة الله التي خلقت من خان عهد الإمام العاضد بن علي
أئمتي وهداتي والذخيرة لي إذا ٱرتهنت بما قدّمت من عملي
تالله لم أوفهم في المدح حقّهم لأن فضلهم كالوابل الهطلِ
ولو تضاعفت الأقوال واستبقت ما كنت فيهم بحمد الله بالخجلِ
باب النجاة هم دنيا وآخرة وحبّهم فهو أصل الدين والعملِ
نور الهدى ومصابيح الدجا ومحل الـ ـغيث أن رثت الأنواء في المحلِ
أئمة خلقوا نوراً فنورهم من نور خالص نور الله لم يفلِ
والله لا زلت عن حبّي لهم أبداً ما أخّر الله لي في مدّة الأجلِ

قال المقريزي: وبسبب هذه القصيدة تمحلت له الذنوب حتى قتل[(١)].

وقال الصّفدي في الغيث الذي انسجم: أن القاضي العويرس أحد أعيان العاضد رأى المسيح عليه السلام في منامه مشرفاً عليه من السماء، فقال: الصّلب حقّ، قاله المسيح عليه السلام: نعم، فقصّ ذلك على معبّر حاذق، فقال له: أنت تصلب، لأن المسيح قال: إنه حق وهو لم يصلب فما بقي إلا أن يكون أنت المصلوب، فصلب بعد أيام مع عمارة بسبب رثاء أهل القصر.

ثم قال: لا يبعد أن يكون القاضي الفاضل سعى في هلاكه وحرّض عليه، لأن صلاح الدين لمّا استشاره في أمره، وقال: ينفىٰ، قال: يرجى رجوعه، قال يؤدب، قال: الكلب يسكت ثم ينبح، قال: يقتل، قال: الملوك إذا أرادوا فعلوا، وقام من فوره فأمر بصلبه مع القاضي العويرس وجماعة معه من شيعتهم، ولما أخذ ليشنق قال: مرّوا بي على باب القاضي الفاضل لحسن ظنّه فيه، فلمّا رآه قام واغلق بابه، فقال عمارة:

عبد العزيز قد احتجبْ   إن الخلاص من العجبْ

ثم شنق مع أولئك الجماعة يوم السبت ثاني شهر رمضان سنة تسع وستين وخمسمائة، رحمه الله بفضله.

ومن العجائب: أن عمارة ذكر في النكت العصرية في أخبار الوزراء المصريّة في ذكر العادل بن الصالح بن رزّيك، المذكور والده في حرف الطاء[(٢)]، فقال: ومن محاسن أيامه وما يؤرخ عنها بل هي الحسنة التي لا توازىٰ، بل اليد البيضاء التي لا تجازىٰ، خروج أمره إلى والي الإسكندرية بتسيير القاضي الفاضل إلى الباب، فإنه غرس منه للدولة بل للملة شجرة مباركة متزايدة النّما، أصلها ثابت وفرعها في السماء.

قلت: وكان حتفه برأيه وعلى يديه، وجازاه على منثوره فيه بنظمه في خشبة الشنق، وهكذا يصنع سوء الأصل وعداوة المذهب، وإلى الله المصير.

---

(١) الخطط المقريزية ٢/٣٩٧ ـ ٣٩٩، الغدير ٤/٤١٤ ـ ٤١٥.

(٢) ترجمه المؤلف برقم ٨٧.

السيد عيسى بن لطف الله بن المظهر بن الإمام شرف الدين الحسني اليمني المنجم الأديب(*).

فاضل جمع من النجوم والأدب بين أبو معشر نسى معشره في النجوم، أو ابن يونس لتوحش وخالفته نجيّات الهموم، وكان أفضل أهل اليمن في عصره بمعرفة الفلك، ومن جاء بعده فإنه في الحضيض، عن منال السماء، وكان شاعراً فاضلاً حسن المنادمةِ، وكان والده ممّن أسّرته عسكر الروم، صاحب اصطنبول لما استولوا على بلاد اليمن، قبيل قيام الإمام المنصور القاسم بن محمد، وكانوا حملوه ومعه عدة من أخوته وغيرهم إلى بلاد الروم، كما شرح هو في كتابه «روح الروح»، وكان نديم الأمراء الذين وجههم سلطان الروم لفتح اليمن، واختص بالوزير محمد وصنّف له «روح الروح فيما كان بعد المائة التاسعة من الفتوح»[١] «والنفحة اليمنية في الدولة المحمدية»[٢] ولم يخل من عصبية لهم في الكتابين بسبب احسانهم إليه، واللهى تفتح اللّهى، وهذان الكتابان، على نهج قلايد العقيان في التسجيع لا في حرية الألفاظ، وهما كافيان بفضله في الأدب، وكان صالح المعتقد، وسمعت أنّه كان يرى رأي القطعية من الشيعة، وإنه ذكر أن الوزير محمد كان على هذه النحلة، وشعره قليل جيّد، ومنه:

لا تلمني في حبّ أهيف كالغصن ... يغير الشموس في الإشراقِ
لدغتني في حُبّه حيّة الوجه ... فما غير وصله من راقِ[٣]

وما يعجبني جمع لفظ الشمس، وإن كان قد جاء قليلاً لأنها واحدة في

(*) عيسىٰ بن لطف الله بن المطهر بن الإمام شرف الدين يحيى بن شمس الدين، تتمة نسبه بهامش الترجمة رقم ٩٢.

ترجمته في:

خلاصة الأثر ٣/٢٣٦، بروكلمان، البدر الطالع ١/٥١٦، فهرس دار الكتب ٥/٢٠٣، نفحة الريحانة ٣/٣٢٦ ـ ٣٢٩، الفهرس التمهيدي ٣٩٧، الزهراء ٥/٩٦، الاعلام ط ٤/٥/١٠٧.

(١) يقع في جزئين، نسخة منه في خزانة الشيخ محمد نصيف بجدّة.

(٢) في خلاصة الأثر: إسمه «الأنفاس اليمنية في الدولة المحمدية».

(٣) البدر الطالع ١/٥١٦.

المعنى والحسن، وأمّا القمر فإنه لما كان يكمل وينقص بحسب حيلولة الأرض بينه وبينها حتى لا يرى في السرار، فإنه يوهم أنّ المستهل غير الأول ولذا جمع كثيراً.

قال ابن نباتة:

وحوا بني تراب مصر وجلّق   كالغيم مرتكماً على أقمارِ

وكان السيد عيسى يميل إلى غلام جميل فبلغه أن الترك قتلته في بعض تلك الحروب، فقال يرثيه:

حييت يا ساجي الأجفان حيّيتا   وبالرضى من رحيم الخلق لقّيتا
ومن كؤوس وأكواب مشعشعة   ختامها المسك في الفردوس سقيتا
يا شادناً سفحت سمر القنا دمهُ   واستأصل السيف منها الرأس والليتا
غالتك صحبك لما قهقروا هرباً   ومزّقوا فرعاً تلك الأ ما ريتا
وأَفردوك لأسد ما فرايسها   سوىٰ الفوارس أو من كان منعوتا
من فتيةٍ من كماة الترك ما تركت   للرعد صولاتهم صوتاً ولا صيتا
قوم إذا قوبلوا كانوا ملائكة   حسناً وإن قوتلوا كانوا عفاريتا
ظننت أن لقاهم مثل دوركم   في كوكبان بهذا صرت ممقوتا
وما عرفت رجالاً قد نضت حنقا   لروح محربهم بيضاً مصاليتا
قد كنت أهوى بأن تأوى إلى نظري   فالآن من لي بجعل القلب تابوتا
عذبتني بالجفا وقت الحياة وفي   مماتك اليوم قد أحرمتني القوتا
ويح الذين تولّوا عنك وانصرفوا   لو أنّهم صبروا ما صرت مثبوتا
قبلت منك عذاب الحالتين معاً   حيّاً وميتاً فيا طول الجوىٰ هيتا
يا زهرة قطفت من بعد ما بسمت   وزهرة غربت مذ وافت الحوتا
لهفي على المقلة الكحلاء التي قصرت   عن سحر نفثتها أسحار هارُوتا
والقامة اللدنة الآتي إذا اخطرت   أو انثنت عاد غصن البان مبهوتا
كأنّما رأسه لما بدا صنم   قد أبرزوه من الابريز منحوتا
قد عطّر السفح منه الدم حين جرىٰ   كذا دم الظبي مهما صار مفتوتا
لو شاهدته النصارى قال عالمهم: قوموا انظروا قد حوى الناسوت لاهوتا
لهفي عليه ولهفي منه وآكمدي   كم قد حبا الصبّ بالهجران تشتيتا
وكم حماني في وقت الحياة لما   أشهى إلى مهجتي من نهر طالوتا

فيا ابن جابر ما للهجر من سببٍ يشفي فؤاد الشجي إلا إذا احييتا
سقى الآله ضريحاً أنت ساكنه وطف الغمايم لا تجفوا المواقيتا
حتى يرى حول ذاك القبر مبتسماً زهر الروابي حكى درّاً وياقوتا[1]

وقوله: «من فتيةٍ من كماة الترك». والبيت الذي بعده لإبراهيم الغزي[2] الشاعر المشهور ضمّنها واضطر إلى تغيير الأوّل، وأصله «وفتية»، وأَجاد إبراهيم فيهما بل لم تمدح الترك بأحسن منهما، وبعدهما أَيضاً وهو معنى بديع:

مدت إلى النهب أيديهم وأعينهم وزادهم صغر الأحداق تثبيتا

وأمّا نهر طالوت فهو نهر الأردن بالشام، ولم يعلم له بحلاوة تزيد على الأَنهار، وإنّما اللائق أن يقال أحلى من الخمر والعسل ومن نومة شوال، ونحو ذلك وعذر المتنبي أوضح من هذا مع ثقل لفظه «طالوت» وطوله وأنّما يشبه النائل القليل بنهر طالوت لمن أراد وليعذر الناظر فإن هذا الأديب يؤخذ عليه الخطا.

وحكى لي السيد أحمد بن الحسين بن يحيى بن أحمد سيد الكوكباني[3]: أنه لم يصح قتل الغلام الذي رثاه بهذه الأبيات.

ومات السيد عيسى بن لطف الله في دولة الإمام المؤيد بالله بن المنصور بعد وفاة والده المنصور بالله القاسم وزوال دولة الرّوم من اليمن، وأُخبرت: إنه وفد إلى المؤيد إلى شهارة باستدعائه إيّاه فأَحسن إليه، وكان إذا اذكرت عنده لفظات أَطلقها في مؤلفاته مما يقدح في الدولة الإمامية، يستحي كثيراً.

وله غير ذلك من الأَشعار كالقصيدة الرائية التي استغاث بمن أَنشأها في مديحه، فكشف الله عنه ببركات ممدوحه بها كربه وزال غمّه وهمّه، وأوّلها:

يا أخا أحمد في أفعالهِ أنت هارون لطه المضري
يا عليّاه إلى سرح الغري يا سرياً دونه كلّ سري

ذكر فيها جملاً من فضائله صلوات الله عليه والذي حكى لي الحكاية عن قتل الغلام، أعني السيد أحمد بن حسين شاعر متأدب.

---

(١) بعضها في البدر الطالع ١/ ٥١٦.
(٢) مرت ترجمته بهامش سابق.
(٣) ترجمته في نشر العرف ١/ ١٣٤ ـ ١٣٥.

وذكرت ما أنشدني لنفسه بجامع صنعاء سنة ١٣[١]:

يا غصن قد مِلْتَ عنّي ... وطال منك التجنّي
جنيت حبّة قلبي ... فصرت تجني وتجني

وأنشدني له في القول بالموجب:

تزوّج المولى صلاح الهدى ... بغادة تخجل ظبي الفريقْ
صغيرة السنّ وقالوا لنا: ... تكلّفت، قلت: بما لا يطيقْ

هذا أعف من قول برهان الدين المعمار المصري[٢]:

صُغَيِّرٌ نام على وجهه ... وقال حككك، قلت: لا فائدهْ
قم فادخل العامود يا سيدي ... فقال: لا تنخرم القاعدهْ

واستغفر الله من حكايات المجون.

وللسيد أحمد المذكور في واقعةٍ حصلت في أهل يافع من قبيلة برط:

كنا نظن أمامنا مهدي الهدى ... يحمي الشوافع بالحسام القاطعِ
حتى جرى في أَهل يافع ما جرى ... فغدوا ينادوا هل لنا من شافعي

وغير خفية التورية فإنّهم شوافع.

ونسأله التوفيق وبه الثقة.

---

(١) كذا في الأصل.

(٢) مرت ترجمته بهامش سابق.

حرف الفاء

[١٢٨]

أم أبيها فاطمة الزّهراء إبنة رسول الله ﷺ أبي القاسم محمد بن عبد الله ابن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف[*].

وأمّها سيدة نساء رسول الله ﷺ، وأقدمهنّ سابقة وصحبة وإِيماناً، خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزّى بن قصي الأسدية القرشية.

ولدت فاطمة الزهراء صلوات الله عليها بعد البعثة بخمس سنين، وقبضت بعد أبيها بنحو مائة يوم صلوات الله عليهم أجمعين.

وفضائلها مما يعجز عن سردها مثلي، وإنّما ذكرتها للبركة وكفّارة لما لا يخلو عنه الكتاب من فضول العُجب، ورجاء شفاعتها.

وقال أبوها ﷺ: «ينادي منادي يوم الحشر، يا أهل الجمع، غُضُّوا أبصاركم حتى تجوز فاطمة بنت محمد إلى الجنة، فتأتي على نجيب من نور، وقد حفَّتها الملائكة، لهم زجل بالتسبيح والتقديس، وعليها قميص الحسين المخضوب بالدم، فلا تدخل الجنّة حتى ينتقم الله من واتريها»[١].

(*) جمعت شعرها د. ليلى محمد ناظم الحيالي في بحث (فاطمة بنت محمد ﷺ) نشر في مجلة المورد البغدادية مج ٢٤ لسنة ١٤١٧هـ/١٩٩٦م/ع١/٣٨ ـ ٤٤.

ثم جمع شعرها وحققّه كامل سلمان الجبوري بعنوان (ديوان فاطمة الزهراء عليها السلام) ط بيروت ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

(١) أنظر: مودة القربى ٣٢، المستدرك للحاكم ٣/١٥٣، مجمع الزوائد ٩/٢١٢، المناقب لابن المغازلي ٣٥٥ حديث ٤٠٤،٦٤ حديث ٩١، ينابيع المودة ٢/٣٢٢ ـ ٣٢٣ «بألفاظ مختلفة».

وفي رواية أهل السنّة: حتى تجوز على الصراط الممدود[1]، وفيه دليل أن لا بدّ من المرور عليه، فلو سلم منه أحد لما مرَّت عليه هذه الوليّة مع هذه الكرامة، لكن الله يسهّله على هذه النفوس المطمئنة، وهو في اللغة الطريق وهو حقيقة جسر ممدود فوق واد جهنم، يهوي منه الكافر، خلافاً لأكثر المعتزلة، والقرآن والحديث يردّ عليهم.

وصحَّ عنهﷺ أنه قال: «إن الله يغضب لغضب فاطمة»، وغير ذلك مما هو مشهور.

وهي سيدة نساء العالمين. كما أن مريم سيدة نساء عالمها[2].

وروى الشيخ أبو الفرج الأصبهاني في ترجمة الحسين بن علي رضوان الله عليه: عن قعنَب بن المحرز، أن فاطمة الزهراء كانت تكنى بأمّ أبيها[3]، وولدت لعليعليه السلام الحسن والحسين وأسقطت المحسن بتشديد المهملة المكسورة، قيل: لفزع السقيفة.

وذكر مجد الدين ابن الأثير الجزري في النهاية من شعر فاطمة الزهراء صلوات الله عليها بعد أخذ فدك من يدها تخاطب أباها [من البسيط]:

قد كان بعدك أنباء وهينمة[4] ... لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب
إنّا فقدناكَ فقدَ الأرض وابلها ... واختَلَّ قومٌ فشاهِدْهُم فقد نكبوا
تَجَهَّمتنا رجالٌ واستخفَّ بنا ... مذ غِبتَ عنَّا فنحن اليوم نغتصبُ
فليت قبلكَ كان الموتُ صادفنا ... قوم تمنّوا فخصّوا بالذي طلبوا
أبدت رجالٌ لنا فحوى صدورهم ... لما مضيت وحالت دونك الحجبُ[5]

---

(١) ن.م.

(٢) أنظر: حلية الأولياء ٢/ ٤٠، صحيح البخاري ٧/ ١٤١ (في حديث)، مسند أحمد ٦/ ٢٨٢ (في حديث) ينابيع المودة ٢/ ٣٢١.

(٣) الاغاني ١٦/ ١٤٥ ترجمة الحسين بن علي.

(٤) في كشف الغمة ٢/ ١١٥، بلاغات النساء ط النجف ١٤، ط القاهرة ١٨ شاعرات العرب في الجاهلية والاسلام ٢٤٨ ـ ٢٤٩، الزهرة ٢/ ٨٨ «.. أنباء وهنبثة».

(٥) النهاية لابن الأثير، بلاغات النساء ط النجف/ ١٤، ط القاهرة ١٨، مناقب آل أبي طالب، الزهرة ٢/ ٨٣٨، حسن الصحابة، أعلام النساء، العقد الفريد ٣/ ٢٣٨، كشف الغمة ٢/ ١١٥، شاعرات العرب في الجاهلية والاسلام ٢٤٨ ـ ٢٤٩، شاعرات العرب في الاسلام ١٠١.

وأسند هذه الأبيات: غير إبن الأثير، لكنّي ذكرت روايته لما كان من غير الشيعة.

ولمّا دفن رسول اللهﷺ جاءت فاطمةعليها السلام بعد يوم أو يومين حزينة باكية فألقت نفسها على قبره الشريف، وقالت [من الكامل]:

ماذا على من شَمَّ تربة أحمدٍ ... أن لا يَشُمَّ مدى الزمان غواليا
صبّت عليّ مصائب لو أنّها ... صبّت على الأيام عُدن لياليا[1]

ولما توفيت الزهراء صلوات الله عليها دفنها عليعليه السلام بالبقيع ليلاً بوصية منها في ذلك التاريخ المذكور وقال يرثيها [من الطويل]:

لكلِّ اجْتماع من خَليلينِ فرقَةٌ ... وَكُلُّ الذي دُونَ المماتِ قَلِيلُ
وإِن افتقادي فاطِماً بَعدَ أَحمدٍ ... دَليلٌ على أن لا يَدُومُ خَلِيلُ[2]

ولها أيضاً أشعار مذكورة في السير قالتها في حياة النبيﷺ.

وذكر الشريف النسّابة ابن عنبة الحسني في «عمدة الطالب في نسب آل أبي طالب» الذي ألّفه لتمرلنك: إن أبا المحاسن نصر بن عُنين الدمشقي[3] الشاعر المشهور توجه إلى مكة ومعه مال وثياب، فخرج عليه بعض بني داود الحسنيين أهل شجرة، فنهبوا ماله وجرحوه، فكتب إلى الملك العزيز طغتكين بن أيوب صاحب اليمن، وكان أخوه صلاح الدين قد طلبه للاستعانة على حرب فرنج الشام، فكتب إليه ابن عنين من قصيدة يحرّضه على أولئك الأشراف، أوّلها:

أعيت صفات نداك المصقع اللسنا ... وجرت في الجود حدّ الجود والحسنا
وما تريد بجسم لا حياة له ... من خلّص الزبد ما أبقى لك اللبنا
ولا تقل ساحل الافرنج أفتحه ... فما يساوي إذا قايسته عَدَنا

---

(١) السيرة النبوية والآثار المحمدية ٢/٤٠٣، مناقب آل أبي طالب ١/٢٠٨، سير أعلم النبلاء ٢/٩٧، بحار الأنوار ٧٩/١٠٦، السيرة الحلبية، حماسة الظرفاء.

(٢) المستدرك على الصحيحين ٣/١٦٣، سراج الملوك ٢٣، مروج الذهب ٢/٢٩١، كاملة في أنوار العقول قطعة ٣٤٢ وفيه تخريج المقطوعة من المصادر التي أوردتها.

(٣) مرت ترجمته بهامش سابق.

وإن أردت جهاداً روِّ سيفك من ... قوم أضاعوا فروض الله والسننا
طهّر بسيفك بيت الله من دنسٍ ... وما أحاط به من خسّةٍ وخنا
ولا تقل إنهم أبناء فاطمة ... لو أدركوا آل حربٍ حاربوا الحسنا

فرأى في منامه فاطمة صلوات الله عليها وهي تطوف بالبيت، فسلّم عليها فلم تجبه، فتضرع وتذلل وسألها عن ذنبه، فأنشدته:

حاشا بني فاطمة كلّهم ... من خسةٍ تعرض أو من خنى
وإنّما الأيام في غدرها ... وفعلها السوء أساءت بنا
فتب إلى الله فمن يقترف ... إثماً يتب يأمن مِمّا جنا
أَإن أسا من ولدي واحد ... تجعل كل السَّب عمداً لنا؟
أكرم لِعَيْنِ المصطفى أحمد ... ولاتهن من آله أعينا
فكلّما نالك منهم غداً ... تلقى به في الحشر منّا منى

قال أبو المحاسن: فانتبهت من نومي مرعوباً وقد أكمل الله عافيتي من الجراح والمرض، وكتبت الأبيات وحفظتها وتبت إلى الله تعالى مما قلت وقطعت تلك القصيدة، وقلت:

عذراً إلى بنت نبي الهدى ... يصفح عن ذنب مسيء جنى
وتوبة تقبلها من أخي ... مقالة توقعه في الخنا
والله لو قطّعني واحد ... منهم بسيف البغي أو بالقنا
لَم أَرَ ما يفعله سيّئاً ... بل إنه في الفعل قد أحسنا[1]

قلت: ظهر بهذا المنام أن سرّ الزهراء صلوات الله عليها ملاحظ لذريتها، وأنا أسأل الله بجاهها أن يجعلني ممن ينفعه خالص ودادها في الدنيا والآخرة، وظهر لهذا هذا النظام الجوهري الذي ارتجلته، وما أَحسن في آخره منّا منى، وبان به إن أبا المحاسن ابن عنين دان بالتشيع، فنشير إلى بعض أخباره.

وذكر ابن خلكان: إنه كان أَشعر أهل الشام في وقته، وأعرفهم بنقد الشعر وكان هجاء وله قصيدة سماها «مقراض الأعراض» جمع فيها خلقاً من أَهل

---

(١) عمدة الطالب ١٣٠ ـ ١٣٢، ديوان ابن عنين ١٠٢ ـ ١٠٣، جواهر العقدين في فضل الشرفين ٢/ ٢٧٠ ـ ٢٧١.

دمشق، وبسببها نفي عنها ودخل إلى اليمن والهند[١].

وله القصيدة المشهورة يتشوّق فيها دمشق ويذكر متنزهاتها وهو بالهند ومن أَوائلها:

حنينٌ إلى الأوطانِ ليس يزولُ ... وقلبٌ عن الأشواقِ ليسَ يَحولُ
أَبِيتُ وأسرابُ النجوم كأنّها ... قُفولٌ تَهادىٰ إثرَهنَّ قُفولُ
أُراقبها في الأُفق من كلِ مطلعٍ ... كأني برعي الساريات كفيلُ
فيا لك من ليلٍ نأىٰ عنك صبحُهُ ... فليس له فجرٌ إليه يَؤولُ
أما لعقودِ النجم فيه تصرُّمٌ ... أَما لخضابِ الليلِ فيه نُصولُ
كأنَّ الثريَّا غرةٌ وهو أدهمٌ ... له من وميضِ الشعريين حُجُولُ
ألا ليتَ شِعرِي هل أَبيتنَّ ليلةً ... وظِلُّك يا مَقْرى عليَّ ظليلُ
وهل أَرَيَنْي بعد ما شطتِ النوى ... ولي في رُبىٰ روضٍ هناك مَقيلُ
دمشقُ فبي شوقٌ إليها مبرّحٌ ... وإنْ لجَّ واشٍ أو أَلحَّ عذولُ
بلادٌ بها الحصباءُ درٌّ وتُربها ... عبيرٌ وأنفاسُ الشَمالِ شَمولُ
تَسلسلَ فيها ماؤها وهو مطلقٌ ... وصحَّ نسيمُ الرَّوضِ وهو عليلُ
فياحبذا الروضُ الذي دونَ عبريا[٢] ... سُحَيراً إذا هبَّتْ عليه قَبولُ
ويا حبذا الوادي إذا ما تَدَفَّقَتْ ... جداولُ بانَاسٍ إليهِ تسيلُ
وفي كبدي من قاسيون حرارةٌ ... تزولُ رواسيه وليس يزولُ[٣]

وهي طويلة طنّانة، وأُذن له بالعَود بَسببها فعاد إلى دمشق[٤].

ومن شعره في فقيهين ينبز أَحدهما بالبغل والآخر بالجاموس تناظرا بدمشق:

---

(١) في هامش نسخة ب: «ولما نفاه السلطان صلاح من دمشق بسبب القصيدة قال:
«فعلام أبعدتم أخا ثقة ... لم يجترم ذنباً ولا سرقا
انفوا المؤذن من بلادكم ... أن كان ينفي كل من صدقا»
وفيات الأعيان ٥/١٤ ـ ١٥.

(٢) في ديوانه: «عَزَّتا»، وفي نخبة الدهر ١٩٩: «إقليم غرَّتا» بالغين والراء مصحفاً عن عزّتا، وإنه من أقاليم دمشق، مثل: إقليم الغوطة، وإقليم المرج، وإقليم داريا...

(٣) كاملة في ديوانه ٦٨ ـ ٧٢.

(٤) في هامش ب: «وفي عودته يقول:
هجرت الأكابر من جلق ... ورعت الوضيع بسب الرفيع
وأُخرجت منها ولكنني ... رجعت على رغم أنف الجميع»

البغلُ والجاموسُ في جَدَلَيهما قد أصبحا عظةً لكلّ مُناظرِ
بَرزا عشيَّةَ ليلةٍ فَتبارزا هذا بقرنَيْهِ وذا بالحافِرِ
صدا ابقيا غير الصباح كأنّما[1] لَقِنا جِدَالَ المرتضى ابنِ عساكرِ
لفظٌ طويلٌ تحتَ معنَىً قاصرٍ كالعقل في عبدِ اللطيفِ الشاعرِ[2]

قلت: هذا الاستطراد من أنفس أنواع البديع، ولا شيء أعجب من التهكم بذكر الشاعر بعد الاسم، وقد مضى قول أبي تمام وتبعه البحتري فيه وأوّل من فتحه فيما أحسب السموأل بقوله:

وإنا لقوم لا نرى القتل سبّة إذا ما رأته عامرٌ وسلولُ

ومن غرائبه قول الحريري[3] في مجلس قرواش وسيأتي.

واتفق لي بمكة المشرفة أن رجلاً من أعيانها يعرف بالمرشدي يدعى علم النحو وغيره.

ورأيته بمجلس الشريف الأجل أحمد بن مسعود الحسني فسألته عن المسألة التي سأل بها الشيخ تاج الدين الكندي وقد ذكرتها عند ذكره في الزاي[4]، فأجاب بالنصب لربّه فبينت له الخطأ وسألته التثبت وأمهلته أياماً، واجتمعت به هناك أيضاً فأعملها ولم يحسن الإعراب ثم صمّم وأظهر الحمق المشهور عنه، فكتبت في الحال في ظهر كتاب للشريف:

ولقد بليت بغادةٍ فتّانةٍ عبثت لواحظها بقلب الجلمدِ
سفرت بوجهٍ كالهلال مكمّل أو مثل أخلاق المعظّم أحمدِ
ويهزّها مرح الصبا لمّا انثنت فكأنّها عطف القنا المتأوّدِ
جعلت بقلبي مثل خفق شنوفها حتى انصرفت بمثل عقل المرشدِ

ولابن عنين في طبيب كحّال:

لو أنَّ طلاَّبَ المطالبِ عندهم علمٌ بأنَّكَ للعيونِ تُغوّرُ
لأَتوا إِليكَ بكلِّ ما أَمّلتَهُ منهم وكانَ لكَ الجزاء الأوفَرُ

(١) في ديوانه: «ما أحكما غير الصياح كأنّما».

(٢) ديوانه ٢٠٥ ـ ٢٠٦.

(٣) علي بن محمد الحريري، ترجمه المؤلف برقم ١٢٢.

(٤) ترجمه المؤلف برقم ٧٦.

ودعوكَ بالصَّباغِ لَمّا أنّ رأوا ... يُغشي العيونَ لديكَ ماءٌ أصفرُ
وبكفّك الميلُ الذي يَحكي عصى ... موسى فكم عينٍ بها تتفجّرُ[1]

ولأبي الحسن مهيار في مثله:

أفنى وأعمى ذا الطبيب بطبّه ... وبكحله الأحياء والبصراءُ
وإذا انظرت رأيت من عميانه ... أمماً على أمواته قرّاءُ

هذا ممّا لا طاقة لأحد على مثله.

وما أحسن قول الحكيم ابن دانيال الكحال:

يا سائلي عن حرفتي في الورىٰ ... وضيعتي فيهم وإفلاسي
ما حال من درهم إنفاقه ... يأخذه من أعين الناسِ[2]

والله يغفر لنا بمنّه وكرمه.

[١٢٩]

أبو العبّاس الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب، وهو عبد العزى ابن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف الهاشمي الحجازي(*).

فاضل غاص في بحور الشعر غوص الحوت وهو شمس، وأفحم قرناه

---

(١) معجم الأدباء ١٩/٨٧، ديوانه ٢٤٠.

(٢) في هامش ج بعدها: «ومن شعر ابن عنين المقطوع السائر، قاله للسبب المشهور، وإن تكن من هذا:

ما كلُّ من تَسَمى بالعزيز لها ... أهلاً ولا كلُّ برقٍ سحبُهُ غَدِقَهْ
بين العزيزَينِ بَون في فِعالِهما ... هذاكَ يُعطي وهذا يأخذُ الصدقَهْ»

ديوانه ٢٢٣.

(*) جمع شعره وحققه الاستاذ مهدي عبد الحسين النجم ونشره في مجلة البلاغ الكاظمية السنة ٦/ ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م ع٧ وما بعده.

ترجمته في:

الاغاني ١٦/١٨٥ ـ ٢٠٤، التبريزي ١/١٢٠، سرح العيون ١٩١، نسب قريش ٩٠، سمط اللآلي ٧٠١، الآمدي ٣٥، رغبة الآمل ٢/٢٣٧، ٨/١٨٣، الدرجات الرفيعة، شرح الكامل للمرصفي، أعيان الشيعة ٤٢/٢٨٥ ـ ٢٩٠، الاعلام ط ٤/٥/١٥٠، أدب الطف ١/١٢٦ ـ ١٢٩، الطليعة ـ خ ـ ترجمة رقم ٢١٧.

بفصاحته فلا يسمع لهم همس، ولقي منه ابن أبي ربيعة هواجر الصيف، وليس يفرق إلاّ الحاذق بين مقوله والسيف، وهو أحد شعراء الأغاني.

وقال أبو الفرج الأصبهاني: كان أحد شعراء بني هاشم وفصحائهم، وكان أدم اللون، وله في ذلك:

وأنا الأخضر من يعرفني	أخضر الجلدة في بيت العربْ[1]
من يساجلني يساجل ماجد	يملأ الدلو إلى عقد الكرب
إنّما عبد مناف جوهر	زَيَّنَ الجوهرَ عبدُ المطلبْ
كل قوم صيغة من ورقهم	وبنو عبد مناف من ذهب
نحن قوم قد بنىٰ الله لنا	شرفاً فوق بيوتات الشهبْ
بنبي الله وابني عمّه	وبعبّاس بن عبد المطلبْ

وكان بنو هاشم قبل خلافة المنصور كلّهم شيعة، فلما أساء إلى بني حسن وقتل بعضهم أَدخل بينهم الشحناء فافترق اعتقادهم.

وكان للفضل مع عمر بن أبي ربيعة قصّة ظريفة حكاها أبو الفرج في الأغاني قال: إنّ عبد الملك بن مروان قال لعمر بن أبي ربيعة[2]: أخبرني عن منازعتك الفضل اللهبّي في المسجد الحرام فقد بلغني ذلك وأحببت أن أسمعه منك، قال: نعم يا أمير المؤمنين، بينما أنا جالس في المسجد الحرام مع جماعة من قريش دخل علينا الفضل فسلّم وجلس ووافقني وأنا أتمثّل بهذا البيت:

وأصبح بَطنُ مكة مقشعِراً	كأن الأرضَ ليس بها هِشام

فأقبل عليّ، وقال: يا أخا بني مخزوم والله إن بلده تبحبح بها عبد المطلب، وبعث بها رسول الله ﷺ، واستقر بها بيت الله لحقيقة أن لا تقشعر لهشام، وإن أشعر بيت من هذا البيت وأصدق لقول الذي يقول:

إنّما عبد مناف جوهرٌ	زَيَّنَ الجوهرَ عبدُ المطلب[3]

فأَقبلت عليه فقلت: يا أخا بني هاشم، إن أَشعر من صاحبك الذي يقول:

(١) الاغاني ١٦/ ١٨٥، كاملة في شعره القطعة ٥٣، أنظر تخريجها.

(٢) مرت ترجمته بهامش سابق.

(٣) أنظر: شعره/ القطعة ١٥.

إن الدليل على الخيرات أَجمعها وأجمع الناس للخيرات مخزوم

فقال لي: بل أَشعر من صاحبك الذي يقول:

جبريل أهدى إلى الخيرات أَجمعها إذ أَمَّ هاشمَ لا أبناءَ مخزوم[1]

فقلت في نفسي: غلبني والله، ثم حملني الطمع في انقطاعه عنّي، بأن قلت: بل أشعر منه الذي يقول:

أبناء مخزوم الحريقُ إذا حرّكته تارة ترى ضَرَما

يَخرج منه الشَّرارُ مع لَهَبٍ من حاد عن حَرّه فقد سَلِما

فوالله ما تلعثم[2] أن أقبل عليّ بوجهه، فقال: أشعر من صاحبك الذي يقول:

هاشمُ بحر إذا سما وطما أخمد حَرَّ الحريق والضرما

فاعْلَم وخير المقال أَصدقُه بأَنَّ من رام هاشم هُشِما[3]

فتمنّيت والله يا أمير المؤمنين أن الأرض ساخت بي، ثم تجلّدت عليه فقلت: يا أخا بني هاشم، أَشعر من صاحبك الذي يقول:

أَبناء مَخْزومَ أَنجمٌ طلعتْ للناس تجلو بنورها الظُّلَمَا

يجود بالنَّيل قبلَ تُسْأَله جُوداً هنيئاً وتضربُ البُهما[4]

فأقبل عليّ كأَسرع من اللحظة وقال: أشعر من صاحبك وأصدق الذي يقول:

هاشمُ شمسٌ بالسَّعْدِ مَطْلَعها إذا بَدَت أَخفت النجومَ مَعَا

اختار منها ربِّي النبيَّ فمنِ قَارَعَنا بعد أَحمدٍ قُرِعا[5]

فاسودت الدنيا في عيني وديرتي وانقطعت ولم أجد جواباً.

---

(١) الاغاني ١٦/١٨٧، بدائع البداءة ١/٢٦، الدرجات الرفيعة ٥٦٠، شعره/ القطعة ٤٤.

(٢) تلعثم: توَقف.

(٣) الاغاني ١٦/١٨٧، بدائع البداءة ١/٢٦، الدرجات الرفيعة ٥٦٠، شعره/ القطعة ٤٣.

(٤) البُهمة: الشجاع، وقيل: هو الفارس الذي لا يُدرى من أين يؤتى له من شدّة بأسه، والجمع بُهم، وقيل: هم جماعة الفرسان «لسان العرب/ مادة بهم».

(٥) الاغاني ١٦/١٨٨، بدائع البداءة ١/٢٧، الدرجات الرفيعة ٥٦٠، شعره/ القطعة ٣٦.

قلت له: يا أخا بني هاشم، إن كنت تفخر علينا برسول الله فما تسعنا مفاخرتك؟ قال: كيف؟ لا أمّ لك، والله لو كان منك لفخرت عليّ به، فقلت: صدقت وأنه لموضع الفخارﷺ، واستغفر الله، وداخلني السرور لقطعه الكلام، ولئلّا يعوزني جوابه فَأَفتضِح، ثم إنه ابتدأ المنازعة، وأفكَرَ قليلاً ثم قال: قد قلت فاسمع، فلم أَجِدْ بُدّاً من الاستماع، فقلت: هات، فقال:

نحنُ الذين إذا سما لِفَخارهم ... ذو الفخر أقعده هناك القُعَّدُ
أفخَر بنا إن كنتَ يوماً فاخراً ... تَلْق الأُلى فخروا لِفخرك أُفْرِدوا
قلْ يا ابن مخزوم لكل مفاخرٍ ... منا المباركُ ذو الرئاسة أحمد
ماذا يقول ذوو الفَخار هُنا لِكُمْ ... هَيهاتَ ذلك، هل يُنال الفرقَدُ[1]

فحصرت وتبلدت ثم تحاملت وفكرت مليّاً ثم قلت:

لا فَخْرَ إلاَّ قد علاه محمدٌ ... فإذا فخرتَ به فإني أشهدُ
أَنْ قَدْ فخرتَ وفُقْتَ كلَّ مفاخرٍ ... وإليك في الشرف الرفيعِ المَعْمَدُ
ولنا دعائم قد بناها أو سلٌّ ... في المكرمات جرى عليها المَوْلِدُ
من رامها حاشَى النبي وآله ... في الأرض هاجَ بها الخليجُ المُزْبد
دعْ ذا ورُحْ لِغناء خَوْدٍ بَضَّةٍ ... مما نطقتَ به وغَنَّى مَعْبدُ[2]
مع فتية تندى بطون أكفّهم ... جوداً إذا هَرَّ الزمان الأنكد[3]
يتناولون سلافة عانية ... طابت لشاربها وطاب المقعد

فوالله يا أمير المؤمنين، لقد جاوبني بجواب كان أشد عليّ من الشعر، قال لي: يا أخا بني مخزوم أُريك السهى[4] وتريني القَمَر، وتخرجِ من المفاخرة إلى شرب الخمر المحرّمة، فقلت له: أَما علمت أَصلحكَ الله أن الله يقول: «والشعراء يتبعهم الغاوون» إلى قوله تعالى «وإنهم يقولون ما لا يفعلون»[5] قال:

---

(١) الاغاني ١٦/١٨٩، بدائع البدائة ١/٢٧، الدرجات الرفيعة ٥٦٠، شعره/ القطعة ٢٣.

(٢) الخود: الفتاة الحسنة الخلق الشابة ما لم تصر نصفا. وقيل: الجارية الناعمة، والجمع خودات وخود. (اللسان مادة خودج ٣ ص١٦٥) ـ بضّ الجلد: ناعمة.

(٣) هرَّ: ساء خلقه واشتد.

(٤) السُّهىٰ: كوكب خفي من بنات نعش الصغرى.

(٥) سورة الشعراء: الآيات ٢٢٤ ـ ٢٢٦.

صدقت ولكن قد استثنى قوماً منهم فقال: «إلاّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات»[1] فإن كنت منهم فقد دخلت في الاستثناء، واستحققت العقوبة بدعائك إليها، وإن لم تكن منهم فالشرك بالله عليك أعظم من شرب الخمر، فقلت أصلحك الله، لا أرىٰ للمستجدي شيئاً أَصلح من الكذب، فضحك وقال: استغفر الله العظيم وقام عنّا. فضحك عبد الملك وقال: يأبن أبي ربيعة، أَما علمت أن لبني عبد مناف أَلسنة لا تطاق[2].

قلت: هذا من أَخبار الفضل كافٍ، والله يعين بمنّهِ وكرمه.

[١٣٠]

أبو شجاع، عَضُد الدولة، فَنّاخُسْرُو بن ركن الدولة أَبي علي الحسن بن بُوَيْه بن فَنّاخُسْرُو بن يمام بن كوهي بن شيرين الإصغر بن شيركوه بن شيرين الأكبر بن مير شاه بن شيروين بن شاهنشاه بن شيس بن قزوين ابن شيروين بن غيلاد بن بهرام جور الحكيم بن يزدجرد بن بهرام بن لوما شاه بن سابور ذي الأكتاف الساساني الديلمي[*].

وساق نسبه هكذا أبو إسحاق الصابي في التاجي الذي ألّفه بأسمه، لأن من ألقاب عضد الدولة تاج الملّة الملك الكبير: وهو أوّل من تسمّى بالملك في ملّة

---

(١) سورة الشعراء: الآية ٢٢٧.

(٢) الاغاني ١٦/١٩٦ ـ ٢٠١.

(*) ترجمته في:

الكامل لابن الأثير ٧/٨٠، ٩٠، ١١٣ وج ٨ و٩، بغية الوعاة ٣٧٤، وسير النبلاء ـ خ ـ الطبعة العشرون وفيه: «وجد له في تذكرة: إذا فرغنا من حل إقليدس تصدقت بعشرين ألف درهم، وإذا فرغنا من كتاب أبي علي النحوي تصدقت بخمسين ألفاً. وإن ولد لي ابن تصدقت بكذا وكذا»، وابن الوردي ١/٣٠٥، وفيات الأعيان ٤/٥٠ ـ ٥١، البداية والنهاية ١١/٢٩٩، مرآة الجنان ٢/ ٣٩٨، يتيمة الدهر ٢/٢١٦ ـ ٢١٩، روض الأخبار المختصر من ربيع الأبرار ـ خ ـ، شذور العقود، المنتظم ٧/١١٣، النجوم الزاهرة ٤/١٤٢، السلوك ١/١/٢١، ٢٨، الفرج بعد الشدة، الخطط المقريزية، سير النبلاء للذهبي، التاجي لابي إسحاق الصابي، العبر للذهبي ٢/٣٦١، الطليعة ـ خ ـ ترجمته رقم ٢١٩، أعيان الشيعة ٤٢/٣١٠ ـ ٣١٢، مناقب آل أبي طالب، أنوار الربيع ٤/٢٥٥، تأسيس الشيعة ٨٩، ماضي النجف وحاضرها ١/٤٣، الاعلام ط ٤/٥/١٥٦، وله أخبار في تجارب الأمم وذيله، وتكملة الهمذاني، تتمة اليتيمة ١١١ ـ ١١٣.

الإسلام، ملك أذعن لطاعته كل صعب القياد، ولان لهيبته حتى الصّفوان الجماد، وتهلّل بدولته خدّ السيف ورقص الذابل، ودعى له بالنصر قلب الجيش فأمّن الصاهل، جمع الفضل وفرّق المال، ولاح بدراً للسعادة فحكمت العليا له بالكمال، وكان يجمع إلى لباس السخاء ويرسل مع الزعزع إلى العدا للأولياء الرخاء، ولم يبلغ أحد من أهله شأوه، فإنه أحاط بما بين بحيرتي طبرية وساوة.

كما أشار إليه ابن خلكان، وقال: إنه ملك ما ملكوه وملكهم معروف في التواريخ وضمّ إلى ما كان لهم الموصل والجزيرة، وملك دمشق وخطب له بحلب وملك فارس وكرمان والبحرين وأصفهان وبغداد والبصرة وما إليهما والأهواز(١).

وذكر ابن الجوزي في شذور العقود: إن معز الدولة أحمد وهو أصغر الأخوة، كان في أوّل أمره يحمل الحطب على رأسه، ثم ملك هو وأخوته البلاد وآل أمرهم إلى ما آل، ودانت لعضد الدولة البلاد والعباد، ودخل في طاعته كل صعب القياد، وهو أوّل من خطب له ببغداد بعد الخليفة، وكان فاضلاً محبّاً للفضلاء، مشاركاً في عدة فنون، شاعراً أديباً.

وكان الشيخ أبو علي الفارسي ألّف كتاب «الإيضاح والتكملة في النحو» وسايره يوماً في ميدان شيراز، فقال له عضد الدولة: إذا قلنا جاء القوم إلاّ زيداً، فما الناصب لزيد؟ قال أبو عليّ العامل المقدّر ومعناه استثنى زيداً، قال عضد الدولة فهلاّ رفعت زيداً وقدّرت العامل امتنع زيد، فأفحم أبو علي وقال: هذه مسألة ميدانية، ورجع أبو علي إلى منزله وصنع رسالة أوضح فيها الحجّة على نصب المستثنىٰ وسيّرها إليه.

وكان عضد الدولة من كبار الشيعة وأخذ عن الشيخ المفيد ابن النعمان فقيه الإمامية، وكان يزوره في موكبه العظيم ولا يفتيه غيره.

وأمره بعمارة مشهد أمير المؤمنين علي عليه السلام بالنجف، وعمل عليه قبّة مزخرفة، ووقف عليه الأوقاف الواسعة، وأوصى أن يقبر بجواره فنفذت وصيّته، وكان كريماً ممدوحاً، مدحه مشاهير الشعراء مثل: أبي الطيّب قصده من مصر كما سلف، والسلامي وابن الحجاج، وأضرابهم.

---

(١) التاجي.

وذكر ابن خلكان: أن السلامي لما قصده من بغداد إلى فارس، وكان السلامي عين شعراء العراق وقت أقبال سعادته فأنشد قصيدة منها:

إِليك طَوى عرضَ البسيطة عاجلاً ... قُصارى المطايا أن يلوحَ لها القَصْرُ
وكنتُ وعَزْمي في الظلام وصارِمي ... ثلاثة أشياء كما اجتمع النسْرُ
وبَشَّرْتُ آمالي بَملْكٍ هو الورى ... ودار هي الدنيا ويوم هو الدهرُ

قال: وعلى الحقيقة هذا هو الشعر والسحر الحلال على ما يقال، وقد أخذ المعنى القاضي أبو بكر أحمد الأرّجاني فقال:

يا سائلي عنهُ لما جئتُ أَمْدُحُهُ ... هذا هُوَ الرجلُ العاري من العارِ
لقيتُهُ فرأيتُ الناسَ في رَجُلٍ ... والدهر في ساعةٍ، والأرضَ في داري

ولكن أين الثرىٰ من الثريا؟ قال: وهذا المعنى موجود في قول المتنبي:

هي الغَرَضُ الأَقصى ورؤيتك المنى ... ومنزلك الدنيا وأنت الخلائق[1]

لكنّه ما استوفاه، فإنه ما تعرّض لذكر اليوم الذي جعله السلامي هو الدهر، ومع هذا فليس له طلاوة بيت السلامي[2].

قلت: لقد أحسن ابن خلكان الانتقاد وأيضاً معنى «وأنت الخلائق» موجود في قول أبي نواس:

وليس لله بمستنكرٍ ... أن يجمع العالم في واحدِ

وإنما أخذه أبو نواس من قول النبيﷺ للأنصاري الذي قال لمن سأله عن قَتلى بدر: وهل لقينا إلاَّ عجائز صلعا فنحرناها؟ فقال النبيﷺ: يا بن أخي أُولئك الملا.

وقال الثعالبي في اليتيمة: أنشدني أبو سعيد نصر بن يعقوب أَبياتاً لعضد الدولة ومنها [من البسيط]:

يا طيب رائحة من نفحة الخيري ... إذا تنفّس جلباب الدياجيرِ

---

(١) ديوان المتنبي ٧٠.
(٢) وفيات الأعيان ٤/٥٢ ـ ٥٣.
(٣) يتيمة الدهر ٢/٢١٨.

كأنّما رشّ بالماورد واعتبقت ... به دواجن تدخين وتبخيرِ
كأنَّ أوراقه في القدّ أجنحة ... صفر وبيض وحمر من زنابير[1]

ولقد أجاد تشبيهه وأَحسن الغرابة، وأورد له من قصيدة [من الرمل]:

ليس شرب الراح إلاّ في المطرْ ... وغناءٍ من جوارٍ في السحرْ
مبرزات الكأس من مطلعها ... ساقيات الراح من فاق البشرْ
ناعمات سالبات للنهى ... فائقات في تضاعيف الوترْ
عضد الدولة وابن ركنها ... ملك الأملاك غلاّب القدرْ

وذكروا: إنّه لم يفلح بعد قوله «غلاّب القدر».

وقال ابن خلكان: أن الفتكين ويكنّىٰ أبا منصور وكان نائب عضد الدولة بدمشق كتب إليه: إن الشام قد صفى وصار في يدي، وزال عنه حكم صاحب مصر، وإن قوّيتني بالمال والعدد حاربت القوم في مستقرّهم، فكتب عضد الدولة جوابه هذه الكلمات الوجيزة وجمعها من الجناس الخطّي وإنّما تبين بالضبط، وهي: «غَرَّكَ عِزَّكَ فصار قُصارا ذلك ذُلّك، فاخْشَ فاحِشَ فِعْلكَ، فعلّكَ بهذا تُهْدىَ[2] والسلام» وهذه تكفيه في البلوغ في أعلى طبقات البلاغة.

وكان الفتكين المذكور مولى معز الدولة بن بويه، فغلب على دمشق وهي حينئذ للعزيز بن نزار بن المعز، فقصده المعزّ بنفسه، فالتقى الجيشان وجرت مقتلة عظيمة، فانكسر الفتكين وتحصّن في الرّملة، وأعان الفتكين بعض قرامطة الشام الثائرين تلك الأيام، وقصّته طويلة بسطها المقريزي، ولمّا فرّ الفتكين قطع عليه الطريق دغفل بن الجرّاح الطائي البدوي، وحمله إلى العزيز وفي عنقه حبل، فأَطلقه وأمر بمداوات جراحه وخلع عليه، فأقام يسيراً مكرماً ثم مات، فكانت هذه الفعلة تعدّ من مناقب العزيز[3].

وذكر أبو علي المحسّن التنوخي في كتاب «الفرج بعد الشدة» نكتة غريبة وقعت لعضد الدولة، وفيها ما دلّ على عناية أمير المؤمنين عليه السلام بمحبيه قال:

---

(١) يتمية الدهر ٢/٢١٨.

(٢) وفيات الأعيان ٤/٥٣.

(٣) وفيات الأعيان ٤/٥٤، الخطط المقريزية.

حَدَّث عضد الدولة، قال: حدثتني أمي أنها كانت ولدت لأبي ابناً كنّاه أبا دلف فعاش مدّة يسيرة ومات، قالت: فجزعنا عليه، ولحقني جزع كاد يأتي على نفسي إشفاقاً من أَن ينقطع عقبي من ركن الدولة، ولما في طبع النساء من استنكار المصائب، ثم أن مولاي ركن الدولة سلّاني وأَقبل عليّ وتطاولت الأيام فسلوت، وإني بعد ذلك ونحن بأصبهان حملت حملاً فلما تحرك في فؤادي لحقني من الخوف والجزع والقلق أَعظم شيء خوفاً أن أَلد بنتاً فتنقطع في الحقيقة رؤيتي لركن الدولة فضلاً عمّا سواها، لشدة كراهته في الأناث ركنت أُعزّي نفسي بالمُنى، إلى أن دخلت في شهري فلم تقرّبي الأرض خوفاً وجزعاً، وأَقبّلت على البكاء بين يدي الله عزّ وجلّ والصلوة أكثر الليالي، وأُصلّي وادعو فلما كان في بعض الليالي أكثرت الدعاء ونمت على حصير المحراب، وكنت قد ثقلت فرأيت في نومي كأن شخصاً نظيفاً، عريض اللحية والأكتاف أعين، قد دخل عليّ فلما تبيّنت صورته علمت أنّها غير صورة ركن الدولة فارتعبت وقلت: يا جواري من الذي يتجاسر أن يدخل على غير مولاي ركن الدولة؟ فتسارعت الجواري نحوه فزجرهن وقال: أَنا علي بن أبي طالب، فقمت أَسعى إليه وقبّلت الأرض بين يديه، فقال: لا تفعلي، فقلت: يا أمير المؤمنين قد ترى ما أَنا فيه فادع الله عزّ وجلّ أن يجعل حملي ذكراً سويّاً فقال: يا فلانة باسمي قد فرغ الله من ذلك، إنك ستلدين ولداً ذكراً سوياً نجيباً سعيداً ذكياً عاقلاً، بارعاً في الآداب والعلوم، كثير المال، عظيم الذكر على السلطان، عزيز الشأن، شديد البطش جليل الخطر في الملوك، متيقظاً في سياسته يملك هذه البلاد وفارس وكرمان والبحرين والعراق وعمان والحيرة إلى حلب ويكون من حالهِ كذا، ويملك كذا ويسوس الناس بالرهبة والرأي ويغلب الأعداء، ويكون من أَعظم الملوك شأناً، وأكثرهم مالاً وفتوحاً، وذكر شيئاً طويلاً ووصف أَشياء كثيرة، ويعيش كذا وكذا سنة، ويملك بعده ولده، ويكون من حالهم كذا وكذا، ويكون آخر من يملك منهم شيخ ينتقل الملك على يده.

قال عضد الدولة: فلمّا تذكرت هذا المنام وتذكرت أمري وجدته كما قال حرفاً بحرف، ومضت السنون وانتقلت إلى فارس لمّا استدعاني عماد الدولة واستخلفني عليها ونشأت وصرت رجلاً، ومات أبي، وخدمني أبو الحسين الصوفي المنجم، وكان أبو الحسين قد علم المنام فاعتللت علّة صعبة أيس مني

فيها الطبيب وأيست من نفسي، وكان تحويل سنتي تلك رديّاً جداً، وزادت العلّة حتى أَمرت أن يحجب الناس كلّهم ولا يصل إليّ أحد البتة إلاّ صاحب النوبة في أوقات، ومنعت الطبيب أيضاً وأقمت ثلاثة أيام أو أربعة أيام وأنا أَبكي نفسي في خلواتي، إذ جاءني صاحب النوبة فقال: أبو الحسين الصوفي منذ الغداة يطلب الوصول وقد جهدت به في الإنصراف من كلّ طريق وجميل ولم ينصرف وقال: لا بد لي من الوصول إليه، وقد عرّفته أن قد رسم لي أن لا يصل إليه أَحد من خلق الله اجمعين، فقال: الذي قد حضرت به بشارة ولا يجوز لي تأخيرها فعرّفه هذا واستأذنه في وصولي، فقلت له بصوت ضعيف وكلام خفيّ: يريد أن يقول بلغ الكوكب الفلاني المكان الفلاني ويهذي عليّ بهذا الجنس بما يضيق به صدري، ويزيدني به على ما أنا فيه وما أقدر على سماع كلامه، فانصرف فخرج الحاجب ورجع متعجباً وقال: إما أن يكون أبو الحسين قد جُن أَو معه أمر عظيم فإني عرفته ما قال مولانا، فقال: ارجع إليه فقل له، والله لو أَمرت بضرب عنقي ما انصرفت أَو وصلت إليك، ووالله ما أكلمك في معنى النجوم بكلمة واحدة، فعجبت من ذلك عجباً شديداً مع علمي بعقل أَبي الحسين، وإنه ممّن لا يمخرق عليّ في شيء، وتطلعت نفسي إلى ما يقول وقلت أُدخله، فلما دخل قبل الأرض وبكى وقال: أَنت والله في عافية واليوم تبرأ، ومعي معجزة بذلك، فقلت: وما هي؟ قال: رأيت البارحة أمير المؤمنين علياً عليه السلام والناس يهرعون إليه ويسألونه حوائجهم وكأَني تقدمت إليه فقلت: يا أمير المؤمنين أَنا رجل غريب في هذه البلاد، تركت نعمتي بالريّ وتجارتي، وتعلقت بخدمة هذا الأمير الذي أَنا معه، وقد بلغ إلى حدّ الياس من العلّة، وقد أَشفقت من هلاكه فأَهلك بهلاكه فادع الله تعالى بالعافية له، فقال: تعني أَبا الحسن بن بويه؟ قلت: نعم يا أَمير المؤمنين، فقال: إِمضِ إليه غداً وقل له: أنسيت ما أخبرتك به أُمك عنّي في المنام وهي حامل، أَو ليس قد أَخبرتها مدّة عمرك، وإِنك ستعتل كذا وكذا يوماً علّة تيأس فيها أَطباؤك وأهلك ثم تبرأ، وأَنت تصحّ من هذه العلة غداً، وتتزايد غلّتك وصلاحك، وتركب عادتك، ولا قطع عليك قبل الأَجل الذي أَخبرتك به أُمّك عني.

قال عضد الدولة: وكنت قد أنسيت المنام وإن أمي قالت لي في المنام إذا بلغت هذه السنة تمرض، فحين سمعت الحديث حدث لي في نفسي قوة في

الحال ونشاط فقلت: إقعدوني، فجاء الغلمان فأقعدوني على الفراش، واستعدت حديث أبي الحسين فأعاده، فقوّيت نفسي أيضاً، وتولَّدت لي شهوة الطعام، واستدعيت الأطباء فأشاروا بتناول غداء وصفوه، فعمل في الحال فأكلته، ولم ينقضي اليوم الذي قال عنه أبو الحسين حتى تأتّىٰ من الصلاح أمر عظيم، فأقبلت العافية وركبنا، وعاودت عاداتي.

وكان عضد الدولة يقول: كنت أشتهي أن لا يكون في المنام شيء، وكنت اشتهي أن يكون فيه شيء، أمّا ما كنت أشتهى أن لايكون فيه شيء فإنه وقف على حلب ولو كان عنده أن أملك شيئاً وراء ذلك لقاله، وأخاف أن يكون حدّ ملكي من تلك الناحية، وذلك لما جاءني الخبر بإقامة سيف الدولة الدعوة لي وأعمالها ودخوله تحت طاعتي، فذكرت المنام فتنغصّ عليّ لأجل هذا الاعتقاد.

وأمّا ما كنت اشتهي أن يكون فيه فكنت اشتهي أن أعلم من هذا الذي يملك من ولدي وهو شيخ وينتقل الملك على يديه.

وعاش عضد الدولة بعد ذلك سنين.

وقال الذهبي في «سير النبلاء» في سبب موته أنه نام في مجلس الأُنس وكانت الشموع تشتعل، واستغرق في نومه فسقطت شمعة فاحترق الفراش، ودبّت النار في الآلات والستور حتى أظلم المجلس بالدخان، فانتبه فرأى المجلس يشتعل بالنار والدخان، فحصل له صرع وتتابع حتى مات به.

وكان يفزع من حاجبه إذا دخل عليه.

ومن المواعظ: أن ملكاً صار يفزع من خادمه وملك الروم يهابه ويهاديه.

وتوفي يوم الاثنين ثامن شوال سنة اثنتين وسبعين وثلثمائة ببغداد، رحمه الله تعالى، ودفن بدار الملك، ثم نقل إلى مشهد أمير المؤمنين علي عليه السلام فدفن به، وعمره سبع وأربعون سنة وأحد عشر شهراً وثلاثة أيام.

ومن مآثره البيمارستان العضدي في الجانب الغربي من بغداد وليس له في الدنيا نظير، واعدّله من الآلات ما يقصر عنها الوصف.



وكان أوّل ظهور قبر أمير المؤمنين عليّ في أيام هارون الرشيد كما ذكر أبو علي التنوخي في «الفرج بعد الشدة» ولظهوره قصة ذكرها هناك، وكانت الحكمة في إخفائه علمه بتولّي بني أميّة، فخشي أن ينبشوه لشدة عداوتهم له.

وأبو الحسين الصوفي هو عبد الرحمٰن بن عمر بن عبيد وكان بعد أبي معشر المنجم بنحو سبعين سنة، وكان من أئمة المنجمين المشهورين وفضلائهم، وله التصانيف المفيدة في فنّه، وصنّف كتاباً في معرفة الثوابت، بيّن فيه أن أصحاب الرصد الثاني كعطارد المنجم، ومحمد بن جابر البتاني، وعلي بن عيسى الحراني غلطوا فيه، وحمله إلى عضد الدولة فاستحسنه وأجازه، وله مصنفات أخر، وإنما سميت الكواكب التي في الفلك الأطلس ثوابت بالنسبة إلى السيارة التي تحتها لبطء حركته، والله أعلم.

حرفُ القاف

[١٣١]

السيّد القاسم بن الحسن بن المطهّر بن محمد الحسني الجرموزي الصنعاني المولد والمنشأ(*).

فاضل جاء بالسهل الممتنع فما زهير عند زهره، وما الورّاق الخطيري إذا قيس بنظمه وخطره، فالأغصان إذا تبسّمت بالنور لتحاكي شعره مقصوفة، والنحور إنّما تقلّدت بما نظم إذا لاحت بالجواهر محفوفة، مع كرم نفس وحياهما الروض إذا دفع الجنى والحيا، وقد قسمت له الفصاحة، وأمست محجباتها له مباحة، وكأنّما يصوغه النسيم، أو عقد السماء النظيم، وقد سمّى أهل الأدب شعر بهاء الدين زهير بن محمد المهلّبي الكاتب، السهل الممتنع لسهولة لفظه، وعدم القدرة على لحاقه، ومن عرف شعره المذكور عرف الفرق بين زهر وزهير، وعلم أن من أسباب التصغير التحقير كما في نمرٍ ونمير. ولقد أوقفني على مجموع له بخطّه فذهلت بمدامه، ورفضت بردّ ما عندي من شعر غيره بسلامه، وبالجملة فالشعر لا يستره النقاب، فدونك فاستجله يبن لك فصل الخطاب، وكان نشأ مقبلاً على التأدب فبلغ فيه إلى حيث يعجز المسهب وواصل غانياته يافعاً، وصار مالكه وغيره يحتاج إلى وصاله شافعاً، وترى أخبار من قبله فحجّ إلى مشاعرهم حتى صار للحائر في الأدب قبله، وممّا نقلت من ذلك المجموع الذي له:

أغار عليك من نظري ... وان بلّغتني وطري

(*) تمام نسبه بهامش الترجمة رقم ٤١.

ترجمته في: نفحات العنبر ـ خ ـ، البدر الطالع ٢/ ٤١، نشر العرف ٢/ ٣٤٦ ـ ٣٥٥.

وأحسد خاطري من أن ... تمر عليه في فكري
بنفسي أنت من قمرٍ ... علا عن بهجة القمرِ
وما قد حزت من هيفٍ ... وقدٍّ كالقنا النضرِ
وظرفٍ من لطافته ... استعارت نسمة السحرِ
جمعت محاسناً يابد ... ر ماجمعن في بشرٍ[١]

وله أيضاً:

ألّف من بدر ومن شمسِ ... أفديه بالمهجة والنفسِ
تاه على ضعفي وذلّي كما ... قد تاه بالحسن على الأنسِ
مولاي قد أوحشت قلبي بما ... قد كان من هجرك بالأمسِ
وليس لي ذنب بدالي سوىٰ ... حبّك يا روحي ويا أُنسِي
حاشاك منه أنني اختشي ... إنْ دام يفضي بي إلى رمسي
وارحم معنّىً فيك بادي الأسى ... مضطرب الأحشاءِ والحسِّ
أبدلته عن قربه بالقلا ... وبعته بالثمنِ البخسِ

وله من هذه الرقايق:

لِم لا تَرقُّوا سادتي ... وترحموا صبابتي
وتتركوا هجري الذي ... ذابت له حشاشتي
وترحموا لي حالة ... قَدْ رقَّ منها شامِتي
ويلاه من بدر دُجى ... ضَلَّت به هدايتي
وآطول شجوي منه كم ... قامت به قيامتي
صرت به متيَّما ... لا أرتجي سلامتي
مولَّهاً مدلهاً ... ملَّ الورى عيادتي
ويلاه قد مُتُّ أسىً ... ولم أنل لبانتي[٢]

أقول: أصابت هذا العقد عين الكمال، فسهى بحره عن نون «ترقوا» و«ترحموا» وما بعدهما لي حالة وليس ما يوجب حذفها، وقد جاء حذف نون المضارعة في الشعر قليلاً بدون ناصب ولا جازم.

---

(١) نشر العرف ٣٤٨/٢.

(٢) نشر العرف ٣٤٩/٢.

ومن شعره أيضاً:

لا تلمني في دموعي أن جرتْ … هذه أنفاس نجدٍ قد سرتْ
أورثتني دون صحبي نشوة … طرب الكون لها لما انبرتْ
وروت لي عن اثيلات اللوى … خبراً يا طيب ما قد خبّرتْ
أنبأتني عن سليمى أنّها … أظهرت من ودّنا ما أضمرتْ
سادتي في حبّكم لي غادة … أن تجلّت في الدياجي قمرتْ

وله أيضاً:

حنيني إليكم ما حييت مرجّعُ … ولي كبد فيكم براها التوجعُ
أظل نجي الشوق لا نار مهجتي … تبوح ولا شمل الأسىٰ يتصدعُ
أخا الوجد ان جاورت رمل محجر … ولاح لعينيك الجناب الممنَّعُ
وجزت الغضى حيَّ الغضى وحلوله … وصافحه نشر الصبا المتضوعُ
وجئت إلى وادٍ هناك مقدس … بأكنافه نور الجلالة يسطعُ
أشعته كالشمس في كلٍّ وجهة … وفي كل أفق منه للحسن مطلعُ
هنالك فيه للعقول مصائد … تفنَّن أسباب الهوى وتنوَّعُ
حنيني إلى ذاك الجناب ومن به … حنين ثكول ليس تنفك تدمعُ
ولي نحوهم في كل حين وساعة … نزوع على طول المدى وتطلعُ
وما زلت مذ شاهدت كنه جلالهم … أذلَّ لديهم ما حييت وأخضعُ
عليهم تحياتي غواد روائحٌ … بها الريح تسري والركائب توضعُ(١)

هذا منهج صوفي، وهلال في أفق سماء الإحسان موفي.

وله هذه الطرديّة البديعة الحسنة المسفرة:

وليلة من الليالي الزهرِ … ذات شذاً من طيبها ونشرِ
كأنّها قد ضمّخت بعطرِ … ساهرت فيها نجمها ببدرِ
بدر حوى حسن الرداح البكرِ … ألحاظه قد دعّجت بسحرِ
تعزّ عنه سلوتي وصبري … حلو المزاج دائماً والبشرِ
ذي قامة مثل القضيب النظرِ … بت بها في خفض عيش غمرِ

---

(١) نشر العرف ٢/٣٥٣ ـ ٣٥٤.

على التئام وارتشاق ثغر أعذب عندي من سلافِ الخمرِ
في روضة قد كللت بالزهر دوحاتها مثل الخيام الخضرِ
وزهرها مثل النجوم الزهر يشقها نهر وأيّ نهرِ
أرق من لمع السيوف البتر كأنه في سوحها إذ يجري
صل جرا منصلتاً من ذعر قد جادها صوب غمام القطرِ
بوابل كمثل نثر الدرّ مطربنا فيها هدير القمري
بما غدا يثير شجو الصدر كأنه صبّ حليف الذكرِ
مثلي معنّىً مستطار الفكرِ ملكت فيها مأربي وأمري
وبت فيها في نعيم نظر اسحب فيها مطرفي وطمري
نجل البهاليل الفخام الغرّ ومن هم الخيرة في ذا العصرِ
حتى بدا ضوء صباح الفجر ولاح ومض نوره المستشرِي

ومن مقطعاته البديعة في رجل صايدي:

قلت له إذ هام في شادنٍ قوامه كالغصن المايد
لا تعمل الحيلة في أخذه فقد غدا في شرك الصايدي

وله في رجل يسمى الغمام في أيام ولايته كسمه وقد جاءه بحوائزِ

أتانا الغمام وفي كفّهِ جوائز أضحت تغيظ العدى
وهذا التناسب مستحسن لكون الغمام أتى بالندى[1]

وله في عطّار:

وعطار كثير الكبر والإعجاب والقسوهْ
ولا غرو إذا العطَّار كانت عنده نخوهْ[2]

وجاء الغمام حاملاً ورقة تتضمن سبّ الغمام فقال فيه:

هذا الغمام بليدٌ تحمَّل الهجو عنوهْ
تباً له من غمامٍ قد جاء يحمل هجوهْ[3]

---

(١) نشر العرف ٢/ ٣٥٤.
(٢) نشر العرف ٢/ ٣٥٤.
(٣) نشر العرف ٢/ ٣٥٤.

الهجوة عند أهل اليمن عبارة عن الغمام الدائم الهطل وله فيه وقد تأذّى من المطر وطلب كسوة، وبلاد كسمه لاتفيق من المطر:

من أعاجيب كسمَه عند من راح واغتدىٰ
إن فيها الغمام قد فرَّ خوفاً من الندا

وله فيه وقد سار مع مستوفي بها يعرف بالمطري:

قل للفقيه الذي خلائقه تزري بحسن الربيع والزهرِ
لا تخش بؤساً من الزمانِ فقد وافى إليك الغمام بالمطرِ

وله فيه وقد أهدى ما وردٍ:

أهدي من القطر ظرفاً يزري بريح المدامَ
وكيف ينكر قطر قد جاءنا من غمامِ؟

وله فيه وقد تهدّد شخصاً:

لا تنكرو أكثرت تهديده لصالح عند تداعي الخصامْ
فليس ذا ينكر منه والإ رعاد والأبراق شأن الغمام

ومن شعره وله نظائر للمتقدمين:

يا حسنه من أصيل يوم نسيمه رقية العليل
أما أثر الدجن في هواه وهكذا عادة الأصيل

وله في رجل يسمى الحسام عصى:

تطاول من كان مستحقراً وأبدىٰ الخيانة من أخلصا
وقد عكس الأمر حتى لقد رأيت الحسام لدينا عصا

هذه طريقة في التورية وله في التوجيه:

حبذا يومنا بحدَّة والزهرِ صنوف كالدرّ والمرجانِ
في رياض كأنها دمية القصرِ عليها قلائد العقيانِ[1]

وله فيمن أخواله بنو الثور:

---

(١) نشر العرف ٢/ ٣٥٤.

فلان الذين غفلته غدت في الناس مشتهرهْ
ومن يك خاله ثوراً فلم لا يغتدي بقرهْ

وله فيمن أقبل على من إسمه النجم، وفي المجلس شخص كوكباني:

يا أديباً صار فينا لا يدانيه مداني
أن يكن عندك نجمٌ إن عندي كوكباني[1]

وفيه إيهام التورية، ولو قالوا فلدينا كوكباني كانت تورية.

وله في البرق:

كأنما البرق إذا ما اختفى ولاح في العارض غبّ القطارْ
وَجَنة عذرَاء رآها مبصرٌ فاستترت من خوفه بالخمارْ

وما أحسن قول ابن المعتز:

أعني على بارق ناصبٍ خفّي كغمزك بالحاجبِ
كأن تألّقه في السماء يَدَا كاتبٌ أو يدَا حاسبِ

وقلت: أنا من قصيدتي الطائية التي كتبتها إلى السيد علي بن معصوم:

وقد عمّم الغيم الروابي فأَرسلت ذوايب برقٍ لوّحت في الدجىٰ رقطا

وهذه القصيدة من المحاسن وأن يسر الله أوردت غزلها فيما يجيء.

وللسيد قاسم في المجرّة:

افكر في نهر المجرّة في الدجى وقد سطعت فيه النجوم اللّوامع
يسيل على روض الدياجي كأنه غدير غدت تطفو عليه الفواقع

لا يقال شبّه النهر بالغدير وهما شيء واحد، لأن النهر موضع ما يخدّ الماء، فكأنه قال كان نهر المجرّة ماء غدير وعليه فواقع فشبه الماء بالماء، لأن الغدير غير النهر وجعل المجرّة نهر تشبيه، والجيّد فيه تشبيه أبي عبد الله بن الحجاج وقد مرَّ.

والمجرّة كواكب صغار مجتمعة ترى كالفضة البيضاء الذائبة لبعدها

---

(١) نشر العرف ٢/ ٣٥٤.

وتقاربها، وعند الفلاسفة أنها أبخرة فيها دهنية ارتفعت إلى الأثير فاشتعلت بناره اشتعال الفتيلة المدهونة بالنار، وكذلك النجوم التي تترامى وتطاير.

وأمّا البرق، فإن الأبخرة التي يرفعها الهواء إلى الطبقة الزمهريرية فتستحيل هناك ماء ويتكاثف من بعضها الغمام يرتفع معها دخان دهني فإذا صكّته الريح تولّد عنه النار كما يتولد عن اصطكاك الحديد مع الحجر، والذي نطقت به الكتب الإلٰهية هو الحق وهو غير قولهم.

قد بان بما أوردنا من شعر السيد قاسم الجرموزي أنه زاحم ابن نباتة والوداعي، فلو رأياه لقال الأوّل من نباتي، وقال الثاني هذا عن التورية المنسجمة وداعي، فما كواكبه إلاّ زينة السماء الشعر ولا عيب في قلائده سوىٰ أنّه ما ترك لعقود المليحة من شعر، وله القدح المعلّى في سائر العلوم، ومع ذلك فهو في عنفوان الشباب الذي لا يملّ صاحبه إلا هذه الفضائل ولا يحوم.

❀ ❀ ❀

وكُسْمة بضم الكاف وإسكان السين المهملة وبعد الميم تاء التأنيث: قصبة ولاية جليلة، وتعرف بريمة أيضاً وهي من جبال تهامة، وكان تولاّها فعمّها عدله وأولاها، وتولّى غيرها من الأعمال فما عبس، وبهت عدوّه بحسن معاملته الرعية فما نبس، وقد مضى تعريف جدّه في حرف الحاء[1]. وللمولى الأخ ضياء الدين زيد بن يحيى[2] رحمه الله في وصف مائها الشهير بحميس من جملة أبيات:

نهر يصيّره النسيم ضحىً	كالدرع وهو مقدر السردِ
تركته يحكي مبرداً فلذا	يجلو صدا الأنفاس بالبردِ

وهو أحسن وأتمّ من قول الآخر:

والنهر فيه كمبردٍ	فلأجل ذا يجلو الصدا

---

(١) في ترجمة الحسن بن المطهر الجرموزي، برقم ٥٢.

(٢) ترجمه المؤلف برقم ٧٤.

أبو دُلَفْ، القاسم بن عيسى بن إدريس العجلي، الأمير الكبير، الجواد المشهور(*).

فاضل ملك القلوب بنسيبه وسيبه والرقاب بسيفه، فتلك بربيعة البسّام وهذه بصيفه، وشجاع ينظم فارسين بطعنة يوم الهياج، وطبيب يحسن للعفاة بمرهم الذهب تعديل المزاج، فاح ذكره عنبراً وعبيراً، وطلع بدر مجده في سماء الكرام منيراً، وشهرة أبي دلف تغنيه عن التقريض، وإذا عرف الطويل من حياته الثانية التي أوجبها طبع الكرم عرف من نواله العريض، فإنه كان في الوغى ريبالاً وكانت العفاة في السلم على رضاع أخلاف سحابه عيالا.

وقال أبو الفرج في أغانيه: محلّ أبي دلف في الشجاعة وعلو القدر عند الخلفاء وعظم الغناء في المشاهد وحسن الأدب وجودة الشعر ليس لكثير من نظرائه[١].

وكان يجيد الغناء تأدباً، ويحسنه مع جواريه إليهن تحبباً.

ومدحه أَبو تمام الطائي بأحسن المدايح منها البائية المشهورة التي أوّلها:

علـى مـثـلِـهـا مـن أَربـعٍ ومـلاعـبِ أذيـلـتْ مصُونـات الـدموع الـسواكـبِ

وجاء منها:

إذا فـخـرتْ يـومـاً تـمـيـمٌ بـقـوسِـهـا وزادتْ عـلـى مـا أَثَّـلَـتْ مـن مـنـاقـبِ

(*) أبو دُلَف، القاسم بن عيسىٰ بن إدريس بن معقل بن عمير بن شيخ بن معاوية بن خزاعي بن عبد العزى بن دُلف بن جُشَم بن قيس بن سعد بن عجل بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان، العجلي. جمع شعره عبد العزيز الميمني.

ترجمته في: وفيات الأعيان ٤/ ٧٣ ـ ٧٩، تأريخ بغداد ٢/ ٤١٦، الفهرست ١١٦، مروج الذهب ٤/ ٥، ٦٢، معجم الشعراء للمرزباني ٢١٦، الاغاني ٨/ ٢٥٦ ـ ٢٧٧، سمط اللآلي ٣٣١، تاريخ ابن الأثير ٦، اللباب/ (العجلي)، العبر للذهبي ١/ ٣٩٤، شذرات الذهب ٢/ ٥٧، النجوم الزاهرة ٢/ ٢٤٣، الكنى والألقاب ١/ ٦٩، نهاية الأرب للنويري ٤/ ٢٤٩، أعيان الشيعة ٤٣/ ٥، الاعلام ط ٤/ ٥/ ١٧٩.

(١) الاغاني ٨/ ٢٥٦.

فأَنتم بذي قارٍ أمالت سيوفكمْ عروش الذين استرهنوا قوس حَاجبِ
محاسنُ من مجدٍ متى تقرنوا بها محاسنَ أقوام تكن كالمعائب[1]

وهذا يسمَّى نوع التلميح من البديع، وهو أن الشاعر يشير إلى منقبة أو ضدّها في ضمن شعره.

وأشار أبو تمام إلى قصة حاجب بن زرارة بن عدس التميمي[2] سيّد بني تميم، وذلك إن بني تميم دخلوا السواد فارتاب أهله بهم لوحشة العرب وشظف عيشهم فانهوا خبرهم إلى كسرى فأرسل إلى حاجب، فقال له: كيف دخلتم بلادي بغير إذني؟ قال: أيها الملك إنّما دخلناها للكلأ ولسنا بأعداء للملك، وأنا كفيل على قومي، فقال: كسرى: إعطني رهناً على الوفاء، وكان بيد حاجب قوس من نبع فقال: أيها الملك هذه رهاني حتى ينصرف قومي، فضحك المرازبة إستخفافاً بما أَعطى فقبضها كسرى، وقال: لم يكن ليسلمها ويغدر، ومضى حاجب حتى انصرف قومه، جاء فأَخذ قوسه فأُعجب كسرى وفائه وأجازه، وكان ذلك أَحد مناقب بني تميم.

قلت: هذا على أن بني تميم معروفون بالغدر ويلقبون كناة الغدر لتلقيبهم له كيسان، كما ذكر العسكري في جمهرة الأمثال.

---

(١) كاملة في ديوان أبي تمام ٤١ ـ ٤٣.

(٢) حاجب بن زرارة بن عُدس الدارمي التميمي: من سادات العرب في الجاهلية. كان رئيس تميم في عدة مواطن. وهو الذي رهن قوسه عند كسرى على مال عظيم ووفى به. وحضر يوم شعب جبلة (من أيام العرب المعروفة) قبل ١٩ أو ١٧ سنة من مولد النبيﷺ وأدرك الإسلام وأسلم. وبعثه النبيﷺ على صدقات بني تميم، فلم يلبث أن مات نحو سنة ٣هـ.

ترجمته في: الاصابة ١/٢٧٣ ثم ٢/١٨٧ والأغاني طبعة الدار ١١/ ١٥٠ علق الشيخ عبد الله العبد الرحمن البسام. قلتم إن حاجب بن زرارة أدرك الاسلام فأسلم الخ.. وأنا أشك في هذا شكاً كبيراً، وإن ذكره ابن حجر في الإصابة مع الصحابة. فحاجب عاش في الجاهلية وأسر يوم جبلة شيخاً قبل المولد بـ ١٩ عاماً، وابنه عطارد هو الذي افتكَّ قوسه المرهونة عند كسرى فكساه كسرى، وذلك بعد وفاة أبيه. ثم وفد ابنه عطارد مع وجوه بني تميم فأهدى إلى النبي ﷺ الحلة التي كساه إياها كسرى ولم يكن لحاجب ذكر مع ذلك الوفد ولا قبله إلا ما ذكره ابن حجر ولا يعول عليه. حاجب أكبر زعيم جاهلي فكيف يخفى إسلامه ووفادته؟ قلت: الشك وارد وجدير بالنظر. أما كون ابنه هو الذي افتك القوس فلا يقطع بوفاة الأب، ولابد من مصدر أو حادث يستأنس به لنقض رواية ابن حجر، الاعلام ط ٤/ ٢/١٥٣.

والذين أمالوا عروش الفرس هم بكر بن وائل رهط أبي دلف وذلك أن أبرويز لمّا غضب على النعمان بن المنذر وطلبه أحسَّ بالشرّ فأودع السلاح عند هاني بن نعيم الشيباني ومضى إلى كسرى فألقاه تحت أرجل الفيلة.

ثم أرسل إلى بكر بن وائل يطلب حلقة النعمان فامتنعوا من أدائها، فبعث الجيوش فالتقوا في ذي قار فانهزم الفرس وقتل أكثرهم وذلك أوّل ما بعث رسول الله ﷺ فقال حين بلغه ذلك اليوم: «انتصف العرب من العجم وبي نصروا».

وسبب غضب كسرى على النعمان، أن عدي بن زيد العبادي[1] كان متعلقاً بخدمة كسرى، وكان يبعثه إلى قيصر بالرسائل، وكان يكتب بالعربية والفارسية، وكان من أَهل الحيرة وسيّدهم ولو شاء الملك ملّكوه عليهم ولكن كان يؤثر اللهو والصيد، وتزوّج هند بنت النعمان بن المنذر واستشاره كسرى فيمن يملك على الحيرة من آل المنذر فأشار بالنعمان، وحقد عليه أخوة النعمان فدسّوا عليه فحبسه ثم قتله، ولما وصله أمر كسرى بإطلاقه وأَظهر أنه مات.

وكان عدي شاعراً مجيداً كثير المثل وكتب من محبسه إلى النعمان:

ألا مَنْ مُبلِغُ النعمانِ عنّي ... وقد تُهدَى النَّصيحةُ في المغيبِ
أحظّي كان سِلْسِلةً وقَيْداً ... وغُلاًّ والبيانُ لَدى الطبيبِ
أتاكَ بأنّني قد طالَ حبسي ... ولم تسأم بمسجونٍ حَرِيبِ[2]
وبَيْتي مُقْفِرٌ إلا نساءً ... أرامِلَ قد هَلَكْنَ من النَّحِيبِ
يُحاذِرْنَ الوُشاةَ على عدِيّ ... وما ٱقترفُوا عليه من الذُّنُوبِ
فإن أخطأتُ أو أوهمْتُ أمراً ... فقد يهِمُ المصافي بالحبيبِ
وإن أُظْلِمْ فقد عاقَبْتُموني ... وإن أُظْلَمْ فذلِكَ من نصيبي

(١) هو أبو عمير، عدي بن زيد العبادي. شاعر جاهلي يدين بالنصرانية. يتقن اللغة الفارسية. عمل ترجماناً في ديوان كسرى. زوجه النعمان بن المنذر ابنته هند، ثم وشى به حساده فحبسه ثم قتله حوالي سنة ٥٨٧م. له ديوان شعر من جمع وتحقيق محمد جبار المعيبد وطبع سنة ١٩٦٥م.
ترجمته في: الشعر والشعراء ١٥٠، الاغاني ٢/ ٨٧ ـ ١٤٨، الموشح/ ١٠٢، شعراء النصرانية/ ٤٣٩، معاهد التنصيص ١/ ١٠٥، سمط اللآلي/ ٢٢١، أنوار الربيع ٢/ هـ ٧١.

(٢) حريبة الرجل: حاله الذي سُلبه. وقيل: حريبة الرجل: ماله الذي يعيش به. والحريب: الذي سُلب حريبته. قالوا: تُباع داره وعقاره، وهو من الحريبة. (اللسان ج ١ ص٣٠٤).

وإن أهـلِـكْ تـجـدْ فـقِـدي وتُـخـذَلْ إذا الـتَـقـتِ الـعَـوالـي فـي الـحـروبِ
فـهـل لـكَ أن تَـداركَ مـا لـديـنـا ولا تُـغْـلَـبْ عـلـى الـرأي الـمـصـيـبِ
فـإنـي قـد وَكَـلْـتُ الـيـومَ أمـري إلـى ربٍّ قـريـبٍ مـسـتـجـيـبِ[١]

ثم إن النعمان ندم على قتل عدي وعلم أنه قد احتيل عليه واجترَأ عليه أعداؤه وهابهم، فخرج يوماً إلى الصيد فلقي ابنه زيد بن عدي فعرفه بالشِبْه، وانتسب له فأعجبه كلامه وظرفه، وفرح به فرحاً شديداً، وكتب إلى كسرى يرغبه أن يجعله مكان أَبيه بعد أن تبرأ من قتل أَبيه، فحظى زيد عند كسرى وتولّى عنه المكاتبة إلى ملوك العرب والنظر في خاصته، وسأله عن النعمان فأَثنى عليه ومكثَ سنوات في رتبة أبيه وازداد اعجاب كسرى به[٢].

وكانت لملوك العجم صفة من صفات النساء مكتوبة، فكانوا يبعثون بها في البلاد فمن أين وافقت حملت الا أنهم كانوا لا يحسبونها عند العرب فبدا لكسرىٰ في طلب تلك الصفة، فأمر بالكتب فيها إلى النواحي.

فقال زيد لكسرىٰ: أراك تعدل بهذه الصفة عن العرب، وأني لا أعلم أن عند النعمان بناته وأخواته وسائر أهله أكثر من عشرين امرأة بهذه الصفة، قال: فاكتب فيهنّ، فقال: أيّها الملك إن العرب خاصّة النعمان زعموا يتكرَّمون بأنفسهم عن العجم وأنا أخاف أن يغيبهن عن رسولك ويظهر غيرهن ولكن ابعثني ومعي آخر يفهم العربية حتى أبلغ ما تريد ففعل ذلك كسرى وبعث معه أميراً، فسار إلى النعمان وأبلغه رسالة كسرى فشقَّ عليه وقال والرجل الآخر يسمع: أما في مهى السواد وعين فارس ما يبلغ به كسرى حاجته؟ فقال الرجل لزيد بالفارسية: ما المهى والِعين؟ قال: كاوان يعني البقرة، وقال زيد للنعمان: أنّما يريد الملك كرامتك ولو علم أنه يشتق عليك ما فعل، وكتب النعمان إلى كسرى أن تلك الصّفة ليست عنده، وسأل زيداً أن يعتذر عنه فقرأ زيد على كسرى كتابه وقال: قد كنت عرفتك ظنّهم بنسائهم وأخبره الرجل بما سمع فشنّعه فعصب كسرى وتوعدّ النعمان فبلغه ذلك وسكت كسرى شهوراً وكتب إلى النعمان أنه يقبل إليه فخاف وهرب إلى جبلي طي ثم طوّف في قبائل العرب فارّاً بنفسه، ثم حمل نفسه على الألقاء بيده

---

(١) الاغاني ٢/ ١٠٣ ـ ١٠٤.

(٢) الاغاني ٢/ ١١١ ـ ١١٣، بإختصار.

على كسرى بعد أن أهدى له هديةً فقبلها منه وأظهر له الجميل فتوجّه نحوه.

ولقيه زيد بن عدي على قنطرة ساباط فقال له: يا نعيم إِنج بنفسك، فقال النعمان: أفعلتها يا زيد أَما والله لئِن عشت لك لاقتلنك قتلة ما قتلها عربي ولألحقنَّك بأبيك، فقال زيد: إِمضِ لشأنك نُعيم فقد والله أخّيت لك أخيّة لا يقطعها المهر الأرن[1] فلما وصل إلى بابه أمر به فقيّد وبعث به إلى سجن خانقين، ثم ألقاه تحت أرجل الفيلة فوطئته، وقيل مات بالطاعون في السجن[2] ومن مشهور شعر عدي بن زيد:

أيُّها الشَّامِتُ المُعَيِّرُ بالدَّهـ ـرِ أأنتَ المبرَّأُ الموفُورُ

أين كسرى كسرى الملوك أنو شِرْ وانُ أم أينَ قبله سَابورُ[3]

وبنو الأَصفر الملوك ملوكُ الر وم لم يبق منهمُ مَذْكُورُ

وأخو الحَضْرِ[4] إذ بَناه وإذ دُجْـ ـلَةُ تُجْبَى إليه والخَابُورُ[5]

---

(١) الأَرِنْ: النشيط، يقال أرِن يأرن أَرَناً إذا مرح مَرَحاً فهو أَرِنْ.

(٢) الاغاني ٢/ ١١٣ ـ ١٢٠ بإختصار.

(٣) سابور الجنود وهو ابن اردشير، وسابور ذو الأكتاف وهو سابور بن هرمز وكلاهما من ملوك العجم قبل كسرى أنو شروان (معجم البلدان ٢/ ٧٦٨).

(٤) الحضر: اسم مدينة بإزاء تكريت في البرية بينها وبين الموصل والفرات، وهي مبنية بالحجارة المهندمة بيوتها وسقوفها وأبوابها، ويقال كان فيها ستون برجاً كباراً، وبين البرج والبرج تسعة أبراج صغار، بإزاء كل برج قصر وإلى جانبه حمام، ومر بها نهر الثرثار، وكان نهراً عظيماً. فأما في هذا الزمان فلم يبق من الحضر إلا رسم السور وآثار تدل على عظم وجلالة (معجم البلدان ٢/ ٢٦٧).

أخو الحضر: هو الضيزن بن معاوية بن العبيد السليحي القضاعي: ملك جاهلي، قديم. كان مذكوراً بالبأس والمنعة، تخافه أقيال العرب وملوكها. ملك الجزيرة إلى الشام ووالى الروم، وقام الفرس. وأبقى آثاراً منها العريسات (بين الكوفة والقادسية) وكانت تسمى «طيزناباذ» محرفة عن «ضيزن آباد» ومعناها بالفارسية «عمارة ضيزن». ويقال: إنه هو باني «الحضر» في الجزيرة قتله فيه سابور ذو الأكتاف. (الاعلام ج ٣ ص٢١٦). (الاعلام ط ٤/ ٣/ ٢١٦).

(٥) الخابور: اسم لنهر كبير بين رأس عين والفرات من أرض الجزيرة. وأصل هذا النهر من العيون التي برأس عين، وينضاف إليه فاضل الهرماس ومدّ، وهو نهر نصيبين، فيصير نهراً كبيراً. يصب في الفرات؛ وفيه من أبيات أخت الوليد بن طريف ترثى أخاها:

أيا شجر الخابور ما لك مورقاً كأنك لم تجزع على ابن طريفِ

فتى لا يحب الزاد إلا من التقى ولا المال إلا من قنىً وسيوفِ

(معجم البلدان ٢/ ٣٣٤)

وتَـذَكَّـرْ رَبَّ الـخَـوَرْنَـقِ إذا أشْـ ـرَفَ يـومـاً ولـلـهُـدَى تَـفـكـيـرُ
سـرَّه مـالُـهُ وكـثـرةُ مـا يـمـ ـلـكُ والـبـحـرُ مُـعـرِضـاً والـسـديـرُ
فـارعَـوَى لُـبُّـهُ فـقـال ومـا غِـبْـ ـطَـةُ حـيٍّ إلـى ٱلـمـمـات يـصـيـرُ
ثـم أضـحـوا كـأنـهـم وَرَقـاً جَـفـ ـفَ فـألْـوَت بـه الـصَّـبـا والـدَّبُـورُ[1]

وهند بنت النعمان التي تزوجها عدي، هي صاحبة الدير المعروف بدير هند بالحيرة لأنّها تنصّرت وترهبت فيه، وعاشت إلى ولاية المغيرة بن شعبة الكوفة لمعاوية، وخطبها وهي عجوز كبيرة ليجمع بين ملك النعمان وابنته، ففطنت له فامتنعت ولها أشعار وحكم.

وصاحب الخورنق هو النعمان الأكبر بن الشقيقة وهي أمّه وكان سِنمار عمّر له الخورنق فألقاه من أعلاه وقصّته مشهورة.

ثم إن النعمان تنصّر بعد ذلك وهام على وجهه، وإليه لمحت في ترجمة المولى ضياء الدين زيد بن محمد بن الحسن[2] بقولي: «ولو رآه النعمان لساح وترك الفخر وتزهّد» وفيه استخدام على مذهب ابن مالك بسطته في الحاء.

وكان سبب تنصّره ما حكاه الأصفهاني في الأغاني: أنه خرج يتصيّد ومعه عدي فمرّ على مقابر الحيرة، فقال له عدي: أبيت اللعن هذه تقول:

أيّـهـا الـركـب الـمـخـبُّـون عـلـى الأرض الـمـجـدّونْ
وكـمـا أنـتـم كـنّـا وكـمـا نـحـن تـكـونـون

فانصرف ودخلته رِقَّة ثم خرج مرّة أخرى فمرّ بالمقابر فقال عديّ: أبيت اللعن تقول هذه المقابر:

مَـنْ رَآنـا فَـلْـيُـحَـدِّثْ نـفْـسَـه أنـه مُـوفٍ عـلـى قَـرْنـي زَوَالِ[3]
وصُـروفُ الـدَّهـرِ لا يـبَـقَـى لـهـا ولِـمَـا تـأتِـي بـه صُـمُّ الـجـبـالِ
رَبَّ ركـبٍ قـد أنـاخـوا حَـوْلـنـا يـشـربـون الـخـمـرَ بـالـمـاء الـزّلالِ
والأبـارِيـقُ عـلـيـهـا فُـدُمٌ وجِـيـادُ الـخـيـل تَـرْدِي بـالـجِـلالِ[4]

---

(١) الأغاني ٢/ ١٣١ ـ ١٣٢.
(٢) ترجمه المؤلف برقم ٧٥.
(٣) على قرن زوال: أي على طرف.

والأبـــارِيـــقُ عـــلـــيـــهـــا فُـــدُمٌ   وجـيـادُ الـخـيـل تَـرْدِي بـالـجِـلاَلِ[1]

عَـــمِـــرُوا دهـــراً بـــعـــيـــشٍ حَـــسَـــنٍ   آمِـــنِـــي دَهْـــرِهِـــمُ غـــيـــر عِـــجَـــالِ

ثـــم أضْـــحَـــوْا عـــصـــفَ الـــدَّهـــر بـــهـــم   وكـــذاكَ الـــدهـــرُ يُـــودِي بـــالـــرِّجَـــالِ

فرجع النعمان وتنصَّر وهام على وجهه[2].

❁ ❁ ❁

والخضر[3] المذكور في شعر عدي: قصر بين دجلة والفرات بجبال تكريت، وكان صاحبه الضيزن بن معاوية بن عبيد بن الأحرار بن عمرو بن النخع، وكان ملك تلك الناحية وبلغ ملكه إلى الشام ثم أن سابور ذو الأكتاف جمع له وسار إليه، وأقام على الخضر أربع سنين، وكان للضيزن بنت من أجمل النساء، وكان سابور أجمل أهل زمانه، فرآها ورأته فتعاشقا، ودلّته على عورة من عورات الحصن فهدمها ودخل منها وقتل الضيزن وجميع من في الحصن، وأعرس بالنظيرة بعين التمر، فلم تزل ليلتها تتألم، وكان الفراش من حرير محشوّ بالقزّ فالتمس ما يؤذيها، فإذا ورقة آسٍ قد التصقت بعكنة من عكنها، فسألها بأيّ شيء كان يغذوكِ أبوك؟ قالت: بالزبد والمخّ وشهد أبكار النّحل وصفو الخمر، فقال: أني لأحدث معرفة منك بأبيك وقد وترتك به وهو الذي غذّاك بما ذكرت، ثم إنه أمر رجلاً ركب فرساً وظفر غدائرها بذنبه ثم استركضه فقطعها قطعاً، ويعرف الضيزن بالساطرون أيضاً.

وقيل: إن هند بنت النعمان كانت تَهْوَى زرقاء اليمامة، وإنها أوّل امرأة من العرب أحبّت امرأة.

❁ ❁ ❁

---

(١) الفدام: شيء تشدُّه العجم على أفواهها عند السقي، الواحدة فدامة، وأما الفدام فإنه مصفاة الكوز والإبريق ونحوه، وسقاة الأعاجم المجوس إذا سقوا الشرب فدموا أفواههم، فالساقي مفدم، والإبريق الذي يُسقى منه الشرب مفدم. (اللسان ج ١٢ ص٤٥٠) ـ ردت الخيل ردياً ورديانا: أي رجمت الأرض بحوافرها في سيرها وعدوها.

(٢) الاغاني ٢/ ١٢٧ ـ ١٢٨.

(٣) في الاغاني: «الحضر».

الإِفتنان، وفيه مع المتانة الجناس الخطّي وهو أَحد أَصوات المائة المختارة:

أُحِبُّكِ يا جِنَانُ وأنتِ منِّي ... مكان الروح من جَسَد الجَبَانِ
ولو أَنِّي أقول مكانَ روحي ... خَشِيتُ عليكِ بادرةَ الزمانِ
لإقدامي إذا ما الخيلُ كَرَّت ... وخافَ كُمَاتُها حَرَّ الطِّعانِ[1]

وله في الشهب:

في كلّ يوم أَرَى بيضاءَ قد طلعت ... كأنَّما أُنبتتْ من ناظر البَصَر
لئن قَصَصْتُكِ بالمِقْراضِ[2] عن بَصَرِي ... لَمَا قصصتك عن وهَمي وعن فِكَري[3]

وقال أبو الفرج: قالت ظبية جارية أبي دلف إني لمعَهُ بالسرادن[4] وهو جالس يشرب معي عليه ثياب ممسّكة إذ أتاه الصريخ بطروق الشراة إلى عسكره، فلبس الجوشن ومضى فقتل منهم وانصرف في آخر الليل وهو يغني بشعره:

ليلتي بالسَّرَادِنِ ... كُلِّلْت بالمحاسنِ
بُدِّلتْ بالمُمَسَّكا ... تِ ادِّراعَ الجَوَاشِنِ
وأسوداً عوابساً ... بالظِّباءِ الشَّوادِنِ[5]

ومدحه أبو الحسن علي بن جبلة العكوك[6] بأحسن المدائح، منها القصيدة المشهورة التي أوّلها:

ذادَ وِرْدَ الغيِّ عن صدره ... وانثنى واللّهوُ من وَطَره[7]

وبسببها قتل المأمون العكوك وأجاز أبو دلف، العكوك عنها بثلاثة آلاف درهم وقيل بمائة ألف.

ومرّ أبو دلف مرّة مع أخيه معقل في العراق بإمرأتين فقالت إحداهن

---

(١) الاغاني ٨/ ٢٥٦.
(٢) المقراض: المقص.
(٣) الاغاني ٨/ ٢٥٧.
(٤) السرادن: موضع ببلاد فارس (معجم ما استعجم: سرادن).
(٥) الاغاني ٨/ ٢٥٨.
(٦) مرت ترجمته بهامش سابق.
(٧) الاغاني ٢٠/ ٢١.

لصاحبتها: هذا أبو دلف، قالت: ومن أبو دلف؟ قالت: الذي يقول فيه علي بن جبلة:

إنـمـا الـدنـيـا أَبـو دُلـف ... بـيـن بـاديـه إلـى حـضـره
فـإذا ولَّـى أبـو دُلـف ... ولَّـت الـدنـيـا عـلـى أَثـره[1]

فاستعبر أبو دلف حتى جرى دمعه، فقال أخوه: مالَكَ تبكي؟ قال: لأني لم أَقض حق علي بن جبلة، قال: أَو لَم تعطه مائة ألف درهم؟ قال: والله ماحسرة تقارب حسرتي على إِن لم أعطهِ لهذه القصيدة مائة ألف دينار، ووالله لو فعلت ما قَضَّيته حقه.

وقال العكوك: زرت أَبا دلف فكنت لا أَدخل عليه إلاّ تلقّاني ببرّه، فأَفرط فقصرت عنه حياء منه، فبعث إليّ بأخيه معقل، فقال: إن الأمير يقول: لم هجرتنا لعلك استنزرت أو استبطأت بعض ما كان منّا! فإن يك هذا زدناك حتى ترضى، فدعوت من كتب لي هذه الأَبيات ثمّ دفعتها إلى معقل وسألته أن يوصلها إليه:

هَجْرتك لم أهجرك من كفر نعمةٍ ... وهل يُرتَجى نَيل الزيادة بالكفرِ
ولكنّني لما أتيتُك زائراً ... فأَفرطتَ في بِرِّي عجزت عن الشكرِ
فم الآن لا أتيتك إلاّ مسلّماً ... أزورك في الشهرين حيناً وفي الشهرِ
فإن زدتّني برّاً أزيدك هجرة ... ولم تلقني طول الحياة إلى الحشرِ

فاستحسنها معقل، وقال: أن الأَمير ليعجبه مثل هذه المعاني، فلما أبلغها أَبا دلف، قال: لله درَّه فما أَرَّق معانيه، ثم كتب إليّ:

أَلا ربّ ضيف طارق قد بسطُته ... وآنستُه قبل الضيافة بالبِشرِ
أَتاني يرجِّيني فما حال دونه ... ودون القِرىٰ من نائلي عنده سِتري
وجَدتُ له فضلاً عليَّ بقصده ... إليَّ وبَّرا يستحق به شكري
وزوّدتُه مالاً يقل بقاؤه ... وزوّدني مدحاً يدوم مدى الدهرِ

ثم وجّه بها مع وصيف يحمل ألف دينار[2].

قلتُ: رحم الله أَبا دلف وقد فعل، فلقد أَتعب من بعده وأَلبسه ثوب

---

(١) كاملة في الاغاني ٢٠/ ٢٥ ـ ٢٧.

(٢) الاغاني ٢٠/ ٣١.

الخجل، أَخذ معنى أبيات العكوك أَبو عبادة البحتري[١] فإنه كان استسقىٰ أبا جعفر محمدّ بن علي القميّ نبيذاً فبعث به غلام جميل فقبّله البحتري، فغضب وعلم إنه سيخبر مولاه فكتب إلى أبي جعفر:

أَبا جعفرٍ كان تَخْمِيشُنَا[٢] غلامك إحدىٰ الهِبات السَّنِيَّه
بَعَثْتَ إِلينا بشمس المُدامِ تضيء لنا مع شمس البريّه
فليت الهديّة كان الرّسولَ وليت الرسولَ يكون الهَدِيّه[٣]

فوجّه إليه بالغلام مع هدية أخرى فخجل البحتري وانقطع عنه شهراً حياء فعاتبه محمد فكتب إليه البحتري:

إنِّي هَجَرْتُك إذْ هَجَرْتُكَ حِشْمَةً لا العَوْدُ يُذْهِبُها ولا الإبداءُ
أَخْجَلْتَنِي بِنَدَى يَدَيْكَ فَسَوَّدَتْ ما بَيْنَنَا تلك اليَدُ البيضاءُ
صِلَةً غَدَتْ في النّاسِ وهي قطيعةٌ عَجَباً وبِرّاً راحَ وهو جَفَاءُ[٤]

وقال المرزباني: كان قطرب النحوي[٥] يؤدب أولاد أَبي دلف، فلما مات كان الحسن بن قطرب يؤدّبهم عوضاً عن أَبيه، فحضر معه بعض الحروب فوقع

---

(١) مرت ترجمته بهامش سابق.

(٢) في الاغاني: «تَجْميشُنا»، وجمّشه: لاعبه وغازله.

(٣) الاغاني ٢١/ ٥٢.

(٤) الاغاني ٢١/ ٥٣، كاملة في ديوان البحتري ١/ ٢٠ ـ ٢٢.

(٥) محمد بن المستنير بن أحمد، أبو علي، الشهير بقطرب: نحوي، عالم بالأدب واللغة، من أهل البصرة. من الموالي توفي سنة ٢٠٦هـ. كان يرى رأي المعتزلة النظامية. وهو أول من وضع «المثلث» في اللغة. وقطرب لقب دعاه به أستاذه «سيبويه» فلزمه. وكان يؤدب أولاد أبي دلف العجلي. من كتبه «معاني القرآن» و«النوادر» في اللغة، وغيرهما.

ترجمته في: وفيات الأعيان ٤/ ٣١٢ ـ ٣١٣ وتاريخ بغداد ٣: ٢٩٨ وطبقات النحويين ١٠٦ وبغية الوعاة ١٠٤ ونزهة الألبا ١١٩ وفهرست ابن النديم ٥٢ وشذرات الذهب ٢: ١٥ ومعجم المطبوعات ١٥١٧ وفيه. كما في كشف الظنون ١٥٨٦ ما يوهم أن «المثلثات» التي مطلعها: «يا مولعاً بالغضب» هي من نظم قطرب، مع أن ناظمها، وهو سديد الدين المهلبي البهنسي المتوفي سنة ٦٨٥ يقول في ختامها:

«لما رأيت دله وهجره ومطله»
«نظمت في وصفي له مثلثاً لقطرب»

وأنظر Brock. I: 101 (10₃), S. I.161 وفي فهرست الأمبروزيانة Catalogo dei Manoscriti Arabi رقم الكتاب ٤٧١ «نظم لمحمد بن علي بن زريق في شرح قصيدة المثلثات»، الاعلام ط ٤/ ٧/ ٩٥.

في رأسه سهم فسقط، فحامى عنه أَبو دلف وحارب أَشدّ حرب حتى استنقذه وحمله إلى مأمنه وهو مغشي عليه، وجمع الأَطباء وأَمرهم بأخراج السهم فقالوا: إن خرج السهم ولم يخالط الدماغ عاش وإن خالطه لم يعش، ففتح الحسن عينيه وقال: إِنزعوه فلو كان له دماغ ما حضر هذا الموضع، فقال أَبو دلف في ذلك:

وليشكرن أبو عليّ قطرباً ... منّي يد بيضاء غير عقام
ردّي عليه فتاه بعد توايهِ ... رهناً بكل مهندٍ فصّامَ
في حيث لا تجدي عليه دفاتر ... مرسومة برواقش الأقلامَ
لا النحو ينفعه ولا اتقانه ... علم العروض ومذهب النّظامِ[1]

وحكى أبو الفرج الأصفهاني عن أَحمد بن عبد الله بن عمار، قال: كنّا عند أبي العباس المبرد وعنده فتىً من ولد أبي البختري وهب بن وهب القاضي[2]، أَمرد حسن الوجه، وفتًى من ولد أَبي دلف يشبهه في الجمال، فقال المبرد لأبي البختري أَعرف لجدّك قصّة في الكرم لم يسبق إليها قال: وما هي؟ قال دعي رجل من أهل الأدب إلى بعض المواضع فسقوه نبيذاً غير ما كانوا يشربون منه، فقال:

نبيذان في مجلسٍ واحد ... لإيثار مُثْرٍ على مُقْتِرِ
فلو كان فعلُك ذا في الطعامِ ... لَزِمْتَ قِياسَك في المُسْكِرِ

---

(١) معجم الشعراء.

(٢) وهب بن وهب بن كبير بن عبد الله بن زمعة، من بني المطلب بن أسد بن عبد العزى، من قريش، أبو البختريّ: قاض، من العلماء بالأخبار والأنساب، متهم بوضع الحديث. ولد ونشأ في المدينة. وانتقل إلى بغداد في خلافة هارون الرشيد، فولاه القضاء بعسكر المهدي (في شرقي بغداد) ثم قضاء المدينة وأضيف إليه حرسها وصلاتها. وعزل، فعاد إلى بغداد، فتوفي فيها سنة ٢٠٠هـ. وكان جواداً، كثير العطايا للشعراء. وفيه يقول أحدهم، من أبيات:

«لكل أناس من أبيهم ذخيرة ... وذخر بني فهر عقيد الندى وهب»

وصنف كتباً، منها: «فضائل الأنصار» و «نسب ولد إسماعيل» و «الرايات» و «طسم وجديس». وروى الحديث وكان متهماً فيه.

ترجمته في: لسان الميزان ٦: ٢٣١ ونسب قريش ٢٢٢ معجم الأدباء ١٩/ ٢٦٠، العبر للذهبي ١/ ٣٣٤، شذرات الذهب، وفيات الأعيان ٦/ ٣٧ ـ ٤٢، طبقات ابن سعد ٧/ ٣٣٢ /١ ٣٦٠، تأريخ بغداد ١٣: ٤٥١ وميزان الاعتدال ٣: ٢٧٨ ورغبة الآمل ٥: ٨٨، ٨٩ ومرآة الجنان ١: ٤٦٣ وفيه ضبط «البختري» بالحروف، بضم الباء والتاء؛ خلافاً لما في سائر المصادر، الاعلام ط ٤/٨/١٢٦.

فلو كان فعلُك ذا في الطعامِ لَزِمْتَ قِياسَك في المُسْكِرِ
ولو كنتَ تطلب شأوَ الكرامِ صنعتَ صنيعَ أبي البَخْتَرِي
تَتَبَّعَ إخوانَهُ في البلاد فأغنى المُقِلُّ عن المُكْثِرِ

فبلغ شعره أبا البختري فبعث له بثلثمائة دينار[1].

قال ابن عمّار، فقلت له: قد فعل جدّ هذا الفتى في المعنى أحسن ممّا ذكرت، قال: وما فعل؟ قلت: بلغه إن أبا عبد الله أحمد بن صالح مولى بني هاشم، وكان أسود مشوّه الخلق شاعراً أديباً افتقر، فقالت له امرأته: يا هذا إنّ الأدب قد سقط نجمه، وطاش سهمه، فاعمد إلى سيفك ورمحك فادخل مع الناس في غزواتهم عسى الله أن ينفلك من الغنيمة شيئاً فقال:

مالي ومالَكَ قَدْ كَلَّفْتَنِي شَطَطاً حَمْلُ السلاحِ وقَولِ الدَّارعين قِفِ
أَمِنَ رجال المنايا خلتني رجلاً أمسي وأصبح مشتاقاً إلى التَلَفِ
تمشي المنايا إلى غيري فأكرهها فكيف أمشي إليها بارِز الكَتِفِ
ظننت أن نزال القرن من خلقي أوأن قلبي في جنبَيْ أَبي دلَفِ

فاحضره أبو دلف وقال: كم أَمَّلت امرأتك أَن يكون رزقك لو افترضت في الديوان؟ قال: مائة دينار، قال: وكم أمّلت أن تعيش؟ قال: عشرين سنة، قال: ذلك لك عليّ في مالي دون مال السلطان، وأمر له بأربعة آلاف دينار ضعف ما أمّل.

قال أحمد: فرأيت وجه ابن أَبي دلف تهلّل وانكسر وجه ابن أبي البختري انكساراً شديداً[2].

وكان أَبو دلف مع هذه الشجاعة والجود والأدب، فاضلاً في العلوم وله تصانيف تناسبه، فمنها كتاب: «البزاة والصيد»، وكتاب «السلاح» وكتاب «النزه». وكتاب «سياسة الملوك» وغير ذلك[3] وكان أبوه عيسى قد ابتدأ عمارة الكرج وأتمّها هو وكان بها أَهله وعشيرته وأَولاده[4] وكان شيعيّاً.

---

(١) الاغاني ٨/ ٢٦٤، وفيات الاعيان ٦/ ٣٨.

(٢) الاغاني ٨/ ٢٦٤ _ ٢٦٥.

(٣) وفيات الأعيان ٤/ ٧٤.

(٤) وفيات الاعيان ٤/ ٧٦.

ولما مرض مرض موته حجب الناس عن الدخول لثقله فأفاق يوماً فقال لحاجبه: من بالباب من المحاويج؟ قال: عشرة من الأشراف وصلوا من خراسان ولهم بالباب أيّام ولم يجدوا طريقاً فقعد على فراشه واستدعاهم، فدخلوا فَرحب بهم وسألهم عن بلادهم وأحوالهم وسبب قدومهم، فقالوا: ضاقت بنا الأحوال، وسمعنا بكرمك فقصدناك، فأمر خادمه باحضار بعض الصناديق، فأخرج عشرين كيساً في كلّ كيس ألف دينار، ودفع إلى كل واحد منهم كيسينَ ثم أعطى كل واحد منهم مؤنة طريقه، وقال لهم: لا تمسّوا الأكياس حتى تصلوا بها سالمة إلى أهليكم، واصرفوا هذه النفعة في مصالح الطريق، ثم قال: ليكتب كل واحد منكم أنه فلان بن فلان حتى ينتهي إلى عليعَلَيْهِ السَّلَامُ، ويذكر جدّته فاطمة ابنة رسول اللهﷺ، ثم يكتب: يا رسول الله إني وجدت فاقةً وإضاقة وسوء حال في بلدي فقصدت أَبا دلف العجلي، فأعطاني ألف دينار كرامة لك، وطلباً لمرضاتك، ورجاءً لشفاعتك، فكتب كل منهم خطّه وتسلّم الأوراق، وأوصى من يتولّى تجهيزه إذا مات أن يضع تلك الأوراق في كَفَنِهِ، حتى يلقىٰ بها رسول اللهﷺ ويعرضها عليه[1].

وذكر أبو الحسن المسعودي في مروج الذهب: أن دلف بن أبي دلف كان ضدّ مذهب أبيه فأقبل ذات يوم يحدّث بعض أهلهم فقال: إن الشيعة تقول أنه لا يبغض عليّاً إلاّ فاسد النسب وأنا أكرهه، وقد علمتم غيرة الأمير وأنه لا يمكن الطعن في حرمه، وكان أبوه بحيث يسمع ولا يراه فدخل وقال: سمعت ما تكلمت به والشيعة صادقة، وأنت والله فاسد النسب، وذلك أني كنت أحبّ جارية لأختي ولم تسمح ببيعها ولا هبتها فاتفق أني مرضت فلما أبللت بعثت أختي تلك الجارية لتعودني، فلما رأيتها لم أتمالك أن وقعتُ عليها وكانت حائضاً، فعلقت بك لغير رشدٍ ولا طهارة.

ثم أدَّت عداوة دلف لأبيه حتى وضع رؤيا ذكر أنه رآها لأبيه ذكرها ابن خلكان[2].

---

(١) وفيات الأعيان ٤/ ٧٧ ـ ٧٨.

(٢) في الوفيات ٤/ ٧٨.

ومات أبو دلف سنة خمس وقيل ستّ وعشرين ومائتين ببغداد[1] رحمه الله تعالى.

❀ ❀ ❀

والكَرج بفتح الكاف والراء وآخرها جيم مدينة بين أصبهان وهمذان عمرها أبو دلف ووالده.

[١٣٣]

الإمام المنصور بالله أبو محمد، القاسم بن محمد بن علي بن الحسين صاحب اليمن[*]

وما أَدراك ماهو، وربّ الدعوة التي لبّتها السعادة، وقهرت نحوس العدى فما فاهوا. والقائم بقائم الحسام حين قعد أمثاله، وأنّىٰ يرى مثله، فما أحسبه يوجد ولا أخاله، والجامع للمحاسن الذي صلّت له المعالي، وسجدت لفناه الكوكبية، ومشارفه الفلقية، في ليل قتامه، منسي الليالي، جمعت في صفاته الأضداد، فهو راهب اللّيل وفي النهار جلاّد، لا يورد خيله إلا حياة القلوب الحمراء، ولا يعشق إلا السمراء إذا عشق اللثام الصّفراء:

إِقدام عمرٍ في سماحة حاتمٍ ... في حلم أحنف في ذكاء إياسِ

نهض فرداً كالحسام، فطيّر الروم إلى قاف وما صاد إِلاّ بلام، كاللّيث صاح بالفريسة وكالحمام أرسل إلى الأنفس رسيسه، شعراً:

ورد إذا وَرَدَ البحيرة شارباً ... ورد الفرات زئيره والنيلا

أنسى بقلب الدول الإسكندر، وما ترك لأبي مسلم من فخرٍ يُذكر، وكم أحيى لبني عثمان قتيل الدار، وفرق سهام المنون فأدرك الأوتار، ورجم بالشهب الخطيّة كوكبان، فاطلع كقزح دمائهم على الخرصان، وكان يضعف ويقوى،

---

(١) وفيات الأعيان ٤/٧٨.

(*) تمام نسبه في الترجمة رقم ١٣. ترجمته في:
بلوغ المرام ٦٥، الذريعة ٢/٣، البدر الطالع ٢/٤٧، البعثة المصرية ٢١، إتحاف المسترشدين ٧٨، الاعلام ط ٤/٥/١٨٣.

ويكمن ويثور تقيّة وتقوى، حتى عضدته السعادة، وشهد الإقبال لأصحابه أنّ لهم إحدى الحسنيين أما الظفر أو الشهادة، فقاتلوا معه قتال بكر يوم ذي قار حميس الهرمزان، ومكّنوا في آل قيصر كما مكّن أولئك من آل ساسان، وجاء نصر الله والفتح، وتبّت يد العدوّ وشمل كباشة الذبح بهمة لو تعالى عليها السماك شمله النطح، وعزيمة لولا سالمها الليل لأشفق فما أرسل الرعي ما أنبت نهر مجرّته السرح، يخافه عدوّه صباحاً وبياتاً، وإن لم يبعث أسوده عليه مجتمعين أرسلهم ثباتاً:

تعود أن لا تُقْضِم الحبّ خيله إذا الهام لم ترفع جنوب العلايقِ

ولا ترد الغدران إلاّ وماؤها من الدم كالريحان تحت الشقايقِ

بل لم تقضم إلا بأسنّة الخطّ حب القلوب، ولم يورد إلاّ علق الحشايش غير ممزوج شقيقها ولا مشوب، حتى نسخت بآل يّس سورة الروم، وظهر ذلك السابق في الحلبة ففرّ سكيت العدوّ الهجين وهو ملطوم، ونودي بسعادة من السماء فسمع الواعي، وعندها فرّ شيطان البغي وتلى فتولَّ عنهم يوم يدعُو الداعي.

وكان أوّل حاله يطلب العلم بصنعاء وجبله، ويضمر الشأن الذي ولّدته همته والجبلة، ولا يملك إلا الصحيفة، بلى ومعها النفس الخطيرة الشريفة.

ثم آل أمره إلى ما آل، وقاد بالسهولة الكتائب الجبال، وطالما طلبه أمراء الرّوم حين شاع فضله وأفصح كاتمه، ووقفوا على مواضع درسه ومكامنه وقوف شحيح ضاع في الترب خاتمه، وطلبوه طلب مروان الحمار للسفاح، وكيف يدرك الهلال وأن عم نوره الأشباح، وكان يغزو بنفسه في تلك الحالة، فربّما أصاب مالاً فغنمه أو شخصاً فاغتاله.

أخبرني شيخي الزاهد الصوفي الحسن بن الحسين بن المنصور[1] حفيده: أن صوفيّاً بصنعاء كان شديد الخلاعة، وكان يأكل الحشيش أكل الحمار ويبيح المحرّمات رعاعه، فكمن له الإمام القاسم في بعض الأَزِقَّة كمون الأفعوان حتى إذا مرّ به فضربه بعمود فاخرج دماغه من بين الآذان، ثم خرج من المدينة خائفاً يترقب، وكانت عصاه تلك آية موسى تتلقّف ما يصنع الساحر، ودماغه بها يتنقّب.

---

(١) ترجمه المؤلف برقم ٤٥.

وشاع وذاع، وملأ البقاع، أنه كان قبيل ظهوره يجي طائر غريب النوع إلى المنابر في ديجوره فيصيح بصوتٍ فصيح متساجم، يسمع أهل المدينة: «قم يا إمام قاسم».

وذكر السيد الكاتب مطهر بن محمد الجرموزي في سيرته عن بعض السادة أهل كوكبان الساكنين بصنعاء قال: كنت منحرفاً عن الإمام القاسم وكنت إذا سمعت حديث الطائر أَعدّه من المحالات، فبتُّ ليلة في داري وليس معي مخلوق فيه، فبينا أنا في مجلسي وقد مضى وهنٌ من الليل إِذ سمعت منادياً ينادي من أرجاء مجلسي بصوت مهيب موحش، أقشعرّ له بدني: «يا إمام قاسم قم» يكرّره، قال: وكان يخرج القاف من مخرج الحلق على ما هو الفصيح فيها، ولم أر شخصاً حتى كاد قلبي ينفطر من الهيبة، ولم أكد أصبح فاستغفرت الله وعلمت أن لله فيه سرّاً سيظهره.

وجرى بيني وبين حفيدة شيخنا الحسن المذكور حديث المنادي فصحّح لي خبره وقال: إنّه روحاني كان يخدم الإمام وينصره بذلك النداء، وكان ابتداء دعوته من بلاد الشرق، والشمس فيه فلذا لم يكده سلطان بعواليه، ولا عدوّ بفيه من جبل اسمه قمر، وبه أضاء شعاع سعادته وأشتهر، وذلك في شهر صفر، لليلة خلت منه سنة ست وألف، واستولى على أكثر بلاد اليمن بعد حروب، كان يعدّها روضته وهي على عدوّه شعوب.

وكان أعلم الناس، وألّف لبيوت أهل مذهبه الأساس، وكان أيّداً شديد القوّة، وعنده من علم الجفر ما يعلم به انكسار جنس عدوّه الوفر، وكان شاعراً عارفاً بغريب اللغة وينحو نحو النابغة، ولم تكن يده عن كل فضل بفارغه، وله قصيدة من الكامل والقافية من المتدارك، سماها «الكامل المتدارك في الردّ على الآفك».

وردّ عليه السيد محمد بن عبد الله بن شرف الدين عن أمر سنان برد أبان عن حمقه وسوء عقيدته، فرد عليه الإمام بقصيدة سمَّاها «حتف أنف الآفك في ردّه عن الكامل المتدارك» وهؤلاء المتصوفة في زمنه كانوا متظاهرين بالقول بالحلول والوحدة، وترك الصلوات وإباحة المحرمات مع الجهل المطلق، فإن مثل الشيخ محي الدين بن عربي وأنظاره لما عرف تبحّرهم في المعارف أوّل بعض العلماء أقاويلهم في ذلك صوناً للمحقق عن قول الباطل، فأما هؤلاء فليس

لهم من ذلك كلّه إلا أكل الحشيشة، ومعاشرة المليح، والرقص وجودة الأكل، فما أحقّهم بما أَورد الصفدي في الغيث لبعضهم:

قد لبس الصوف لترك الصفا ... مشايخ العصر وشرب العصيرْ
الشكر والشاهد من شأنهم ... شرّ طويل تحت ذيل قصيرْ

ويظهرون التهتك فإذا سئلوا زعموا أنه هضم للنفس.

قال المقريزي: أن الشيخ خضر التركماني كان من أكابر من تعتقده ملوك الجراكسة بمصر وكان يكتب علامته إلى الملوك من الشيخ خضر نيّاك الحمار فما بعد هذا؟

وذكر السيد مطهر في سيرة المنصور بالله المذكور رسالة في ذكرهم منها: ثم إنّا نحذّركم من الفرقة الباطنية الذين يقال لهم صوفية، وذلك أن أَصل دينهم من بقيّة أولاد المجوس، لما ضعفت شوكتهم بتقوى الإسلام وأَهله، أظهروا الإسلام وابطنوا الكفر حقْنا لدمائهم ودينهم قالوا: إن الله ربّهم ليس هو إلاّ حِسَان النساء والمُرْدَان، وأنْ لا ربّ لهم ولا للخلق سواها، قاتلهم الله ولعنهم، ولذلك، اتخذوا دينهم الغناء بالغزل والعشق، وذكر الرذائل، والعكوف على الملاهي والشبابات، وإذا خافوا على نفوسهم خلطوا تلك الملاهي بالتهليل ومولد النبيﷺ ليلبسوا على الجهال ويدخلوا من استطاعوا في دينهم، فالواجب على المسلمين استباحة دمائهم وأموالهم لأنّهم كفّار مشركون، بل شركهم أعظم وأكثر لأن المشركين الذين كان رسول اللهﷺ يجاهدهم يقرّون بالله، ويجعلون له شركاء وهي الأصنام، وهؤلاء لم يجعلوا إلههم إلاّ الحِسَان من النساء والمُرْدان ولا يعرفون لهم ربّاً غير ذلك، قاتلهم الله، فمن أَجارهم فهو كافر لأن من فعل ذلك فقد أَعان على هدم الإسلام، ومن أعان على هدم الإسلام فهو كافر.

وله أَشعار كثيرة فمنها:

يا ذا المريد لنفسه تثبيتا ... ولدينه عند الإلٰه ثبوتا
أسلك طريقة آل أحمد واسألن ... سفن النجا أن يسألوا يا قوتا[1]
لا تعدلن بآل أحمد غيرهم ... وهل الحصاة تشاكل الياقوتا

---

(١) في هامش ب: «ياقوت: هذا شيخ حبشي منهم مدفون بعدن».

ومنها: عند ذكر غلاة المتصوفة:

ماذا يغرّك والحلول مقالهم قد أثبتوا اللاهوت والناسوتا
فاهجر هديت مقالهم وفعالهم ومقال من ضاهاهم وبقيتا

وله من قصيدة يجيب بها السيد عبد الله بن علي المؤيدي وكان ذمّ الإمام المنصور بشعر وادّعى الإمامة ولم يجب:

إن كنت تبغي هدم دين محمدٍ فأنا المريد أُقيمه بدعائمِ
أو كنت تخبط في غيابة بدعةٍ فأنا المزيل ظلامها بعزائم
لولا اشتغالي بالحروب وأهلها لوجدت نفسك لقمة للّاقم

قوله «وأهلها» في غاية اللطف وهكذا «اللاقم» بالتعريف.

وذكر السيّد مطهر غريبة اتّفقت وكرامة للإمام وهي: إن الأمير أحمد بن محمد بن شمس الدين صاحب كوكبان وأهله كانوا من أتباع الروم في حرب الإمام المنصور وعداوته، وفي بعض تلك الحروب صعد الأمير سنان إلى كوكبان ضيفاً للأمير أحمد بن محمد ومعه عدَّة من الأمراء، والمنصور قد انهزم إلى مشارق إلى اليمن، فأخرج الأمير أحمد في بعض الضيّافة مضحكاً له اسمه «زفاجر»، وألبسوه قميصاً أسود وعمّموه بثياب كثيرة، وجعلوا على رأسه عوداً كبيراً كأنه سواك يهزؤون بالمنصور، وأخرج الروم مضحكاً مصريّاً فعل أعظم من ذلك، لكن بغير ما يتعلق بالإمام، فاحتال مضحك كوكبان على المصري حتى جنى عليه فرأوا في وجه سنان وأتباعه الكراهة، فأرادوا إتحافهم بما يهوّن عليهم، فأمروا لأسدٍ هائل من أسدين مع الأمير أحمد بأن يخرج إلى الميدان بحيث يراه سنان، ثم قال المضحكون بالأصوات المرتفعة: خرج سنان، وعظّموا القول حتى ذهب عن سنان مابه.

ثم أَخرجوا ثوراً ليس بالكبير، كان لامرأة من جبل تيس يهبوه عليها، فلما وصل إلى الميدان صاحوا جميعاً: هذا الإمام قاسم، فتطاولت إليه الأعناق وازدحم الناس للنظر إلى هذه المضحكة، فلما عاين ذلك الثور الأسد قصده فجمع الأَسد نفسه ليثب إلى الثور فسبقه الثور بالوثبة ووضع قرنيه في صدر الأسد فألقاه على قفاه، ثمّ داس بطنه وخصيتيه حتى سلح الأَسد شيئاً كثيراً وولى هارباً، والثور في أثره، والغوغاء يصيحون، وكانت كرامة عظمى أَظهرها الله في هذا

المكان الذي اجتمع فيه أهل الضلال، وانتشرت هذه الكرامة في الآفاق، وتحدَّث بها الرفاق، وقام أولئك الأشرار من مجلسهم الخبيث، ونسوا مع هذه الكرامة كل حديث.

وأشار الفاضل أحمد بن محمد الشرفي إلى هذه العجيبة في أَبيات له عدّد فيها مناقب الإمام بقوله:

كالجمع ولّوا بلا حرب وفتيتهم والأسد مذعورة ولّت من البقر

وأمّا سنان هذا فكان غافلاً عن الحلال والحرام شجاعاً، وأَباح بسبب الإمام الفقهاء عامة ومن يتسمّى بالفقيه، وكان يعاقب بسلخ جلد الإنسان وهو حيّ.

وقال السيد مطهّر: حدثني من سمعه وقد وقد شكى إليه غلام أَمرد من أهل السوق إن بعض العَسكر فسق به، فأَمر سنان بذلك الجندي أَن يضرب، وقال: إضربوه وأكثروا فكيف يغصب هذا المسكين غصْباً؟ ثم قال: يا كذا إِعطه دراهم فإن قبل وإِلاّ زدت حتى يرضى.

وقال: إن الوزير حسن باشا كان يعظّم أحد الأغوات، وينزّله منزلة الوزير، فسئلِ عن ذلك، فقال: أَنتم ما تعرفون من حق هذا الرجل ما أَعرف، هذا خَصَىٰ لمولانا السلطان أَربعمائة مملوك لم يمت منهم إلاّ ثمانون فقط بخلاف غيره، فإنهم إذا خصوا الخصيان يموت منهم النصف وأكثر، فهذا مبارك مسعود.

وقال: إن بعض العسكر العرب ممّن خدم الروم وسافر إلى الشام عدد مناقبه لبعض الأمراء وقال: أنتم تقصّرون في حقِّي وقد خرج من تحتي خمسة وثلاثون ولداً وصاروا في دفتر السلطان.

قال: وحكى السيد المطهر بن مهدي الأنسي: أن خاله السيد علي بن مهدي السدمي كان مع دولة كوكبان قبل قيام الإمام المنصور من جملة فرسانهم وكنت معه، فأرسلونا مدداً إلى القبّتين ثم استدعونا إلى كوكبان، فمررنا على الوزير بصنعاء فأرسل لضيافتنا، والسمره عند أغا من خواصه إسمه علي فايق باشا، فجرى ذكر الهاتف المذكور أولاً، فقال فايق باشا: أن الباشا صعد إلى أعلى القصر بنفسه فسمعه وهو ينادي كما تقدم، فبكى الباشا وضرب صدره وقال: نعم والله إمام ولكن أيش أقول للسلطنة؟ فلمّا تفرقنا قلت لخالي أنا وَوَلداه: هل تطلب شهادة أكبر من شهادة الخصم، لا نجتمع نحن وأنت مع

هؤلاء الظالمين، وهربنا ثاني يوم حتى لحقنا بالسيد عامر عمّ الإمام أحد امرائه.

وأمّا مناقب هذا الإمام الجليل فإنّها لا تحصى، ولمّا وقع القحط في آخر أيامه لجأ إليه إلى شهارة الخلائق فبالغ في إِعانتهم، قال السيد مطهر عن بعض خواص الإمام: لقد رأيته في تلك الأيام وقد رأى شريفاً من الجوف وله ولدان صغيران في نحو الخمس السنين توأمان، وقد قحل لحمهما، ويبس جلدهما من الجهد، فنزل الإِمام حتى احتمل أحدهما بنفسه وبعض الأعوان الأُخر وأدخلهما داره، وأطعمهما بيده وَشوى لهما لحماً، ولا أرى دمعته رقأت رحمة لهما وشفقة، وكان يتعاهد بنيّة مريضة بأصناف الطعام بنفسه ويكسوها وإذا لم يجد الطرق لكثرة الناس فتح الكوّة المقابلة لها حتى يوصل إليها ما يأمر به حتى وجد لها مأوى في بيته فأدخلها.

وفي العيدين كان يفرّق الكسوة العامة، والنفقات والغنم والبقر، وكان يتقدم إلى باب النصر ويأمر بذبح أَربعين ثوراً وزيادة بقدر من هناك من المساكين، ويأمر للواحد بصاع طعام وما يكفيه من اللحم، وكان يعدّ مخازن مملؤة من الثياب المخيطة للصغار مما يجتمع له من النذور، وتأتي مخيّطة، وقد يشتري زيادة، ثم يأمر بجمع الصغار الذكران والأناث ويجلس والحمالون يدنون منه الثياب فيعطي للصغير قميصاً وكوفية، ومن هو أكبر منه يزيده عمامة، ثمّ يجعل في جيوبهم بيده التمر والزبيب ليفرحوا، وللبنات سروالاً. وقميصاً وخماراً صغيراً لكلّ على قدره، ومن ادّعى أن في بيته ماشاء من العيال أعطاه لهم، وكان مجلسه محفوفاً بالعلماء في السلم، وبالشجعان في الحرب.

وذكر السيد: إن ولادته، كما نقل من خطّه ما نصّه: وجدت بخطّ والدي تاريخ مولدي لاثنتي عشرة ليلة خلت من صفر، واحسبه ذكر أنّها ليلة الاثنين سنة سبع وستين وتسعمائة عدّد «برّ تقي وهب ربك وجواد».

وحكى عن والدته: إنه لما وقع على الأرض سمعت قول: لا إلٰه إلاّ الله محمد رسول الله، وكان الباشا محمد صالحه على كثير من اليمن عشر سنين.

وتوفي الإمام أبو محمد المنصور ثلث ليلة الثلاثاء الثاني عشر من ربيع الأول سنة تسع وعشرين وألف بشهارة من علة البرسام، وكان مرضه ثلاثة عشر يوماً، نفعنا الله به في الدارين، ودفن بشهارة، وتولى الإمامة ولده المؤيد بالله محمّد.

الأمير معتمد الدولة أبو المنيع، قِرْواش بن حسام الدولة أبي حسّان المُقَلَّد بن المسيّب بن رافع بن المقلّد العقيلي، صاحب الكوفة والموصل والمدائن وسقي الفرات(*).

فاضل يتنزه الناظر من شعره وشعار جوده بين الزهر والنهر، ومن وجهه في قتام الوعي بين الليل والقمر، يريك محاسن يوسف إذا لبس نسج داود، وملك سليمان بصبر أيوب تحت الخطبة الرود، أفرط في السخاء حتى كاد يجود بنفسه للمشارق، وأمّن كل شيء وأما المال فما زال من تبديده إيّاه وهو خائف.

وذكره ابن خلكان وقال: لما قتل والده غيلة بالأَنْبار، ملك البلاد ولم ينازعه إلاّ عمّاه أبو الحسن وأبو الفرج فمات أبو الحسن سنة [اثنتين وتسعين وثلثمائة] بعد أبيه بنحو سنة، وأبو الفرج(١) سنة [تسع وتسعين] فتفرَّد قرواش - وكان إمامياً - كأبيه - ويخطب للخليفة العبّاسي.

وفي سنة إحدى وأربعمائة تغيّر قرواش على الخليفة البغدادي فخطب للحاكم بأمر الله المنصور العبيدي، وجاءته الخلع من الحاكم، ثم استرضاه الخليفة العباسي فأعاد الخطبة باسمه(٢).

وذكر ابن خلكان: أن الغزّ وصلوا إلى الموصل فانتهبوها وانتهبوا دار قرواش وأَخذوا منها ما يزيد على مائتي ألف دينار، فاستنجد قرواش أبا الأغرّ

(*) قرواش بن المقلد بن المسيب بن رافع بن المقلّد بن جعفر بن عمرو بن المهنّا عبد الرحمن بن بريد - بالتصغير - بن عبد الله بن زيد بن قيس بن جوثة بن طهفة بن حزن بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن، العقيلي، الملقب حسام الدولة - صاحب الموصل.

ترجمته في: وفيات الأعيان ٥/٢٦٣ - ٢٦٦ ضمن ترجمة والده المقلد بن المسيب، فوات الوفيات ٢/٢٦٤ - ٢٦٧، دمية القصر ١/٣١ - ٣٣، الكامل لابن الأثير ٩/٥٧ - ٢٠٣، شذرات الذهب ٣/١٣٨، ٢٦٦، العبر للذهبي ٣/١٩٦، النجوم الزاهرة ٥/٤٩.

وترجمة والده (المقلّد) وأخباره في: وفيات الأعيان ٥/٢٦٠ - ٢٦٩، تاريخ ابن الأثير ج ٩، النجوم الزاهرة ٤/٢٠٣، العبر للذهبي ٣/٥١، شذرات الذهب ٣/١٣٨.

(١) في الوفيات: «أبو مرح» وهو مصعب بن المسيب.

(٢) وفيات الأعيان ٥/٢٦٣.

دبيس بن صدقة المذكور في الدال[1] فأنجده وقتل أكثرهم وهزمهم، فمدحه أبو علي [محمد بن] الحسين بن شِبْل البغدادي[2] بقصيدة جاء منها:

نزهت أرضك عن قبور جسومهم ... فغدت قبورهم بطون الأنسرِ
من بعد ما وطئوا البلاد وظفّروا ... من هذه الدنيا بكلّ مظفّرِ
فضّوا رتاج السدّ عن يأجوجه ... فلقوا بباسك سطوة الاسكندرِ

ومن شعر الأمير قرواش ما أورده أبو الحسن الباخرزي في أوائل دمية القصر:

مَن كان يحْمَدُ أو يذُمُّ مَوَرِّثاً ... للمال من آبائه وجُدودِهِ
فأنا امْرُؤٌ لله أحمدُ وحدَهُ ... شكراً كثيراً جالِباً لمَزيدِهِ
لي أشقرٌ ملأ العِنان مُغاوِرٌ[3] ... يُعطيكَ ما يُرضِيكَ من مجهُودِهِ
ومُهَنَّدٌ عَضْبٌ إذا جرَّدتُه ... خِلْتَ البُروقَ تَمُوج في تجْريدِهِ
ومُثقَّفٌ لَدْنُ السّنانِ كأنَّما ... أُمُّ المنايا رُكِّبتْ في عُودِهِ
وبذا حَوَيْتُ المالَ إلا أنَّني ... قد سُلِّطتْ كَفّي على تبْديدِهِ[4]

ولله هذا اللؤلؤ ما أَلبقه، وأَشبهه بحال ناظمه وأَليقه، ومن شعره السحري النَسمة:

وآلفة للطيب ليست تغبّه ... منعّمة الأطراف ليّنة اللمسِ
إذا ما دخان الند من حسنها علا ... على وجهها أبصرت غيماً على شمسِ
وهبْت لها كلّ اقتراح ترومه ... فلما أبت تيهاً وهبت لها نفسي

وأورد الباخرزي من شعره أَيضاً:

---

(١) ترجمه المؤلف برقم ٦٨.

(٢) أبو علي، محمد بن الحسين بن عبد الله، ابن الشبل البغدادي، ولد ونشأ في بغداد، وكان أديباً فاضلاً، وشاعراً مجيداً، متميّزاً بالحكمة والفلسفة، خبيراً بصناعة الطب، توفي سنة ٤٧٣هـ.
ترجمته في: البداية والنهاية ١٢/١٢١، طبقات الأطباء ١/٢٤٧ ـ ٢٥٢، الكامل لابن الأثير/ حوادث سنة ٤٧٣هـ، اللباب ٢/١٠، معجم الأدباء ١٠/٢٣ ـ ٤٥ وفيه: «إسمه الحسين بن عبد الله بن يوسف» ووفاته سنة ٤٧٤هـ. معجم البلدان ١/١٦٠، ٢/٦٥٩، دمية القصر ١/٣٥٢ ـ ٣٥٤.

(٣) أغار الفرس: اشتد عدوه في الغارة وغيرها.

(٤) دمية القصر ١/٣٢ ـ ٣٣.

لله دَرُّ النَّائبات فإنَّها ... صَدأُ اللِّئام وصَيْقَلُ الأحرارِ
ما كنتُ إلا زُبْرَةً[1] فطَبَعْنَني ... سيفاً وأطلق صَرْفُهنَّ غِرَارِي[2]

ودخل الظاهر الحريري المذكور في كتابي هذا[3] صاحب القصة مع معاوية، أَحد شعراء الدمية على قرواش فقال: إمدحني واهجُ البرقعيدي وكان مغنياً، وسليمان بن فهد كان وزيراً، وأَبا جابر كان حاجباً فقال:

وليل كوجه البرقعيدي مظلمٌ ... وبرد أغانيه وطول قرونهِ
شربت ونومي فيه نوم مشرّد ... كعقل سليمان بن فهدٍ ودينهِ
على أولق فيه اختباط كأنّه ... أبو جابر في طيشه وجنونه
إلى أن بدا ضوء الصباح كأنه ... سنا وجه قرواش وضوء جبينه

قلت: لو أمره بهجاء الجنّ والأنس لاستطردهم بهذه الطريقة الحلوة وإنّما أخّرت ذكر هذه القطعة العسجدية عن ذكره هناك لتعلقها بأخبار الأمير قرواش.

وذكر الباخرزي أيضاً للأمير أبي جؤين [ابن] عمّ قرواش[4]:

قومٌ إذا اقتَحَموا العَجاجَ رأيتَهمْ ... شَمساً وخِلْتَ وجوهَهمْ أقمارا
وإذا زِنادُ الحربِ أخمَد نارَها ... قَدَحوا بأطْرافِ الأسِنَّةِ نارا[5]

قال ابن خلكان: وكان قرواش وهّاباً نهّاباً جارياً على سنن العرب، وحكى أنه جمع بين اختين في النكاح، فلامته العرب فقال لهم: أخبروني أي شيء نحن فيه مما تبيحه الشريعة؟ وكان يقول: مافي رقبتي إلاّ خمسة أَو ستة قتلتهم من أَهل البادية، فأمّا الحاضرة فما يعبأ الله بهم، ودامت دولته خمسين سنة، ووقع بينه وبين أَخيه بركة بن المقلّد منازعة، وكانا خارج البلد فقبض عليه بركة سنة أحدى وأربعين وأربعمائة فقام مقامه ابن أخيه أبو المعالي قريش بن أبي الفضل بدران بن المقلد، وكان بدران ملك نصيبين فأوّل ما فعل قريش إنه قتل عمّه قرواشاً في محبسه في رجب سنة أربع وأربعين وأربعمائة، رحمه الله تعالى.

---

(١) الزبرة: القطعة من الحديد، وغرار السيف: حده.
(٢) دمية القصر ١/ ٣٢.
(٣) علي بن محمد الحريري، ترجمه المؤلف برقم ١٢٢.
(٤) ترجمته في: وفيات الأعيان ٥/ ٢٦٥، دمية القصر ١/ ٥٠، وفيهما: اسم «أبو جَوْثَة».
(٥) دمية القصر ١/ ٥٠، وفيات الأعيان ٥/ ٢٦٥.

واجتمع قريش مع أبي الحارث أرسلان البساسيري العركي فنهبوا دار الخلافة ببغداد أيام القائم، وأرسلان هذا هو الذي خطب للحاكم على منابر بغداد أَربعين جمعة، وقطع ذكر العباسيّة وقصّته مشهورة، ثم توفي قريش سنة [ثلاث وخمسين وأربعمائة][1] بالطاعون في نصيبين من ديار ربيعة وعمره أحدى وخمسون سنة.

وتولى إمارة بني عقيل وولده أبو المكارم مسلم بن قريش وكان ملكاً عظيماً عادلاً وكان قد طمع في الاستيلاء على بغداد بعد وفاة السلطان طغرلبك السلجوقي، ثم رجع عنها واستولى على ديار ربيعة ومضر، وملك حلب، وأَخذ الأَتاوة من ملك الروم، وحاصر دمشق حتى قارب أَخذها فعصى عليه أهل حرّان فرحل إليها ففتحها وقتل من أهلها خلائق سنة ٤٦٦[2] واتسعت مملكته ولم يكن في أَهله من ملك مثله وكانت الطرقات آمنة في بلاده.

ومن مناقبه: أن ابن حَيُّوس الشاعر[3] مات عنده وخلّف أكثر من عشرة آلاف دينار، فحمل ذلك إلى خزائنه فردّه وقال: لا يتحدّث عنّي أني أعطيت شاعراً مالاً ثم أَخذته، وإنه دخل خزائني مالاً جمع من أوساخ الناس، ومنها: أنه كأن يصرف جزية اليهود والنصارى في جميع بلاده إلى الطالبيين ولا يأخذ منها شيئاً[4].

قلت: ولعلّها تساوي الخراج فإن الجزيرة وتلك النواحي مشحونة بالنصارى والصابئين واليهود.

وهو الذي عمّر سور الموصل ابتدأه ثالث شوال سنة أربع وسبعين وأربعمائة وفرغ منه بعد ستة أشهر.

---

(١) ما بين المعقوفين من وفيات الأعيان.

(٢) كذا في الأصل، وفي وفيات الأعيان «٤٧٦».

(٣) هو أبو الفتيان الامير مصطفى الدولة محمد بن سلطان بن محمد بن حيُّوس ـ بالياء المثناة المشددة ـ. ولد بدمشق سنة ٣٩٤هـ. شاعر فحل، رحل إلى حلب وبقي في كنف آل مرداس إلى أن انقرضت دولتهم، وله فيهم مدائح كثيرة. توفي بحلب سنة ٤٧٣هـ، وله ديوان شعر، طبعه المجمع العلمي بدمشق.
ترجمته في: وفيات الأعيان ٤/٤٣٨ ـ ٤٤٤، معاهد التنصيص ١/٢٣٤، النجوم الزاهرة ٥/ ٤٧٣، شذرات الذهب ٣/٣٤٣، مقدمة ديوانه، أنوار الربيع ١/هـ ١٩٨، الاعلام ط ٤/٦/١٤٧.

(٤) وفيات الأعيان ٥/٢٦٦ ـ ٢٦٨.

وحارب سليم بن قتلمش السلجوقي فقتل الأمير مسلم بباب انطاكية الخامس والعشرين من صفر سنة ثمان وسبعين وأربعمائة وعمره خمس وأربعون سنة[1]، رحمه الله.

وحكى ابن خلكان عن المأموني[2]: إنه وثب عليه خادم من خواصّه فخنقه في الحمام.

ورتب السلطان ملك شاه السلجوقي ولده أبا عبد الله محمد في الرحبة وحرّان وسروج والخابور، وزوّجه أخته زليخا بنت ألب أرسلان، وكان والده مسلم قد اعتقل أخاه إبراهيم فأخرجوه وقدّموه عليهم ثم اعتقله ملك شاه فلما مات ملك شاه أطلق، فجمع العرب وحارب تنش السلجوقي، فأسره تنش وقتله صبراً سنة ست وثماني وأربعمائة.

ومن أُمراء عقيل: مهارش بن المجلى صاحب الحديثة ـ كضدّ القديمة ـ وهو الذي لجأ إليه القائم العباسي حين أَخرجه البساسيري من بغداد فأكرمه وأحسن إليه، وكان مهارش كثير الصدقة والصيام، وملازمة الجمع والجماعات، وعاش ثمانين سنة ومات في صفر سنة تسع وتسعين وأربعمائة[3].



وقَرْواش بفتح القاف وإسكان الراء وبعد الواو ألف ثم شين معجمة.

وهذه المدائن قد مضى تعريفها متفرقاً.

وبنو عُقيل: قبيلة كبيرة من مضر بن نزار بن معد وهو بضم العين المهملة والله أعلم.

---

(١) وفيات الأعيان ٥/٢٦٨.

(٢) في الأصل: «المليوني» وما أثبتنا من الوفيات.

(٣) وفيات الأعيان ٥/٢٦٨ ـ ٢٦٩.

أبو عمرو، قيس بن ذَرِيح بن شبَّة بن حذافة بن ظريف بن عنزاره بن عامر بن الليث بن بكر بن عبد مناة بن علي بن كنانة بن خزيمة. وقيل ابن ذريح بن الجناب الكلبي، أَحد عُشَّاق العرب(*).

فاضل علق بنرجس العيون فذوى، وركب من الحبّ زعزعاً فتلف في الهوى، وجاد للبيض بالسويداء كريماً.

وولَّدت لُبْنى له من الفراق يوماً عظيماً، وشعره كشعر الشباب إلى الرود الغانية الكعاب مطرد إِطراد كعوب الرمح، بينه وبين التكلف حرب كما بينه وبين السهولة صلح.

وذكره أَبو الفرج في الأَغاني وقال: إنه كان أخاً للحسين بن علي عليه السلام من الرضاع[1].

وكان منزله بظاهر المدينة وقيل بسرف وتلك البقاع، وكان يهوى لبنى بنت الحباب الكعبيّة، وذلك أنه مرّ بخيمات بني كعب والحي خلوف فاستسقى لُبْنَىٰ فسقته، وكانت شهلاء حلوة المنظر والكلام فعلقها واشتدّ وجده بها، وسأل أباه أن يزوّجه إيّاها فأبى وقال: إحدى بنات عمّك أولى بك، وكان أبوه موسراً، فقصد الحسين عليه السلام: وابن أبي عتيق فشكى إليهما، فقال له الحسين عليه السلام: أنا اكفيك وسعى إلى أَبيه وأَبيها إلى أَن تزوجّها.

وكان قيس أَبرّ الناس بأمّه، فألهته عنها فوجدت أُمّه عليه، واستشارت أَباه فحلف أبوه لا يكنّه سقف حتى يطلقها، فكان أبوه يقف في حرّ الشمس ويجيء قيس فيقيه حرّ الشمس بنفسه حتى يفيء الفيء، ثم يدخل إلى لُبْنَى باكياً، وطال

(*) ترجمته في: الأغاني ٩/ ٢١٠ ـ ٢٥٣، عصر المأمون ٢/ ١٥٢، الشعر والشعراء ٥٢٤، فوات الوفيات ٢/ ٢٧٠، المؤتلف والمختلف ١٧٤، النجوم الزاهرة ١/ ١٨٢، سمط اللآلي ٧١٠، مصارع العشاق (فهرس الاعلام)، أنوار الربيع ٣/ ٣١٤، تزيين الأسواق ط بولاق ١/ ٥٣ ـ ٦٢، رغبة الآمل ٥/ ٢٤٢، بروكلمان، الاعلام ط ٤/ ٥/ ٢٠٥. وفي ديوان مجنون ليلى ٩ أنه: «قيس بن الملوّح بن مزاحم بن عُدَس بن ربيعة بن جَعْدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة».

(١) الأغاني ٩/ ٢١١.

ذلك عليه فطلَّقها، ثم ندم وأصابه مثل الجنون[1].

وقال عندما رحل بها أبوها إلى خيبر، وهي منازل عشيرتها:

وَإِنِّي لَمُفْنٍ دَمْعَ عَيْنِي بِالْبُكا ... حِذَارَ الذي قَدْ كَانَ أَوْ هُوَ كَائِنُ
وَقَالُوا غَداً أَوْ بَعْدَ ذَاكَ بِلَيلَةٍ ... فِرَاقُ حَبيبٍ بَانَ أَوْ هُوَ بَائِنُ
وَمَا كُنْتُ أَخْشَى أَنْ تَكُونَ مَنِيَّتِي ... بِكَفيكِ إِلاَّ أَنَّ مَا حَانَ حَائِنُ[2]

وله فيها:

قد قلت للنفس لا لبناك فاعترفي ... قضى اللبانة ما قضيت وانصرفي
قد كنت أَحلف جهداً لا أفارقها ... آهاً لكثرة ذاك القيل والحلف
حتى تكنّفني لواشون فاْقتتلت ... لا تأمننْ أبداً من غش مكتنف
هيهات هيهات قد أَمست مجاورة ... أهل العقيق وأمسينا على سرف
حيّ يمانون والبطحاء منزلنا ... هذا لعمرك شمل غير مؤتلف

ومن جيّد شعره فيها:

سقى طَلل الدار التي أنتمُ بها ... بِشرقيِّ سُلمَى صَيّف وربيعُ
مضى زمن والناس يستشفعون بي ... فهل لي إلى لُبْنَ الغداةَ شفيع
سأصرم لبنى حبلك اليوم مُجْمِلاً ... وإن كان صَرْمُ الحبل منك يَرُوع
وسوف أُسلّي النفس عنك كما سلا ... عن البلد النائي البعيدِ نَزيع[3]
وإنْ مَسَّني للضر منك كآبة ... وإن نال جسمي للفراق خُشوع
يقولون صبٌّ بالنساء موكل ... وما ذاك مِنْ فعل الرجال بديعُ
ندمتُ على ما كان مني ندامةً ... كما ندم المغبون حين يبيع
نقْدتك من نفسٍ شَعاع ألم أكن ... نهيتُكِ عن هذا وأنتِ جميع[4]
فيا شجرات الحي حين تحمَّلوا ... بذي سَلَم لا جَادَكُنّ رَبيعُ[5]

---

(١) الاغاني ٩/ ٢١٢ ـ ٢١٤ بإختصار.

(٢) الاغاني ٢/ ٨١ ـ ٨٢، ٩/ ٢١٦، الشعر والشعراء ٣٦٣، العقد الفريد ٥/ ٤١٢ وغيرها، ديوان مجنون ليلى/ القطعة ٢٦٩.

(٣) النزيع: الغريب.

(٤) نفس شعاع: انتشر رأيها فلم تتجه لأمر حزم، ويريع: يرجع، وجميع: مجمعة غير متفرقة.

(٥) ذو سلم: موضع بالحجاز، ولا جادكن: لا تكرم عليكن.

فلو لم يَهِجْني الظاعنون لهاجني حمائمُ وُرْقٌ في الديار وُقوعُ[1]
تداعَيْنَ فاستبكين من كان ذا هوى نوائحُ لم تقطر لهن دموعُ
إذا أمرتني العاذلات بهجرها أبت كبدٌ عما يقلن صديعُ[2]
وكيف أُطيع العاذلاتِ وحبُّها يُؤرقني والعاذلات هُجوعُ[3]

ومن شعره، وهو أَحد أصوات الأَغاني المختارة:

سَلِي هل قَلاَنِي من عشيرٍ صحبتُه وهل ذمَّ رَحْلي في الرِّفاق رفيقُ
وهل يَجْتَوي القومُ الكِرامُ صحَابتي إذا اَغْبَرَّ مَخْشِيّ الفِجاج عَميقُ[4]
ولو تعلمين الغَيْبَ أيقنتِ أنني لكم والهدايا المُشْعَراتِ صديق
تكادُ بِلادُ الله يا أمَّ معمرٍ بما رَحُبَتْ يوماً عليَّ تضيقُ[5]

وله فيها عدة أَشعار.

وقال الأَصفهاني: واختلف في آخر أَمرهما فقيل: ماتا على افتراقهما، وقيل: مات قبلها فبلغها موته فماتت أَسفاً عليه.

وقيل ماتت قبله فوقف على قبرها وقال:

ماتت لُبَيْنى فموتُها مَوْتِي هل تنفعَنّ حَسْرة على الفوتِ
وسوف أَبكي بكاءَ مكتئبٍ قضى حياةً وَجْداً على مَيْتِ

ثم بكى حتى مات بعد ثلاث[6].

وقيل: إِن ابن أبي عتيق سعى حتى جمع بينهما وزوّجها منه بعد أن طلّقها الزوج الذي تزوّجها بعده.

---

(١) الورق: جمع ورقاء وهي التي لونها لون الرماد.
(٢) الصديع: المشقوق نصفين.
(٣) هجوع: جمع هاجع وهو النائم، وأرقه: أسهره، الأغاني ٩/٢٤٧، كاملة في ديوان مجنون ليلى ١٧٩ ـ ١٩٢. وأبيات منها في: الحماسة البصرية ١٨٦، مسالك الأبصار ٩/١٤٣، الزهرة ١٨٣، سمط اللآلي ١٣٣ ـ ١٣٤، محاضرات الأدباء ٢/٣٠، ٤٣.
(٤) اجتوى البلد: كره المقام به.
(٥) كاملة في الاغاني ٩/٢٣٥ ـ ٢٣٧. والبيت الأخير فقط في الاغاني ٢/٨. وفيه: «يا أم مالك» بدل: «يا أم معمر».
(٦) الاغاني ٩/٢٥٢.

وقال يمدح ابن أبي عتيق:

جزى الرحمٰنُ أفضلَ ما يُجازِي على الإحسان خيراً من صديقِ
فقد جَرَّبتُ إخواني جميعاً فما أُلْفَيْتُ كابنِ أبي عتيقِ
سعى في جمع لُبْنَى بعد صَدْعٍ ورَأي جِزتُ فيه عن الطريقِ
وأطفأ لوعةً كانت بقلبي أغصَّتْني حرارتُها بريقي

فقال له ابن أبي عتيق: أَمسِكْ[1] يا أخي عن هذا الكلام فما يسمعه أَحد إلا ظنني قوّاداً.

❀ ❀ ❀

وسَرِف: بفتح المهملة وكسر الراء وفاء وادٍ على ستة أميال من مكّة.

وابن أبي عتيق هذا: رجل من ولد أبي بكر بن أبي قحافة وكانت له نوادر، منها ما ذكره المدائني وابن داب: إنّ رَوْح بن زنْباع جليس عبد الملك رأى منه إعراضاً وجفوة فقال للوليد بن عبد الملك: أما ترى ما أَنا فيه من أمير المؤمنين من إعراضه عنّي حتى لقد فغرت السّباع أفواهها نحوي وأَهوت مخالبها إلى وجهي؟ فقال الوليد: إحتل في حديث تضحكه كما احتال مرزبان نديم سابور.

قال: وما كان من خبره مع الملك قال الوليد: كان مرزبان من سُمّار سابور فظهرت له من سابور جفوة، فلما علم ذلك تعلّم نباح الكلاب، وعوي الذئاب، ونهيق الحمير، وزقاء الديوك، وسحيح البغال، وصهيل الخيل، ومثل هذا، ثمّ توصّل إلى مجلس يقرّب من خلوة الملك وفراشه وأخفى نفسه، فلما خلّى الملك نبح نباح الكلاب فلم يشك الملك إلاّ أنّه كلب وابن كلب، فقال ما هذا؟ فعوى عوي الذئاب فنزل الملك عن سريره فنهق نهيق الحمير، فمضى الملك هارباً على وجهه ومضى الغلمان يتبعون الصوت، فلما قربوا ترك ذلك الصوت، وأَحدث صوتاً آخر من أصوات البهائم فاحجموا عنه، ثم اجتمعوا فاقتحموا عليه، فلمّا نظروا إليه قالوا للملك: هذا مرزبان المضحك فضحك الملك ضحكاً شديداً، وقال: ويحك ما حملك على هذا؟ قال: إنّ الله مسخني كلباً وحماراً وكل خلق لمّا غضبت عليّ، فأمر الملك بالخلع عليه وردّه إلى منزلته وتجدّد له سروراً.

---

(١) الاغاني ٩/٢٥٢ ـ ٢٥٣ باختصار.

فقال روح: إذا إطمأن المجلس بأَمير المؤمنين فاْسألني عن عبد الله بن عمر هل كان يمزح ويسمع مزاحاً؟ قال الوليد: أَفعل، وكان عبد الله بن عمر صاحب سلامه لا يمزح ولا يعرف شيئاً من المزاح، فتقدم الوليد وسبقه بالدخول وتبعه روح، فلما اطمأن المجلس، قال الوليد: يا أَبا زرعة هل كان ابن عمر يمزح ويستمع المزاح؟ قال روح: حدثني ابن أبي عتيق أن امرأته عاتكة بنت عبد الرحمٰن المخزومية هجته فقالت:

ذهب الإله بما تعيش به	وقمرت مالك أيّما قمر
أنفقت مالك غير مكترثٍ	في كلّ فاجرةٍ وفي الخمر

فلقي ابن أبي عتيق عبد الله بن عمر في الحرم فقال له: انظر في هذه الرقعة وأَشِر عليّ برأيك فيها، فلمّا قرأها عبد الله استرجع فقال له: ما ترى فيمن هجاني بهذا؟ قال: أرى أن تعفو عنه، قال ابن أبي عتيق: أقسم بالله لئن لقيته لأنيكنَهُ نيكاً جيّداً، فصعق عبد الله بن عمر وارتعش وقال: مالك غضب الله عليك؟ قال: ما هو إلا ماقلت لك، وذهب ابن أبي عتيق فلما كان بعد يومين لقيه ابن عمر فَدَنا منه ابن أبي عتيق فقال له: أَرأيت ذلك الإنسان الذي أَخبرتك أنه هجاني، فقال عبد الله ودخلته روعة: نعم، قال ابن أبي عتيق قد نكته والله نَيْكاً جيداً كما قلت لك، فسقط ابن عمر مغشياً عليه، فأقبل ابن أبي عتيق يصيح في أُذنه بأعلى صوتهِ: إنّها زوجتي فأفاق عبد الله فقبّل ما بين عينيه وضحك، وقال: أحسنت فردَّها، قال: نعم، فقال: بارك الله عليك فضحك عبد الملك حتى فحص برجليه وقال: قاتلك الله يا روح ما تدع أَحداً يغضب عليك فاكبّ عليه وقبّل أطرافه ورضي عنه.

أبو عمرو قيس بن عمرو بن مالك بن حرب بن الحارث بن كعب بن الحارث الحارثي، الشهير بالنجاشي، شاعر أمير المؤمنين عليه السلام بصفين(*).

شاعر قامت كلماته في العدا مقام الكلم في الحرب، ورأس وضع بقدمه وقديم شرفه ذكر ابن جعيل كعب(١). وكان من أعوان ذلك الولي، والراقين بالهمم إلى علي، وشهد الجمل وصفّين وله أشعارٌ في أكثر تلك الأيام، وما وقع بين القاسطين وأهل الإسلام، وكان شاعر أهل الشام كعب بن جعيل التغلبي، وكان يناقضه بالشعر إلاّ أنه كانت له هِناتٌ لا يبيحها الشرع، بها أقصاه الولي عن ذلك السقع، ولم يدخل على معاوية أضرّ من قوله، وقد هرب من صولة أسد الله مبتل الإزار، كما يهرب من الليث الحمار:

ونجّى ابن حرب سابق ذو علالةٍ — أجش هزيمٌ والرماح دوانِ
وكنت كذا رجلين رجل صحيحة — وأخرى بها ريب من الحدثانِ

(*) جمع شعره د. سليم النعيمي ونشره في مجلة المجمع العلمي العراقي مج ١٣ لسنة ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٦م/ ٩٥ ـ ١٢٧.

ثم جمع شعره وحققه: صالح البكاري والطَيب العشّاش وسعد الغراب ونشر في مجلة الحوليات التونسية.

ترجمته في: وقعة صفين (الفهرس) الشعر والشعراء ٢٤٦، سمط اللآلي ٨٩٠، أعيان الشيعة ٤٣/ ٣٢، شرح نهج البلاغة ط بولاق ٤/ ٨٧، أنوار الربيع ٢/ ٨١، خزانة الأدب للبغدادي ٢/ ١٠٥ ـ ١٠٧، ٤/ ٣٦٨، بروكلمان، الاعلام ط ٤/ ٥/ ٢٠٧.

(١) كعب بن جعيل بن قمير بن عجرة التغلبي: شاعر تغلب في عصره، مخضرم، عرف في الجاهلية والاسلام. كان لا ينزل بقوم إلا أكرموه وضربوا له قبة. أدركه الأخطل في صباه، وهاجاه. وكان في زمن معاوية. وشهد معه وقعة «صفين» توفي نحو سنة ٥٥ هجرية، قال المرزباني: وهو شاعر معاوية بن أبي سفيان وأهل الشام؛ يمدحهم ويرد عنهم.

ترجمته في:

سمط اللآلي ٨٥٤ وخزانة البغدادي ١: ٤٥٨ والنقائض ٦١٩ والجمحي ٤٨٥ ـ ٤٨٩ والآمدي ٨٤ ونسبه في معجم الشعراء للمرزباني: «كعب بن جعيل بن عجرة بن قمير» وفي الشعر والشعراء، طبعة الحلبي ٦٣١ ـ ٣٢: أن يزيد بن معاوية طلب منه أن يهجو الأنصار، فامتنع، ودلّه على الأخطل. وقلت: كان ذلك من يزيد في أيام أبيه معاوية، الاعلام ط ٤/ ٥/ ٢٢٥ ـ ٢٢٦.

فأمّا التي صحّت فأزد شَنُوْءَة وأمّا التي شلت فأزد عمانِ[1]

نسبه إلى جدّه، وشَنُوْءَة؛ بفتح المعجمة وضمّ النون وسكون الواو وهمزة مفتوحة.

فَهَا: موضع قريب من البحرين أضيف من نزله من الأزد إليه أيّام سيل العرم.

ولما هَجَا النجاشي المذكور:

إذا الله عادى أهل لوم ودقةٍ فعادى بني العجلان رهط ابن مقبلِ[2]
قبيلةٌ لا يغدرون بذمّةٍ ولا يظلمون الناس حبّة خردلِ
ولا يردون الماء إلاّ عشيّة إذا صدر الورّاد عن كل منهلِ
وما سمي العجلان إلاّ لقولهم خذ القَعب[3] واحلب أيّها العبد واعجلِ[4]

فكان الرجل منهم بعد ذلك إذا سئل عن نسبه يقول: أنا من بني كعب فرقاً من اشتهار هذه القطعة.

والثاني منها يشبه قول الحماسي:

يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة ومن إساءة أهل السوء إحسانا

هذا هجاء قبيح، وقد توّهم بعض الناس أنه مدح فأوضحت له سائر الأبيات فلم يستبن والعرب تقول: «رهبون خير من رحمون».

وقال العسكري: أنّ عمر بن الخطاب لمّا سمع أبيات النجاشي هذه، قال: من هؤلاء الصّالحون؟ اللهم اجعلني منهم، قلت: لعلّه لم يسمع البيت الأوّل.

وذكر الشيخ الإمام أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي[5] في

---

(١) وقعة صفين ٢١، الحماسة الشجرية ٣٣، شعر النجاشي الحارثي ١٠٧.

(٢) ابن مقبل، هو تميم بن أبي مقبل، شاعر خنديذ مغلب، غلبه النجاشي، ترجمته في: طبقات الشعراء لابن سلام ١٢٥.

(٣) القعب: القدح الضخم الغليظ الجافي.

(٤) شرح نهج البلاغة ٢٩/٥، جمهرة الامثال ٨١/١.

(٥) عبد الله بن محمد بن السيد، أبو محمد: من العلماء باللغة والأدب. ولد في بطليوس (Badajoz) في الأندلس سنة ٤٤٤هـ ونشأ فيها وانتقل إلى بلنسية فسكنها، وتوفي بها سنة ٥٢١هـ. من كتبه: «الاقتضاب في شرح أدب الكتاب، لابن قتيبة» و «الحلل في شرح أبيات الجمل ـ ط» (١٧٠١ك) =

شرح أبيات الجمل، للنجاشي يهجو بني النجار:

ولستم بني النجار أكفاء مثلنا ... فأبعدكم عنّا هنالك أَبعد

فإن شئتم نافرتكم عن أبيكم ... إلى من أردتم من تهامٍ ومنجد

ألم يك فينا ينفخ الكير بأسته ... كأَنَّ بشدقيه نقاضّة أثمد

فأجابه حسّان بأبيات منها البيت الذي تستشهد به النحاة:

ألا رجال ألا فرسان عاديةً ... إلاّ تجشوءكم حول التنانير[1]

والشيء الذي لا يبيحه الشرع هو ماذكره العزيز بن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة: إنّه لما انقضت أيّام صفين وجد النجاشي في شهر رمضان ومعه جماعة يشربون الخمر فحدّهم أمير المؤمنين ونفاهم من الكوفة[2].

وذكر أن علياًعليه السلام لمّا نفاه صار إلى الشام وسبّ أمير المؤمنين بعد أن كان من شعرائه الرّادين على كعب بن جعيل وغيره.

وقال نصر بن مزاحم: حدثنا عمرو بن سعد عن الشعبي قال: بلغ النجاشي أن معاوية يتهدده بصفين فقال:

يا أَيها الرجل المبدي عداوته ... روّي لنفسك إن الأمر يؤتمرُ

لا تحسبنّي أَقوام ملكتهم ... طوع الأعنّة لمّا ترشح العذرُ

وما علمت بما أضمرت من حنق ... حتى أَتتني به الركبان والنذرُ

إذا نفست على الأمجاد مجدهم ... فابسط يديك فإن الخير مبتدرُ

واْعلم بأن عليّ الخير من نفرٍ ... شم العرانين لا يعلوهم بشرُ

لا يجحد الحاسد الغضبان فضلهم ... ما دام بالحزن من صمائها الحجرُ

= و «الحلل في أغاليط الجمل» و «شرح الموطأ» وغير ذلك.

ترجمته في: بغية الملتمس ٣٢٤ والصلة ٢٨٧ وقلائد العقيان ١٩٣ وفيه مختارات من شعره. ومجلة المجمع العلمي العربي ١٢: ٥٦ وابن خلكان ١: ٢٦٥ وأزهار الرياض ٣: ١٠١ - ١٤٩ وفيه نص رسالة للفتح بن خاقان في ترجمة البطليوسي وأخباره وأشعاره. ثم ما جاء في قلائد العقيان عنه. والبداية والنهاية ١٢: ١٩٨ والمغرب في حلى المغرب ١: ٣٨٥ و Brock. I. 547 S. I. 758 وكتابخانه دانشكاه تهران، جلد دوم ص٣٨٢ - ٣٨٥، ٧٤٨، ٧٤٩، الاعلام ط ٤/ ٤/ ١٢٣.

(١) لم أعثر عليه في كتاب «الحلل في إصلاح الخلل من كتاب الجمل».

(٢) أنظر: شرح نهج البلاغة ٤/ ٨٧ - ٨٨.

نعم الفتى أنت لولا أن بينكما ... كما تفاضل ضوء الشمس والقمرُ
ولا أَخالك إلاّ لست منتهياً ... حتى يمينك من أظفاره ظفرُ
لا تحمدن آمرءاً حتى تجرّ به ... ولا تذمّنّ من لم يبله الخبرُ
إنّي آمرؤٌ قلّ ما أثنى على أحدٍ ... حتى أرىٰ بعض ما يأتي وما يذرُ
وإن طوى معشر عنّي عداوتهم ... في الصدر أو كان في أبصارهم خَزَرَ
أجمعت عزماً جراميزي بقافية ... لا يبرح الدهر منها فيهم أثرُ[(١)]

ولم يزل معاوية يعيد بيت النجاشي فيه، فمنه ما ذكر أبو الفرج في كتاب الأغاني: أن معاوية عزل مروان بن الحكم عن ولاية الحجاز فوجَّه أخاه عبد الرحمٰن بن الحكم أمامه وقال: إلق معاوية أمامي فعاتبه واستصلحه، وقيل: بل قال عبد الرحمٰن: لأخيه أقم حتى أدخل على الرجل قبلك فإن كان عزلك عن غير موجده دخلت إليه مع الناس وإلاّ دخلت إليه وحدك، فلمّا قدم إليه دخل وهو يغشى الناس، فأنشده:

أَتتك العيس تنفخ في براها ... تكشّف عن مناكبها القطوعُ
بأَبيض من أُميّة مصرحيٍّ ... كأن جبينه سيف صنيعُ

فقال له معاوية أزائراً جئت أم مفاخراً أم مكاثراً؟. قال: أي ذلك شئت، قال معاوية: ما أنت من ذلك شيئاً وأراد أن يقطعه عن كلامه، فقال له: علىٰ أيّ الظهر جئتنا؟ قال: على فرسٍ، قال: وما صفته؟ قال أجش هزيم يعرّض له بيت النجاشي، فغضب معاوية وقال: أما أنه لا يركبه صاحبه في الظلم إلى الريب، ولا هو ممّن يتسوّر على جاراته، ولا يتوثب علىٰ كنّاته بعد هجعة الناس، وكان عبد الرحمٰن يتهم بذلك في أُمّ أخيه فخجل عبد الرحمٰن وقال: ما حملك على عزل ابن عمّك؟ الجناية أوجبت سخطاً، أم لرأي رأيته وتدبيراً إستصلحته؟ قال: بل لرأي رأيته، قال: لا بأس وخرج، فلقي مروان فأخبره بما جرى فاستشاط غيضاً، وقال لعبد الرحمٰن قبحك الله ما أضعفك أعرضت للرجل بما أغضبه حتى إذا انتصر منك أحجمت عنه.

ثم دخل على معاوية فقال حين رآه وتبيّن الغضب في وجهه: مرحباً بأبي

---

(١) وقعة صفين ٤٢٤، العقد الفريد ٢/ ٢٩٤، شرح نهج البلاغة ٨/ ٤٨ ـ ٤٩، شعر النجاشي ١٢٣.

عبد الملك لقد زرتنا على اشتياقٍ منّا إليك، فقال: لا والله ما زرتك لذلك ولا أعلمك إلا قطاعاً عاقاً ما انصفتنا ولا جزيتنا جزانا، لقد كانت السابقة من بني عبد شمس لآل أبي العاص ولصهر رسول الله ﷺ والخلافة فيهم فوصلوكم بأبي سفيان وشرفوكم وولّوكم فما عزلوكم ولا أثروا عليكم حتى إذا أفضى الأمر إليكم أبيتم إلاّ أَثَرَةً بكلمون أربعين ويعلم امرؤُ حيث تكون منهم حينئذٍ، ثم هم للجزاء بالحسنى والسوء بالمرصاد، فما أتمّ مروان كلامه حتى استحذى معاوية كلامه له وقال: لك العتبى وأنا رادك إلى عملك، فوثب مروان وقال: كلاّ وعيشك لا رأيتني عايداً إليه وخرج، وكان الأحنف بن قيس حاضراً فقال له: ما هذا الخضوع لمروان وأيّ شيء تخشاه إذا بلغ بنو الحكم أَربعين! قال معاوية: إن الحكم بن أبي العاص كان أحد من قدم مع أختي أُم حبيبة لمّا زفّت إلى رسول الله ﷺ فجعل يحدّ النظر إليه فلما خرج قيل: يا رسول الله إِنَّك أَحددت النظر إلى الحكم فقال: ذاك رجل إذا بلغ أولاده ثلاثين أو أربعين ملكوا الأمر بعدي، فوالله لقد تلقاها مروان من عين صافية، ولا بد أن يكون ما سمعت، فقال الأحنف: إكتم هذا فإنك تضع من نفسك ومن قدر ولدك بعدك إن يقض الله تعالى ما يكون، قال: فاكتمها عليّ أَبا بحر فلعمري صدقت ونصحت.

وأمّا كعب بن جعيل فكان شاعر أهل الشام بصفّين وقيل إنه لما أقام مدَّة لا يتصدى شاعر لهجائه خوفاً من لسانه حتى سلطت عليه امرأة من بكر بن وائل فقالت فيه:

وسميت كعباً بشرّ العظام ... وكان أبوك يسمى الجعلْ
وأنت مكانك من وائلٍ ... مكان القراد من آست الحملْ

ففضحته وأسقطته، وأمره يزيد بن معاوية بهجاء الأنصار، فقال: افرق مَنْ أمير المؤمنين، ولكن أَدلُّك على الكافر الماهر، قال: ومن هو؟ قال الأخطل[1]

---

(١) هو أبو مالك غياث بن غوث التغلبي المعروف بالأخطل ـ أي السفيه ـ. شاعر فحل مسيحي من أهل الحيرة، بقي طول حياته مخلصاً لنصرانيته ولبني أمية. عاصر معاوية ويزيد ومروان وعبد الملك والوليد بن عبد الملك، ومدحهم وهجا خصومهم، وهجا الأنصار بايعاز من يزيد، فهاج الانصار وكاد الخرق أن يتسع لو لم يتدارك الامر معاوية بطريقته المعروفة. توفي سنة ٦٩٢م.
ترجمته في: الاغاني ٨/ ٢٩٠ ـ ٣٣٢، شعراء النصرانية بعد الاسلام/ ١٧٠، الشعر والشعراء/ ٣٩٣، شرح شواهد المغني/ ١٢٣، الموشح/ ٢١١، أنوار الربيع ٢/هـ ٨٨.

فقال له: يزيد إهج الأَنصار، قال: الأخطل أخاف أباك، قال: لا تخف أنا ضامن أمانك، فقال:

وإذا نسبت ابن القريعة خلته ... كالجحش بين حمارة وحمارِ
لعن الإلٰه من اليهود عصابة ... بالجزع بين صليصل وصرارِ
قوم إذا هدر العصير رأيتهم ... حمراً عيونهم من المصطارِ
خلّوا المكارم لستم من أهلها ... وخذوا مساحيكم بني النّجار
ذهبت قريش بالمكارم والعلى ... واللؤم تحت عمائم الأنصار
إن الفوارس يعرفون ظهوركم ... أولاد كل مقبّح أكثار

وكان السبب في أمر يزيد له بهجائهم أن عبد الرحمٰن بن حسان بن ثابت[1] كان خليلاً لعبد الرحمن بن الحكم، فقيل له: إنّ ابن حسّان يخلفك في أهلك فراسل امرأة إبن حسان، فأَخبرت بذلك زوجها، فأرسل ابن حسّان إلى امرأة عبد الرحمٰن بن الحكم، وقد كانت تواصله إن امرأتي تزور أَهلها اليوم فزوريني حتى نخلو، فزارته فقعد معها ساعة، ثم قال لها: والله قد جاءت امرأتي فأَدخلها بيتاً إلى جنبه وأَمر امرأته فأَرسلت إلى عبد الرحمٰن بن الحكم إنَّك ذكرت حبك لي وقد وقع ذلك في قلبي، وإِنَّ ابن حسان قد خرج اليوم إلى ضيعته فهلم فأقبل إليها فإنه لقاعد معها إذ قالت له: قد جاء ابن حسان فادخل هذا البيت فإنه لا يشعر بك فأَدخلته البيت الذي فيه امرأته، فلما رآها أيقن بالسوء ووقع الشر بينهما فهجا كلّ صاحبه، وقد رويت الحكاية مقلوبة، وقيل إنهما خرجا متصيّدين في إمارة مروان، فقال ابن الحكم لابن حسّان [من الكامل]:

أَزْجُرْ كلابك إِنها قَلْطِيّةٌ ... بُقْعٌ ومثلُ كلابكم لم تَصْطَدِ[2]

فقال ابن حسّان [من الكامل]:

---

(١) عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الأنصاري الخزرجي: شاعر، ابن شاعر، ولدسنة ٦هـ وكان مقيماً في المدينة، وتوفي فيها سنة ١٠٤هـ، اشتهر بالشعر في زمن أبيه، قال حسان:
«فمن للقوافي بعد حسان وابنه؟ ... ومن للمثاني بعد زيد بن ثابت؟»
وفي تاريخ وفاته خلاف. جمع الدكتور سامي مكي العاني ما وجد من شعره في «ديوان ـ ط» ببغداد، ترجمته في: تهذيب التهذيب ٦/ ١٦٢، الإصابة ت ٦١٩٩، الجمحي ١٢٥، رغبة الآمل ٣/ ٦٧، الاعلام ط ٤/ ٣/ ٣٠٣ ـ ٣٠٤.

(٢) القَلطيُّ من الكلاب: القصير المجتمع منها (لسان العرب: مادة قلط) والبُقع: أبقع وبقعاء، وهو ما فيه سواد وبياض.

مَنْ كان يأكل من فريسة صيدِهِ فالتّمْرُ يُغْنينا عن المتصيَّدِ[1]
إنا أناس رافهون وإنّكم ككلابكم في الولغ والمتردّد[2]
خزيا لكم للضب تحترسونه[3] والريف يمنعكم بكلّ مهنّدِ[4]

ثم لجّ بينهما الهجاء فأفحشا، فكتب معاوية إلى مروان أن يضرب كلّ واحدٍ منهما مائة سوط فضرب ابن حسّان وترك أخاه عبد الرحمٰن، فكتب ابن حسان بذلك إلى النعمان بن بشير، فأخبر معاوية، فكتب معاوية إلى مروان يعزم عليه أن يضرب أخاه، فرام العفو من ابن حسان، وتحامل عليه برجال من الأنصار، فجعلوا ضربه خمسين سوطاً لضعفه، فقيل لابن حسان: ضربك مائة وضرب أخاه خمسين فقال: ضربني ضرب الحرّ وضربه ضرب العبد لأنه عبد، وبلغ الكلام ابن الحكم فشق عليه وجاء إلى أخيه وقال: لا حاجة لي فيما نقضت من ضربي، فبعث مروان إلى ابن حسّان أن هلمّ فاقتص، فلا حاجة إلى هبتك فضربه خمسين أُخرى[5].

وقيل: الحامل ليزيد على هجاء الأنصار قول عبد الرحمٰن بن حسان في أُخته رملة بنت معاوية [من الخفيف]:

رَمْلَ، هل تذكرين يوم غَزالٍ إذْ قَطَعْنا مَسِيرَنا بالتّمنّي
إذ تقولين عَمْرَكَ الله هل شَـ ـيْءٌ وإن كان سوف يُسْليكَ عنّي
أَمْ هَلْ اطْمِعْتُ منكمُ يا بن حَسـ ـان كما قد أراك أُطمِعْتَ منّي[6]

والحارثي نسبة إلى بني الحارث بن كعب قبيلة مشهورة من مذحج.

والمصطار في شعر الأخطل: من أسماء الخمر.

والحرش بالحاء المهملة فالراء فالشين المعجمة: هو أن يحرك في حجر الضب بشيء حتى يخرج فيصطاد. والله أعلم.

---

(١) أُلمَتَصَيَّدُ: ما يتصيده الصائد، أو هو الصيد، مصدر ميمي، يُعَيِّرُهُمْ بالصيد.

(٢) الوَلْغُ: من وَلَغ الكلبُ في الإناء وفي الشراب، ومنه وبه: شرب ما فيه بأطراف لسانه أو أدخل فيه لسانه فحرَّكه، والمُتَرَدَّدُ: التَرَدّد، مصدر ميمي.

(٣) في الاغاني: «تحترشونه».

(٤) الاغاني: ١٥/ ١١٠ ـ ١١١.

(٥) الاغاني ١٥/ ١١٢ ـ ١١٣ بإختصار.

(٦) الاغاني ١٥/ ١٠٣.

حرف الكاف

[١٣٧]

أبو صخر كُثَيِّر بن عبد الرحمٰن بن الأسود بن عامر الغسّاني، وينمى إلى عمرو بن عامر مزيقيا المعروف بابن ماء السماء، الكوفي، واسم أمّه جُمُعة بنت خالد الأَشْيَم، وكان يكنى بأبي جُمُعة فعرف بابن أَبي جُمُعة الشاعر المشهور(*).

شاعر له كل بيت ليس فيه قصر، وكوكب لم يلحقه في علق الفصاحة بدر، شعره الكيمياء ولذلك إنّه شذور، والخمر يزداد عصيره طيباً على العصور، شيعي النحلة ومن العجب أنه حنفي[١]، فاق في رقّة القريض وفي جزالته وفيّ وفي.

(*) كُثَيِّره بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر بن عُوَيمر بن مَخْلَد بن سعيد بن سُبَيْع بن جِعْثِمَةَ بن سعد بن مُلَيْح بن عمرو وهو خزاعة بن ربيعة ـ وهو يحيى بن حارثة بن عمرو ـ وهو مزيقياء ـ بن عامر ـ وهو ماء السماء ـ بن حارثة الغطريف بن امرىء القيس البِطْريق بن ثَعْلبة البهلول بن مازن بن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان. له ديوان شعر بتحقيق د. احسان عباس ـ ط دار الثقافة بيروت ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م.

ترجمته في: الاغاني ٩/ ٥ ـ ٥٠، وفيات الأعيان ٤/ ١٠٦ ـ ١١٣، بروكلمان، أمالي القالي، أمالي المرتضى ١/ ٢٨٣، ٢٨٧، معالم العلماء ١٥٢، معجم الشعراء ٢٤٢، أعيان الشيعة ٤٣/ ١٤١، خلاصة الذهب المسبوك ٣١، النجوم الزاهرة ١/ ٢٥٦، شذرات الذهب ١/ ١٣١، أنوار الربيع ١/ ٢٤٩، شرح شواهد المغني ٢٤، سير النبلاء، عيون الأخبار ٢/ ١٤٤، معاهد التنصيص ٢/ ١٣٦، الاعلام ط ٤/ ٥/ ٢٢٠، التبريزي ٣/ ١٤٠، ١٤١، الشعر والشعراء ١٩٨، الآمدي ١٦٩، خزانة الأدب للبغدادي ٢/ ٣٨١ ـ ٣٨٣، طبقات الشعراء لابن سلام ٨٢١ تزيين الأسواق ١/ ٤٣، رغبة الآمل ٢/ ١٣٤، ٣/ ٢٠٦، ٥/ ١١٢ ـ ١١٦، سمط اللآلي ٦١، مروج الذهب ٣/ ٤٠١، الموشح ١٤٣، طبقات ابن سلام ٤٥٧، العقد الفريد ٢/ ٨٨.

(١) في هامش ب: «إشارة إلى أنه ينتسب إلى ابن الحنفية في العقيدة».

وجعله ابن سلام صاحب طبقات الشعراء من الطبقة الأولى مع جرير[١] والفرزدق[٢] واضرابهما[٣].

وذكره الأصبهاني في شعراء الأغاني وقال: إنه من فحول شعراء الإسلام وإنه كان غالياً في التشيع على مذهب الكيسانية وإنه كان يدين بالرجعة والتناسخ، وإنه كان أحمق مشهوراً بذلك، وكان بنو مروان يعرفون نحلته فلا يُغيِّرهم لجلالته في أعينهم ولطف محلِّه عندهم وكان تيّاهاً على كل أحد[٤].

وكان يدخل على عمّة له برزة فتكرمه وتطرح له وسادة يجلس عليها فقال لها يوماً: لا والله ما تعرفيني ولا تكرميني حق كرامتي، قالت: بلى والله إني لأعرفك، قال: فمن أنا، قالت: فلان بن فلان بن فلانة وجعلت تمدحه وتمدح أباه وأمّه، قال: قد علمت إنك لا تعرفيني، فقالت: من أنت؟ قال: أنا يونس بن متى وقرأ «في أيّ صورة ما شاء ركبك»[٥].

ودخل عليه عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي عليه السلام يعوده في مرض موته فقال كثير: إبشر فكأنك بي بعد أربعين ليلة قد طلعت عليك على فرس ابن أبي عتيق، فقال عبد الله: مالك عليك كذا وكذا، والله لئن مُتّ لا أَشهد جنازتك، فإن عشت لا أكلّمك أبداً.

وعن عبد العزيز بن عمر: أن أُناساً من أَهل المدينة كانوا يلعبون بكثير فيقولون وهو يسمع إن كثيراً لا يلتفت من التيه، ثم يجيء أَحدهم من ورائه فيأخذ رداءَه فلا يلتفت ويمضي في قميصه.

وقال له عبد الملك بن مروان: من أشعر الناس يا أبا صخر؟ قال: من روى أَمير المؤمنين شعره، قال: أَنت منهم يا أبا صخر.

وقال الرصافي[٦]: رأيت كُثَيِّراً يطوف بالبيت، فمن حدّثك إنه يزيد على

---

(١) مرت ترجمته بهامش سابق.

(٢) ترجمه المؤلف برقم ١٨٧.

(٣) الاغاني ٩/٧.

(٤) الاغاني ٩/٧.

(٥) سورة الانفطار: الآية ٨.

(٦) في الأغاني: «الوَقاصِيّ».

ثلاثة أشبار فلا تصدّقه، وكان إذا دخل على عبد العزيز بن مروان يقول له: طأطىء رأسك لا يُصيبك السقف، يتهكم عليه[1].

ومما يدل على معرفة بني مروان مذهبه ما حكاه أَبو مروان عبد الله بن بدرون الأندلسي في «شرح قصيدة ابن عبدون البسامة» قال: لمّا أراد عبد الملك الخروج إلى قتال مصعب بن الزبير تعلّقت به زوجته عاتكة بنت يزيد بن معاوية وبكت حتى بكى لبكائها حشمها، فقال: قاتل الله كثيراً كأنه كان يرى مكاننا حيث قال:

إذا ما أراد الغزْو لم تثْنِ عزْمَهُ   حَصانٌ عليها نَظْمُ دُرّ يَزينُها[2]
نهَتْهُ فلمّا لم تَرَ النّهْيَ عاقَهُ   بكَتْ فبكى مِمّا شجاها قطينُها[3]

ثم خرج وكثيّر في موكبه، فقال: يا أبا جُمعة ذكرتك الساعة ببيتين من شعرك فإن أصبتهما فلك حكمك، قال: نعم أَردت الخروج فبكت عاتكة وبكى حشمها فذكرت قولي البيتين: فأعطاه حكمه.

ثمّ نظر عبد الملك إليه يسير في عرض الناس فقال: عليَّ بأَبي جمعة فجِيءَ به، فقال: إن عرفتك بفكرك فيما هو حكمتني، قال: نعم، قال: قلت في نفسك أنا في شرّ حال خرجت مع رجل من أهل النار ليس على نحلتي، وربّما أصابني سهم فأموت لغير معنى، قال: والله يا أمير المؤمنين ما أخطأت ما في نفسي فاحتكم، قال: حكمي أن آمر لك بعشرة آلاف درهم وأردك إلى منزلك ففعل به ذلك.

---

(١) الاغاني ٩/٩.

(٢) الحصان: المرأة العفيفة؛ والقصة المتصلة بهذا البيت والذي يليه مشهورة، وإذا صحّت هذه القصة دلّت على أن القصيدة قبل سنة ٧٠ وهو العام الذي خرج فيه عبد الملك لقتال مصعب؛ أو على الأقل قبل خروج عبد الملك في ذلك العام نفسه. ومثله للحطيئة:

إذا همّ بالأعداء لم يثن همّه   كعاب عليها لؤلؤ وشنوف

(٣) الحماسة البصرية؟، معجم الأدباء ٢/٢٦٧، الأمالي ١/١٣، الاغاني ٩/٢٩، وفيات الاعيان ٣/١٠٨، ابن سلام ٤٦٠، دّرة الغوّاص ٤٧، عيار الشعر ٨٦، العقد الفريد ٤/٤٠٧، حياة الحيوان ١/٢٦٧، المعاني الكبير ٨٩٧، الموازنة ١/٦١، كاملة في ديوانه ٢٤١ ـ ٢٤٣.

واشتهر بكثير عزّة وهي معشوقته[1]، وكان يقول بغيبة أبي القاسم محمد بن الحنفية وشعره الموعود به في أوّل الكتاب هو:

ألا إنَّ الأئـمّـة مِـنْ قُـريـشٍ ... وُلاةَ الـحَـقّ أربـعَـةٌ سـواء
عـلـيٌّ والـثّـلاثَـةُ مِـن بَـنـيـهِ ... هـم الأسـبـاط لـيس بـهـم خـفـاء[2]
فَـسِـبْـطٌ سِـبْـطُ إيـمـانٍ وحـلـم ... وسِـبْـطٌ غـيَّـبَـتْـهُ كـربـلاء[3]
وَسِـبْـطٌ لا يـذوقُ الـمـوتَ حـتـى ... يـقـودَ الـخـيـلَ يَـقْـدمُـهـا الـلّـواء[4]
تـراه مـخـيـمـاً بـجـبـال رَضْـوَى ... مـقـيـمـاً عـنـدهُ عَـسـلٌ ومـاء[5]

وعن طلحة بن عبيد الله بن معمر قال: ما رأيت قط أحمق من كثيّر، دخلت عليه أعودُهُ مع نفرٍ وهو مريضٍ وكنّا كثيراً ما نهزأ به، فقلت له: كيف نجدك يا أبا صخر؟ قال: إجدني ذاهباً قلت: كلّا، قال: هل سمعتم الناس يقولون شيئاً؟ قلت: نعم يتحدثون إنك الدجّال، قال: أما إذا قلت ذلك فإنّي أجد في عيني هذه ضعفاً منذ أيام.

---

(١) عزة بنت حُميل (بالحاء، مصغراً) بن حفص بن إياس الحاجبية الغفارية الضمرية: صاحبة الأخبار مع «كثير» الشاعر، كانت غزيرة الأدب، رقيقة الحديث، من أهل المدينة. انتقلت إلى مصر، في أيام عبد الملك بن مروان، فأمر بإدخالها على حرمه ليتعلمن من أدبها. يقال: إنها دخلت على أم البنين (أخت عمر بن عبد العزيز، وزوجة الوليد بن عبد الملك) فقالت لها أم البنين: أرأيت قول كثير:

«قضى كل ذي دين فوفّى غريمه ... وعزة ممطول مُعَنّىً غريمها»

ما كان ذلك الدين؟ قالت وعدته قبلة وخرجت منها. فقالت أم البنين: إنجزيها وعليَّ إثمها! وماتت بمصر سنة ٨٥هـ في أيام عبد العزيز بن مروان.
ترجمتها في: سمط اللآلي ٦٩٨، وفيات الأعيان: ضمن ترجمة كثير ٤/١٠٦ ـ ١١٣، التاج ٧/ ٢٩٠ في مادة «حمل»، الاعلام ط ٤/٤/٢٢٩ ـ ٢٣٠.

(٢) الثلاثة يعني بهم: محمد بن الحنفية والحسن والحسين.

(٣) يعني بسبط الايمان الحسن بن علي، والسبط الذي غيبّته كربلاء الحسين بن علي، وقد قتل في كربلاء بالعراق.

(٤) السبط الذي لا تراه العين، أو لا يذوق الموت هو محمد بن الحنفية.

(٥) الاغاني ٧/٢٣٨ ـ ٢٣٩، وفيه أنها للسيد الحميري، عيون الاخبار ٢/٤٤، الشعر والشعراء ٤٢٣، الاغاني ٩/٢٠ وفيه أنها لكثير، مروج الذهب ٣/٨٧، الحور العين ١٥٨، زهر الآداب ٣٥٣، الفرق للقمي ٢٨ ـ ٢٩، الفرق بين الفرق للبغدادي ٤١، وفيات الأعيان ٣/٢١٦ الوافي بالوفيات ٣/٢١٦، وفي هذه المصادر نسبت بعضها الأبيات للسيد الحميري وأخرى لكثيّر. ديوانه ٥٢١.

وقال أبو عليّ القالي في أماليه، قيل لكثيّر أَنت أشعر أم جميل؟ قال: بل أنا، فقيل له: إنّما أنت راوية جميل، قال: وكيف وجميل الذي يقول:

رمى الله في عيني بثينة بالقذى ... وفي العزّ من أنيابها بالقوادحِ[1]

وأنا الذي أقول:

هَنيئاً مريئاً غيرَ داء مخامرٍ ... لعزَّة من أعراضِنا ما اسْتحلّتِ[2]

ووالله ما قاربْتُ إلاَّ تباعدتْ ... بصرْم ولا أكثرْتُ إلاَّ أقلّتِ

فإن تكنِ العتبى فأهلاً ومرحباً ... وحَقّتْ لَها العُتبى لديْنا وقلّتِ[3]

وإن تكن الأخرى فإنَّ وَراءنا ... منادحُ لَو سارت بِها العيسُ كلّتِ[4]

أسيئي بِنا أو أحسني لا ملومةً ... لدينا ولا مقليّةً إن تقلّتِ[5]

ولكن أنيلي واذكري من مودَّةٍ ... لنا خُلّةً كانت لديكمْ فضلّتِ[6]

وإنّي وإن صدَّتْ لمُثنٍ وصادقٌ ... علَيها بما كانت إليْنا أزلّتِ[7]

فما أنا بالدَّاعي لعزَّةَ بالردى ... ولا شامتٍ إن نعلُ عزَّةَ زلّتِ[8]

---

(١) ديوان جميل بثينة.

(٢) هنيئاً مريئاً قدر فيه النصب: «ثبت لك هنيئاً» فيكون منصوباً على الحال، ويجوز أن تقدر تعيش عيشاً هنيئاً فيكون صفة لمصدر محذوف. مخامر: مخالط. والعبارة هنيئاً مريئاً لعزة ما استحلته من أعراضنا ـ إلا أن يكون داء مخامراً ـ (أنظر الخزانة ٣: ٩٤ والسمط: ٧٣٥).

(٣) العتبى: الرضى؛ قال أبو علي: والعتبى الاعتاب، يقال عاتبني فأعتبته إذا نزعت عما عاتبك عليه، وقلت: أي هو يستقل الرضى في جانبها.

(٤) الأخرى: ما عدا العتبى؛ والمنادح: المفاوز والسباسب، مفرده مندوحة وهي الأرض الواسعة البعيدة، وورد: مناوح ولا أراه إلا تصحيفاً؛ والعيس: الإبل البيض؛ كلت: أعيت وتعبت من السير.

(٥) اسيئي بنا: قال ابن سيده (المحكم ٣: ١٤٤): لفظه لفظ الأمر ومعناه الشرط، لأنه لم يأمرها بالإساءة ولكن أعلمها أنها إن أساءت أو أحسنت فهو على عهدها... ومعنى قوله أسيئي بنا: قولي ما أسوأه، ما أقبحه، أو قولي ما أحسنه، وفي البيت التفات من الخطاب أي الغيبة في (تقلت)؛ وأصله «تقليت» وفي رواية «وأسماء لا مشنوعة بملالة».

(٦) الخلة: المودة والصداقة؛ فضلت: نسيت ومطلت، ومن رواه فطلت فمعناه هدرت وذهبت باطلاً.

(٧) أزل إليه نعمة: أسداها؛ وقال أبو علي: أزلت: اصطنعت؛ قال الجواليقي في شرح البيت: يقول: أنا معترف بما أحسنت إليّ واصطنعته عندي من الجميل لا أكفره وإن أعرضت عني وهجرتني؛ وقد اعترض الشرط بين اسم إن وخبرها فسد مسدَّ الجواب.

(٨) زلّت به النعل: كناية عن العثار والخطأ؛ والردى: الهلاك، ومعناه المرض الدخيل أو السل.

فلا تحسبِ الواشونَ أنَّ صبابتي بعزَّة كانتْ غمرةً فتجلّتِ[١]

فوالله ثمَّ الله ما حلَّ قبلها ولا بعدها مِن خُلّةٍ حيثُ حلّتِ

ولا مرَّ مِن يومٍ عليَّ كيومِها وإن عظمتْ أيامُ أُخرى وجلّتِ[٢]

وأضحت بأعلى شاهقٍ من فؤاده فلا القلب يسلاها ولا العَيْن مَلّتِ[٣]

فيا عجبا للقلبِ كيف اعترافُهُ وللنّفس لمّا وُطّنت ذَلَّتِ[٤]

وإنّي وتهيامي بعَزَّة بعْدما تخلّيت مِمّا بيْننا وتخلّتِ[٥]

لكا لمُرتجي ظِلَّ الغمامةِ كُلّما تبوّأ منها للمقيل اضمحلّتِ[٦]

كأنّي وإياها سحابةُ مُمحِلٍ رجاها فلمّا جاوزتْه استهلّتِ[٧]

كأنّي أُنادي صخرة حينَ أَعرضَتْ من الشَّمِّ لو تمشي بها العُصْمُ زلَّتِ[٨]

صفوج فما تلقاك إلا بخيلَةً فمن ملَّ منها ذلك الوَصل ملّتِ[٩]

---

(١) الواشون: الماشون بالنميمة؛ الغمرة: شدة الشيء.

(٢) أخرى: يعني امرأة أخرى.

(٣) يَسْلاها: ينساها ويطيب نفساً عنها؛ وقد ورد البيت عند السيوطي وشرح شواهد الكشاف:

وللعين أسراب إذا ما ذكرتها وللقلب وسواس إذا العين ملّت

وقد ورد كذلك عند القالي (١: ٦٥) ونسب هذا البيت للمجنون (مصارع العشاق ٢: ٩١).

(٤) اعترافه: قال أبو علي: اعترافه: اصطباره؛ يقال نزلت به مصيبة فوجد عروفاً أي صبوراً، والعارف: الصابر.

(٥) التهيام ـ بفتح أوله ـ مصدر للمبالغة من الهيام؛ تخليت: تركت؛ وخبر إن في البيت التالي. قال ابن جني: «وسألته (يعني أبا علي الفارسي) عن بيت كثير «وإنّي وتهيامي...» فأجاز أن يكون قوله وتهيامي جملة من مبتدأ وخبر اعترض بها بين اسم إن وخبرها الذي هو قوله: لكالمرتجي ظل الغمامة... فقلت له: أيجوز أن يكون وتهيامي بعزة قسماً؟ فأجاز ذلك ولم يدفعه».

(٦) لكالمرتجي: خبر إن في البيت السابق؛ تبوأ: أقام في المكان؛ وفي رواية «الغياية» وهي ظل السحابة، ولغة الكلابيين: امضحلت بدلاً من اضمحلت.

(٧) سحابة ممحل: سحابة بلد ممحل أي مجدب؛ استهلت: بدأت إرسال المطر، شبه نفسه بالبلد الممحل وصاحبته بالسحابة.

(٨) أعرضت: صدّت، الشمّ: جمع شمّاء وهو المرتفع من الجبال الصخرية العصم: جمع أعصم، وعصماء، وهو من الوعول ما في ذراعيه بياض، والعصم تُحسن السير والقفز فوق الصخور، أما هذه الصخرة التي يصفها فإن العصم تزلُّ عليها، فهي شديدة الملاسة والارتفاع ومن ثَمَّ فهي شديدة الصلابة.

(٩) الامالي للقالي ١/٦٥، الاغاني ٩/٣٨، خزانة الأدب ٢/٣٧٩ ـ ٣٨١، زهر الآداب ٣٥٤، كاملة في ديوانه ٩٥ ـ ١٠٣.

قال أبو عليّ: الصفوج: المعرضة.

استبلّت: ذهبت.

قال: ولا أعرف بلّت ذهبت إلا في تفسير هذا البيت.

واشتهر كثيّر بحبّ عزّة بنت حُميد، وحُكيَ أنّها دخلت على عبد الملك بنِ مروان وقد عجزت فقال لها: أنت عزَّة كثير؟ قالت: أَنا عزّة بنت حُميد، فقال: هل تروين قول كثيّر فيك:

وقَد زعَمَتْ أني تغيّرْتُ بعدها ... ومَنْ ذا الذي يا عَزَّ لا يتغَيَّرُ

تغَيَّرَ جِسمي والخليقةُ كالّتي ... عهدتِ ولم يُخْبَرْ بِسرِّك مُخْبَرُ[1]

قالت: كلاّ ولكني أروي له:

«كأنّي أنادي صخرة حين أعرضت» البيتين،

فأمر لها فادخلت إلى عاتكة بنت يزيد وقال لها عبد الملك: ما رأى فيك كثيّر حين عشقك؟ قالت: الذي رأى الناس فيك حين ولّوك الخلافة، فضحك عبد الملك حتى بدت له سنّ سيء كان يسترها.

ودخلت على أمّ البنين بنت عبد العزيز بن مروان فقالت لها: أرأيت قول كثيّر فيك:

قضى كلُّ ذي دينٍ فوفّى غريمَهُ ... وعزَّةُ ممطولٌ مُعنىً غريمها

ما هذا الذي ذكره؟ قالت: قبلة وعدْته إياها، قالت: انجزيها وعليَّ إثمها[2].

وحكى: أن عزّة قالت لبثينة صاحبة جميل بن معمر العذري: تصدّي لكثيّر وأَطمعيه في نفسك حتى أَسمع ما يجيبك به، فاقبلت بثينة إليه وعزّة تمشي خلفها مختفية فعرضت عليه الوصل فقاربها وقال:

---

(١) الشعر في: وفيات الأعيان ٣/١٠٩، الحماسة البصرية، الأمالي للقالي ٢/١٠٤، الأغاني ٩/ ٣٦، زهر الآداب ٢٤٦، ديوانه ٣٢٨.

(٢) الغريم: الدائن، ممطول: مدافع بالمطال وهو التسويف، وفيات الاعيان ٣/١٠٨، ١٠٩، نهاية الأرب ٣/٧٨، خزانة الأدب ٢/٣٨٢، زهر الآداب ٢٤٦، الأغاني ٩/٣٣، ٣٥، ٣٦، العيون والمحاسن ٤/٩٢، كاملة في ديوانه ١٤٠ ـ ١٤٨.

رمتني على عَمد بُثينَةُ بَعْدما تولّى شبابي وارْجحَنَّ شبابُها
بعينينِ نجلاوينِ لوْ رَقْرقتْهُما لنوء الثريّا لاسْتهلَّ سحابُها

فسفرت عزّة عن وجهها فبادر بأن قال:

ولكنّما ترمينَ نفساً مريضةً لعزّة منها صفوها ولُبابُها

فضحكت ثم قالت: أَولى لك نجوت بها، وتضاحكتا معاً[1].

وتوفي كثير سنة خمس ومائة في خلافة يزيد بن عبد الملك واتفقت جنازته وجنازة عكرمة الفقيه المشهور مولى ابن عباس فاجتمعت قريش في جنازة كثيّر ولم يوجد لعكرمة من يحمله، وقيل: مات أفقه الناس وأشعر الناس، رحمه الله تعالى.

وكان عكرمة متهماً بمذهب الخوارج، والرجعة قبل يوم القيامة، مذهب محدثي الإمامية لرواية ابن بابويه القميّ في عيون أخبار الرضا عن الصّادق عليه السلام ثبوتها، حتى قيل: إن كل ميت حتف أنفه والعسكر.

وروى أنه سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن دابة الأرض، فقال: هي دابة تأكل التمر واللّحم وتتكلّم، فقالوا: إنّما يعني نفسه، ويحتجون بقوله تعالى: «ويوم نحشر من كلّ أمّةٍ فوجاً»[2] والفوج: الجماعة فهذا غير الحشر الأعظم، وأهل العقليات من الإمامية كالاستاذ الطوسي وغيره منعوها عقلاً، وضعفوا رواية النقل، وأمّا غيرهم فيحتجّ في المنع بالإجماع وهو غير مسلم والقدرة أعظم من ذلك. والله أعلم.

(١) الزهرة ١٣، الأغاني ٩/٤٦، حماسة الخالديين ٢/٢٢٩، الحماسة البصرية، ديوانه ٤٤٧.
(٢) سورة النمل: الآية ٨٣.

أبو المستهل، الكميت بن زيد بن حُبَيش[(١)] بن مُجَالد بن وهب[(٢)] بن عمر[(٣)] بن سبيع بن مالك بن سعد بن ثعلبة بن دُودان بن أسد الأسدي، الشاعر المشهور[(*)].

شاعر سبق في القريض والبيت، ولا عجب إذا سبق في الحلبة الكميت، مفلق في نظامه متعب، مشرق الألفاظ في المعاني معرب، طويل النفس، كَمْ ألجم مجاريه فما نبس، وحسبك أن كلماته هزمت دولة مشتجرة القنا، وربّ قلم فضح الخطيّة خطّه في الغنا، وكان عالماً بالأنساب، وبما طوت من المحاسن والمساوي صحف الأحقاب، لساناً غضباً لعدنان، وبلاء منصباً على قحطان.

ورأيت في بعض الكتب: إن الكميت قصد جماعة من الطالبيين بالمدينة أيام الوليد بن يزيد منهم الإمام جعفر الصادق فأجازه وأَحسن إليه، وقال: يا بن رسول الله إني أَدين الله بحبكم، وإن لم أَطق نصركم بسيفي فلساني ينصركم، وسوف أنقض الحلف الذي بين النزارية واليمانية فيكون ذلك عوناً لكم، فنظم قصيدته النونية يهجو بها قبائل اليمن، فكانت سبب نقض الحلف وثارت إلاحن بهم حتى ظَهر أَبو مسلم صاحب الدعوة فاتبعه أكثر اليمانية عصبيّة وتفاقم أمر مروان حتى قَضى الله ما كان.

وكان الكميت من كبار شيعة بني هاشم[(٤)].

(*) ترجمته في: الاغاني ١٧/٣ ـ ٤٤، الشعر والشعراء ٢/٤٨٥، البيان والتبيين ١/ ٤٥ ـ ٤٦، معجم الشعراء للأيوبي ٣٥١، معجم الشعراء للمرزباني ٤٨٩، خزانة الأدب ١/ ١٤٤، ٤/٣١٥، زيدان ١/ ٢٧٣ ـ ٢٧٤، بروكلمان ١/ ٢٤٢، منهج المقال ٢٦٩، نهاية الأرب ٣/ ٧٢، الغدير ٢/ ١٨٠، أخبار شعراء الشيعة ٦٥ ـ ٧٤، سمط اللآلي ١١، الموشح ١٩١ ـ ١٩٨، الطليعة ـ خ ـ ترجمة رقم ٢٢٩ أعيان الشيعة ١٥٨/٤٣ ـ ١٥٩، أدب ألطف ١/ ١٨١ ـ ١٩١، الاعلام ط ٤/ ٥/ ٢٣٣.

جمعت مدائحه في آل البيت في ديوان «الهاشميات» ط بمصر، بشرح محمود محمد الرافعي، كما حقق شعره د. داود سلوم في «شعر الكميت بن زيد» بثلاثة أجزاء، ط بالنجف ١٩٦٩م.

(١) في الاغاني: «خُنَيس».

(٢) في الأغاني: «وُهَيب».

(٣) في الأغاني: «عمرو».

(٤) الاغاني ١٧/ ٢٩.

وقال إبراهيم بن سعيد الأسدي: سمعت أبي يقول: رأيت رسول الله ﷺ في المنام، فقال لي: من أيّ الناس أنت؟ قلت: من العرب، قال: أعلم، فمن أيّ العرب أنت؟ قلت: من بني أسد، قال من أسد بن خزيمة؟ قلت: نعم، قال: أهلالي أنت؟ قلت: نعم، قال: تعرف الكميت بن زيد؟ قلت: يا رسول الله عمّي ومن قبيلتي، قال: تحفظ من شعره شيئاً؟ قلت: نعم، قال أنشدني:

طَرِبْتُ وَمَا شَوْقاً إِلى البِيْضُ أَطْرَبُ   وَلاَ لَعِباً مِنّي وَذُو الشَّيبِ يَلْعَبُ

فانشدته حتى بلغت إلى قوله:

وَمَا لِي إِلاَّ آل أَحْمَدَ شِيعَةٌ   وَمَالِيَ إِلاَّ مَشْعَبَ الْحَقّ مَشْعَبُ

فقال: إذا أَصبحت فأقرأه منّي السلام، وقل له قد غفر الله لك بهذا النظام[1].

وقال نصر بن مزاحم: رأيت رسول الله ﷺ في منامي وبين يديه رجل ينشده «من لقلب متيّم مستهام» فسألت عنه فقيل لي هذا الكميت بن زيد.

قلت: هذا من أوّل إحدى هاشمياته المشهورات.

وعن محمد بن سهل صاحب الكميت قال: دخلت مع الكميت على أَبي عبد الله جعفر الصادق في أَيّام التشريق، فقلت له: جعلت فداك أَلا أَنشدتك، قال إِنّها أيام عظام، قلت: إِنّما فيكم، قال: هات، وبعث أبو عبد الله إلى بعض أهله فقرب فأَنشده فأكثر البكاء حتى بلغ إلى هذا البيت:

يصيب به الرامون عن قوس غيرهم   فيا آخراً أسدى له الغيّ أوّل

فرفع أبو عبدالله يديه، فقال: اللّهُمَّ اغفر للكميت ما قَدَّم وما أَخّر وما أَسر وما أَعلن واعطه حتى يرضى.

وقال صاعد مولى الكميت: دخلنا على أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام فانشده الكميت قصيدته التي أوّلها:

«من لقلب متيّم مشتاق»[2]

---

(١) الاغاني ١٧/ ٣٠.

(٢) في الهاشميات: «..متيم مستهام» وهو الصواب.

فقال: اللهم اغفر للكميت، اللهم اغفر للكميت.

قال: ودخل عليه يوماً فأعطاه ألف دينار وكسوة، فقال له الكميت: والله ما أَحببتكم للدنيا ولو أردت الدنيا لأَتيت من هي في يده، ولكنني أَحببتكم للآخرة، فأمّا الثياب التي أصابت أجسامكم فأقبلها لبركتها، وأَمّا المال فلا أقبله فردَّه وقبل الثياب.

قال: ودخلنا على فاطمة بنت الحسين عليها السلام فقالت: هذا شاعرنا أَهل البيت وجاءت بقدح فيه سويق فحرّكته بيدها، وسقته الكميت فشربه، ثم أَمرت له بثلاثين دينار ومركب فهملت عيناه، وقال: لا والله لا أقبلها إني لم أحبكم للدنيا.

وكان خالد بن عبد الله القسري أمير العراق قد أنشد قصيدة الكميت التي يهجو فيها اليمن وأوّلها:

ألا حييت عنّا يا مدينا ... نحييها وإن شطت علينا

فقال: فعلها والله لأقتلنّه، ثم اشترى ثلاثين جارية بأغلى ثمن وتخيرهنّ نهاية في حسن الوجوه والكمال والأدب، وروّاهنّ الهاشميات ودسّهنّ مع نخاس إلى هشام فاشتراهنّ جميعاً، فلما أنِسَ بهنّ واستنطقهن، رأى فصاحة وأدباً فاستقرأهنّ القرآن فقرأن، واستنشدهن الشعر فأنشدنه قصائد الكميت، الهاشميات، فقال: ويلكن من قائل هذا الشعر؟ قلن: الكميت بن زيد قال: وفي أيّ البلاد هو؟ قلن: في الكوفة، فبعث إلى خالد أن أَرسل إليّ برأس الكميت، فلم يشعر الكميت إلاّ والخيل محدقة بداره، فأُخِذَ وحُبِسْ وكان أبان بن الوليد عاملاً على واسط والكميت صديقه فبعث إليه بغلامه على بغل وقال له: أنت حرّ إن لقيته والبغل لك، وكتب إليه:

أمّا بعد فإنّه بلغني ما صرت إليه من القتل إلاَّ أن يدفع الله عزّ وجلّ، وأَرى لك أن تبعث إلى زوجتك، وكانت ممن يتشيع فإذا دخلت إليك تنقّبت بنقابها، ولبست ثيابها وخرجت، فاني أَرجو أن لا يؤبَه لك، فركب البغل وسار بقيّة يومه، وليلته من واسط إلى الكوفة فصبّحها فدخل الحبس متنكراً، وأَخبر الكميت

فبعث إلى امرأته فقصّ عليها القصة، وقال: يا ٱبنة عمّ، إن الوالي لا يقدم إليك ولا يسلمك قومك ولو خفت عليك لما عرضتك، فألبسته ثيابها ونقابها وخمّرته، وقالت له: أقبل وأدبر ففعل، فقالت: ما أنكر منك شيئاً إلاّ يبساً في كتفيك، فٱخرج على اسم الله، وأخرجت معه جاريتين لها، فخرج وعلى باب السجن أبو الوضاح بن حبيب بن بديل ومعه فتيان من أسد فلم يؤبه له، ومضى الفتيان معه إلى سكّة شبيب فمرَّ بمجلس من مجالس قبيلة منهم فقال بعضهم: رجل وربّ الكعبة، وأمر غلامه فاتبعه فصاح به أبو العباس: ويلك ألا أراك تتبع هذه المرأة منذ اليوم، وأومى إليه بنعله فمر العبد مدبراً وأدخله أبو الوضاح منزله، ولما طال الأمر على السّجان نادى بالكميت، فلم يجبه فدخل ليعرف خبره فصاحت به المرأة وراك لا أمّ لك فشق ثوبه ومضى صارخاً إلى باب خالد وأخبره بالخبر، فأحضر زوجته فقال لها: يا عدوّة الله احتلت على أمير المؤمنين فأخرجتِ عَدُوّه لأنكلنّ بك ولأصنعن، فاجتمع بنو أسد إليه، وقالوا: ما سبيلك على امرأة منّا خدعت، فخافهم، وأقام الكميت مدّة مختفياً حتى خَفَّ الطلب عليه، فخرج ليلاً في جماعة من أصحابه فأخذ الطريق على القطقطانية[1]، وكان عالماً بالنجوم مهتدياً بها فلما كان السحر صاح بنا هوّموا يا فتيان فهو منّا، فقام فصلّى، قال ابنه المستهل: فرأيت شخصاً مقبلاً فارتبت به وأعلمته، فقال: هذا ذئبٌ قد جاء يستطعمكم فأطعموه، فجاء الذئب فربض ناحيةً فأطعمناه يد جزور، فتعرقها ثم اهوينا إليه بأناءٍ فيه ماء فشربه، وارتحلنا فجعل الذئب يعوي، فقال الكميت: ماله ويله ألم نطعمه ونسقيه؟ وما أعلمني ما يريد، هو يعلمنا إنا لسنا على الطريق فتيامنوا يا فتيان، فتيامنا، فسكن عواؤه، فلم نزل نسير حتى جئنا الشام فتوارى في بني أسد وبني تميم، وأرسل إلى أشراف قريش وكان سيّدهم يومئذ عنبسة بن سعد بن العاص، فمشى بعضهم إلى بعض وأتوا إلى عنبسة، فقالوا: يا أبا خالد هذه مكرمة أتاك الله بها، هذا الكميت بن زيد لسان مضر كان أمير المؤمنين كتب في قتله فجاء حتى تخلص إليك وإلينا، قال: مروه أن يتعوّذ بقبر معاوية بن هشام

---

(١) صوابها «القطقطانة» هو موضع قرب الكوفة من جهة البريّة بالطف، به كان سجن النعمان بن المنذر، وقيل: القطقطانة بالطف بينها وبين الرهيمة مغرباً نيفاً وعشرون ميلاً إذا خرجت من القادسية تريد الشام الفيُوم ومنه إلى قصر مقاتل ثم القريَّات ثم السماوة، ومن أراد خرج من القطقطانة إلى عين التمر ثم ينحط حتى يقرب من الفيوم إلى هيت. «معجم البلدان ٤/ ٣٧٤».

بدير حنينا[1] فمضى الكميت فضرب فسطاطه[2] عند قبره، ومضى عنبسة فأتى مسلمة بن هشام فقال: يا أبا شاكر مكرمة أتيتك بها تبلغ الثريا إن اعتقدتها، فإن علمت إنك تفي بها وإلا كتمتها، قال: وما هي؟ فأخبره الخبر. وقال: إنه قد مدحكم عامة وأباك خاصة بما لم يسمع بمثله، فقال: عليَّ خلاصه، فدخل على أبيه هشام وهو عند أمّه في غير وقت دخول، فقال له هشام: أجئت لحاجة؟ قال: نعم، قال: هي مقضيّة إلاّ أن يكون الكميت، فقال: ما أحبّ أن تستثني في حاجتي، وما أنا والكميت؟ فقالت أمّة والله لتقضينَّ حاجته كائنة ما كانت، قال: قد قضيتها لو أحاطت بما بين قطريها، قال: هو الكميت يا أمير المؤمنين، وهو آمن بأمان الله وأماني، وهو شاعر مضر، وقد قال فينا قولاً لم يُقَل مثله، فقال: قد أمنته وأجريت أمانك كما تحبّ، قال: إجلس له مجلساً ينشدك ما قال فينا، فقعد له وعنده الأبرش الكلبي فتكلّم بخطبة ما سمع بمثلها قط وامتدحه بقصيدته الرائية، وقيل إنه قالها إرتجالاً[3]:

فالآن صِرْتُ إلى أُميّـ ... ـةَ والأمورُ إلى مَصائِرْ
كم قال قائلكم لعاً ... عند عثرته لعاثرْ
وغفرتم لذوي الذنو ... ب من الأكابرِ والأصاغرْ
أبني أميّة أنتم ... أهل الوسائلِ والأواصَرْ
أنتم معادن للخلا ... فة كابراً من بعد كابرْ
بالتسعة المتتابعين ... خلائفاً وبخير عاشرْ[4]
يا آبنَ العقائل للعقا ... ئِلِ والجحاجحةِ الأكابرْ[5]
مِنْ عَبْد شمسٍ والأكا ... بِر مِنْ أُميَّةَ فالأكابِرْ
وَحللتَ مُعْتَلجَ البِطا ... ح وحلَّ غيرك بالظواهِرْ[6]

---

(1) دير حنينا: من أعمال دمشق، وقال نصر: حنينا من قرى قنسرين «معجم البلدان ٢/ ٣١٢».

(2) الفسطاط: بيت من شعر والجمع فساطيط.

(3) أنظر القصة في الاغاني ١٧/٦ ـ ١٠.

(4) الأبيات ٢ ـ ٦ لم ترد في الاغاني ١٧/ ١٠.

(5) الجحاجحة: جمع جحجاح، وهو السيد العظيم.

(6) الظواهر: أشراف الأرض. يقال هاجت ظهور الأرض وذلك ما ارتفع منها. وظاهرة كل شيء أعلاه (اللسان/ مادة ظهر ج ٤ ص٥٢٤).

فقال هشام بعد مراجعة طويلة حذفتها للاختصار: إيه أَنت القائل:

فَقُلْ لبني أُميَّة حيثُ حَلُّوا ... وإنْ خِفْتَ المُهَنَّد والقَطِيعا[١]

أجاعَ الله مَنْ أشبعتموه ... وأشبعَ مَنْ بجَوْركمُ أُجيعَا

قال: إن رأيت أن تمحوَ قولي الكاذب، قال: بماذا؟ قال: بقولي الصّادق:

أورثَتْهُ الحَصانُ أُمّ هِشام ... حَسَباً ثاقِباً ووَجْها نَضِيرا

وتعاطَى به ابنُ عائشةَ البدْ ... رَ فأمسى له رَقيباً نَطِيرا

وكساه أبو الخلائف مَرْوَا ... نُ سَنِيَّ المكارِم المأثورَا

لم تجهَّمْ لَهُ البِطاحُ ولكِنْ ... وَجَدتهُ لَهُ مغاراً ودُورا[٢]

وكان هشام متكئاً فاستوى جالساً والتفت إلى سالم بن عبد الله بن عمر فقال: هكذا والله فليكن الشعر، قد رضيت عنك يا كميت، فقبّل يده وقال: يا أمير المؤمنين إن رأيت أن تزيدني شرفاً بأن لا تجعل لخالد عليَّ أمارة فافعل، قال: قد فعلت وأمر له بأربعين ألف درهم وثلاثين ثوباً هشامية، وكتب إلى خالد برفع الاعتراض عليه وأن يعطيه ثلاثين ألفاً، وعشرين ثوباً، وقال حبيش بن الكميت: وفد أَبي على يزيد بن عبد الملك وقد اشتريت له سلامة القس فأُدخلت إليه والكميت حاضر، فقال: يا أبا المستهل هذه جارية أفترى أن أبتاعها؟ قال: إي والله يا أمير المؤمنين وما أرى أنّ لها مثلاً في الدنيا، قال: فصفها لي في شعرك حتى أقبل رأيك، فقال:

هي شمسُ النهار في الحُسْن إلاّ ... أنّها فُضِّلت بحسن الظِّرافِ

غَضَّةٌ بَضَّةٌ رَخيمٌ لَعُوبٌ ... وَعْثَةُ المتن رَخْصة الأعطافِ

زانها دَلُّها وتَغَرْنَقِيٌّ ... وحديثٌ مُرَتَّلٌ غَيْرُ جَافِي

خُلِقَتْ فَوْقَ مُنْيَةِ المُتَمَنِّي ... فاْقْبَل النُّصحَ يا اْبْن عَبْدِ مَنَافِ

---

(١) القطيع: السوط يقطع من جلد سير ويعمل منه، وقال الأزهري: سمي السوط قطيعاً لأنهم يأخذون القدّ المحرّم فيقطعونه أربعة سيور. ثم يفتلونه ويلوونه ويتركونه حتى ييبس فيقوم قياماً كأنه عصا، سمي قطيعاً لأنه يقطع أربع طاقات ثم يلوى. (اللسان/ مادة قطع ج ٨ ص٢٨٢).

(٢) الأغاني ١٦/١٧ ـ ١٧.

فضحك يزيد وقال: قد قبلنا نصحك يا أبا المستهل وأمر له بجائزة سنيّة[1].

وعن محمد بن سلمة كان مبلغ شعر الكميت حين مات خمسة آلاف بيت ومئتان وتسعة وثمانون بيتاً.

وقال أبو الفرج: ولما قدم الكميت الكوفة بعد أن مات هشام تحدث الناس بعزل خالد القسري عن الكوفة فمرَّ يوماً والكميت واقف فلمّا جازه قال الكميت:

أراها وإن كانت تسحّ فإنّها سحابة صيف عن قليل تقشعُ

فسمعه خالد فقال: والله لا تقشع حتى يغشاك منها شؤبوب بردٍ، وأمر به فضرب مائة سوط.

وأول ما قال الكميت من الشعر «الهاشميّات» فسترها، ثم أتى الفرزدق فقال له: يا أبا فراس أنت شيخ مضر وشاعرها، وأنا ابن أخيك الكميت بن زيد الأسدي، وقد نفث على لساني فقلت شعراً، وأحببت أن أعرضه عليك فإن كان حسناً أمرتني بإذاعته، وإن كان قبيحاً أمرتني بستره، وكنت أولىٰ من ستره عليَّ، فقال الفرزدق: أمّا عقلك فحسن، وأرجو أن يكون شعرك على قدر عقلك، فأنشده:

«طربت وما شوقاً إلى البيض أطرب».

قال: فإلى من تطرب يا [ابن] أخي؟ فقال:

«ولا لعبا منّي وذو الشيب يلعب».

قال: بلى، فالعب يا بن أخي فإنك في أوان اللعب، فقال:

ولم تلهني دار ولا رسم منزل ولم يَتَطَرَّبني بَنانٌ مخضَّبُ

قال: فما يطربك يا بن أخي؟ فقال:

ولا السانحاتُ البارحاتُ عشيَّة أمرَّ سَلِيمُ القَرْنِ أُمْ مرَّ أَعْضَبُ

قال: أجل لا تتطير، فقال:

ولكن إلى أهل الفضائل والنُّهى وخير بني حوّاء والخَيْرُ يُطلَبُ

(١) الاغاني ١٧/ ٢٥ ـ ٢٦.

قال: من هؤلاء ويحك؟ فقال:

إلى النفر البيض الذين بحبهم ... إلى الله فيما نابني أتقربُ

فقال: أرحني ويحك مَنْ هؤلاء؟ فقال:

بني هاشم رهط النبيّ فإنّهم ... بهم ولهم أرضى مراراً وأغضبُ
خفضت لهم منّي جناح مودّة ... إلى كنف عطفاه أهل ومرحبُ
وكنت لهم من هؤلاء وهؤلا ... مجناً على أني أذمّ وأغضَبُ
وأُرمىٰ وأَرمي بالعداوة أهلها ... وإني لأوذىٰ فيهم وأؤنّبُ
فما لي إلاّ آل أحمد شيعةٌ ... ومالي إلا مشعب الحقّ مشعبُ

فقال له: يا بن أخي أذْعْ أذِعْ، فأنت والله أشعر من مضى وأشعر من بقي[1].

وولد الكميت أيام مقتل الحسين عليه السلام.

وتوفي سنة ست وعشرين ومائة في خلافة مروان بن محمد.

وقال حجر بن عبد الجبّار: إن سبب موته، إن الجعفرية خرجوا على خالد القسري وهو يخطب على المنبر وهو لا يعلم بهم، فخرجوا إلى التبانين ينادون لبيك جعفر، وعرّف خالد خبرهم وهو يخطب على المنبر فدهش ولم يعلم ما يقول فزعاً، فقال: أطعموني ماءً فخرج الناس إليهم فأُخذوا، فجعل يجاء بهم إلى المسجد ويؤخذ قصبٌ فيطلى بالنفط، ويقال للرجل احتضنه ويضرب حتى يفعل، ثم يحرّق فحرقهم جميعاً، فلما عزل خالد وولى يوسف بن عمر دخل عليه الكميت وقد مدحه بعد قتل زيد بن علي عليه السلام فأنشده:

خرجت لهم تمشي البطاح ولم تكن ... كمن حضنه فيه الرياح المشبِبُ
وما خالد يستطعم الماء فاغراً ... بعدلك والداعي إلى الموت ينعبُ[2]

---

(١) الاغاني ١٧/ ٣١.

(٢) الاغاني ١٧/ ٢٢.

والجند قيام على رأس يوسف وهم يمانيّة فغضبوا لخالد فوضعوا أعقاب سيوفهم في بطن الكميت فوجؤه[1] بها وقالوا: تنشد الأمير ولم تستأذنه، فلم يزل ينزف الدّم حتى مات، رحمه الله تعالى[2].

ومن أخبار أَحاديث الجبناء ما حكاه ابن قتيبة في عيون الأخبار قال: كان بالبصرة شيخ من بني نهشل بن دارم يقال له عروة بن يزيد[3] ويكنى أبا الأغرّ، ينزل في بني أخت له من الأزد في سكة بني مازن، فخرج رجالهم إلى ضياعهم في شهر رمضان، وخرج النساء يصلين في مسجدهنَّ، فلم يبق في الدار إلاّ إماءٌ فدخل كلبٌ يتعسس[4] فوجد بيتاً فدخله فالتصق الباب عليه، فسمع بعض الإِماء الحركة فظنت أنّهُ لِصّ دخل الدار فذهبت إلى الأغرّ فأخبرته، فقال أبو الأغر: أَلا ما يبتغي اللص عندنا؟ ثم أخذ عصاه حتّى وقف بباب البيت وقال: إِيهِ يا فلان[5]، أما والله أنّي لعارف بك، فهل أنت من لصوص بني مازن، شربت حامضاً خبيثاً حتى إذا دارت في رأسك منَّتْك نفسك الأَماني وقلت: أطوف دور بني عمرو فالرجال خلوف والنساء يصلين في مسجدهن فأسرقهم!. سوءة لك، والله ما يفعل هذا ولد الأحرار، وأيم الله لتخرجن أو لأهتفن هتفة مشومة يلتقي فيها الحيّان عمرو بن حنظلة ويجيء سعد عدد الحصاء وتسيل عليك الرجال من هنا، وهنا ولئن فعلت لتكونن أشأم مولود، فلما رأى أنه لا يجيبه أحد أخذ يلين له فقال: أخرج: بأبي أنت مستور، والله ما أراك تعرفني ولو عرفتني لقنعت بقولي واطمأنيت إليَّ، أنا ـ فديتك ـ أبو الأغرّ النهشلي، وأنا خال القوم وجلدة بين أعينهم لا يعصونني، ولن تضار الليلة وأنت في ذمّتي وعندي قَوْصَرتان أهداهما إليَّ ابن اختي البار الوصول فخذ إحداهما فانبذهما حلالاً من الله ورسوله، وكان الكلب إذا سمع الكلام أطرق، وإذا سكت أبو الأغرّ وثب يريد المخرج، فتهاتف أبو الأغرّ ثم تضاحك، وقال: يا أَلأم الناس وأوضعهم. لا أرى لك منذ الليلة أنت في وادٍ وأنا في واد، فلما طال وقوفه جاءت إحدى الإِماء

---

(١) في الاغاني: «فوجئوه» والوجء: اللّكز، ووجأه باليد والسكين، وجأ: ضربه «اللسان: مادة وجأ ١/ ١٩٠».

(٢) الاغاني ١٧/ ٢٢ ـ ٢٣.

(٣) في عيون الأخبار: «مَرْثَد».

(٤) في عيون الاخبار: «يَعْتَسُّ».

(٥) في عيون الاخبار: «يا مَلأمان».

فقالت: أعرابي، والله ما أرى في البيت شيئاً فدفعت الباب فخرج الكلب شارداً وحاد عنه، أبو الأغرّ ساقطاً على قفاه، شائلة رجلاه وقال: تالله ما رأيت كالليلة، ما أراه إلاّ كلباً ولو علمت بحاله لولجت عليه[1].

وقال ابن نوفل يهجو خالد القسري[2] لما دهش في المنبر وقيل إنه بال عليه:

أَخــالــد لا جــزاك الله خــيــراً ... وأيــراً فــي حــرِّ أمّــك مــن أمــيــرِ
تــروم الــفــخــر فــي أعــراب قــيــس ... كــأنّــك مــن ســراة بــنــي جــريــرِ
وأمّــك عــلــجــة وأبــوك وغــدٌ ... ومــا الأذنــاب عــدل لــلــصــدورِ
لأعــلاج يــمــانــيــة وشــيــخ ... كــبــيــر الــسنّ لــيــس بــذي ضــريــرِ
صــرخــت مــن الــمــخــافــة أطــعــمــونــي ... تــرابــاً ثــم بــلــت عــلــى الــســريــرِ

وقال آخر وصرّح بالمنبر:

بــلَّ الــمــنــابــر مــن خــوفٍ ومــن دهــشٍ ... واستطعم الــمــاء لــمــا جــدّ فــي الــهــربِ

وقال المستهل: حضرت أبي عند الموت وهو يجود بنفسه فاغمي عليه ثم أفاق ففتح عينيه، فقال: اللهم آل محمّد ثلاثاً يكرر ذلك، ثم دفن بمكران موضع بالكوفة صار بعد مقبرة بني أسد ومنع أن يدفن بظهر الكوفة، وقال: بلغني أنه يحفر بظهرها خندق ينبش فيه الموتى ويخرجون[3].

وولده المستهل[4] المذكور شاعر فصيح، ذكر الأصفهاني: أنه دخل على

---

(١) عيون الاخبار ١/١٦٧ ـ ١٦٨.

(٢) عبد الله بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم: صحابي. من القضاة ولد على عهد النبيﷺ واستقضاه مروان ابن الحكم بالمدينة (سنة ٤٢هـ) فكان أبو هريرة يقول: هذا أول قاض رأيناه في الاسلام توفي سنة ٨٤هـ.

ترجمته في: ذيل المذيل ٨٨ والاصابة، ت ٤٩٩٤ وهو في المحبر ٤٦ من المشبهين بالنبيﷺ، الاعلام ط ٤/٤/١٤٢.

(٣) الاغاني ١٧/٤٣.

(٤) المستهل بن الكميت بن زيد الأسدي: شاعر. من أهل الكوفة، وفد على أبي العباس السفاح بالأنبار، فأخذه الحرس وحبسوه، فكتب إلى أبي العباس شعراً فأطلقه وأحسن جائزته. ووفد بعد ذلك على المنصور وله معه حديث، توفي نحو سنة ١٥٠هـ.

ترجمته في: المرزباني ٤٧٩ والاغاني ط ليدن ١٥: ١١٧ و١١٨ و١٢٢، الاعلام ط ٤/٧/٢١٤.

عبد الصمد بن علي العباسي[1] أمير البصرة فقال له: من أنت؟ فأخبره، فقال: لا حيّاك الله ولا حيّا أباك هو الذي يقول:

فالآن صرتُ إلى أُميّة والأمور إلى مصائرْ

قال: فأطرقت إستحياءً، فقال: إرفع رأسك فلئن قال ذلك لقد قال:

بخاتمكم كرهاً تجوّز أمرهم فلم أرَ غَصباً مِثْله حين يُغْصَبُ

قال: فسلّى ما كان بي، وحادثني ساعة، وقال: ما يعجبك من النساء؟ فقلت:

غرّاء تَسْحَبُ مِنْ قِيام شَعْرَها وتغيبُ فيهِ وهو وحف أَسْحَمُ
فكأنّها فيه نهارٌ مُشرِقٌ وكأنّهُ ليلٌ عَلَيْها مُظْلِمُ

فقال: يا بني هذه لا تصاب إلاّ في الفردوس، وأمر له بجائزة[2].

قال الشريف أبو القاسم المرتضى: إن الكميت كان إمامياً ولم يخرج مع الإمام زيد بن علي عليه السلام وندم بعدهُ وقال أبياتاً.

❀ ❀ ❀

والجعفرية جماعة غلَوا[3] في الإمام جعفر الصادق.

والكميت اسم مرتجل وهو في الأصل اسم للفرس الذي ليس بقاني الحمرة بشرط سواد عرفه، واسم للخمر. والله أعلم.

---

(١) عبد الصمد بن عليّ بن عبد الله بن عباس: أمير عباسي هاشمي (٦١٤ ـ ٦٨٦هـ). وهو عم المنصور. كان عامله على مكة والطائف، سنة ١٤٧هـ. ثم ولي المدينة. وعزله عنها المهدي، سنة ١٥٩هـ، وولاه الجزيرة سنة ١٦٢هـ. ثم عزله سنة ١٦٣ وحبسه إلى سنة ١٦٦ وأخرجه وولاه دمشق، ثم عزله. وعمي في آخر عمره. وهو ابن «كثيرة» التي كان ابن قيس الرقيات يشبب بها في شعره، ويقول:

«عاد له من كثيرة الطربُ فعينه بالدموع تنسكبُ»

وكان في الجانب الشرقي من بغداد «شارع عبد الصمد» ينسب إليه.

ترجمته في: وفيات الاعيان ٣/ ١٩٥ ـ ١٩٦ والموشح للمرزباني ٣٤٦ وبغية الآمل ٤: ١٠٩ وسمط اللآلي ٣٢٥ وفيه أن «ابني المعذل» عبد الصمد ـ هذا ـ وأحمد. شاعران، وعبد الصمد أشعر، وأحمد فقيه مالكي له كتاب سماه «كتاب العلة» ينصر فيه مذهب مالك. وقيل: كان أحمد معتزلياً، ويكنى أبا الفضل، الاعلام ط ٤/ ٤/ ١١.

(٢) الاغاني ١٧/ ٢٤.

(٣) أي تابعوا وانتهجوا، وليس الغلّو المنهيّ عنه.

فهرس موضوعات الجزء الثاني

«حرف الدال»

«حرف الذال»

«حرف الرّاء:

«حرف الزّاي»

«حرف السّين»

«حرف الشين»

«حرف الضّاد»

«حرف الطّاء»

«حرف الظّاء»

«حرف العين»

«حرف الفاء»

«حرف القاف»

«حرف الكاف»

